

دار الكتب العلمية

صباح الأسماء

الجزء العاشر

طبع
لجنة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
م ١٩١٦

فهرس

الجزء العاشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ

صفحة

- الوجه الخامس — فيما يكتب في ألقاب الملوك عن الخلفاء ،
 وهو نمطان ٥
- النمط الأول — ما كان يكتب في قديم الزمن ٥
- » الثاني — ما يكتب به الملوك الزمان ٦
- الوجه السادس — فيما يكتب في متن العهود، وفيه ثلاثة (خمسة)
 مذاهب ٨
- المذهب الأول — أن يفتح العهد بلفظ « هذا » ، وللكتاب فيه طريقتان
 الطريقة الأولى — أن لا يأتي بتحميد في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها أنشأ ٨
- » الثانية — أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تحميد ٤٦
- المذهب الثاني — أن يفتح العهد بلفظ « من فلان » باسم الخليفة
 وكنيته ولقب الخلافة « إلى فلان » بأسم السلطان
 وكنيته ولقب السلطنة ٧٥
- » الثالث — أن يفتح العهد بخطبة ٩٨
- » الرابع — « » « بقوله » أما بعد فالحمد لله « أو
 « أما بعد فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ١٣٥
- » الخامس — أن يفتح العهد بـ « إن أولى ما كان كذا » ونحوه ... ١٤٥
- الوجه السابع — فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ،
 وما يكتبه الخليفة في بيت السلامة ، وما يكتب
 في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها ... ١٥٢
- » الثامن — في قطع الورق الذي تكتب فيه عهود الملوك عن
 الخلفاء ، والقلم الذي يكتب به ، وكيفية كتابتها ،
 وصورة وضعها في الورق ١٥٣

صفحة

- النوع الثالث — من العهود — عهود الملوك لولاية العهد بالملك ، وفيه
 سبعة أوجه ١٥٨
- الوجه الأول — في بيان صحة ذلك ١٥٨
- » الثاني — فيما يكتب في الطرة ١٥٩
- » الثالث — في الألقاب التي تكتب في أثناء العهد ١٥٩
- » الرابع — ما يكتب في المستند ١٦٠
- » الخامس — ما يكتب في متن العهد ١٦٠
- » السادس — فيما يكتب في مستند عهد ولي العهد بالسلطنة ،
 وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ، وما يكتب
 في ذيل العهد ١٧٧
- » السابع — في قطع ورق هذا العهد ، وقلمه الذي يكتب به ،
 وكيفية كتابته ، وصورة وضعه في الورق ، ١٧٨
- النوع الرابع — من العهود — عهود الملوك بالسلطنة للمنفردين
 بصغار البلدان ، وفيه أربعة أوجه ١٨١
- الوجه الأول — في بيان أصل ذلك وأول حدوثه في هذه المملكة
 إلى حين زواله عنها ١٨١
- » الثاني — في بيان ما يكتب في العهد ، وهو على ضربين ... ١٨٣
- الضرب الأول — ما يكتب في الطرة ، وهو تلخيص ما يشتمل عليه
 العهد (ولم يذكر الضرب الثاني) ١٨٣
- الوجه الثالث — فيما يكتب في المستند عن السلطان في هذا العهد ،
 وما يكتبه السلطان في بيت العلامة ١٨٨

صفحة

- الوجه الرابع - في قطع ورق هذا العهد، وقلمه الذي يكتب به،
وكيفية الكتابة، وصورة وضعها في الورق ... ١٨٨
- الباب الرابع - من المقالة الخامسة في الولايات الصادرة عن الخلفاء
لأرباب المناصب من أصحاب السيوف والأقلام،
وفيه ثلاثة فصول... ١٩٢
- الفصل الأول - فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة
أطراف ... ١٩٢
- الطرف الأول - فيما كان يكتب عن الخلفاء الراشدين ... ١٩٢
- » الثاني - » » عن خلفاء بني أمية ... ١٩٥
- » الثالث - » » » بنى العباس ببغداد إلى
حين أقراض الخلافة العباسية من بغداد،
وهو على أربعة أنواع... ٢٣٣
- النوع الأول - ما كان يكتب لوزراء الخلافة... ٢٣٣
- » الثاني - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
من أصحاب السيوف، وهو على ضربين ... ٢٤٢
- الضرب الأول - العهود ... ٢٤٢
- » الثاني - مما يكتب من ديوان الخلافة لأرباب
السيوف - التقاليد... ٢٦٢
- النوع الثالث - مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان
الخلافة ببغداد - ما كان يكتب لأرباب الوظائف
ببغداد من أصحاب الأقلام، وهي على ضربين ... ٢٦٣

صفحة

الضرب الأول — اليهود ٢٦٤

» الثاني — مما كان يكتب بديوان الخلافة ببغداد لأرباب

الوظائف من أصحاب الأقاليم — التوقيع ٢٩٢

النوع الرابع — مما كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد —

ما كان يكتب لرعاة أهل النمة ٢٩٤

الطرف الرابع — فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب

والأندلس، ولذلك حالتان ٢٩٩

الحالة الأولى — ما كان الأمر عليه في الزمن القديم (لم يذكر

الحالة الثانية) ٢٩٩

الطرف الخامس — فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار

المصرية، وهو على نوعين ٣٠٨

النوع الأول — ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه، ولم فيها

أربعة مذاهب ٣٠٨

المنهـب الأول — أن يفتح ما يكتب في الولاية بالتصدير، وهو على

ثلاث مراتب ٣٠٩

المرتبة الأولى — أن يقال بعد التصدير المقتم « أما بعد فالحمد لله »

وهي على ضربين ٣٠٩

الضرب الأول — بمجلات أرباب السيوف (لم يترجم للضرب

الثاني) ٣١٠

المرتبة الثانية — أن يفتح السجل بالتصدير إلى آخر التصلية ثم يؤتى

بالتحميد مرة واحدة ٣٣٨

صفحة

- المرتبة الثالثة — أن يفتح بالتصدير أيضا إلى آخر التصلية ثم يؤتى
 بالبعدية من غير تمجيد ٣٦٠
- المذهب الثاني — أن يفتح ما يكتب في الولاية بلفظ «هذا ما عهد
 عبد الله ووليه أنت» ٣٨٤
- » الثالث — أن يفتح ما يكتب في الولايات بخطبة مبتدأة
 بـ«الحمد لله» ٣٨٩
- » الرابع — مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأقلام ... ٤٣٩
- النوع الثاني — ما كان يكتب عن الوزير... .. ٤٤٦

(تم فهرس الجزء العاشر من كتاب صبح الأعشى)

صَبْحُ الْأَسْبَحَةِ

الجزء العاشر

دار الكتب السلطانية

كتاب

صبح الأسي

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء العاشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٤ هـ
م ١٩١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الوجه الخامس

(فما يُكْتَبُ في ألقاب الملوك عن الخلفاء ، وهو مَخْمَظَانُ)

الفصل الأول

(ما كان يُكْتَبُ في قديم الزمن)

وهو أن يُقْتَصَرَ على ما يُقَبُّ به الملك أو يُكْتَبُ به من ديوان الخلافة ، ثم يقال :
« مولى أمير المؤمنين » ولا يُزَادُ على ذلك .

كما كتب أبو إسحاق الصابي في عهد تَغْرِ الدولة بن بُويّه عن الطائع لله :

« هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى تَغْرِ الدولة
أبي علي مولى أمير المؤمنين » .

والى هذا أشار في " التعريف " بقوله : على أن لهذا ضابطاً كان في قديم
الزمان وهو أنه لا يُكْتَبُ للرجل إلا ما كان يُقَبُّ به من ديوان الخلافة [بالنص]
من غير زيادة ولا نقص .

(١) في " التعريف " ص ٨٧ ملك

(٢) الزيادة من التعريف

النمط الثاني

(ما يُكْتَبُ بِهِ لُؤُوك الزمان)

وقد حكى في "التعريف" في ذلك مذهبين :

الأول — أن يُكْتَبَ فيها : السُّلطان، السَّيِّد، الأَجَل، الملك الفلاني، مع بَقِيَّة ما يُناسِب من الألقاب المفردة والمركبة : كما كتب القاضي الفاضل في عهد أسد الدين شيركوه الآتي ذكره عن العاضد الفاطمي :

«مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلَّيْهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْعَاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى السَّيِّدِ، الْأَجَلِ، الْمَلِكِ، الْمَنْصُورِ، سُلْطَانِ الْجُيُوشِ، وَلِيِّ الْأُمَّةِ، نَخْرِ الدَّوْلَةِ، أَسَدِ الدِّينِ، كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، أَبِي الْحَرْثِ شِيرَكُوهِ الْعَاضِدِي» .

وعلى هذه الطريقة زيادة ألقاب كتب أبو القيسراني في العهد لملك الناصر محمد بن قلاوون : قدس الله روحه ونحو ذلك . قال في "التعريف" : وأنا إلى ذلك أجتنب، وعليه أعمل .

الثاني — أن يُكْتَبَ : المقام الشريف، أو الكريم، أو العالي مجردا عنهما .
(١) ويُقتصر على المفردة [دون المركبة] .

كما كتب به الصاحب نخر الدين بن لقمان، في عهد الظاهر بيبرس بعد ذكر أوصافه ومتابعيه : ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي، السلطاني، الملكي، الظاهري، الركني، شرفه الله تعالى وأعلاه .

قلت : وربما أبطل المتقدمون « المقام » في هذه الحالة بـ « المَقَر » وآتى باللقاب من نحو ما تقدم .

وكما كتب به القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى عهد المنصور قلاوون بعد استيفاء مناقبه وأوصافه ، وذكر أعمال الفكر والرؤية فى اختياره : « ونخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله أن يكون لَمَقَر العالى ، المولى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، أجله الله ونصره ، وأظفروه وأقدروه ، وأبدوه وأبدوه ، كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين » ونحو ذلك .

وبقيَ مذهب ثالث - وهو أن يأتى بنظير ألقاب المذهب الأول ، مقتصرًا على الألقاب المفردة دون المركبة . وعلى ذلك جرى الوزير ضياء الدين بن الأثير فى العهد الذى كتب به معارضة لعهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآتى ذكره - فقال بعد ذكر مناقبه : « وتلك مناقبك أيها الملك ، الناصر ، الأجل ، السيد ، الكبير ، العالم ، العادل ، صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب » . ولم يتعرض لحكايته فى « التعريف » . على أن ابن الأثير إمام هذا الفن ، وحائز قصب السبق فيه ، ومقاتله مما يحتج بها ويعول عليها .

فإن قيل : لعله فى « التعريف » أراد مذاهب كتّاب زمانه ، فالجواب أن حكاية المذهب الثانى عن المتأخرين تؤيد بأن المراد متقدمو الكتّاب ومتأخروهم .

الوجه السادس

(فما يكتب في متن اليهود، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(وعليه عامة الكتاب من المتقدمين وأكثر المتأخرين)

أن يفتح العهد بلفظ « هذا » مثل : « هذا ما عهد به فلان لفلان » أو « هذا ما أمر به فلان فلانا » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا كتاب أكتبه فلان لفلان » وما أشبه ذلك .

والكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتي بتحميد في أثناء العهد في خطبة ولا غيرها، ولا يتعرض إلى ذكر أوصاف اليهود إليه والثناء عليه أصلاً، أو يتعرض إلى ذلك باختصار ثم يقول : « قللته كذا وكذا » ويذكر ما فوض إليه، ثم يقول : « وأمره بكذا » حتى يأتي على آخر الوصايا، ثم يقول في آخره : « هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحمته لك وعليك » ويأتي بما يناسب ذلك، ويحتميه بقوله : « والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » أو « والسلام عليك » أو غير ذلك من الألفاظ المناسبة على اختلاف طرقهم في ذلك، وتباين مقاصدهم . وعلى هذا التهج وما قاربه كانت جهود السلف فمن بعدهم، تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما كتب به لعمرو بن حزم حين وجهه إلى اليمن، كما تقدمت الإشارة إليه في الاستشهاد لأصل عهود الملوك عن الخلفاء .

وهذه نسختها بعد البسملة فيما ذكره ابن هشام وغيره :

« هَذَا بَيَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) »
 « عَهْدٌ مِّن [مجلد] النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرَوِ بْنِ حَزَمٍ [حين بعثه »
 « إِلَى الْيَمَنِ] أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا »
 « وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُدْشِرَ »
 « النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِيهِ ، »
 « وَيُنْهِيَ النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ ، وَيُخَيِّرَ »
 « النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمُ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيُلَيِّنَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ وَيُسَدِّدَ عَلَيْهِمْ »
 « فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ فَقَالَ : (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى »
 « الظَّالِمِينَ) وَيُدْشِرَ النَّاسَ بِالْحَنَةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنْذِرَ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلَهَا ، »
 « وَيَسْتَأْذِنَ النَّاسَ حَتَّى يَفْقَهُوا فِي الدِّينِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ مَعْلَمَ الْحَجِّ »
 « وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرُ الْحَجَّ الْأَكْبَرُ ، »
 « وَالْحَجَّ الْأَصْغَرُ هُوَ الْعُمْرَةُ ، وَيُنْهِيَ النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي تَوْبٍ »
 « وَاحِدٍ صَغِيرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَوْبًا يَلْتَمِسُ طَرَفِيهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ ، وَيُنْهِيَ »

« [الناس^(١)] أَنْ يَحْتَجِيَ أَحَدٌ فِي قُورٍ وَاحِدٍ يُفْضِي بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، »
 « وَيَنْهَى أَنْ لَا يَغْفِصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَّاهُ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ
 « النَّاسِ هَيْجٌ عَنِ الدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَلَيْكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ
 « [عز وجل] وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ [فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى
 « الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيَقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ
 « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ] وَيَأْمُرَ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ : وَجُوهِهِمْ، »
 « وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَرَافِقِ، وَأَرْجُلِهِمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ
 « كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ لَوْقِيهَا، وَإِثْمَامِ الرُّكُوعِ [وَالسُّجُودِ]^(١) »
 « وَالخُشُوعِ؛ وَيَغْلَسُ بِالصُّبْحِ، وَيَهْجُرُ بِالظُّهْرِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ^(٢)، »
 « وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مُدْبِرَةٌ، وَالْمَغْرِبِ حِينَ يُقْبِلُ
 « اللَّيْلُ، لَا تَوَنُّعٌ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ، وَالْعِشَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ . »
 « وَأَمَرَ بِالسَّغَى إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا، وَالْغُسْلِ عِنْدَ الرَّوَّاحِ إِلَيْهَا . »
 « وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ مِائِسَ اللَّهِ ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٢ .

(٢) القى في السيرة « بالمجبرة حين تميل » .

« فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرُ مِائَةِ عَيْنٍ وَسَقَرَتِ السَّمَاءُ ، وَعَلَى »
 « مِائَةِ الْغَرْبِ نِصْفُ الْعُشْرِ . وَفِي كُلِّ عَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، »
 « وَفِي كُلِّ عَشْرِينَ أَرْبَعُ شِيَاهُ . وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، »
 « وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ جَذَعٌ^(١) أَوْ جَذَعَةٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ »
 « مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَا شَاةٌ ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَفْتَرَضَ »
 « عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ . وَأَنَّهُ مَنْ »
 « أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ وَدَانَ يَدَيْنِ »
 « الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ : لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ ، »
 « وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَنْهَا وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ : »
 « ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ دِينَارٌ وَاقِفٌ ، أَوْ عِرْضُهُ ثِيَابًا ، فَمَنْ أَذَى »
 « ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ »
 « وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا » .

« صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

(١) كذا في السيرة أيضا بالعين والقاف وفي كتب اللغة القار [أي كغراب] خيار الكلاب والقار [أي
 كلام] النخل . تأمل .

(٢) في اللسان ج ٩ ص ٣٩٣ "إذا طلع قرن المجمل يقبض عليه فهو غضب ثم هو بعد ذلك جذع"

وعلى نحو ذلك كتب أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه عهد مالك بن الأشتر النخعي حين ولّاه مصر . وهو من اليهود البليغة جمع فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك .

وهذه نسخة فيما ذكره ابن حنبل في ذكره :

هذا ما أمر [به عبد الله] على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر ، في عهده إليه ، حين ولّاه مصر : جباية نراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها . أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، وأتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه ؛ وسنة التي لا يسمد أحد إلا باتباعها ، ولا يسقى إلا مع مجودها وإضاعتها ؛ وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه ، فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، وإعزاز من أعزه . وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ، ويضعها عند الجمحات ؛ فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله .

ثم أعلم بمالك أنّي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دُول قبلك : من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون من أمورك [في مثل] ما كنت تنظر فيه من أمر الولاة قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم . وإنما يستدل على الصالحين بما يحرى الله لهم على السن عبادته ، فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح . فمالك هوأك ، وفتح بنفسك عما لا يحل لك ؛ فإن الشح بالنفس الانتصاف منها فيما أحببت وكرهت . وأشعر قلبك بالرحمة للريّة ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ؛ ولا تكون عليهم سبعا ضاريا ، تغتيم أكلهم ؛ فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ،

(١) الزيادة من " مفتاح الأفكار " (ص ١٠٥) .

(٢) الزيادة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الجهميد .

وإما نَظِيرُكَ في الخلق : يَغْرِطُ مِنْهُمُ الزَّلَالُ ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَالُ ، وَيُوقِي عَلَى أَيْدِيهِمْ
 فِي الْعِمْدِ وَالْخَطَا : فَأَعْطَاهُمْ مِنْ عَقْلِكَ وَصَفِيكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ
 مِنْ عَقْوِهِ وَصَفِيهِ : فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَائِكَ .
 وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَتَّصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدِي
 لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِيَّ بِكَ عَنْ عَقْوِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ وَلَا تَسُدَّ مَنْ عَلَى عَقْوٍ ، وَلَا يَجِيحَنَّ
 بِمَقْبُوبَةٍ ، وَلَا تُسِرَّعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَنُودَحَةً ؛ وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي أَمَرْتُ أَمْرُ^(١)
 فَأُطَاعَ : فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَهْلَكَةٌ فِي الدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ . وَإِذَا
 أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَيْهَةً أَوْ حِيلَةً ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى
 فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ
 طَلْحِكَ وَيُخَفِّفُ عَنْكَ مِنْ غَرِيكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .
 وَإِلَيْكَ وَمُسَامَاةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَظَمَتِهِ ، وَالتَّشَبُّهُ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدِلُّ كُلَّ
 جَبَّارٍ ، وَيُؤَيِّنُ كُلَّ مُخَالٍ .

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمِنْ لَكَ فِيهِ هَوًى
 مِنْ رِيبَتِكَ : فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ،
 وَمِنْ خَاصَّةِ اللَّهِ ، أَدْحَضَ نَجْمَتَهُ وَكَانَ لَهُ حَرْبًا حَتَّى يَتَرَعَّ وَيَتُوبَ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ
 أَدْعَى إِلَى تَفْسِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ [فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ سَمِيعٌ
 دَعْوَةُ الْمُظْلَمِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ]^(٢) .

وَلَكِنْ أَحِبِّ الْأُمُورَ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمَهَا فِي الْمَدَلِّ ، وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا
 الرَّبِّ ؛ فَإِنَّ مَخْطَطَ الْعَامَةِ يُصَحِّفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّ مَخْطَطَ الْخَاصَّةِ يَفْتَقِرُ مَعَ رِضَا

(١) في "مفتاح الأفكار" وشرح نهج البلاغة "مؤمر" .

(٢) الزيادة من "مفتاح الأفكار" وشرح "نهج البلاغة" .

العامة ؛ وليس أحد من الرعية أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ ، وَأَقْلَ مَثُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ؛ وَأَثَرُهُ لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلُ بِالْإِلْحَافِ ؛ وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأُ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنَعِ ، وَأَضْعَفُ صَبْرًا عِنْدَ مُلْهَاتِ الدَّهْرِ ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ؛ وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُمَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ . فَلَئِنْ صَغُوكَ لَهِمْ ، وَمِثْلُكَ مَعَهُمْ ، وَلَيْكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْنَوْهُمْ عِنْدَكَ ؛ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ : فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ؛ فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ [لَكَ] ^(١) وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا ظَابَ عَنْكَ مِنْهَا . فَاسْتَرْ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتَرْ اللَّهُ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ عَيْتِكَ .

أُطْلِئِ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حَقْدٍ ، وَأَقْطَعْ عَنْهُمْ سَبَبَ كُلِّ وَتَرٍ ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِغُ لَكَ ؛ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ : فَإِنَّ السَّاعِيَ ظَالِمٌ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ . وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَحِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يَزِنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْخَوَرِ : فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْخِرْصَ غَرَائِزُ شَقِيٍّ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ وَاللُّغَةُ .

إِنَّ شَرَّ وَزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا وَمَنْ شَارَكَهُمْ فِي الْإِتَامِ ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً ، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَئِمَّةِ ، وَإِخْوَانُ الظَّالِمَةِ ؛ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخُلَافِ تَمَنَّ لَهُ مِثْلَ آرَائِهِمْ وَتَقَانِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ : تَمَنَّ لَمْ يُعَاوَنَ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ ، وَلَا آثَمًا عَلَى إِثْمِهِ ؛ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَثُونَةٌ ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ ؛ وَأَخْفَى عَلَيْكَ حَقِيقًا ، وَأَقْلَلُ لِنَفْسِكَ الْإِفْهَاءَ ؛ فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً نَظَائِكَ [وَحَقْلًا تَكَ] ^(١) . ثُمَّ لَيْكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَمُهُمْ [لَكَ] ^(١) بِحُرِّ الْحَقِّ ، وَأَقْلَهُهُمْ مُسَاعِدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا

كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ. وَالصَّبْقُ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ،
ثُمَّ رُضِّمُهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ وَلَا يُبْجَحُوكَ ^(١) بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ : فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُخْدِتُ
الزُّهْمُ وَتُدْنِي مِنَ الْفِرَّةِ . وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسَنُ وَالْمُسِيءُ عَنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ
تَهْيِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ [فِي الْإِحْسَانِ] وَتَنْذِيرًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ [عَلَى الْإِسَاءَةِ] ^(٢) : ^(٣)

وَأَنْتَ لَا تَنْذِرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ * أَأَنْتِ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ !
عَسَى سَائِلٌ دُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتُهُ * مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلًا أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ !
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنْ الْجَهْلِ زَائِرٌ، * وَلَقَدْ لِمَ أَبْقَى لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدُ !



وَعَلَى ذَلِكَ كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ عَنِ الْخَلِيفَةِ « الطَّائِعِ قَه » ^(٤) إِلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ بْنِ
رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ، فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ .

وَهَذِهِ نُسَخَتُهُ :

هَذَا مَا عَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ [الْإِمَامُ] ^(٥) الطَّائِعُ قَه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [إِلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ
أَبِي الْحَسَنِ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبِي عَلِيٍّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ] حِينَ عَرَفَ غَنَاءَهُ وَبَلَاءَهُ،

(١) أَيْ لَا يَفْرُسُوكَ يُقَالُ يَجْعَتُهُ تَجِيعًا فَتَجِيعُ أَيْ فَرَحُهُ فَفَرَحَ أَنْظَرَ السَّانِ ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ "مِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ"، وَتَبِيعُ الْبَلَاغَةِ .

(٣) انْتَهَصَرَ فِي الْأَصْلِ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ بَقِيَّةٌ طَوِيلَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي "تَبِيعِ الْبَلَاغَةِ"، وَمِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ "فَلْيَرْجِعْ
إِلَيْهَا مَنْ شَاءَ .

(٤) أَيْ كَتَبَ الْعَهْدَ عَنْ الْخَلِيفَةِ .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ "رِسَالَةِ الصَّابِيِّ" وَالْمَقَالِ السَّائِرِ .

وَأَسْتَصَحَّ دِينَهُ وَيَقِينَهُ ، وَرَعَى قَدِيمَةَ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَأَسْتَجَبَ عُدَّةَ وَنَجَارَهُ ، وَأَفْشَى
عِزَّ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورُ بْنُ مِيزَّ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحُسَيْنِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [أَيُّهُمُ اللَّهُ] ^(١) طَبِئَهُ ،
وَأَشَارَ بِالْمَزِيدِ فِي الصَّنِيعَةِ إِلَيْهِ ، وَأَعْلَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اقْتِدَاءَهُ بِهِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ ذَهَبَ فِيهِ
مِنْ الْخِدْمَةِ ، وَغَرَضَ رَمَى إِلَيْهِ مِنَ النَّصِيحَةِ ؛ دُخُولًا فِي زُمْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ [الْمَنْصُورَةِ] ،
وَنُحُوجًا عَنْ جَمَاعَةِ الْأَعْدَاءِ الْمَذْهُورَةِ ^(٢) ، وَتَصَرُّفًا عَلَى مُوْجِبَاتِ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ بِمِزَّ الدَّوْلَةِ
أَبِي مَنْصُورٍ مَنْطُوطَةٌ ، وَعَلَى سَائِرٍ مِنْ يَتْلُوهُ وَيَتَّبِعُهُ مَأْخُوضَةٌ مُشْرُوطَةٌ ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ
وَأَعْمَالَ الْحَرْبِ ، وَالْمَعَاوِينَ ، وَالْأَخْدَانِ ، وَالْخُرَاجِ ، وَالْأَعْشَارَ ، وَالضِّيَاعَ ،
وَالْجُهْدَةَ ، وَالصَّدَقَاتِ ، وَالْجَوَالِي ، وَسَائِرَ وَجُوهِ الْجَبَايَاتِ [وَالْعُرْضِ] ^(٣) وَالْعَطَاءِ ،
وَالنَّفَقَةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ [وَالْمَظَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّبَاقِ] ^(٤) وَالْعِيَارَ فِي دُورِ الضَرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحُسْبَةِ
يَكُونُ هَمْدَانٌ ، وَأَسْتَرَابَادٌ ، وَالنِّينُورُ ، وَقَرْمِيسِينَ ، وَالْإِفْغَارِينَ ، وَ[أَعْمَالِ] ^(٥)
أَذَرَبَيْجَانَ ، وَأَرَانَ ، وَالسَّحَابِينَ ، وَمُوقَانَ . وَاتَّقَا مِنْهُ بِاسْتِيقَاءِ النِّعْمَةِ وَاسْتِدَامَتِهَا ،
وَالِاسْتِرَادَةِ بِالشُّكْرِ مِنْهَا ، وَالتَّجَنُّبِ لِعَمَظْهَا وَمُحُودِهَا ، وَالتَّنَكُّبِ لِإِيحَاشِهَا وَتَقْفِيرِهَا ،
وَالْتَعَمُّدِ لِمَا مَكَنَ لَهُ الْخُطُوءَةُ وَالزُّلْفَى ، وَحَرَسَ عَلَيْهِ الْأَثَرَةَ وَالْقُسْرَى ؛ بِمَا يُظْهِرُهُ
وَيُضْمِرُهُ مِنَ الْوَفَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالْوَلَاءِ الصَّرِيحِ ، وَالغَيْبِ الْأَمِينِ ، وَالصُّدْرِ السَّلِيمِ ،
وَالْمُقَاطَعَةِ لِكُلِّ مَنْ قَاطَعَ النُّصْبَةَ ، وَفَارَقَ الْجُمْلَةَ ، وَالْمُوَاصِلَةَ لِكُلِّ مَنْ سَمَّى الْبَيْضَةَ
وَأَخْلَصَ النَّيَّةَ . وَالكُونِ تَحْتَ ظِلِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّتِهِ ، وَمَعَ عِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورٍ
وَفِي حَوْزَتِهِ ؛ وَاللَّهُ جَلَّ أَسْمُهُ يَعْرِفُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسْنَ الْعَقْلِ فِيمَا أَرَبَمَ وَتَقَضَّ ،
وَسَدَّادَ الرَّأْيِ فِيمَا رَفَعَ وَخَفَضَ ؛ وَيَجْعَلُ عِزَّائِمَهُ مَقْرُونَةً بِالسَّلَامَةِ ، عَجُوبَةً مِنْ
مَوَارِدِ النَّدَامَةِ ؛ وَخَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

(٢) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة "والمثل السائر" .

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الْعِصْمَةُ الْمَتِينَةُ، وَالْحُكْمَةُ الْحَصِينَةُ، وَالطُّوْدُ الْأَرْفَعُ،
وَالْمَعَادُ الْأَمْنُ، وَالْجَانِبُ الْأَعَزُّ، وَالْمَلْجَأُ الْأَحْزَرُّ؛ وَأَنْ يَسْتَشِيرَهَا سِرًّا وَجَهْرًا،
وَيَسْتَعِينَهَا قَوْلًا وَفِعْلًا، وَيَتَخَذَهَا رِدًّا دَافِعًا لِلنَّوَائِبِ الْقَدَرِ، وَكَهْفًا حَافِيًا مِنْ حَوَادِثِ
الْغَيْبِ؛ فَإِذَا أَوْجِبَ الْوَسَائِلُ، وَأَقْرَبُ الدَّرَائِعِ؛ وَأَعُوذُهَا عَلَى الْعَبْدِ بِمَصَالِحِهِ،
وَأَذَاتِهَا إِلَى سُبُلِ مَنَاجِحِهِ؛ وَأَوْلَاهَا بِالِاسْتِمْرَارِ عَلَى هِدَايَتِهِ، وَالنَّجَاةِ مِنْ غَوَايَتِهِ؛
وَالسَّلَامَةِ فِي دُنْيَاهُ حِينَ تُؤَبِّقُ مُوَيْقَاتُهَا، وَتُرْدِي مُرِيدَاتُهَا؛ وَفِي آخِرَتِهِ حِينَ تُرَوِّعُ
رَائِدَاتُهَا وَتُخَفِّفُ مُخَيِّفَاتُهَا. وَأَنْ يَتَذَكَّرَ بِآدَابِ اللَّهِ فِي التَّوَاضُّعِ وَالْإِخْبَاتِ،
وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ إِذَا نَطَقَ، وَغَضِّ الطَّرْفِ إِذَا رَمَقَ؛ وَكَلَمِ الْغِيْظِ
إِذَا أُحْظِظَ، وَضَبْطِ اللِّسَانِ إِذَا أُغْضِبَ؛ وَكَفِّ الْيَدِ عَنِ الْمَأْثِمِ، وَصَوْنِ النَّفْسِ
عَنِ الْخَمَّارِ. وَأَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِهِ، وَالْمَوْقِفَ الَّذِي هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ؛
وَيَعْلَمَ أَنَّهُ مُسْئِلٌ عَمَّا أَكْتَسَبَ، مَجْزِيٌّ بِمَا تَرَكَ^(١) وَأَحْقَبُ؛ وَيَتَرَقَّدُ مِنْ هَذَا الْمَتَرِ،
لِذَاكَ الْمَقَرِّ؛ وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ لِنَتْفَعَهُ، وَمِنْ مَسَائِعِ الْبِرِّ لِنَتَّقَهُ؛ وَيَأْمُرَ
بِالصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَ بِهَا، وَيَرْدَحِرَ عَنِ السَّيِّئَاتِ قَبْلَ أَنْ يَزُحِرَ عَنْهَا؛ وَيَتَدَبَّرُ
بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ قَبْلَ إِصْلَاحِ رِعْيَتِهِ؛ فَلَا يَبْعَثُهُمْ عَلَى مَا يَأْتِي ضِدَّهُ، وَلَا يَهْأَنُ عَمَّا
يَقْتَرِفُ مِثْلَهُ؛ وَيَحْمِلُ رَبُّهُ رَقِيْبًا عَلَيْهِ فِي خَلَوَاتِهِ، وَمُرُوءَةً مَانِعَةً لَهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ؛
فَإِنْ أَحَقَّ مِنْ غَلَبِ سُلْطَانِ الشَّهْوَةِ، وَأَوَّلَى مِنْ صَرَخِ أَعْدَاءِ الْحَمِيَّةِ؛ مَنْ مَلَكَ أَرْمَةٌ
الْأُمُورَ، وَاقْتَدَرَ عَلَى سِيَاسَةِ الْجُمْهُورِ؛ وَكَانَ مُطَاعًا فَيَا يَرَى، مُتَّبَعًا فَيَا يَسَاءُ؛ بَلَى عَلَى
النَّاسِ وَلَا يَلُونُ عَلَيْهِ، وَبَقِصُ مِنْهُمْ وَلَا يَقْتَصُونَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أطلعَ اللَّهُ مِنْهُ عَلَى
تَقَاءِ جَنِّيهِ، وَطَهَارَةِ ذَنْبِهِ؛ وَصِحَّةِ سَرِيرَتِهِ، وَاسْتِقَامَةِ سِيرَتِهِ، أَعَانَهُ عَلَى حِفْظِ

(١) فِي "الرِّسَالَةِ"، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ "تَرْكِل".

(٢) كَذَا فِي الرِّسَالَةِ أَيْضًا. فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ ١٣٢ "مَنْ ضَرَعَ لِنَذَاءِ الْحَمِيَّةِ".

مَا اسْتَحْفَظَهُ ، وَأَنْهَضَهُ بِثَقْلِ مَا حَمَلَهُ ؛ وَجَعَلَ لَهُ مَخْلَصًا مِنَ الشُّبْهَةِ وَمَخْرَجًا مِنَ الْحَيْرَةِ ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .
 وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ إِلَى آتِي كَثِيرَةٍ حَضَّنَا بِهَا عَلَى أَتَمِّمِ الْخَلْقِ ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقِ ؛ فَالْسَّعِيدُ مَنْ نَصَبَهَا إِزَاءَ نَظِيرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ نَبَذَهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ ؛ وَأَشْقَى مِنْهُ مَنْ بَعَثَ عَلَيْهَا وَهُوَ صَادِفٌ عَنْهَا ، وَأَهَابَ إِلَيْهَا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنْهَا ؛ وَلَهُ وَلِأَمثَالِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَامًا مُتَّبَعًا ، وَطَرِيقًا مُوقِعًا ؛ وَيُكْثِرُ مِنْ تَلَاوِثِهِ إِذَا خَلَا بِفِرْكَهْ ، وَيَمْلَأُ بِتَأْمُلِهِ أَرْجَاءَ صَدْرِهِ ؛ فَيُذْهِبُ مَعَهُ فِيمَا أَبَاحَ وَحَظَرَ ، وَيُقْتَدِرُ بِهِ إِذَا نَهَى ؛ وَأَمْرٌ ؛ وَيَسْتَبِينَ بَيَانَهُ إِذَا اسْتَفْلَقَتْ دُونَهُ الْمُعْضَلَاتُ ، وَيَسْتَضِيءُ بِمَصَابِيحِهِ إِذَا غَمَّ عَلَيْهِ فِي الْمَشْكَلَاتِ ؛ فَإِنَّهُ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ الْوُثْقَى ، وَحَجَّتُهُ الْوُسْطَى ، وَدَلِيلُهُ الْمُقْنِعُ ، وَبُرْهَانُهُ الْمُرْشِدُ ؛ وَالْكَاشِفُ لظُلُمِ الْخُطُوبِ ، وَالشَّافِي مِنْ مَرَضِ الْقُلُوبِ ، وَالْهَادِي لِمَنْ ضَلَّ ، وَالْمُتَلَفِّي لِمَنْ ذَلَّ ؛ فَمَنْ لَمَعَ بِهِ فَقَدْ فَازَ وَسَلِمَ ، وَمَنْ لَحَى عَنْهُ فَقَدْ خَابَ وَتَدَمَّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرِكُلْ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَيَدْخُلَ فِيهَا فِي حَقَائِقِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَأَتَمًّا عَلَى حُدُودِهَا ، مُتَّبِعًا لِرُسُومِهَا ؛ جَامِعًا فِيمَا بَيْنَ نَيْتِهِ وَلَقْظِهِ ، مُتَوَقِّيًا لِمَخَاطِعِ سَهْوِهِ وَلَحْظِهِ ؛

(١) فِي الْأَصُولِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ مُتَوَقِّفًا بِزِيَادَةِ التَّاءِ وَهُوَ مُتَحَرِّفٌ مِنَ التَّضَاخُ ، فِيهِ الْإِسْلَامُ ج ١ ص ٢٨٢

يُقَالُ طَرِيقُ مَوْقِعٍ مَذَلَّ .

(٢) فِي "الْإِسْمَاءِ" الْأَمْلَعُ .

منقطعاً إليها عن كل قاطع لها، مشغولاً بها عن كل شاغلٍ عنها؛ متبثّاً في رُكوعها وتُجُودها؛ مستوفياً عندَ مفروضها ومُسْتَوْفِياً مَوْفِراً عليها ذِهنه، صارفاً إليها همه؛ عالمٌ بأنه واقفٌ بين يدي خالقه ورازقه، ومُحْيِيهِ ومُيْتِيهِ، ومُثَبِّتِهِ ومُعَاقِبِهِ؛ لا تَسْتَرِ دُونَهُ خَاشَةُ الْأَحْيَاءِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ^(١). فإذا قَضَاهَا على هذه السبيلِ مُنْذُ تَكْبِيرِهِ الإِحْرَامِ إِلَى خَاتِمَةِ التَّسْلِيمِ، أَتْبَعَهَا بِدُعَاءٍ يَرْتَفِعُ بِأَرْتِفَاعِهَا، [وَيُسْتَمَعُ بِاسْتِمَاعِهَا^(٢)]، وَلَا يَتَعَدَّى فِيهِ مَسَائِلُ الْإِبْرَارِ، وَرَغَائِبُ الْأَخْيَارِ: مِنْ اسْتِصْفَاجٍ وَاسْتِنْقَارٍ، وَاسْتِيقَالَةٍ وَاسْتِرْجَامٍ، وَاسْتِدْعَاءٍ لِمَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَعَوَائِدِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾.

وَأَمَرَ بِالسُّنَنِ فِي أَيَّامِ الْجُمُعِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ، وَفِي الْأَعْيَادِ إِلَى الْمُصَلِّيَّاتِ الضَّاحِيَةِ، بَعْدَ التَّقَدُّمِ فِي قَرَشِهَا وَكِسْوَتِهَا؛ وَجَمْعِ الْقَوَامِ وَالْمُؤَدِّينَ وَالْمُكَبِّرِينَ فِيهَا، وَاسْتِسْعَاءِ النَّاسِ إِلَيْهَا، وَحَضِّهِمْ عَلَيْهَا؛ أَخَذِينَ الْأُهْبَةَ، مَتَنَظِّفِينَ فِي الْبَرِّ؛ مُؤَدِّينَ لِفَرَاغِضِ الطَّهَارَةِ، بِأَلْبِينِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى الْإِسْطِطَاعِ؛ مَعْتَقِدِينَ خَشْيَةَ اللَّهِ وَخِيفَتَهُ، مُدْرِمِينَ تَقْوَاهُ وَمُرَاقِبَتَهُ؛ مُكَثِّرِينَ مِنْ دُعَائِهِ حَزَنَ وَجَلٍّ - وَسُؤَالِهِ، مَصَلِّينَ عَلَى عَجْدِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ؛ بِقُلُوبٍ عَلَى الْيَقِينِ مَوْقُوفَةٍ، وَهَمِّمْ إِلَى الدِّينِ مَضْرُوفَةٍ؛ وَالسُّنَنِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ فَصِيحَةٍ، وَأَمَالٍ فِي الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فَصِيحَةٍ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْمُصَلِّيَّاتِ وَالْمَتَعَبَّدَاتِ بَيُوتُ اللَّهِ الَّتِي قُضِّلَهَا، وَمَتَنَسَّكُهُ الَّتِي شَرَّفَهَا؛ وَفِيهَا يُشَلُّ الْقُرْءَانُ [وَمِنْهَا تَرْتَفِعُ الْأَعْمَالُ؛ وَبِهَا يُلَوِّدُ اللَّائِنُونَ^(٣)] وَيَعُودُ الْعَائِلُونَ؛

(١) كذا في "المثل السائر" أيضاً. وفي "رسائل الصابي" « ومن لا يستمر دونه خائفة عبه وخافية

صدره »

(٢) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة . .

وَيَتَعَبَّدُ الْمُتَعَبِّدُونَ ، وَيَهْجِدُ الْمُتَهَجِّدُونَ ، وَحَقِيقٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ : مَنْ وَكَلِ
وَمَوَّلَى عَلَيْهِ أَنْ يَصُونَهَا وَيَعْمُرُهَا ، وَوُصِّلُوهَا وَلَا يَهْجُرُوهَا . وَأَنْ يُقِيمَ الدَّعْوَةَ عَلَى
مَنَارِهَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لِنَفْسِهِ عَلَى الرَّهْمِ الْجَارِي فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ
الصَّلَاةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وَقَالَ فِي عِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا
مِنَ الْمُتَّهِدِينَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَرَامَى أحوال مَنْ يَلِيهِ ، مِنْ طَبَقَاتِ جُنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ ؛
وَيُعَالَقَ لَهُمُ الْأَرْزَاقُ ، فِي وَقْتِ الْوُجُوبِ وَالِاسْتِحْقَاقِ ؛ وَأَنْ يُحَسِّنَ فِي معاملتهم ،
وَيُجِيلَ فِي أَسْتِخْدَامِهِمْ ، وَيَتَصَرَّفَ فِي سِيَاسَتِهِمْ : بَيْنَ رِفْقٍ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَخُشُونَةٍ
مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ ؛ مُثَبِّتًا لِحُسْنِهِمْ مَا زَادَ بِالْإِيَانَةِ فِي حُسْنِ الْأَثَرِ ، وَسَلِمَ مَعَهَا مِنْ دَوَاعِي
الْأَثَرِ ؛ وَمَتَعَمِّدًا لِسِيَّتِهِمْ مَا كَانَ التَّغَمُّدُ لَهُ نَافِعًا ، وَفِيهِ نَاجِعًا ؛ فَإِنْ تَكَرَّرَتْ زَلَّاتُهُ ،
وَتَنَابَعَتْ عَثَرَاتُهُ ؛ تَسَاوَلَهُ مِنْ عُمُوبَتِهِ بِمَا يَكُونُ لَهُ مُضْلِحًا ، وَلِغَيْرِهِ وَإِعْظَا . وَأَنْ
يُخَيِّصَ أَكْبَرَهُمْ وَأَمَانِيَهُمْ وَأَهْلَ الرَّأْيِ وَالْخَطَرِ مِنْهُمْ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي الْمَلِكِ ، وَالْإِطْلَاعِ
عَلَى بَعْضِ الْمِثْمِ ؛ مُسْتَخْلِصًا نَحَائِلَ قُلُوبِهِمْ بِالْبَسْطِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَمُسْتَشْهِدًا بِبَصَائِرِهِمُ
بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْقَاقِ ؛ فَإِنَّ فِي مُشَاوَرَةِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ اسْتِدْلَالَ عَلَى مَوَاقِعِ الصُّوَابِ ،
وَتَحَرُّزًا مِنْ غَلَطِ الْإِسْتِدَادِ ، وَأَخْذًا بِجَمَاعِ الْحَزَامَةِ ، وَأَمْنًا مِنْ مُقَارَفَةِ الْإِسْتِيقَامِ ؛
وَقَدْ حَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الشُّورَى حَيْثُ قَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

(١) أَي سَاتَرًا لِحَفَواتِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ تَقَمُّدٌ غَلَا مِثْرَهُ .

وَأَمْرَهُ بِأَنْ يَعْمِدَ لِمَا يَتَّصِلُ بِنَوَاحِيهِ مِنْ نُفُورِ الْمَسَامِينِ ، وَرِبَاطَاتِ الْمُرَاطِبِينَ ،
وَيَقِيمَ لَهَا قَسِمًا وَأَفْرًا مِنْ عِنَايَتِهِ ، وَيَصْرِفَ إِلَيْهَا طَرَفًا بَلْ شَطْرًا مِنْ رِعَايَتِهِ ؛
وَيَخْتَارَ لَهَا أَهْلَ الْجَلَدِ وَالشَّسْتَةِ ، وَدَوَى الْبَاسِ وَالنَّجْدَةِ : مِنْ تَحْمِيَتِهِ الْخُطُوبُ ،
وَعَرَكَتِهِ الْحُرُوبُ ؛ وَكَتَسَبِ ذُرْبَةٍ بِجُدْعِ الْمُتَنَاقِضِينَ ، وَتَجَرُّبَةٍ بِمَكَائِدِ الْمُتَقَارِعِينَ ؛
وَأَنْ يَسْتَظْهِرَ بِتَكْثِيفِ عَدَدِهِمْ ، وَآخْتِيَارِ عُدَّتِهِمْ ؛ وَاتَّخَذَ خَيْلِهِمْ ، وَاسْتِجَادَةَ
أَسْلِحَتِهِمْ ؛ غَيْرَ مُجَرَّبَةً إِذَا بَعَثَهُ ، وَلَا مُسْتَكْرِهَةً إِذَا وَجَّهَهُ ؛ بَلْ يُنَاوِبُ بَيْنَ رِجَالِهِ
مَنَاوِبَةً تُرِيحُهُمْ وَلَا تُمَلِّهُمُ ، وَتَرْفَهُمْ وَلَا تَشُوْدُهُمْ : فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةِ الْإِجْهَامِ ،
وَالْعَدِيلِ فِي الْإِسْتِخْدَامِ ؛ وَتَنَاقُصِ رِجَالِ الثُّوبِ فِي مَا دَ طَلَبِهِمْ بِعِزِّ الظُّفْرِ وَالنَّصْرِ ، وَبُعْدِ
الصَّبِيَةِ وَالذِّكْرِ ، وَإِحْزَازِ النِّفْعِ وَالْأَجْرِ ؛ مَا يَحِثُّ عَلَى الْوَلَاةِ أَنْ يَكُونُوا بِهِ عَامِلِينَ ،
وَالنَّاسِ عَلَيْهِ حَامِلِينَ . وَأَنْ يَكْرَّرَ عَلَى أَشْمَاعِهِمْ ، وَيَثَبَّتْ فِي قُلُوبِهِمْ ؛ مَوَاسِدَ اللَّهِ
لِمَنْ صَابِرٌ وَرَاطِبٌ ، وَسَمَحَ بِالنَّفْسِ وَجَاهِدَ ؛ مِنْ حَيْثُ لَا يُقْدِمُونَ عَلَى تَوَرُّطٍ غَيْرِهِ ،
وَلَا يُجْجِمُونَ عَنْ آتِهَازِ فُرْصِهِ ؛ وَلَا يَنْكُصُونَ عَنْ تَوَرُّدِ مَعْرَكِهِ ، وَلَا يُلْقُونَ بِأَيْدِيهِمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ ؛ فَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَالْمُرَامِينَ عَنْ دِينِهِ ؛ وَأَنْ يُزِيحَ
الْعِلَّةَ فِيهَا يُمْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ رَاتِبِ تَقَاتِ هَذِهِ الثُّغُورِ وَحَادِثِهَا ، وَبَنَاءِ حُصُونِهَا وَمَعَاظِلِهَا ؛
وَأَسْتَطْرَاقِ طُرُقِهَا وَمَسَالِكِهَا ، وَإِفَاضَةِ الْأَقْوَاتِ وَالْعُلُونَاتِ لِلتَّرْتِيبِ فِيهَا وَالْمُرْتَدِّينَ
إِلَيْهَا وَالْحَامِينَ لَهَا . وَأَنْ يَبْذُلَ أَمَانَتَهُ لِمَنْ طَلَبَهُ ، وَيَعْرِضَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ . وَيَقَى
بِالْعَهْدِ إِذَا عَاهَدَ ، وَبِالْمَقْدِ إِذَا عَاقَدَ ؛ غَيْرَ مُخْفِرٍ ذِمَّةً ، وَلَا جَارِحٍ أَمَانَةً ؛ فَقَدْ أَمَرَ

(١) فِي "رَسَائِلِ الصَّابِي" بِأَنْ يَضُمَّ مَا يَتَّصِلُ الْخ -

(٢) فِي الْلِسَانِ ج ٥ ص ٢١٧ «تَجَرُّبُ الْجُنْدِ أَنْ يُجِبِّهْمُ فِي أَرْضِ الْبَدْرِ وَلَا يُفْهَمُ مِنَ الثَّرِّ» وَهُوَ الْمُرَادُ هَا . تَأَمَّلْ .

الله تعالى بالوفاء فقال جل من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) .
ونهى عن النكث فقال عز من قائل : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .

وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائمهم [وإنعام النظر في جناياتهم وجرائمهم] فمن كان إقراره واجباً أقره ومن كان إطلاقه سائغاً أطلقه . وأن ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ؛ ويختار [لها من الولاة ^(١)] من يخاف الله تعالى ويتقيه ، ولا يحابي ولا يراقب فيه ؛ ويتقدم اليهم بقمع الجهال ، وردع الضلال ؛ ويتبع الأشرار ، وطلب الدعار ؛ مستدلين على أماكيمهم ، متوغلين إلى مكائهم ، متوكلين عليهم في مظانهم ، متوثقين من يمدونه منهم ، منفذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذى يثبئن من أصرهم ، ويتضح من فعلهم ؛ في كبيرة ارتكبوها ، وعظيمة آتقبوها ؛ ومهجة أفاظوها وأستهأكوها ، وحرمة أباحوها وأتهكوها : فمن استحق حداً من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير محققين منه ، وأحلوه به غير مقصرين عنه ، بعد أن لا يكون عليهم فى الذى يأتون به حجة ، ولا يعترضهم فى وجوبه شبهه : فإن الواجب فى الحدود أن تقام بالبينات ، وأن تدرأ بالشبهات ؛ فأولى ماتوخاه رمة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ، ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان . ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بما يخطأ به على مثله : من الحبس الحصين ، والتوثق الشديد ؛ وكتب إلى أمير المؤمنين بحبره ، وشرح جنايته ؛ وثبوتها بإقرار يكون منه ، أو شهادة تهم عليه ؛ وليتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه ، فإن أمير المؤمنين لا يطابق سفك ديم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علمه ، وأتقنه فهما ، وكان ما يفضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ،

وَلَا يُسَوِّهَا رَيْبٌ . وَمِنْ أَلَمِّ بَصِغِيَّةٍ مِنَ الصَّغَائِرِ ، وَبَسِيرَةٍ مِنَ الْجَرَائِرِ ، مِنْ حَيْثُ لَمْ يُعْرِفْ لَهُ مِثْلُهَا ، وَلَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُ أُخْتُهَا ، وَعَظَلَهُ وَزَجَرَهُ ، وَنَهَاهُ وَحَدَّرَهُ ؛ وَأَسْتَبَاهُ وَأَقَالَهُ ، مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ خَصَمٌ فِي ذَلِكَ يَطَالِبُ بِقَصَاصِ مَنْهُ ، وَجِزَاءٍ لَهُ ؛ فَإِنْ حَادَّ تَنَاولَهُ [مِنْ] التَّقْوِيمِ وَالنَّهْذِيبِ ، وَالتَّعْزِيرِ وَالتَّأْدِيبِ ؛ بِمَا يَرَى أَنْ قَدْ كَفَى فِيمَا أَجْرَمَ ، وَوَفَى بِمَا قَدَّمَ ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَعْطَلَ مَا فِي أَعْمَالِهِ مِنَ الْخَانَاتِ وَالْمَوَاقِيرِ ، وَيُطَهَّرَهَا مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْمَنَاسِكِرِ ؛ وَيَمْنَعَ مِنْ تَجَمُّعِ أَهْلِ الْخَنَا فِيهَا وَتَأَلُّفِ تَشْبِيلِهِمْ بِهَا : فَإِنَّهُ تَشْمَلُ يُصْلِحُهُ التَّشْنِيعُ ، وَتَجْمَعُ يَحْفَظُهُ التَّفْرِيقُ ؛ وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْمَوَاطِنُ الذَّمِيَّةُ وَالْمَطَارِحُ الدَّيْنِيَّةُ ، دَاعِيَةً لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهَا ، وَيَعْكُفُ عَلَيْهَا ؛ إِلَى تَرْكِ الصَّلَوَاتِ ، [وَإِهْمَالِ الْمَقَرَّضَاتِ ^(١)] وَرُكُوبِ الْمُتَنَكَّرَاتِ ، وَاقْتِرَافِ الْمُحْظُورَاتِ ؛ وَهِيَ يُبَوِّتُ الشَّيْطَانُ الَّتِي فِي عِمَارَتِهَا اللَّهُ تَعَالَى مَغْضَبَةً ، وَفِي إِحْرَابِهَا لَحِيرٌ مُجَلَّبَةٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَنَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وَيَقُولُ عَزَّ مِنْ قَاتِلِ لَفْسِرِنَا مِنَ الْمَذْمُومِينَ : ﴿ تَخَلَّفَ مِنْ بَعْضِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَقْعُونَ فِيهَا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُوَلَّى الْحَيَاةَ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ ، أَهْلَ الْكِفَايَةِ وَالْفَنَاءِ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَأَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَنْ خَفَّ رِكَابُهُ ، وَأَسْرَعَ عِنْدَ الصَّرِيحِ جَوَابُهُ ؛ مَرْتَبًا لَهُمْ فِي الْمَسَاحِ ، وَسَادًّا بِهِمْ ثَعْرَ الْمَسَالِكِ ؛ وَأَنْ يُوصِيَهُمُ بِالتَّقِيطِ ، وَيَأْخُذَهُمُ بِالتَّحْفِظِ ، وَيُزِيحَ عَنْهُمْ فِي ضُلُوفَةِ خِيَالِهِمْ ؛ وَالْمَقَرَّرَ مِنْ أَزْوَادِهِمْ وَمِيرِهِمْ ؛ حَتَّى لَا تَتَشَتَّلَ لَهُمْ عَلَى الْبِلَادِ وَطَّاءُ ، وَلَا تَتَدَّعَوْهُمْ إِلَى تَحْيِفِهِمْ وَتَأْلِيهِمْ حَاجَةٌ ؛ وَأَنْ يُحَوِّطُوا السَّابِلَةَ بِأَدْنَى وَطَائِدَةٍ ،

(١) الزيادة من "رسائل الصابي" المطبوعة و"المثل السائر" .

وَيَتَذَرُوكُمُ الْفَوَاقِلَ صَادِرَةً وَوَارِدَةً ؛ وَيَحْرُسُوا الطُّرُقَ لَيْلاً وَنَهَاراً ، وَيَنْفُضُوهَا رَوَاحاً
وَلِبَاسَكَ ؛ وَيَنْصَبُوا لِأَهْلِ الْعَيْثِ الْأَرْصَادَ ، وَيَتَكَنَّنُوا لَهُمْ بِكُلِّ وَادٍ ؛ وَيَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِمْ
حَيْثَ يَكُونُ التَّفَرُّقُ مَضِيّاً لِقَضَائِهِمْ ، وَمُؤْذِياً لِمَا أَنْفَضَاضُهُمْ ؛ وَيَجْتَمِعُوا حَيْثَ
يَكُونُ الْاجْتِمَاعُ مُطْفِئاً لِحَرَّتِهِمْ ، وَصَاحِباً لِمُرُوتِهِمْ ؛ وَأَنْ لَا يُخْلُوا هَذِهِ السُّبُلَ مِنْ حُمَاةٍ
لَهَا وَسِيَارَةٌ فِيهَا : يَتَرَدَّدُونَ فِي جَوَادِيهَا ، وَيَتَعَسَّفُونَ فِي عَوَادِيهَا ؛ حَتَّى تَكُونَ الدَّمَاءُ
مُحْمَوَةً ، وَالْأَمْوَالُ مَصُونَةً ؛ وَالْفِتَنُ مُحْصُومَةً وَالْفَارَاتُ مَأْمُونَةً ؛ وَمَنْ حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ
مِنْ لَيْسَ خَائِلٍ ، وَمُضْعُوكٍ خَارِبٍ ؛ وَيُخْفِئُ لِسَبِيلٍ ، وَمُتَتِّكٍ لِحَرِيمٍ ؛ أَمْثِلْ فِيهِ أَمْرُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوَاقِفَ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا جَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ 》 .

وَأَمْرُهُ بِوَضْعِ الرِّصَدِ دَلِيلٍ مِنْ يَحْتَازُ فِي أَعْمَالِهِ مِنْ أَثَابِ الْعَبْدِ ، وَالْإِحْتِيَاظِ عَلَيْهِمْ
وَعَلَى مَا يَكُونُ مَعَهُمْ ، وَبِالْحِثِّ عَنِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي فَارَقُوهَا ، وَالطُّرُقِ الَّتِي اسْتَطَرَقُوهَا ؛
وَمَوَالِيهِمُ الَّذِينَ أَقْبَرُوا مِنْهُمْ ، وَتَشَرُّوا عَنْهُمْ ؛ وَأَنْ يَرُدُّوهُمْ عَلَيْهِمْ قَهْرًا ، وَيُعِيدُوهُمْ إِلَيْهِمْ
صُغْرًا ؛ وَأَنْ يُنْشِدُوا الضَّالَّةَ بِمَا أَمَكَّنَ أَنْ تُنْشَدَ ، وَيَحْفَظُوهَا عَلَى رَبِّهَا بِمَا جَازَأَن
تُحْفَظَ ؛ وَيَتَجَبَّهُوا الْإِسْطَاءَ لظُهُورِهَا وَالْإِسْتِفَاعَ بِأَوْبَارِهَا وَأَلْبَانِهَا مِمَّا يَحْرُ وَيُحْلَبُ ؛
وَأَنْ يَعْرِفُوا اللَّقْطَةَ وَيَذْبَعُوا أَثَرَهَا ، وَيُسَيِّعُوا خَبَرَهَا ؛ فَإِذَا حَضَرَ صَاحِبُهَا وَعُلِمَ أَنَّهُ
مُسْتَوْجِبٌ سَأَلَتْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُعْتَرَضْ فِيهَا عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا 》 . وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ » .

(١) فِي «الرسائل» ، وَالْمَثَلُ السَّارُّ «وَيَذْبَعُوا» وَالْبَذْرَةُ الْإِنْفَارَةُ .

(٢) فِي «الرسائل» «فِي جَوَادِيهَا ... فِي عَوَادِيهَا» .

وأمره أن يوصى عماله بالشدة على أيدي الحكام ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام ؛ وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين ، الذائبن عنها ، المقيمين لرؤوم الهيبة وحُدود الطاعة فيها ؛ ومن خرج عن ذلك من ذى عقل يخيف ، وحلم ضعیف ، نالوه بما يردعه ، وأحلوا به ما يزعجه ؛ ومتى تنافس متنافس عن حضور مع خصم يستدعيه ، وأمر يوجه الحاكم إليه فيه ؛ أو التوى ملتوي بحق يحصل عليه ، ودين يستقر في ذمته ، فأدوه إلى ذلك بأزمة الصغار ، وخزائم الاضطراب ؛ وأن ينجسوا ويطلقوا بأقوالهم ، ويثبثوا الأيدي في الأملاك والفروج ، ويترعوا بقضاياهم ؛ فإنهم أمتاء الله في فصل ما ينصرون وبث ما يبتون ، وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يؤردون [ويصدرون] وقد قال تعالى : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ . وأن يتوحي بمثل هذه المعاملة عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه ، وأسديف بقاياهم فيه ، والرياضة لمن تسوء طاعته من معاملهم ، وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم ؛ فمن آداب الله تعالى للعبد التي يحق عليه أن يتخذها [أدبا] ويجعلها إلى الرضا عنه سببا ، قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره أن يجلس للرعية جلوسا تاما ، وينظر في مطالبها نظرا تاما ، ويساوي في الحق بين خاصها وعامها ، ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها ؛ ويُصنف المظلوم من ظالمه ، والمنصوب من غاصبه ؛ بعد الفحص والتأمل والبحث والتبين ،

حَتَّى لَا يَنْفَكُ إِلَّا بَعْدَ ، وَلَا يَنْفَقَ إِلَّا بِفَضْلٍ ، وَلَا يُثَبَّتْ يَدًا إِلَّا فِيهَا وَجِبَ [تَلْبِيئُهَا فِيهِ ، وَلَا يَقْبِضُهَا إِلَّا عَمَّا وَجَبَ] ^(١) قَبْضُهَا عَنْهُ ؛ وَأَنْ يُسَهِّلَ الْإِذْنَ لِمَجَاعَتِهِمْ ، وَيَرْفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ؛ وَيُوَلِّهِمْ مِنْ حَصَانَةِ الْكَفِّ ، وَلِيْنِ الْمُتَعَطِّفِ ؛ وَالْإِسْقَامَ وَالنَّيْأَةَ ، وَالصَّبْرَ وَالرَّيَاةَ ؛ مَا تَعَادَلُ فِيهِ أَقْسَامُهُمْ ، وَتَتَوَازَنُ مِنْهُ أَقْسَامُهُمْ ؛ وَلَا يَصِلُ الْمَكِينُ مِنْهُمْ إِلَى اسْتِضَامَةٍ مَن تَأَخَّرَ عَنْهُ ، وَلَا ذُو السُّلْطَانِ إِلَى هَضِيمَةٍ مَن حَلَّ دُونَهُ . وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَحْسَنِ الْعِبَادَاتِ [وَالْخَلَائِقِ] ^(٢) وَيُحْضِرَهُمْ عَلَى أَجْمَلِ الْمَذَاهِبِ وَالطَّرَائِقِ ؛ وَيَجْعَلَ عَنْهُمْ كَلَّةً ، وَيَمُدُّ عَلَيْهِمْ ظِلَّهُ ؛ وَلَا يَسُومَهُمْ خَسْفًا ، وَلَا يُلْحِقَ بِهِمْ حَيْفًا ؛ وَلَا يَكْفَهُمْ شَطَطًا ، وَلَا يُحْشِمُهُمْ مُضْلِيلًا ؛ وَلَا يَسْلِمَ لَهُمْ مَعِيشَةً ، وَلَا يُدْخِلَهُمْ فِي جَرِيمَةٍ ؛ وَلَا يَأْخُذَ بَرِيئًا مِنْهُمْ بِسَقِيمٍ ، وَلَا حَاضِرًا بِعَدِيمٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ نَهَى أَنْ تَرَرَّ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى ، وَجَعَلَ كُلَّ نَفْسٍ رَهْنَةً بِمَكْسَبِهَا بَرِيئَةً مِنْ مَكْسَبِ غَيْرِهَا . وَيَرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الرَّعِيَةِ مَاعِشَى أَنْ يَكُونَ سُنٌّ عَلَيْهَا مِنْ سُنَّةِ ظَالِمَةٍ ، وَسَلَكَ بِهَا مِنْ حُجَّةٍ جَائِرَةٍ ، وَيَسْتَقْرِىَ آثَارَ الْوَلَاةِ قَبْلَهَا ، فِيمَا أَرْجَوَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ لَهَا : فَيُقْتَرَمَ مِنْ ذَلِكَ مَا طَابَ وَحَسُنَ ، وَيُزِيلَ مَا خَبَثَ وَقَبِحَ : فَإِنَّ مِنْ يَفْرِسُ الْخَيْرَ يَحْظَى بِمَعْسُولِ ثَمَرِهِ ، وَمَنْ يَزْرَعُ الشَّرَّ يَصِلُ بِمَمْرُورِ رَيْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَإِيْحُجْ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَصُونَ أَمْوَالَ الْخَرَاجِ وَأَيْمَانَ الْفَلَاتِ ، وَوُجُوهَ الْحَبَابِيَّاتِ ، مُوقِفًا ، وَيَزِيدَ ذَلِكَ مُثْمَرًا ، بِمَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْإِنْصَافِ لِأَهْلِهَا ، وَإِبْرَاجِهِمْ عَلَى صَحِيحِ الرُّسُومِ فِيهَا : فَإِنَّهُ مَالُ اللَّهِ الَّذِي بِهِ قُوَّةُ عِبَادِهِ ، وَحِمَايَةُ بِلَادِهِ ، وَدُرُورُ حَلَبِهِ ، وَأَتْصَالُ

(١) الزيادة عن "رسائل الصائبي" المطبوعة و"المثل السائر" وهي من سقط النسخ .

(٢) كذا في "المثل السائر" أيضا وفي "الرسائل" « في حقه » .

مدَّه؛ وبه يُحاط الحريم، ويُدفع العَظِيم؛ ويُحمى الذَّمار، وتُداد الأَشْرار. وأن يجعل
أفتاحه لِيَّاه بحسب [إدراك^(١)] أصنافه، وعند حُضور مَوَاقِفِهِ وأَحْيَانِهِ؛ غير
مستَسَلِف شَيْئاً قَبْلُهَا، ولا مَوْخَرُهَا عَنْهَا؛ وأن يُحْصِ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَالسَّلَامَةِ بِاتِّزَانِهِ
لِهُم، وَأَهْلُ الْإِسْتِضْعَابِ وَالْإِمْتِنَاعِ بِالتَّشَدُّدِ عَلَيْهِمْ: لئلا يَقَعَ إِرْهَاقُ الْمُتَعِنِّ، أَوْ إِهْمَالُ
لِطَامِعٍ. وعلى المتولَّى لذلك أن يَضَعَ كُلَّاً مِنَ الْأُمُورِ مَوْضِعَهُ، وَيُوقِعَهُ مَوْقِعَهُ؛
مُتَجَنِّباً إِحْلَالَ النِّفْلَةِ بِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، وَإِعْطَاءَ الْفُسْحَةِ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا؛
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ
الْجِزَاءَ الْأَوْفَى﴾.

وأمره بأن يَتَغَيَّرَ عُمَلُهُ عَلَى الْأَعْشَارِ، وَالخَرَاجِ، وَالضِّيَاعِ، وَالْجَهْدَةِ،
وَالصَّدَقَاتِ، وَالْجَوَالِي، مِنْ أَهْلِ الظُّلْفِ وَالتَّرَاهَةِ، وَالضَّبْطِ وَالصِّيَانَةِ، وَالْخِزَالَةِ
وَالشَّهَامَةِ؛ وَأَنْ يَسْتَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بَوْصِيَّةٌ يُوعِيهَا أَسْمَاعُهُمْ، وَعُهُودٌ يَقْلُدُهَا
أَعْنَاقُهُمْ؛ بِأَنْ لَا يُضَيِّعُوا حَقَّاً، وَلَا يَأْكُلُوا مَخْتِئاً؛ وَلَا يَسْتَعْمِلُوا ظُلْماً، وَلَا يُقَارِفُوا
غَشْماً. وَأَنْ يُقِيمُوا الْعِمَارَاتِ، وَيَحْتَاطُوا [عَلَى الْغَلَاتِ^(٢)] وَيَحْذَرُوا مَنْ تَرَكَ حَقَّ لَازِمٍ
أَوْ تَعَطَّلَ رِسْمٍ حَادِلٍ؛ مُؤَدِّينَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْأَمَانَةِ، مُجْتَنِبِينَ لِلْخِيَانَةِ. وَأَنْ يَأْخُذُوا
بِجَهَائِزِهِمْ بِاسْتِيفَاءِ وَزَنِ الْمَالِ عَلَى تَمَامِهِ، وَاسْتِجَادَةِ قَدَرِهِ عَلَى عِيَارِهِ؛ وَاسْتِعَالَ الصَّحَّةَ
فِي قَبْضِ مَا يَقْبِضُونَ، وَإِطْلَاقِ مَا يُطْلِقُونَ. وَأَنْ يُوعِزُوا إِلَى سَعَةِ الصَّدَقَاتِ بِأَخْذِ
الْفَرَائِضِ مِنْ سَائِمَةِ مَوَاشِي الْمَسَاكِينِ دُونَ عَامِلَتِهَا، وَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ فِيهَا؛ وَأَنْ لَا يَمِيعُوا
فِيهَا مَتَرَفَةً وَلَا يَفْرَقُوا جَمِيعاً، وَلَا يُدْخِلُوا فِيهَا خَارِجاً عَنْهَا، وَلَا يُضَيِّقُوا إِلَيْهَا مَا لَيْسَ

(١) من "الرسائل"، والمثل السائر.

(٢) الزيادة عن "رسائل الصابي" المطبوعة.

منها : من حَلَّ إيل أو أَكُولَةً ^(١) راع ، أو عَقِيلَةً مال ؛ فإذا أَجْتَبَوْهَا عَلَى حَقِّهَا ، وَاسْتَوْفَوْهَا عَلَى رِسْمِهَا ، أَخْرَجُوهَا فِي سَبِيلِهَا ، وَقَسَمُوهَا عَلَى أَهْلِهَا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ، إِلَّا الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمُ الَّذِينَ سَقَطَ سَهْمُهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَارِئِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . وَإِلَى جُبَاةِ [بَجَايِمِ] ^(٢) أَهْلِ الذِّمَّةِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ الْجُزْيَةَ فِي الْحَرَمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ [بِحَسَبِ] ^(٣) مَنَازِلِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ ، وَذَاتِ أَيْدِيهِمْ فِي الْأَمْوَالِ ؛ وَعَلَى الطَّبَقَاتِ الْمُطَبَّقَةِ فِيهَا ، وَالْحُدُودِ [الْمَحْدُودَةِ] ^(٤) الْمَعهُودَةِ لَهَا ؛ وَأَنْ لَا يَأْخُذُوهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَا مِنْ لَمْ يَبْلُغَ الْحُلُمَ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَلَا مِنْ ذِي سِنَّ عَالِيَةٍ ، وَلَا ذِي عِلَّةٍ بِأَدْيِهِ ؛ وَلَا فَقِيرٍ مُعْدِمٍ ، وَلَا مُتَرَهَّبٍ مُتَبَتِّلٍ ؛ وَأَنْ يُرَاعَى جَمَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْعُمَّالِ مِرَاعَاةً يُسْرَهَا وَيُظَاهِرَهَا ، وَيُلَاحِظُهُمْ مُلَاحَظَةً يُخَفِّفُهَا وَيُثَبِّتُهَا : لِئَلَّا يُزُولُوا عَنِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ ، أَوْ يَعْدِلُوا عَنِ السَّنَنِ الْوَاجِبِ ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَنْدَبَ لِعَرَضِ الرِّجَالِ وَإِعْطَانِهِمْ ، وَحِفْظِ جَرَائِمِهِمْ وَأَوْقَاتِ إِطْعَامِهِمْ ، مَنْ يَعْرِفُهُ بِالثَّقَةِ فِي مَتَصَرِّفِهِ ، وَالْأَمَانَةِ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ ، وَالْبُعْدَ عَنِ الْإِسْكَافِ إِلَى الدَّنْيَةِ ، وَالِاتِّبَاعَ لِلدِّعَاءِ ؛ وَأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَى ضَبْطِ [حِلِّ] ^(٥) الرِّجَالِ وَشِيَاثِ الْخَلِيلِ ، وَتَجْدِيدِ الْعَرَضِ بَعْدَ الْأَسْتِحْقَاقِ ، وَإِقْبَاعِ الْإِحْتِيَاطِ فِي الْإِنْفَاقِ ؛ فَمَنْ صَحَّ عَرَضُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْهُ : مِنْ شَكٍّ يَعْزِضُ لَهُ ، أَوْ رِيْبَةٍ يَتَوَهَّمُهَا ، أَطْلَقَ أَمْوَالَهُمْ مَوْفُورَةً ، وَجَعَلَهَا فِي أَيْدِيهِمْ غَيْرَ مَمْلُوكَةٍ ؛ وَأَنْ يُدَّ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ أَرْزَاقَ مَنْ

(١) أَكُولَةُ الرَّاعِي مَا يَسْمَتُهَا لِأَكْلِ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ "رَسَائِلِ الصَّابِي" الطَّبُوعَةِ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ "رَسَائِلِ الصَّابِي" .

سَقَطَ بِالْوَفَاةِ وَالْإِخْلَالِ ، نَاسِبًا ذَلِكَ إِلَى جِهَتِهِ ، وَمُورِدًا لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ . وَأَنْ يَطَالِبَ
الرِّجَالُ بِإِحْضَارِ الْخَلِيلِ الْمُخْتَارِ ، وَالْآلَاتِ الْمُسْتَكْمَلَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ مَبَالِغُ
أَرْزَاقِهِمْ ، وَحَسَبِ مَنَازِلِهِمْ وَمَرَائِيهِمْ ؛ فَإِنْ أَتْرَاحَهُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأَصَبَهُ مِنْ
رِزْقِهِ ، وَأَعْرَمَهُ مِثْلَ قِيَمَتِهِ ؛ فَإِنَّ الْمُقْصَرَّ فِيهِ خَائِنٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُخَالِفٌ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ؛ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَعْتَمِدَ فِي أَسْوَاقِ الرِّبْقِ وَدُورِ الضَّرْبِ وَالْحِسْبَةِ وَالطُّرُزِ ، عَلَى مَنْ
تَجْتَمِعُ فِيهِ آلَاتُ هَذِهِ الْوِلَايَاتِ : مِنْ ثِقَةٍ وَدِرَايَةٍ ، وَعِلْمٍ وَكَيْفَايَةٍ ، وَمَعْرِفَةٍ وَدِرَابَةٍ ؛
وَتَجَرِبَةٍ وَخُنُوكَةٍ ، وَحَصَافَةٍ وَمُسْكَةٍ ؛ لِأَنَّهَا أَحْوَالُ تُضَارِعُ الْحُكْمَ وَتُنَاسِبُهُ ، وَتُدَانِيهِ
وَتُقَارِبُهُ . وَأَنْتَ يَتَقَدَّمُ إِلَى وِلَاةِ أَسْوَاقِ الرِّبْقِ بِالتَّحْفُظِ فِيمَنْ يُطْلَقُونَ بَيْعَهُ ،
وَيُخْضَوْنَ أَمْرَهُ ؛ وَالتَّحَرُّزِ مِنْ وَقُوعِ تَجَوُّزِ فِيهِ ، وَإِهْمَالِ لَهُ ؛ إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَائِدًا
بِتَحْصِينِ الْفُرُوجِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَنْسَابِ . وَأَنْ يُعِيدُوا عَنْهُ أَهْلَ الرَّيَّةِ ، وَيُقَرَّبُوا أَهْلَ
الْعَفَّةِ ؛ وَلَا يُخْضَوْا بَيْعًا عَلَى شُبْهِهِ ، وَلَا عَقْدًا عَلَى تُهْمِهِ . وَإِلَى وِلَاةِ الْعِيَارِ ، بِتَخْلِيصِ
عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالدِّينَارِ ؛ لِيَكُونَا مَضْرُوبَيْنِ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِنَ الْغَشِّ ، وَالنَّزَاهَةِ مِنَ الْمَشِّ ؛
وَبِحَسْبِ الْإِمَامِ ، الْمَثُورِ بِمِثْنَةِ السَّلَامِ ؛ وَحِرَاسَةِ السَّكَّكِ مِنْ أَنْ تَتَدَاوَمَا الْأَيْدَى
الْمُدْغِلَةَ ، وَتَتَنَاقَلَا إِلْجِهَاتِ الظُّلُمَةِ ؛ وَإِبْثَاتِ أَسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا يُضْرَبُ مِنْهَا
ذَهَبًا وَفِضَّةً ، وَإِجْرَاءَ ذَلِكَ عَلَى الرَّسْمِ وَالسَّنَةِ . وَإِلَى وِلَاةِ الطُّرُزِ بَأَنْ يُجْرُوا الرِّسْمَالُ
فِي جَمِيعِ الْمَنَاصِبِ عَلَى أَعْمِ النِّقَةِ ، وَأَسْلَمِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَأَحْكَمِ الصَّنْعَةِ ، وَأَفْضَلِ الصَّحَةِ ؛

(١) المش الخلط حتى يذوب . انظر القاموس

(٢) لعله معناه المعادية في اللسان ج ١٧ ص ١٤٥ الظنين المعادى لسوء ظنه وسوء الظن به .

وفي الأمل «النبذة» وفي المال السائر المنية والتصحیح من رسائل الصاب .

(٣) النية الاسم من تنويع في الأمر إذا تأنق قية .

وَأَنْ يُّثْبِتُوا أَسْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طُرُزِ الْكُفَا ، وَالْقُرَشِ وَالْأَعْلَامِ وَالْبُؤُودِ .
وَالِىَ وِلَاةِ الْحِسْبَةِ بِتَصْقُحِ أَحْوَالِ الْعَوَامِّ فِي حِرْفِهِمْ وَتَجَارِهِمْ ، وَجَمْعِ أَسْوَاقِهِمْ
وَمَعَامِلَتِهِمْ ؛ وَأَنْ يُعَايِرُوا الْمَوَازِينَ وَالْمَكَايِيلَ ، وَيُفَرِّزُوا عَلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّكْيِيلِ ؛
وَمَنْ أَطْلَعُوا مِنْهُ عَلَى حِيلَةٍ أَوْ تَلَيْسَ ، أَوْ غِيْلَةٍ أَوْ تَدْلَيْسَ ؛ أَوْ بَحَسَ فِيمَا يُؤْفِيهِ ،
أَوْ أَسْتَفْضَالَ فِيمَا يَسْتَوْفِيهِ ، نَالُوهُ بِفَايِظِ الْعَقُوبَةِ وَعَظِيمِهَا ، وَخَصَّوهُ بِوَجْعِهَا
وَأَيْمِهَا ؛ وَاقِفِينَ بِهِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي يَرُونَهُ لَذَنبِهِ مُجَازِيَا ، وَفِي تَأْيِيدِهِ كَافِيَا
فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَلِلْ لِلطَّافِظِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَاثَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَجُتِّهَ عَلَيْكَ ؛ وَقَدْ وَفَّقَكَ بِهِ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ،
وَأَرْشَدَكَ فِيهِ إِلَى وَاضِحِ الدَّلِيلِ ؛ وَأَوْسَعَكَ تَعْلِيمًا وَتَحْكِيمًا ، وَأَقْنَعَكَ تَعْرِيفًا ^(١) [وَتَوْفِيقًا]
وَلَمْ يَأَلِكْ جُهْدًا فِيمَا عَصَمَكَ وَعَصَمَ عَلَى يَدِكَ ، وَلَمْ يَذْنُوكْ مُمَكِّنًا فِيمَا أَصْلَحَ بِكَ
وَأَصْلَحَكَ ؛ وَلَا تَرَكَ لَكَ عُدْرًا فِي غَلِطٍ تَقْلُطُهُ ، وَلَا طَرِيقًا إِلَى مُتَوَرِّطٍ تَتَوَرَّطُهُ ، بِالْفَأْ
بِكَ فِي الْأَوَامِرِ وَالزَّوَاجِرِ إِلَى حَيْثُ يَلْزَمُ الْأَئِمَّةُ أَنْ يَنْدُبُوا النَّاسَ إِلَيْهِ ، وَيُخَوِّمُوا عَلَيْهِ ؛
مَقِيمًا لَكَ عَلَى مُتَجَبِّاتِ الْمَسَالِكِ ، صَارِقًا بِكَ عَنْ مُرِيدَاتِ الْمَهَالِكِ ؛ مُرِيدًا فَيْكَ
مَا يَسْتَلِمُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَيُعُودُ بِالْحِظِّ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ وَأَوَّلَاكَ ؛ فَإِنْ أَعْتَدَلَتْ
وَعَدَلَتْ فَقَدْ فُزْتُ وَغَنِمْتُ ، وَإِنْ تَجَانَفَتْ وَأَعْوَجَجَتْ فَقَدْ خَسِرْتُ وَنَدِمْتُ ؛
وَالْأَوَّلَى بِكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ مَغْرَسِكَ الرَّأْيِ ، وَمَنْتَيْكَ النَّامِيِّ ، وَعُودِكَ الْأَنْجَبِ ،
وَعُنْصُرِكَ الْأَطْيَبِ ، أَنْ تَكُونَ لَقْنَةً بِكَ حَقِّقًا ، وَتَحْلِيَةً فَيْكَ مُصَلِّدًا ؛ وَإِنْ تَسَرَّيْدَ
بِالْأَثَرِ الْجَلِيلِ قُرْبًا [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٢)] وَثَوَابًا يَوْمَ الدِّينِ ؛ وَزُلْفَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) الزيادة من "رسائل الصافي" المطبوعة .

وثناء حسنًا من المسلمين ؛ تَخَذَ مَانَبَذَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ ، وَأَمْسَكَ بِيَدِكَ عَلَى مَا أُعْطِيَ مِنْ مَوَاتِيْقِهِ ؛ وَأَجْعَلَ عَهْدَهُ [هَذَا] ^(١) مَثَلًا تَحْتَذِيهِ ، وَإِمَامًا تَقْتَفِيهِ ؛ وَأَسْتَعِينَ بِاللَّهِ بِعَيْتِكَ ، وَأَسْتَهْدِي بِهَيْدِكَ ، وَأَخْلَصَ إِلَيْهِ فِي طَاعَتِهِ ، يُخْلِصُ لَكَ الْحِفْظَ مِنْ مَعُونَتِهِ ؛ وَمَهْمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنْ خَطْبٍ ، أَوْ أَعْضَلَ عَلَيْكَ مِنْ صَعَبٍ ؛ أَوْ يَهْرَكَ مِنْ بَاهِرٍ ، أَوْ يَهْظَكَ مِنْ بَاهِظٍ ؛ فَأَكْتُبُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مُنْتَبِهَاً ، وَكُنْ إِلَى مَا يَرِدُ [مِنْ جَوَابِهِ] عَلَيْكَ مُنْتَبِهَاً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

[وَكُتِبَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ النَّاصِحِ أَبُو طَاهِرٍ يَوْمَ الْأَحَدِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ] ^(١) .



وَعَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ كَتَبَ أَمِينُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدٍ ، الْعَلَاءُ بْنُ وَهَبٍ بْنُ مُوَصَّلَايَا عَنْ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَهْدَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ يُوسُفَ بْنَ تَاشَفِينَ ، بِسُلْطَنَةِ الْأَنْدَلُسِ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، بَعْدَ الْعَشْرِينَ وَالْأَرْبَعِمِائَةِ ، فِيمَا رَأَيْتُهُ فِي تَرْسُلِ ابْنِ مُوَصَّلَايَا الْمَذْكُورِ .

وهذه نسخة بعد البسملة الشريفة :

هَذَا مَا عَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ ، عَبْدُ اللَّهِ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى فُلَانٍ حِينَ أَتَاهُ إِلَيْهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ أَدْرَاعِ جَلَايِبِ الرَّشَادِ ، فِي الْإِصْدَارِ وَالْإِيرَادِ ؛ وَاتِّبَاعِ سَنَنِ مِنْ أَبْدَى وَأَعَادَ ، فِيمَا يَجْمَعُ خَيْرَ الْعَاجِلَةِ وَالْمُعَادِ ؛ وَالتَّخْصِصِ مِنْ حَمِيدِ الْأَنْحَاءِ وَالْمَذَاهِبِ ، بِمَا يَسْتَمِدُّ مِنْهُ أَصْنَافُ الْأَلَاءِ وَالْمَوَاتِبِ ؛ وَالتَّعَلُّيَّ مِنَ السَّدَادِ

الكامل ، بما ناز فيه بامتطاء الغارب من الجمال والكمال ؛ وأتضح ماهو متشبهت به من صحة الدين واليقين ، والمواظبة من اكتساب رضا الله تعالى على ماهو أقوى الظهور والمبين ؛ في ضمن ما طوى عليه ضلوعه ، وأدام لهجه به وولوعه : من مزايا أمير المؤمنين يدب الله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل تحوف باستحكام سعيها ؛ ومشايعة لدولته ساوى فيها بين ما أظهر وأسر ، وأمل في آجاء ثمرها كل ما أتهج وسر ، فولاء الصلاة بأعمال المغرب ، والمعاون ، والأحداث ، والحراج ، والضياح ، والأشبار ، والجهنزة ^(١) ، والمصدقات ، والجرائي ، وسائر وجوه الحبايات ، والعرض ، والعطاء ، والتففة في الأولياء ، والمخالم ، وأسواق الرقيق ، والعيار في دور الضرب ، والطرز ، والحسبة ، ببلاد كذا وكذا : سكونا إلى استتلاله بأعناء ما استكشفه إياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب رياه وثقة بكونه للصنيعة أهلا ، وبأفناء الطاعة الإمامية مستظلا ، وتوفيرة على ما يزيد بحضرة أمير المؤمنين خطوة تزد باع الخطوب عنه قصيرا ، وتمتد مقاصده من التوفيق بما يضحى له في كل حالة نصيرا ، وعلمنا بما في أصطناعه من مصلحة تستدير أهلها ، وتستدير من شبيه النى شواهدا وأدلتها ؛ والله تعالى يصل مرامي أمير المؤمنين بالإصابة ، ويعينه على ما يقر كل أمرئ في حقه ويحلله نصابه ؛ ويحسن له الخطرة في كل ما يغدو له من نصيب ، ولطفا في الاجتهاد في فعله من نصيب ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل وإليه يُتنب .

وأمره بأعتاد تقوى الله تعالى في الإعلان والإشهار ، وأعتقاد الواجب من الإذعان بفضائلها والإقرار ؛ وأن يأوى منها إلى أمتع المعاليل وأحصنها ، ويلوى عنان

الهدى فيها إلى أجل المقاصد وأحسنها ؛ ويجعلها عمدته يوم تُعَدُّم الانتصار ،
وتستخص الأبصار : ليجتنى من تمرها ما يقيه مصارع النجل ، ويحتل من مطالها
ما يؤمنه من طوارق الوجل ؛ ويرد بها من رضا الله تعالى أصفى المثارب ، ويجد
فيها من ضوأل المني أنفس المواهب : فإنها أبقى الزاد ، وأدعى في كل أمر إلى ورى
الزاد ؛ وقد خص الله بها المؤمنين من عباده ، وحض منها على ما هو أفضل عدة المرء
وعتاده ؛ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمره أن ياتم بكتاب الله تعالى مستضيئاً بمصباحه ، مستضيئاً لسُلطان النور
بالوقوف عند محظوره ومباحه ؛ ويصعد الاستبصار بمواعظه وحكمه ، والاستدرا
لصوب التوفيق في الرجوع إلى منقته وحكمه ؛ ويجعله أميراً على هواه مطاعاً ، وسميراً
لا يرى أن يكشف عنه قناعاً ؛ ودليلاً إلى النجاة من كل ما يخاف أثماته ، وسبيلاً
إلى الفوز في اليوم الذي يسفر عن فصل الحساب لثامه ؛ ويتحقق موقع الحظ
في إدامة درسه ، وصلة يومه في التأمل بأمسه ؛ فإنه يبدى طريق الرشد لكل مُبدئ
في العمل به مُعيد : ﴿ وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يحافظ على الصلوات قائماً بشروطها وحُدودها ، وشائماً بروق التوفيق
في أداء فروضها وحقوقها ؛ ومسارعاً إليها في أوقاتها بنية عاتقة مناهل الكدر والرق ،
عارية بما في إخلاصها من نصرة الهدى وطاعة الحق ؛ وموقفاً عليها من ذهنه ،
ما الحظ كامن في طيه وضمته ؛ وموقفاً لها من الركوع والسجود ، ما الرشد فيه صادق
الدلائل والشهود ؛ متجنباً أن يُلْهِيه عنها من هواجس الأفكار ، ووسوس القلب

الْعُودِ مِنْهَا وَالْأَبْكَارِ؛ مَا يَفِى فِيهِ مَوْقِفَ الْمُقْصِرِ الْغَالِطِ ، وَيَنْزِلُ فِيهِ مَثَرَةُ الْجَاهِدِ
لِلنَّعْمِ الْغَامِطِ ؛ وَقَدَّامَ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا وَقَرَضَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْجَبَهَا وَحْثًا مِنْ إِقَامَتِهَا ،
عَلَى مَا يُفْضَى إِلَى صَلَاحِ الْمَقَاصِدِ وَاسْتِقَامَتِهَا ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ فَأَقِمُْوا الصَّلَاةَ
إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۝ ﴾ .

وأمره بالسَّعى في أيامِ الجُمُع إلى المساجدِ الجامِعة، وفي الأعيادِ إلى المَصلَّياتِ الضاحية؛ بعد أن يتقدَّم في عِمَارَتِها، وإعدادِ الكِسوةِ لها؛ بما يودَّى إلى كَمالِ حِلَّها، ويُحطَّى من حُسنِ الذِّكرِ بِلَذْبِ المواردِ وأَحْلَافِها، ويُوَعِّزُ بالاسْتِخَارِ من المَكْبَرِينَ فيها والقَوامِ، وترتيبِ المصابيحِ العائِدةِ على شَمَلِ جَمَاحِها بالانْسِاقِ والِانْتِظامِ : فإنَّها بَيُوتُ الله تعالى التي تُتَبَّأُ بها آيَاتُهُ، وتُعَلَّى فيها أعلامُ الشَّرْعِ ورَايَاتُهُ . وأن يُقيمَ الدَّعوةَ على مَنَابِرِها لِأَميرِ المؤمنين ، وَلِوَلِيِّ عَهْدِهِ العَلَّةِ لِلدِّينِ ؛ أَبِي القاسِمِ عبدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَميرِ المؤمنين، أَدامَ اللهُ تعالى به الإِمتاعَ، وأَحَسَّنَ عن سَاحَتِهِ الدِّفاعَ ؛ ثُمَّ لِنَفْسِهِ جَارِيَا في ذَلِكَ على ما أَلَّفَ من مثله، وسالَكًا مِنْهُ أَقْومَ مَسالِكِ الإِهْتِداءِ وَسُبُلِهِ ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ تعالى ما في عِمَارَتِها من دلائِلِ الإِيْمانِ، والْفَوْزِ بما يُعطى من مُخْطَطِ اللهِ تعالى أَوْثَقَ الأَمَانِ، في قولِهِ سَبَّحانَهُ : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ . وقال في الحَثِّ على السَّعى إلى الجوامِعِ التي يُذَكَّرُ فيها أَسمُهُ، ويَظْهَرُ عليها مَنارُ الإِسْلامِ وَرِثْمُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدى منه إلى أرشده
فصل وأصوله ، ويقوم بذلك القيام الذي يُحظيه بجعل الذكر ، ويزيل الأخر ،

ويشهد له بزكاء الغريس وطيب النَجْر؛ ويقصد في أداء الواجب منه ما يصل أمسه في التوفيق بيوحه ، ويُطابق الألسنة بجمته ويكفها عن لومه ؛ متجنباً من إخلال بما نص عليه في هذا الباب ، أو إهمال فيه لما يليق بئوى الديانة وأولى الألباب ؛ ومتوخياً في المسارعة إليه ما يتطهر به من الأذناس ، ويتوقر به حسن الأحدوة عنه بين الناس ؛ فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لا سبيل إلى المحيد عنها ، ولا دليل في القوز أوفى منها ؛ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها من أمته ، وأبان عن كونها مما يُغني كل مرغوب فيه من ثمرته ؛ ووصل الأمر له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله : لما فيه من الحظ الكامل في استنارة غرره ومجمله ، في قوله سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٠ ﴾

وأمره أن يهتب من الناس خلاؤه ، ويصل بأقواله في الخير أفعاله ؛ ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل ، ويتبع سنن المتقي بالهدى المستطال ؛ ويقض يده عن كل عزم ثوبق أشراكه وتوق غوائله ، وتؤذنب بسوء المنقلب شواهده ودلائله ؛ ويحعل له من نهاره رقيباً على نفسه يصونها عن مراتع النوى ومطارحه ، وأميناً يصعد عن مسارب الإثم ومسارحه ؛ فإنها لا تزال أمانة بالسوء إن لم تقد إلى جدد الرشد ، وتهم لها سوق من الوعظ يبلغ فيها أقصى الناية والأمد ؛ فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وإزعا ، وأنحى عليها بلوم يندو معه عن كل ما يسيخط الله تعالى نازعا ، وأن يتتره عن النهي عما هوله مرتكب ، والأمر بما هوله مجتنب : إذ كان ذلك بالهجنة حالياً ، وبين المرء وبين مقاصد هديه حائلاً ، قال الله تعالى : ﴿ آمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِذْرِ وَتَسْأَلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٠ ﴾

وأمره أن يُضَيَّعَ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُودِهِ، أَصْنَفَ جَلَالِيْبِ
 الْإِحْسَانِ وَبُرُودِهِ ؛ وَيُحْصَمُ مِنْ جَزِيلِ حِبَائِهِ بِمَا يَصْلُونَ مِنْهُ إِلَى أَبَدِ الْمَدَى ،
 وَيَمْلِكُونَ بِهِ نَوَاصِيَ الْأَمَالِ وَيُدْرِكُونَ قَوَاصِيَ الْمُنَى ؛ وَيُمِيزُ مَنْ أَدَّى وَاجِبَهُ فِي الطَّاعَةِ
 وَفَرَضَهُ وَأَبْدَى صَفَحَتَهُ فِي الْغَنَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِشْتِمَالِ يُرِيفُ بِصِيرَةِ كُلِّ مَنْهُمْ
 فِي التَّوَفُّرِ عَلَى مَا وَاقَفَهُ ، وَوَصَلَ بَأَنَّهُ فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سَابِقَهُ ، وَيَدْعُو الْمَقْصَرَّ إِلَى
 الْإِسْتِبْصَارِ فِي اعْتِمَادِ مَا يَلْحَقُ فِيهِ رَتَبَةً مِنْ فَازَتْ فِي الْحَطَّوَةِ قِدَاحَهُ ، وَفَاتَتْ الْوَصْفَ
 عُزْرُهُ فِي الرُّفْصَةِ وَأَوْضَاحُهُ : لِيَمْرَحَ بِهِ فِي الْإِغْتِذَاءِ بِلَيَانَ النِّعَمَةِ ، كَمَا أَتَتْجَ جَدِّهِ
 فِي إِحْسَانِ إِخْلَادِهِ . وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى آرَاءِ ذَوِي الْحِكْمَةِ مِنْهُمْ مُسْتَضِيئًا بِهَا مُسْتَرِشِدًا ،
 وَطَالِبًا ضَوَالَّ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ وَمُنْشِدًا ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ فَضْلَ الْمَشُورَةِ الَّتِي جَعَلَهَا لِلْأَبَابِ
 لِقَاسِمَا ، وَفِي حَنَادِسِ الشُّكُوكِ مِصْبَاحًا ؛ حَيْثُ أَمَرَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ،
 وَبَعَثَهُ مِنْهَا عَلَى أَسَدِّ الْأَفْعَالِ وَأَصُوبِهَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
 عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وأمره أنْ يَعْدَلَ فِي الرِّعَايَا قَبْلَهُ ، وَيُحْلِلَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ هِضَابَهُ وَقَوْلَهُ ، وَيَمْنَحَهُمْ مِنَ
 الْإِشْتِمَالِ ، مَا يَنْجِي بِهِ أُمُورَهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَالِ ، وَيَتَّوِي بِهِ مِنْ طَيْبِ الذِّكْرِ بِحَسَبِ
 مَا اكْتَسَبَ مِنْ رِضَى الْأَنْهَاءِ وَالْخِلَالِ ؛ وَيُضَيَّعُ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْهُمْ وَالْمُعَاهِدَ مِنْ ظِلِّ
 رِجَائِهِ مَا يَسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَيُلْحِقُ التَّلِيدَ مِنْهُمْ بِالطَّرِيفِ : لِيَكُونَ
 الْكُلُّ وَادِعِينَ فِي كَنْفِ الصُّونِ ، رَاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِمْدَادِهِمُ بِالْتَوْفِيقِ وَحُسْنِ
 الطَّاعَةِ وَالْعَوْنِ . وَأَنْ يَنْظُرَ فِي مَقَالِمِهِمْ نَظْرًا يَنْصُرُ الْحَقَّ فِيهِ ، وَيَنْشُرَ عِلْمَ الْعَدْلِ
 فِي مَطَارِيهِ ؛ وَيُنْصِفَ مَعَهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَيُنْصِبَ بِهِ لَهُمْ مِنْ أَهْثَامِهِ أَسْنَى^(١)
 فِئَمٍ وَحَقَّ ؛ مُلْبِنًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ جَانِبَهُ ، وَمُبِينًا مَا يَظَلُّ بِهِ كَالِسَبِّ الْأَجْرِ وَجَالِيَةِ ؛

(١) يَقَالُ أَنْصَبَ جَمِلَ لَهُ نَصِيحًا . انْظُرِ الْإِسْنَاقَ وَالْقَامُوسَ .

وَيُرِيدُ عَنْهُمْ مَاشَرَهُ ظَلَمَةُ الْغُلَّةِ بَتْلُكَ الْإِعْمَالِ، وَيَدْبِلُ مِنْ تِلْكَ الْحَالِ بِاسْتِنَافِ
مَأْيُوطِهِمْ كَوَاهِلَ الْآمَالِ؛ جَامِعًا لَهُمْ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَجَاعِلًا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى
فِي ذَلِكَ مُتَلَقًى بِالطَّاعَةِ الْوَاضِحَةِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكُونَ بِالْمَعْرُوفِ آمِرًا، وَعَنِ الْمُنْكَرِ زَائِرًا، وَلِلَّهِ تَعَالَى فِي إِحْيَاءِ الْحَقِّ
وِإِمَانَةِ الْبَاطِلِ مُتَاجِرًا . وَأَنْ يَشُدَّ مِنَ السَّاعِينَ فِي ذَلِكَ وَالِدَاعِينَ إِلَيْهِ، وَيَعُدَّ
الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْحَالِ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ . وَيَتَقَدَّمَ
بِتَعْطِيلِ مَا فِي أَعْمَالِهِ مِنَ الْمَوَاقِيرِ وَدَحْضِهَا، وَإِزَالَةِ آثَارِهَا وَمَحْوِهَا؛ فَإِنَّهَا مَوَاطِنُ
بِالْحَقَائِزِ أَهْلَةً، وَمِنْ مَشَارِبِ الْمَعَاصِي نَاهِلَةً؛ قَدْ أُسِّسَتْ عَلَىٰ غَيْرِ الْقَوَىٰ مَبَانِيهَا؛
وَأُخْلِيتَ مِنْ كُلِّ مَا يُرِضِي اللَّهَ تَعَالَى مَغَانِيهَا؛ وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِ الطَّائِفَةِ
الَّتِي ظَلَّتْ بِالْمَعْرُوفِ آمِرَةً وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيَةً، وَضَمَّتْ بِمَا تُرَىٰ فِيهِ عَنْ مَقَاصِدِ الْخَيْرِ
ذَاهِلَةً لَاهِيَةً، فَقَالَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يُرْتَّبَ لِحِمَايَةِ الطَّرِيقَاتِ مَنْ يَجْمَعُ إِلَى الصَّرَامَةِ وَالشَّهَامَةِ، سُؤْلُكَ حَاجَّ
الرِّشَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ؛ وَيَجْعَلُ التَّعَقُّفَ عَنْ دَمِيمِ الْمَرَاتِعِ شَاهِدًا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لِيَّاهُ، وَعَانِدًا
عَلَيْهِ بِمَا تُحْمَدُ مَغْبِيَّتُهُ وَعُقْبَاهُ؛ وَيَأْمُرُ بِحِفْظِ السَّابِلَةِ، وَأَخْتِصَابِهِمْ بِالْحِرَاسَةِ السَّائِفَةِ
الشَّامِلَةِ، وَحِمَايَةِ الْقَوَافِلِ وَارِدَةِ وَصَادِرَةِ، وَاعْتِمَادِهَا بِمَا تَقْدُسُ بِهِ إِلَى السَّلَامَةِ
مُقْضِيَةً صَائِرَةً: لِحَرَسِ الدَّمَاءِ بِمَا يُبْذَرُ بِرِيقِهَا، وَالْأَمْوَالِ بِمَا يُقْصَدُ فِيهِ سَبِيلُ
الِإِضَاعَةِ وَطَرِيقُهَا، وَأَنْ يَخَوْفَهُمْ نَتَائِجُ التَّقْصِيرِ، وَيَعْرِفَهُمْ مَتَاجِيزُ التَّبْصِيرِ؛ وَأَنْ عَلَيْهِمُ

رُقباء يلاحظون أمورهم ويوصحونها : ليكون ذلك داعياً إلى التحوط والتحرز ،
واعتقاد الميل إلى جانب الصَّحَّة والتَّحِيْر ؛ ويُوجِب لهم من بعد ما يَكْفِي أمثالهم مثله ،
ويكف أيديهم عن الامتداد إلى ما تَدُم سبيله ؛ فإنَّ أخلَّ أحدُهم بما حدَّ له ،
أو منج بالسوء عمله ؛ جرَّاه بحسب ذلك ومُوجِبه . قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ
سُوْماً يُجْزِهِ ﴾ .

وأمره أن يتقدم إلى توبه في الأعمال بوضع الرِّصْد على من يبتاز بها من العبيد
الأَباق ، والاستظهار عليهم بحسب العدل والاستحقاق ؛ وأسْتِعْلَام أَمَانَتِهِمْ التي
فَصَّلُوا عنها ، ومواطنهم التي بَعَثُوا منها ؛ فإذا وَفَّحَتْ أحوالهم وبانت ، وانْحَسَمَتْ
الشُّكُوكُ في بايهم وزالت ، أعادوهم إلى مَوَالِيهِمْ أبوا أم شاءوا ، وأَصْفَوْا نِيَّاتِهِمْ
في الرجوع إليهم أم شَاءُوا . وأن يَصِفُوا لِنَشَادِ الصُّوَالِ ، ويَتَنَبَّهُوا من إظهار أمرها
بما يَغْدُو جمال الذِّكْر به في الظلال ؛ وَيَتَعَبَّوْا أن يَنْتَبَهُوا ظهورها بحال ، أو يَدَّوْا
أيديهم إلى منافعها في إسرار وإعلان ؛ حتَّى إذا حَضَرَ أربابها سَلِمَتْ إليهم بالنعوت
والأوصاف ، وأجْرَى الأمر في ذلك على ما يَضْحَى به عِلْمُ العدل على المَنَارِ حَالِي
الْأَعْطَاف ؛ فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها ، وهدى من ذلك إلى أَوْضَحِ
حَاجِّ الصَّحَّة وسبلها ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ .

وأمره أن يختار للنظر في المعاون والأجلاب من يرجع إلى دين يحميه من مَهاوِي
الزَّلَلِ وَصَلَفٍ عن مدِّ اليد إلى أسباب المَطَاع ، وكَلَّفَ بما يعود على ما كَلَّفَ إِيَّاهُ
بصِلَاجِ مُشْرِقِ المَطَالع ؛ ومعرفة بما وُكِّل إليه كَافِيَةً وإِفِيه ، ولما يُوجِبُ الإِسْتِرَادَةَ لَهُ^(٢)

(١) لعله بالناء المشالة بمعنى الكف . تأمل .

(٢) لعله الاستزراء أى الزاية عليه والتهاون به .

ماحية نافية، ويوعز إليهم بالتشمير في طلب الدُّعَار، من جميع الأماكن والأقطار،
وحسب مواد العار في بايهم والمضار. وأن يَمْضُوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم
في الضلال، وتجري أمورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام، تمتنعين
أن يُراقبوا من لم يُراقب الله تعالى في عمله، ويُجانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن
شهدت آثاره بديم سبله؛ وإذا وقع الظفر بجانب قد كشف في النقي قناعه،
وأظهرت مساعيه إياه من إجابة داعي الرشد وأمتناعه؛ أقيم حد الله تعالى فيه
من غير تعدد الواجب، ولا تمر من ملابس السالكين للجدد اللاجب، ﴿ومن يتعد
حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

وأمره أن يوعز إلى أصحاب المعاون بأن يستدوا من القضاة والحكام، ويطلبوا
في إجراء أمورهم على أوفى شروط الضبط والإقدام؛ ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ
أحكامهم وإمضاءها، والمسارة إلى حث مطايا التشمير في ذلك وإنضائها؛
والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخُصوم إذا ما امتنعوا، وسوقهم إلى الواجب
إذا زاعقوا عنه وأخرفوا. وأن يتقدم بإمداد عمال الخراج بما يؤدي إلى قوة أيديهم
في آسيفاء مال الفئ وأجباته، واعتماد ما ينصر الحقوق في مطاويه وأثنائه؛ إذ كان
في ذلك من الصلاح الجامع، وكف المضار وحسن المطامع، ما المونة عليه واجبه،
وللتوفيق مقارنة مصاحبة، قال الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾.

وأمره بعرض من تضمه الحبوس من أهل الجرائم والجرائر، وتأمل أحوالهم
في الموارد والمصادر؛ والرجوع إلى متولى الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب
في حبسه، والتعيين من ذلك على ما يعرف به صحة الأمر من لبسه؛ فمن ألقى منهم

للدُّنُوبِ الْإِلْفَا، وَعَنْ سَنَنِ الصَّوَابِ مُتَحَرِّفًا، تُرِكَ بِإِلَهِ، وَكُفَّ بِإِطَالَةِ احْتِقَالِهِ،
عَنْ مَجَالِهِ فِي مَيَادِينِ ضَلَالِهِ، وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، أَقِيمَ فِيهِ بِحَسَبِ
مَا يَنْتَضِيهِ الْحَقُّ، وَمَنْ اعْتَرَضَتْ فِي بَابِهِ شُبْهَةٌ تُجَوِّزُ إِسْقَاطَ الْحَدِّ عَنْهُ وَدَرَاهُ، اعْتَمَدَ
إِلْحَاقَهُ فِي ذَلِكَ بِمَنْ اتَّصَلَ إِلَيْهِ صَوْبُ الْإِحْسَانِ وَدَرَهُ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُرْمٌ وَتَظْهَرُ
صِحَّةُ شَاهِدِهِ وَدَلِيلِهِ، قَدَّمَ الْأَمْرَ فِي إِطْلَاقِهِ وَتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ، وَإِنْ غَدَا لِأَحَدِهِمْ سَعْيٌ
فِي الْفَسَادِ وَاصْنَعُ وَبَانَ، وَغَوَى بِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْحَقِّ وَخَانَ، قَوْلُ بِلِّ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿لَا تَمْسَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ
فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ
ذَلِكَ لِمَنْ حَزَنُوا فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاخْتِيَارِ الْمَرْتَبِ الْعَرَضِ وَالْعَطَاءِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْأَوْلِيَاءِ، مِنْ ذَوِي الْمَعْرِفَةِ
وَالْبَصِيرَةِ، وَالْمَشْهُورِينَ فِي الْعِفَّةِ بِسَاوِي الْعِلَاقَةِ وَالسَّرِيرَةِ، وَمَنْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
جَيِّدُهُ، وَاعْتَصَدَ بِطَرِيفِهِ فِي الرِّشَادِ تَلِيدُهُ، وَكَانَ بِمَا يُسَنَدُ إِلَيْهِ قِيًّا، وَفِي مَقَرِّ
الْكِفَايَةِ ثَلَاثًا مَحِيًّا. وَأَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِضَبْطِ حِلْيَةِ الرِّجَالِ وَشِبَابِ الْخُيُولِ، وَأَنْ يَقْصِدَ
فِي كُلِّ وَقتٍ مِنْ تَجْدِيدِ الْعَرَضِ مَا يَشْهَدُ بِالِاحْتِيَاطِ السَّائِغِ الْأَهْدَابِ وَالذُّيُولِ، فَإِذَا
وَضَعَ وَجْهَ الْإِطْلَاقِ، وَسَلِمَ مَالُ الْإِسْتِحْقَاقِ، كَانَتْ التَّفَرُّقَةُ عَلَى قَدَرِ الْمَنَازِلِ فِي التَّقْدِيمِ
وَالتَّأخِيرِ، وَبِحَسَبِ الْجَرَائِدِ الَّتِي تُكَلِّ عَلَى الصَّغِيرِ مِنْ ذَلِكَ وَالْكَبِيرِ، وَمَتَى طَرَقَ
أَحَدُهُمْ مَا هُوَ مُحْتَوٍّ عَلَى خَلْقِهِ، أَعَادَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ رِزْقِهِ بِقَدَرِ قِسْطِهِ وَحَقِّهِ.
وَأَنْ يُلْزِمَهُمْ إِحْضَارَ جِيَادِ الْخُيُولِ وَخِيَارِ الشَّكَّكَ، وَيَأْخُذَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْضَعِ مَتَهِجِ
الْمَرْءِ الطَّرِيقِ فِيهِ وَسَلَكِ، فَإِنْ أَخْلَ أَحَدُهُمْ بِمَا يُلْزِمُهُ الْبُرُوزُ فِيهِ يَوْمَ الْعَرَضِ،
أَوْ قَصَرَ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ الْقَرَضِ، حَاسِبَهُ بِذَلِكَ مِنَ الثَّابِتِ بِاسْمِهِ، وَالْمُطْلَقِ

بِرسَمِهِ، تَبْدِأُ لَهُ عَلَى تَلَا فِي الْفَارِطِ، وَتَبْصِيرًا لغيره فِي الْبُعْدِ عَنْ مَقَامِ الْخَطِئِ الْغَالِطِ؛
إِذْ كَانَ فِي قُوَّتِهِمْ وَكُلِّ عُدَّتِهِمْ إِرْهَابٌ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَضْدَادِ، وَإِرْهَافٌ لِلْبَصَائِرِ فِيمَا يُؤَدَّى
إِلَى الْمَصَالِحِ الْوَاقِيَةِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْدَادِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاخْتِيَارِ عَمَلِ الْخِرَاجِ، وَالضَّيَاعِ، وَالْأَعْشَارِ، وَالْجُهْدِ، وَالصَّدَقَاتِ،
وَالْجَوَالِي؛ وَأَنْ يَكُونُوا مُحْتَضِينَ مِنَ الْأَمَانَةِ وَالْكِفَايَةِ بِمَا يَقَعُ الْاِشْتِرَاكُ فِي عِلْمِهِ،
وَمُتَقَمِّصِينَ مِنْ مَلَأَسِ الْعِفَّةِ وَالذَّرَايَةِ مَا تُتَمَكَّدُ الْمَوَاقِبُ فِي ضَمْنِهِ، وَمُمَيِّزِينَ بِمَا
يُغْنِيهِمْ عَنِ الْأَفْكَارِ بِتَأْمِجِ الْإِتْعَاطِ وَالْإِعْتِيَارِ؛ وَيُغْرِهِمْ بِالاسْتِمْرَارِ عَلَى السَّنَنِ الْمُنْتَجِي
لَهُمْ مِنْ مَوَاقِفِ التَّنْصُلِ وَالْإِعْتِذَارِ. وَأَنْ يَأْمُرَ عَمَلُ الْخِرَاجِ بِجَيَاةِ الْأَمْوَالِ، عَلَى
أَجَلِ الْوُجُوهِ وَالْأَحْوَالِ؛ سَالِكِينَ فِي ذَلِكَ جَدًّا وَسَطًا، يَتَجَيَّ مِنْ مَقَامٍ مِنْ ضَعْفٍ
فِي الْاِسْتِخْرَاجِ أَوْسَطًا، وَ[أَنْ يَتَقَدَّمَ] إِلَى النَّاظِرِينَ فِي الضَّيَاعِ بِتَوْفِيَةِ الْعِمَارَةِ حَقَّهَا
وَالزَّرَاعَةِ حَقَّهَا، وَالتَّوْفِيرِ مِنْ حِفْظِ الثَّلَاثِ الْحَاصِلَةِ عَلَى مَا يُقْتَنَى فِيهِ أَرْشَدُ الْمَذَاهِبِ
وَأَسَدُهَا؛ مَتَحَرِّزِينَ مِنْ أَمْرِ يُنْسَبُونَ فِيهِ إِلَى الْعَجْزِ وَالْخِيَانَةِ، فَكُلُّ مَنْ الْحَالِينَ مُخْزٍ
فِي وَضُوحِ أدْلَةِ الْفَسَادِ وَمُخْزٍ. وَإِلَى الْجَهَابَةِ بِقَصْدِ الصَّحَّةِ فِي الْقَبْضِ وَالْتِقِيزِ،
وَحِفْظِ النَّقْدِ مِنَ التَّدْلِيسِ وَالتَّلْيِيسِ؛ أَدَاءً لِلْأَمَانَةِ فِي ذَلِكَ، وَاهْتِدَاءً فِيهِ إِلَى أَقْوَمِ
الْمَسَالِكِ. وَإِلَى سَعَاةِ الصَّدَقَاتِ بِأَخْذِ الْفَرَائِضِ مِنْ مَوَاشِي الْمُسْلِمِينَ السَّائِمَةِ دُونَ
الْعَامِلَةِ، وَالْجُرْحَى فِي ذَلِكَ عَلَى السَّنَةِ الْكَاسِيَةِ لِلْحَمْدَةِ الْوَاقِيَةِ الْكَامِلَةِ؛ مُنْجِبِينَ
مِنْ أَخْذِ حَقْلِ الْإِبِلِ وَأَكُولَةِ الرَّاعِي، وَعَقَائِلِ الْأَمْوَالِ الْمُحْطُورَةِ عَلَى سَائِرِ الْأَسْبَابِ
وَالدَّوَاعِي؛ فَإِذَا اسْتَوْفِيَتْ عَلَى الْمَحْدُودِ مِنْ حَقَّهَا، أُخْرِجَتْ فِي الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ مِنْ
وُجُودِهَا وَسُبُلِهَا. وَإِلَى جَيَاةِ بَحَائِمِ أَهْلِ النَّمَةِ بِأَخْذِ الْحَزِيَّةِ مِنْهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ، عَلَى
قَدْرِ ذَاتِ أَيْدِيهِمْ فِي الضَّبْقِ وَالسَّعَةِ، وَبِحَسَبِ الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ الْمُتَّبَعَةِ؛ يَمْتَنِعِينَ مِنْ

مُطَالَبَةُ النَّسْوَانِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ مِنَ الرِّجَالِ وَمَنْ عَلَتْ مِنْهُ عَنِ الْإِكْتِسَابِ وَتَبَلَّ
مِنَ الرُّهْبَانِ، وَمَنْ غَدَا قَرْنُهُ وَاحِجَ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ؛ وَفَاءً بِالْعَهْدِ الْمُسْتَوْلِ، وَتَقِيًّا
لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْقَبُولِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَ الْمَظَالِمِ وَأَسْوَاقِ الرِّقِيقِ وَدُورِ الضَّرْبِ وَالطَّرْزِ وَالْحِسْبَةِ إِلَى مَنْ
عَصَدَ بِالظَّلْفِ الْوَرَعِ، وَأَنْتَظِمَ لَهُ شَمْلُ الْهَدْيِ وَاجْتَمَعَ: فَكَانَ ذَا مَعْرِفَةٍ بِمَا يَحْرُمُ
وَيَحِلُّ، وَبَصِيرَةٍ يَتَفَيَّأُ بِهَا مِنْ عَوَارِضِ الشُّبْهِ وَيَسْتَظِلُّ؛ وَأَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي ذَلِكَ
مُضَاهِيًا لِحُكْمِ مَلَائِمًا، وَلَنْ يَقُومَ بِهِ إِلَّا مَنْ لَا يَرَى حَازِلًا لَهُ فِي فِعْلِهِ لِأَيْمًا، وَأَنْ يَتَقَدَّمَ
إِلَى مَنْ عَلَى الْمَظَالِمِ بِتَسْهِيلِ الْإِذْنِ لِمُخْصُومٍ فِي الشُّخُولِ عَلَيْهِ، وَتَمَكِينِ كُلِّ مَنَّهُمْ مِنْ
اسْتِيفَاءِ الْحُجَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَى فَضْلِ مَا بَيْنَهُمْ بِحَسَبِ مَا يَقُودُ إِلَى إِلَيْهِ؛
وَأَنْ يَقْبِذَ فِيمَا وَقَعَ الْخُلُفُ مَعَهُمْ فِيهِ، الْكَشْفُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ وَيَسْتَوْفِيهِ؛ فَإِنْ وَجَّحَ
لَهُ الْحَقُّ أَنْفَذَهُ وَقَطَعَ بِهِ، وَإِلَّا رَدَّهُ إِلَى مَجَالِسِ الْقَضَاءِ لِإِمْنَاءِ ذَلِكَ عَلَى مُقْتَضَى
الشَّرْعِ وَمُوجِبِهِ . وَإِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ فِي أَسْوَاقِ الرِّقِيقِ بِالتَّحْقِيقِ فِيمَا يُتَنَاجَى وَيُسَاعَى، وَأَنْ
يُسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْكَفَاءُ لِللِّسَنِ الْجَمِيلِ وَالِاتِّبَاعُ: لِيُؤْمَرَ بِأَخْتِلَاطِ الْحُرِّ بِالْعَبْدِ،
وَيُحْرَمَ الْأَنْسَابُ مِنَ الْقَدَحِ وَالْفُرُوجِ مِنَ الْقَضْبِ؛ فِي ضَمْنِ حِفْظِ الْأُمُودِ، وَالْمَنْعِ
مِنْ مَزْجِ الْحَرَامِ بِالْحَلَالِ . وَإِلَى وَلَاةِ الْعِيَارِ بِتَصْفِيَةِ عَيْنِ الدَّرْهِمِ وَالذِّينَارِ مِنَ الْغِشِّ
وَالِإِدْغَالِ؛ وَصَوْنِ السَّكَّكَ مِنْ تَدَاوُلِ الْأَيْدِي الْغَرِيبَةِ لَهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛
مُتَحَذِّرِينَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِمَا رُبَّمَا وَضَحَّ الْفَسَادُ فِيهِ عِنْدَ الْاِعْتِبَارِ، وَمَا نَعِينَ التُّجَّارَ
الْمَخْصُوصِينَ بِالْإِيرَادِ، مِنْ كُلِّ قَوْلٍ مُخَالِفٍ لِلْإِشَارِ فِي الْمَصْحَةِ وَالْمُرَادِ؛ وَمُعْتَمِدِينَ
إِحْرَاءَ الْأُمْرِ فِيمَا يُطْلَعُ عَلَى الْقَانُونِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ لِمُسْتَقَرِّ الْقَاعِدَةِ
فِي ذَلِكَ وَمُنْتَسَقِ النِّظَامِ؛ وَأَنْ يَنْتَبِذَ ذِكْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلِيُّ عَهْدِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ؛

(١) فِي السَّانِ "فَاءُ الْفِي" فَيَا تَحْوِلُ وَهِيَ فِيهِ تَنْظِلُ .

على ما يُضَرَّب من الصَّغِيرين معا ، والمُسَارعة في ذلك إلى أفضل ما يبادر إليه المرء وسعى . وإلى المستَحْدَمين في الطُّرُز بملاحظة أحوال النَّاسِج والإشراف عليها ، وأخذ الصَّنَاع بالتجويد على العادة التي يجبُ الإِتِّهَاء إليها ، وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يُنْسَج من الكُسا والفُرُوش والأعلام والبُتُود ، بحريا في ذلك على السَّنَنِ المَرْضَى والمِنَهاج المحمود . وإلى من يُراعى الحِسْبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ، والإِتِّهَاء في ذلك إلى ما يَنْتَهِي به شَمْلُ الصَّلاح إلى الانتظام والإِتِّساق ؛ وأن يتقدم [اليهم] بما يجبُ من تعبير ما يختص بهم من المكاييل والموازين ، وحملها على قانون الصَّحَّة الواضحة الدلائل والبراهين ؛ وأن يقصد تبصيرهم مواضع الحُظِّ في الاستقامة ، ويحذِّرهم مواقع الإِنتقام الذي لا تُشِيد فيه أسبابُ الاستِصْفاح والإِسْقالة ؛ فإنَّ عرف من أحد منهم إقداما على إدخال فيا زَيْن أو يَكِيل ، قُوِيل من التَّاديب بما هو الطريق إلى آرْتِداعه والسَّيْل ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَلُكِّطُفَيْنَ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

وأمره أن يعرف قَدْر النعمة التي ضَفَّت عليه بِرُودِهَا ، وحَلَّت جِيدَهُ عُقُودُهَا ؛ وَزُفَّت منه إلى أَوْفَى أَكْفَائِهَا ، وَحُفَّت بِجَزِيلِ القِيمِ من جميع أَكْنَفِهَا وَأَرْجَائِهَا ؛ وأن يُقَالِهَا بِإِخْلَاصٍ في الطاعة يساوي فيه بين ما يَسُدِّي ويُبْسِر ، وسعى في الخدمة يُوفى على كلِّ مُجَازٍ ومِرٍّ ؛ وَيَبْدَأُ أَمَامَ ما يَتَوَخَّاهُ بِأَخْذِ البيعة لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ على نفسه وولده ، وكافة الأجناد والرعايا في بلدِه ؛ عن نِيَّةِ صَفَّت من الكَدَر والقَدَر ، ووقَّت للتوفيق بما صَحَّت من خِذْلَانِ البَغْيِ ونُصْرَةِ الهُدَى ؛ وَيُتَّبِعُ ذَلِكَ بِالْحَقُوقِ في كلِّ خِدْمَةٍ تُرْضَى ، والوقوف عند الأوامر الإِمامِيَّةِ في كلِّ ما يُؤدَّى إلى الوفاق ويُفْضَى ؛ وأن يَحْمِلَ إلى حضرة أمير المؤمنين من التَّيِّءِ والفسائِمِ ما أَوْجَبَهُ

الله تعالى وفرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضى الثلاثي والاستبصار : ليأمر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار إليها ، ووجوه المنصوص عليها ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

ثم إن أمير المؤمنين آثر أن يضاعف له من الإحسان ، ما يقتضيه مقامه لديه من وجه الرتبة والمكان ، وشرفه بما يرقل من حلاه في حلل الجلال ، وتكفل له علاه بلوغ منتهى الآمال ؛ وبوأه بما أولاه محلاً تقصر عن الوصول إليه الأقدام ، وتعيّز عن حل حراء الأيام ؛ ولقبه بكذا ، وأذنب له في تكليفه عن حضرته ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر أمنيته ؛ إنافة به على من هو في مساجلته من الأقران طالع ، وإضافة للنعمة في ذلك إلى ما أقرن بها فيها هو لشمس الفخر عنده جامع ؛ وأفسد لواء يلوى به إلى الطاعة أبي الأعناق ، ويحوى به من العز ما أنواره واقية الإشراق .

فتلق يافلاوت هذه الصبيعة الغراء ، والمنحة التي أكسبت زائدك الإبراء ؛ بالإستبشار التام ، والإعتراف فيها بسايف الطول والإنعام ؛ وأشيع ذكر ذلك عند كل أحد ، وأنت في الإبانة عنه إلى أبعد أمد ؛ وأعتمد مكتبة حضرة أمير المؤمنين مسماً ، ومن عداه متلقباً متكئاً ؛ وتوفر على شكر تستدبر به صوب المزيد ، وتستحق به إلحاق الطريف من الإحسان بالتأييد ، والله تعالى يقول : ﴿ لَنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، والجمعة لك وملكك ؛ قد أوضح لك [فيه] الصواب ، وأذل به الجوايح الصعاب ؛ وحباك منه بموهبة كفيلة بخيري البدن والمعاد ، وفيه فيها

المُنى بسابق الضمان والميعاد ؛ وصمته من مواعظه ما هدى به إلى كل ما الخيئ عمره ،
وغداً محطاً بما تروق أوضاعه في المجد وغرره ؛ ولم يالك فيه تجللاً يكسبك الفخر
الناعم ، ويحتمل ذكرك زينة المحفل والنادى ؛ وتهدى يلى عما خُصصت به من
المنح المشرفة الآلى ، وإكراماً تبقى صيته على تقضى الأيام والليالي ؛ وتبصيراً تبقى
من فلتات القول والعمل ، ويرتقى المستضيء بأنواره إلى دُرى الأمن من دواعي
العتار والزلل ؛ فأصبح إلى ما حواه ، إصفاء الفاتر بأوقى الحظ ، وتدرج قواه ، الناطق
بفضل الحث على الهدى والحض ؛ وكن لأوامر أمير المؤمنين فيه محتذياً ، ومن
تجاوز محذوذه في مطاويه محتماً ؛ وبمواعظه الصادقة معتزاً ، وفي العمل بما قارن
الحق مستبصراً ، تقز بالغم الأكبر ، وبالسلامة في المورد والمصدر ؛ وإياك وأعتاد
ما تدم فيه مكاسبك ، فإن لك بين يدي الله تعالى موقفاً يناقشك فيه ويحاسبك .
واعلم أن أمير المؤمنين قد قللك جسيماً ، وخوذك جزيلاً عظيماً ؛ فلا تنس نصيبك
من الله تعالى غداً ، ولا تجعل سلطان الهوى المضل عليك يئاً ؛ وإن خفى عليك
الصواب في بعض ما أنت بصده ، أو اعترض فيه من الشبه ما يحول بينك وبين
طريق الرشاد وجده ، فطالع حضرة أمير المؤمنين به ، وأستجيد الله في ذلك
بأسد رأي وأصوبه ؛ بيدك من الشك يقينا ، ويبد لك ما يندو لكل خير صميماً ؛
إن شاء الله تعالى .

الطريقة الثانية

(طريقة محقق المتأخرين ممن جرى على هذا المذهب : كالشيخ شهاب الدين

محمود الحلبي ، والمقر الشهابي بن فضل الله ، ومن والاهم)

وهي أن يأتي في أثناء العهد بخطبة أو تعهد على عادة المكاتبات ، وأن يذكر بعد صدر العهد حميد أوصاف المعهود إليه ، ويطلب فيها ويثني عليه بما يليق بمقامه . قال في " التعريف " : « على نحو ما تقدم في عهود الخلفاء عن الخلفاء . قال في " التثقيف " : « وصورته أن يكتب :

« هذا ما عهد به عبد الله ووليه أمير المؤمنين المتوكل على الله (مثلا) أبو فلان فلان بن فلان ، إلى السيد الأجل الملك العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد » و يذكر القلب هنا ، مثل الناصر أو الكامل أو غيره « فلان الدنيا والدين ، فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الفلاني خلف الله تعالى ملكه .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين محمد إلك الله الذي لا إله إلا هو ، ويصلي على ابن عمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » ويكمل الخطبة بما أمكنه . ثم يقال : « عهد إليه وقده جميع ما هو مقلده من مصالح الأئمة وصالح الخلق ، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك ، ومكث مدة يتدبر هذا الأمر ويرقى فكره فيه وخاطره ، ويستشير أهل الرأي والنظر ، فلم يوافق منه لأمر الأئمة ومصالح الدنيا والدين » . ومن هذا ويشبهه . ثم يقال : « وإن المعهود له قبل ذلك منه » ويأتي فيه بما يليق من محاسن العبارة وأجناس الكلام .

قلت : وقد يرقى بعد «أما بعد» بخطبة ، مثل أن يقال : «أما بعد فالحمد لله ونحو ذلك ، ويكمل الخطبة بما يليق بالمقام . ثم قد يقتصر على تعهيد واحدة ،

وقد يذكره إلى ثلاث ، وإن شاء بلغ به سبعا . فقد قال في "التعريف" في الكلام على عهود الملوك للوك : إنه كُتب أكثر التحميد ، كان أدل على عظم النعمة . وقد يقال في آخره : « والاعتماد على الخط الفلاني (بقلب الخلافة) أعلاه حجة بمقتضاه أو والخط الفلاني أعلاه حجة فيه » ونحو ذلك .

وعلى هذه الطريقة كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك العادل « كتبنا » عن الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، ابن الإمام الذي استحضره الملك الظاهر بيبرس من بغداد وبايعه ، وهذه نسخته :

هذا عهد شريف في كتاب مرقوم يشهد المقرئون ، ويفوضه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأئمة الأقرئون . من عبيد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين ، وسليل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، إلى السلطان الملك العادل زين الدنيا والدين « كتبنا المنصوري » أعز الله سلطانه .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي جعل له منك سلطانا نصيرا ، وأقام له بملكك على ما ولّاه من أمور خلقه عضدا وظهيرا ، وأتاك بما نهضت به من طاعته نعمة وملكا كبيرا ، وخولك بإقامة ما وراء سريرته من مصالح الإسلام بكل أرض منبرا وسيرا ، وجاء بك لإعائته على ما استخلفه الله فيه من أمور عباده على قدر وكان ربك قديرا ، وجمع بك الأمة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم ،

(١) لم يذكر نسبه في الأصل . وفي ابن أبي يونس هو أحمد بن علي بن أبي بكر الخليفة المسترشد ابن الخليفة المستظهر ابن الخليفة المقتدى ابن محمد القادر العباسي . وكذلك هو في خطط القرظي إلا أنه قال أحمد بن أبي علي الحسن بن الخ . وأقام في الخلافة نيفا وأربعين سنة وتوفي سنة إحدى وسبعمائة وهو أول خلفاء بن العباس بمصر . ومراجعة تاريخ كتبنا ولاجين يعلم أنهما كانا في زمانه وبالضرورة يكون هو العادل لها فضيه .

وَعَصْدُكَ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ وَخَصَّكَ بِأَنْصَارِ دِينِهِ
الَّذِينَ تَهَيَّؤُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ وَهُمْ نَازِهُونَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلَى الَّذِينَ آبَتُوا الْفِتْنَةَ
مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ؛ وَأَصْطَفَاكَ
لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الْأَهْوَاءُ فِي تِلْكَ الْمُنْتَهَى ، وَلَمْ يَكْ شَعَثَ الْأَمَّةَ بَعْدَ
الْإِضْطِرَابِ فَكَانَ مَوْفِقُكَ تَمَّ مَوْفِقَ الصَّدِيقِ يَوْمَ الرَّثَةِ .

وَيَسْتَهْدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةَ حَاكِمٍ بِأَمْرِهِ ، مُسْتَنْزِلَ لَكَ
بِالْإِخْلَاصِ مَلَائِكَةً تَأْيِيدَ ، وَأَعْوَانَ نَصْرَهُ ؛ مُسْتَرِيفَ بِهَا سَيْفَ عَزَمِكَ عَلَى مَنْ
جَاهَرَ بِشِرْكِهِ وَحَارَبَهُ بِكُفْرِهِ ، مُعْتَصِمَ بِتَوْفِيقِهِ فِي تَفْوِيزِهِ إِلَيْكَ أَمْرَ سِرِّهِ الَّذِي
أَسْتَوْدَعَهُ فِي الْأَمَّةِ وَجْهَهُ ؛ وَيَصِلُ إِلَى سَيِّدِنَا عَجِدِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي أَسْتَخْرِجُهُ اللَّهُ مِنْ
حُصْنِهِ وَذَوِيهِ ، وَتَرَفُّ بِهِ تَدْرَجَتَهُ بِقَوْلِهِ فِيهِ : « عَمَّ الرَّجُلِ صَوْنُ أَبِيهِ » وَأَسْرَ إِلَيْهِ
بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ فَتَحَ بِهِ وَيُخَيِّمُ بِنَبِيِّهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ ،
الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَأَوْ يَحْدِثُونَ ، وَجَاهِدُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ
وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَكْفُرُونَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَلِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَا أَنَا اللَّهُ مِنْ سِرِّ النَّبِيِّ ، وَأَسْتَوْدَعَهُ مِنْ أَحْكَامِ الْإِمَامَةِ
الْمُؤَرَّثَةِ عَنْ شَرَفِ الْأَبْنَاءِ ؛ وَأَخْتَصَّهُ مِنَ الطَّاعَةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى الْأُتَمِّ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ
مِنَ النَّظَرِ فِي الْأَخْصِ مِنْ مَصَالِحِ الْمَسَامِينِ وَالْأَقَمِّ ؛ وَعَصَمَ آرَاءَهُ بِبَرَكَاتِ آبَائِهِ مِنْ
الْخَلَلِ ، وَجَعَلَ سَهْمَ أَجْتِهَادِهِ هُوَ الْمُصِيبَ أَبَدًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَكَانَ السَّالِطَانُ
فَلَانِ هُوَ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ بِهِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ وَقَدْ كَادَتْ ، وَتَبَّتْ بِهِ الْأَرْضُ وَقَدْ أَضْطَرَبَتْ
بِالْأَهْوَاءِ وَمَادَتْ ؛ وَرَفَعَ بِهِ مَنَارَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ شَمَخَ الْكُفْرُ بِأَنْفِهِ ، وَأَلْفَ بِهِ شَمْلَ
الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ طَمَحَ الْعُدُوُّ إِلَى أَفْرَاقِهِ وَطَمَحَ فِي خُلُقِهِ ، وَحَفِظَ بِهِ فِي الْجِهَادِ حُكْمَ

الكتاب الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خفيه ؛ وحى به المسالك الإسلامية فما شام الكفر منها برق تغير إلا رعى من وباله بوابل ، ولا أطلق عنان طرفه إلى الأطراف إلا وقع من سطوات جنوده فى كفة حابل ؛ ولا أطمأنوا فى بلادهم إلا انتهت سراياه من حيث لم يرقبوا ، ولا ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله إلا وأتاهم بجنوده من حيث لم يحتسبوا ؛ وألف جيوش الإسلام فأصبحت على الأعداء يمينه يداً واحدة ، وقام بأمر الأمة فأمست حيون الرعايا باستيقاظ سيوفه فى مهاد الأمن راقده ؛ وأقام منار الشريعة المطهرة فهى حاكمة له وعليه ، نافذة أمرها على أمره فيما وضع الله مقاليد فى يديه ؛ ونصره الله فى مواطن كثيرة ، وأعانته على من أضمر له الشقاق والصلاة وإنها لكيرة ؛ وأظهره بمن بغى عليه فى يومه بعد حمله عنه فى أسبسه ، وأيده على الذين خانوا عهده ويد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ؛ وتعين الملك الإسلام فلم يك يصلح إلا له ، واختاره الله لذلك فبلغ به الدين آماله ؛ وضعضع بملكه عمود الشرك وآماله ، وأعاد بسلطانه على المالك بهجتها وعلى الملك رونقه وجلاله ؛ وأخدمه النصر فما أضمر له أحد سوءاً إلا وزلزل أقدامه وتجمل وباله ، وردّه إليه وقد جعل من الرعب قيوده ومن الدهر أغلاله ، وأوطأ جواده هام أعدائه وإن أنف أن تكون نعاله .

عهد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين فى كل ما وراء خلافته المقتسمة ، وجميع ما اقتضته أحكام إمامته التى هى على التقوى مؤسسه : من إقامة شعار الملك الذى جمع الله الإسلام عليه ، وظهور أبهة السلطنة التى ألقى الله وأمير المؤمنين مآليها إليه ؛ ومن الحكم الخاص والعام ، فى سائر ممالك الإسلام ، وفى كل ما تقتضيه أحكام شريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ وفى خزان الأموال وإنفاقها ، وملك الرقاب وإعتاقها ، وأعتقال الحبسة وإطلاقها ، وفى كل

ما هو في يَدِ الْمِلَّةِ الإسلامية أَوْ يَفْتَحُهُ اللهُ بِيَدِهِ عليها ، وفي جميع ما هو من ضَوَالِّ
 الممالك الإسلامية التي سَيَرَجَعُها اللهُ بِجِهَادِهِ إليها ؛ وفي تَقْلِيدِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ ، وَتَقْدِيمَةِ
 الْجُيُوشِ وَتَأْمِيرِ الْأَمْرَاءِ ؛ وفي الْأَمْصَارِ يَقْرُبُهَا مَنْ شَاءَ مِنَ الْجُنُودِ ، وَيَبْعَثُ إِلَيْهَا
 مِنْهَا مَا شَاءَ مِنَ الْبُعُوثِ وَالْحَشُودِ ؛ وَيَحْكُمُ فِي أَمْرِهَا بِمَا أَمَرَ اللهُ مِنَ الذَّبِّ عَنْ
 حَرَمِهَا ، وَيَحْكُمُ بِالْعَدْلِ الَّذِي رَسَمَ اللهُ بِهِ لَهَاظِنَهَا وَمُقِيمِهَا ؛ وفي تَقْدِيمِ حَدِيثِهَا
 وَاسْتِحْدَاثِ قَدِيمِهَا ، وَتَشْيِيدِ نُتُورِهَا ، وَإِمْضَاءِ مَا عَرَفَهُ اللهُ بِهِ وَجَهْلَهُ سِوَاهُ مِنْ
 أُمُورِهَا ؛ وَإِقْرَارِ مَنْ شَاءَ مِنْ حُكَّامِهَا ، وَإِمْضَاءِ مَا شَاءَ مِنْ لَاتِقَاتِ الْقَوَاعِدِ بِالْعَدْلِ
 وَإِحْكَامِهَا ؛ وفي إِقْطَاعِ خَوَاصِّهَا ، وَاقْتِلَاعِ مَا اقْتَضَتْهُ الْمَصْلَحَةُ مِنْ عِمَارَتِهَا وَعِمَارَةِ
 مَا شَاءَ مِنْ قِلَاعِهَا ؛ وفي إِمَامَةِ الْجِهَادِ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَكَتَابَتِهِ ، وَلِقَاءِ الْأَعْدَاءِ كَيْفَ شَاءَ
 مِنْ [تَسْيِيرِ] سَرَايَاهُ وَبَعَثِ مَوَاطِنِهِ ؛ وفي مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ وَحِصَارِهِ ، وَمَصَابِرَتِهِ وَإِنْفَارِهِ ،
 وَغَزْوِهِ كَيْفَ أَرَادَ اللهُ فِي أَطْرَافِ بِلَادِهِ وَفِي عَقْرِ دَارِهِ ؛ وفي الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ وَالْإِرْفَاقِ ،
 وَضَرْبِ الْمُهَذَّنِ الَّتِي تَسَالَفُ الْعِدَا وَهِيَ خَاضِعَةُ الْأَعْنَاقِ ؛ وَأَخْذِ مُجَاوِرِي الْعَدُوِّ
 الْمَخْذُولِ بِمَا أَرَادَ اللهُ مِنَ التَّكَايَةِ إِذَا أُمِكنَ مِنْ تَوَاصِيهِمْ ، وَحُكْمِ حَقْوِهِ فِي طَائِفِهِمْ
 وَبَأْسِهِ فِي حَاصِيهِمْ ، وَإِنْزَالِ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ .
 وفي الْجُيُوشِ الَّتِي أَلَفَ الْأَعْدَاءُ فَكَلَّتِ الْوُفُوهَا ، وَعَرَفُوا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ وَدَانِعُ سَيُوفِهَا ؛
 وَصَبَّحَتْهُمْ سَرَايَا رَعْبِهَا الْمَبْنُوثَةِ إِلَيْهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ خَوْفُهَا كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ
 كُلَّ صَنِيعَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ ضَاقَتْ بِمَوَاطِنِهِمْ إِلَى الْعِدَا سَعَةُ الْفَجَاجِ ، وَقَاسَمَتْ
 رِمَاجُهُمُ الْأَعْدَاءُ شَرْقِيسَةً فِي أَيْدِيهِمْ كَعُوبِهَا فِي صُدُورِ أَوْلَاطِكَ الرَّجَاجِ ، وَأَذْهَبَتْ
 عَنْ الثَّنُورِ الإسلامية رَجَسَ الْكُفْرِ وَطَهَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاوَرَ الْعَذَابَ الْفَرَاتِ
 وَالْمَلْحَ الْأَجَاجِ ؛ وَعَرَفُوا فِي الْحُرُوبِ بِتَسْرُعِ الْإِقْدَامِ ، وَثَبَاتِ الْإِقْدَامِ ، وَأَذْنَعِ الرَّاهِلِ

لأَيَّامِهِ الشَّرِيفَةِ أَنْ تُرَدَّيَا بِهِمْ دَارَ السَّلَامِ إِلَى مُلْكِ الْإِسْلَامِ : فَيُذَرَّ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ
إِنْعَامِهِ الَّذِي يُؤَكِّدُ طَاعَتَهُمْ ، وَيَجِدُّ أَسْطِطَاعَتَهُمْ ؛ وَيَضَاعِفُ أَعْدَادَهُمْ ، وَيَعْمَلُ
بِصَفَاءِ النِّيَّاتِ مَلَائِكَةَ اللَّهِ أَمْدَادَهُمْ ؛ وَيَجْلِبُهُمْ عَلَى الثَّبَاتِ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
زَحْفًا ، وَيَجْعَلُهُمْ فِي التَّعَاوُذِ عَلَى اللَّقَاءِ كَالْبُيَّانِ الْمُرْصُوعِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ، وَفِي أَمْرِ الشَّرْعِ وَتَوَلِيَةِ قُضَائِهِ وَحُكْمِهِ ، وَامْضَاءِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ وَ^(١) مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَوَاءُ اللَّهِ الْمُتَوَدُّ
فِي أَرْضِهِ ، وَجِبْلَةُ الْمُتَيْنِ الَّذِي لَا تُقْضَى لِإِبْرَاهِيمَ وَلَا إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ ، وَسَنَنُ نِيَّةِ الَّذِي
لَا حَظَّ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ وَفَرَضِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزُّ اللَّهِ سُلْطَانَهُ -
سَيُفِّ اللَّهُ الْمَشْهُورُ عَلَى الَّذِينَ ضَلُّوا وَهُمْ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ مَارِقُونَ ، وَيُدُّ الْمُسَوِّطَةُ
فِي امْضَاءِ الْحُكْمِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .
وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَثَائِيهِمَا الَّذِي تُشَدُّ أَيْضًا إِلَيْهِ الرِّحَالُ . وَإِقَامَةِ سَبِيلِ
الْحَقِّ الَّذِينَ يَقِفُونَ عَلَى اللَّهِ بِمَا مَنَحَهُمْ مِنْ رَحْمَةٍ وَعَيْنَانِهِ فِي الْإِقَامَةِ وَالْإِرْتِحَالِ .
وَفِي عِمَارَةِ الْبُيُوتِ الَّتِي أَدْنَى اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُوَّةِ
وَالْأَصَالِ رِجَالًا ؛ وَفِي إِقَامَةِ الْخُطْبِ عَلَى الْمَنَابِرِ ، وَأَقْرَانِ أَسْمِهِ الشَّرِيفِ مَعَ أَسْمِهِ بَيْنَ
كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَالْاِقْتِصَارِ عَلَى هَذِهِ التَّنْبِيَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ فَإِنَّ الْقَائِلَ بِالتَّحْلِيلِ
كَافِرٌ ؛ وَفِي سَائِرِ مَا تَشْمَلُهُ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَمَنْ تَشْمَلُ عَلَيْهِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُنْدًا
وَقُرْبًا ، وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَشَامًا وَمِصْرًا ، وَحِجَازًا وَيَمَنًا ، وَمَنْ يَسْتَقِرُّ بِذَلِكَ إِقَامَةً وَطَعْنًا .
وَقَوْضٍ إِلَيْهِ ذَلِكَ جَمِيعَهُ وَكُلُّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خَلْقِهِ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ ، مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يَذَكَرْ

(١) التَّهَبُّ مِنْ مَعَانِيهِ الْغَائِرَةِ أَيْ تَرَدُّ غَاوَاتِهِمْ دَارِ الْخَلْقِ فِي الْأَصْلِ يَرُدُّهَا بِهِمْ . قَامِلٌ

(٢) يَبَاضُ بِالْأَصْلِ وَلَهَا «وَالْمَشَى» مَعَ الْخَلْعِ

(٣) فِي الْأَصْلِ أَوْضَحُهُمْ . قَامِلٌ

تفويضاً لازماً ، وإمضاءً جازماً ، وعهداً مُحْكَمًا ، وعقدًا في مصالح ملك الإسلام مُحْكَمًا ، وتقليدًا مؤبداً ، وتقريراً على كثر الجديدين مُجْتَدَاً ، وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما عليه من استحقاقه والحاكم بعلمه ، وأشهد الله وملائكته على نفوذ حكمه بذلك : ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ . وذلك لما صحَّ عنده من نهوض ملكه بأعباء ماحمله الله من الخلافه ، وأدائه الأمانة عنه فيما كتب الله عليه من الرحمة اللازمية والرافة ، واستقلاله بأمر الجهاد الذي أقام الله به الدين ، واختصاصه وجنوده بعموم ما أمر الله به الأمة في قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعْلِمَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشَفِّصْ صُفُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وأنه في الجهاد سهمه المصيب وله به أجزاؤه المسددة ، وسيفه الذي جرده على أعداء الدين وله من فتكاته حفظ المهدف المجرد ، وظل الله في الأرض الذي مده يمينه ، وآية نصره الذي اختاره الله لمصالح دنياء وصلاحي دينه ، الناهض بفرض الجهاد وهو في مستقر خلافته وإدع ، والراکش عنه بحيله وخياله إلى العدو الذي ليس لفتكت سبوفه رادع ، والمؤدّي عنه فرض الغير في سبيل الله كلما تعين ، والمتتقم له من أهل الشقاق الذين يُحَادِلُون في الحق بعد ما تبين والقائم بأمر الفتوح التي تزدبج الكفر مساجد يذكّر فيها اسم الله وأسمه ، ويرفع على منابرها شيعاره الشريف ورسمه ، ويمثل له بإقامة دعوته صورة الفتح كأنه ينظر إليها ، والناظر عنه في عموم مصالح الإسلام وخصوصها تعظيماً لقدره ، وترقياً لسمه ، وتفخياً لشرفه ، وتكريماً لجلالة بيته النبويّ وسلفه ، وقياماً له بما عهد إليه ، ووفاءً من أمور الدين والدنيا بما وُضِعَ مقابلده في يديه .

وأيّ دل على عظم سيرته المقدسة بكرم سيره ، ونبّه على كمال سعاده إذ قد كفى به في أمور خلق الله تعالى والسعيد من كفى بغيره ، لم يجعل أمير المؤمنين على يده بنا

في ذلك ، ولا فسح لأحد غيره في أقطار الأرض أن يدعى بملك ولا ملك ، بل بسط حكمه وتحكمه في شرق الأرض وغربها وما بين ذلك ؛ وقد فرض طاعته على سائر الأمم ، وحكم بوجوبها على الخاص والعام ومن ينقض حكم الحاكم إذا حكم ؛ وهو يعلم أن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سراً يستضاء بنواره ، ويهتدى في مصالح الملك والممالك بمناره ، فجعل له أن يفعل في ذلك كل ما هدئ الله قلبه إليه ، وبعثه بالتأييد الإلهي عليه ؛ واكتفى عن الوصايا بأن الله تعالى تكفل له بالتأييد ، وخصه من كل خير بالزيد ؛ وجعل خلقه التقوى وكل خير فرع عليها ، ونور بصيرته بالهدى لما يُلْ على حسنة من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق إليها ؛ والله تعالى يجعل أيامه مؤرخة بالفتوح ، ويؤيده بالملائكة والروح ، على من يدعى الأب والابن والروح ؛ ويجعل أسباب النصر معقودة بسببه ، والملك كلمة باقية في عقبه .

ويشهد بهذا العهد الشريف مع من شهده من الملائكة المقربين ، كل من حضر تلاوته من سائر الناس أجمعين : لتكون حجة الله على خلقه أسبق ، وعهد أمير المؤمنين بثبوته أوثق ؛ وطاعة سلطان الأرض قد زادها الله على خلقه بذلك توكيدا ، وشهد [الله] وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيدا . والاعتماد على الخط الحاكم أعلاه حجة به ، إن شاء الله تعالى .



وعلى نحو ذلك كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي عهد الملك المنصور « حسام الدين لاجين » عن الخليفة الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المنتقم ذكره . وهذه نسخته :

(١) الذي في التواريخ أن الحاكم بأمر الله الذي بايع له الظاهر بيبرس طالت مدته إلى أيام حسام الدين لاجين وأما الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع فهو ابن ابنه تأمل .

هذا عهد شريف تنهذه الأملاك لِأشرف الملوك، وتسلك فيه من قواعد العهود
المقتضية أحسن السلوك؛ من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين،
السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين؛ أبي الفتح لاجين المنصوري، أعز
الله سلطانه .

أما بعد، فالحمد لله مؤتي الملك من يشاء من عباده، ومُعطي النصير من يُجاهد
فيه حقَّ جهاده؛ ومُرهِف حسام انتقامه على من جاهر بِنِعاله، ومفوض أمر هذا
الخلق إلى من أودعه سرِّرائفه في محبته ومُرادِ تَقمته في مُرادِه، وجامع كلمة الإيمان
بمن أجباه لإقامة دينه وأرضاه لرفعِ عَماده، ومُقر الحق في يد من منع سيقه المجرِّد
في سبيل الله أن يقر في أَعْماده؛ وناصر من لم تزل كلمة الفُتوح مستكنة في صُلب
سيفه جارية على ألسنة صِباعه، وجاعل مُلك الإسلام من حُقوق من إذا عدَّ أهل
الأرض على أجناحهم كان هو المتعين على أنفرادِه؛ الذي شرف أَسرة مُلك الإسلام
بإستيلاء حسام دينه عليها، وزلزل ممالك أعدائِه بما بعث من سراً رُعيه إليها؛
وثبت به أركان الأرض التي ستحتوي مُلكه في طرفيها، وضَعَضَع بسلطانه قِواعد
مُلوك الكُفر فودعت ما كان مودعاً لأَيامه من ممالك الإسلام في يديها؛ وأقامه وليه
بأمره فلم يَخْلِف عليه آثان من خلقه، وقَلَّده أمرَ بريته لما أقدَّره عليه من النُهوض
بِحَقِّهم وحَقِّه؛ وأظهره على من نَصَب له الغوائل والله غَالِب على أمرِه، ونَصَره
في مواطن كثيرة لما قَدَّره في القِدم من رِفعة شأنِه وأَعْتَلَّاه قَدْرَه؛ وجعل صلوة
وإن أَرْض عن طلبه يَجِيئُوش الرُعب محصوراً، وكَفَّاه بَنَصْرِه على الأعداء التَوَعُّل
في مَسْفِك الدِّماء فلم يُبْرِف في القَتْل إنَّه كان مَنْصُوراً؛ وقَتْلَ إليه المُلُك بسَيْفِه
والدِّماء مَصُونَه، وحَكَّمه فيما كان بيدِ غيره من الأرض والبُلاد أَمِنَةً والفِتْن مَأْمُونَه؛
فكان أمرٌ من ذهب سَحابة صَيْف، أو جَلَسَة ضَيْف؛ لم تُحَلْ له رِوَعة في القلوب،

ولم يُبْخِرْها - وقد ألبسه الله ما نزع عن سواه - سالب ولا مسلوب، إجراءً لهذه الأئمة على عوائد فضله العَمِيم ، واختصاصاً بما آتاه من مُلكه ﴿ والله يُؤْتِي مُلْكَهُ من يشاءُ والله واسعٌ عليم ﴾ .

يحمّده أمير المؤمنين على ما منح في أيامه الدين من اعتضاده بمُسامه ، والاعتماد في مُلك المسلمين على من يجعل حياته ملوك الشرك تحت أقدامه ، والاعتداد بمساعي من حصونه في الجهاد ظهور جباهه وقصوره أطراف حُسامه .

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حاكم بما أراه ، حامد له في مُلك الإسلام على تيسر ما وطّده ورفع ما عراه ، معتمٍ به في كل ما أثبتته بالحق من قواعد الدين في جهاد أعداء الدين عن سيئه في ذلك وسرّاه ؛ وأن محمداً عبده ورسوله الذي جعله من عصيته الشرفه وعصيته ، وشرفه بوراثته خلافة في أمته [ورفع] قدر رتبته ، وقصره على إقامة من يُرهب العدا بنشر دعوته في الآفاق مع مواقع رغبته ؛ ويسأله أن يصلّ عليه صلاة تفتح له في الدنيا إلى العصمة طريقاً ، وتجعله في الأخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آبائه الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من البرّ المودع في قلبه ، والنور الذي أصبح فيه على يئنه من ربه ؛ والتأييد المتّقل إليه عن شرف بقربه ، والنص الذي أسره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جده العباس من بقاء هذا الأمر في ورثته دون أقاربه وصحبه ؛ لم يزل يرغب إلى الله سبحانه ويستخير في إقامة من ينهض في مُلك الإسلام حقّ النهوض ويفوض إليه الأمانة إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من

(١) أى جعل الله الخليفة من حصة النبي الخ فنه .

(٢) لله عن يرى . تأمل

أَكَّدَ الْقُرُوضَ ؛ وَمَنْ إِذَا قَالَ النَّبِيُّ يَا خَلَّ اللَّهُ أَرْكَبِي سَابَقَتْ خِيَلُهُ خِيَالَهُ ، وَجَازَتْ
عِزَائِمُهُ نِصَالَهُ ؛ وَأَخَذَ عَدُوَّ الدِّينِ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَغَالَبَ سَيْفُهُ الْأَجَلَ عَلَى اتِّزَاعِ رُوحِهِ
مِنْ بَدَنِهِ ؛ وَقَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَجَاهَدَ لِإِقَامَةِ مَنَارِ الْإِسْلَامِ لَا لِلتَّعَرُّضِ
لِلْإِعْرَاضِ الدُّنْيَا ؛ وَقَدِّمَتْ لَهُ مَلُوكُ الدُّنْيَا حُصُونَهَا ، وَبَذَلَتْ لَهُ مَعَ الطَّاعَةِ مَصُونَهَا ؛
وَأَقِيمَ لَهُ بِكُلِّ قُطْرٍ مَنْسَبٌ وَسِرِيرٌ ، وَجَمَعَ مَلُوكَ الْعِدَا فِي رِقِّ طَاعَتِهِ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ
إِذَا يَتَسَاءَلُونَ قَدِيرٌ ؛ وَمَنْ يُقِيمِ الْعَدْلَ عَلَى مَا شَرَعَ ، وَالشَّرْعَ عَلَى مَا أَخَذَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعَ ؛ وَيُمِيتُ الْبِدْعَ بِأَحْيَاءِ السُّنَنِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ خَلْقَهُ
عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَنًا وَلَا يَعْدِلُ بِهِمْ عَنْ ذَلِكَ السُّنَنِ .

وَلَمَّا كَانِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُنْصُورُ حُسَامُ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ أَبُو الْفَتْحِ « لَاحِقِينَ
الْمُنْصُورِي » - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ - هُوَ الَّذِي جَعَلَ [اللَّهُ] صَلَاحَ الْأُمَّةِ عَلَى يَدَيْهِ ،
وَأَخْتَارَهُ لِإِقَامَةِ دِينِهِ فَسَاقَ مُلْكُ الْإِسْلَامِ عَتَوَةً إِلَيْهِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِذَلِكَ وَقَدْ أَمَدَّهُ
بِجُنُودِ نَصْرِهِ ، وَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَجَمَعَ قُلُوبَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى حُبِّهِ ؛ وَتَوَقَّ
أَعْدَاءُ الدِّينِ خَوْفَ حَرْبِهِ ، وَجَعَلَ النَّصْرَ حَيْثُ تَوَجَّهَ مِنْ أَشْيَاخِهِ وَجِزْبِهِ ؛ وَنَضَّه
لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِمَلَائِكَةِ سَمَائِهِ ، وَأَقَامَ بِهِ عُمُودَ الدِّينِ الَّذِي بِالْبَيْتِ قَامَ وَلَا غَرَوُ
فَإِنَّ الْحُسَامَ مِنْ أَشْجَانِهِ ؛ وَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ طَوَائِفُ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ مُذْعِنِينَ ، وَأَدَّى
فِي كِرَامَتِهِمْ حُقُوقَ طَاعَةِ اللَّهِ الَّذِي أَيْدِهِ بَنَصْرَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَتَلَقَّاهُمْ بِشِيرِ كِرَامَتِهِ
وَنِعَمِهِ وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ؛ فَطَارَتْ مَحَلَّاتُ الْبِشَارِ بِمُلْكِهِ
فِي الْأَقَاقِ ، وَأَغْصَى الْعِدَا سُلْطَانَهُ فَمَا تَوَهَّمُوا فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ الْأَخْيَالَ حَتَّى
تَحَقَّقُوا بِمَجْدِ اللَّهِ وَيُؤْمِنَ أَيَّامَهُ الزِّفَاقِ ؛ وَأَخْتَالَتِ الْمَنَابِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَذِكْرِهِ ، وَأَعْلَنَتِ الْأُمَّةُ الْمَحْمُودِيَّةُ بِمَجْدِ اللَّهِ الَّذِي أَقْرَبَهُ الْحَقُّ فِي مَرَكَزِهِ وَرَدَّهُ بِهَ شَارِدٍ

المُلك إلى وكره؛ وتحقق أمير المؤمنين أنه المكنون في طويته والمستكن في صدره؛
والقائم في عِمارة بيته النبويّ وسلامته مقام سلمانِه وعِمارة، فعهد إليه حينئذ في كلِّ
ما تقتضيه أحكامُ إمامته في أمة نبيّه، وجعله في التصرف المطلق عنه قائمًا مقام
وصيّه في الملة ووليّه؛ وقلّده أمرَ مُلك الإسلام تقليدًا عامًا، وفوض إليه حكم
السلطنة الشريفة تفويضًا تامًّا؛ وألبسه من ذلك ما خلعه عن سواه، ونشر عليه
لواء المُلك الذي زوّى ظلّه عن غيره وطوّاه؛ وحكّمه في كل ما تقتضيه خلافته
المقدّسة، وتمّضيه إمامته التي هي على التقوى مؤسّسة : من إقامة منار الإسلام،
والحكم العام في أمة همد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ وفي تقليد الملوك والوزراء،
وتقدمة الجيوش وتأييد الأمراء؛ وفي تجهيز العساكر والسرايا، وإرسال الطلائع
والرّيايا، وتجريد الجنود الذين ما نذبهم إلى الأعداء إلا أبوا بالثّهاب والسّبايا؛
وفي غزو العدو كيف أراه الله إن شاء بنفسه أو جنده، وفي استرسال النصر بالثبات
والصبر فإن الله يجزي الصابرين وما النصر إلا من عنده؛ وفي محاصرة العدو ومصابرته،
وإنظاره ومناظرته، وإتزالم على ما شرّع الله فيهم من الأحكام، والتّوحي في ذلك
ما حكم به سعد بن معاذ في زمن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؛ وفي ضرب
المُدُن وإمضاها، والوفاء بالعقود المشروعة إلى آتاء مُدّدها وأقضاها، وفي إرضاء
السّيوف من نكت ولم يتمّ عهده إلى مدّته فإن إسقاط الكُفر في إرضائها؛ وفي الأمصار
يُقرّها من شاء من الجنود، ويعث إليها من شاء من البُعوث والحشود؛ وفي سدّاد
التغور بالرجال الذين تفتّر بهم عن شتب النصر، وتأمّن بهم أعداؤها من غوائل
الحصر، وتوفير سِمائها من سبّام القوة التي ترمي بَسَر كالفَصْر؛ وإمداد بحرها
بالشّواني المجربة المجدّده، والسفن التي كأنها القصور المهدّدة على الصّروح المردّه؛
فلا تزال تدب إليهم من دوات الأبرجل عقاربها، وتخطف غريبانهم الطائرة بأجنحة

الْقُلُوعِ مَخَالِبُهَا ، وَفِي تَقْدِيمَةِ وَتَفْهِيمِ السَّرَايَا الَّتِي لَا تَزَالُ أَسْتَبْطَأُ إِلَى مُخُورِ الْأَعْدَاءِ مُقَوِّمَهُ ،
وَأَمَّا فِي مَا يَرَاهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالخَلِيلِ
الْمُسْتَوْمَةِ ، وَفِي إِعْلَاءِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَالْإِقْيَادِ إِلَيْهِ ، وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى تَقْوُذِ حُكْمِهِ
فِيمَا لَهُ وَطِيلِهِ ، وَتَقْوِيَةِ يَدِ حُكَّامِهِ عَلَى كُلِّ أَمِيرٍ وَمَامُورٍ أَقَرَّ الشَّرْعُ فِي يَدِهِ شَيْئًا
أَوْ أَتَرَعَهُ مِنْ يَدَيْهِ ، وَتَهْوِيضِ الْحُكْمِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَتَعَيَّنُ لَذَلِكَ مِنْ أُمَّةِ الْإِمَّةِ ،
وَأَقَامَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَلَى قَوَاعِيدِهِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنْ أَتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ سَجَّةً وَآخِلَافُهُمْ
رَحْمَةً ، وَفِي مَصَالِحِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَثَلَاثَتَيْمَا الَّذِي تُسَدُّ الرِّجَالُ أَيْضًا إِلَيْهِ ،
وَفِي إِقَامَةِ سُبُلِ الْحَجِّجِ الَّذِينَ دَعَاهُمُ اللَّهُ فَلَبَّوْهُ وَأَسْتَدْعَاهُمْ فَقَدِمُوا عَلَيْهِ ، وَفَوْضَ إِلَيْهِ
كُلِّ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ خِلَافَتِهِ فِي أَرْضِهِ : مَا ذَكَرَ وَمَا لَمْ يُذَكَرْ ، تَقْوِيضًا لِأَمْرِهِ ، وَتَقْلِيدًا
جَائِزًا ، وَعَقْدًا مُحْكَمًا ، وَصَهْدًا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَالْمَسَابِينِ مُحْكَمًا ، وَأَكْتَفَى عَنْ
الْوَصَايَا بِمَا تُجِبِلُّ عَلَيْهِ خُلُقُهُ الشَّرِيفُ مِنَ التَّقْوَى ، وَهَدَى نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ إِلَيْهِ مِنَ
التَّمَسُّكِ بِالسَّنَدِ الْأَقْوَمِ وَالسَّبَبِ الْأَقْوَى ، فَمَا يُنْبِئُهُ عَلَى حَسَنَةٍ إِلَّا وَهُوَ أَسْبَقُ إِلَيْهَا ،
وَلَا يُدِلُّ عَلَى خَلَّةٍ إِلَّا وَفِكَرُهُ الشَّرِيفُ أَسْرَعُ مِنْ فِكْرِ الدَّالِّ عَلَيْهَا ، وَقَدْ وَثَّقَ بِبِرَاءَةِ
النِّمَّةِ مِنْ حَقِّ قَوْمٍ أَحْصَوْا لِفَضْلِ مِثْلِهِ رَاجِعِينَ ، وَتَحَقَّقَ حُلُولُ النِّعْمَةِ عَلَى أُمَّةٍ
أَمْسَوْا إِلَى « لَا حَيَّةَ » لَا حَيَّةَ ، وَقَدْ اسْتَخَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَثِيرًا ، وَلَحَا
إِلَى اللَّهِ فِي تَوْفِيقِهِ وَتَوْفِيقِهِ عَلَى الصَّوَابِ مَا يَجِدُهُ فِي الْحُكْمِ بِذَلِكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ،
وَسَارَعَ إِلَى التَّسْلِيمِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا فُوضَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
خَيْرًا بِصِيرًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ
هَذَا الْعَهْدُ الْكَرِيمُ ، وَحَكَمَ عَلَى الْأُمَّةِ بِمَقْتَضَاهُ فَنَزَلَ بِعَدِّ مَا مَتَّبِعَهُ فَإِنَّمَا إِمَّتُهُ عَلَى
الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ الْإِمَامِيُّ الْحَاكِمِيُّ أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ
بِمَقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى قريب منه كتب القاضى شمس الدين إبراهيم بن القيسراني عهد
الملك الناصر «محمد بن قلاوون» عن الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان .
وهذه نسخته :

هذا عهد يعمرك للإسلام المعاهد ، وينصرك منكم الاعتزام فتغنى عن الموالى
والمعايد ؛ ويُلقي إليك مقاليد الأمور : لتجتهد في مرضى الله وتجاهد ، ويعتك على
العمل بالكتاب والسنة : ليكونا شاهدين لك عند الله في أعظم المشاهد ؛ فخذ كتاب
أمير المؤمنين بقوة تبركا بأخذ يحيى عليه السلام للكتاب ، وحاسب نفسك محاسبة
تجد نعمها يوم يقوم الحساب ، وأعمل صالحا فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى
لهم وحسن مايب .

من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد أمير المؤمنين :
إلى السلطان الأجل ، العالم ، العادل ، المجاهد ، الم رابط ، المظفر ، الملك ، الناصر ؛
ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ؛
فاتح الأمصار ، مُبِيد الأَرَمَن والقَرْمُج والتَّارِب ، وارث المُلك ، سلطان العرب والعجم
والترك ؛ خادم الحرمين ، صاحب القِبْلَتَيْن ؛ أبى الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين
أعز الله سلطانه ، ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، قدس
الله روحه .

أما بعد ، فالخُد لله الذى أقام ناصر الإسلام وأهله بنجر ناصر ، وأحل في السلطنة
المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشرف العنصر ؛ ووضع الإصر بمن كثرت منه

وَمِنْ سَلَفِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الرَّايا الْأَوَّاصِرِ، وَعَقْدَ لَوَاءِ الْمُلْكِ لِمَنْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْجُودِ أَلْفٌ
فِي الْوَعْيِ، فَغَى حَالَهُ ثُعَقْدَ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرَ، وَجَمَعَ كَلِمَةَ الْأُمَّةِ بِمُتَعَدِّدٍ فِي الْمَعَالَى مُتَوَحِّدٍ
فِي الْمَقَائِرِ، مُتَّصِفٌ بِمُنَاقَبِ أَرْبَى بِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا مِنَ الْمُلُوكِ الْأَوَائِلِ وَالْآخِرِ، وَأَقْتَرِ
النَّوَاطِرَ وَالْخَوَاطِرَ بَيْنَ أَشْرَقَ طَلِيحِهَا نُورُهُ الْبَاهِرِ، وَظَهَرَتْ آثَارُ وَجُودِهِ وَجُودِهِ
عَلَى الْبَوَاطِنِ وَالظُّلُومِ، وَأَعَادَ شَيْبَةَ الْأَيَّامِ فِي أَقْبَالِ سَرِّ السَّرَائِرِ، وَسَارَتْ بِشَائِرِ
مَقْدَمِهِ فِي الْأَفَاقِ سَيْرَ الْمَثَلِ وَمَاطُنْكَ بِالْمَثَلِ السَّائِرِ، وَفَعَلَتْ مَهَابَتُهُ فِي التَّهْيِيدِ وَالتَّشْيِيدِ
فِعْلَ الْقَنَا الْمَشَاحِرِ، وَشَفَّتِ الصُّدُورَ بِوُجُودِ الْأَنْفَاقِ وَعَدِمِ الشَّقَاقِ بَعْدَ أَنْ بَلَّغَتْ
الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ، وَأَوْرَثَ الْإِلَادَةَ وَالْعِبَادَةَ صَفْوَةَ ذُرِّيَةِ وَرَثُوا السِّيَادَةَ كَارِبًا عَنْ كَارِبِ،
وَسَرَى سِرُّهُ إِذَا وَلِدَ الْمَوْلُودُ مِنْهُمْ تَهَلَّلَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَأَهْتَرَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِرُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْجِنِي سَيِّدَنَا عِجْدَا صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وَقَبِيلِهِ،
وَمَتَّعَ الْأُمَّةَ بِرِسَالَتِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْوَسِيلَةَ، وَأَوْجَبَ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ سَأَلَ
اللَّهُ لَهُ أَعْلَى دَرَجَةٍ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَهِيَ الْوَسِيلَةُ، وَجَعَلَ شَمْلَهُمْ بِمِيعَتِهِ
وَمَتَابَعَتِهِ فِي الْمَهْدَايَةِ نَظْمًا، وَحَضَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَاِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ
عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وَبَلَّغَهُمْ بِهِ مِنَ السَّعَادَةِ غَايَةَ مَطْلُوبِهِمْ، وَأَيَّدَهُ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَزَانَ شَرِيعَتَهُ الْمَطْهُورَةَ بِتَحَاسُنِ أَهْبَى مَنَظَرِهَا
وَمُخْتَبَرًا مِنَ الْعُقُودِ، وَفَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْفُوا بِالْمُؤَدِّينَ وَالْعُقُودِ، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى
حَمْلِ الْأَمَانَةِ الَّتِي أَشْفَقَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ مِنْ حَمْلِهَا، وَأَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ
الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين من سُلالة عم نبيه العباس ، وأصطفى بيته المبارك من خير أمة أخرجت للناس ؛ وقوى به جاش المسلمين وجيوش الموحدين على الملحين ، وآتاه بسيادة جده وسعادة جده مالم يؤت أحدًا من العالمين ؛ وحفظ به للمؤمنين ذمًا ، وجعله للثقين إمامًا ؛ وخصه بزيد الشرفين : نسيه ومنصبه ، وجعل منزلة الرتبين كلمة باقية في عقبه ؛ وصان به حوزة الدين صيانة العرين بالأسود ، وصبر الأيدي البيض مشكورة لحاملي رايته السود .

يحمده أمير المؤمنين حمد من آخاره من السماء فاستخلفه فى الأرض ، وجعل أمرته على المؤمنين فرضًا لتقام به السنة والقرص ، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أمرى بعبده نيلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ ويشهد أن عهدًا عبده ورسوله الذى كشف بجمته عن القلوب حجب النى ، وأشرقت أنوار نبوته فاضاء لها يوم دخوله المدينة كل شئ ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أقامه فى الإمامة مقامه وأشار إلى الاقتداء به من بعده ، ومنهم من أعز الله به الإسلام فى كل قطر مع قربه وبعده ؛ ومنهم من كانت اليد الشريفة النبوية فى بيعة الرضوان خيرًا له من يده ، ومنهم من أمر الله تعالى بالمباهلة بالأبناء والنفوس فباحل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم به وبزوجه وولده ؛ وعلى بقية العشرة ، الذين غدت بهم دعوة الحق مشهورة منتشرة ؛ وعلى عمته أسد الله وأسد رسوله عليه السلام ، وجد الأئمة المهديين أمراء المؤمنين وخلفاء الإسلام ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

وإن الله تعالى جعل تحية الأيام الشريفة الإمامية الحاكمة أدام الله إشرافها ، وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأرزاقها ؛ رد الحقوق إلى نصابها ، وإعادتها

إلى مستحقها ولو تآدَّت الأيام على اغتصابها ، وإقرارها عند مَنْ هو دُونَ الوري
أولى بها : ليحَقِّقْ أَنَّ نَسَبَهُ الشَّرِيفَ أَظْهَرَ عَلَى أَوَامِرِهِ دَلَالَتُ الْإِنْجَازِ ، وَحَلَّ كَلِمَاتِهَا
بِالْإِيجَازِ وَهَيَابِهَا بِالْإِنْجَازِ ؛ وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِسْمَ الشَّرِيفَ الْحَاكِمِيَّ فِي الْحُكْمِ بِأَمْرِهِ
عَلَى خَيْرِ مَسَمًى ، وَقَوَّى مِنْهُ فِي تَأْيِيدِ كَلِمَةِ الْحَقِّ جَنَانًا وَعَزَمًا ، وَلَمْ يُخْرِجْ مِنْ
أَحْكَامِهِ عَنْ اتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ قَضِيَّةً وَلَا حُكْمًا ؛ وَكَنتَ أَيُّهَا السَّيِّدُ ، الْعَالَمُ ، الْعَادِلُ ،
السُّلْطَانُ ، الْمَلِكُ ، النَّاصِرُ ؛ نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ ابْنُ السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ
الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، سَيِّفِ الدِّينِ قَلَاوُونَ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - أَوَّلَى الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَلِكِ
الشَّرِيفِ : لِمَا سَلَفَكَ مِنَ الْحَقُّوقِ ، وَمَا أَسْلَفُوهُ مِنْ فَضْلٍ لَا يَحْسُنُ لَهُ التَّنَاصِي
وَلَا الْعُقُوقُ ؛ وَلِأَنَّكَ أَجَبْتَ لَكَ عَلَى الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ سَابِقُ الْإِيمَانِ ، وَصَادِقُ
الْإِيمَانِ : وَلَئِنَّكَ جَمَعْتَ فِي الْمَجْدِ بَيْنَ طَارِفٍ وَتَالِدٍ ، وَفَقَّتَ بَرَكَتِي نَفْسٍ وَأَيْحَ وَوَالِدٍ ؛
وَجَلَّالَهُ ، مَا وَرِثَتْهَا عَنْ كَلَالِهِ ، وَخِلَالَ ، مَا لَهَا بِالسِّيَادَةِ إِخْلَالَ ؛ وَمِفَاحِهِ ، تَكْمُلُ الْبَحْرَ
الزَّائِرِ ؛ وَمَا ثَرَهُ ، أَنْجَزَ وَصَفُهَا النَّازِمُ وَالنَّائِرُ ؛ وَكَانَ رِكَابُكَ الْعَالِي قَدْ سَارَ إِلَى الْكَرْكِ
الْمَحْرُوسِ ، وَقَعَدَتْ عَنْكَ الْأَجْسَامُ وَسَافَرَتْ مَعَكَ النَّفُوسُ ؛ وَوَقَّعَتْ الْخَوَاطِرُ بِأَنَّكَ
إِلَى السُّلْطَانَةِ تَعُودُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِدُّ لَكَ صُعُودًا إِلَى مَرَاتِبِ السُّعُودِ ؛ وَأَقَمْتَ بِهَا
وِزْرَكَ فِي الْآفَاقِ سَائِرَ ، وَالْأَمَالَ مَبَشِّرَةً بِأَنَّكَ إِلَى كُرْمِي تَمْلِكُنِيكَ صَائِرَ . فَلَمَّا أَحْتَاجَ
الْمَلِكُ الشَّرِيفُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَى مَلِكٍ يُسَرُّ سَرِيرَهُ ، وَسُلْطَانٍ تَقْدُو بِاسْتِقْرَارِهِ عِيُونَ
الْأَنَامِ وَالْأَيَّامِ قَرِيرَهُ : لِمَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ مِنْ تَبْسِيرِ أَوْتَاطَرٍ وَتَحْمِيلِ أَوْطَانِ ،
وَلِأَنَّهُمْ لَا يَتَقَنَّنُونَ فِي الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ؛ لَمْ يَذَرُ فِي الْأُذْهَانِ ، وَلَا خَطَرَ
لِقَاصِ وَلَا دَانَ ؛ إِلَّا أَنَّكَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالسُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَوَّلَاهُمْ بِرِثَتِهَا الْمُتَنِيهِ ؛
وَلَا ذَكَرَ أَحَدٌ إِلَّا حَقُّوقَ بَيْتِكَ وَفَضْلَهَا ، وَلَا قَالَ عَنْكَ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ : (وَكَانُوا أَحَقُّ
بِهَا وَأَهْلُهَا) : لِأَنَّ الْبِلَادَ فَتَوَحَّثُ سُيُوفُكُمْ ، وَرَعَايَاهَا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْأَمْنِ وَالْخَيْرِ

بَنَزَلَةُ ضُيُوفِكُمْ ؛ وَلَآئِنْ الْعَسَاكِرَ الْإِسْلَامِيَّةَ اسْتَرْقَقَهُمْ وَلَاؤُكَ ، وَوَالَوْكَ لَانْهَم أَرْقَاؤُكَ ؛
فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : أَتَى لَه الْمُلْكُ عَلَيْنَا ؟ بَلْ أَتَى كُلُّ مَنْهُمْ لَكَ بِالْيَدِ وَقَرِيبًا لَيْتَ حِينًا ؛
وَأَخْلَصُوا فِي مُوَالَاتِكَ الْعَقَائِدَ ، وَاسْتَبَشَرُوا مِنْكَ بِمُبَارَكِ الْوَجْهِ مَا جَدَّ جَائِدٌ ؛ وَلَمْ يَغِبْ
غَائِبٌ خَلِيقَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَّهُ الصَّاعِدُ ؛ وَرَفَعَتْ الْمَمَالِكُ يَدَ الضَّرَامَةِ سَائِلَةً وَرَاغِبَةً ،
وَخَطَبَتْكَ لِعَقَائِلِهَا وَمَعَاقِلِهَا وَالْخُطْبَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ لَكَ خَاطِبَةٌ وَبِدَعَائِكَ مُحَاطِبَةٌ ؛
وَقَصِدْتُ لَذَلِكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا تَزَالُ تُقَصَّدُ ، وَدُعِيتَ لِلْعَوْدِ الْمُبَارَكِ وَعَوْدُ مُحَمَّدٍ لِلْأُمَّةِ
الْحَمِيدَةِ أَحْمَدٌ ؛ وَفَعَلْتَ الْجَيُوشَ الْمَنْصُورَةَ مِنْ طَاعَتِكَ كُلِّ مَاسَرٍ ، وَأَرْبَتَ فِي صِدْقِ
النِّيَّاتِ وَرَبَّهَا عَلَى كُلِّ مَنْ بَرَّ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقَاتَا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا * فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْتَبِهَاتُ

فَا ضَرَّ مُحَمَّدٌ اللَّهُ بَعْدَ الدَّارِ وَالْأَمَالِ بِسَاكِينِهِ مُطِيفُهُ ، بَلْ كَانَ لَكَ الذِّكْرُ فِي قَلْبِ
الْخَلِيفَةِ نِعَمَ الْخَلِيفَةِ ؛ وَكَنْتَ لَدَيْهِ - وَإِنْ غِيبَتْ - حَاضِرًا بِجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَثَابَتْ دَارَا
فَقَرَّبَكَ إِلَيْهِ حُسْنُ التَّصْوِيرِ فِي الْفِكْرِ . وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ شَاهَدَكَ بِإِفَاعَا ، وَشَهِدَ
خَاطِرُهُ أَنَّ سَتِيرَ السُّلَمَيْنِ نَافِعَا ؛ وَتَأَمَّلْ مِنْكَ أَمَانَةَ أَحْمَى لَهَا لَتَرْقِيكَ أَمَلَا ، وَهَلَا لَا
دَلَّتْهُ كِرَامَتُهُ سِوَا تَشْكُرَ الْكَرَامَةِ عَلَى أَنْ سَيَكُونُ بِدَرَا كَامِلَا ؛ وَبَلَّغَهُ عَنْكَ مِنَ الْعَسَلِ
وَالْإِحْسَانِ ، مَا عَجَزَ وَصَفُهُ بِلَاغَتِي الْقَلَمِ وَاللِّسَانِ ؛ فَنَادَاكَ نِدَاءَهُ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ ،
وَلَمْ يَجِدْ لَكَ نَظِيرًا فَاطَالَ وَأَطَابَ لِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ الْإِنْتِظَارِ ؛ إِلَى أَنْتِ أَقْدَمْتِ
إِقْدَامَ اللَّيْتِ ، وَقَدِمْتَ إِلَى الْبِلَادِ الْمَتَعَطِّشَةِ إِلَى نَظَرِكَ الشَّرِيفِ قُدُومَ الْغَيْثِ ؛
فَلَاحَ بَكَ عَلَى الْوُجُودِ دَلِيلُ الْفَلَاحِ ، وَجَدَّ الرِّعَايَا سُرَاكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْإِسْتِصْبَاحِ ؛
وَشَاهَدُوا مِنْكَ أَسَدًا فَاقَ بَوَائِيَهُ وَبَيَّاتِيَهُ الْأَوَّلَ ؛ وَشَخْصًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْإِدَالَةِ دَوْلَ
وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْمُشْلَةِ الدَّوَلِ ؛ وَقَامَتْ بِاخْتِيَارِكَ عَلَى اخْتِيَارِكَ الدَّلَالُ ، وَعَرَفَكَ

سرير الملك وعرف فيك من أهلك شمائل ؛ ورأى أمير المؤمنين من تجاتك فوق
ما أخبرته به مسألة الركان ، ومن مهاتك مادل على خفض الشاي وفع الشان ؛
ومن محامدك كل ما صغر الخبر عنها الخبر ، وأعلنت السنة الأقدار بأنه لم يبق
عن تقليدك المالك الإسلامية بحمد الله تعالى عذري فاختارك على علم على العالمين ،
وأجبتك للنب عن الإسلام والمسلمين ، وأستخار الله تعالى في ذلك فخار ، وأفاض
عليك من بيعته المباركة مع نورك المشتير حلل الفخار وعهد إليك في كل ما أشتئت
عليه دعوة إمامته المعظمة ، وأحكام خلافته التي لم تزل بها عقود المالك في الطاعة
منظمه ، وفوض إليك سلطنة المالك الإسلامية برا وبحرا ، شاماً ومضراً ، قريبا
وبُعيداً ، غوراً وتجداً ، وما سيفتحه الله عليك من البلاد ، وتستقيده من أيدي
ذوي الإلحاد ؛ وتقليد الملوك والأوزراء ، وقضاة الحكم العزيز وتأمير الأمراء ؛ ويجيز
العساكر والبُعوث للجهاد في سبيل الله ومحاربة من ترى محاربة من الأعداء ،
وموادته من ترى مهادنته منهم ؛ وجعل إليك في ذلك كله العقد والحل ، والإبرام
والنقض والولاية والعزل ؛ وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم في تسليم المالك إليك مقام
الإقليد ، ويقضى لقرينها ويعيدها بمشيئة الله تعالى بمزيد التمهيد والتشديد : تعلم أن
الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمة - أدامها الله تعالى - فلما أبدى سائقاً من
البيت الشريف المنصوري أممرا ، وأطلع منهم آتفا بئرا ملا الحافقين أنواراً ؛ فكلماً
ظهرت لسلقه ما تروبت ما تروخلفه أظهر ، ومن شاهدتهم وشاهد شمس سعادته
المتزعة عن الأقول قال هذا أكبر ؛ وكلما ذكر لأحلم فضّل عليم أنه في أيامه
متريّد ، وأنه إن مضى منهم سيد في سبيله ، فقد قام بأطراف الأسته منهم سيد ؛
وصير الدولة الشريفة الخليفة غاباً إن غاب منهم أسود ، خلقهم شبل بشرت
بحاليله أنه جليها يسود .

فَلْيَقْلِدِ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرَ مَا قَلَّدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلْيَكُنْ لِدَعْوَتِهِ الْهَادِيَّةُ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ وَعَلَيْهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَلْيَتَرَقَّ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي اسْتَحَقَّهَا بِحَسَبِهِ ، وَأَسْتَرْفِهَا بِنَسَبِهِ ؛ وَلْيَبْأِشْرِهَا مُسْتَبَشِرًا ، وَيُظْهِرْ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا مَا يَغْنُو بِهِ مُسْتَظْهِرًا ؛ فَقَدْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِيَامَ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ الْخَنيفِ فَأَقَامَكَ أَنْتَ مُقَامَهُ ، وَصَرَفَ بِكَ بَيْنَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالْمِصْصِيافِ إِكْرَامَهُ وَأَنْتِقامَهُ ؛ رَعِيًّا لِعَهْدِ سَلَفِكَ الْكَرِيمِ ، وَلَمْ أَسْتَوْجِبْهُ نَفْسُكَ النَّفِيسَةُ مِنْ وُقُورِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ ؛ وَعِنَايَةً بِالْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الَّذِينَ وَجَّهُوا وَجُوهَ آهَالِهِمْ إِلَيْكَ ، وَأَبَتْ كَلِمَتُهُمْ الَّتِي صَانَهَا اللَّهُ عَنْ التَّفَرُّقِ أَنْ تَجْتَمِعَ فِي الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَدَيْكَ ؛ وَمِنَّةً عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانِ مَا بَرَّحُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَطْلُبُونَهُ ، وَمَلَكَ تَسْتَوُوا بِأَبْوَابِهِ الْعَالِيَةِ فَلِهَذَا يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ .

فَاحْمَدِ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي جَعَلَ لَكَ فِي إِعَادَةِ الْمُلْكِ أَسْوَدَ سُبُلَانٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَدَّهُ إِلَيْكَ رَدًّا لَا انْقِصَالَ لِعُرْوَتِهِ وَلَا انْقِصَامَ ، فَاضْخِيتَ لِأُمُورِ عِبَادِهِ سَدَادًا ، وَلِثَغُورِ بِلَادِهِ سِدَادًا ؛ وَلِخَلِيفَةِ عَضُدٍ فِي الْخَلِيقَةِ ، وَفِي الدَّهْرِ سَامِيِ الْحَقِيقَةِ حَامِيِ الْحَقِيقَةِ ؛ وَلِلْمُلْكِ وَارثًا ، وَرَفَاقًا رُفِيًّا أَصْبَحَتْ بِهِ فِي السُّلْطَانَةِ وَاحِدًا وَخَلَّافَةً الْمَعْظَمَةِ ثَانِيًا وَلِلْقَمَرِينَ ثَالِثًا .

وَبُشْرَاكَ ! أَنَّ اللَّهَ أَرَمَ سَبَبَ تَأْيِيدِكَ إِبْرَاهِيمًا لَا تَصِلُ الْأَيْدَى إِلَى تَقْضِهِ ، وَأَنَّكَ سُلِّمْتَ عَنْ أَمْرِ طَالَمَا أَتَعَبَ فَيْرَكَ سُؤَالُهُ فِي بَعْضِهِ ؛ وَأَنَّ اللَّهَ يُحْسِنُ لَكَ الْعَوْنَ وَبِكَ الصَّوْنُ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سُمْرَةَ ! لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنِ اعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكُنْتَ لِإِلَهِهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْطِيَْتَ طَلِبَهَا “ .

وبشارك ! أن أمير المؤمنين خَصَّكَ بمزيد الاعتناء ، وأقامك مُقامَه في حُسن
الْعَمَلِ ، وَحَقَّقَ أَنَّ السَّعَادَةَ في أيامه مَوْصُولَةٌ مِنْكُمْ بِالْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، وَبَلَّغَكَ بِهَذَا
التَّقْلِيدِ الشَّرِيفِ الْأَمَانِي ، وَتَوَجَّهَ بِمِيزَانِ قَرِيبَةٍ عَهْدِ بَاسْتِلَامِ الرُّكْنِ الْإِمَانِي ؛
وَأَصْطَفَاكَ بِقَلْبٍ أَظْهَرَ لَهُ الْكُشُوفَ لِإِشْرَاقِ تِلْكَ السُّتُورِ ، وَغَدَا مَغْمُورًا بِالْهُدَايَةِ
بِزَكَاةِ الْبَيْتِ الْمُعْمُورِ ، وَنَظَرَ زَادَتْهُ مَشَاهِدَةُ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ النَّبَوِيِّ نُورًا عَلَى نُورٍ ؛
فَقَابَلَ ذَلِكَ بِالْقِيَامِ فِي مِهْمَاتِ الْإِسْلَامِ ، وَتَدَقَّقَ النَّظَرَ فِي مَصَالِحِ الْخَلَصِ وَالْعَامِ ؛
وَأَجْتَنَدَ فِي صَيَانَةِ الْمَالِكِ أَجْتِنَادًا يَحْرُسُ مِنْهَا الْأَوْسَاطَ وَالْأَطْرَافَ ، وَتَنْظِمُ بِهِ
أَحْوَالَهَا أَجَلَ أَنْتِظَامٍ وَتَأْلِيفٍ أَجْمَلَ أَتْلَافٍ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَوَّلَاهَا تَقْوَى اللَّهِ : فَلْيَجْعَلْهَا حِلْيَةً لِأَوْقَاتِهِ ، وَيُحَافِظْ عَلَيْهَا
مَحَافِظَةً مِنْ يَتَّقِيهِ حَقَّ تَقَاتِهِ ؛ وَيَتَّخِذْهَا نَجِيَّةً فِكْرَهُ وَأَنْيَاسَ قَلْبِهِ ، وَيُعَظِّمُ حُرُمَاتِ اللَّهِ :
(وَمَنْ يُعَظِّمِ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) .

وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ فَهُوَ لِعَقْدِ الْإِسْلَامِ نِظَامٌ ، وَلِلدِّينِ الْقِيَمَ قَوَامٌ ؛ فَتَجَنَّبْ
فِي أَتْفَاءِ سَنَتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِمَفْرُوضِهِ وَسُنَنِهِ ؛ وَتَكْرِيمِ أَهْلِهِ وَقُضَائِهِ ، وَالتَّوَسُّلِ بِذَلِكَ
إِلَى اللَّهِ فِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ .

وَأَمْرَاءُ دَوْلَتِكَ فَهَمُ أَنْصَارُ سَلَفِكَ الصَّالِحِ ، وَذُرُوءُ النَّصَائِحِ فِيمَا آثَرُوهُ مِنَ الْمَصَالِحِ ؛
وَحُلَصَاءُ طَاعَتِهِمْ فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ، وَأَعْوَانُهُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ؛ وَهَمُ الَّذِينَ أَحَلَّهُمْ
وَالِدُكَ مِنَ الْعِنَايَةِ الْحَقِّ الْأَسْنَى ، وَالَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ بِحُسْنِ الطَّاعَةِ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى ؛
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا حُسْنُ الْوَفَاءِ ، لَكَفَّاهُمْ عِنْدَكَ فِي مَزِيدِ الْأَعْتَادِ وَالِاسْتِكْفَاءِ ؛ فَإِنَّهُمْ
جَادِلُوا فِي إِقَامَةِ دَوْلَتِكَ وَجَالِدُوا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ فَهَمُ الْمُؤَفَّقُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ؛
وَهُمُ لِلْوَصَايَا يَخْدُمُونَكَ وَأَعُونَ ، وَفِيمَا أَتَمَّتْهُمْ عَلَيْهِ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ؛ فَدَأَّبْهُمْ

لك النِّبَاتِ بظُهُرِ الْغَيْبِ ، وأَخْلَصُوا الطُّيُوتِ إخْلَاصاً لاشكَّ معه ولا رَيْبَ ؛
وَنَابُوا عَنْكَ أَحْسَنَ مَنَابٍ ، وَكَفُّوا كَفَّ الْعُدُوِّ طَالاً لَهُ لَا قِرَاسَ وَلَا أَخْلَاسَ
طَفُرُ وَلَا نَابٍ ؛ وَأَتَّخَذُوا لِمِ بَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَكَ يَدَا ، وَأَتَّلُوا لَهُمْ بِهِ تَجْمِداً بَيْنَ
حَدِيثِهِ الْحَسَنِ الصَّحِيحِ عَنْهُمْ مُسْتَمَلَا .

فَاسْتَوَيْسَ بِهِمْ وَبَسَائِرِ عَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ خِيَرَا ، وَأَجْمَلَ لَهُمْ سِرَّةً وَفِيهِمْ سَيَرَا ؛
وَأَخَذَهُمْ عَقْبَى هَذِهِ الْخَلْمَةِ ، وَأَوْرَدَهُمْ مَنَهَلٍ لِحَسَانٍ يُضَاعِفُ لَهُمُ التَّعْمَةَ وَالنَّعْمَةَ :
لَتُؤَكِّدَ طَاعَتَكَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَتَّقُوا بِحُسْنِ الْمَكَانَةِ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ . وَلَتُرْدَادَ أَوَامِرُكَ وَنَوَاهِيكَ آمِنَتِلَا ، وَلَا يَجِدُوا عَنْ حُبِّهِ أَيَّامَكَ
الشَّرِيفَةِ أَتِفَالَا ، وَلَيَقَالَ فِي حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ وَإِحْسَانِكَ : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا .

وَأَمَّا الْغَزْوُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا أَوْجَبَهُ فِيهِمَا قَوْلُهُ : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا
وَثِقَالًا ﴾ ، فَأَقْلُ مَا يُجْزَى فَرَضَ الْكِفَايَةِ مِنْهُ مَرَّةً فِي كُلِّ عَامٍ ، وَأَمَّا فَرَضُ الْعَيْنِ
فُجُوبُهُ عَلَى ذَوِي الْإِسْطِطَاعَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَامٌ ؛ وَقَدْ عَرَفْتَ سَنَنَ السُّلْطَانِينَ
الشَّهِيدِينَ : وَالِدِكَ وَإِخِيكَ سَقَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُمَا فِي الْإِحْتِنَاءِ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ ، وَغَزْوِهِمْ
فِي عُقْرِ الدَّارِ ؛ وَمَوْقِفَ أَحَدِهِمَا فِي مَوْطِنِ زَلَّتْ فِيهِ الْأَقْدَامُ عَنِ الْإِقْدَامِ ، وَاجْتَمَعَ
فِيهِ الْكُفْرُ عَلَى الْإِسْلَامِ ؛ وَشَابَ مِنْ هَوَاهُ الْوَلِيدِ ، وَمُصَابَرَتُهُ تُجَاهَ سَيْفٍ مِنْ سُيُوفِ
اللَّهِ تَعَالَى الْإِمَامِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ؛ وَأَسْتَفْئَاذًا لِأَحْرَ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي أَتَقْذَاهَا اللَّهُ
مِنْ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ عَلَى يَدِ الصَّلَاحِينَ ، وَفَتَحَ لَهَا أَبْوَابَ الْبِحْثَةِ بِرِكَاتِ الْإِفْتِتَاحِينَ ؛
وَأَنَّ وَالِدَكَ وَأَخَاكَ سَدَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْعِجَاجِ ، وَطَهَّرَا مِنْ أَرْجَاسِهِمُ الْعَذَبَ الْفَرَاتِ
وَالْمَلَحَ الْأَجَاجِ ؛ فَالْكَلَامُ الْمَنْصُورِيُّ ، أَبَادَتِ التَّارَ بِالسُّيُوفِ الْمَشْرِقِيَّةِ ؛ وَالْمَالِكُ

الإسلامية، زَهَتْ نِظَامًا بِالْفَتْوحَاتِ الْأَشْرَفِيَّةِ؛ فَاجْتَهَدَ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ أَتَمَّ
أَجْتِهَادٍ، وَعَزَّزَهَا بِثَلَاثٍ فِي الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ .

وَأَمَّا الرِّعَايَا بَعِيدُهُمْ وَقَرِيبُهُمْ ، وَمَسْتَوِطُهُمْ وَغَرِيبُهُمْ ، فَيُوفِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَةِ
حَظَّهُمْ ، وَيُنْزِلُ صِيَابَتَهُمْ وَحِفْظَهُمْ ؛ وَكَأَنَّ رَأْيَ الْحَقِّ لَهُ فَلَيْسَ الْحَقُّ عَلَيْهِ ، وَيُحَسِّنُ إِلَى
رَعَايَاهُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْعَدْلُ فَإِنَّهُ لِلْبِلَادِ عِمَارُهُ ، وَلِلْإِسْعَادَةِ أَمَارُهُ ، وَلِلْآخِرَةِ مَنَاجِدُهُ مِنَ النَّفْسِ
الْأَمَارُهُ ؛ فَلْيَكُنْ لَهُ شِعَارًا وَدِتَارًا ، وَلْيُؤَكِّدْ مَرَامِيهَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْمَحَافَظَةِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا يُذَكِّرُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَيُسَكِّرُ .

وَالْحُدُودَ الشَّرْعِيَّةَ فَلْيُحَلِّ بِإِقَامَتِهَا لِسَانَهُ وَطَرَسَهُ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا بِتَقْصُصِ
وَلَا زِيَادَةٍ (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) . وَاللَّهُ يَخْلُدُ لَهُ رُتْبَةُ الْمُلْكِ
الَّتِي أَعْلَى بِهَا مَقَامُهُ ، وَيُدِيمُهُ نَاصِرًا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ فَأَنْصَارُهُ لَا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَيَجْعَلُ سَبَبَ هَذَا الْعَهْدِ الشَّرِيفِ مَدَى الْأَيَّامِ مَتِينًا ، وَيَجْعُدُ لَهُ
فِي كُلِّ وَقْتٍ نَصْرًا قَرِيبًا وَقَتًا مُبِينًا . وَالْخَطُّ الْحَاكِي أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ ، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



وعلى نحو من ذلك كتب القاضي جلاء الدين بن عبد الظاهر عن المستكني بالله ،
أبي الربيع سليمان ، عهد الملك المظفر ركن الدين "بيرس المنصوري" الجاشنكير .
رواهم نسختي :

هذا عهدٌ شريفٌ أنتظمت به عقود مصالح الملك والممالك، وأبتست ثغور الثغور ببيئته التي شهدت بصحتها الكرام الملائك؛ وتمسكت النفوس بحكم عقده النضيد ومهرم عقده النظيم، ووجعت بميثاقه فتركت الألسن مستفتحة بقول الله الكريم: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْانٍ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

الحمد لله الذى جعل الملة الإسلامية تأوى من سلطانها إلى ركنٍ شديد، وتحوى من متابعة مظفرها كل ما كانت ثرومه من تأييد التأييد، وتروى أحاديث النصر عن ملك لا يمل من نصرة الدين الخليفة وإن ملّ الحديد من الحديد؛ مؤتى ملكه من يشاء من عباده، وملقى مقاليدته للولى الملى بقمع أهل عناده؛ وما يحى من لم يزل بعزائمه ومكامره مرهوبا مرهوبا، ومؤليه ومؤليه من غدا محبوا من الأنام بواجب الطاعة محبوا، ومفوض أمره ونهيه إلى من طالما صرف خطبه عن حى الدين أخطارا وخطوبا .

والحمد لله مجرى الأقدار، ومظهر سر الملك فيمن أضحى عند الإمامة العباسية بحسن الاختيار من المصطفين الأخيار؛ جامع أشعثات الفقار، ورافع لواء الاستظهار؛ ودافع لأواء الأضرار، يميل الإلتجاء إلى ركن أسمى بقوة الله تعالى على المنار، وإلى المبارز، بادى الآثار الجميلة والإينار .

والحمد لله على أن قلد أمور السلطنة الشريفة لكافلها وكافيا، وأسند عقدها وحلها لمن يدرى بكريم فطنته وسليم فطوته عواقب الأمور من مبادئها، وأيد الكفاية الإيمانية بمن لم تزل عواليه تبليغها من دوى الأمانى مآليها .

يحمد أمير المؤمنين على إعلاء كلمة الإيمان بأعيان أخوانها، وإعزاز نصرها بأركان تشييدها وتشيد أركانها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

لا يبرح الأليسة ترويا والقلوب تتويها، والمواهب تُجزل لقاظها تتويلا وتتويها؛
ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أكل نبي وأفضل مبعوث، وأشرف مؤرث لأجل
مؤرث؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنبي بركاتها وتم، وتحص حسنتها
وتعم؛ ورضى الله عن عمه العباس جد أمير المؤمنين، وعن آباءه الأئمة المهديين؛
الذين ورثوا الخلافة كابرا عن كابر، وسمت ووسمت باسمائهم ونعتهم ذرى المنابر.

أما بعد، فإن الله عز وجل لما علق بولانا أمير المؤمنين مصالحي الجمهور، وعقد
له البيعة في أعتاق أهل الإيمان فزادهم نورا على نور، وأورثه عن أسلافه الطاهرين
إمامة خير أئمة، وكشف بمصابرته من بأس العدا ظلام كل عمه؛ وأنزل عليه
السكينة في مواطن النصر والفتح المدين، وثبتته عند ترزق الأقدام وثبت به قلوب
المؤمنين؛ وأفاض عليه من مهابة الخلافة ومواجهها ماهو من أهله، وأتم نعمته عليه
كما أتمها على أبويه من قبله - بايع الله تعالى على أن يختار للتعليم على البرايا،
والتحكيم في الممالك والرايا؛ من أسس بنيانه على التقوى، وتمسك من خشية الله
تعالى بالسبب الأقوى؛ ووقف عند أوامر الشرع الشريف في قضائه وحكمه،
ونفض لأداء فرض الجهاد بمعالى عزمه وحزمه؛ وكان المقام الأشرف العالي،
المولوي، السلطاني، الملكي، المظفري، الركني؛ سلطان الإسلام والمسلمين،
سيد الملوك والسلاطين؛ ناصر الملة المحمدية، محيي الدولة العباسية؛ أبو الفتح
«بيبرس» قسيم أمير المؤمنين: أعز الله تعالى ببقائه حي الخلافة وقد فعل، وبلغ
في بقاء دولته الأمل - هو الملك الذي أعقد الإجماع على تفضيله، وشهدت مناقبه
الطاهرة باستحقاقه لتحويل الملك إليه وتحويله؛ وحكم التوفيق والاتفاق بترقيته

إلى كُرسى السلطنة وصُعوده ، وقضت الأقدارُ بأن يُلقَى إليه أمير المؤمنين أزيمة
عهوده ؛ والذي كم خَفَقَتْ قلوبُ الأُمَادي عند رُؤية آياتِ نصره ، ونطقت ألسنةُ
الأقدارِ بأن سيكونُ ملكَ عصره وعزيزَ مضره ؛ وأهترت أعطافُ المنابرِ شوقاً لاختيار
باسمه ، وأعترتِ الممالكُ بمن زاده الله بسطةً في علمه وجسمه ؛ وهو الذي ما برح
مُدُنُنا يُجاهد في الله حقَّ جهاده ، ويساعدُ في كل معركةٍ بِمُهَفَّاتِ سُيوفه ومتلفاتِ
صِغاده ؛ ويُسدَى في المِجْباءِ صَفْحَتَهُ لِلصَّفاحِ فيقيه الله ويُقيه : ليجمله ظلُّه على
عباده وبلاده ، فيُرْدِي الأعداءَ في مواقفِ تاييده فكَمَ عَفْرُ من خدِّ الملوكِ الكُفْرُ
تحت سَنابكِ جِياده ، ويشغى بِصُدُورِ سُيوفه صُدُورَ قومِ مؤمنين ، ويسقي ظِلَّاهُ
أَسْتَهَ فيرويا من مَوردِ وريدِ المشركين ؛ ويُطْلِعُ في سماءِ الملكِ من غُررِ آرائه
نِزَارِيتَ لا تَأْكُلُ ولا تَقُورُ ، ويُظْهِرُ من مَواهبِ ومَهَابَتِهِ ما تُحَسِّنُ به الممالكُ وتُحْصِنُ
الثُّغُورُ ؛ فإِ من حِصْنِ استغلقه الكُفْرُ إلا وسيفُهُ مِفْتَاحُهُ ، ولا ليلِ خَطْبُ دَجَا
إلا وغُرْمَتُهُ الميمُونَةُ صَبَاحُهُ ؛ ولا عَزَّ أَمَلُ لأهلِ الإسلامِ إلا وكان في رأيه المسدِدُ
نِجَاحُهُ ، ولا حَصَلَ خَلٌّ في طَرَفٍ من الممالكِ إلا وكانَ بِمَشِيئَةِ الله تعالى وبَسَدَادِ
تدبيرِهِ صَلاحُهُ ؛ ولا أَتَقَى مَشْهُدُ عَدُوِّ إلا والملائكةُ الكِرامُ بِمُظَافَرَتِهِ فِيهِ أَعْلَلُ
شُهودِهِ ، ولا تَجْدَدُ فتوحُ للإسلامِ إلا جَادَ فِيهِ بِنَفْسِهِ وأَجَادَ ؛ (والْجُودُ بِالنَّفْسِ
أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ) .

كَمَ أَسْلَفَ في غَزْوِ أعداءِ الدِّينِ من يومِ أَعْرُجُجَلْ ، وأنفقَ مَالَهُ أَتْبَاءَ مَرْضَاةِ
اللهِ سَبْعَانَهُ فَنَازَلَ الفَخْرَ المَجْجَلُ والأَبْرَ المَوْجَلُ ؛ وأُخِيا من مَعَالِمِ العُلُومِ ودَوَارِسِ
المدارسِ كُلِّ دائِرَةٍ وَحَقَّهُ إِيْمَانُهُ على عِمَارَةِ بُيُوتِ الله تعالى الجامعةِ لِكُلِّ تَالٍ

وذاكر : ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) . وهو الذى مازالت
الاولياءُ تَتَخَيَّلُ تَحَايِلَ السُّلْطَنَةِ فى اَحْطافِهِ مَعْنَى وَصُورِهِ ، والأعداءُ يَرُمُونَ إطفاءَ
ما أفاضه الله عليه من أشعة أنواره : ((وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) . طاملاً تطاولت
إليه أعناقُ الممالك فأعرض عنها جانباً ، وتطفلت على قُربِهِ فكان لها - رعايةً
لذمة الوفاء - مُجَانِباً ؛ حتى أَذِنَ اللهُ سبحانه لكلمة سلطانهِ أَنْ تُرْفَعَ ، وحكم له بالصُّعود
فى دَرَجِ الْمُلْكِ إلى المحلِّ الأعلى والمكانِ الأرفع ، وأدى له من المواعب ما هو على
أَسْمِهِ فى ذخائر الغيوب مستودع .

فعمد ذلك استخار الله تعالى سيّدنا ومولانا الإمامَ المستخفى بالله أمير المؤمنين
أبو الربيع سليمان ، أبْنُ الإمام الحاكم (وذكر نسبه على العادة) جعل الله خلافة
كلمة باقية فى حَقِّهِ ، وأمتع الإسلامَ والمسلمين بشرقٍ حَسْبِهِ ونسبِهِ ؛ وعهد إلى
المقام العالى السلطانى بكلِّ ما وراء سرير خلافتِهِ ، وقلده جميع ما هو مقلده من أحكام
إمامتِهِ ؛ وبسطَ يده فى السلطنة المعظّمة ، وجعل أوامره هى النافذة وأحكامه هى
المُحكِّمة ؛ وذلك بالديار المصرية ، والممالك الشامية ، والفراتية ، والجلبية ، والساحلية ،
والقلاعية والثغور المحروسة ، والبلاد المجازية ، واليمانية ، وكلِّ ما هو إلى خلافة
أمير المؤمنين منسوب ، وفى أقطار إمامتِهِ محسوب ؛ وألقى إلى أوامره أزيمة البسط
والقبض ، والإبرام والنقض ، والرفع والخفض ؛ وما جعله الله فى يده من حُكْم
الأرض ، ومن إقامة سُنة وفرض ؛ وفى كلِّ هبة وتمليك ، وتصرف فى ولاية أمور
الإسلام من غير شريك ؛ وفى تولية القضاة والحكام ، وقضل القضاة والأحكام ؛
وفى سائر التحكّم فى الوجود ، وعقد الأكلوية والبُنود ؛ وتجنيد الكتائب والجنود ،

وتجهيز الجيوش الإسلامية من التأييد إلى كلِّ مقام محمود ؛ وفي قهر الأعداء الذين
 ترجو بقوة الله تعالى أن يَمَكِّنَهُ من تَوَاصِيهِمْ ، وَيَحْكُمَ قَوَاضِيَهُ في أَسْتِزَالِهِمْ من
 صِيَاصِيهِمْ ، وَأَسْتِثْصَالِ شَافَةِ عَاصِيهِمْ ؛ حَتَّى يَجُوزَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَصَابِيحِ سُيُوفِهِ
 سَوَادَ خُطُوبِ الشَّرْكَ الْمُذْمَمَةِ ، وَتَغْدُو سَرَايَاهُ فِي أَقْتِلَاعِ قِلَاعِ الْكُفْرِ مُسْتَمْتِمَةً ؛
 وَتُرْهِبُهُمْ خَيْلُ بَعُوْثِهِ وَخِيَالُهَا فِي الْيَقْظَةِ وَالنَّمَامِ ، وَيُدْخُلُ فِي أَيَّامِهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ
 «مَدِينَةَ السَّلَامِ» بِسَلَامٍ - تَفْوِيضًا نَامًا عَامًا ، مَنْصُودًا مُنْظَمًا مُحْكَمًا مُحْكَاً ؛ أَقَامَهُ مَوْلَانَا
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ مُقَامَ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَسْتَشْهَدُ الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ فِي ثُبُوتِ هَذِهِ
 الْبَيْعَةِ الْمُنِيْفَةِ .

فَلْيَتَقَلَّدَ الْمُقَامَ الشَّرِيفَ الْعَالِي السُّلْطَانِي - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ - عَقْدَ هَذَا الْعَهْدِ الَّذِي
 لَا تَطْصَحُ لِمِثْلِهِ الْأَمَالُ ، وَلَيْسَتْ تُسَمِّكَ مِنْهُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا أَفْصَامَ لَهَا وَلَا أَفْصَالَ ؛
 فَقَدْ عَوَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَيْنِ أَرَاكِ الْوُثْقَى الْمَابِرِحَةِ الْأُمَمُ بِهَا فِي الْمُعْضَلَاتِ تَسْتَشْفِي ،
 وَاسْتَكْفَى بِكَفَايَتِكَ وَكَفَالَتِكَ فِي حِيَاطَةِ الْمُلْكِ فَاحْضَى ؛ وَهُوَ بِذَلِكَ الْمُسْتَكْفَى ؛
 وَهُوَ يَقْصُ طَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْوَصَايَا أَحْسَنَ الْقَصَصِ ، وَيُنْصُ لَدَيْكَ مَا أَنْتَ آخِذٌ مِنْهُ
 بِالْعَزَائِمِ إِذَا أَخَذَ غَيْرُكَ فِيهِ بِالرَّخْصِ ؛ فَإِنْ نُبِّهْتَ عَلَى التَّقْوَى فَطَلَا تَمَسَّكَتَ مِنْهَا
 بِأَوْثِقِ عُرْوِهِ ، وَإِنْ هُدَيْتَ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ فَمَا زِلْتَ تَرْتَفِعُ مِنْهُ أَشْرَفَ ذُرُوهِ ؛
 وَإِنْ أَسْتَرْهَقْنَا عَزَمَكَ الْمَاضِي الْغِرَارِ ، وَأَسْتَدْعِينَا حَزَمَكَ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ دَهْرُكَ
 وَأَسْتَنَارَ ، فِي إِقَامَةِ مَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ نَبِيِّهِ وَأَمْرِهِ فِي كُلِّ حَكْمٍ
 وَتَصْرِيفٍ ، فَمَا زِلْتَ - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَكَ - قَائِمًا بِسُنَّتِهِ وَفَرْضِهِ ، دَائِبًا فِي رِضَا
 اللَّهِ تَعَالَى بِإِصْلَاحِ عَقَائِدِ عِبَادِهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَمَا يَرِيحُ مِيقَتُكَ الْمَظْفَرُ لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ
 خَادِمًا ، وَلِمَوَادِّ الْبَاطِلِ حَاسِمًا ، وَلَا تُؤَوِّفُ ذَوِي الْبِدْعِ رَاغِمًا ؛ فَكُلُّ مَا تُوصِيكَ بِهِ

من خير قد جُلبت عليه طبائعك ، ولم يزل مشتتاً فيه ساعدك ممتداً إليه بأعك ؛ غير
 أنا نورد لمعة أقتضاها أمر الله تعالى في الإقتداء بالتذكرة في كتابه المبين ، وأوجبها
 نص قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ شَتَّىٰ تَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وينسدرج تحت أصولها
 فروع يستغني بدقيق ذهنه الشريف عن نصها ، وبفكره الثاقب عن قصها ؛ فأعظمها
 للآفة نفعاً ، وأكثرها للباطل دفعا ، الشرع الشريف : فليكن - أعز الله نصره -
 عاملاً على تشييد قواعد إحكامه ، وتنفيذ أوامره أحكامه ؛ فالسعيد من قرّن أمره
 بأمره ، ورضى فيه بملو الحق ومُره . والعدل فلينشر لواءه حتى يأوى إليه الخائف ،
 وينكف برّده حيف كل حائف ؛ ويساوى في ظله النقي والفقير ، والمأمور والأمير ؛
 ويمسح الظلم في أيامك وقد تهمت ناره ، وعقت آثاره .

وأهم ما احتفلت به العزائم ، واشتملت عليه هم الملوك العظام ، واشترعت له
 الأيسنة وأرهفت من أجله الصوارم ؛ أمر الجهاد الذي جعله الله تعالى حصناً
 للإسلام وجنته ، واشترى فيه أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ؛ فخذ له الجنود واجمع
 له الكائب ، وأقض في موافقه على الأعداء من بأسك بالقواضي القواضب ؛
 وأغزهم في عُقر الدار ، وأرهف سيفك البتار : لتأخذ منهم للساكين بالنار . والثغور
 والحصون ، فهي سِرّ الملك المصون ، وهي معاقل النفوس إذا دارت رحى الحرب
 الزبون ؛ فليقلد أمرها لكفاتها ، ويخص حمايتها بجماها ، ويضاعف لمن بها أسباب
 قوتها ومادة اقواتها . وأمراء الإسلام وجنود الإيمان فهم أولياء نصرك ، وحفظة
 شامك ومضرك ؛ وحزبك الغالب ، وفريقك الذين تفرق منهم قلوب العدا في المشارق
 والمغرب ؛ فليكن المقام العالی السلطانی - أعزه الله تعالى - لأحوالهم متفقدا ،
 وبسوط وجهه لم متوددا ؛ حتى تتأكد لمقامه العالی طاعتهم ، وتجدد لسلطانه العزيز

ضَرَعْتُهُمْ . وأما غير ذلك من المصالح ، فما بَرِحَ تَدِيرُهُ الجَمِيلُ لها يَنْفَعُ ورَأْيُهُ الْأَصْبَحُ بها يُشِيرُ ، فلا يَحْتَاجُ مع علمه بَعَوَامِضُهَا إِلَى إِضْاحِهَا (وَلَا يُنْشِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ) .
والله تعالى يَنْصُصُ دولته من العدل والإحسان بأَوْفَرِ نَصِيبٍ ، وَيَمْنَحُ سُلْطَانَهُ مَا يَرْجُوهُ
من النصر المَعْجَلِ والفتح القَرِيبِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى .

المذهب الثاني

(أَنْ يَفْتَحَ الْعَهْدَ بِلَفْظِ « مِنْ فُلَانٍ » بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ الْخِلَافَةِ ،
« إِلَى فُلَانٍ » بِاسْمِ السُّلْطَانِ وَكُنْيَتِهِ وَلَقَبِ السُّلْطَانَةِ كَمَا فِي الْمَكْتُبَاتِ ،
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ بِلَفْظِ « أَمَا بَعْدُ »)

ثم تَارَةً يَأْتِي بَعْدَ الْبَعْدِيَةِ بِتَحْمِيدٍ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : « أَمَا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ » وَيَتَخَلَّصُ
إِلَى ذِكْرِ أَمْرِ الْوَلَايَةِ وَمَا يَخْطُرُ فِي سِلْكِهَا ؛ وَتَارَةً يَأْتِي بَعْدَ الْبَعْدِيَةِ بِخُطَابِ الْمَوْلَى
وَالدَّعَاءِ لَهُ ، وَيَتَخَلَّصُ إِلَى مَقَاصِدِ الْعَهْدِ : مِنَ الْوَصَايَا وَغَيْرِهَا ، عَلَى اخْتِلَافِ مَقَاصِدِ
الْكُتُبِ ، وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتِ الْعُهُودُ فِي دَوْلَةِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ .

قلت : وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ هَذَا الْمَذْهَبُ فِيمَا إِذَا كَانَ الْمَعْهُودُ إِلَيْهِ غَائِبًا عَنْ حَضْرَةِ
الْخَلِيفَةِ : لِأَنَّ الْعَهْدَ يَصِيرُ حِينَئِذٍ كَالرَّسَالَةِ الصَّرِيحَةِ إِلَيْهِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ بِحَضْرَتِهِ
فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي مَعْنَى الرَّسَالَةِ الصَّرِيحَةِ .

وعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الطَّائِعِ اللَّهِ عَهْدَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ
شِيرْزِيكَ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيَّهِ ، وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

من عَبدِ اللَّهِ « عَبدِ الْكَرِيمِ الْإِمَامِ الطَّائِعِ لِلَّهِ » أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى شِيرْزِيكَ بْنِ
عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجِ الْمَلَّةِ أَبِي شُجَّاعٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :

سلام عليك ، فإنَّ أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصليَّ على محمّد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطال الله بقاءك ، وأدام عزّك وتأييدك ، وسعادتك ونعمتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك - فإنَّ أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كل وليٍّ أحمد مذهبِهِ ، وأرضى ضرائبه ؛ وأنصرف عن الدنيا متمسكاً بطاعته ، متديناً بمشايسته ، حقيقاً بالمتوحّده ، وحرماً بالمتهمّده ؛ فيمن يخلفه بعده من ولدٍ أمل أن يرث عنه عمله ، ويقوم فيه مقامه ؛ وفاء لأهل الولاية ، وتصرفاً على أحكام الرعايه ؛ وسياقة للصليحة من سالف إلى خالف ، وإمضاء من تالٍ إلى طارف . هذا على الأمر الجامع ، والعموم الشامل ؛ فإذا اتفق أن تنتهي ورائته القرب إليه ، والمنازل لديه ، إلى التجباء الإفاضل ، والحصفاء الأماثل ؛ الذين يستحقّون استئناف الإصطناع لهم ، واستقبال التفويض إليهم بالمناقب الموجودة فيهم ؛ لو انفردت حما حازوه عن آبايهم وأوليايهم ، أجرى أمير المؤمنين ما يفيض عليهم من الأيادي ، ويرقيهم إليه من هضاب المعالي ، مجرى الأمر الواجب الذي كثرت الدواعي إليه ، واتفق الرأي والهوى عليه ؛ وتطابق الإيثار والإختبار فيه ، وأقترن الصواب والسداد به ؛ وأشرتكم المسامون في استئثار فائدته وعائده ، والانتفاع بتأديته وطاقته ؛ والله يخيّر لأمر المؤمنين فيما يفضيه من العزائم ، ويبيئه من الدطام ؛ ويعتد به من المصالح ، ويتوخّاه من المناسج ؛ إنه على ذلك قدير ، وبه جدير ؛ وهو حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل .

وقد علمت - أدام الله عزّك وأمتع أمير المؤمنين بك - أن شجرة بيتك [هي] التي تمكّنت في الخدمة أصولها ، والفضيلة منوطاً بها ، وأسباب الثمام والدوام مجمعة فيها ؛

فلذلك سَبَّغَتِ النعمة عليكم، وأمتدَّ ظلُّها إليكم؛ ونُقِلَتْ فيها أقداحُكم، وتوفَّرت منها حُظُوظُكم؛ فنداءتموها بينكم كإِبراً عن كابر بمساعيكم الصالحة، ومناهيكم الواضحة؛ وتعاضدكم على ما لم تشعَّتْ الدولة الجامعة، وطُرف عنها الأعيى الحاسده؛ وكان شيخك عضد الدولة، وتاج المله؛ أبو شجاع رضوان الله عليه، صاحب الرتبة الرُعي عند أمير المؤمنين وهماهما، والتمتطى غاريها وسنامها؛ فعاش ماعاش مشكورا محمودا؛ ثم ألقب إلى لقاء ربه سعيدا رشيدا؛ وأوجب أمير المؤمنين لك وله منك الحلو بمكانه، وحياة خطره وشانه؛ إذ كنت أظفر ولده، وأول المستحقين لوراثته؛ وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضيات لأن يفوض الأمور إليك، ويعتمد فيها عليك؛ من كفاية وغناء، واستقلال ووفاء؛ ومياسة وتذير، وشهامة وتسمير؛ وتصرف على طاعة أمير المؤمنين، وإشبال^(١) على إخوانك أجمعين؛ وحسن أثر فيما أفعد أشرِك فيه، وإفاضة آمن فيمن أمضيت ولايتك عليه؛ وإحاطة بدلائل الحوالة، وتحليل الأصالة؛ بمثلها ثل الغايات الأقاصى، وتفرع الذوائب والنواصي؛ فتوَلَّى أمير المؤمنين تلك المأثرة، وخوَلَك تلك المفخرة، وجعل أخاك مضمَما الدولة، وشمس المله؛ أبا كاليبجار - أمتع الله [بك] أمير المؤمنين - بك تأييده، والمتقدم بعدك على ولد أبيك؛ وأجرا كما في التطبيق بينكما والتقدير لما نزلكما على مثل ماجرى الأمر طيه بين ركن الدولة أبى على ومعز الدولة أبى الحسين سالفًا، ثم بين عضد الدولة وتاج المله أبى شجاع ومؤيد الدولة أبى منصور آخا؛ تولاهم الله بالرحمة؛ ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمة؛ وخَصَّك أمير المؤمنين بعد ذلك بما يُحسُّ به ذو القدر الشاخ والقدم السابِقة، والمحلة السامية؛ فذكرَكَ بالتكنيه، ورفعَكَ عن التسميه؛ ولقبَكَ لقبين: أحدهما «شرف الدولة» لتشريفه بك أوليائه

الذين أوطأهم عَيْبِكَ ، وأَعْلَقَهُمْ حَبْلُكَ ، والآخِرَ «زَيْنَ الْمِلَّةِ» لِزَيْنَةِ أَيْمَانِهِ بِمَالِكَ ،
وتَضَاعَفَ جَمَالُهَا بِمَسَاعِيكِ ؛ وَعَقَدَ لَكَ يَدَهُ لَوَائِنَ يَلْوِيَانِ إِلَيْكَ الْأَعْنَاقَ بِالطُّورِ
مِنْ مَرَّاهِ وَأَبْهَجَاهِ ، وَالكَرَاهِ مِنْ رَاعَاهِ وَأَزْبَجَاهِ ؛ وَأَمَرَ بِأَنْ تُقَامَ لَكَ الدَّعْوَةُ عَلَى مَتَابَرِ
مَدِينَةِ السَّلَامِ وَمَا يَجْرِي مَعَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ بَيْنَ الدَّعْوَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ
الدَّعْوَةِ لَصُفْصَامِ الدَّوْلَةِ وَشَمْسِ الْمِلَّةِ ؛ أَمَتَعَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَاءَ ، وَأَحْسَنَ الدَّفَاعَ .
لَهُ عِنَّا : إِلْحَاقًا لَكَ وَلَهُ بِذَلِكَ بِأَيْبِكَ فِيمَا كَانَ شُرْفَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي لَمْ يَتْلُفْهَا
ضِرُّهُ ، وَلَا أَهْلَ لَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَأَنْ يَثْبُتَ ذِكْرُكَ بِاللَّقَبِ وَالْكُنْيَةِ فِيمَا يُنْقَشُ مِنْ
سِكِّكَ السَّيْنِ وَالْوَرِقِ فِي دُورِ الضَّرْبِ بِإِدْيَا ، وَذِكْرُ صُفْصَامِ الدَّوْلَةِ - كَلَامًا عَمَّا أَلَّفَهُ -
تَالِيًا . وَحَبَّالَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ ذَلِكَ بِمُخْلَعِ تَامَةِ تَقَاضٍ عَلَيْكَ ، وَفَرَسِينَ مِنْ جِيَادِ حَيْلِهِ
يُقَادَانِ إِلَيْكَ ؛ بِمَرْكَبَيْهِ ذَهَبَ مِنْ خَاصِّ مَرَاكِبِهِ ، وَمُسَيِّفٍ مَاضٍ مِنْ خِيَارِ أَسْيَافِهِ ؛
يُعِزُّ اللَّهُ مَنَاصِبَكَ بِنَجْدَاتِهِ ، وَيُلِّلُ مَنَاكِبَ أَعْدَائِكَ بِفِرَارِيهِ ، وَطُوقَ وَسَوَارِيهِ .
وَأَنْ تُجْرَى فِي الْمَكَاتِبِ عَنْهُ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي أَجْرَى أَبُوكَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَهَذَا الْكَلَامُ
نَاطِقٌ بِهَا وَدَالٌّ عَلَيْهَا . وَتَدَبُّ لِإِبْصَالِ الْجَمِيعِ إِلَيْكَ عَلَى بَنِّ الْحُسَيْنِ الْهَاشِمِيِّ الزَّيْنِيِّ ،
وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ حَاجِبِهِ وَوَحْيِ خَادِمِهِ ؛ فَتَلَقَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ وَزَيْنَ الْمِلَّةِ
وَأَبَا الْقَوَارِسِ [ذَلِكَ] - أَدَامَ اللَّهُ عَزْرَكَ - بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ مِنْ تَهْنِئَةِ اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ،
وَمِرَاقَبَتِهِ فِي قَوْلِكَ وَعَمَلِكَ ، وَابْتِغَاءِ رِضَاهِ فِي مَخْلُجِ خَطَرَاتِكَ وَفِكْرِكَ ، وَاتِّبَاعِ
طَاعَتِهِ فِي مَخَارِجِ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ؛ وَقَابِلِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ، بِالشُّكْرِ
الَّذِي مَوْقَعُهُ مِنَ النِّعْمَةِ مَوْقِعُ الْقِرَى مِنَ الضُّبَيْفِ ، فَإِنْ وَجَدَهُ لَمْ يَدُمَ ، وَإِنْ قَدَّه
لَمْ يُقَمْ ، وَأَمْدُدْ عَلَى مَنْ وَلَّيْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ظِلَّكَ ، وَوَطِّئْ لَهُمْ كَفِّكَ
وَأَعْمُرْهُمْ بِطَوْلِكَ ، وَسُئِسْهُمْ سِيَاسَةً يَكُونُ بِهَا صَلَاحُهُمْ مَضْمُونًا ، وَحَرِيمُهُمْ مَضُونًا ؛
وَبَلِّغْهُمْ مَعْمُورَهُ ، وَمَنَاصِبَهُمْ مَوْفُورَهُ ؛ وَحَلِّبْهُمْ دَأْبًا ، وَصَيِّبْهُمْ رَغْدًا ؛ وَتَفَنِّوْهُمْ

مُسْتَوْدَعٌ ، وَأَعَادِيهِمْ مُنْوَدَعٌ ؛ وَمَسَالِكُهُمْ مَحِيَّةٌ ، وَمَسَاكِنُهُمْ مَرْجِيَّةٌ ؛ وَمُرْتَمٍ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْتَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ وَأَبْعَثَهُمْ عَلَى الْحَسَنَاتِ ، وَآكَفَفَهُمْ عَنِ السَّيِّئَاتِ ؛ وَسَاوَى فِي الْحَقِّ بَيْنَ شَرِيفِهِمْ وَمُسْرُوفِهِمْ ، وَقَوِيَّتِهِمْ وَضَعِيفِهِمْ ؛ وَقَرِيبِهِمْ وَغَرِيبِهِمْ ؛ وَمِلَّتِهِمْ وَذَمِيَّتِهِمْ ؛ وَقَوْمَ سَفَهَاءِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ ، وَأَنْفَ دُعَاهِهِمْ وَخُرَابِهِمْ ؛ وَآكْرَمَ صَلَاحَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ ، وَشَاوَرَ فُضْلَاءَهُمْ وَعُقَلَاءَهُمْ ؛ وَجَالَسَ أَدْنِيَاءَهُمْ وَأَعْلِيَاءَهُمْ ؛ وَأَنْلَهُمْ مَرَاتِبَهُمْ ، وَنَزَّلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ ؛ وَأَرِيَهُمْ تَمَسُّكَكَ بِالْدينِ لِيَقْتُلُوا بِكَ فِيهِ ، وَرَغَبَتَكَ فِي الْخَيْرِ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَيْكَ بِهِ ؛ وَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَاهُ ، وَأَبْسَطَ الْعَدْلَ وَقُلَّ بِهِ ؛ وَأَدْرَأَ الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ ، وَأَقْبَحَهَا بِالْيَنَاتِ : لَتَكُونَ الرِّغْبَةُ إِلَيْكَ فِي رَغَبٍ ، وَالرَّهْبَةُ مِنْكَ فِي رَهَبٍ ؛ وَبِالْجَمَلَةِ فَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - وَآدَابِهِ ، وَسُنَنِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ جَعَلَ كِتَابَهُ هَذَا عَهْدًا إِلَيْكَ ، وَحِجَّةً لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ وَأَنَّ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاحِيَ فِي الْمَعْرِضِ تَكُونُ كَثِيرَةً ؛ وَإِنَّمَا قَصَّرْتَنِي عَنْ اسْتِيفَائِهَا ، لِإِرْتِفَاعِ طَبَقَتِكَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى اسْتِيفَائِهَا ، وَلِخُرُوجِ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ فِي تَضَمِينِهِ هَذِهِ الْجَمْلَ مِنْهَا ؛ فَإِذَا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْكَ مَعَ كَرَامَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا لَكَ ، فَالْبَسْ خِلْعَهُ ، وَتَقَلَّدْ سَيْفَهُ ، وَتَحَلَّ بِحِلْيَتِهِ ، وَأَبْرُزْ لِمَنْ يَلِيكَ عَلَى حُمُلَانِهِ ^(١) ، وَأُظْهِرْ لَهُمْ ضُرُوبَ إِحْسَانِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ؛ وَأَنْصِبْ أَمَامَكَ اللَّوَامِينَ ، وَتَكُنْ وَتَقَلَّبْ بِاللِّقَبِّينِ ؛ وَكَاتِبٌ مِنْ تَكَاتِبِ مَنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ مُتَقَلِّبًا بَيْنَهُمَا مَتَكْنِيًا ، إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْأَدَبَ أَنْ لَا تَكْتُبَهُ مُتَقَلِّبًا بَلْ مَسْمُومًا ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَاقِصًا لَكَ فِيمَا أُعْطِيْتَهُ ، وَلَا مَرْتَجِمًا شَيْئًا مِمَّا حُسِنَتْهُ ؛ وَلَكِنَّهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالرَّسْمُ الْمَأْلُوفُ ؛ وَصِلْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ

(١) في القاموس ما نصه « والحملان ما يحمل عليه من الدواب في الحق خاصة » .

ضمّصام الدولة وشمس الملة - أدام الله الإمتاع بكما - بالموّده، كما وصله الله بالأخوة؛
وكونًا جميعًا يدًا في طاعة أمير المؤمنين، وأستقيًا على كلمة سواء في رعاية المسلمين؛
وأتممًا على مسالمة المسلمين، وتعاضدًا في محاربة المخاريين؛ فإت ذلك أرباب
للصّدق، وأحمم للبشر، وأنظّم للشّمل، وألّقى بالأهل . وأقيم الدعوة لتفكّك على
منابر المهالك بعد إقامتها لأمر المؤمنين؛ وكاتب أمير المؤمنين بأخبارك، وطالعه
بأخبارك؛ وأستدع أمره فيما أستعجم من التدبير عليك، ورأيه فيما أستبهم من الأمور
دُونك؛ وأسترشه إلى الحظّ يرشدك، وأستده في الخطوب يهّدك؛ وأستمه
من المعونة يُمددك، وأشكر آلاءه يزِدك؛ إن شاء الله تعالى .

أطال الله بقاءك وأدام عزّك وتأييدك، وسعادتك ونعمتك؛ وأمتع أمير المؤمنين
بك وبالرّغبة فيك وعندك؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



وعلى هذا النّسخ كتب القاضي الفاضل عهد أسد الدين شيركوه بالوزارة
عن العاضد الفاطميّ، والوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة على ما تقدّم ذكره،
وهذه نسخته :

من عبد الله وولّيه، عبد الله أبي محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين،
إلى السيد، الأجلّ، الملك، المنصور، سلطان الجيوش، وليّ الأمّة، نغري الدولة،
أسد الدين، كافل قضاة المسلمين، وهادئ دُعاة المؤمنين؛ أبي الحرث شيركوه
العاضديّ، عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين؛ وأدام قدرته،
وأعلى كلمته :

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يحدُّ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلِّي على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فالحمد لله القاهر فوق عباده ، الظاهر على من جاهر بعباده ، والقادر الذي يعجز الخلق عن دفع ما أودع ضمائر القلوب من مراده ، القوي على تقريب ما عزيت الهمم باستيعاده ، المثلِّ بمحسن الجزاء لمن جاهد في الله حقَّ جهاده ، مؤتي الملك من يشاء بما أسلفه من ذخائر رشاده ، ونازعه ممن يشاء بما أقرفته من كجائر قساده ، منجد أمير المؤمنين بمن أمضى في نصرته العزائم ، وأستقبله الأعداء بوجوه الندم وظهور الهزائم ، وفعلت له المهابة ما لا تصنع الهمم ، وعلت آثاره على الدنيا ما تحمله الأنوار على الظلم ، وعلمت نظرائه بما وُجد من محاسنه التي فاق بها ملوك العرب والعجم ، وأنتقم الله به ممن ظلم نفسه وإن ظنَّ الناس أنه ظلم ، وذاد عن موارد أمير المؤمنين من هو [منه] أولى بها ويأبى الله سبحانه إلا إمضاء ما حتم ، ورأى إخفاء فضائله وهل يشترط طيب المسك إلا إذا أكتُم ؟ مؤيد أمير المؤمنين بإمام أقر الله به عينهم ، وقضى على يده من نصرة الدين دينهم : ﴿ لو أنفقَت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ .

والحمد لله الذي خصَّ جدنا محمداً بشرف الإصطفاء والإجتباء ، وأنهضه من الرسالة بأثقل الأعباء ، وذخر له من شرف المقام المحمود أشرف الأنبياء ، وأقام به القسطاس ، وطهر به من الأدناس ، وأيده بالصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ،

(١) كذا في الأصول ولله ما أقرفت ، تأمل .

وَأَلَسَ شَرِيعَتَهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ أَحْسَنَ لِبَاسٍ ؛ وَجَعَلَ الثَّوْرَ سَارِيًّا مِنْهُ فِي عَقِبِهِ لَا يَنْقُصُهُ كَثَرَةُ الْإِقْبَاسِ : ﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ يُقُومُ فِي أُمَّتِهِ مَقَامَهُ ، وَهَدَى بِمَرَّاشِدِ نُورِهِ إِلَى طُرُقِ دَارِ الْمَقَامَةِ ، وَأَوْصَحَ بِهِ مَنَارَ الْحَقِّ وَأَعْلَامَهُ ؛ وَجَعَلَهُ شَهِيدَ عَصْرِهِ ، وَجُجَّةَ أَمْرِهِ ؛ وَبَابَ رِزْقِهِ ، وَسَبِيلَ حَقِّهِ ؛ وَشَفِيعَ أَوْلِيَائِهِ ، وَالْمُسْتَجَارَ مِنَ الْخُطُوبِ بِلَوَائِهِ ، وَالْمُضْمُونَةَ لِلْيَوْبَةِ الْعُقْبَى ، وَالْمَسْئُولَ لَهُ الْأَجْرُ فِي الْقُرْبَى ؛ وَالْمَقْتَرَضَ الطَّاعَةَ عَلَى كُلِّ مَكْلَفٍ ، وَالْغَايَةَ الَّتِي لَا يُقْصَرُ عَنْهَا بَوْلَاؤُهُ إِلَّا مِنْ تَأَخَّرَ فِي مِضَارِ النِّجَاةِ وَتَخَلَّفَ ؛ وَالْمَشْفُوعَ الذِّكْرَ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْهَادِيَ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مَسْتَقِيمٍ ؛ لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِخِفَارَةٍ وَلَوَائِهِ ، وَلَا يَصُلُّ مِنْ أَسْتِضَاءِ بَأْنِجْمِ هِدَايَتِهِ إِلَّا بِعَمَلٍ وَلَا دُنْيَا إِلَّا مَعَهُ : لِيَتَّضِحَ النِّهَجُ الْقَائِدُ ، وَلِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى الْجَاهِدِ ؛ وَلِيَكُونَ لَشَيْعَتِهِ إِلَى الْجَنَّةِ نَعْمُ الشَّافِعِ وَالرَّائِدِ ، وَلِيَأْتِيَ اللَّهُ بِهِ بُيُوتَ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَلِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ .

يُحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا حَبَاهُ مِنَ التَّائِيدِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ ، وَأَنْتَشَرَ فِيمَ نَفْعِهِ الْبَشَرِ ؛ وَالْإِظْهَارِ الَّذِي أَشْتَرَكُ فِيهِ جُنُودَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْإِظْفَارِ الَّذِي عَقَدَ اللَّهُ مِنْهُ عَقْدًا لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحْكَامُ النَّقْضِ ، وَالْإِتِّصَارِ الَّذِي أَبَانَ اللَّهُ بِهِ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ .

وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَّ عَلَى مَسِيدِنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ، الْمَبْعُوثِ رَسُولًا فِي الْأُمِّيِّينَ ؛ الْهَادِيَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، الْمُسْتَقِلَّ بِبَيِّنَاتِهِ أَسْتَقْلَالَ عَوَائِرِ الْجُدُودِ ، وَالْمَعْدُودِ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ عَلَى أَهْلِ الْوُجُودِ ؛ وَالصَّافِيَةِ بِشَرِيعَتِهِ مَشَارِعُ النِّعَمِ ، وَالْوَاضِحَةِ بِهِ الْخَفِيفَةُ الْبَيَضَاءُ

(١) المستقل . من استقل الشيء إذا ارتفع يريد أن بيانه مرتفع يرتفع عوائر الجدود .

لَقَلَّا يَكُونُ أَمْرُ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ عُمْهُ ؛ وَعَلَى أَيْبِنَا أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَاصِرِ شَرِيعَتِهِ وَقَسِيمِهِ فِي النَّسَبِ وَالسَّبَبِ ، وَبِدِ الْحَقِّ الَّتِي حُكِمَ لَهَا فِي كُلِّ طَلَبٍ بِالْعَلَبِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا وَسَائِطِ الْحَكَمِ ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمِ وَمَفَاتِيحِ النِّعَمِ ، وَالْمُخَفِّقِينَ دَعْوَى مِنْ بَاهَاثُمْ وَفَاتَرِ ، وَالْبَاذِلِينَ جُهَنَّهُمْ فِي جِهَادٍ مِنْ أَنْتَحَدَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ؛ وَسَلَّمْ وَرَدَّدْ ، وَوَالِي وَجَدَّدْ .

وإن أمير المؤمنين لِمَا قَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِنْ لِبَالَةِ الْخَلِيقَةِ ، وَمَنْعَهُ مِنْ كَرَمِ السَّجِيَةِ وَكَرَمِ الْخَلِيقَةِ ؛ وَبَسَطَهُ مِنْ يَدِهِ عَلَى أَهْلِ الْخِلَافِ ، وَأَنْجَزَهُ مِنْ مَوْعُودِهِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ إِخْلَافٌ وَلَا إِخْلَالٌ ؛ وَأَوْصَحَهُ مِنْ بَرَاهِينِ إِمَامَتِهِ لِلْبَصَائِرِ ، وَحَفِظَ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ طَلَبَةِ الْمُبَادِيِّ وَسَافَةِ الْمَصَارِيْ ؛ وَأَوْرَثَهُ مِنَ الْمَقَامِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ فِي عَصَرِهِ ، وَاسْتَعْدَمَ فِيهِ السُّيُوفَ وَالصُّرُوفَ مِنْ تَأْدِيَةِ فَرَائِضِ نَصَرِهِ ؛ وَأَعْلَاهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ ، الَّتِي لَا يَحِلُّ مِنْهَا زَمَنٌ ، وَظَاهَرَهُ مِنَ الْكَرَامَاتِ ، الَّتِي زَادَتْ عَلَى أُمْنِيَّةِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَأَتَمَّنَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ النُّبُوَّةِ الَّتِي رَأَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا أَشْرَفَ مُودَعٍ وَطِيلَهَا أَكْرَمَ مُؤْمِنٍ ؛ وَأَجْرَى عَلَيْهِ دَوْلَتَهُ مِنْ تَذَلُّلِ الصَّعَابِ وَتَسْهِيلِ الطَّلَابِ ، وَتَفْلِيسِ أَحْزَابِ الشُّرْكِ إِذَا اجْتَمَعُوا كَمَا اجْتَمَعَ عَلَى جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلُ الْأَحْزَابِ يَوَاصِلِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ التَّوَامِ ، وَيَعْرِفُ بَعَوَارِفَهَا الْفَرَادِي وَالْتَّوَامِ ؛ وَيَقْتَمُّ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ عَمَلٍ رَغْبَةً إِلَيْهِ فِي إِضْطِحَ الْمَرَاشِدِ ، وَنِيَّةً لَا تَضِلُّ عَنْهَا الْهَدَايَةُ وَلَا سِيًّا وَهُوَ النَّاشِدُ ؛ وَيَسْتَنْزِيهِ عَالِمًا أَنَّهُ يَقْتَمُّ إِلَيْهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ ، وَيُنَاجِيهِ فَيُطْلِمُهُ الْإِلَهَامُ عَلَى مَا يَحِلُّ السَّيْرِ وَيَحِلُّ الْغَيْرِ ؛ وَيَأْخُذُ بِيَدِ اللَّهِ حَقَّهُ إِذَا اغْتَضَبَتْ حَقُّوقَهُ ، وَيَسْتَنْجِدُ بِاللَّهِ إِذَا اسْتُجِيعَ خِلَافُهُ وَأَسْتُجِيزَ عَقُوبُهُ ؛ وَيَفْزَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا قَرَعَ الصَّارِ ، وَيَرْثِي بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا اسْتَهْلَكَتِ الشُّبَّةُ الْبَصَائِرَ ؛ فَمَا اعْتَرَضَ لَيْلُ كُرْبَةٍ إِلَّا أَنْصَدَعَ

له عن بَحْرِ وَضَاح ، ولا آتَقَصَّ عَقْدُ غَادِرٍ إِلَّا عَاجِلَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِأَمْرِ فَضَاح ؛
ولا آتَقَطَمَتْ سُبُلُ نُصْرَةٍ إِلَّا وَصَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِنِ يُرْسِلُهُ وَلَا أَنْصَدَعَتْ عَصَا أَلْفَةٍ
إِلَّا تَدَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِنِ يَجْزِدُهُ تَجْرِيدَ الصَّفَاح ؛ وإذا عَدَدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ النِّعَمَ
الْحَسِيمَةَ ، وَالنِّعَمَ الْكَرِيمَةَ ؛ وَاللِّطَائِفَ الْعَظِيمَةَ ، وَالْعَوَارِفَ الْعَمِيمَةَ ؛ وَالْآيَاتِ
الْمَعْلُومَةَ ، وَالْكَفَايَاتِ الْمُحْتَوَمَةَ وَالْمَعَادَاتِ الْمُنْظُومَةَ ؛ كُنْتَ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ -
أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَكَ ، وَأَعْلَى كَلِمَتِكَ - أَعْظَمَ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى أَثَرًا ، وَأَعْلَاهَا خَطَرًا ،
وَأَقْضَاهَا لِلْأُمَّةِ وَطَرًا ؛ وَأَحَقَّهَا بِأَنْ تَسْمَى نِعْمَةً ، وَأَجْدَرُهَا بِأَنْ تُعَدَّ رَحْمَةً ؛ وَأَسْمَاهَا
أَنْ تُكْشَفَ عَمَّهَ ، وَأَنْضَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَأَمَضَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ
حَدًّا ، وَأَبْذَاهَا فِي الْجِهَادِ جَدًّا ؛ وَأَعْدَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ يَدًّا ، وَأَحْسَنَهَا فَعْلًا لِلْيَوْمِ
وَأَرْجَاهَا غَدًّا ؛ وَأَفْرَجَهَا لِلْأَزْمَةِ وَقَدْ كَادَتِ الْأُمَّةُ تَصِيرُ سُدًى ، وَأَحَقَّ الْأَوْلِيَاءِ
بِأَنْ يَدْعَى لِلْأَوْلِيَاءِ سَيِّدًا ، وَأَبْقَاهُمْ فَعْلَةً لَا يَنْصِرِمُ فِعْلُهَا الَّذِي بَدَأَ أَبَدًا .

فَلْيَهَيْتُكَ^(١) أَنْكَ حَزْبُ اللَّهِ الْغَالِبِ ، وَشِمَابُ الدِّينِ الثَّاقِبِ ، وَسَيْفُ اللَّهِ الْقَاضِبِ ؛
وظَلُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَسْدُودِ ، وَمَوْرِدُ نِعْمَتِهِ الْمَوْرُودِ ، وَالْمَقْدُمُ فِي نَفْسِهِ وَمَا تُؤْتِرُهُ إِلَّا
لَأَجَلٍ مَعْدُودٍ ؛ نَصْرَتُهُ حِينَ تَنَاصَرَ أَهْلُ الضَّلَالِ ، وَهَاجَرَتْ إِلَيْهِ هَاجِرًا بَرْدُ الزَّلَالِ
وَبَرْدُ الظَّلَالِ ؛ وَخُضَّتْ بِحَارُ الْأَهْوَالِ ، وَفِي يَدِكَ أَمْوَاجُ الْبَصَالِ ؛ وَهَا فِي جَيْدِكَ الْيَوْمِ
عَقْدُ جَوَاهِرٍ مِنْهُ وَنَقَمُ لَالٍ ، بَلْ قَدْ بَلَنْتَ السَّمَاءَ وَزَيَّنْتَ مِنْكَ بِخُيُومِ نَهَارٍ لَا تُجُومُ
لَيْلًا ، وَكَشَفْتَ التَّهَاءَ وَهِيَ مُطْبِقَةٌ ، وَرَفَعْتَ نَوَاطِرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهِيَ مُطْرِقَةٌ ؛
وَعَقَصْتَ أَعْنَةَ الطُّغْيَانِ وَهِيَ مُطْلَقَةٌ ، وَأَعَدْتَ بِخُنْكَتِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَالِيَةِ بَهْجَةً
شَبَابِهَا الْمُؤْتَقَةِ ؛ وَأَنْقَذْتَ الْإِسْلَامَ وَهُوَ عَلَى شَفَى جُرُفٍ هَارٍ ، وَفَقَدْتَ حِينَ لَا تَقْذُ

(١) فِي الْأَسْلَافِ لَهَيْتُكَ . وَفِي اللِّسَانِ ج ١ ص ١٨٠ « وَالْعَرَبُ قَوْلُ لَهَيْتُكَ الْقَارِسُ بِجَزْمِ الْهَمْزَةِ

وَلَهَيْتُكَ الْقَارِسُ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ وَلَا يَجُوزُ لَهَيْتُكَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ » - فَتَبَهُ .

السَّهَامِ عَنِ الْأَوْتَارِ؛ وَسَمِعَتْ دَعْوَتَهُ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ، وَأَبْصَرَتْ حَقَّ اللَّهِ بِبَصِيرَتِكَ وَلَمْ
 مِنْ أَنَاسٍ لَا يَرُونَهُ بِأَبْصَارٍ؛ وَأَجْلَيْتَ طَاغِيَةَ الْكُفْرِ وَسِوَاكَ أَجْتَذَبَهُ، وَصَدَقْتَ اللَّهُ
 سُبْحَانَهُ حِينَ دَاهَنَهُ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ وَكَذَّبَهُ؛ وَأَقْلَمْتَ عَلَى الصَّلِيبِ وَجْهَاتِهِ مَتَوَقِّدَهُ،
 وَقَاتَلْتَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ وَعَمَرَاتِهِ مُتَمَرِّدَةً؛ وَمَا يَوْمُكَ فِي نَصْرَةِ الدَّوْلَةِ بِوَاحِدٍ،
 وَلَا أَمْسُكَ بِمَجْهُودٍ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الْجَاهِدِ؛ بَلْ أُوجِبْتَ الْحَقَّ بِهَجْرَةِ بَعْدِ هِجْرِهِ،
 وَأَجِبْتَ دَعْوَةَ الدِّينِ قَائِمًا بِهَا فِي عُمْرَةٍ بَعْدَ عُمْرَةٍ؛ وَأَقْرَعْتَ صَهْوَةَ هَذَا الْمَحَلِّ الَّذِي
 رَقَاكَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِحْقَاقِكَ، وَأَمَاتَ اللَّهُ الْعَاجِزِينَ بِمَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
 حَسَرَاتٍ لِحَاقِكَ؛ وَكُنْتَ الْبَعِيدَ الْقَرِيبَ نَصِيحُهُ، الْمَحْجُوبَ الْبَاقِظَ بِحُجَّتِهِ الْمَدْعُورَةَ
 أَعْدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ [بِهِ] إِنْ قُورِقَ سَهْمُهُ أَوْ أُشْرِعَ رُجْمُهُ؛ وَمَا ضَرَّكَ أَنْ يَخِطَّكَ أَعْدَاءُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ آرَضَافَكَ، وَلَا أَنْ مَنَعَكَ الْمُنَادُ حَقَّكَ وَقَدْ قَضَى لَكَ
 وَأَقْتَضَاكَ؛ وَمَا كَانَ فِي مُحَاجَرَتِكَ عَنْ حَقِّكَ مِنْ خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَنْتَ بِهِ
 مِنْهُ أَوْلَى، وَمُبْدَأُ عَيْتِكَ عَنْ حَقِّكَ فِي قُرْبِ مَقَامِهِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ طَوْلًا؛ إِلَّا مِغَالِبَةً
 اللَّهُ فِيكَ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَمُبَاعِدَتِكَ وَقَدْ قَرَّبَكَ اللَّهُ مِنْ سِرِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِنْ بَعُدَتْ مِنْ جَهْرِهِ؛ أَسْتَشْرِفُكَ الصُّدُورَ، وَتَطْلُعُ إِلَيْكَ عِيُونُ الْجُمْهُورِ،
 وَأَسْتَوْجِبُ عَقِيلَةَ النَّعَمِ بِمَا قَدِمْتَ مِنَ الْمُتُحَرِّقِ؛ وَنَصَرْتَ الْإِيمَانَ بِأَهْلِهِ، وَأُظْهِرْتَ
 الدِّينَ بِمُظَاهَرَتِكَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؛ وَنَاهَضْتَ الْكُفْرَةَ بِالْبَاعِ الْأَشَدِّ وَالرَّأْيِ الْأَسَدِّ،
 وَنَادَيْتَهُمْ سَبُوكَ -: وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ - وَأَدَالِ اللَّهُ بِكَ مَنْ قَدِمَ عَلَى
 مَا قَدِمَ، وَيَدِمَ فَمَا أَضَى عَنْهُ النَّدَمُ؛ حِينَ لَجَّ فِي جَهَالَتِهِ، وَتَمَادَى فِي ضَلَالَتِهِ؛
 وَأَسَمَّرَ عَلَى اسْتِطْلَاقِهِ، وَتَوَالَتْ مِنْهُ حَثَرَاتٌ مَا أَتْبَعَهَا بِاسْتِقَالَتِهِ؛ فَكَمْ أَجْتَاكَ لِلدَّوْلَةِ
 رَجَالًا، وَصَيِّقٌ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ بِحَالًا؛ وَسَلَبٌ مِنْ خَزَائِنِهَا دَخَائِرٌ وَأَسْلَحَةٌ وَأُمُولا،
 وَقَهْلًا مِنْ أَيْدِي أَوْلِيَائِهَا إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَأَسْمَعْتُ هَقْبَاتِهِ عَنِ التَّعْدِيدِ،

وما العهد منها بعيد ؛ وقد نسخَ الله تعالى بك حوادثها فوجب أن تُنسخَ أحاديثها ،
 وأتى الأئمة منك بن هو وليها والأئمة بن هو مُنيها ؛ ودعاك إمامَ عصرِكَ بقلبه
 ولسانه وخطه على بُعد الدار ، وتحقق أنك تتصرفُ معه حيث تصرف وتُدور معه
 حيث دار ، وأختارك على ثقة من أن الله تعالى يُعجده فيك عواقب الاختيار ، ورأى
 لك إقدامك ورقابُ الشرك صاغره ، وقُدومك وأفواهُ المخاوفِ فاغره ، وكرتكَ
 في طاعته وأبى الله تعالى أن تكونَ خاسره ؛ وسَطًا بك حين تمالى بك المشركون ،
 وتمثلَ لرسُلهم بقوله سبحانه : ﴿ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكْفِرُوا ﴾ وَأَفْتَتْ عِزَّتُهُ هُجْنَةَ
 الهدنه ، وقال لأوليائه : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ وأزدرى بجنائزهم انتظارًا
 لوصولك بأسود الإسلام ، وصبر على علم أنك تُلجِّي نداه بالسنه الأعلام قبل السنه
 الأقلام ؛ فكنتَ حيث رجا وأفضل ، ووجدت بحيث رعى وأعجل ؛ وقدمت
 فكتب الله لك العُدو ، وكبت بك العُدو ؛ وجمع على التوفيق لك طرفي الرواح
 والعُدو ؛ ولم يلبس الكافر لِسَما مَك جُنَّة إلا الفرار ، وكان ﴿ كشجرة خبيثة اجتثت
 من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ فله دُرُك حين قاتلت بحسبك ، قبل عسكرِكَ ،
 ونصرتَ بأهلك ، قبل عشيرِكَ ؛ وأكرم بك من قادم خطواته مبروره ، وسطواته
 للأعداءِ مُبيرة ، وكل يوم من أيامه يُعد سيرة ؛ وإنك لمبعوثٌ إلى بلاد أمير المؤمنين
 بعثَ السحاب المسحور ، ومقدمٌ في النية وإن كنت في الزمان الموتر ؛ وطالعُ بِنَّة
 الإسلام غير بعيد أن يُبَيِّ الله عليها بلاد الكُفار ، ورجال جهاد صدقناهم عندنا من
 المصطفين الأخيار ؛ وأبناء جلال يشترُون الجنة بعزائم كالنار ، وفُرير نصير سُكُون
 العُدو بعثها غرور ونومُه غرار .

ولما جرى من جرى ذكره على عادته في إيماشك والإيماش منك بكواذب
 الظنون ، ورأى رجعتك عن الحضرة وقد قرت بك الدار وقرت بك العيون ؛ وكان

كما قال الله تعالى في كتابه المكتون : ﴿لَقَدْ ابْتَنُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَبِلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ﴿١﴾ هنالك عصبت نفوس الإسلام ففتكت به أيديها ، وكشفت له عن غطاء العواقب التي كانت منه مبادئها ؛ وأخذته من أخذه ألم شديد ، وعدل فيه من قال ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْبًا السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ .

ولما نشرت لواء الإسلام وطواه ، وعصبت الحق وأضعف قواه ؛ وجنبت عفي مائوت وجنى عفي مائواه ، وأبنت إلا إمضاء العزم في الشرك وما أمضاه ؛ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾ ودفعت الخطب الأثني ، وطلعت أنوار النصر مشرقة بك وهل تطلع الأنوار إلا من الشرق ؟ وقال لسان الحق : ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ﴾ ، قضى الله تعالى إلى أمير المؤمنين عنة قدمها ثم قضاه ، وولاه كما ولي جده صلى الله عليه وسلم قبلة يرضاه ؛ وانتصر له بك انتصاره لأهل البيت بسلامته وعماره ، وأطلق أمير المؤمنين بأصطفائك اليوم وبالأمس كنت عقد إصمارة ؛ وقلبك أمير المؤمنين أمر وزارته ، وتدير مملكته وحيطة ما وراء سرير خلافة ، وصيانة ما أشملت عليه دعوة إمامته ، وكفالة قضية المسلمين ، وهداية دعوة المؤمنين ؛ وتدير ماعدقه الله بأمر المؤمنين من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين ، المقيمين منهم والقاديين ؛ وكافة رعايا الحضرة بعديها ودانها ، وسائر أعمال الدول بأيديها وخافيا ؛ وما يفتح الله تعالى على يدك من البلاد ، وما تستعيد من حقوقه التي اغتصبها الأضداد ؛ وألني إليك المفايد بهذا التقليد ؛ وقرب عليك كل غرض بعيد ؛ وناط بك العقد والحل ، والولاية والعزل ، والمنع

(١) في اللسان "عصبت الابل وصبت بالكسر اذا اجتمعت" . ولعل هذا مراده ان لم يكن أهمل

قطعه وأصله غضبت . تأمل .

والبذل، والرفع والخفض، والبسط والقبض، والإبرام والتقص، والتثنية والغض،
والإنعام والإيقام، وما توجب السياسة إمضاءه من الأحكام؛ تقليداً لا يزال به
عقد تفرك نظماً، وفضل الله عليك وفيك عظيماً ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى
بِاللَّهِ عَلِيماً 》 .

فقلد ما قلدك أمير المؤمنين من هذه الرتبة التي تتأثر كونها الأقدام، والغاية التي
لا غاية بعدها إلا ما يملك الله به من الدوام؛ فلقد تناولتها بيد في الطاعة غير قصيره،
ومساع في خدمة أمير المؤمنين أيامها على الكافرين غير يسيره؛ وبذلت لها مامهه
سبلها، ووصلتها بما وصل بك حبيلها؛ وجمعت من أدواتها ما جمع لك شملها، وقال
لك لسان الحق ﴿ وكأنوا أحق بها وأهلها 》 .

وتقوى الله سبحانه : فهي وإن كانت لك عادة، وسبيل للاحق إلى السعادة؛
فإنها أولى الوصايا بأن نتميم باستفتاحها، واحق القضايا بأن تجدد الأمور
بصلاحها؛ فاجعل تقوى الله أمامك، وعامل بها ربك وإمامك؛ واستنجح بها
عواقبك ومبادئك، وقاتل بها أضدادك وأعدائك؛ قال الله سبحانه في كتابه
المكنون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ 》 .

والعساكر المنصورة فهم الذين فُتدوا بولاء أمير المؤمنين وبعمه، وذبوا في مجرور
فضله وكرمه؛ واجتاحتهم من لم يحسن لهم النظر، واستباحهم بأيدي من أضرباً
أصراً؛ وطالما شهدوا المواقف ففرجوها، وأصطلوا المخاوف وتولجوها؛ وقارعوا

الْكُفَّارِ مَسَارِعِينَ لِلْأَعْنَةِ ، مُقَدِّمِينَ مَعَ الْأَيْسَنَةِ ، مُجْرِينَ إِلَى ظَلَمَتَيْنِ : إِمَّا إِلَى النَّصْرِ
وَأِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ وَدَبَّرُوا الْوَلَايَاتِ فَسَدُّوْا ، وَتَقَلَّدُوا الْأَعْمَالَ فَمَا تَقَلَّدُوا ؛ وَأَعْتَمَدُوا
أَحْمَرَهُمْ وَأَسْوَدَهُمْ ، وَأَقْرَبَهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ ؛ وَفَارِسَهُمْ وَرَاجِلَهُمْ ، وَرَاعِيَهُمْ وَنَائِلَهُمْ ، بِتَوَفِيرِ
الْإِقْطَاعِ وَإِدْرَارِ الْفَقَاتِ ، وَتَصْفِيَةِ مَوَارِدِ الْعَيْشِ الْمَوْقِفَاتِ . وَأَحْسَنَ لَهُمُ السِّيَاسَةَ
الَّتِي تَجْعَلُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ مُتَّفِقَةً ، وَعِزَّاتِهِمْ فِي مَنَاضِلَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ مُسْتَبْقَةً ؛
وَأَجْرَهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ فِي تَقْلِيدِ الْوَلَايَاتِ ، وَاسْتَكْفَاهُمْ لِمَا هُمْ أَهْلُهُ مِنْ مُهِمَّاتِ
التَّصَرُّفَاتِ ؛ وَمَيَّزَ أَكْبَرَهُمْ تَمَيُّزَ النَّاضِرِ بِالْحَقَائِقِ ، وَاسْتَنْهَضَهُمْ فِي الْجِهَادِ هَذَا الْمِضْمَارُ
وَأَنْتَ السَّابِقُ ؛ وَقُمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ فَقَدْ رُفِعَتِ الْمَوَانِعُ وَالْعَوَاقِقُ :
لِيَقْنِفَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي نَصَرْتَهُ عَلَى الْبَاطِلِ فَيُدْمِغَهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ .

والشرع الشريف فانت كافل قضائته ، وهادى دُعَاتِهِ ؛ وَهُوَ مَنَارُ اللَّهِ تَعَالَى
الْأَرْفَعِ ، وَيَدُهُ الَّتِي تَمْنَعُ الظُّلْمَ وَتُدْفِعُ ؛ فَقُمْ فِي حِفْظِ نِظَامِهِ ، وَتَنْفِيزِ أَحْكَامِهِ ؛ وَإِقَامَةِ
حُدُودِهِ ، وَإِمْضَاءِ عَقُودِهِ ؛ وَتَشْيِيدِ أَسَاسِ الدَّعْوَةِ وَبِنَائِهَا ، وَتَمَيُّزِ أَخَذِي عَهْدِهَا
وَأَنْبَائِهَا ، قِيَامَ مَنْ يُعَوِّلُ فِي الْأَمَانَةِ عَلَى أَهْلِ الدِّيَانَةِ ، وَيَسْتَمْسِكُ بِحَقْقِ اللَّهِ تَعَالَى
الْحَقِيقَةِ بِالرَّايَةِ وَالصَّبِيَانَةِ .

وَالْأَمْوَالُ فَهِيَ سِلَاحُ الْعِظَامِ ، وَمَوَادُّ الْعِزَامِ ؛ وَعَتَادُ الْمَكَارِمِ ، وَعِمَادُ الْحُرَابِ
وَالْمُسَالَمِ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْمَلُ أَنْ تَعُودَ بِنَظَرِكَ عَهْدُ النَّصْبَارَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ مِثْلُكَ
فِي الْبِلَادِ وَكَيْلِ الْعِبَارَةِ .

وَالرَّعَايَا فَقَدْ عَلِمْتَ مَا نَالَهُمْ مِنْ إِجْحَافِ الْجَبَايَاتِ وَإِسْرَافِ الْجُنَايَاتِ ، وَتَوَالِي
طَلِيمٍ مِنْ ضُرُوبِ النِّكَايَاتِ ؛ فَأَعْمُرْ أَوْطَانَهُمُ الَّتِي أَخْرَبَهَا الْجَوْرُ وَالْأَذَى ؛ وَأَنْفِ
عَنْ مَوَارِدِهِمُ الْكَدْرَ وَالْقَذَى ؛ وَأَحْسِنْ حِفْظَ وَدِيعةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ ، وَخَفِّفْ

الوطاة ما استطعت عنهم ؛ وبذلهم من بعد خوفهم أمنا ، وكف من يعترضهم في عرض هذا الأدنى .

والجهاد فهو سلطان الله تعالى على أهل العناد؛ ومطوعة الله تعالى التي يُمضيها في شر العباد على يد خير العباد؛ ولك من الفناء فيه مصرا وشاما، وثبات الجناح كرا وإقداما؛ والمصاف التي ضربت فكنت ضارب كجأتها، والمواقف التي اشتدت فكنت فارح هبواتها؛ والتدريب الذي أطلق جدك، والتجريب الذي أوري زندق، [ما] يعني عن تجديد الوصايا البسيطة، وتأكيد القضايا المحيطة، وما زلت تأخذ من الكفار باليمن، وتمظم فتوحك في بلاد الشمال فكيف تكون في بلاد اليمن؛ فاطلب أعداء الله برا وبحرا، وأجلب عليهم سهلا وعسرا؛ وقسم بينهم الفتكات قتلا وأسرا، وغارة وحسرا؛ قال الله تعالى في كتابه المكنون : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وتوفيق الله تعالى يفتح لك أبواب التدبير، ويخبرك بذلك على مرشد الأمر : ﴿ وَلَا يَنْهَيْكَ مِثْلَ خَيْرٍ ﴾ فانت تبتدع من المحاسن ما لا يحيط به الوصايا ، وتخترع من الميامن ما يعترف بركاته الأولياء والرعايا؛ والله سبحانه وتعالى يحقق لأمر المؤمنين فيك أفضل الخايل، ويفتح على يديك مستغلق البلاد والمعاقيل؛ ويصيب بسهامك من الأعداء النحور والمقاتل ، ويأخذ للإسلام بك ماله عند الشرك من الثارات والطواويل ؛ ولا يضيع لك عملك في خدمة أمير المؤمنين إنه لا يضيع عمل عامل ، ويحرق الأرزاق والآجال بين سيك الفاضل وحكمك الفاضل؛ فأعلم هذا من أمر أمير المؤمنين ورثته، وأعمل بموجب حكمه وحكمه؛ إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . . .



وعلى نحو منه كتب القاضي الفاضل أيضا عهد الملك الناصر، صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد أيضا، وهذه نسخته :

من عبد الله وليه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى السيد الأجل (على) نحو ما تقدم في تقليد عمه أسد الدين شيركوه) .

أما بعد ، فالحمد لله مصرف الأقدار ومشرق الأقدار ، ومخصي الأعمال والأعمار ؛ ومبتلي الأخيار والأبرار ، وعالم سر الليل وجهر النهار ؛ وجاعل دولة أمير المؤمنين فلكا تتعاقب فيه أحوال الأعمار : بين اقتضاء سركر واستقبال إبدار ؛ وروضا إذا هوت فيه الدوحات أينعت الفروع ساقية النوار بساقية السما ؛ ومنجد دعوته بالفروع الشاهدة بفضل أصولها ، والخواهر المستخرجة من أمضى نصولها ، والقائم بنصرة دولته فلا تزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها فائمة على أصولها .

والحمد لله الذى اختار لأمر المؤمنين ودله على مكان الاختيار ، وأغناه باقتضاب الإلهام عن روية الاختيار ؛ وعضد به الدين الذى ارتضاه وعضده بن ارتضاه ، وأنجز له من وعد السعد ما قضاه قبل أن اقتضاه ، ورفع محله عن الخلق فكلهم من مضاف إليه غير مضاه ؛ وجعل مملكته عريتنا لأعتازها بالأسد وشبله ، ونعمته ميراثا أولى بها ذوى الأرحام من بنى الولاء وأهله ، وأظهر في هذه القضية ما أظهره في كل القضايا من فضل أمير المؤمنين وعنده ؛ فأولياؤه كالأيات التى تنسق درارى ألقها المنير ، وتنسق درر عقدها النظم النصير : (ما ننسخ من آية أو ننسبها نأت بخير منها أو مثلها لم تعلم أن الله على كل شئ قدير) .

والحمد لله الذى أتمّ بأمر المؤمنين نعمة الإرشاد ، وجعله أولى من لائق ساد ولحق شاد ؛ وآثره بالمقام الذى لا ينبغي إلّا له فى عصره ، وأظهر له من معجزات نصره ما لا يستقلّ العدد بحصره ؛ وجمع لمن والاه بين رفع قدره ووضع أمره ؛ وجعل الإمامة محفوظة فى عقبه والمعقبات تحفظه بأمره ؛ وأودعه الحكم التى رآه لها أحوط من أودعه ، وأطلع من أنوار وجهه الفجر الذى جهل من ظنّ غير نوره مطلقه ؛ وآتاه ما لم يؤت أحدا ، وأمات به غيا وأحيا رشا ، وأقامه للدين عاضدا فأصبح به معتضدا ؛ وحفظ به مقام جدّه وإن رَغِمَ المستكبرون ، وأنعم به على أمته أمانا لولاه ما كانوا ينظرون ولا يُصرون ، و﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين على ما آتاه من توفيق يذكّل له الصعب الجالح ، ويؤدّي منه البعيد النازح ؛ ويخلف على الدين من صلاحه الخلف الصالح ، ويلزم آراءه جدد السعود الواضع ، ويُرِيه آيات الإرشاد فإنه نازح (٩) قدح القادح ؛ ويسأله أن يصلّى على جدّه محمّد الذى أنجى أهل الإيمان ببعثه ، وطهر بهديه من رجس الكفر وخبثه ؛ وأجار باتباعه من حنت الشيطان وعنته ، وأوضح جادة التوحيد لكلّ مشرك الاعتقاد مثله ؛ وعلّى أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جادلت يده بلسان ذى الفقار ، وقسم ولاؤه وصدّأته بين الأتقياء والأشقياء الجنة والنار ؛ وعلّى الأئمة من دُرّيهما الذين أذلّ الله عزّبتهم أهل الإلحاد ، وأصفى بما مسفكوه من دِمَائهم موارد الرشاد ، وجرت أيديهم وأستهم بأقوات القلوب وأرزاق العباد ؛ وسلم وبجّد ، ووالى وجنّد .

وإن الله سبحانه ما أحل قط دولة أمير المؤمنين التي هي مهبط الهدى ومحط
النسب، ومورد الحياة للوئى والرذى للعدا، من أطف يتلافى الحادثة ويشعبها
ويرأبها، ونعمة تبلغ بها النفوس أربها، وموهبة تشد موضع الكلم، وتشد
موضع السلم، وتجل غنائم النعم، وتجل مغانم النعم؛ وتستوفى شرائط المناسج،
وتستندى قوارط المصالح؛ ولم يكن ينسئ الحادثة فى السيد الأجل الملك المنصور^(١)
رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه؛ التي كادت لما أوانى الملك
ترزعزع، وبناى التدبير لتضعضع؛ إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله
من أصطفائك أيها السيد الأجل الملك الناصر: - أدام الله قدرتك - لأن تقوم
بخدمته بعده، وتشد فى مقدمة جيوشه مسده؛ وتقوى ولائته أثره، ولا تفقد منه
إلا أثره؛ فوازت الفادحة فيه النعمة فيك، حتى تستوفى حفظه من أمير المؤمنين بأجر
لا يضيع الله فيه عمله، فاستوجب مقعد صلب بما اعتقده من تأدية الأمانة له
وحمله؛ وأستحق أن ينصر الله وجهه بما أخلقه الله من جسمه فى مواقف الجهاد
وبدله؛ ومضى فى ذمام رضا أمير المؤمنين: وهو التمام الذى لا يقطع الله منه
مأموره أن يصله؛ وأتبع من دمائه بحف أول مائلقاه بالروح والريحان، وذخرت
له من شفاعته ما عليه معول أهل الإيمان فى الأمان؛ فرعى الله له قطعه البيداء
إلى أمير المؤمنين وتجمشمه الأسفار، ووطأه المواطى التي تفيظ الكفار، وطلوعه
على أبواب أمير المؤمنين طلوع أنوار النهار، وهجرته التي جمعت له أجرين: أجر
المهاجرين وأجر الأنصار؛ وشكره ذلك المسعى الذى بلغ من الشكر النار، وبلغ

(١) الأمانى جمع أخية وهي عود يمرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالمرورة تشد إليه

الإسلام الإيثار . وما لقي ربه حتى تعرض للشهادة بين مختلف الصفاح ، ومشتجر
 الرماح ، ومفترق الأجسام من الأزواج ؛ وكانت مشاهدته لأمر المؤمنين أجراً فوق
 الشهادة ، ومنة لله تعالى عليه له بها ما للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ؛ وحتى رآك
 أيها السيد الأجل الملك الناصر - أدام الله قدرتك - قد أقررت ناظره ، وأرغمت
 مناظره ؛ وشددت سلطانه ، وسددت مكانه ؛ ورمى بك فاصاب ، وسقى بك
 فصاب ، وجمعت ما فيه من أبهة المشيب إلى ما فيك من مضاء الشباب ؛ ولقيت
 ما أفادته التجارب بحمله ، وأعانتك المحاسن التي هي فيك جُله ؛ وقلب عليك إسماعيل
 الفتكات فتقلبت ، وأوضح لك منهاج البركات فتقبلت ؛ وسددك سهمها ، وبرذك
 شهما ؛ وانتضاك فأرتضاك غربا ، وأترك على أثر ولده إمامة في التدبير وحرابا ؛
 وكنت في السلم لسانه الآخذ بجامع القلوب ، وفي الحرب سنانة النافذ في مضايق
 الخطوب ، وساقته إذا طلب ، وطليعته إذا طلب ، وقلب جيشه إذا ثبت
 وجناحه إذا وثب ؛ ولا حذر لشبل نسا في حجر أسد ، ولا لهلل آسملي النور من
 شمس وآسمد :

هذا ولو لم يكن لك هذا الإسناد في هذا الحديث ، وهذا المسند الجامع من قديم
 الفخر وحديث ؛ لأغنتك غريزة عزيزة وحمية بحيمة وشيمة وسيمه ، وخلاقي ، فيها
 ما يحب الخلاق ، ويحاذر ، لم يحز مثلها حائز ، ومحاسن ، ماؤها غير أسن ، وما أثر جاد
 غير عائر ، ومفانر ، غفل عنها الأول : ليستأثر بها الآخر ؛ وبراعة لسان ، يتسجم
 قطارها ، وتجماعة جنان ، تضطرم نارها ؛ وخلال جلال عليك شواهد أنوارها
 تتوهم ، ومساعي مساعد لديك كلام تورها تنفتح ؛ فكيف وقد جمعت لك في المجد
 بين نفس وأب وعم ، ووجب أن سالك من أصطفاء أمير المؤمنين ماذا حصل ثم
 على الخلق عم ؛ فيومك واسطة في المجد بين غيدك وأمسك ، وكل ناد من أندية الفخار

لك أن تقول فيه وعلى غيرك أن يُمسك ؛ فبُشرك أن أتم أمير المؤمنين موصولةً
منكم بوالدٍ وولد ، وأن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كنت في بيت الأسد .

ولما رأى الله قلب وجه أمير المؤمنين في سماءه ولآه من اختيارك قبله ، وقامت
حجته عند الله باستكفائك وزيراً له ووزيراً لله ؛ فناجته مراراً الإلهام ، وأضاءت
له مقاصد لا تقبلها كل الأفهام ، وعزم له على أن قلبك تدير مملكته الذي أغرقت
في إرثه وأغرقت في كسبه ، ومهد لك أبعاد غاية في الفخر بما يسر لك من قربه ؛
ولقد سبق أمير المؤمنين إلى اختيارك قبل قول لسانه بضمير قلبه ، وذكر فيك قول
ربه : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَأَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ . وقد لك لأنك سيف من سيوف الله
تعالى يحقق به التقصد وله التقليد ، وأصطفاك على علم بانك واحد متظم في معنى
العديد ؛ وأخيا في سلطان جيوشه سنة جدّه الإمام المستنصر بالله في أمير جيوشه
الأول ، وأقامك بعده كما أقام بعده ولده وإنه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل ؛
وخرج أمره إليك بأن يؤعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليدك
وزارته التي أحلك ربوتها ، وأحل لك صهوتها ؛ وحلاك نعمتها ، و ^(١) لك

نعمتها ؛ فنقلد وزارة أمير المؤمنين من رببتها التي تناهت في الإنافه ، إلى أن لارتبة
فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافه ؛ وتبوأ منها صدرا لا تتطلع إليه حيون الصدور ،
واعتقل منها في درجة على مثلها تدور البُذور : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ ؛
وباشر مستبشرا ، وأستوطن متديرا ، وأبسط يلك فقد فوض إليك أمير المؤمنين
بسطا وقبضا ، وأرفع ناظرَكَ فقد أباح لك رفعا وخفضا ؛ وأثبت على درجات

السعادة فقد جعل لحُكْمِكَ تَنْبِيْهًا وَدَحْضًا ، وَأَعْقَدُ حُجَى الْعَزَمَاتِ لِلصَّالِحِ فَقَدْ أَطْلَقَ
بِأَمْرِكَ عَقْدًا وَتَقَضَا ، وَأَنْفَذَ فِيهَا أَهْلَكَ لَهُ فَقَدْ أَدَّى بِكَ نَافِلَةً مِنَ السِّيَاسَةِ وَفَرَضَا ،
وَصَرَّفَ أُمُورَ الْمَمْلَكَةِ فَلَيْلِكَ الصَّرْفَ وَالتَّصْرِيفَ ، وَتَقَفَ أَوَدَ الْأَيَّامِ فَعَلَيْكَ أَمَانَةٌ
التَّهْدِيبِ وَالتَّخْفِيفِ ، وَاسْتَحَبَّ ذُبُولَ الْفَخَّارِ حَيْثُ لَا يَصِلُ التَّيْجَانُ ، وَأَمَلًا لِحَقْلًا مِنْ
نُورِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ نَتَقَى الْأَبْصَارُ لِحَيِّينَ الْأَخْفَانِ ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ فَارْتَبِطْهُ
بِالتَّقْوَى الَّتِي هِيَ عُرْوَةُ النِّجَاحِ وَذَخِيرَةُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ ، وَصَفْوَةُ مَا تَلْقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ
مِنَ الْكَلِمَاتِ ، وَخَيْرُ مَا قَدَّمْتَهُ النُّفُوسُ لِقَدِّهَا فِي أُمِّيَّهَا ، وَجَادَلَتْ [به] يَوْمَ تَجَادُلُ كُلُّ
نَفْسٍ عَنْ نَفْسِهَا ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ
أَتْنَى وَلَا يُظْلَمُونَ قِيلًا ﴾ . وَاسْتَمْتَمَ بِالْعَدْلِ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ، وَاحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ كَمَا كُنْتَ تَنْزَعُ عَنْ فِعْلِهِ .
وَأُولِيَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْصَارُهُ الْيَأْمِينِ ، وَمَنْ يَحْتَفُ بِمَقَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ
الْمَطُوقِينَ ، وَالْأَعْيَانِ الْمُعَصِّينَ ، وَالْأُمَائِلِ وَالْأَجْنَادِ أَجْمَعِينَ ، فَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ حَقًّا ،
وَمِمَّا لَيْكِهِ رِيقًا ، وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ سَبَقًا ، وَأَنْصَارُهُ غَرَبًا كَمَا أَنَّ عَسَاكَ
أَنْصَارُهُ شَرْقًا ، فَهُمْ وَهُمْ يَدُ فِي الطَّاعَةِ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ ، وَيَحْكُمُ
فِيهِمْ وَأَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَغْلَاهُمْ .

هذا وقد كان السيد الأجلُّ الملك المنصور - رضى الله عنه - استمطر لهم [من]
إنعام أمير المؤمنين المسامحة بعلقهم ، ووامى^(١) في هذه المنقبة التي استحق بها حُسنُ
الذكريين طوائفهم وفِرَقهم ، فصنهم من جائحات الاعتراض ، وأبدل لهم صالحات
الأغراض ، وأرفع دُونهم الجحباب ، ويسر لهم الأسباب ، واستوف منهم عند

(١) له وسبوى كما لا يخفى .

الحُصُور إِلَيْكَ غَايَتِ الْخُطَابِ ؛ وَصَرَّفَهُمْ فِي بِلَادِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَاةَ وَحْشَاءَ ،
كَمَا تُصَرِّفُهُمْ فِي أَوْقَاتِ الْحَرْبِ لِمَاةٍ وَكَيْدٍ ؛ وَعَرَّفَهُمْ بَرَكَةَ سُلْطَانِكَ ، وَأَقْنَدَ قُلُوبَهُمْ
بِزِمَامِ إِحْسَانِكَ .

وَأَمَّا الْقَضَاةُ وَالذُّخَاةُ فَهُمْ بَيْنَ كَفَالَتِكَ وَهَدْيِكَ ، وَالتَّصْرِيفِ عَلَى أَمْرِكَ
وَتَهْنِئِكَ ؛ فَاسْتَعْمِلْ مِنْهُمْ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، فَأَنَا بِالْبَنَائَاتِ فَلَا .

وَالْجِهَادُ فَانْتَ رَاضِعُ دَرَّةٍ ، وَنَاشِئَةُ شَجَرَةٍ ؛ وَظُهُورُ الْخَلِيلِ مَوَاطِنُكَ ، وَظِلَالُ
الْجَبَلِ مَسَاحِكُكَ ؛ وَفِي ظُلُمَاتِ مَشَاكِهٍ ، تُجَلِّيُ حَاسِنُكَ ، وَفِي أَعْقَابِ تَوَازِلِهِ ، تُنْثِلُ
مَيَّامِنُكَ ؛ فَشَمِّرْ لَهُ عَنْ سَائِقٍ مِنَ الْقَبَا ، وَخُصِّ فِيهِ بِحَمْرًا مِنَ الْقَبَا ؛ وَأَحْلِلْ فِيهِ عُقْدَةَ
كَلِمَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبَيِّنَاتِ الْحَقِّ ؛ وَأَسِيلِ الْوَهَادَ بِنِمْاءِ الْعِلْمِ وَأَرْبَعِ بَرُمُوسِهِمُ الرِّبَا ؛
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ الَّذِي يَرْجُو أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ مَذْخُورًا لِأَيَّامِكَ ، وَمَشْهُودًا
بِهِ يَوْمَ مَقَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ لِسَانِ إِمَامِكَ .

وَالْأَمْوَالُ فَهِيَ زُبْدَةُ حَلَبِ الْأُلُفِّ لَا الْعُنْفُ ، وَجُمَّةٌ يَمْتَرِيهَا الرِّقْقُ لَا الْعَسْفُ ،
وَمَا بَرِحَتْ أَجْدُ ذَخَائِرِ الدُّوَلِ لِلصُّفُوفِ ، وَأَحَدُ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَمْضِي وَقَدْ تَلَبَّوْا
السُّبُوفَ ؛ فَقَدِّمْ لِلْبِلَادِ الْأَسْتِمَارَ ، تُقَدِّمُ لَكَ الْإِسْتِمَارَ ، وَقَطْرَةٌ مِنْ عَذْلِ تَزْتَجِرُهَا
مِنْ مَائِ بِحَادٍ .

وَالرَّعَايَا فَهُمْ وَدَائِعُ اللَّهِ لِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَدَائِعُهُ لَدَيْكَ ، فَاقْبِضْ عَنْهُمْ الْأَيْدَى
وَأَبْسُطْ بِالْعَدْلِ فِيهِمْ يَدَيْكَ ؛ وَكُنْ بِهِمْ رُفُوفًا ، وَعَلَيْهِمْ عَطُوفًا ؛ وَاجْعَلِ الضَّعِيفَ مِنْهُمْ
فِي الْحَقِّ قَوِيًّا وَاقْوِيَّ فِي الْبَاطِلِ ضَعِيفًا ؛ وَوَكِّلْ بِرِطَائِمِهِمْ نَظِيرَ أَجْتِهَادِكَ ، وَاجْعَلْ
أَسْلِحَتَهُمُ بِالْهَدَاءِ مِنْ سِلَاحِكَ وَقُلُوبَهُمُ بِالْحُبَّةِ مِنْ أَجْدَادِكَ ؛ وَلَوْ جَازَ أَنْ يَسْتَنْتَنِي عَنْ

الوصية قائم بأمر، أو جالس في صدر، لاستغثت عنها ببطنتك الزكية، وفطرتك
الذكية، ولكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وأنت من المؤمنين، وحرابه بركة فتلق
رايتها باليمين، والله تعالى يؤيدك أيها السيد الأجل - أدام الله قدرتك - بالنصر
العزیز، ويقضى لدولة أمير المؤمنين على يدك بالفتح الوجيز، ولاهلها في نظرك
بالأمر الحريز، ويمتد دست الملك بحملك الإبريز، ويقر عين الأعيان بما
يظهر لك في ميدان السعادة من السبق والتبريز، ويمليك من نخلة أنعم أمير المؤمنين
بما ملكك إياه ملك التحويز، ويحقق بك في المجد أولك، ويمجد فيك العواقب
ولك، فأعلم ذلك من أمر أمير المؤمنين ورسمه، وأعمل بموجبه وحكمه؛
إن شاء الله تعالى .

المذهب الثالث

(أن يفتح العهد بخطبة)

وهو ما حكاه في "التعريف" عن صاحب نعر الدين إبراهيم بن لقمان، فيما
كتب به للظاهر بيبرس، وذكر أن ابن لقمان ليس بخطبة . ثم قال : على أن الفاضل
محمي الدين بن عبد الظاهر قد تبعه فيما كتب به للنصور قلاوون .

قلت : ليس ابن لقمان هو المبتكر لهذا المنهج، بل كان موجودا معمولا به .
استعمله كُتَّاب الإنشاء بديوان الخلافة ببغداد قبل ذلك بزمن طويل، وهو متبع
الكتابة الذي عنه يصدر الترتيب، وقاعدتها التي يُبنى عليها المصطلح^(١) وعليه كُتب
عهد العادل أبي بكر بن أيوب أمضى السلطان صلاح الدين يوسف « من بغداد » .
والله مال ابن الأثير في "المثل السائر" . وذكر أن الاقتراح بـ "هذا ما عهد" قد

(١) . لله لك الكامل أبي الملك العادل الخ كما يفيد ما يأتي في صلب العهد . قائل .

أَبْنَدِلْ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِمَالِ ، وَأَبْنُ لِقَانٍ تَابِعٌ لَامْتَبُوعٌ . عَلَى أَنْ إِنْشَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِهِ
فِي الْكَلْبَةِ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِحِجَّةٍ فَابْنُ الْأَيْمِرِ حِجَّةٌ فِي هَذَا الشَّانِ ، يُرْجَعُ إِلَيْهِ
وَيَعْمَلُ بِقَوْلِهِ ، وَيُؤَيِّدُهُ حَلِيقُ : « كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالتَّحْمُدِ لِلَّهِ فَهُوَ
أَجْدَمُ » . وَلِذَلِكَ مَالَ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ ؛ إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَخَالَفَةً
لِمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَمْرُؤِ بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ عُهْدِ الصَّحَابَةِ
عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَبِكُلِّ حَالٍ فَاهُلُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يُخْرِجُونَ فِيهِ عَنْ ضَرَبَيْنِ : ضَرْبٍ يَعْبُرُونَ
عَنِ الْأَوَامِرِ الْوَارِدَةِ فِي الْعَهْدِ عَنِ الْخَلِيفَةِ بِقَوْلِهِ : « أَمْرُهُ بِكَذَا وَأَمْرُهُ بِكَذَا »
وَهِيَ طَرِيقَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ ، وَعَلَيْهَا كُتِبَ عَهْدُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ الْمَشَارِ إِلَى :
وَضَرْبٍ يَعْبُرُونَ بِقَوْلِهِمْ « أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا » وَمَا يَجْرِي هَذَا الْخَبْرُ ، وَهِيَ طَرِيقَةُ
أَهْلِ زَمَانِنَا .

وَعِنْدَهُ نَسْخَةُ الْعَهْدِ الْمَكْتُوبِ بِهِ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ بِبَغْدَادٍ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ،
لِلْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ أَخِي السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ ^(٢) « يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْمَأَنَّاتِ الْقُلُوبَ بِذِكْرِهِ ، وَوَجَّبَ عَلَى الْخَلَائِقِ جَزِيلَ حَمْدِهِ
وَشُكْرِهِ ، وَوَسَّعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتَهُ ، وَظَهَرَتْ فِي كُلِّ أَمْرٍ حِكْمَتُهُ ؛ وَدَلَّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ
بِجَائِبِ مَا أَحْكَمَهُ صُنْعًا وَتَدْبِيرًا ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ؛ يُبَدِّدُ الشَّاكِرِينَ
بِنِعْمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَدًا ، وَعَالِمِ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ؛ لَا مُعَقَّبَ
لِحُكْمِهِ فِي الْإِبْرَامِ وَالْقُقُصِ ، وَلَا يَشُودُهُ حِفْظُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ

(١) تَقَدَّمَ قَبْلَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ . تَأَمَّلْ .

(٢) فِي الْأَصُولِ عَمِ السُّلْطَانِ وَهُوَ شَيْخُ قَلَمٍ .

بِحُجَّةِ الضمير ، وجِلَّ أَنْ يُلَاحَظَ وَصْفَهُ الْيَأْنُ والتفسير : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

والحمد لله الذى أَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ بُشْرًا وَنَذِيرًا ، ودَاعِيًا إِلَى
اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ؛ وَابْتَعَثَهُ هَادِيًا لِلخَلْقِ ، وَأَوْصَحَ بِهِ مَتَابِجَ الرَّشْدِ وَمُسَبِّلَ الْحَقِّ ؛
وَأَصْطَفَاهُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ وَأَعَزَّ الْقَبَائِلِ ، وَأَجْتَبَاهُ لِإِبْطَاحِ الْبَرَاهِينِ وَالذَّلَائِلِ ؛
وَجَعَلَهُ لَدَيْهِ أَعْظَمَ الشُّفَعَاءِ وَأَقْرَبَ الْوَسَائِلِ ، فَقَدَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ ؛ وَحَمَلَ النَّاسَ بِشَرِيعَتِهِ الْهَادِيَةِ عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ وَالسَّنَنِ الْعَادِلِ ، حَتَّى
أَسْتَقَامَ أَعْوِجَاجُ كُلِّ زَائِغٍ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ كُلُّ حَائِدٍ عَنْهُ وَمَائِلٌ ؛ وَجَعَلَهُ كُلَّ شَيْءٍ
تَنْفِيًا لِظُلُمَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ الْأَفَاضِلِ ،
صَلَاةً مُسْتَمْتِرَةً بِالْقُدُورَاتِ وَالْأَصْبَالِ ؛ خُصُوصًا عَلَى عَمِّهِ وَصِنُو أَبِيهِ الْعَبَاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الَّذِي أَشْتَهَرَتْ مَنَاقِبُهُ فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ ؛ وَذَرَتْ بِرُكَّةِ الْإِسْتِسْقَاءِ
بِهِ أَخْلَافُ الشُّحْبِ الْمَوَاطِلِ ، وَفَازَ مِنْ تَنْصِيسِ الرُّسُولِ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْخِلَافَةِ
بِمَا لَمْ يُفُزْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَائِلِ .

والحمد لله الذى حَازَ مَوَارِيثَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَوَقَّرَ جَزَيْلَ الْأَقْسَامِ مِنَ الْفَضْلِ
وَالْكَرَامَةِ ؛ لِقَبْدِهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَوَارَثَ نَبِيَّهَ وَمُحْيَى شَرِيعَتِهِ ؛ الَّذِي أَحَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ
مِنْ مَعَارِجِ الشَّرَفِ وَالْجَلَالِ فِي أَرْفَعِ ذُرُوهُ ، وَأَعَلَّقَهُ مِنْ حُسْنِ التَّوْفِيقِ الْإِلَهِيِّ بِأَمْتَيْنِ
عِصْمَةٍ وَأَوْثَقِ عُرْوَةٍ ؛ وَأَسْتَخْرَجَهُ مِنْ أَنْتَرَفِ نِجَارٍ وَعُتْصَرٍ ، وَأَخْصَصَهُ بِأَزْكَى مِثْقَلِ
وَأَعْظَمِ مَقْفَرٍ ؛ وَنَصَبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِلْمًا ، وَأَخْتَارَهُ لِلسَّالِمِينَ إِمَامًا وَحَكَمًا ؛ وَنَاطَ بِهِ أَمْرَ
دِينِهِ الْحَنِيفِ ، وَجَعَلَهُ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ؛ إِمَامًا
لِلْمُسْلِمِينَ ، وَخَلِيفَةً رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ أَيْ جَعَفَرُ الْمَنْصُورِ الْمُسْتَنْصَرِ بِاللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛

ابن الإمام السعيد التقي^(١)، أبي نصر محمد الظاهر بأمر الله، ابن الإمام السعيد الوفي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله، ابن الإمام السعيد أبي محمد المستنصر بأمر الله أمير المؤمنين، صلوات الله عليهم أجمعين^(١)، وعلى آباءه الطاهرين، الأئمة المهديين؛ الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يَعْدِلُونَ، ولَقُوا الله تعالى وهو عنهم راضٍ وهم عنه راضون .

وبعد، فبحسب ما أفاضه الله على أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وسلامه - من خلافته في الأرض، وفوضه إلى نظره المقدس في الأمور من الإبرام والنقض، وما استخلصه له من حياطة بلاده وعباده، ووكله إلى شريف نظره ومقدس اجتهاده؛ لا يزال - صلوات الله عليه - يَكَلِّمُ العباد بين أرحامه، ويسلك بهم في المصالح العامة والخاصة مذاهب الرشد وسبل الهداية؛ وينشر عليهم جناح عدله وإحسانه، وينعم لهم النظر في آرتياد الأمناء والصلحاء من خلصاء أكفائه وأعوانه؛ متخيلاً للإستراء من استحمد إليه بمشكور المساعي، وتعرف إليه في سياسة الرعايا بحيل الأسباب والدواعي؛ وسلك في مقرر الطاعة الواجبة على الخلائق قصد السبيل، وعلم منه حسن الأضطلاع في مصالح المسلمين بالعبء الثقيل؛ والله عز وجل يؤيد آراء أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - بالتأييد والتسديد، ويمدّه أبداً من أقسام التوفيق الإلهي بالموفور والمزيد؛ ويقرن عزائمه الشريفة باليمن والنجاح، ويسنّي له فيما يأتي ويذر أسباب الخير والصلاح؛ وما توفّق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

(١) لم تقف على استعمال هذه الصيغة في جهود غير الفاطميين إلا في هذا المهد .

ولما وفق الله تعالى نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة ، وإخْلَدم المشكورة ، والحُظوة في جهاد أعداء الدين بالمساعي الصالحة ، والقُوْز من المراضى الشريفة الإمامية - أجلها الله تعالى - بالمغانم الجزيلة والصفقة الرائحة ، لما وصل فيه سالف شريف الاختصاص بآتيه ، وشفع تالده في تحصيل مأثور الاستخلاص بطارفيه ، وأستوجب بسُلوْكه في الطاعة المفروضة مزيد الإكرام والتفضيل ، وصرع في الإنعام عليه بمشور شريف إمامي يسلك في أتباعه هداه والعمل بمرأشده سواء الصراط وقصد السبيل - أقتضت الآراء الشريفة المقدسة - زادها الله تعالى جلالاً متألق الأنوار ، وقُدسا يتساوى في تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارب بالهار - الإيعاز بإجابته إلى ما وجه أملة إلى الإنافة فيه به إليه ، والجلْب بضمينه إلى ذروة الاجتباء الذي تظهر أشعة أنواره الباهرة عليه ؛ فقلده - على خيرة الله تعالى - الزُمامة والغلّات ، وأعمال الحرب والامساك والأحداث والخراج والضبايع والصدقات ، والجواري وسائر وجوه الجبايات ؛ والعرض والعطاء ، والنفقة في الأولياء ؛ والمظالم والحسبة في بلاده ، وما يفتتحه ويستولى عليه من بلاد الفرنج والملّاحين ، وبلاد من تبرّز إليه الأوامر الشريفة بقصده من الشاذين عن الإجماع المنعقد من المسلمين ؛ و[من] يتعدى حدود الله تعالى بخالفة من يصل (٩) من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلاق مقبولة ، وطاعته ضاعف الله جلّاله بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم موصولة ؛ حيث قال عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . واعتمد - صلوات الله عليه وسلامه - في ذلك على حُسن نظره ومدد رعايته ، وألقي مقاليذ التفويض إلى وفور آجتهاده وكِمال سياسته ؛ وتخصه من هذا الإنعام الجزيل بما

يقول له على تعاقب الدهر واستمراره، ويخلف له على تمر الزمان حسن ذكره وجزيل
نفعه، وحجاب بتقليد يوطد له قواعد الممالك، ويفتح بإقليدس رتاج الأبواب والمسالك؛
وفيقه قاعدته في بلاده زيادة تقرير وتمهيد، ويطير به صيته في كل قريب
وبعيد؛ ووصيه بالملك الأجل، السيد، الكامل، المجاهد، الرابط، نصير الدين،
ركن الإسلام، أمير الأنام، تاج الملوك والسلطين، قانع الكفرة والمشركين، فاهر
الخواارج والمتمردين، غازي بك محمد، بن أبي بكر، بن أيوب، معين أمير المؤمنين؛
رعاية لسوابق خدمه وخدم أسلافه وآبائه، عن وفور أجبائه، وكمال أزدلافه؛
وإنافه من ذروة القرب إلى محمل كريم، واختصاصا له بالإحسان الذي لا يلقاه
إلا من هو كما قال تعالى: ﴿كُوِّنَ عَظِيمٌ﴾. وثوقا بصحة ديانتها التي يسلك فيها
سواء سبيله، واستنامة إلى أمانته في الخدمة التي ينصح فيها لله تعالى ولرسوله؛
وركونا إلى [كون] الإنعام عليه موضوعا بحمد الله تعالى في أحسن موضع، واقفا به
لديه في خير مستقر ومستودع.

وأمير المؤمنين - صلوات الله عليه (لا زالت الخيرة موصولة بآرائه، والتأييد
الإلهي مقرونا بإفادته وإمضائه) يستمد من الله عز وجل حسن الإعانة في أصطفائه
الذي أفضاه نظره الشريف وأعتاده، وأدى إليه آتياؤه المقدس الإمامي
وأجتهاده؛ وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل.

أمره بتقوى الله تعالى التي هي الجنة الواقية، والنعمة الباقية؛ والمثلج المنيع،
والعماد الرفيع؛ والخيرة النافعة في السر والنجوى، والجلوة المقتبسة من قوله
سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وأن يدرع بشعارها، في جميع الأقوال
والأفعال، ويهتدى بأنوارها، في مشكلات الأمور والأحوال؛ وأن يعمل بها سرا

وَجَهْرًا، وَيُشْرَحُ لِلْقِيَامِ بِمُحْدُوذِهَا الْوَاجِبَةِ صَدْرًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وأمره بتلاوة آيات الله متدبراً غوامض عجائبه ، سالكاً سبيل الرشاد والهداية في العمل به ؛ وأن يجعله مثلاً يتبعه ويفتنيه ، ودليلاً يهتدى به راشده الواضحة في أوامره ونواحيه ؛ فإنه الثقل الأعظم ، وسبب الله المحكم ، والنور الذي يهتدى به إلى التي هي أقوم ؛ ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال ، وبين لهم بهداه الرشاد والضلال ، وفرق بدلائله الواضحة بين الحرام والحلال ؛ فقال عز من قائل : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات، والدخول فيها على أكل هيئتين قوايين الحشوع والإخبات؛ وأن يكون نظره في موضع سجوده من الأرض، وأن يمثل لنفسه في ذلك موقفه بين يدي الله تعالى يوم العرض؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾. وأن لا يشتغل بشاغل عن أداء فروضه الواجبه، ولا يلهو بسبب عن إقامة سنتها الراتبه؛ فإنها عماد الدين الذي تمت أعاليه، ومهاد الشرع الذي تمت قواعده ومبانيه؛ قال الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجُمُع والأعياد، ويقوم في ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد؛ وأن يتوجه إلى الجوامع والمساجد متواضعا، ويبرز إلى المصلّات الضاحية في الأعياد خاشعا؛ وأن يحافظ في تشييد قواعد الإسلام على الواجب

والمندوب ، ويعظم باعتماد ذلك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب ؛ وأن يشمل بوافر اهتمامه وأعنيائه ، وكليل نظره وإرثائه ؛ بيوت الله التي هي محال البركات ، وهواطن العبادات ؛ والمساجد التي تأكد في تعظيمها وإجلالها حكمه ، والبيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ؛ وأن يرتب لها من الخلق من يتنزل لإزالة أذناسها ، ويتصدى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها ؛ ويقوم لها بما تحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارة ، ويحضر إليها ما يليق من الفرس والكسوات .

وأمره بالتأبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي أوضح جددها ، وقف عليه السلام - أودها ؛ وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي تنقلها القات ، والأحاديث التي صححت بالطرق السليمة والروايات ؛ وأن يقتدى بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي تدب صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسببها ، ورغب أمته في الأخذ بها والعمل بأدبها ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

وأمره بمخالسة أهل العلم والدين ، وأولى الإخلاص في طاعة الله تعالى واليقين ؛ واستشارتهم في عوارض الشك والالتباس ، والعمل بأرائهم في التمثيل والقياس ؛ فإن الاستشارة لهم عين الهداية ؛ وأمن من الضلالة والفوايه ؛ وبها تفتح عقم الأنهام والألباب ، ويقتدح زناد الرشد والصواب ؛ قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضيلها ، والأمر في التمسك بجمعها : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثورده ، وأن يشملهم بحسن نظره وحيل تدبيره ؛ مستصلياً نياتهم بإدامة اللطف والتمهّد ، مستوضحاً أحوالهم بمواصلته التفحص والتفقد ؛ وأن يسوّمهم سياسة تبعثهم على سلوك النهج السليم ، ويهديهم

في انتظامها وأتساقها إلى الصراط المستقيم ؛ ويَجْلِسُ على القيام بشرائط الخدم ،
والتسك منها بأقوى الأسباب وأتمن المصم ؛ ويدعوهم إلى مصلحة التواصل
والإختلاف ، ويصدهم عن موجبات التخاذل والإختلاف ؛ وأن يعتمد فيهم شرائط
الحزم في الإيعطاء والمنع ، وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع ؛
وأن يثبت المحسن على إحسانه ، ويسبل على المسيء ما وسعه العفو وأحتمله الأمر
ذيل صفحه وأمتنانه ؛ وأن يأخذ برأى ذوي التجارب منهم والحفكة ، ويحتجى
بمشاورتهم في الأمر ثم الشركه ؛ إذ في ذلك أمن من خطأ الأفراد ، وترجح عن
مقام الزيف والاستبداد .

وأمره بالتبثل لما يليه من البلاد ، ويتصل بنواحيه من ثغور أولى الشرك
والعناد ؛ وأن يصرف مجاميع الإكتفات إليها ، ويخصها بوفور الإهتمام بها والتطلع
عليها ؛ وأن يشمل ما يسلاده من الحصون والمعاقل بالإحكام والإتقان ، وينتهي
في أسباب مصالحها إلى غاية الوُسع ونهاية الإمكان ؛ وأن يشحنها بالميرة الكثيرة
والذخائر ، ويمدّها من الأسلحة والآلات بالمدد المستصلح الوافر ، وأن يتخير
لحراستها [من يختاره] من الأئمة الثقا ، ولسدّها من يتخيه من الشجعان الكا ،
وأن يؤكد عليهم في استعمال أسباب الحفظة والإستظهار ، ويوقظهم للاحتراس من
غوائل الغفلة والإفتقار ؛ وأن يكون المشار إليهم من ربوا في ممارسة الحروب على
مكائفة الشدائد ، وتذربوا في نصب الحبال للشركين والأخذ عليهم بالمرأصد ؛
وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد ، وكثرة العدد ، والتوسعة في النفقة والعطاء ،
والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التقصير والغناء ؛ إذ في ذلك حسم لمادة
الأطاع في بلاد الإسلام ، وردد لكيد المعاندين من عبدة الأصنام ؛ فمعلوم أن هذا
الغرض أولى ما وجهت إليه العنايات وصرفت ، وأحق ما قصرت عليه الهيمة

وَوُفِّقَتْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوضِ الَّتِي كَرَّمَ فِيهَا الْقِيَامَ بِحَقِّهِ ، وَأَكْبَرَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي كَتَبَ الْعَمَلُ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ ؛ فَسَالِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَادِيًا فِي ذَلِكَ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ ، وَمَحْرُضًا لِعِبَادِهِ عَلَى قِيَامِهِمْ بِفُرُوضِ الْجِهَادِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِنًا يَبْتَغِطُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "مَنْ نَزَلَ مَتْرًا يُحْيِي فِيهِ الْمُشْرِكِينَ وَيُحْيِيُونَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ سَاجِدٍ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرٍ قَائِمٍ لَا يَقْعُدُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَجْرٍ صَائِمٍ لَا يُفْطِرُ" . وقال عليه السلام : "عُدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ" . هذا قوله صلى الله عليه وسلم في حقِّ مَنْ سَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فَوَقَّعَ لِنَفْسِهِ ، فَكَيْفَ بِنَ كَانِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ : مَسْكُ بَعْنَانٍ فَرَسَهُ كُتْمًا سَمِعَ هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا" .

وَأَمْرُهُ بِاِقْتِضَاءِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي رَعَايَاهُ ، وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَى رَعَايَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِحْسَانِ بِمَرَّاشِدِهِ الْوَاضِحَةِ وَوَصَايَاهُ ، وَأَنْ يَسْلُكَ فِي السِّيَاسَةِ [بِهِمْ] سُبُلَ الصَّلَاحِ ، وَيَسْتَلْهِمَ بِلَيْلِنِ الْكَتَفِ وَخَفَضِ الْجَنَاحِ ؛ وَبِمَدِّ ظَلِّ رِعَايَتِهِ عَلَى مُسَابِهِمْ وَمُعَاهَدِهِمْ ، وَيُزْخِرَ الْأَقْدَاءَ وَالشَّوَابِبَ عَنْ مَنَاحِلِهِمْ فِي الْعَدْلِ وَمَوَارِدِهِمْ ؛ وَيَنْظُرَ فِي مَصَالِحِهِمْ نَظْرًا يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَيَقُومَ بِأَوْدِهِمْ قِيَامًا يَهْتَدِي بِهِ وَيَهْدِيهِمْ فِيهِ إِلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وأمره باعتبار أسباب الإستظهار والأمانة، واستقصاء الطاعة المستطاعة والقدرة الممكنة، في المساعدة على قضاء نيت حجاج بيت الله الحرام، وزوار نية عليه أفضل الصلاة والسلام؛ وأن يُستهم بالإعانة في ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام، ويحرسهم من التخطف والأذى في حالتي الظعن والمقام؛ فإن الحج أحد أركان الدين المشيئة، وفروضه الواجبة المؤكدة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ .

وأمره بتقوية أيدي العاملين بحكم الشرع في الرعايا، وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام والقضايا والعمل بأقوالهم فيما ثبتت لذري الاستحقاق، والشدة على أيديهم فيما يرونه من المنع والإطلاق؛ وأنه متى تأخر أحد الخصمين عن إجابة داعي الحكم، أو تقاعس في ذلك لما يلزم من الأداء والعُمد، جذب به بئان القدر إلى مجلس الشرع، واضطره بقوة الإنصاف إلى الأداء بعد المنع. وأن يتوحن عمال الوقوف التي تهرب المتقربون بها، واستمسكوا في ثواب الله بتمسك حبلها. وأن يُعتمد بحيل المعاونة والمساعدة، وحسن الموازنة والمعاضدة، في الأسباب التي تؤذن بالعمارة والاستئناء، وتعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والإستيفاء؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ .

وأمره أن يختار من أولى الكفاة والزهادة من يستخلصه للخدمة والأعمال، والقيام بالواجب: من أداء الأمانة والحراسة والتمييز لبيت المال. وأن يكونوا من ذوي الاضطلاع بشرائط الخدمة المعينة وأمورها، والمهتدين إلى سالك صلاحها وتبديرها. وأن يقدم إليهم بأخذ الحقوق من وجوهها المتيقنة، وجبايتها في أوقاتها المعينة؛ إذ ذلك من لوازم مصالح الجند ووقور الإستظهار، وموجبات قوة الشوكة

بكثير الأعوان والانتصار، وأسباب الحِفْظَةِ^(١) التي تُحْمِي بها البلاد والأموال، ويأمرهم بالجُزْيِ في الطُّسُوقِ^(٢) والشُّرُوطِ على التَّمَتُّ المَعْتَادِ، والقيام في مصالح الأعمال على أقدام الجِدِّ والإجتهاد . وإلى العالمين على الصَّدَقَاتِ بأخذ الزُّكُوتِ على مشروع السنِّ المَهْمِجِ ، وقصد الصراطِ المُتَّبَعِ ؛ من غير عُدُولٍ في ذلك عن المِنْهَاجِ الشرعيِّ ، أو تساهلٍ في تبديل حُكْمِهَا المفروضِ وقانونِهَا المرعيِّ ؛ فإذا أُخِذَتْ من أربابها، الذين يُطَهَّرُونَ وَيُزَكَّوْنَ بها ، كان العمل في صَرَفِهَا إلى مستحقِّهَا بحكم الشريعة النبوية وموجبها . وإلى جُباة الجزية من أهل الذِّمَّةِ بالمطالبة بأدائها في أول السنة، وأستيفائها منهم على حَسَبِ أحوالهم بحكم العادة في الثَّروَةِ والمُسْكِنَةِ ؛ إجراءً في ذلك على حكم الاستمرار والإِثْبَاتِ ، ومحافظةً على عظيم شعائر الإسلام .

وأمره أن يتطلع على أحوال كُلِّ من يستعمله في أمر من الأمور، ويُصَرِّفَهُ في مصلحة من مصالح الجمهور ، تَطَلُّعًا يقتضي الوقوف على حقائق أماناتهم ، وموجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم ؛ دَعَا بِأَمْرٍ مع النصيح لله تعالى في بريته، وعملًا فيه بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» .

وأمره أن يستصليح من ذوى الاضطلاع والفناء ، من يرتب العَرَضَ والعطاء، والنفقة في الأولياء ؛ وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة ، والمُسَوِّمين في المناصحة بإخلاص الطوعية وإصفاء السريرة ؛ حَالِينَ من الأمانة والصَّوْنِ بما يَزِينُ ، نَاكِينَ عن مَظَانِّ الشُّبْهِ والطَّمَعِ الذي يَصْنُمُ وَيَكْسِينُ ؛ وأن يأمرهم باتِّباعِ عاداتِ أمثالهم في ضبط أسماء الرجال، وتحلية الأشخاص والأشكال ؛ وأعتبارِ شِيَاكٍ

(١) في القاموس « الحفظة بالكسر والحفظة الحجة والغضب » .

(٢) الطسوق جمع طسوق وهو شبه الخراج له مقدار معلوم وليس بهرب خالص - أنظر اللسان .

الخيول وإثبات أعدادها ، وتحرير الجند على تحريرها واقتناء جيادها ؛ وبذل الجهد في قيامهم من الكراع واليزك والسلاح بما يلزمهم ، والعمل بقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ يُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ . فاذا نظقت جرائد الجند المذكورين بما أثبتت لئسهم ، وحقق الاعتبار والعيان قيامهم بما وجب عليهم ؛ أطلقت لهم المعاش والأرزاق بحسب إقراراتهم ، وأوصلت إليهم بمقتضى واجباتهم وأمتحقاتهم : فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد ، وقيام الأمر بما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى من يكون بأمرها مضطلعا ، وللسنة النبوية في إقامة حدودها متبعا ؛ فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها الواجب ، ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسنة الأحب ؛^(١) في الأسواق لأختبار المكايل والموازين . ويقيم مقامه في مؤاخذه المطففين وتأديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ؛ ويحذّرهم في تعدى حدود الإنصاف شدة نكاله ، ويقابل المستحق المؤاخذه بما يرتدع به الجمع الكثير من أمثاله ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ وَلَا يَبْسُوْا نَفْسَ أُمُومَاتِهِمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ وَبَلِّغُوا لِلْطَّافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالَهُمْ أَوْزَنَهُمْ يَحْسِرُونَ أَلَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) ينافي في الأصل ولعله يحذف في المواضع التي لا

فَلْيَتَوَلَّ الْمَلِكُ السَّيِّدُ، الْكَامِلُ، الْمَجَاهِدُ، الْمُرَابِطُ، نَصِيرُ الدِّينِ، رُكْنُ الْإِسْلَامِ،
أَمِيرُ الْأَنْامِ، جَلَالُ الدَّوْلَةِ، نَفْخُ الْمَلِكِ، عَرْشُ الْأُمَّةِ، سِنْدُ الْخِلَافَةِ، تَاجُ الْمُلُوكِ
وَالسُّلَاطِينِ، قَامِعُ الْكُفْرَةِ وَالْمَشْرِكِينَ، قَاهِرُ الْخَوَارِجِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، أَمِيرُ الْمُجَاهِدِينَ،
غَازِي بَكْ مَعِينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - مَا قَلَّدَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ فِي أَرْضِهِ، الْقَائِمُ لَهُ بِحَقِّهِ
الْوَاجِبِ وَفَرْضِهِ؛ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْمُسْتَنْصَرُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، بِتَقْلِيدِ مُطْمَئِنِّ
بِالْإِيمَانِ؛ وَيُنْصَحُ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ وَخَلِيفَتِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ؛
وَلْيُشْرَحْ بِمَا قُوِّضَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ صَنَعًا، وَلْيَقُمْ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنْ شُكْرِ هَذَا
الْإِنْعَامِ الْجَزِيلِ سِرًّا وَخَهْرًا؛ وَلْيَعْمَلْ بِهَذِهِ الْوَصَايَا الشَّرِيفَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَلْيَقْبَلْ آثَارَ
مَرَاشِدِهَا الْمُقَدَّسَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ وَلْيُظْهِرْ مِنْ أَثَرِ الْجِدِّ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَالْاجْتِهَادِ، وَتَحْقِيقِ
النَّظَرِ الْجَمِيلِ لِلَّهِ وَالْإِرْشَادِ، مَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى تَأْيِيدِ الرَّأْيِ الْأَشْرَفِ الْمُقَدَّسِ - أَجَلُهُ
اللَّهُ تَعَالَى - فِي أَصْطِنَاعِهِ وَأَسْتِكْفَائِهِ، وَإِصَابَةِ مَوَاقِعِ النُّجُجِ وَالرُّشْدِ فِي التَّفْوِيزِ
إِلَى حُسْنِ قِيَامِهِ وَكُلِّ أَعْتِنَاتِهِ؛ فَلْيَقْدِّرِ النِّعْمَةَ فِي هَذِهِ الْحَالِ حَقَّ قَدْرِهَا، وَلْيَمْتَرِ
بِإِدَاءِ الْوَاجِبِ بِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ بَحْزِيلِ الشُّكْرِ غَيْرَ يَرَدِّهَا؛ وَلْيُطَالِعْ مَعَ الْأَوْقَاتِ
بِمَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَوَامِضِ، وَلْيُنْهِهِ إِلَى الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ الْمُقَدَّسَةِ - أَجَلُهَا اللَّهُ
تَعَالَى - مَا يَتَنَبَّسُ عَلَيْهِ مِنَ الشُّكُوكِ وَالْغَوَامِضِ (؟)؛ لِيَرَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْثَلَةِ مَا يُؤَمِّحُ لَهُ
وَجْهَ الصَّوَابِ فِي الْأُمُورِ، وَيَسْتَمِدَّ مِنَ الْمُرَاشِدِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي هِيَ شَفَاءُ مَا
فِي الصُّدُورِ بِمَا يَكُونُ وَرُودَهُ عَلَيْهِ وَتَتَابُعُهُ إِلَيْهِ نُورًا عَلَى نُورٍ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة العهد الذي كتب به صاحب نغم الدين : إبراهيم بن لقمان ،
لظاهر بيبرس ، التي أنكر عليه القاضي شهاب الدين بن فضل الله في " التعريف " .
أبتدأها بخطبه ، وهي :

الحمد لله الذي أضفى [على الإسلام] ^(١) ملايس الشرف ، وأظهر دُرره وكانت خافية بما استَحَكَمَ عليها من الصِّلَف ؛ وشيّد ما وهى من علاته حتى أنسى ذكر سلف ، وقبض لنصره ملوكاً اتفق على طاعتهم من أختلف .

أحمده على نعمه التي رعت الأعين منها في الرّوض الأنف ، والطايف التي وقفت الشكر عليها فليس له عنها مُنصَرَف ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من الخواف أَمْنًا ، وتسهّل من الأمور ما كان حزنًا ؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جبر من الدّين وهنا ، وصفيه الذي أظهر من المكارم فؤونا لأفناء ؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحّت مناقبهم باقية لا تفتى ، وأصحابه الذين أحسنوا في الدّين فاستحقّوا الزيادة من الحُسنى .

وبعد ، فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره ، واحقّهم أن يُصَبِّحَ اقلّم ساجداً وراكباً في تسليط مناقبه وبرّه ؛ من سعى فاضحى بسعيه الجليل متقدّماً ، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان مُنجِداً ومُتِمِّها ؛ وما بدت يد من المكرّمات إلّا كان لها زُندا ومِعصماً ، ولا استباح بسيفه حيّ وعي إلا أضرمه ناراً وأجره دماً .

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مخصصةً بالمقام العالى ، المولوى ، السلطانى ، المَلِكِيّ ، الظاهرى ، الركنى ، شرفه الله تعالى وأعلاه ، ذكره الديوان العزيز ، النبوى ، الإمامى ، المستنصرى - أعز الله تعالى سلطانه - تنويعاً بشريف قدره ، وأعرافاً بصمعه الذى تنفد العبارة المُستَهبة ولا تقوم بشكره ؛ وكيف لا ؟ وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقدست زمانه الزمان ، وأذهبت ما كانت لها من تخاسن وإحسان ؛ واستعتب دهرها الميسر فأعتب ، وأرضى عنها زمانها وقد كان صالاً

عليها صَوْلَةٌ مُغْضَبٌ ؛ فَأَعَادَهُ لَهَا سَامًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهَا حَرْبًا ، وَصَرَفَ أَهْمَاتِهِ فَرَجَعَ
كُلُّ مُتَضَابِقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَاسِعًا رَحْبًا ؛ وَمَنَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ حُتُورًا
وَعَطْفًا ، وَأَظْهَرَ لَهُ مِنَ الْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يَخْفَى ، وَأَبْدَى مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِالْبَيْعَةِ
أَمْرًا لَوْرَامَهُ خَيْرَهُ لَامْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ تَمَسَّكَ بِجَبْهَةِ مَتَمَسَّكَ لَأَقْطَعَ بِهِ قَبْلَ الْوُصُولِ
إِلَيْهِ ؛ لَكِنَّ اللَّهَ أَذْخَرَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ لِيُثْقَلَ بِهَا فِي الْمِيزَانِ ثَوَابُهُ ، وَيُخَفَّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
حَسَابُهُ وَالسَّعِيدُ مِنْ خُفَّفَ حَسَابُهُ ؛ فَهَذِهِ مَتَقَبَّةُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَخْلُدَهَا فِي صَحِيفَةِ
صُنْعِهِ ، وَتَكْرِمَةُ قَضَيْتْ لِهَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بِجَمْعِهِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ ؛
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُكَ هَذِهِ الصَّنَائِعُ ، وَيَعْرِفُ أَنَّهُ لَوْلَا أَهْمَاتُكَ لَا تَسْعُ الْخَرْقُ عَلَى
الرَّاقِعِ ؛ وَقَدْ قَلَّدَكَ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ ، وَالْدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْمَجَازِيَّةَ وَالْيَمِينِيَّةَ
وَالْقُرَاتِيَّةَ ؛ وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْقُتُوحَاتِ غَوْرًا وَتَجَدَّدًا ، وَفَوْضَ أَمْرٍ جُنْدُهَا وَرَعَايَاهَا
إِلَيْكَ حِينَ أَصْبَحَتْ فِي الْمَكَارِمِ قَرْدًا ؛ وَلَمْ يَجْعَلْ مِنْهَا بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا
مِنَ الْحِصُونِ مُسْتَنْثَى ، وَلَا جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ تُمَدُّ فِي الْأَعْلَى وَلَا الْأَدْنَى .

فَلَا حِظَّ أُمُورِ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا حَامِلًا ، وَخَلَّصَ نَفْسَكَ مِنَ التَّيَمَّاتِ الْيَوْمَ
فَفِي غَيْدٍ تَكُونُ مَسْئُولًا لَا سَائِلًا ؛ وَدَعَّ الْإِغْتِرَارَ بِالْدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا ،
وَمَا رَأَاهَا أَحَدٌ بَعِينَ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا خَيَالًا زَائِلًا ؛ فَالسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ آمَالَهُ الْمَوْصُولَةَ ،
وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقْدِيمُهُ غَيْرَ التَّقْوَى مُرَدُّدَةٌ لَا مَقْبُولَةٌ ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ
بِالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ وَكَفَّرَ بِهِ
عَنِ الْمَرْءِ دُنُوبًا وَأَتَامًا ، وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا فِيهِ كِبَادَةُ الْعَايِدِ سِتِّينَ طَامًا ؛ وَمَا سَلَكَ
الْحَقُّ مِهْلِيلَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، إِلَّا وَاجْتَنِبْتَ ثَمَارَهُ مِنْ أَفْئَانٍ ؛ وَتَرَاجَعَ الْأَمْرُ فِيهِ
بَعْدَ تَبَاغَى أَرْكَانِهِ وَهُوَ مَشِيدُ الْأَرْكَانِ ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ ؛ وَكَانَتْ

أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَيْبَى مِنَ الْأَعْيَادِ ، وَأَحْسَنَ فِي الْعِيُونِ مِنَ الْغُرَرِ فِي أَوْجِهِ الْخِيَادِ ،
وَأَحْلَى مِنَ الْعُقُودِ إِذَا حُلِيَ بِهَا عَطَلُ الْأَجْيَادِ .

وهذه الأقايم المنوطة بك تحتاج إلى ثواب وحُكَّام ، وأصحاب رأي من أصحاب
السيوف والأقلام ؛ فإذا استعنت بأحد منهم في أمورك فنقَّب عليه تنقيبا ، وأجعل
عليه في تصرفاته رقيقا ؛ وسلَّ عن أحواله ففى القيامة تكون عنه مسئولا وبما أجرم
مطلوبا ، ولا تؤلَّ منهم إلَّا من تكون مسامحه حسنات لك لا ذنوبا ؛ وأمرهم
بالآثاة في الأمور والرفق ، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق ؛ وأن يقابلوا الضعفاء
في حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق ، وأن لا يعاملوا أحدا على الإحسان والإساءة
إلَّا بما يستحق ؛ وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعية إخوانا ، وأن يؤسعوهم
برا وإحسانا ؛ وأن لا يستحلوا حُرْمَاتِهِمْ إِذَا اسْتَحَلَّ الزَّمانُ لَهُمْ حُرْمَانَا ، فالسلم أخو
المسلم ولو كان عليه أميرًا وسلطانا ؛ والسعيد من تسجَّ ولايته في الخير على منواله ،
وأستسنَّ بسنَّته في تصرفاته وأحواله ، وتجلَّ عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله .

وما يؤمرون به أن يُحْيَ ما أُحْيَت من سَيِّئِ السَّنَنِ ، وجُدَّ من المظالم التي هي
من أعظم الحزن ، وأن يُسْتَرَى بِإِطْلَافِهَا الْحَامِدُ رَخِيصَةً بِأَعْلَى ثَمَنِ ، ومهما جُنِيَ منها
من الأموال فإنما هي باقية في الذَّمِّ حاصله ، وأجساد الخزانين إن أضحت بها حالة
فإنما هي على الحقيقة منها عاطلة ؛ وهل أشقَّ ممن احتسب إثما ، وأكتسب
بالسَّاعَى الذميمة ذمًّا ؛ وجعل السَّوادَّ الأعظم [له] يوم القيامة خصما ، وتجلَّ ظلم
الناس فيما صدر عنه من أعماله ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

وحقيق بالمقام الشريف المولوي ، السلطاني ، الملكي ، الظاهري ، الركني
أن تكون ظلمات الأنام مردودة بعذله ، وطاعته تخفف نقلا لاطاقة لم يتحملة ؛

فقد أضحي على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنع لمن تقدم من الملوك وإن جاء آخره ؛ فاحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هدى يوجب لك منزلة التقديم ، ويثبت الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم ؛ وهذه أمور يجب أن تلاحظ وتزعى ، ويؤال عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين لك أنك صرت في الأمور أصلا وصار غيرك قوتا .

ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أضحي على الأمة قرضا ، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصوائف مبيضا ؛ وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم ، وأعد لهم عنده المقام الكريم ، وخصهم بالجنة التى لا توفىها ولا تأثم ؛ وقد تقدمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرع فى سواد الحساد ، وعرفت منك عزيمة وهى أضحي مما تحبته ضماير الإغتماد ، وأشتهرت لك مواقف فى القتال وهى أشهر وأشهى إلى القلوب من الأعياد ؛ وبك صان الله حى الإسلام أن يقتل ، ويعزلك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ؛ وسيفك أثرى قلوب الكافرين قروحا لاتسليم ، وبك يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه فى الأيام الأولى ؛ فابقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا هاجعا ، وكُنْ فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا ، وأبد كلمة التوحيد فاستجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا ؛ ولا تمحل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور ، واحتفل بيدل مادجا من ظلماتها بالنور ؛ فهذه حصون بها يحصل الارتفاع ، وعلى العدو داعية أترقي لا اجتماع ، وأولاهها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا ، والعدو إليه ملتفنا ناظرا ؛ لاسيما ثغور الديار المصرية فإن العدو وصل إليها راجحا وراح خاسرا ، وأستأصلهم الله فيها حتى ما اقل منهم حائرا ؛ وكذلك الأسطول الذى ترى خيله كالإلهة ، وركابته سابقة بنير سائى مستقلة ؛ وهو أخو الجيش السليمانى فإن ذاك غدت الريح له حامله ،

وهذا تكفّلت بحمله الريح السابله ؛ وإذا لحظها الطرف جارية في البحر كانت كالأعلام ، وإذا شبهها قال : هذه ليالٍ تُقلعُ بالأيام ؛ وقد سئى الله لك من السعادة كلّ مطلب ، وأتاك من أصالة الرأي الذي يُريك المُغيّب ؛ وبسط بعد القبض منك الأمل ، ونشط بالسعادة ما كان من كسل ؛ وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتدياً إليها ، وأزمت المراكش فلا تحتاج إلى تنبيه عليها ؛ والله تعالى يُمدك بأسباب نصره ، ويؤدك شكر نعمة فإن النعمة تستم بشكره ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة عهد كتب بها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، للسلطان الملك المنصور قلاوون ، عن الخليفة الإمام أبي العباس أحمد الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره على هذه الطريقة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل آية السيف ناصخة لكثير من الآيات ، وفاضة لمقود أولى الشك والشبهات ؛ الذي رفع بعض الخلق على بعض درجات ، وأهل لأموال البلاد والعباد من جاءت خوارق تملكه بالذي إن لم يكن من المعجزات فن الكرامات .

ثم الحمد لله الذي جعل الخلافة العباسية بعد القوط حسنة الإتياس ، وبعد الشعوب جميلة الإتياس ، وبعد التشرّد كل دار إسلام لها أعظم من دار السلام .

والحمد لله على أن أشهدا مصارع أعبائها ، وأحمد لها عواقب إعادة نصرها .
وإذا تبيّن بعد أن ظنّ كلّ أحد أن شجارها الأسود ما بقي منه إلا ما صانته العيون في جفونها والقلوب في سويداتها . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان، وتتمطر بتفحاتها الأفواه والأردان،
وتتلقاها ملائكة القبول قترعها إلى أعلى مكان . ونصلي على سيدنا محمد الذي أكرمنا
الله به وشرف لنا الأنساب، وأعزنا به حتى نزل فينا محكم الكتاب، صلى الله عليه
وعلى آله الذين أنجب الدين منهم عن أنجاب، ورضى الله عن صحابته الذين هم
خير صحاب، صلاة ورضوانا يوفي قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير
حساب (٩) يوم الحساب .

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور، وأظهر للإسلام سلطاناً أشتدت
به للأمة الظهور وشفيت الصدور، وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور
كما أقامها فيما مضى بالمنصور، واختار لإعلان دعوتها من ينجي معاليها بعد العفاء
ورسومها بعد الدثور، وجمع لها الآن ما كان جمع عليها فيما قبل من خلاف كل
ناجم، ومنحها ما كانت تبشرها به مخف الملاحم^(١)، وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة
العلوية بخير سيف مشحون ماضى العزائم، ومازج بين طاعتها في القلوب وذكرها
في الألسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم؟، وأخرج لحيطة الأمة المحمدية ملكاً
تقسم البركات عن يمينه، وتقسم السعادة بنور جبينه، وتقهّر الأعداء بفنكاته،
وتهمر عقائل المعازل بأصغر راياته، ذو السعد الذي مازال نوره يشف حتى ظهر،
ومعجزه يرف إلى أن بهر، وجوهه ينتقل من جيد إلى جيد حتى علا الحيين،
وسره يكثر في قلب بعد قلب حتى علم - والحمد لله - نبأ تمكينه في الأرض بعد
حين، فاختره الله على علم، وأصطفاه من بين عباده بما جله الله عليه من كرم
وشجاعة وحلم، وأتى به الأمة المحمدية في وقت الاحتياج عوناً وفي إبان الاستعمار

غَيْثًا ، وَفِي حِينِ عَيْثِ الْأَشْبَالِ فِي غَيْرِ الْإِقْرَاسِ لَيْثًا ؛ فَوَجَبَ عَلَى مَنْ لَهُ فِي أَغْنَاقِ الْأُمَّةِ الْمَحْمَدِيَّةِ مُبَايَعَةُ رِضْوَانٍ ، وَعِنْدَ آيْمَانِهِمْ مَصَاحِفَةُ آيْمَانٍ ؛ وَمَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِبَرَاثِ مَنْصِبِ النَّبَوَّةِ ، وَمَنْ تَصَحَّحَ بِهِ كُلُّ وَلايَةٍ شَرْعِيَّةٍ يُؤْخَذُ كِتَابُهَا مِنْهُ بِقُوَّةٍ ؛ وَمَنْ هُوَ خَلِيفَةُ الزَّمَانِ وَالْعَصْرِ ، وَمِنْ بَدَعَوَاتِهِ تَقَرُّلٌ بِالنَّصْرِ عَلَيْكُمْ مَعَاشِرَ الْإِسْلَامِ مَلَائِكَةُ النَّصْرِ ، وَمَنْ نَسَبُهُ بِنَسَبِ نَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُتَشَجِّعٌ ، وَحَسَبُهُ بِحَسَبِهِ مُمْتَرِجٌ ، أَنْ يَفُوضَ مَافُوضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْخَلْقِ ، إِلَى مَنْ يَقُومُ عَنْهُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ ؛ وَأَنْ يُؤَلِّيَهُ وَلايَةً شَرْعِيَّةً تَصَحُّحُ بِهَا الْأَحْكَامُ وَتَنْضَبِطُ أُمُورُ الْإِسْلَامِ ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْعُصْبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ بِإِمَامِهِمْ مِنْ طَاعَةِ خُلَفَائِهِمْ هَذَا بِغَيْرِ إِمَامٍ ؛ وَنُحْرِجُ أَمْرَ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - شَرَفَهُ اللَّهُ - أَنْ يَكُونَ لِلْقَرْنِ الْعَالِ ، الْمَوْلَوِي ، السَّاطِنِي ، الْمَلَكِي ، الْمَنْصُورِي ، أَجَلُهُ اللَّهُ وَنَصْرُهُ ، وَأَنْظَرُهُ وَأَقْدَرُهُ ، وَأَبْدُهُ وَأَيَّدُهُ ، كُلِّ مَافُوضَهُ اللَّهُ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُكْمٍ فِي الْوُجُودِ ، وَفِي التَّهَامِ وَالشُّجُودِ ، وَفِي الْمَدَائِنِ وَالخَزَائِنِ ، وَفِي الظُّوَاهِرِ وَالْبَوَاطِنِ ؛ وَفِيمَا قَتَحَهُ اللَّهُ وَفِيمَا سَيَقْتَحُهُ ، وَفِيمَا كَانَ فَسَدَ بِالْكَفْرِ وَالرَّجَاءِ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ سَيُصْلِحُهُ ؛ وَفِي كُلِّ جُودٍ وَمَنْ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَمَنْ ؛ وَفِي كُلِّ هِبَةٍ وَتَمْلِكٍ ، وَفِي كُلِّ تَفَرُّدٍ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ شَرِيكَ ؛ وَفِي كُلِّ تَعَاهُدٍ وَتَبَذٍّ ، وَفِي كُلِّ عَطَاءٍ وَأَخْذٍ ؛ وَفِي كُلِّ عَزَلٍ وَتَوَلِّيٍّ ، وَفِي كُلِّ تَسْلِيمٍ وَتَحْلِيلٍ ؛ وَفِي كُلِّ إِرْفَاقٍ وَإِنْفَاقٍ ؛ وَفِي كُلِّ إِنْصَامٍ وَإِطْلَاقٍ ؛ وَفِي كُلِّ تَجْلِيدٍ وَتَعْوِيضٍ ، وَفِي كُلِّ حَمْدٍ وَتَقْرِيبٍ ؛ وَلايَةً عَامَةً تَامَةً مُحْكَمَةً مُحْكَمَةً ، مَنْصُودَةً مَنْظُمَةً ؛ لَا يَتَعَقَّبُهَا تَنْسُخٌ مِنْ خَلْقِهَا وَلَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ، وَلَا يَتَعَدِّي بِهَا فُسْخٌ يَطْرَأُ عَلَيْهَا ؛ يَزِيدُهَا مَرَّةً الْإِيَّامُ جَلَّةً يُعَاقِبُهَا حُسْنُ شَبَابٍ ، وَلَا يَنْتَهِي عَلَى الْأَعْوَامِ وَالْأَحْقَابِ ، نَهْمٌ يَنْتَهِي إِلَى مَا نَصَبَهُ اللَّهُ لِلْإِرْشَادِ مِنْ سُنَّةٍ وَكِتَابٍ ؛

وذلك من شرع الله أقامه للهداية علماً ، وجعله إلى اختيار الثواب سلباً .
 فالواجب أن يعمل بجزئيات أمره وكلياته ، وأن لا يخرج أحد عن مقدّماته ،
 والعدل فهو الغرس المثمر ، والسحاب الممطر ، والروض المزهر ، وبه تستزل
 البركات ، وتختلف الهبات ، وترى الصدقات ، وبه عمارة الأرض ، وبه تؤدى السنة
 والفرض ، فمن زرع العدل آجنى الخير ، ومن أحسن كفى الضرر والضرر ، والظلم
 فعاقبته وخيمه ، وما يطول عمر الملك إلا بالمعلة الرحيمه ، والرعية فهم الودعة
 عند أولى الأمر ، فلا يخصص بحسن النظر منهم زيد ولا عمرو ، والأموال ، فهي
 ذخائر العاقبة والمآل ، والواجب أن تؤخذ بحققها ، وتنفق في مستحقها ، والجهد
 برأ وبحراً فمن كانه الله تفوق سبائه ، وتورخ أيامه ، ويتضى حسابه ، وتجبرى
 منشأته في البحر كالأعلام وتنتشر أعلامه ، وفي عقر دار الحرب يحط ركابه ، ويحط
 كتابه ، وترسل أرسائه ، وتجوس خلافاً فرسائه ، فليزّم منه ديننا ، ويستصحب
 منه فعلاً حسناً ، وجيوش الإسلام وكتابته ، وأمرأؤه وحماته ، فهم من قد علمت
 قديم مجره ، وعظم نصره ، وشدة باس ، وقوة مراس ، وما منهم إلا من شهد
 الفتوحات والحروب ، وأحسن في المحاماة عن الدين الدنوب ، وهم بقايا الدول ،
 وبقياء الملوك الأول ، لاسيماً أولى السعى الناجح ، ومن لهم نسبة صالحة إذا غفروا بها
 قيل لهم : نيم السلف الصالح ، فأوسعهم راء ، وكُن بهم برأ ، وهم بما يجب من
 خدمتك أعلم وأنت بما يجب من خدمتهم أدرى ، والشعور والحصون فهم ذخائر
 الشدة ، وخزائن العديد والعنده ، ومقاعيد للقتال ، وكائن الرجاء والرجال ، فأحسن لها
 التحصين ، وفوض أمرها إلى كل قوى أمين ، وإلى كل [ذى] دين متين ، وعقل
 رصين ، وثواب المالك وثواب الأمصار ، فأحسن لهم الاختيار ، واجمل لهم
 الاختيار ، وتفقد لهم الأخبار .

وأما ما سوي ذلك فهو داخل في حدود هذه الوصايا النافعة ، ولولا أن الله أمرنا بالتذكير ، لكانت سبباً لالمقر الأشرف السلطاني ، الملك ، المنصوري ، مكتفيةً بأنوار المعية الساطعة ، وزمام كل صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته ، هو تقوى الله قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .

فليكن ذلك نصب العين ، وشغل القلب والشفقة ، وأعداء الدين من أرمن وفرنج وتتر ، فاذقهم وبال أمرهم في كل إيراد للغزو وإصدار ، وتزلزل تأخذ الخلق العباسيين وجميع المسلمين منهم التتر ، وأعلم أن الله يصيرك على طلبهم وما للظالمين من أنصار .

وأما غيرهم من مجاورهم من المسلمين فأحسن باستنقاذك منهم العلاج ، وطبهم باستصلاحك فبالطبيب الملك المنصوري ينصلح المزاج ، والله الموفق بمنه وكرمه .



وعلى هذه الطريقة مشى المقر الأشرف الناصري محمد بن البارزي الحموي صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالديار المصرية وسائر الممالك الإسلامية : بحمد الله تعالى الوجود بوجوده ، وأناف بقدره على كيوان^(١) في أرقائه وصعوده ، وجعله لسلطانه المؤيد ردماً مابداً سعد الملك صاعداً إلا كان له سعد صعوده .

فكتب على ذلك عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر « شيخ » خلد الله سلطانه ، عن الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباس أمير المؤمنين خليفة العصر .

(١) أسم لكوكب زحل وهو ممنوع من الصرف العلمية والعجمة لأنه ليس في كلام العرب أسم عنه ياء ولانه وار . انظر اللسان في مادة خ ون ج ١٦ .

أيد الله تعالى به الدين - في شعبان المكرم سنة خمس عشرة وثمانمائة، بعد خلع
الناصر قرق؛ فاقى فيه بما أنجل الروض المنعم والتجم الزاهر، وأوجب على
العارف بتقد الأمرين أن يقول: كم ترك الأول للآخر؛ عند فيه وقائع المشهورة،
وذكر مناقبه التي صارت على صفحات الأيام مرقومة وعلى مر الليالي مذكورة،
وفي بطون التواريخ على توالى الجديدين وتعايب الدهور مسطوره؛ (فكتب على ذلك
عهد السلطان الملك المؤيد أبي النصر شيع خلد الله سلطانه)^(١)، ونصه:

الحمد لله الذي جعل الدين بنصره مؤيدا، وانتضاه لمصالح الملك والدين فأصبح
ومن مرفقات عزمه بادية بائدة العدا؛ وفتح على فقر الزمان بشيخ ملك زويت له
عوارف العدل ومعارف الفضل فاستغنى - والله الحمد - بسعيد السعدا، وأصلح
فساد الأحوال بأحكام رايه وإحكام حكمه فأصبحت مأمونة الرءاء آمنة من الردى؛
وأمتن على أولياء الدولة الشريفة بمن لم يزل سهم تديره الشرف فيهم مسددا، ومياه
الظفر جارية من قناة غوره الذي بذلك تعودا، وبحر إحسانه الكامل وإن قدم
العهد المديد مجلدا.

والحمد لله الذي جعل وجوه هذه الأيام بالأمين مسفرة، ولبالى جودها بالعدل
مقمره؛ وعذبات أوليائها بالأفراح مزهره، وحدائق أخصائها بالنجاح مثمره؛
ومنازل أعدائها مقفرة موحشه، ونوازلهم منيرة منهشه؛ وأجسادهم بأمراض
قلوبهم مشوشه، وأجسادهم بلوايح زفرتهم معطشه.

والحمد لله الذي جعل هذه الأيام الفاضلة بالجلال جليلة الفضل، شاملة النظام
ناظمة الشمل، هامة بالمكرّمات هامة بالعدل؛ دانية القُطوف، معروفة بالمعروف،
مغيثة الملهوف، مريهة للألوف، متصرفة في الآفاق صارفة الصروف؛ حمداً ينيح

(١) قدمت هذه الجملة نصها قبل سنة أسطر ظلتها تكررت من ظم التامخ أو مبر من المؤلف فنبه.

النُّفُوسَ ، وَيُرِيْلُ الْبُوسَ ؛ وَيُدِيمُ السُّرُورَ ، وَيُنْهَبُ الْمُحْذُورَ ، وَ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ .

نَحْمَدُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي تَقِيَّتِ الْأُمَمَ يَظْلَاهَا ، وَبَلَّغَتْ بِهَا النُّفُوسَ غَايَةَ أَمَانِهَا ؛ وَرَوَيْتْ بَعْدَ ظَلَمِ الْخَوْفِ مِنْ حِيَاضِ أَمْنٍ زُلَالَهَا ، وَأَسْتَسْرَتْ بَعْدَ الْحَزَنِ بِأَفْرَاحِ قَبُولِهَا وَإِقْبَالِهَا ، وَارْتَفَعَتْ بَعْدَ انْخِفَاضِهَا رُغُوسِ أَبْطَالِهَا وَأَقْبَالِهَا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُدِيمُ النِّعَمَ ، وَتُجْزِلُ الْعَطَاءَ ؛ وَتُكْشِفُ الْغَمَّ ، وَتَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي قَرَنَ طَاعَةَ أُولَى الْأَمْرِ بِطَاعَتِهِ ، وَأَيَّدَ مِنْ أَمْتَدَى مِنْهُمْ بِهِدَايَتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ لِمَا اسْتَعَانَ بِعِيَايَتِهِ ، وَأَظْلَمَ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِلَى حَوْزَتِهِ وَأَحْتَمَوْا بِحِمَايَتِهِ ، وَاتَّمَرُوا بِغَرْسِ دِينِهِ فَرَعَوْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ ، وَشَرَفُوا وَكْرَمَ .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِقَضَائِهِ سَابِقَةً ، وَرَأْفَتُهُ بِجِبَادِهِ مَتَلَحِّقَةً ، وَكَانَتْ الْمَالِكُ الشَّرِيفَةُ قَدْ اخْتَلَّتْ أُمُورُهَا ، وَصَارَ إِلَى الدُّثُورِ مَعْمُورُهَا ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْبَوَارِ أَمِيرُهَا وَمَأْمُورُهَا ؛ فَالْشَّرَائِعُ مُتَغَيِّرَةٌ شَرَائِعُهَا ، وَالْعَوَائِدُ مَفْقُودَةٌ مَا تَرُهَا ؛ وَالْمَظَالِمُ قَوًى سُلْطَانُهَا ، كَثِيرٌ أَهْوَانُهَا ؛ ضَعِيفٌ مُضَادُّهَا ، قَلِيلٌ مُعَانِدُهَا ؛ فَلَا نَائِبُ سِيَاسَةٍ إِلَّا مُشْغُولٌ بِالنَّوَابِ ، وَلَا حَاسِكٌ شَرَعَ إِلَّا وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ ؛ وَلَا تَاجِرٌ إِلَّا وَقَدْ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُ فَمَا رِيحَتْ ، وَلَا ذُو قِرَاضٍ إِلَّا وَرُئُوسُ أَمْوَالِهِ قَدْ أَتَقَرَّضَتْ ، وَلَا صَاحِبُ ثَرَاتٍ إِلَّا وَقَدْ حُجِّتْ آيَةُ مِيرَاثِهِ وَتُسِخَتْ ؛ وَلَا رُكْنٌ مَمْلُوكَةٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْهَلَمَ أُسَاسُهُ ، وَلَا عَضُدٌ دَوْلَةٍ إِلَّا وَقَدْ بَطَلَ إِحْسَامُهُ . أَقَامَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِإِزَالَةِ هَذِهِ النَّوَازِلِ الْقَادِحَةِ ، وَإِحْمَادِ نَارِ هَذِهِ الْقَبَاحِ الْقَادِحَةِ ؛

مَنْ تَوَقَّعَتِ الدَّوَاعِي عَلَى أَسْتَحْقَاقِهِ السُّلْطَنَةَ الشَّرِيفَةَ ، وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى انْحِصَارِ
 ذَلِكَ فِي أَوْصَافِهِ الْمُتَنِيهِ ، وَدَلَّتْ أُمَّاؤُ السُّعُودِ عَلَى مَحَلِّهِ الْجَلِيلِ ، وَجَنَابِهِ الَّذِي إِذَا
 لَازِمَهُ مِنْ خَافِ الدَّهْرِ رَجَعَ وَطَرَفُ الدَّهْرِ عَنْهُ كَلِيلٌ ، طَالَمَا أَصْنَى مَوَارِدَ الْعَدْلِ ،
 وَأَضْنَى أَذْيَالَ الْفَضْلِ ، وَأَمَّنَ الْخَائِفَ ، وَرَوَّعَ الْخَائِفَ ، وَأَمْضَى فِي الْجِهَادِ عَزَمَهُ ،
 وَأَنْفَذَ فِي السَّرَايَا إِلَيْهِ حُكْمَهُ ، وَسَدَّدَ إِلَى مَمَاوِنِهِ فِي غَرَضِ الْكُفَّارِ مَهْمَهُ ، وَفَنَعَ
 الطَّرِيقَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بَعْدَ الْإِسْدَادِ ، وَأَنَهَمَ عَلَى الْقَانِعِ وَالْمَعْتَرِّ بِالرَّاحِلَةِ وَالزَّادِ ،
 وَعَمَّرَ الْمَسَاجِدَ ، وَجَعَلَهَا أَهْلَةً بِالرَّاكِمِ وَالسَّاجِدِ ، وَجَلَّا عُرُوسَ الْأُمُومَى فِي حُلَلِ
 التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَأَوَادُ عُدَدٍ مِنْبَرِهِ الذَّائِلِ وَهُوَ نَضِيرٌ . هَذَا مَعَ شُجَاعِيَّةٍ شَاهِدَهَا وَشَهِدَ
 بِهَا أَبْطَالُ الْإِسْلَامِ ، وَمَسْطُوقَةٌ تَحْشَاهَا الْأُسُودُ فِي الْآجَامِ ، وَوَقَارٍ يُخَضِّعُ بِالْمِهْبَةِ
 رُءُوسَ الْأَعْلَامِ ، وَيُسْرِيطُ لُجْءَهُ مِنْ طَالِعِ جَبْهَتِهِ ، وَنُورِ سَاطِعٍ مِنْ جِهَةِ جَبْهَتِهِ ؛
 وَحَيَاءٍ مُتَطَلِّعٍ مِنْ طَلْعَتِهِ ، وَحِبَاءٍ مُتَدَفِّقٍ مِنْ أَعْلَانِهِ ؛ وَكَانَتْ أَيْهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلِ الْمُؤَيَّدِ
 - لَا زَالَ تَمَثَّلُ الدِّينَ بِكَ مُجُوعًا ، وَعِلْمُ الْإِسْلَامِ مَرْقُوعًا ، وَقَلْبُ أَهْلِ الشَّرْكِ وَالتَّفَاقُ
 مَرْوَعًا - أَنْتَ الْمُتَصَفِّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْكَاشِفَ لَتِلْكَ الشَّدَائِدِ الشَّدِيدَةِ ،
 فَلَمْ يَرُكْ خَطَرُ الْخَطَّارِ ، وَلَا أَمَحْلُلُ أَهْلِ صَرْخَدٍ حَيْثُ أَشْهَرَتْ عِزَّتُ صَوَارِمِكَ
 الْبَتَّارِ ؛ وَلَا خَطَرُكَ مِنَ الْقَيْسَارِيَّةِ إِلَى الرِّيدَانِيَّةِ فِي أَسْرَعِ مِنْ خَفْوِهِ ، وَالشَّيْخُ
 لَا تُشْكِرُهُ لَخَطْوِهِ ، وَلَا مَشَاهِدَةُ الْحِمَامِ فِي الْحِمَامِ ، وَلَا زَاغَ بَصْرِكَ بِالْجُبُونِ حِينَ أَظْلَمَ
 الْقَتَامُ ؛ حَتَّى زَالَ الْمَانِعُ ، وَبَجَعَ الْهَاجِجُ ؛ وَأَمِنْتَ الْخُطُوبَ ، وَفُرِّجَتِ الْكُرُوبُ ؛
 وَخَلَا دَسْتُ السُّلْطَنَةِ مِنْ نَكْتِ الْأَيْمَانِ ، وَأَصْرَّ عَلَى الْإِيْثِمِ وَالْعُنُودِ ، وَأَقْرَرْتَ أَسَمَ
 الْخِلَافَةِ عَلَى الْإِفْرَادِ ، لَيْسْتَ خَيْرَ اللَّهِ فِي الْأَصْلَحِ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

هَذَا وَرَأَى أَهْلَ الْحَلِّ وَالْقَدْرِ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ وَأَمْرَائِهِ ، وَقُضَائِهِ وَصُلَحَائِهِ ،
 وَمَشَائِخِهِ وَصُلَحَائِهِ ؛ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، وَرَأَى مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ

الدين ، وجمع بين بركته شمل الإسلام والمسلمين ؛ مُجِّعٌ عَلَى تَفْوِيزِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ
وَوَلَايَةِ عَهْدِهِمْ وَكَفَالَةِ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْإِمَامَةِ الْعُظْمَى إِلَيْكَ - خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَكَ ،
وَجَعَلَ النُّهْرَ خَدِيدَكَ وَالْمَلَأْمَكَةَ أَعْوَانَكَ ؛ فَتَقْدَمُ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِسْتِخَارَةِ أَمَامَ
هَذَا التَّقْلِيدِ مَا يُعْتَبَرُ فِي السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ وَيُقَدَّمُ ، وَعِلْمُ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِيهَا خَارَهُ اللَّهُ لَهُ
وَالْأُمَّةُ مِنْ وَلَايَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُبِجَّلُ وَالسُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ ؛ وَأَنْكَ أَبْرَأُ لِلَّهِ ، وَأَبْرَأُ
بِالْإِثْمَةِ ؛ وَشَاهَدَ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى سُلْطَانِكَ مِنَ التَّأَلُّفِ وَالِاتِّفَاقِ ، مَا نَفَى الْخِلَافَ
وَالشَّقَاقَ ؛ وَمَا سَرَّ الْجُمْهُورَ الطَّائِعِينَ مِنْ غَيْرِ دِفَاعٍ ، وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ لِبَدِيعِ آرَائِكَ وَرَفِيعِ
رَايَاتِكَ مُدْعِيَيْنَ لِحَسَنِ الْإِتِّبَاعِ ؛ وَأَهْلَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لِأَمْرِكَ وَنَهْيِكَ قَدْ خَضَعَتْ
مِنْهُمْ الرُّقَابُ ، وَسَارَعُوا إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِكَ حِينَ أَنْضَجَتْ لَهُمْ أُدْلَةُ الصُّوَابِ .
وَالزَّمَانُ بِإِنْفَاءِ الْأَمْرِ إِلَيْكَ قَدْ طَابَ وَأَعْتَدَلَ ، وَالْأَرْضُ فِي مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا
بِمَهَابَتِكَ قَدْ أَمِنَتْ مِنَ الْوَجَلِ ، وَالنَّفُوسُ الْأَيَّامُ قَدْ أَذْعَنْتْ لِمُبَايَعَتِكَ مِنْ غَيْرِ مَهَلٍ ؛
وَالْفِتْنَةُ وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ بِالْغَيْظِ مُثِيرَهَا ، وَالْأُلُفَةُ وَقَدْ بَرَّقَتْ مِنْ سَرَائِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ
أَسَارِيرُهَا ؛ وَالْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ كَمَا أَحَاطَتْ بِالْبُدُورِ الْهَالِكَةِ ، وَقَدْ أَنْزَلَ
اللَّهُ عَلَيْكَ نَامُوسَ الْمَهَابَةِ وَالْجَلَالَةِ ؛ وَفَوَّضَ إِلَيْكَ مَا وَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَسَدَّدَ إِلَيْكَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ : لَتُقِيمَ عَلَى أَسَاسِ
أَحْكَامِكَ دَعَائِمُ الدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَتُسَيَّرَ الْخِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ طَرِيقِكَ الْمُسْتَقِيمِ ؛
وَتَحْسُنَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِرِعَايَتِكَ حَاقِبَةُ الرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ بِكَ رَاضِيَةً
مَرْضِيَّةً .

وَعَهْدَ إِلَيْكَ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا وَرَاءَ سَرِيرِ خِلَافَتِهِ ، وَفِي كُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِأَحْكَامِ
إِمَامَتِهِ ؛ وَقَدْ لَكَ ذَلِكَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا وَقُرْبًا ؛ وَبَرًّا وَبَحْرًا ، وَسَهْلًا وَوَعْرًا ؛
وَفِي كُلِّ مَالِهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَمَالِكِ ، وَمَا يَفْتَحُهُ [اللَّهُ] عَلَى يَدِكَ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ تَفْوِيزًا

شاملاً، وتقليداً كاملاً؛ وعهداً ثابتاً، وإسناداً حاكماً؛ ولايةً مكلّمةً البَيَّان، مؤسّسةً على تقوى من الله ورضوان؛ وسلطنةً آخذةً بالذم، مشتملةً على جميع الأثم؛ يدخل في هذا العهد العامّ والتفويض التام، والرأى الذى شهد له إجماع الأئمة بالإحكام؛ [يدخل في ذلك] مفضُولُ الناس وفاضِلُهُم، وطالِبُهُم وجاهِلُهُم؛ وخاصُّهم وخاصَّتُهُم، ونافِصُهُم وتامُّهم؛ وشرِيفُهُم ومشروَفُهُم، وقَوِيَّهُم وضعِفُهُم؛ وأمْرُهُم ومأمورُهُم، وقاهرُهُم ومقهودُهُم؛ والجمعُ والجماعات، وبيوتُ العبادة والطاعات؛ والقضاةُ وأحكامُها، والخطباءُ ومنايِرُها وأعلامُها؛ والجيشُ والعساكرُ والكاتبُ، وربُّ سيفٍ وكتابٍ إنشاءً وقلمٌ حاسبٌ؛ وطوائفُ الرعايا على اختلاف أطوارهم، وتفاوتِ أرزاقهم وأقدارهم، والرِّبائُ والعشائرُ، وبيوتُ الأموال والذخائر؛ ودانى الأثم وقاصيها، وطامئها وصابيها؛ والخراجُ وجبايئُهُ، والمصرفُ وجهائُهُ؛ والصدقاتُ ومستحقُّوها، والرِّزقُ ومرتقوها؛ والإقطاعاتُ والأجنساد، وما يُستَعَدَّ [به] لمواطنِ الجهاد؛ والمنعُ والعطاء، والقبضُ والإمضاء؛ والخمسُ والزكوات، والمُهدنُ والمعاهدات، والبيعُ والتهامات؛ وما يظهر من أمور الملك وما يخفى؛ وما تستدعيه براعتك في السرِّ والعلاني؛ وشعارُ السلطنة وأهبتها، ونواميسُ الملك وحرماتها .

فاجبت - رعاك الله - دعوة أمير المؤمنين ودعوتهم لقبول ذلك مسئُولا، معتمداً على أن الله سيُزيل إليك من يُسدّدك من الملائك فعلاً وقولاً؛ فاجلس - أيدك الله - على ثَمَّتْ مُلْكُك قد هَيَّاه الله لمواقفك المظهِرة، وسريرِ سلطنة طَلَّتْ سريرِ سَعْنِكَ الأجميد فتقاعستِ الهِمَمُ عنه مُقَصَّرَةٌ .

فالحمد لله ثم الحمد لله عن الدهر وأبنائه، ولا مثل هذه النعمة بهذا الخبر وأبنائه؛ (وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) وهذا ما كان من قضية الدين على رغم

الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ؛ وهذا ما كانت الآمالُ تنتظرُ ورُودَهُ ، وجواري القِدَمِ ترتقبُ
سُعودَهُ :

والله ما زادوك مُلكاً إلماً * زادوا أكفَّ الطالبين نوالاً !

وأما الوصايا ، فانتَ بحمد الله طاملاً ملأتَ بها الأسماع ، وكشفتَ عاطفتك لمن
أردتَ ترتيبَها منها القِتاعَ ؛ ولكن عُد من تبسُّداتك السماعَ لشذوْها ، والطربُ
لحذوْها ؛ فعليك بقوى الله ، فيها تُورقُ أغصانُ الأربِ الدَّوابِل ، ويُردُّ طائرُ غرْكَ
البُيُوتِ بالأفْجار والأصائل ؛ فاجعلْها ربيعَ صَدْرِكَ ، وأينعْ بها حدائقَ فِكْرِكَ ؛
ودوحَ يعرفُها الأريحُ أرباءَ مُلكِكَ ، وأجرِ الشرعَ الشريفَ على ما عَوَّدته من نصركَ ،
والعلماء على ما أَلْفَوْه من رِّكَ وخَيْرِكَ ؛ فهم ورثةُ الأنبياء طيِّهم السلام ، والدَّالُّون على
الشريعةِ بِأسَنَةِ أَقلامهم ما يَكُلُّ عنه حدُّ الحُسام ؛ وطهَّرْ مَنْصِبَ الشرع الشريف
من الرِّذائل ، وصُنْ أَيَّامَ مُلكك الشريف عن الجُهاَل والأَكِلين أموالَ الناس
بالباطِل ، والعدل - ونستغفر الله - فإنك مُتَمَرِّغٌ لِفِراسه ، رافعٌ ما أنهدم من أساسه ؛
قد جعلته مجلسَ محاسنك ، وأينسَ خَلواتك ؛ والفضل - وِرْكُ أنجَلِ الأَقلام
فلو مرَّ بك راجيك على الصِّفا لأرتاح للعروف ، أو شاهدَ هيباتك حاتمٌ لرجع طرفه
عنها وهو مطرُوف ؛ ولا سَرَفٌ في الخير ، ولا ضَرَرٌ ولا ضَيَرٌ ؛ وأمرُ بالمعروف وأنه
عن المنكر فانتَ المسؤولُ بين يدي الله من ذلك ، وأنه نفسَكَ عن الهوى بِحيثُ
لا يَرَاكَ اللهُ هنالك ؛ وحدود الله فلا تتعداها ، والرايا لا تُخطأ بعين رمايتك وأزعاها ؛
وجنِّد الجنود برأ وبجرا ، وأنزل أعداءك قهراً وقسراً ؛ وراجع النظرَ في أمرِ ثواب
السلطنة الشريفة مراجعة الناقد البصير ، وتيقظ لصيانة قلاع المالك ومآقِلها
وحُصُونها ، وتخيِّر لها من ليس بِمُشْكوك المناصحة ولا مَظنونها ؛ وحُطها مع عِسايرها

بالعِدَّة والعُدَّة ، والأقوابِ لِيَكُنْ تَطْمَئِنُّ النَفُوسُ بِمَدِّهَا مِنْهَا إِذَا طَالَتْ الْمُدَّةُ ، وَتَقَفَّدَ
أَحْوَالَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْتَعْدِّ ، وَأَرَعَ حُقُوقَ مَنْ لَهُ بِهَا خِدْمَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ ، وَأَجْعَلَ
النُّفُورَ بِاسْمَةٍ بِحَفَظَتِهَا ، وَلاَحِظِ الْأُمُورَ بِحَسَنِ تَدْيِيرِكَ الْمَالُوفِ فِي سِيَاسَتِهَا . وَأَسْتَوْصِ
خَيْرًا بِأَمْرِكَ الْخَالِصِينَ مِنَ الشُّكُوكِ ، السَّالِكِينَ فِي طَاعَتِكَ أَحْسَنَ السُّلُوكِ ؛
وَضَاعِفَ لَهْمِ الْحُرْمَةِ ، وَأَرَعَ لَهْمِ الذَّمِّ ؛ لِأَسْمَا أَوَّلَى الْفِكْرِ الثَّاقِبِ ، وَالرَّأْيِ الصَّابِ ؛
فَسَاوِرْهُمْ فِي مُهِمَّاتِ الْأُمُورِ ، وَأَشْرَحْ بِإِحْسَانِكَ مِنْهُمْ الضُّدُورَ ؛ وَأَرَعَ حُقُوقَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، الَّذِينَ سَلَكْتَ مَعَهُمْ مَطَايِهُمُ الْبَطَاحِ وَالْقِفَارِ ، وَهَجَرُوا مَحْبُوبَهُمْ
مِنَ الْوَطَنِ وَالْأَرْبِ ، وَجَالَلُوا وَجَادَلُوا ، وَأَوَّوْا فِي سَبِيلِكَ وَقَاتَلُوا ؛ وَأَبْلَ كُلًّا مِنْهُمْ
مَا يَرْجُوهُ ، وَأَشْرَحْ صُدُورَهُمْ بِإِدْرَاكِ مَا أُمِّلُوهُ ، وَجِيُوشِ الْإِسْلَامِ فَاعْرِضْ مَحَبَّتَكَ
فِي قُلُوبِهِمْ بِإِحْسَانِكَ ، وَكَمَا سَبَقَتْهُمْ حَسَنًا فَتَحَبَّبْ إِلَيْهِمْ بِجَزِيلِ آمْنَتِكَ ؛ وَجِيُوشِ
الْبَحْرِ فَكُنْ لَهَا مَحِيطًا ، وَبِحِيلَاتٍ مَشِيهَا مَحِيطًا ؛ فَإِنَّهَا تَوَجَّهَ لِلْأَصْفَاقِ ، سُبَايَا نِيَّةِ
الْإِسْرَاعِ ، فَتَهْدِفُ بِالرُّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ ، وَتَقْلَعُ بِقُلُوبِهَا أَقَارَ الْمُخْلِدِينَ ؛
فَوَاصِلُ تَجْهِيزِ السَّرَايَا لِرُكُوبِ تَجْبِجِهِ ، وَالنُّوَصِ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي عَمِيقِ تَجْبِجِهِ . وَأَجْمِلِ
النَّظَرَ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَحَرِّمْ رَسُولَهُ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ : لَتَسْلُكَ عَيْنُ
الْأَمْنِ الْأَبَاطِيعَ ، وَتَقَرَّ عِيُونُ حُمْرِهِ بِالْمُسَامِخِ وَالْمَسَامِخِ ؛ وَتَعْرِفَ بِعِرْفَانِكَ عَرَافَاتِ ،
وَتُرَى بِخَافِئِ الْخَلِيفِ مِنْ أَيْدِي مَهَابِكَ بِالْبَحْرَاتِ ؛ وَصِلْ جَبَانَهُمَا بِصَلَاتِكَ :
لَتُسَبِّحَنَّ أَعْيُنُهُمْ بِالْعَدَاءِ لَكَ وَأَنْتَ فِي غَفْوَاتِكَ . وَالْقُدْسُ الشَّرِيفُ الَّذِي هُوَ أَحَدُ
الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُشَدُّ إِلَيْهَا الرِّجَالُ فِرْدَ تَقْدِيسِهِ ، وَأَجْعَلَ رُبُوعَ عِبَادَاتِهِ بِالصَّلَوَاتِ
مَأْنُوسَةً . وَإِقَامَةُ مَوْسَمِ الْحَجِّ كُلِّ سَنَةٍ فَانْتَ بَعْدَ حَرَكَةِ تَجْمُورِ فَالَيْحِ سَبِيلِهِ ، وَكَامِي
تَحْيَلِهِ حُلَّالِ تَوْقِيرِهِ وَتَحْيِيلِهِ .

هذه الوصايا تذكّرة لخواطر الشريف وحاشاك من النسيان ، وهذا عهد أمين المؤمنين ومبايعة أولي الحل والعقد قد تقاضيا إلى حقك على الزمان ، وعندك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ماضل من تمسك بهما ولامان ، فاتبع أحكام الله يوسع الله لك في ملكك ، وأجعل هديك بهما إمام نبيك وأمرتك ؛ وأد ماقلدك الله من حقوق الإمامة والأمانة إلى خلقه أداء موفورا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا بِظَنٍّ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

قلت : ولما كان هذا العهد قد آدرج جلباب العجائب فأعجب ، وأرتدى برداء الغرائب فأغرب ؛ وسقى غرسه ماء البلاغة فأعجب ، وشفّ السماع إذ استمع فارقص على السماع وأطرب ؛ وأمتطى صهوة جواد اليان فتقل فيها من كبت إلى أشقر ومن أحوى إلى أشهب - أجبت أن آتى له بطرة هي له في الحقيقة ذيل ، ونفخة من بحر وقطرة من سيل ؛ لاجرم جعلتها في الوضع في الكتاب له لاحقه ، وإن جرت العادة أن تكون الطرة للعهد سابقه ؛ وهو :

هذا عهد شريف تزقه أقلام أشعة الشمس بنهب الأصيل على صفحات الأيام ، وتنجمه كعب الثريا بتقط النجوم الزواهر وإن كان لعهده للمهود بالإعجام ، وتعترف ملوك الأرض أن صاحبه شيخ الملوك والسلاطين فتقدم في الرأي وتجله في الرتبة وتعامله بالإجلال والإعظام ؛ من عبد الله وولّيه ، وخليفته في أرضه وصفيته ، وسليل خلفائه الراشدين وأبن ضم نبيه ؛ الإمام الفلاني (إلى السلطان الأعظم الملك الفلاني إلى آخر الألقاب) .



وهذه نسخة عهد على هذا المذهب ، كُتِبَ به عن أمير المؤمنين المستعين بالله
أبى الفضل العباس خليفة العصر ، للملك العادل شمس الدنيا والدين « مظفر شاه »
بالسلطنة بالملكة الهندية ، فى شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بدمشق المحروسة ، من
إنشاء الشيخ الإمام علامة العصر ، جامع أشنات الأدب ومالك زمانه ، تقي الدين
محمد بن حجة ، الشاعر الجوى ، ومفتى دار العدل بحماة المحروسة ، مما كُتِبَ بخط
المولى تاج الدين عبد الرحمن بن التساج ، أحد كتّاب الإنشاء الشريف بالأبواب
الشريفة ، فى قطع البغدادى الكامل بخفيف الطومار ، وكانت الطزرة المكتبة
فى الوصل الأولى خمسة أسطر بالقلم المذكور ، وسطرين بخفيف المحقق ، والطزرة
البيضاء خمسة أوصال ، والياض بين كل سطرين ثلث ذراع ، وبنت العلامة
الشريفة ضعف ذلك ، والهامش رُبْعُ الورق على العادة . وصورة الطزرة :

عهد شريف عهد به عبد الله ووليه سيدنا ومولانا الإمام الأعظم العباس أبو الفضل
المستعين بالله أمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ، أعز الله به الدين ، وأمتع ببقائه
الإسلام والمسلمين ، إلى المقام الأشرف ، العالى ، السلطاني ، العادلى ، الشمسى ،
أبى المجاهد « مظفر شاه » أعز الله تعالى أنصاره . وقَّده السلطنة المعظمة بحضرة
« دهلى » وأعمالها ومضافاتها على عادة من قبله فى ذلك ، ولاية عامة شاملة كاملة
جامعه ، وإزعة قاطعة ساطعه ، شريفة منيفة : فى سائر الممالك الهندية وأقاليمها ،
وتنويرها وبلاذها ، وعساكرها وأكابرها وأصاغرها ، ورعاياها ورُعاتها ، وحكامها
وقضااتها ، وما آتوت عليه شرقا وغربا ، بُدًا وقربًا على ما شرح فيه .

الصدر بعد البسملة الشريفة :

الحمد لله الذي وفق عهد النجاشي للسنين به ، وثبت أوتاده : ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه ؛ وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، وأفرغ على أعطاف الأرض حلال الخلافة الشريفة ، وعلم أن خلفها الشريف زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وأختارها من بيت براعة استدلالة في أول بيت وُضِع للناس ، وسبق لإرادته . وله الحمد - أن تكون هذه التهمة من سقاية العباس .

فالحمد لله على أن جعل هذه السقاية عينا يشرب بها المقرَّبون ، ومن علم شرفها تميز وتمسك بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والحمد لله الذي استخلف آله في الأرض وفضلهم ، فإن تحدث أحد في شرف بيت فآله سبحانه قد جعل البيت والحديث لهم ؛ فأكرم به بيتا من أقدس بيوتته كان له بحمد الله من النار عتقا ، وتمتع بنعيم بركته التي لا يقبضها إلا الأشقي ؛ وهو البيت الذي بعث الله منه شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وصلى آله من الأنداس وأزل في حقهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . وصير علمهم الخليفة على وجنة الدهر شامة ، وخصهم بالتقديم فالحمد لله والله أكبر لهذه الإمامة ؛ وإذا كان النسيب مقدما في المذبح وهو في النظم واسطة العقود ، فهذا هو النسب الذي كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا ؛ وهذا هو الركن الذي من استلمه واستند إليه قبل له : فزت بعلو سندك ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمة العباس : « ياعم ألا أبشرك ؟ قال : بلى يا رسول الله - قال : إن الله فتح الأمر بي

وَيَحْتَمُهُ بَوْلْدِكَ“ . وهذا الحديث يُرشد إلى التمسك بطبيب اليهود العباسية لِنَفِصَ
على التمسك بها نيل الوفاء، وتعين من استعان بالمستعين وعلم أن النبي عليه السلام
قال جلده : ” أنت أبو الخلفاء“ . وناهيك أنه صلى الله عليه وسلم قال لَأَمَّ فَضْل
وهي شاة في الحمل : ” اذهبي بأبي الخلفاء“ فكان عبد الله المنتظم به هذا الشمل
فأحبب بها شجرة زكا غرسها ونما، وتسامت بها الأرض وكيف لا ؟ وأصلها
ثابت وفرعها في السما؛ فسلام على هذا الخلف الذي منه المستعين بالله والمتوكل عليه
والواثق به والمعتمد والرشيد، ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت لأنه حميد مجيد .
نحمده حمد من علم أن آل هذا البيت الشريف كسفينة نوح وتعلق بهم فنجوا ،
ونشكرو شكر من مال إلى الشؤل تحت العلم العباسي وتتصل من الخواارج فوجد له
من كل ضيق مخرجا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو أن
تكون مقبولة عند الحاكم وقت الأدا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي حرصنا
على التمسك باليهود وأرشدنا إلى طريق الهدى؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
وقوا باليهود، وكانوا في نظام هذا الدين وجميعه فرائد المقود؛ صلاة يسقى عهاد الرحمة
- إن شاء الله - عهدنا، ويتنظم في سلك القبول عقدنا؛ وسلم تسليما .

أما بعد حمد الله الذي ألهمنا الرشد وجعل منا الخلفاء الراشدين ، وهدانا بنبيه
صلى الله عليه وسلم وخصنا من بيته الشريف بالأئمة المهديين ؛ وأصطفى من هذا
الخلف خلافة الأرض، وسن مواضي القول التي قطعت أن طاعتنا فرض ، فإن
لمهدنا العباسي شرفا لا يرقل في حلاله إلا من اتخذ مع الله عهدا وأناه بقلب سليم ،
فقد قال الله تعالى بعد أعود بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ
وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَّ قَلِيلًا أُولَئِكَ لَاحِقَ لَهْمٍ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . ولا يتمسك بهذا العهد إلا من صحا إلى القيام

بواجب الطاعة وترك أهل الجهل في سكرتهم يعمهون، وانتظم في سلك من أنزل الله في حقهم : (والمؤمنون يمهّلهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدّقوا وأولئك هم المتّقون) .

فن نهض إلى المشى في منهاجه مشى بعين البصيرة في الطريق القويم، وتلا له لسان الحال : (أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . وهو قبضة من آثار النبعة النبوية ، وشعار يتشرف به من مشى تحت أثيره العباسية ؛ وما أرسل هذا العهد النبوي إلى أحد من ملوك الأرض إلا عمه الشرف من جميع جهاته ، و (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وشدت أعود منبره طربا ، وأزهرت رونقا وأثمرت أدبا ؛ واستطالت بيد الخلافة لإقامة الحدد ، وكيف لا ويد الخلافة لا تقاطعها يد ، وكان المقام الأشرف (إلى آخر الألقاب المذكورة في التعريف وأسمه المكتسب في الطرة) هو الذي رغب في التمسك بهذا العهد الشريف ليُرِيَل عن ملكه الإكتباس ، واستند إليه ليروى بسنده العالي عن ابن عباس ؛ فإنه الملك الذي طفره الله بأعداء هذا الدين وسماه مظفرا ، ولقبه بالشمسي واختار له أن يقارن من الطلعة المستعينة قمرًا ؛ أبع زهر العنبل من حضرة "دهلي" ، فعطر الآفاق ، وضاع نثره بالهند فعاد الثم إلى المزكوم بالعراق ؛ وصارت دمن "مشمينات" ^(١) عامرة بقيام الدين ، وأيده الله فيها بعد القتال بالفتح المبين ؛ ولم يترك للعدو في بيت بيت ليله ، وأبطل مآثره أهل دهلي بحسن اليقظة وقوة الصولة ؛ وأباد الكفرة من أهل ديو ولم يقبل لهم دينه ، وفاء إلى غير آخر الله فابادهم بسيفه الهندي فلم تقم لهم فيه ، وفطر أكباد من ناواه بها فلازموا عن رؤيتها الصوم ، ونادى منادى عدله

(١) تقدم في (ج) من هذا المطبع أنها "صومينات" بالصاد المهملة ويقال أيضا بالسین المهملة بدل الصاد .

بالبلاد الهندية : لا ظلمَ اليومَ؛ ودانت له تلك الممالك براً وبحراً، وسهلاً ووعراً؛
ما نظم الأعداءُ على البحرِ المديدِ بيتاً إلا أبان زحافه وأدار عليه دوائره، فكم نظم
شمل الرأيا بالعدل ونثر رُعوس الطغاة بالسيف فلا عديم الإسلامُ ناظمه ونائره؛
سُئِلَتِ الرُّكبانُ في البرِّ عن مناقبه الجميلة وعمَّ يتساءلون وقد صار لها عظيمُ النبا،
وصرح راكبُ البحرِ بعد التسمية باسمه (وأخذَ سبيله في البحرِ عجباً) فظله في البرِّ
ظليل، وعذله في البحرِ بسيط وطويل .

(١)

هذا ولم يبقَ في تلك الممالكِ الهنديةِ بقعة إلا ولم يصغر الله بسنابك الخليل فيها
ممشاه، ولا نفسٌ خارجةٌ عن الطاعة إلا وماتت في رُقة الأرض بمظفر شاه؛ فلذلك
رسم بالأمر الشريف العالي، المولوى، السيدى، الإمامى، الأعظمى، النبوى،
المستعنى، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المستعين بالله أبى الفضل العباس (ونسبه
إلى الحاكم بأمر الله، والدعاء) بعد أن استخار الله تعالى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين
كثيراً، وأخذَه هادياً ونصيراً، وصلى على أبى عمه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم -
أن يفوض إلى المقام الأشرف المشار إليه ولاية المهدي وكفالة السلطنة العظيمة،
بحضرة دهنى وأعمالها كما في الطرة كما هو المهود : ليهطل جود الرحمة على تلك البقاع
المباركة إن شاء الله ويحود : لما رآه من صلاح الأئمة ومصالح الخلق، استخلفنا
نَحْنُ بِذِكْرِ الْأَفْوَاحِ، وَتُسْتَدُّ إِلَيْهِ الرُّوَاهُ، وَتَقَرَّبَ بِهِ الْحُدَاهُ؛ وَتُسْتَبْشَرُ بِهِ كَأَفَّةِ الْأُمَمِ،
وَيَقْطَعُ بِهِ وَيَحْفَظُهُ رَبُّ كُلِّ سَيْفٍ وَقَلَمٍ، وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ كُلُّ ذِي عِلْمٍ وَعِلْمٍ، فَلَا زَعِيمَ
جَيْشٍ بِهَا إِلَّا وَهَذَا التَّفْوِيزُ يَسْمَعُهُ وَيَشْمَلُهُ، وَلَا إِقْلِيمَ مِنْ أَقْلِيمِهَا إِلَّا وَمَنْ بِهِ
يُقْبَلُهُ وَيُقْبَلُ، وَيَمْتَلِئُ بِهِ وَيَمْتَلِئُهُ، وَلَا مَتَبَرٍّ بِجَوَامِعِهَا إِلَّا وَخَطْبُهُ يَتْلُو بَرهَانَ هَذَا
التفويض ويرثله .

وأما الوصايا فعنده - إن شاء الله - تَهَبُ نَسَاتُ قَبُولَهَا ، وَتُعَرَّبُ عَنْ نَفْسِهَا مَفْعُولَهَا ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى لَوْصَايَا هَذَا الْعَهْدِ الْمُبَارَكِ نِعَمَ الْقَابِلِ ، فَقَبِلَ الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَبْعَةٌ يُظَاهِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ الْإِمَامُ الْعَادِلُ » وَالْوَصِيَّةُ بِالرَّعَايَا وَاجِبَةٌ وَالْعَدْلُ فِيهِمْ قَدْ حَرَّضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : « يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ الْأَرْضُ إِلَيْهِ » . وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍاءَ عَلَى رَضَى اللَّهُ عَنْهُ « الْمُلْكُ وَالِدَيْنِ أَخَوَانِ لَا غَنَى لِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، وَتَشْرَهَا فِي الرِّجَّةِ ضَائِعٌ ، فَالِدَيْنِ أُنْسُ وَالْمُلْكِ حَارَسٌ ، فَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُنْسٌ فَهُدُومٌ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَارَسٌ فَضَائِعٌ » - فَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَالِمًا أَنَّهُ لَيْسَ يُسْأَلُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ سَوَانًا وَسَوَاءً ، وَيَنْهَ نَفْسَهُ عَنِ الْمَهْوِيِّ فَلَا يَحْسُنُ لِعُودِ قَدِّهِ أَنْ يَمِيلَ مَعَ هَوَاهُ - وَلْيَتْرِكِ التَّنَوُّرَ بِعَدْلِهِ بِاسْمِهِ ، وَقَوَاعِدَ الْمُلْكِ بِفَضْلِهِ قَائِمَةً - وَلْيَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَلْيَلْطَفْ بِالرَّعَايَا وَيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ - وَلْيُشْرَحْ لِمَنْ بِالْإِحْسَانِ صَدْرًا ، وَيُخْرِجْهُمْ إِذَا وَقَفَ عَلَى أحوالهم أَحْسَنَ مُخْرَجٍ ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى التَّأَكُّدِ : لِأَنَّهُ لَمْ يَحُلْ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ فِكْرٌ ، وَلَكِنَّهُ تَجْدِيدُ ذِكْرِ عَلَى ذِكْرٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَعَ بِطَوَّلِ بَقَائِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَلَا بَرَحَتْ سَيُوفُهُ الْهِنْدِيَّةُ تَكَلَّمَ أَعْدَاءُ هَذَا الدِّينِ بِالسَّنَةِ حَدَادٍ ، وَثَبَّتْ مُلْكُهُ بِالْعَدْلِ وَشَيْدَ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَخَتَمَ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْإِمَامِيِّ الْمُسْتَعَيْنِ أَغْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وَلَمْ يُعْهَدْ أَنَّهُ كُتِبَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْقَائِمِينَ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ عَهْدُ الْمَلِكِ مِنْ غَيْرِ مُلُوكِ الْبِلَادِ الْمَصْرِيَّةِ سِوَى هَذَا الْعَهْدِ .

المذهب الرابع

([أن يفتح العهد بقوله أما بعد^(١)] « فالحمد لله » أو « أما بعد
فإن أمير المؤمنين » أو « أما بعد فإن كذا » ونحو ذلك)

ويأتى بما يناسب من براعة الاستهلال وحال التوثى والموتى وما يتجرى بجري ذلك مما يستحق للكتاب ذكره مما يناسب الحال ، ويأتى من الوصايا بما يناسب المقام : إما بلفظ الغيبة أو بلفظ الخطاب كما فى غيره من المذاهب السابقة ، وهى طريقة اقترحها الوزير ضياء الدين بن الأثير فى " المثل السائر " أنشأ عليها عهدا فى معارضة المكتوب للسلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » من ديوان الخلافة ببغداد الآتى ذكره فى المذهب الخامس ، وهذه نسخته :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين سيدنا محمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ، ولكل أمر مهادا ، ويستريده من نعمه التى جعلت التقوى له زادا ، وسمته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهدا ، وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له يحرابا ولا عرصت عليه جنادا ، وحقت فيه قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ . ثم يصلى على من أنزلت الملائكة لتصره إمدادا ، وأمرى به إلى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا ، وتجلل له ربه فلم يزع منه بصرا ولا أكذب فؤادا ، ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا وأعوادا ، وورث الثور المبين تلامدا ، ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وإرشادا ، وخصوصا عمه العباس المدعوه بأن يحفظ نفسه وأولادا ، وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تحاف دركا ولا تمحى نقادا .

(١) يباض بالأصل ، والتصحيح مما يقتضيه المقام .

وَإِذْ أَسْتَوُوا الْقَلَمَ مِدَادَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَمْدَةِ ، وَأَسْنَدَ الْقَوْلَ فِيهَا عَنْ فَصَاحَتِهِ
 الْمُرْسَلَةِ ؛ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ فِي إِثْنَاءِ هَذَا التَّقْلِيدِ الَّذِي جَعَلَهُ حَلِيقًا لِقِرْطَاسِهِ ، وَأَسْتَدَامَ
 يُجَوِّدُهُ عَلَى صَفْحَتِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِفَاضَتِهِ فِي وَصْفِ
 الْمُنَاقِبِ الَّتِي كَثُرَتْ لِحُسْنِ لَهَا مَقَامُ الْإِكْثَارِ ، وَأَشْتَبَهَ التَّطْوِيلُ فِيهَا بِالْإِخْتِصَارِ ؛
 وَهِيَ الَّتِي لَا يَفْتَقِرُ وَاصِفُهَا إِلَى الْقَوْلِ الْمُعَادِ ، وَلَا يَسْتَوِصِرُ سُلُوكُ أَطْوَادِهَا وَمِنْ
 الْعَجَبِ وَجُودُ السَّهْلِ فِي سُلُوكِ الْأَطْوَادِ ؛ وَتِلْكَ مَنَاقِبُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ الْأَجَلُ ،
 السَّيِّدُ الْكَبِيرُ ، الْعَالِمُ ، الْعَادِلُ ، الْمُجَاهِدُ ، الْمُرَاطِبُ ، صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يُوسُفُ
 أَبْنِ أَبِي بَوَّابٍ ؛ وَالِدِيوَانُ الْعَزِيزُ يَتْلُوهَا عَلَيْكَ تَحَدُّثًا بِشُكْرِكَ ، وَيَبَاهِي بِكَ أَوْلِيَائِهِ تَتَوِيهَا
 بِذِكْرِكَ ، وَيَقُولُ : أَنْتَ الَّذِي مُسْتَكْفَى فَتَكُونُ لِلدَّوْلَةِ سَهْمَهَا الصَّابِغَ ، وَشِهَابَهَا
 الشَّاقِبَ ؛ وَكَثَرَتْهَا الَّذِي تَذْهَبُ الْكَنُوزُ وَلَيْسَ بِذَاهِبٍ ، وَمَا ضَرُّهَا وَقَدْ حَضَرَتْ
 فِي نُصْرَتِهَا إِذَا كَانَ غَيْرُكَ هُوَ الْغَائِبُ ؛ فَأَشْكُرُ إِذَا مَسَاعِيكَ الَّتِي أَهْلَتُكَ لَهَا أَهْلَتُكَ ،
 وَفَضْلُكَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمَا فَضَّلْتَكَ ؛ وَلَيْتَ سُورِكَتْ فِي الْوَلَاءِ بَعْقِيدَةُ الْإِضْمَارِ ،
 فَلَمْ تُشَارَكَ فِي عَزْمِكَ الَّذِي أَنْتَصَرَ لِلدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُ بِسُطَّةُ الْإِخْتِصَارِ ؛ وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ
 أَمَدَ بَقْلَهُ وَمَنْ أَمَدَ بِيَدِهِ فِي دَرَجَاتِ الْإِمْدَادِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْقَاعِدِينَ كَالَّذِينَ قَالُوا
 "لَوْ أَمَرْتَنَا لَضَرَبْنَا أَسْبَاحَهَا إِلَى بَرْكَ النَّيَّادِ" . وَقَدْ كَفَّاكَ مِنَ الْمَسَاعِي أَنْكَ كَفَيْتَ
 الْخِلَافَةَ أَمْرَ مَنَازِعِيهَا ، فَطَمَسْتَ عَلَى الدَّعْوَةِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَدْعِيهَا ؛ وَلَقَدْ مَضَى
 عَلَيْهَا زَمَنٌ وَحِرَابٌ حَقَّهَا عُفُوفٌ مِنَ الْبَاطِلِ نَجْمَرَيْنِ ، وَرَأَتْ مَارَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّوَارِينِ الَّذِينَ أَوَّلَمَا كَذَّابِينَ ؛ فَبِمَضَرٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ تَاهَ يَجْرِي
 أَنْهَارُهَا مِنْ تَحْتِهِ ، وَدَعَا النَّبَاسَ إِلَى عِبَادَةِ طَاغُوتِهِ وَجِبْتِهِ ، وَلَيْسَ بِالْدِّينِ حَقٌّ لَمْ يَذَرِ
 يَوْمَ جُمُعَتِهِ مِنْ [يَوْمِ أَحَدِهِ وَلَا] ^(١) يَوْمِ سَبْتِهِ ؛ وَأَطَانَهُ عَلَى ذَلِكَ قَوْمٌ رَمَى اللَّهُ بِصَارِيهِمْ

بالعمى والصمم، وأتخذوه صَمًا ^(١) [بينهم] ولم تكن الضلالة هناك إلا بعجل أو صَمٍّ؛ فممت أنت في وجهه باطله حتى قعد، وجعلت في جيده حبلاً من مَسَد، وقلت لبيده: تَبَّتْ فَأَصْبَحَ ^(١) [وهو] لَا يَسْمَعُ ^(١) [بقدم] وَلَا يَبْطِشُ بِيَدٍ؛ وكذلك فعلت بالآخر الذي كَجَمْتُ بِالْأَيْمَنِ نَاجِئُهُ، وسامت فيه سَائِئُهُ؛ فوضع يده موضع الكعبة أَيْمَانِيهِ، وقال: هذا دُو الْخَلَصَةِ الثَّانِيهِ؛ فَأَيُّ مَقَامِكَ يَعْتَرِفُ الْإِسْلَامُ بِسَبْقِهِ، أم أَيُّهَا يَقُومُ بِأَدَاءِ حَقِّهِ؛ وَهَاهُنَا فَلْيُصْبِحِ الْقَلَمُ لِلسَّيْفِ مِنَ الْحُسَّادِ، وَلْتَقْصُرْ مَكَانَتُهُ عَنْ مَكَانَتِهِ وَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ؛ وَلَمْ يَحْظَ بِهَذِهِ الْمَازِيَةِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْبَحَ لَكَ صَاحِبًا، وَتَفَرَّكَ حَتَّى طَالَ نَفَرًا كَمَا عَزَّ جَانِبًا، وَقَضَى بُولَاتِكَ فَكَانَ بِهَا قَاضِيًا لَمَّا كَانَ حُدُّهُ قَاضِيًا.

وقد قلَّدك أمير المؤمنين البلادَ المصريَّةَ والأَيْمَنِيَّةَ غَوْرًا وَنَجْدًا، وما أَشْغَلَتْ عَلَيْهِ رَعِيَّةٌ وَجُنْدًا؛ وما أَتَهَتْ إِلَيْهِ أَطْرَافُهَا بَرًّا وَبَحْرًا، وما يُسْتَقَدُّ مِنْ مُجَاوِرِيهَا مَسْلَمَةٌ وَقَهْرًا؛ وَأَضَافَ إِلَيْهَا بِلَادَ الشَّامِ وَمَاتَحْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمُدُنِ الْمُدُنِ، والمرآكِزِ الْمُخَصَّنَةِ؛ مَسْتَنْبِيًا مِنْهَا مَا ^(١) [هو] بِيَدِ نُورِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وَهُوَ حَلَبٌ وَأَعْمَالُهَا، قَدْ مَضَى أَبُوهُ عَلَى آثَارِ فِي الْإِسْلَامِ تَرَفُّعَ ذِكْرِهِ فِي الزَّاكِرِينَ، وَتَحَلُّفِهِ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ؛ وَوَلَدَهُ هَذَا قَدْ هَدَّبَتْهُ الْفَطْرَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرَّبُوءَةُ إِلَّا مِنْ ذَلِكَ الْجَلِيلِ.

فليكنْ لَهُ مِنْكَ جَارٌ يَدْنُو مِنْهُ وَيَدَادُ كَمَا دَنَا أَرْضًا، وَيُصْبِحُ ^(١) [له] كَالْبُنْيَانِ يُسَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ وَالَّذِي قَدَّمْتَاهُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ رُبَّمَا تَجَاوَزَ بِكَ دَرَجَةَ الْإِقْتِصَادِ، وَأَلْفَتَكَ عَنْ فَضِيلَةِ الْإِزْدِيَادِ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى سَعْيِكَ نَظَرَ الْإِعْجَابِ، وَتَقُولَ: هَذِهِ بِلَادٌ أَنَا أَفْتَحْتُهَا بَعْدَ أَنْ أَضْرَبَ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَضْرَابِ؛ وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ

الأرض لله ولرسوله ثم خليفته من بعده ، ولا منة للعبد بإسلامه بل المنة لله بهداية عبده ؛ وكَم سَلَفُ قَبْلِكَ مِمَّنْ لَوِ رَامَ مَأْمَرَتَهُ لَدَنَّا شَاسِعُهُ ، وَأَجَابَ مَا نِعُهُ ؛ لَكِنْ ذَخَرَهُ اللَّهُ لَكَ لَتَحْظِيَ فِي الْآخِرَةِ بِمَقَارِهِ ، وَفِي الدُّنْيَا بِرَقْمِ طَرَاذِهِ ؛ فَالْقِي بِيَدِكَ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ لِقَاءَ التَّسْلِيمِ ، وَقُلْ : ﴿ لَا حِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وقد قُرِنَ تَقْلِيدُكَ هَذَا بِخُلْعَةٍ تَكُونُ لَكَ فِي الْإِسْمِ شِعَارًا ، وَفِي الرَّسْمِ نَحَارًا ، وَتُنَاسِبُ مَحَلَّ قَلْبِكَ وَبَصِيرَكَ وَخَيْرَ مَلَابِسِ الْأَوْلِيَاءِ مَا نَاسَبَ قُلُوبًا وَأَبْصَارًا ؛ وَمِنْ جَمَلَتِهَا طَوَقٌ يُوضَعُ فِي عُنُقِكَ مَوْضِعَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، وَيُشِيرُ إِلَيْكَ بِأَنَّ الْإِنْعَامَ قَدْ أَطَافَ بِكَ إِطَافَةً الْأَطْوَاقِ بِالْأَعْنَاقِ ؛ ثُمَّ إِنَّكَ قَدْ خُوطِبْتَ بِالْمَلِكِ وَذَلِكَ خُطَابٌ يَقْضِي لَصَدْرِكَ بِالْإِنْشِرَاحِ ، وَلِلْمَلِكِ بِالْإِنْفِسَاحِ ، وَتُؤَمَّرُ مَعَهُ بِمَدِّ يَدِكَ إِلَى الْعَلِيَاءِ لَا بَضْمُهَا إِلَى الْجَنَاحِ ؛ وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا هِيَ الَّتِي تَكْمُلُ بِهَا أَقْسَامُ السِّيَادَةِ ، وَهِيَ الَّتِي لَا مَرِيدَ عَلَيْهَا فِي الْإِحْسَانِ فَيَقَالُ : إِنَّهَا الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ ؛ فَإِذَا صَارَتْ إِلَيْكَ فَانْصَبْ لَهَا يَوْمًا يَكُونُ فِي الْأَيَّامِ كَرِيمِ الْأَنْسَابِ ، وَاجْعَلْهُ لَهَا عِيدًا وَقُلْ : هَذَا عِيدُ التَّقْلِيدِ وَالْخُلْعَةِ وَالْخُطَابِ ؛ وَهَذَا وَلَكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَكَانَةٌ تَجْعَلُكَ لَدَيْهِ حَاضِرًا وَأَنْتَ نَائِبٌ عَنِ الْخُضُورِ ، وَتَضُنُّ أَنْ تَكُونَ مُشْرَكَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ وَالضُّنَّةُ مِنْ شِيمِ الْغِيُورِ ؛ وَهَذِهِ الْمَكَانَةُ قَدْ عَرَفَتْكَ نَفْسُهَا وَمَا كُنْتَ تَعْرِفُهَا ، وَمَا تَقُولُ إِلَّا أَنَّهَا لَكَ صَاحِبَةٌ وَأَنْتَ يَوْسُفُهَا ، فَاحْرُسْهَا عَلَيْكَ حِرَاسَةً تَقْضِي بِتَقْدِيرِهَا ، وَاعْمَلْ لَهَا فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِجَوَائِبِهَا ؛ وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ تَقَلَّدْتَ أَمْرًا يَقْتَضِي بِهِ تَقِيُّ الْحُلُومِ ، وَلَا يَنْفَكُ صَاحِبُهُ عَنْ عُهُدَةِ الْمُلُومِ ، وَكَثِيرًا مَا تُرَى حَسَنَاتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ مُقْتَسَمَةٌ بَيْنَ الْخُصُومِ ؛ وَلَا يَنْجُو مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ أَهْبَةَ الْحِذَارِ ، وَأَشْفَقَ مِنْ شَهَادَةِ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ ؛ وَعَلِمَ أَنَّ الْوَلَايَةَ مِيزَانٌ أَجْدَى كِفْتَيْهِ فِي الْجَنَّةِ وَالْأُثْرَى فِي النَّارِ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” يَا أَبَا ذَرٍّ إِنْ أَحْبَبُّ لَكَ مَا أَحْبَبُّ لِنَفْسِي لَا أَمْرٌ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلِّيٌّ مَالٍ يَتِيمٌ “ .

فانظر الى هذا القول النبوى نَظَر من لم يُجَدِّع بِحَدِيثِ الحِرْص والآمال، ومثل الدنيا وقد سِيقَتْ [اليك^(١)] بِجِذَافِهَا أليس مَصِيرُهَا الى زوال؟ . والسعيد مَنْ إذا جاءته قَضَى بها أَرْبَ الأرواح لأَرْبَ الجُسُوم، واتَّخَذَ منها وهى السُّمُّ دواءً وقد تُنْقِذُ الأدوية من السُّمُوم؛ وما الإِغْتِبَاطُ بِمَا يَخْتَلِفُ عَلَى تَلَاثِيَةِ الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ؟ وهو ﴿كَلَّمَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَيْئًا تَرَوهُ الرِّيحَ﴾ والله تعالى يَعِصُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وِوَلَاةَ أَمْرِهِ من تَبِعَاتِهَا التى لَا يَسْتَنْهَمُ وَلَا يَسُوها، وأَحْصَاهَا الله عَلَيْهِمُ وَتَسُوها؛ ولك أنت من هذا الدِّواءِ حَظٌّ عَلَى قَدْرِ مَحَلِّكَ من العِناية التى جَذَبَتْ بِضَبْعِكَ [ومَحَلِّكَ من الْوَلَايَةِ التى بَسَطْتَ مِنْ دِرْعِكَ^(١)].

نُحِذُ هذا الأَمْرَ الذى تَقَلَّدْتَهُ أَخَذَ من لم يَتَعَقَّبْهُ بالنِّسيان، وكُنْ فى رِباطِهِ من إذا نَامَتْ عِيَاهُ كَانَ قَلْبُهُ يَقْطُانَ .

وَمِلَالُكَ ذَلِكَ كُلُّهُ فى إِسْبَاغِ الْعَدْلِ الذى جَعَلَهُ اللهُ ثَالِثَ الْحَدِيثِ وَالْكَتَابِ، وَأَغْنَى شَوَابِهِ وَحَدَهُ عَنِ أَعْمَالِ الثَّوَابِ، وَقَدَّرَ يَوْمَانِهِ بِعِبَادَةٍ سَتَيْنِ عَامًا فى الْحِسَابِ؛ وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرٌ إِلَّا زَيْدَ قُوَّةٍ فى أَمْرِهِ، وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حُلُوِّهِ وَمِنْ دَهْرِهِ؛ ثُمَّ يَجَاءُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي يَدَيْهِ كِتَابٌ أَمَانٌ، وَيَجْلِسُ عَلَى مَنبَرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ؛ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ مَرَّتْ بِهِ صُعُوبٌ لَا يَسْتَوِي عَلَى ظَهْرِهِ إِلَّا مَنْ أَمْسَكَ عِنَانَ نَفْسِهِ قَبْلَ إِمْسَاكِ عِيَانِهِ، وَغَلِبَتْ لَمَّةٌ مَلَكَةً عَلَى لَمَّةٍ شَيْطَانَةٍ، وَمَنْ أَوْكَدَ قُرُوضِهِ أَنْ يَمْحَى السُّنَنَ السَّيِّئَةَ التى طَالَتْ مُدَّةَ أَيَّامِهَا، وَيَلْسُ الرَّمَايَا مِنْ رَفْعِ طَلَّامَاتِهَا فَلَمْ يَحْصِلُوا أَمْدًا لَا يُنْجِسُارَ ظَلَامِهَا؛ وَتِلْكَ هِيَ الْمَكُوسُ التى أَنْشَأَتْهَا الْهِمَمُ الْحَقِيرَةُ، وَلَا غِنَى لِلْأَيْدَى الْغَنِيَّةِ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ [نُفُوسٍ قَئِيرَةٍ؛ وَكُلَّهَا زَيْدَاتِ الْأَمْوَالِ الْحَاصِلَةِ مِنْهَا قَدْرًا زَادَهَا اللهُ عَحَقًا،

وقد آسرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقاً ؛ ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرماً لما أُعْظِمَ في عقابه ، ومثلت توبة المرأة الغامدية بمتابته ؛ وهل أشقى من يكون السواد الأعظم له خصماً ، ويصيح وهو مطالب منهم بما يعلم وبما لم يحيط به علماً . وأنت مأمور بأن تأتي هذه الظلمات فتنتجى على إبطائها ، وتلحق أسماعها في المحو بأفعالها ؛ حتى لا يبقى لها في العيان صور منطوره ، ولا في الألسنة أحاديث مذكوره ؛ فإذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضي سنة سوء سقتها يدها ، وعن الآتي متابعة ظلم وجده طريقاً مسلوكةً بغري على مداه .

فبادر إلى ما أمرت به بمبادرة من لم يضق به ذراعاً ، ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه فراها في الآخرة متاعاً ، وأحسد الله على أن قيض لك إمام هدى يقف بك على هداك ، ويأخذُ بجزرك عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عدلك ؛ وهذه البلاد المنوطة بنظرك تستميل على أطراف متباعدة ، وتفتقر في سياستها إلى أيدٍ مساعده ؛ وبهذا تكثر فيها قضاة الأحكام ، وأولو تديرات السيوف والأقلام ؛ وكل من هؤلاء ينبغي أن يفتن على نار الاختبار ، ويسلط عليه شاهداً عدل من أمانة الدرهم والدينار ؛ فما أضل الناس شيء كحب المال الذي فوريقت من أجله الأديان ، وهجرت بسببه الأولاد والإخوان ، وكثيراً ما يرى الرجل الصائم القائم وهو حابئ له عبادة الأوثان ؛ فإذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمرك فاضرب عليه بالأرماد ، ولا ترص بما عرفته من مبدأ حاله فإن الأحوال تتنقل تنقل الأجساد ، وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خُدع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالربيع ابن زياد ؛ وكذلك فأمّر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم أن يأمرؤا بالمعروف مؤاظبين ، وينهؤا عن المنكر محاسيين ، ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم

الغالبين ؛ وليبدؤوا أولا بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها ، ويأمروها بما يأمرون به من سواها ؛ ولا يكونوا ممن هدى إلى طريق البر وهو عنه حائد ، وأنصب لطف المرضى وهو محتاج إلى طيب وعائد ؛ فما تزل بركات السماء إلا على من خاف مقام ربه ، وأزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه ؛ فإذا صلحت الولاية صلحت الرعية بصلاحهم ، وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم إلا بمصابيحهم .

وما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم إخوانا في الأصطحاب ، وأعوانا في ترويع الجمل الذي يتقل على الرقاب ؛ فالسلم أخو المسلم وإن كان عليه أمير ، وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كبيرا ؛ وليست الولاية لمن يستجدها كثرة اللفي ، ويتولاها بالوطء العنيف ؛ وليكنها لمن يمال على جواربه ، ويؤكل من أطايبه ؛ ولن إذا غضب لم ير للغضب عنده أثر ، وإذا أُلحِف في سؤاله لم يلحق الإلحاف بخلق الضجر ؛ وإذا حضر انحصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر ؛ فذلك الذي يكون لصاحبه في أصحاب اليمين ، والذي يدعى بالحفيظ العليم والقوى الأمين ؛ ومن سعادة المرء أن يكون ولأته متأدبين بأدابه ، وجارين على نهج صوابه ، وإذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانت حسناته مثبتة في سآله .

وبعد هذه الوصية فإن هاهنا حسنة هي الحسنات كالأمم الولود ، وأطالما أغتت عن صاحبها إغناء الجنود ، وتيقظت لنصره والمعون رفود ؛ وهي التي تُسبغ لها الآلاء ، ولا يخطأها البلاء ؛ ولاير المؤمن بها عناية تبغها الرحمة الموضوعة في قلبه ، والرغبة في المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه ؛ وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمنية إفضالها ، وجعلها سببا إلى التعويض عنها بعشر أمثالها ، وهو يأمرك

أَنْ تَتَفَقَّدَ أحوَالَ الفقراء الذين قُدِرَتْ عليهم مَادَّةُ الْأَرْزَاقِ ، وَأَلْبَسَهُمُ التَّعَفُّفُ ثَوْبَ الْغِنَى ، وَهُمْ فِي ضَيْقٍ مِنَ الْإِمْلَاقِ ؛ فَأُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ مَسَّنَّهُمُ الضَّرَاءُ فَصَبَرُوا ، وَكَثُرَتْ الدُّنْيَا فِي يَدَيْهِمْ فَمَا نَظَرُوا إِلَيْهَا إِذْ نَظَرُوا ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَهَيَّيَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ مَرَقًا ، وَيَضْرِبَ بَيْنَهُمُ وَبَيْنَ الْفَقْرِ مَوْقًا .

وما أطلعنا لك القول في هذه الوصية إلا إعلامًا بأنها من المُهِمِّ الذي يُسْتَقْبَلُ وَلَا يُسْتَدْبَرُ ، وَيُسْتَكْثَرُ مِنْهُ وَلَا يُسْتَكْثَرُ ؛ وَهَذَا يُعَدُّ مِنْ جِهَادِ النَّفْسِ فِي بَذْلِ الْمَالِ ، وَيَتَلَوُّهُ جِهَادُ الْعَدُوِّ الْكَافِرِ فِي مَوَاقِفِ الْقِتَالِ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْرِفُكَ مِنْ ثَوَابِهِ مَا تَجْعَلُ السَّيْفَ فِي مِلَازِمَتِهِ أَخًا ، وَتَسْخُرُ لَهُ بِنَفْسِكَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ سَخِيًّا ؛ وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ الْعَمَلُ الْمَحْبُوبُ بِفَضْلِ الْكَوَامَةِ ، الَّذِي يَنْتَبِئُ أَجْرُهُ بَعْدَ صَاحِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَبِهِ تُشْتَعَنُ طَاعَةُ الْخَالِقِ عَلَى الْمَخْلُوقِ ، وَكُلُّ الْأَعْمَالِ عَاطِلَةٌ لِاخْتِلَاقِهَا وَهُوَ مُخَصَّصٌ دُونَهَا بَزِينَةِ الْخَلْقِ ؛ وَلَوْلَا فَضْلُهُ لَمَا كَانَ مُحْسِبًا بِسَطْرِ الْإِيمَانِ ، وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْجَنَّةَ لَهُ ثَمَنًا وَلَيْسَتْ لغيرِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ ؛ وَقَدْ صَالَمْتَ أَنَّ الْعَدُوَّ هُوَ جَارُكَ الْأَدْنَى ، وَالَّذِي يُلْفَكَ وَتَبْلُغُهُ عَيْنَا وَأُذُنَا ؛ وَلَا يَكُونُ لِلْإِسْلَامِ نِعَمُ الْجَارِ حَتَّى تَكُونَ لَهُ بُئْسَ الْجَارُ ، وَلَا عُدُوٌّ لَكَ فِي تَرْكِ جِهَادِهِ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ إِذَا قَامَتْ لغيرِكَ الْأَعْذَارُ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرْضَى مِنْكَ إِنْ تَلَقَّاهُ مُكَالِفًا ، أَوْ تَطَرَّقَ أَرْضَهُ مَسَامِيًا أَوْ مُصَابِحًا ؛ بَلْ يُرِيدُ أَنْ تَقْصِدَ الْبِلَادَ الَّتِي فِي يَدِهِ قَصْدَ الْمُسْتَنْقِذِ لَا قَصْدَ الْمُغِيرِ ، وَإِنْ تَحَكَّمَتْ فِيهَا بِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي قَضَاهُ عَلَى لِسَانِ سَعِيدٍ فِي نَبِيِّ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ ؛ وَعَلَى الْخُصُوصِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَإِنَّهُ تِلَادُ الْإِسْلَامِ الْقَدِيمِ ، وَأَخُو الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي شَرَفِ التَّعْظِيمِ ، وَالَّذِي تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ مِنْ قَبْلِ السُّجُودِ وَالتَّسْلِيمِ ؛ وَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ يُشْكُو طَوْلَ الْمَدَّةِ فِي أَسْرَرَقَتِهِ ، وَأَصْبَحَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَهِيَ تُشْكُو طَوْلَ الْوَحْشَةِ فِي غُرْبَتِهَا عَنْهُ

وغربته ، فانهض إليه نهضة توغل في قرحه ، وتبدل صعب قياده بسمحه ، وإن
 كان له طام حديبة فأتبعه بعام فتحه ، وهذه الاسترادة إنما تكون بعد سداد
 مافي اليد من قفر كان مهملاً خفيت موارده ، أو مستهدماً فرفعت قواعده ؛ ومن
 أهمها ما كان حاضر البحر فإنه عورة مكشوفة ، وخطبة مخوفة ؛ والعدو قريب منه
 على بعده ، وكثيرا ما يأتيه بخافة حتى يسبق برقه برعه ؛ فينبني أن ترتب بهذه الثغور
 رابطة تكثر شجاعتها ، وتقل أقرانها ، ويكون قتالها لأن تكون كلمة الله هي العليا
 لا لأن يرى مكائنها ؛ وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال أسوار ، ويعلم أهله
 أن بناء السيف أمتع من بناء الأحجار ؛ ومع هذا لا بد من اصطول يكثر عدده ،
 ويقوى مدده ؛ فإنه العدة التي تستعين بها في كشف الغم ، والاستكثار من سبأيا
 العبيد والإماء ، وجيشه أخوال جيش السلياني : فذاك يسير على متن الريح وهذا على
 متن الماء ؛ ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار ، وتساوت أقدار خلقها
 على اختلاف مدة الأعمار ؛ وإذا أشرعت قيل جبال متلعة بقطع من الغيوم ،
 وإذا نظرا إلى أشكالها قيل : إنها أهلة غير أنها تهدي في مسيرها بالنجوم ؛ ومثل
 هذه الخيل يبنى أن يغالي في جيادها ، ويستكثر من قيادها ؛ وليؤمر عليها أمير يلقي
 البحر بمثله من سعة صدره ، ويسلك طريقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها
 بخبره ؛ وكذلك فليكن من أفنت الأيام تجاربه ، وزحمتها منابكه ، ومن يدل الصعب
 إذا هو ساسه وإن سيس لأن جانبها ؛ وهذا هو الرجل الذي يرأس على القوم فلا يجد
 هرة بالرياسة ؛ وإن كان في الساقية في الساقية أو في الحراسة في الحراسة ؛ ولقد
 أفلحت عصابه أعصبت من ورائه ، [وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر
 من رائه ^(١)] .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أُخِلَّ مِنَ الْجِهَادِ بَرَكُنْ يَقْدَحُ فِي عَمَلِهِ ، وَهُوَ تَامُهُ الَّذِي يَأْتِي فِي آخِرِهِ
 كَمَا أَنَّ صِدْقَ النَّبِيِّ يَأْتِي فِي أَوَّلِهِ ؛ وَذَلِكَ هُوَ قَسَمُ الْغَنَائِمِ فَإِنَّ الْإِيدَى قَدْ تَدَاوَيْتُهُ
 بِالْإِجْحَافِ ؛ وَخَلَطَتْ جِهَادَهَا فِيهِ بِقُلُوبِهَا فَلَمْ تَرْجِعْ بِالْكَفَافِ ؛ وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الظُّلْمَ
 فِي تَعْدَى حُدُودِهِ الْمَحْدُودَةِ ، وَجَعَلَ الْأَسْتِثْنَاءَ بِالْمَنْعَمِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْمَوْعُودَةِ ؛
 [وَنَحْنُ نَعُوذُ بِهِ] ^(١) أَنْ يَكُونَ زَمَانُنَا هَذَا شَرَّ زَمَانٍ وَنَاسُهُ شَرَّ نَاسٍ ، وَلَمْ يَسْتَخْلِفْنَا عَلَى
 حِفْظِ أَرْكَانِ دِينِهِ ثُمَّ نَهْمَلْ إِمَالِ مُضَيِّعٍ وَلَا [إِمَالِ] ^(١) نَاسٍ ؛ وَالَّذِي نَأْمُرُكَ بِهِ أَنْ
 تُجْبِرَ [هَذَا] الْأَمْرَ عَلَى الْمَنْصُوصِ مِنْ حَكْمِهِ ، وَتُبْرِي ذِمَّتَكَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرَكَ الْفَائِزَ
 بِفَوَائِدِهِ وَأَنْتَ الْمُطَالِبُ بِإِثْمِهِ ؛ وَفِي أَرْزَاقِ الْمَجَاهِدِينَ بِالْأَيَادِ الْمَصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ مَا يُغْنِيهِمْ
 عَنْ هَذِهِ الْأَكْلَةِ الَّتِي تَكُونُ فِدَاً أَنْكَالاً وَبَحِيحاً ، وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً .

فَتَصَفِّحْ مَاسْطَرْنَاهُ لَكَ فِي هَذِهِ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي هِيَ عِزَاتُكُمْ مُبَرَّاتٌ ، بَلْ آيَاتٌ
 مُحْكَمَاتٌ ؛ وَتَحَبَّبْ إِلَى اللَّهِ وَلِإِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَقْفَاءِ كِتَابِهَا ، وَأَبْنِ لَكَ مِنْهَا مَجْدًا
 يَبْقَى فِي عَقَبِكَ إِذَا أَصْبَحَتِ النُّيُوتُ فِي أَحْقَابِهَا ؛ وَهَذَا التَّقْلِيدُ يَنْطَلِقُ عَلَيْكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَأَلُ
 فِي الْوَصَايَا الَّتِي أَوْصَاهَا ، وَأَنَّهُ لَمْ يُغَادِرْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ خُتِمَ
 بِدَعَوَاتٍ دَعَا بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ خَتَامِهِ ، وَسَأَلَ فِيهَا خَيْرَةَ اللَّهِ الَّتِي تَسْتَرُّلُ مِنْ كُلِّ
 أَمْرٍ بِمُسْتَرْلَةٍ نِظَامَةٍ ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ عَلَى مَنْ قَلَّدْتَهُ شَهَادَةً تَكُونُ عَلَيْهِ
 رَقِيَّةً ، وَلَهُ حَسْبِيهِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ إِلَّا بِأَوَامِرِ الْحَقِّ الَّتِي فِيهَا مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ؛ وَهِيَ
 لِمَنْ أَتْبَعَهَا هَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى ؛ فَإِذَا أَخَذَهَا فَلَجَّ بِحُجَّتِهِ يَوْمَ يُسْأَلُ عَنْ الْجُحْجُجِ ،
 وَلَمْ يُجَنِّحْ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ عَنِ الْحَوْضِ فِي جَمَلَةٍ مِنْ يُجَنِّحُ ، وَقِيلَ لَهُ : لَاحِرَجَ عَلَيْكَ
 وَلَا إِمَامٌ إِذْ نَجُوتَ مِنْ وَرَطَاتِ الْإِثْمِ وَالْحَرَجِ ، وَالسَّلَامُ .

(١) الزيادة من كتاب "المثل السائر" ص ١٤٧ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

المذهب الخامس

(أن يفتتح العهد بـ «إِنَّ أَوْلَى مَا كَانَ كَذَا» ونحوه)

وهى طريقة غريبة، كُتِب عليها عهدُ السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» بالديار المصرية من ديوان الإنشاء ببغداد . وهو الذى عارضه الوزيرُ ضياءُ الدين بن الأثير فى العهد المتقدم ذكره فى المذهب [الرابع] . وهذه نسخته :

إِنَّ أَوْلَى مَا جَادَتْ رِبَاعَهُ مُحِبُّ الإِصْطِنَاعِ ، وَخُصَّ مِنَ الإِصْطِفَاءِ وَالِاجْتِبَاءِ
بِالصَّفَايَا وَالْمِرْبَاعِ ؛ مَنْ تَرَمَّ أَنْتَهَاجُ الْجَدِّ الْقَوِيمِ ، وَالطَّرِيقُ الْوَاضِعُ الْمُسْتَقِيمِ ؛ وَأَعْتَلَّقَ
مِنَ الْوَلَاءِ بِأَوْثَقِ عَصِمِهِ وَجِبَالِهِ ، وَالْفَنَاءِ الَّذِى يَهْتَدِى بِأَنْوَارِهِ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ ؛
وَالصَّحْلِ بِجَمَلِ الذِّكْرِ فِي سِيرَتِهِ ، وَخُلُوصِ الإِعْتِنَاءِ بِأُمُورِ رِعِيَّتِهِ ؛ وَكَانَ رَاضِعًا فِي أَقْنَاءِ
حَمِيدِ الْخِلَالِ ، مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنَ الْعَدْلِ الْمُنْتَدِّ الْفَلَّالِ ؛ حَامِلًا
فِيمَا يُنَاطُ بِهِ بِمَا يَتَضَوُّعُ تَشْرِخَبِهِ ، وَيُخْنَى بِحُسْنِ صُنْعِهِ بِإِنْعِ ثَمَرِهِ ؛ بِإِذْلًا وَسَعَةً
فِي الصَّلَاحِ ، مُؤَذِّنَةً مَسَاعِيهِ بِفَوْزِ الْقِدَاحِ .

ولما كان الملكُ الأجلُّ ، السيدُ صلاحُ الدين ، ناصِرُ الإسلامِ ، عمادُ الدولة ،
جَمَّالُ الْمُلْكِ ، تَقَرُّ الْمَلَّةُ ، صَفَى الْخِلَافَةُ ، تَاجُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، قَامَعَ الْكُفْرَةَ
وَالْمَشْرِكِينَ ، قَاهَرَ الْخَوَارِجَ وَالْمُتَمَرِّدِينَ ، عَزَّ الْمَجَاهِدِينَ ، أَلْبَسَ غَازِيَّ بَكْ أَيْنَ يُوسُفَ
أَبْنَ أَيُّوبَ - أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ - عَلَى هَذِهِ السَّجَايَا مُقْبِلًا ، وَبِصِفَاتِهَا الْكَامِلَةَ مُشْتَمِلًا ؛
مُؤَثِّرًا تَضَاعُفَ الْمُنْثَرَاتِ ، مَثَابِرًا عَلَى مَا تَرْكُوبُهُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ ، مَتَحَلًّا بِالْحَمْدِ
الرَّاقِمَةِ ، مُسْتَبِدًّا بِالْمُنَاقِبِ الَّتِى هِيَ لِجَمِيلِ أَعْمَالِهِ مَوَاقِفَةٌ مُطَابِقَةٌ ؛ مُحَصِّلًا مِنْ رِضَا اللَّهِ
تَعَالَى مَا يُؤَثِّرُهُ وَيُؤَمُّهُ ؛ [و] مِنْ طَاعَةِ الدَّارِ الْعَزِيزَةِ - لَا زَالَتْ مُشِيدَةُ الْبِنَاءِ ، سَابِقَةٌ

(١) بياض بالأمل والصحيح عما تقدم .

النعماء ؛ دائمة الاستبشار ، عزيزة الانتصار - [و] من استمرار الظفر ما يستدبمه ، -
أقتضت الآراء الشريفة - لازال التوفيق قريبها ، والتأييد مظافرها ومعينها - مضاء
تصرفه وإنفاذ حكمه في بلاد مصر وأعمالها ، والصعيد الأعلى ، والإسكندرية ،
وما يفتحها من بلاد القرب والساحل ، وبلاد اليمن وما أفتتحه منها ويستخلصه بعد
من ولايتها ، والتعويل في هذه الولايات عليه ، واستنقاذ ما استولى عليه الكفار
من البلاد ، وإمراز كل من أذلوه وأضطهئوه من العباد : لتعود الثغور بمن يقبته
صاحكة المباسم ، وبإصابة رأيه قائمة المواسم .

أمره بادئاً بتقوى الله التي هي الجنة الواقية ، والذخيرة الباقية ، والعصمة
الكافية ، والزاود إذا أنفض وفد الآخرة وأرملوا ، والعائد النافع إذا وجدوا شاهداً
لهم وعليهم ماعملوا : فإنها العلم المنصوب للرشد ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ) .

وأمره أن يتخذ كتاب الله سبحانه السلم الذي به يقتدى ، وبأنواره إلى حدود
الصواب يهتدى ، ويستمع لزواجره ومواعظه ، ويعتد بخوفه وملاخظه ، ويصغي
إليه بسمع قلبه ، وجوارحه ولبه ، ويعمل بأوامره المحكمه ، ويقف عند نواحيه
المبهمه ، ويتدبر ماحوته آياته من الوعد والوعيد ، والزجر والتهديد ؛ قال الله عز
وجل : (وَأَنَّهُ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ) .

وأمره أن يكون على صلاته محافظاً ، ولنفسه عن الإخلال والتقصير في أداء
فرضها وإعطا ، فيقتنم الاستعداد أمام أوقاتها للأداء ، ويحترز من قواتها والحاجة إلى
القضاء ، موقفاً حقها من الركون والسجود ، على الوصف الواجب المحمود ؛ تحليها
سره عند الدخول فيها ، ونهاياً نفسه عما يصنها بالافكار ويهلها ، مجتهداً في تقي

الفكر والوسواس عن قلبه، متصبياً في إخلاص العبادَة لربّه: ليقْدَوْ بَوْصَف الأبرارِ
منعوتاً، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع، امتثالاً لأمر الله المتبّع؛ بعزيمة
في الخير صافيه، ونية للعبادة مؤافقه، وفي الأعياد إلى المصليات المصححة المحملة
بالتأبر الحالية، التي هي عن الأنداس مطهرة نائيه؛ فإنها من مواضع العبادة
ومواظبتها، ومطّان تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسنتها؛ فقد وصف الله تعالى
من وفقه لتجمل مؤنه بالعاره، بما أوصح فيه الإشارة؛ وشرفه بوضع سمة
الإيمان عليه بالإكرام الفائق، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾ : فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدّمه، ومُنْتَهيا فيها إلى
أحسن ماعهده وعلّقه .

وأمره بلزوم نزاهة الحرمات، واجتناب المحرمات؛ والتحلّي من العفاف والورع
بأجل القلائد الراقية، والتقمص بملابس التقوى التي هي بأمثال لائقه؛ وسلوك
منهج الصلاح الذي يجمل به فعله، ويصفو له عمله ونهله؛ وأن يمنّ نفسه من
الغضب؛ ويُرْدها عما تأمر به من سوء المكنتب؛ ويأخذها بآداب الله سبحانه
في نهيا عن الهوى، وجملها على التقوى؛ وردعها عن التورط في المهاوى والشبهة،
وكل أمر يتيسر فيه الحق ويستبته؛ ويُرْزِمها الأخذ بالعفو والصفح، والتأمل لمكان
الأعمال فيه واللقح؛ قال الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ
الْجَاهِلِينَ ﴾ .

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا تلك البلاد، وأخصاصهم بالصون الراعي الغاد؛
ونشر جناح الرعاية على البعيد منهم والقريب، وإحلال كل منهم محله على القاعدة

والترتيب ؛ وإشاعة المعدلة فيهم ، وإسهام دانيهم من وإفر ملا حظته وقاصيهم ؛ وأن ينجي سرحهم من كل داصر ، ويلود عنهم كل مواريب بالفساد ومظاير ؛ حتى تصفولهم من الأمن الشرائع ، وتصفو عليهم من بركة ولايته المدارع ، وتستبدر بضوء العدل منهم المطالع ؛ ويحترم أكارهم ، ويحنو على أصاغرهم ؛ ويشملهم بكتفه ودرعه ، وينتهي في مصالحهم إلى غاية وسعه ؛ ولا يألوهم في النصيح جهدا ، ولا يثخلف لهم في الخير وعدا ؛ ويشاورهم في أمره فإن المشورة داعية إلى القلاح ، ويفتح باب الصلاح ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بإظهار العدل في الرعية التي تضمها جميع الأكثاف والأطراف ، والتحلي من النصفة بأكل الأوصاف ؛ وتحل قاتهم على أقوم جدد ، وعصيان الهوى في قويم كل أود ؛ والمساواة بين الفاضل والمفضول في الحق إذا ظهر صدق دليله ، والاشتغال عليهم بالأمن الذي يعتب لهم برد مقبله ؛ وكشف ظلامة من أنهسكت إلى تخفيفه الأيدي والأطاع ، وأعجزته النصرة لنفسه والدفاع ؛ وتصفح أحوالهم بعين لا ترفو إلى هوى يميل بها عن الواجب ، وتسمع لا يصفى إلى مقالة مائنه ولا كاذب ؛ ولا يقفل عن مصلحة تعود إليهم ، ويرجع نفعها عليهم ؛ ولا عن كشف ظلامات بعضهم من بعض ، وردمهم إلى الحق في كل رفع من أحوالهم وتخفيض ؛ فلا يرى إلا بالحق حاملا ، وللأمر على منن الشريعة حاملا ؛ مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها ، وحارماً نظامها على نتائج الأيام وأنصالحها ؛ ليكون ذلك إلى وفور الأجر داعياً ، وبحسن الأخذونة قاضياً ؛ مقتدياً بما نطق به القرآن : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَيُحْجِمَ مَنَآرَهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُخَوِّتَ آثَارَهُ ؛ فَلَا يَتْرُكُ مُمَكَّنًا مِنْ إظهارِ الْحَقِّ وإِعْلَانِهِ، وَقَعَ الْبَاطِلُ وَإِتِّحَادَ نِيرَانِهِ ؛ وَيَعْتَمِدَ مُسَاعِدَةً كُلَّ مُرْشِدٍ إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ، وَنَاهٍ عَنِ التَّظَاهُرِ بِالْمَحْظُورِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ ؛ وَكُلٌّ مِنْ تَضَعِيٍّ مَعُونَتُهُ مُشَارَكَةٌ فِي إِحْرَازِ الْمُثُوبَةِ وَمُسَاهِمَةٌ ، وَمُسَاوِمَةٌ فِي اقْتِنَاءِ الْأَجْرِ وَمُقَاسِمَةٌ ؛ وَأَنْ يُوعِزَ بِإِزَالَةِ مَقَانِّ الرِّيبِ وَالْفَسَادِ فِي الدَّانِي مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقَاصِي، فَإِنَّهَا مَوَاطِنُ الشَّيْطَانِ وَأَمَّا كُنْ الْمَعَاصِي ؛ وَأَنْ يُشَدَّ عَلَى أَيْدِي الْأَمِيرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُعَيِّنَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يَطِيبُ ذِكْرُهُ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَمَحْضَرٍ ؛ وَيَحْتَسِدُ فِي إِزَالَةِ كُلِّ مُحْظُورٍ وَمُنْكَرٍ، مَقْدِمٌ فِي الْبَاطِلِ وَمُؤَخَّرٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يُقَدِّمَ الْإِحْتِيَاظَ فِي حِفْظِ الثُّنُورِ وَمَجَاوِرِيهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَيَسْتَعْمِلَ غَايَةَ التِّيَقُظِ فِي ذَلِكَ وَالْإِسْتِظْهَارَ : لِیَأْمَنَ عَلَيْهَا غَوَائِلُ الْمَكَايِدِ ، وَفُوزَ مِنَ التَّوْفِيقِ لِدَلَالَةِ أَنْوَاعِ التَّحَايِدِ ؛ وَيَتَجَرَّدَ لِحُجَاهِ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَالْإِتِّقَامِ مِنَ الْكَفَرَةِ الْمَارِقِينَ ؛ أَخَذًا بِقَوْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : ﴿ ائْفَرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . وَأَنْ يَعْمَلَ فِيمَا يَحْصُلُ مِنَ الْفَنَائِمِ عِنْدَ قُلِّ جُمُوعِهِمْ، وَاقْتِنَاحِ بِلَادِهِمْ وَرُبُوعِهِمْ ، بِقَوْلِ اللَّهِ وَمَا أَمَرَ بِهِ فِي قِسْمَتِهَا، وَلِإِيفَاءِ كُلِّ صَاحِبٍ حَصَّتَهُ مِنْهَا؛ سَالِكًا سُبُلَ مَنْ غَدَا لَأَنْارِ الصَّلَاحِ مُقْتَنِيًا ، وَلِلْقَرَضِ فِي ذَلِكَ مَوْدِيًا ؛ وَيُهْدَى دَوْرَى الرُّشْدِ مُهْتَدِيًا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

وأمره أن يُجيبَ إلى الأمان من طلبه منه، ويكونَ وفاؤه مقترناً بما تضمنته ؛ غير مُضْمِرٍ خلافَ ما يعطى به صَفَقَةُ أمانه، ويَحْتَبِبُ الغَدْرَ وما فيه من العار، وانحطاط الملك الجبار؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

وأمره بأن يأمر أصحاب المأون بمساعدة القضاة والحكام، ومُعَوِّثِهِمْ بما يَقْضِي [بَلَمَّ] شَمْلَ الصِّلاح في تنفيذ القضايا والإِثْطام؛ وأخذ الخُصُوم بإجابة الداعي إذا اسْتُحْضِرَ [وا] إلى أبوابهم للإِنصاف، والمُسارعة إلى الحقِّ الواجب عليهم من غيرِ خلاف؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ .

وأمره بالتمويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة على من يأوى إلى عَفَافٍ ودين، وعِلْمَ بأحكام الشريعة وَحِيَّةٍ يَقِينٍ؛ لا يَغْفِي عليه ما حَرَّمَهُ اللهُ تعالى وأَحَلَّهُ، ولا يَلْبَسُ على عِلْمِهِ ما أَوْصَحَ إلى الحقِّ الواضِحِ سُبُلَهُ؛ وإلى مَنْ يتولَّى المظالم بإيصال الخُصُوم إليه، وإِنصافِهِمْ كما أوجبه اللهُ تعالى عليه؛ وأَسْتَمَاعِ ظَلَامَتِهِمْ، وإِحْسَانِ النَّظَرِ في مُشَاوَرَاتِهِمْ؛ فَإِنْ أَسْقَرَ لِحَقِّ ضِيَاءِ نَبِيٍّ، أو أَشَقَبَهُ الأَمْرُ رَدَهُ إلى الحُكْمِ وَرَفَعَهُ . و[إلى] النَّاظِرِ في أسواق الرقيق بالأَحْزَارِ وَالْإِسْطِظْهَارِ، وتَعْرِيةِ الأحوال من الشُّبْهِ في آمْتِراج العبيد بالأحرار : لتَضْحَى الأَنسابُ مَصُونَةً مَرْعِيَّةً، والأموال عن التَّلَمِ محروسةً مَحْمِيَّةً . وإلى من ينظر في الحسبة بتصفُّح أحوال العامة في مَتَاحِرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وتَلَبُّعِ آثارِ مَحْتَنِهِمْ في المعاملة وأَعْتِلَالِهِمْ، وأَعْتِبَارِ المَوَازِينِ وَالْمَكْيِيلِ، وإِلْزَامِ أربابها الصَّحَّةَ والتَّعْدِيلَ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ .

وَأَنْ يَعْمَلَ الْخَفْنُ فِي تَطْهِيرِ الْبِلَادِ، مِنْ كُلِّ مَدْخُولِ الْإِعْتِقَادِ، مَعْرُوفٍ بِالشَّبَهِ
فِي دِينِهِ وَالْإِلْحَادِ، وَمَنْ يَسْعَى مِنْهُمْ فِي الْفَسَادِ؛ وَيَأْمُرُ الْمُرْتَبِينَ فِي الْمَرَكَزِ وَالْأَطْرَافِ
بِاقْتِنَاصِهِمْ، وَكَفِّ فُسَادِهِمْ وَاجْلَانِهِمْ عَنْ عِرَاصِهِمْ؛ وَأَنْ يُجَرِّى عَلَيْهِمْ فِي السِّيَاسَةِ
مَا يَجِبُ عَلَى أَمْثَالِهِمْ مِنَ الزَّانِقَةِ وَالَّذِينَ تَوْبُهُمْ لَا تُقْبَلُ، وَأَمْرُهُمْ عَلَى حُكْمِ الْمُخَاطَبِينَ
لَا يَجْعَلُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ
تَوْبُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّا لُونَ) .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَلَقَّى النِّعْمَةَ الَّتِي أُفْرِغَتْ عَلَيْهِ، وَأَسَاقَتْ إِلَيْهِ؛ بِشُكْرِ يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُهُ،
وَيُتَرِّجِمُ عَنْهُ بَيَانُهُ : لَيْسَتْ دِيْمَ بِذَلِكَ الْإِكْرَامِ، وَيَقْتَرِنُ الْإِحْسَانُ عِنْدَهُ بِالْإِنْتِمَاءِ؛ وَأَنْ
يُؤَقِّبَهَا حَقَّهَا مِنْ دَوَامِ الْحَمْدِ، وَالْقَصْدِ إِلَى شُكْرِهَا وَالْعَمْدِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
(وَمَنْ شَكَرْنَا إِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَيَّنَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاحِ مَا أَتَضَحَّتْ أَمْثَالُهُ، وَأُثْبِتَتْ
فِي الْمَرَامِيِّ سِبْأَتُهُ؛ وَأَرْشَدَ إِلَى مَا أَوْدَعَ هَذَا الْمُنْشُورُ مِنْ جَدِّ الْفَوْزِ بِرِضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى
وَشُكْرِ عِبَادِهِ، عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِمَقْتَضَى جِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ : لِيُحْزِرَ السُّبْقَ فِي دُنْيَاهُ
وَعُقْبَاهُ، وَيَتَوَقَّرَ عِنْدَهُ مَا مُنَحَّ بِهِ مِمَّا أَرْهَفَ عَزَمَهُ وَجَبَّاهُ؛ وَضَدًا بِمَكَانِهِ رَافِلًا
فِي مَلَائِسِ الْفَخْرِ وَالْبَهَاءِ، نَائِلًا مَنَى مَا طَالَ بِهِ مَنَازِلُ الْقُرْبَاءِ؛ وَأَخْصَصَ بِمَا أَعْلَى
دَرَجَتِهِ فَتَقَاعَصَتْ عَنْهُ أَمَالُ حَاسِدِيهِ، وَتَفَوَّزَ بِالمَكَانَةِ عَنْ مَقَامٍ مِنْ يُبَارِيهِ وَيُنَاقِضُهُ؛
وَأَوَّلَى مِنَ الْإِنْعَامِ مَا أَمَّنَ بِهِ سِرْبَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ، وَأَصْفَى مِنَ مَنَاطِلِ الْإِحْسَانِ
وَرَدَّهُ؛ وَأَهْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ مَا يَجِبُ أَنْ يُودِعَهُ وَاعِيَةُ الْأَسْمَاعِ، وَيَأْخُذَ بِالْعَمَلِ بِهِ
كُلُّ رَاغٍ، فَيَنْتَبِجُ - أَدَامَ اللَّهُ طَوَّهُ - حَاجَّ الْوَلَاءِ، الَّذِي عَهْدُهُ مِنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ؛

متزّها عن تقصير منه في حامة الأوقات ، ومراعياً أفعاله في جميع التصرفات ؛ ويعلم أنه مسئول عن كل ما تلفظ به لسانه ناطقاً ، ونظر طرّفه إليه رامقاً ؛ قبل أن يُجاب هواه ، ويبقى رهيناً بما اكتسبت يده ؛ ولا يفتّر من الدنيا وزخرفها بغير أن ليس الوفاء من طباعه ، ومعيّر ما أقصر مدة آرتجاعه ؛ وسبيل كافة القضاة والأعيان ومقدّمي العساكر والأجناد ، ورؤساء البلاد ، متابعتة ومواظقتة ، وطلب مصالحهم من جنائيه ، والتصرف على استصوابه ؛ وقد أكدت وصائته في الفرق بهم والاشتغال عليهم ، والإحسان إليهم ، وإجمال السيرة فيهم بركب أشكل عليه أمر من المتجددات يطالع به الديوان العزيز - مجده الله تعالى - لينهّج له السبيل إلى فتح رتاجه ، وسُلوك منهاجه ؛ والله ولي التوفيق والهداية ، وجمع الكلمة في كل إعادة وبداية ؛ والمعونة على المصممة من الزلل ، والتأييد في القول والعمل ؛ إن شاء الله تعالى ، وهو حسبتنا ونعم الوكيل .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد السلطان عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت

العلامة ، وما يكتب في نسخة العهد من الشهادة أو ما يقوم مقامها)

أما ما يكتب في المستند ، فقد جرت العادة أن يكتب فيه نحو ما تقدم في البيعات وعهود ولاة العهد بالخلافة : وهو : « بالإذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، الفلاني (يلقب بالخلافة) أعلامه الله تعالى » .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فإنه يكتب علامته وتحتها : « فوضت إليه ذلك ، وكتب فلان بن فلان » . ورأيت في بعض الدساتير تقلداً عن الحاكم بأمر الله

أبى العباس [ابن الخليفة] المستكفي بالله أبى الربيع سليمان [أنه] كان يكتب :
« وكتب أحمد ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

وأما ما يكتب في نسخة العهد من الشهادة ، فقد جرت العادة أن يكتب قاضيان
فاكثر من قضاة القضاة الأربعة في حاشية العهد أو في ذيله ماضورته : « أشهدنى
مولانا أمير المؤمنين العاهد المشار إليه فيه — أدام الله تعالى أيامه — بما نُسب إليه
فيه من العهد إلى فلان بن فلان » أو ما في معنى ذلك .

قلت : والواجب أن يضمنوا في رسم شهادته الشهادة على السلطان بقبول العهد ؛
بأن يقال قبل على مأنص وشرح فيه : « وعلى مولانا السلطان المشار إليه فيه بقبول
ماؤوض إليه فيه » أو نحو ذلك : لأنه كما يعتبر العهد من العاهد يعتبر القبول من
المهود إليه كما تقدم في موضعه .

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذى تكتب فيه هود الملوك عن الخلفاء ، والقلم الذى
يكتب به ، وكيفية كتابتها ، وصورة وضعها فى الورق)

أما قطع الورق فلا نزاع فى أنه يكتب فى قطع البغدادى الكامل ، على ما هو
مستقر العادة إلى الآن . وقد تقدم فى الكلام على مقادير قطع الورق فى المقالة الأولى^(١)
من الكتاب أن عرضه ثلاثة أشبار وخمسة أصابع ، وطوله الوصل كذلك .

(١) كما فى الأصل مضيا عليه ولم يتقدم فى الأولى وإنما تقدم فى المقالة الثالثة الكلام على
المقادير وأن عرض البغدادى الكامل ذراع واحد بذراع القماش المصرى . انظر ج ٦ ص ١٩٠
من هذا المطبع .

وأما القلم الذى يكتب به ، فختصر قلم الطومار لمناسبته له على ما تقدم فيما يناسب كل قطع من الورق من الأقلام .

وأما كيفية كتابة العهد وصورة وضعه فى الورق ، فعلى ما تقدم فى البيعات وعهود أولياء العهد بالخلافة : وهو أن يبدأ بكتابة الطرة فى أعلى الدرج من أول عرض الورق إلى آخره سطوراً متلاصقة من غير هامش ، وفى أعلاه قدر إصبع بياضاً ، ثم يترك ستة أوصالٍ بياضاً من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطرة ؛ ثم تكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاتها تكاد تلحق بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن يمين الدرج قدر أربعة أصابع مطبوعة أو خمسة ؛ ثم يكتب سطراً من أول العهد تحت البسملة ملاصقاً لها بحيث تكاد أعلى ألفاته تلحق بالبسملة ، ثم يحلّ بيت العلامة قدر شبر ، ثم يكتب السطر الثانى من العهد على سمت السطر الذى تحت البسملة ، ويسترسل فى كتابة بقية العهد .

ثم الذى رأيته فى دستور معتمد ينسب للقر العلاء بن فضل الله أنه يكون بين كل سطرين قدر ربع ذراع . وأخبرنى بعض فضلاء الكُتاب أنه رأى فى بعض الدساتير أن سطورَه تكون مُزدوجة على نظير البسملة والسطر الأول ، وبين كل سطرين بعد بيت العلامة تقدير خمسة أصابع مطبوعة .

قلت : ولعل ذلك تفنن من الكاتب وتطريز للكتابة ، لاعلى سبيل الزوم .

فإن قيل : لم كان مقدار البياض بين سطور العهد مع كبر قطع الورق دوت بياض ما بين سطور التقاليد ونحوها مما يكتب عن السلطان على ما سياتى ذكره ؟ فالجواب أن العهد كالمكتوبة من الماهد للعهد إليه ، كما أن التقليد كالمكتوبة من المقلد للمقلد ، والأعلى فى حق المكتوب إليه أن تكون السطور متضابقة على ما تقدم

في الكلام على المكتاتبات؛ فناسب أن تكون مسطور العهد أكثر تقارباً من مسطور التقليد وما في معناه، تعظيماً لشأن السلطان في الحالتين .

فإن قيل : يُنقص ذلك بعظم قلم العهد ، ضرورة أنه كلما غلظ القلم كان أنزل في رتبة المكتوب إليه على ما تقدم أيضاً ، فالجواب : أن غلظ القلم في العهد تابع للورق في كبر قطعه ، وقاعدة ديوان الإنشاء أنه كلما كبر قطع الورق في المكتاتبات ، كان تعظيماً للمكتوب إليه ، بدليل أن كل من عظم مقداره من الملوك كان قطع الورق في مكاتباته أكبر ، ولو كتبت العهد بقلم دقيق مع ضيق السطور وسعة الورق لجاء في غاية القصر . ثم قد جرت العادة أن تكون كتابة العهد من أوله إلى آخره من غير نقط ولا شكل ، وعليه عمل الكتاب إلى آخر وقت .

قلت : هذا بناء على المنهج الراجح في أن المكتبة إلى الرئيس تكون من غير إعجام ولا ضبط : لما في الإعجام والضبط من أسهال المكتوب إليه ونسيته للعبارة وقلة الفهم ، بخلاف من ذهب إلى أن الكتابة إلى الرئيس تُقيد بالإعجام والضبط كي لا يترصه الشك ، ولا يكلف إعمال الفكر ، على ما تقدم ذكره في أوائل المكتاتبات ، فإنه يرى نقط العهد وشكله .

وإذا انتهى إلى آخر العهد كتب المشيئة ، ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الجملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الحسبة ، على ما تقدم في الكلام على الفوائد والخواتم في أوائل المقالة الأولى من الكتاب .

وهذه صورة وضعه في الورق ، يمثلها بالبطوة التي أنشأها القاضي علاء الدين ابن عبد الظاهر ، والعهد الذي أنشأه القاضي شمس الدين إبراهيم بن القيسراني للملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهو العهد الأخير من المذهب الأول .

الظرة

هذا عهد شريف تجددت مَسَرَاتُ الإسلام بتجديده، وتأكّدت أسباب الإيمان بتأكيده، ووجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده، ووعدَ اليَمَنُ والإقبالُ على الخليفة بوفوده، ووردَ الأناثُ مورِدَ الأمانِ بوفوده . من عبد الله وولّيه الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد، عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد خلد الله سلطانه، ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه على ما شرح فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المباش هذا عهد شريف يعمر بك للإسلام والمعاهد، وينصر منك الإعتزام

بيت الصلاة

فتفتى عن الموالى والمُعاضد، ويلقى إليك مقاليد الأمور لتحمي في مرضاة

تهدير ريع ذراع

الله ومجاهد، ويعتك على العمل بالكتاب والسنة : لكونا شاهدين لك

تهدير ريع ذراع

عند الله في أعظم المشاهد - إلى أن يأتى إلى قوله في آخره : والله تعالى

الماسح يخلد له رتبة الملك التي أعلى بها مقامه ، ويدعيه ناصراً للدين الخفيف

فأنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ؛ ويعمل سبب هذا العهد

مدى الأيام متينا ، ويمدد له في كل وقت نصراً قريباً وفتحاً مبيناً ؛

والخط الحاكم أطله ، حجة بمقتضاه

إن شاء الله تعالى

كتب في من شهر كذا

سنة كذا

بإذن العالي المولوي الإمامي النبوي الحامي

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الثالث

(من العهود عهود الملوك لولاة العهد بالملك)

وهو أن يعهد الملك بالملك بسده لمن يختاره من أولاده أو إخوته أو غيرهم من الأقارب أو الأجانب .

ويتعلق النظر به من سبعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان صحة ذلك)

لما صحّت إمارة الإستيلاء إجماعاً للفنّ، وتنفيذاً للأحكام الشرعية على ما تقدّم من كلام الماوردي في النوع الثاني من العهود، اقتضت المصلحة تصحيح العهد بالملك لما فيه من المعنى المتقّم . وقد جرّت عهود من الملوك لأبنائهم بالديار المصرية وغيرها بحضرة الجُمّ الغفير من العلماء وأهل الحلّ والعقد فامضوا حكم ذلك ولم ينكروه، وفلك منهم دليل الجواز .

فإن قيل : قد تقدّم في النوع الثاني من العهود من كلام الماوردي أن وزير التفويض لا يجوز له أن يعهد بالوزارة لغيره ، ووزارة التفويض في معنى السلطنة الآن أوقرية منها على ما تقدّم هناك ، فالجواب : أنه قد تقدّم أن السلطنة الآن مركّبة من وزارة التفويض وإمارة الإستيلاء، بل السلطان الآن كالمستبدّ بالأمر، والشوكة مصحّحة لأهل الولاية فلاّن تكون مصحّحة لفرعها أولى .

الوجه الثاني

(فيما يكتب في الطرزة)

ينبغي أن يكون ما يكتب فيها على نحو ما يكتب في طرر عهود الملوك عن الخلفاء ، إلا أنه يُزاد فيها : « عهد إليه بالملك بعده » كما يقال في عهود الخلفاء عن الخلفاء : « عهد إليه بالأمر بعده » .

وهذه نسخة طرزة :

« هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على نفعه ، متبلغ صبحه صويّ بفره . من السلطان الأعظم الملك القلائي فلان الدنيا والدين فلان ، خلد الله تعالى سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه - بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالي السلطاني الملك القلائي ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرعية ما يرجونه من مزيد الإفضال ، على ما شرح فيه » .

الوجه الثالث

(في الألقاب التي تُكتب في أثناء العهد)

وقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب له : المقام الشريف أو الكريم ، أو العالي مجزدا عن الشريف والكريم ، ويُقتصر فيها على الألقاب المفردة دون المركبة .

قلت : وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ألقاب الملك الصالح على بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ، فقال : « ولما كان المقام العالي الولدي السلطاني الملك الصالح الهادي » .

وعلى نحو من ذلك كتب المشار إليه ألقاب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس في عهده بالسلطنة عن والده المذكور ، فقال : « وخرج أمرنا بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركة خاقان محمد » إلا أنه قد خالف ذلك فيما كتب به في ألقاب الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون في عهده بالسلطنة عن والده بجمع بين الألقاب المفردة والمركبة ، فقال : « هذا عهدنا للسيد الأجل الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ، نفي الملوك والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين » ولم يتعرض في التعريف لحكاية هذا المنهَب ، مع كون كلام ابن عبد الظاهر محجة يرجع إليه في هذا الفن .

الوجه الرابع

(ما يكتب في المسند)

ويتعين أن يكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » لصدوره عن السلطان كما يكتب في التقاليد .

الوجه الخامس

(ما يكتب في مقر العهد)

والكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى — أن يفتح العهد بعد الإسملة بلفظ « هذا » ونحوه على ما تقدم في عهد الملوك من الخلفاء .

وعلى هذه الطريقة كتب أبو بكر بن القصيرة المغربي الكاتب عن أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » سلطان المغرب بولاية عهده لأبيه أبي الحسن على ما بيده من الغرب والأندلس ، في ذى الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وهو :

كُتِبَ تَوَلِيَّةٌ عَظِيمٌ جَسِيمٌ ، وَتَوْصِيَّةٌ حَمِيمٌ كَرِيمٌ ؛ مُهَلَّتْ عَلَى الرِّضَا قَوَاعِدُهُ ،
وَأُكِّدَتْ بِسَيْدِ التَّقْوَى مَعَاقِدُهُ ، وَأُبْسِلَتْ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْهَوَى مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ؛
أَنْفَذَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرُ الدِّينِ ، أَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ ؛ آدَامَ اللَّهِ أَمْرَهُ ،
وَأَعَزَّ نَصْرَهُ ، وَأَطَالَ فِيهَا رِضْصِيهِ وَيَرْضَى بِهِ عَنْهُ عُمُرُهُ ؛ غَيْرَ مُحَابٍ ، وَلَا تَارِكٍ
فِي التَّصْبِيحَةِ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ مَوْضِعَ آرْتِيَابِ لُكْرَتَابٍ - لِلْأَمِيرِ الْأَجَلُ أَبُو الْحَسَنِ
عَلَى آئِنِهِ الْمُتَقَبِّلِ شَيْمِهِ وَهَمَمِهِ ، الْمُنَاقِلِ حِلْمَهُ وَتَحَلُّهُ ؛ النَّاشِئُ فِي شَجَرِ تَقْوَاهُ وَتَأْيِيدِهِ ،
الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ يَدَيَّ مُصْحَدِيهِ وَتَهْنِئِهِ ؛ آدَامَ اللَّهِ عِزَّهُ وَتَوْفِيقَهُ ، وَأَنْهَجَ إِلَى كُلِّ صَالِحٍ
مِنَ الْأَعْمَالِ طَرِيقَهُ ؛ وَقَدْ تَهَمُّ بِمَنْ تَحْتَ عَصَاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا فِيمَنْ يَخْلُقُهُ
فِيهِمْ هُدًى لِلتَّقِينَ ، وَلَمْ يَرَأَنَّ يَتَرَكَّهُمْ سُدًى غَيْرَ مَدِينِينَ ؛ فَأَعْتَمَ فِي النَّصَابِ الرَّفِيعِ
وَأَخْتَارَ ، وَأَسْتَنْصَحَ أَوَّلِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَمَنْ غَيْرِهِمْ وَأَسْتَشَارَ ، وَأَسْتَضَاءَ بِشِهَابِ
أَسْتِخَارَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَأَسْتَنَارَ ؛ فَلَمْ يُوقِعْ اللَّهَ بَعْدَ طَوْلٍ تَأْمُلُ ، وَتَرَاحِي مَدَّةٍ وَتَمَهَّلُ ؛
اخْتِيَارَهُ وَلَا اخْتِيَارَ مَنْ فَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَوَّلَى التَّقْوَى وَالْحِكْمَةِ وَالتَّجَرُّبَةِ
وَأَسْتَشَارَهُ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا صَارَ بِهِ وَبِهِمُ الْإِجْتِهَادُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا التَّقْيُّ وَرَادَ التَّرَائِي
وَالْتَشَاوُرُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَوَلَّاهُ عَلَى أَسْتِحْكَامٍ بِصِيرَةٍ وَبَعَدَ طَوْلَ مَشُورَةٍ عَهْدَهُ ،
وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ بَعْدَهُ ؛ وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي رِعَايَا مَسْنَدِهِ
وَأَوْطَأَ عَقِبَهُ جَمَاهِيرَ الرِّجَالِ ، وَنَاطَلَهُ بِمُهْمَّاتِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوَالِ ؛ وَعَهْدَ إِلَيْهِ أَنْ
يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلَا يَحْدِلَ عَنْ سُنَّتِ الْمَدَنِ وَحُكْمِ الْكَلْبِ وَالسِّنَّةِ فِي أَحَدٍ
عَصَى أَوْ أَطَاعَ ، وَلَا يَنْسَاقَ بِهِ عَنْ حِمَايَةٍ مِنْ أَسْهَرِ الْحَيْفِ وَالْخَوْفِ وَالْإِضْطِجَاعِ ؛
وَلَا يَتَلَهَّى دُونَ مَعْلَنِ شَكْوَى ، وَلَا يَتَصَمَّمُ عَنْ مُسْتَضَرِّحٍ لِدِفَاجِ بَلْوَى ؛ وَأَنْ يَنْتَظِمَ
أَفْصَى بِلَادِهِ وَأَدْنَاهَا فِي سِلْكِ تَدْيِيرِهِ ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ مِنْ رَحْمَتِهِ بَوْنٌ

(١) كَذَا فِي الْأُمُورِ لَعَلَّهُ تَجْرِيهِه • تَأْمَلُ •

في إحصائه وتقديره ؛ ثم دما - أدام الله تأييده - لمبايئته من دنا وتأي من المسلمين ،
 فلبوا مسرعين وأتوا مهطعين ، وأعطوا صفة إيمانهم متبرعين متطوعين ؛ وبأيوه
 على السمع والطاعة ، والالتزام سنن الجماعة ؛ وبذل النصيحة ، وإصفاء النيات
 الصريحة ؛ وموادة من صاحبه ، ومحاربة من حاربه ؛ ومكايمة من كايده ، ومعاونة
 من مائده ؛ لا يتخرون في ذلك على حال المكروه والمثلث مقيده ، ولا يحتجون
 في وقتي السخط والرضا بمعذره ؛ ثم أمر بمخاطبة أهل البلاد لتبایعه كل طائفة
 في بلدها ، وتعطيه كما أعطاه من حضر صفة يدها ؛ حتى يستوي في الالتزام ببيئته ،
 القريب والبعيد ، ويحتج على الاعتصام بحبل دعوته ، الغائب والشهيد ؛ وتطمئن
 من أعلام الناس وخبرهم قلوب كانت من ترانجى ما انتجز قلبه ، ولم تزل ببقية التأثر
 أرقه ؛ ويشمل الناس السرور والاستبشار ، وتمكن لهم الدعة ويتمهد القرار ؛ وتنشأ
 في الصلاح لهم آمال ، ويستقبلهم جد صاعد وإقبال ؛ والله يبارك لهم فيها بيعة
 رضوان ، وصفقة ربحان ، ودعوة إيمان ؛ إنه على ما يشاء قدير ، لا إله إلا هو نعم
 المولى ونعم النصير .

شهد على أمير المسلمين ناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين - أدام الله
 أمره ، وأعز نصره - بكل ما ذكر عنه من التزام البيعة المنصوصة فوق هذا ، وأعطى
 صفة يمنه متبرعا بها ، وبالله التوفيق . وذلك بحضور قرطبة حماها الله تعالى .

الطريقة الثانية - أن يفتتح العهد بعد البسملة بحظبة مفتحة بالحمد لله ،
 وهي طريقة المصريين ، وعليها اقتصر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف "
 وعلى هذه الطريقة كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن الظاهر بيزرس
 عهد ولده الملك السعيد بركة ، وهذه نسخته :

الحمد لله مُمَيِّتِ القُرُوسِ ، وَمُنْهِجِ النُّفُوسِ ، وَمُزَيِّنِ سَمَاءِ الْمَلَكَةِ بِأَحْسَنِ الْأَهْصَلَةِ
وَأَضْوَالِ الْبُدُورِ وَأَشْرِقِ الشُّمُوسِ ؛ الَّذِي شَدَّ أَزْرَ الْإِسْلَامِ ، بِمُلُوكٍ يَتَعَاقِبُونَ مَصَالِحَ
الْأَنَامِ ، وَيَتَنَاقِبُونَ بِتَدْيِيرِهِمْ كِتَابُوبَ الْعَيْنِينَ وَالْيَدَيْنِ فِي مُهِمَّاتِ الْأَجْسَادِ وَمُلَمَّاتِ
الْأَجْسَامِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي أَبْقَيْتْ جَفْنَ الشُّكْرِ الْمُتَغَانِي ، وَأَوْرَدَتْ نَهْلَ الْفَضْلِ الصَّافِي ،
وَحَوَّلَتْ الْآلَاءَ حَتَّى تَمْسُكَتِ الْأَمَالَ مِنْهَا بِالْوَعْدِ الْوَفِيِّ وَأَخَذَتْ بِالْوِزْنِ الْوَافِي ؛
وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عِيدَ كَثَرِ اللَّهُ عِنْدَهُ وَعُنْدَهُ ،
وَأُحْمَدُ أَمْسَهُ وَيَوْمَهُ وَيُحْمَدُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - فَدَهُ ؛ وَنُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الَّذِي أَطْلَعَ اللَّهُ بِهِ نَجْمَ الْهَدْيِ ، وَأَلْبَسَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ أُرْدِيَّةَ الرَّدْيِ ؛ وَأَوْصَحَ بِهِ
مَنَاجِجَ الدِّينِ وَكَانَتْ طَرِيقَ قِنْدَاءِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً
لَا تَنْقُضِي أَبَدًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّا [بِمَا] أَلْهَمَنَا اللَّهُ مِنْ مَصَالِحِ الْأُمَمِ ، وَخَوَّلَنَا مِنْ الْخِرَاصِ عَلَى مُهِمَّاتِ
الْعِبَادِ الَّذِي قَطَعَ بِهِ شَاقَّةَ الْكُفْرِ وَخَتَمَ ، وَأَتَى بِهِ وَالشُّرْكَ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَحَدٍ أَشْتِمَالَ
نَارِهِ فَكَانَ عَلَمًا بِنَارٍ مُضْرَمَةٍ لَا نَارًا عَلَى عِلْمٍ ؛ وَقَدَّرَهُ مَنْ رَفَعَ الْكُفْرَ مِنْ جَمِيعِ
الْجَوَانِبِ ، وَقَفَّوهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حَتَّى رَمَاهُمْ بِالْخَنَفِ الْوَاصِلِ وَالْعَذَابِ الْوَاصِبِ ؛
فَانْصَبَّ الشُّرْكَ مِنَ الْإِبَادَةِ فِي شَرِّكَ ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَخْشَى مِنْ قَتْلِ وَلَا يَخَافُ مِنْ
دَرَكٍ ؛ وَتُغَوَّرُ الْإِسْلَامَ عَالِيَةُ الْمَيْتِنِ ، جَانِيَةٌ يَمَارُ الْإِدْخَارِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ؛ تُزَاحِمُ
بُرُوجَهَا فِي السَّمَاءِ الْبُرُوجُ ، وَتُشَاهِدُ الْأَعْدَاءَ مِنْهَا سَمَاءٌ قَدْ بُيِّنَتْ وَزُيِّنَتْ وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ؛ وَعَسَا كَرِ الْمَلَّةَ الْحَمْدِيَّةُ فِي كُلِّ طَرْفٍ مِنْ أَطْرَافِ الْمَالِكِ تَجُولُ ، وَفِي كُلِّ
وَادٍ تَهِيمُ حَتَّى تَسْمُرَ بِالنَّصْرِ وَلَكِنَّهَا تَفْعَلُ مَا تُشَوَّلُ ؛ قَدْ دَوَّخَتْ الْبِلَادَ فَتَتَلَّتِ الْأَعْدَاءُ

تارة بالإنلام وتارة بالإدهام^(١)، وسلّت سُيوفها فراعتهن بقطة بالقرّاع وتوما بالأحلام؛ ترى أنا قد لَدّ لنا هذا الأمرُ التّذاذُ المُستطِيب، وحسُن لدينا موقعه فعكفنا عليه عكوف المستجيد ولبيناه تلبية المستجيب؛ وجعلنا فيه جميع الآلات والحواس، وتقسّمت مباشرته ومؤامراته سائر الزّمن حتى غدا أكثر ترددا إلى النفس من الأفاص؛ واستنفدنا الساعات في امتطاء المُضمر الشّمس، وأدراع مُحكم الدّلاص التي كأنها وميض برق أو شعاع شمس؛ وتجريد المُرَهفات التي جفت لحاظها الأجفان، وجرت فكاليها وأضربت فكالثيران؛ وتفويق السهام التي غدت قسيها مرابعا نبالها بان (٩)، واعتقال السّمهرية التي تهرج الأعداء سبها ندما كُلمّا قرعت هي السّنان، إلى غير ذلك من كلّ غارة شعواء تُسوّى للكفّار الصّباح، وتضئ كالجبال وتسير كالرياح؛ ومنازلات كم استلبت من موجود، ولم تستنجزت من نصير موعود، ولم مدينة أصحّت لها مدينة ولكن أنهرها الله إلى أجل معدود.

وكانت شجرتنا المباركة قد أمتدّ منها فرعٌ نفّسنا فيه الزيادة والثّمر، وتوسّمتا منه حُسن الجنّى المرجوّ؛ ورأينا أنّه الهلال الذي قد أخذ في ترقّي منازل السُّعود إلى الإبدار، وأنه سِرنا الذي صادف مكان الاختبار له مكان الاختيار؛ فأردنا أن نصّبه في منصّب أحلّنا الله فسيح غُرفه، ونُسرفه بما خولنا الله من شُرفه؛ وأن تكون يدنا ويده تلتقيان من ثمره، وجيدنا وجيده يتحليان بجموهه؛ وأنا نكون للسلطنة الشريفة السمع والبصر، وللملكة المعظمة في التناوب بالإضاءة الشمس والقمر؛ وأن تصوّل الأُمّة منا ومنه بحدّين، وسيطشوا من أمرنا وأمره بيدّين، وأن تُرتبه على حُسن سياسة تجمّد الأُمّة - إن شاء الله تعالى - عاقبتها عند الكبر؛ وتكون

(١) لعله بالايام أى تارة بالترول بهم وتارة بالربح .

الأخلاق الملوكة منشئة منه ومنشئة به من الصغر؛ ونجعل سقى الأمة حبيداً،
وتهب لهم منه سلطاناً نصيراً ومُلْكاً سعيداً؛ وتُقَوَّى به عَضُد الدين وتُرِيشُ جَنَاحَ
المُلْكِ، وتُخَيَّجَ مَطْلَبَ الأُمَّةِ بِإِيَالِهِ وكيف لا يُخَيَّجَ مَطْلَبَ فِيهِ بَرَكَةٌ ؟ .

ونخرج أَمْرَنَا لا بَرَحَ مُسْعِداً ومُسْعِفاً ، ولا عَدِمَتِ الأُمَّةُ مِنْهُ خَلْفاً مُنْبِلاً ونَوَّاراً^(١)
مُخْلِفاً ؛ بَأَن يُكْتَبَ هَذَا التَّقْلِيدَ لَوْلَدِنَا السَّعِيدِ نَاصِرِ الدِّينِ « بَرَكَةُ خَاقَانِ مُحَمَّدٍ » جَعَلَ
اللهُ بَطْلَمَعَ سَعْدَهُ بِالإِشْرَاقِ مَحْفُوفاً ، وَأَرَى الأُمَّةَ مِنْ مِيَامِنِهِ مَايُدْفَعُ لِلنَّهْرِ صَرَفاً
وَيُحْسِنُ بِالتَّدْيِيرِ تَصْرِيفاً - بِوِلَايَةِ الْعَهْدِ الشَّرِيفِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ وَبُعْدِهَا ، وَغُورِهَا
وَتَجْدِهَا ، وَقِلَاعِهَا وَثُغُورِهَا ، وَبُرُورِهَا وَبُحُورِهَا ؛ وَوِلَايَاتِهَا وَأَقْطَارِهَا ، وَمُدُنِهَا
وَأَمْصَارِهَا ؛ وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا ، وَمَعْطَلَهَا وَمُقْتَلَهَا ؛ وَمَا تَحْتَوِي أَقْطَارُهُ الْأَحْلَامَ ، وَمَا يُنْسَبُ
لِلدَوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مِنْ يَمِينٍ وَحِجَازٍ وَمِصْرٍ وَغَرْبٍ وَسَوَاحِلَ وَشَآمٍ بَعْدَ شَآمٍ ؛ وَمَا يَتَدَاخَلُ
ذَلِكَ مِنْ قِفَارٍ وَمِنْ بَيْدٍ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْجِهَاتِ ، وَمَا يَتَقَلَّلُهَا مِنْ نِيلٍ وَمَلْعٍ وَصَدْبٍ
فُرَاتٍ ؛ وَمَنْ يَسْكُنُهَا مِنْ حَقِيرٍ وَجَلِيلٍ ، وَمَنْ يَحُلُّهَا مِنْ صَاحِبِ رُغَاءٍ وَثَقَاءٍ وَصَلِيلٍ
وَصَهِيلٍ ؛ وَجَعَلْنَا يَدَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ الْمَبْسُوطَةَ ، وَطَاعَتَهُ الْمَشْرُوطَةَ وَنَوَامِيْسَهُ الْمَضْبُوطَةَ ؛
وَلَا تَدْيِيرَ مُلْكٍ كُتِلَى إِلَّا بَنَا أَوْ بَوْلَدْنَا يَعْمَلُ ، وَلَا سَيْفَ وَلَا رِزْقَ إِلَّا بِأَمْرِنَا هَذَا يُسْأَلُ
وَهَذَا يُسَالُ ؛ وَلَا دَسَتْ سُلْطَنَةُ إِلَّا بِأَحْدَا تَبَوَّعَ مِنْهُ الإِشْرَاقُ ، وَلَا غُصْنَ قَلَمٍ
فِي رَوْضِ أَمْرٍ وَتَهَى إِلَّا وَلَدِنَا وَلَدِيهِ تَحْتَدُّ لَهُ الْأَوْرَاقُ ؛ وَلَا مَبْرَحَ خَطِيبٍ إِلَّا بِأَسْمَانَا
يَمِيسُ ، وَلَا وَجْهَ دِرْهَمٍ وَلَا دِينَارٍ إِلَّا بِأَبْنِ يُشْرِقُ وَيَكَادُ تَبَرُّجاً لَا تَهْرَجاً يَتَطَّلَعُ مِنْ
خِلَالِ الْكِيسِ .

فَلْيَتَقَلَّدْ الْوَلَدُ مُأَقْلَدَانَهُ مِنْ أُمُورِ الْعِبَادِ ، وَلْيَشْرِكْنَا فِيَا نُبَايَسُهُ مِنْ مَصَالِحِ الثُّغُورِ
وَالْقِلَاعِ وَالْبِلَادِ ؛ وَسَيَتَمَاهَدُ هَذَا الْوَلَدُ مِنَ الْوَصَايَا بِمَا سَيَنْشَأُ مَعَهُ تَوَعُّماً ، وَيَتَبَرَّجُ

(١) يقال أنبث الرجل ونبله اذا ناولته النبل ليرى والمراد أنه نافع معين كامل .

بِطَيْمِهِ وَدَمِهِ حَتَّى يَكَادَ يُكَونَ ذَلِكَ إلهَامًا لِاتِّعَابٍ ؛ وَفِي الْوَلَدِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ نَفَازِ
الذَّهْنِ وَحِجَّةِ التَّصَوُّرِ مَا تَشْكَلُ فِيهِ الْوَصَايَا أَحْسَنَ التَّشْكِيلِ ، وَتُظْهِرُ صُورَةَ الْإِبَانَةِ
فِي صِفَاتِهِ الصَّبِيقِ ؛ فَلِذَلِكَ آمَسْتَعِينَا عَنْ شَرْحِهَا هَاهُنَا مَسْرُودَةً ، وَفِيهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
مِنْ حُسْنِ الْخَلِيقَةِ مَا يَحَقُّ أَنَّهَا بَشَرَفِ الْإِلْهَامِ مَوْجُودَةٌ ؛ وَاللَّهُ لَا يُعِدُّنَا مِنْهُ إِشْفَاقًا
وَرِيًّا ، وَيَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلْأُمَّةِ سَنَدًا وَذُخْرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى ذلك كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر أيضا عن المنصور « قلاوون »
عهد ولده الملك الأشرف صلاح الدين « خليل » وهذه نسخته :

الحمد لله الذي لم يزل له السَّمْعُ والطاعة فيما أمر ، والرضا والشُّكْرُ فيما هدَمَ من
الأعمار وما عمَّر ، والتفويضُ في التعويض إن غابت الشمسُ بَقِيَ الْقَمَرُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ سُلْطَانَنَا ثَابِتَ الْأَرْكَانِ ، كُلِّ رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِهِ ذَاتُ أَفْنَانٍ ؛
لَا تُزْعِجُهُ رِيحٌ عَقِيمٌ ، وَلَا يُخْرِجُهُ رُزْءٌ عَظِيمٌ عَنِ الرِّضَا والتَّسْلِيمِ ؛ وَلَا يُعْتَبِطُ مِنْ جَمَلَتِهِ
كَرِيمٌ إِلَّا وَيُقْتَبِطُ مِنْ أَسْرَتِهِ بَكْرِيمٌ ؛ وَنُشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تَزِيدُ قَائِلَهَا تَقْوِيضًا وَتُجْزِلُ لَهُ تَعْوِيضًا ، وَتُحْسِنُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فِي كُلِّ
خُطْبٍ جَلِيلٍ تُخْرِجُهَا ؛ وَنُشْهِدُ أَنْ عَمَّا عِبُدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّسْلِيمِ :
(وَمَا جَدُّ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) . وَالنَّبِيُّ الَّذِي أَوْصَحَ بِهِ الْمَنَاجِجَ
وَبَيَّنَ بِهِ السُّبُلَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَجَاوَبَتِ الْحَاوِرُ وَالْمَنَابِرُ فِي الْبُكْرِ
وَالْأَصْلِ ؛ وَمَا تَبَرَّثَ عُقُودُ وَنُظُمَتِ ، وَتُسَبَّحَتْ آيَاتُ وَأُحْكِمَتْ ؛ وَتُقَضَّتْ أُمُورُ
وَأُبْرِمَتْ ، وَمَا عَزَمَتْ آرَاءُ فُتُو كَلَّتْ وَتَوَكَّلَتْ فَعَزَمَتْ ؛ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ

الذين منهم من كان لخليفة نعم الخليفة ، ومنهم من لم يدرك أحد في تسويد النفس
الحصيفة ولا في تبيض الصحيفة مدّه ولا تصيفه ؛ ومنهم من بسرّه الله لتجهيز
جيش العسرة فعرف الله ورسوله معروفه ، ومنهم من عمل صالحاً أَرْضَى رَبَّهُ وأصْلَحَ
فِي دُرَيْتِهِ الشريفه .

وبعد ، فإن من أَلْطَافِ الله تعالى بعباده ، وأَكْتِنَافِ عَوَاطِفِهِ ببلاده ؛ أَنْ جعلنا
كُلَّما وهى لَئلك ركنٌ شديدٌ شيدنا رُكناً عَوْضَه ، وكلما أَعْتَرَضَتْ لِقاديرِ جملَةٍ بَدَلنا
آيَةً مكانَ آيَةٍ وتأسَّفتنا - تجلّدا - تلك الجملَةُ المَعْتَرِضَه ؛ فلم يُخَوِّجِ الْيَوْمَ لَأَمِسَه ، وإن
كان حميدا ، ولا الفارسَ لفرسه ، وإن كان ثمره يائِماً وظلُّه مديداً ؛ فاطلَعنا في أَفقِ
السلطنة كوكباً سعيداً كان لِحُسْنِ الاستخلاف مُعَدّاً ، وَمِنْ لَقِيْلِ المسلمين خَيْرُ نَوَابِ
وخَيْرُ مَرَدِّا ؛ ومن يَدشُرُ الله به من الأولياء المتقين وَيُنْذِرُ من الأعداء قوماً كُذِّا ، ولم
يَبْقَ [إلا] به أُنْشَأَ بعدَ ذَهَابِ الذين تَحْسَبُهم (كالسيف فردا) ؛ والذي ما مَضَى حَدّه
ضريبةُ [إلا] (قَدْ الْيَبُصُ والأبدانَ قَدْ) ؛ ولا جَهَّزَ رايةَ كَتِيبَةٍ إلا أَفْنَى غَناَ الداهيين
وَعَدَّ الأعداءَ عَدّاً ؛ ولا بَعَثَه جَزَعُ فقال : (كم من أُنْجِ لى صالح) إلا لَقِيَه رِعْ فقال :
(وَحُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا) ؛ وهو الذى بقواعد السلطنة أَدْرَى وبقوانينها الأَعْرَفُ ،
وعلى الرّوايا الأعْطَفُ وبالرّوايا الأَرَأَفُ ؛ وهو الذى ما قيل لِبِناؤِ مُلكٍ هذا عَلَيْهِ قَدْ
وهى [إلا] وقيل هذا بِناءٌ مثله منه أَسْمَى مُلْكٌ أَشْرَفُ . والذي ما بَرِحَ النُصْرَتِ تَنَسَّمُ
من مَهَابِّ تَأْمِيلِهِ الفَلَّاحُ ، وَيَتَبَسَّمُ ثَمْرُهُ فَتَتَوَسَّمُ الثغورُ من مَبْسَمِهِ النَّجَاحُ ؛ وَيُقَسِّمُ
نُورَهُ على البسيطة فلا مَضَرَّ من الأمصارِ إلا وهو يَشْرِبُ إلى مُلاحَظَةِ جِبِينِ عَهْدِهِ
الوَضاحُ ، وَيَتَفَقَّ أَشْتَقَاقُ الثُّغُورِ فيقول التَّسَلَّى لِلتَّمَلَّى : مَوْءُ الصَّالِحِ وَالصَّلَاحُ ؛
والذى ما بَرِحَ لِشِعارِ السلطنةِ إلى تَوَقُّلِهِ وَتَوَقُّلِهِ أُمِّ حَيِّينَ ، وَكُلَّما كُوْشِفَتِ الإمامةُ
العباسيةُ بِشَرَفِ مَجاهِدِها فَيَما تَقَدَّمَ من زَمَنِ سَلَفٍ وَمِنْ حَيِّينَ ؛ فَسَمَّتْ وَوَسَمَتْ بِأَسْمِهِ

أكابر الملوك وأخيار السلاطين، فحُوطِبَ كُلُّ مَنْهُمْ بِحَاجَاتِهِ الْحَقِيقَةِ «بِخَلِيلٍ»
 أمير المؤمنين؛ والذي [كَمْ] جَلَّاهُ بِهَيْبَتِهِ مِنْ بَيْتِهِمْ، وَكَمْ غَدَا الْمُلْكُ بِحُسْنِ رُؤَايِهِ
 وَيُمْنِ آرَائِهِ يَسِيمُ، وَكَمْ أَبْرَأَ مَوْرَدُهُ الْعَذْبَ هَيْمَ عَطَائِهِ وَلَا يُنْكَرُ الْخَلِيلُ إِذَا قِيلَ عَنْهُ
 أِبْرَاهِيمُ؛ وَمَنْ تَشَخَّصَ الْأَبْصَارُ لِكَلَامِهِ يَوْمَ رُكُوبِهِ حَسِيرِهِ، وَتَلَقَّى الْبَنَانُ سِلَاحَهَا ذَهَلًا
 وَهِيَ لَا تَدْرِي لِكثَرَةِ الْإِيمَاءِ إِلَى جَلَالِهِ إِذَا يَبْدُو مَسِيرِهِ؛ وَالَّذِي أَلْهِمَ اللَّهُ الْأُمَّةَ لِحُجُودِهِ
 وَوُجُودِهِ صَبْرًا جَمِيلًا، وَأَتَاهُمْ مِنْ نَقَامَةِ كَرَمِهِ وَحِرَاسَةِ مَنَافِعِهِ تَأْمِينًا وَتَأْمِيلًا؛
 وَعَظَّمَ فِي الْقُلُوبِ وَالْعُيُونِ بِمَا مِنْ رُؤْيَاهُ سَيِّكُونُ فَسَمَّيْتُهُ الْأَبُوَّةَ الشَّرِيفَةَ وَلَدَا وَسَمَّاهُ اللَّهُ
 «خَلِيلًا» .

وَلَمَّا تَحْتَمَّ مِنْ تَفْوِيزِ أَمْرِ الْمُلْكِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَوْفَتِهِ الْمَعْلُومُ قَدْ تَأَنَّرَ، وَتَحَيَّنَ
 حِينَهُ فَجَعَلَ زِيَادَةَ كَرِيادَةِ الْهَلَالِ حَتَّى بَادَرَ تَمَامَهُ فَأَبْدَرَ؛ أَقْتَضَى حُسْنَ الْمُنَاسِبَةِ
 لِنَصَائِحِ الْجُمْهُورِ، وَالْمُرَاقِبَةِ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ؛ وَالْمُصَاقِبَةِ لِمَنَاجِحِ الْبِلَادِ وَالثُّغُورِ، وَالْمُقَارَبَةِ
 مِنْ قَوَائِمِ كُلِّ أَمْرٍ مَيَّسُورٍ؛ أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ وِلَايَةَ الْمَهْدِ الشَّرِيفِ بِالسُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ
 الْمَعْظَمَةِ، الْمَكْرَمَةِ الْمَفْخَمَةِ الْمُنْظَمَةِ؛ وَأَنْ يَسْطُرَ يَدَهُ الْمُنِيفَةَ لِمَصَالِحِهَا بِالْمُؤَيَّدِ،
 وَتَحْكُمُهَا فِي الْعَسَاكِرِ وَالْجُنُودِ، وَفِي الْبُحُورِ وَالثُّغُورِ وَفِي التَّهَائِمِ وَالتَّجُودِ؛ وَأَنْ يُمَتَّقَ
 بِسَطْلِهَا وَقَلْبِهَا كُلَّ قَطْعٍ وَوَصْلٍ، وَكُلَّ فِرْعٍ وَأَصْلٍ، وَكُلَّ نَصْرٍ وَنَصْلٍ، وَكُلَّ مَا يَنْبَغِي
 سَرَحًا، وَيَهْتَمُّ مَتْنًا، وَفِي الْمُشِيرَاتِ فِي الْإِعْدَاءِ عَلَى الْأَعْدَاءِ تَقْمًا وَفِي الْمُخِيرَاتِ
 صُنْبًا؛ وَفِي الْمَتْنِ وَالْإِطْلَاقِ، وَفِي الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ؛ وَفِي الْخَمِيسِ إِذَا سَاقَ،
 وَفِي السُّيُوفِ إِذَا بَلَّغَتْ التَّرَاقِيَّ وَقِيلَ مَنْ رَاقَ، وَفِي الرِّمَاحِ إِذَا أَثَقَّتِ السَّاقُ
 بِالسَّاقِ؛ وَفِي الْمُعَاهَدَاتِ وَالْمُتَدَنِّ، وَفِي الْفِدَاءِ بِمَا عَرَّضَ مِنْ عَرَضٍ وَبِالْبَدْنِ
 بِالْبَدْنِ؛ وَفِيهَا ظَهَرَ مِنْ أُمُورِ الْمُلْكِ وَمَا بَطَّنَ، وَفِي جَمِيعِ مَا تَسْتَدْرِيهِ بِوَاعْتِهِ، فِي السَّرِّ
 وَالْعَلَنِ، وَتَسْتَرِيهِ نَوَافِئُهُ، مَنْ كَبِتَ وَكُتِبَ مُتَفَوِّقِينَ أَوْ فِي قَرْنٍ؛ عَهْدًا مَبَارَكًا حُودَهُ

وتماثله ، وفوائحه وخواتمه ، ومناسمه ومياسمه ، وشروطه ولوازمه ؛ وعلى عاتق
الملك الأعزّ نجاده وفي يد جبار السموات قائمه ؛ لا راد لحكمه ولا ناقص لبرمه ،
ولا داحض لما أثبتته الأقاليم من مكثون عليه .

[و] يزيده مرّ الليالي حدة * وتقادّم الأيام حسن شباب

وتلزم السنون والأحقاب ؛ استبداعه للذرائع والأعقاب ؛ فلا سلطان ذو قدر
وقدرة ، ولا ذو أمر وأمره ؛ ولا نائب في مملكة قربت أو بعدت ، ولا مقدّم
جيوش أتهمت أو أنجحت ، ولا راج ولا رعية ، ولا ذو حكم في الأمور الشرعية ؛
ولا قلم إنشاء ولا قلم حساب ، ولا ذوو أنساب ولا ذوو أسباب ؛ إلا وكلّ داخل
في قبول هذا العقد المليمون ، وتمسك بحكم كتابه المكنون ، والتسليم لنصه الذى شهد
به من الملائكة الكرام الكاتبين ؛ وأمست بيعته بالرضوان عفوفا ، والأعداء
يدعونها تضرّعا وخيفة ، ولشكروا الصنيع الذى بعد أن كانت الخلفاء تسلطن الملوك
قد صار سلطانهم يقيم من ولاة العهد خليفة بعد خليفه .

وأما الوصايا فانت يا ولدا الملك الأشرف - أعزك الله - بها الدرب ، ولسامع
شئوها وخذوها الطرب ، الذى للقول يضطرب ؛ فعليك بتقوى الله عز وجل
فإنها ملاك سدّادك ، وهلاك أضدادك ؛ وبها يراش جناح نجاحك ، ويحسن اقتداء
أقتداحك ؛ فاجعلها دفين جوانج تأمليك ووعيك ، ونصب عني أمرك ونهيك ؛
والشرع الشريف فهو قانون الحق المتبع ، ومأمون الأمر المستمع ؛ وعليه مدار
إعلاء كل إعزاز ، وبه يتمسك من أضرار وأمان ، وهو جنة الباطل نار : ﴿ فَنَزَّجَ عَنْ
النَّارِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ قَوْمًا ۝ فَلَا تَخْرُجُ فِي كُلِّ حَالٍ عَنْ لَوَازِمِهِ وَشُرُوطِهِ ،
وَلَا تَتَكَبَّرَ عَنْ مَعْلَقِهِ وَمَنُوطِهِ . والعدل فهو مُمَرَّغُ رُوسِ الْأُمُوالِ ، وَمَعْمَرُ بِيوتِ

الرجاء والرجال، وبه تزكو الأعمال والأعمال؛ فاجعله جامع أطراف مراسمك، وأفضل أيام مواسمك؛ وبسم به فعلك، وبسم به فرضك وتقلك، ولا تفرد به فلانا دون فلان، ولا مكانا دون مكان، وأقرنه بالفضل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. وأحسن التحويل، وأجمل التنويل؛ وكثر لمن حولك التوين والتحويل، وضاعف الحير في كل مضاف لمقامك، ومستضيف بإنعامك؛ حتى لاتسد في كل مكان وكل زمان ضيافة الخليل؛ والثغور فهي للمالك مباسمها، وللسالك مناسمها؛ فاجعل نواحيها تفر عن حسن ثنایا الصون، ومراسمها شبة الشفاء بحسن العون؛ ومنها، بما يجي السرح منها، وأنها، بما يدفع المكاره عنها؛ فإنها للنصر مقاعد، وبها حفظ البلاد من كل مار من الأعداء ما رد؛ وأمرأء الجيوش فهم السور الواقي بين يدي كل سور، وما منهم إلا كل بطل بالنصر مشهور، كما سيفه مشهور؛ وهم ذخائر الملوك، وجواهر السلوك، وأخاير الأكابر الذين خلصوا من الشكوك؛ وما منهم إلا من له خدمات سلفت، وحقوق عرفت، وموات على استلزام الرعاية للمهود وقفت؛ فكن جنودهم متحبا، ولرأبهم تحسبا، ولصالحهم مرتبا، ولأرائهم مستصوبا، ولاعتضادهم مستصوبا، وفي حتم مطنيا، وفي شكرهم منسبا؛ والأولياء المنصورون الذين هم كالأولاد، ولهم سوايق أمت من سوايق الإيحاد؛ وهم من علمت استكانة من قربنا، ومكانة من قلبنا؛ وهم المساهمون فيما ناب، وما برحوا للدولة الطفر والناب؛ فانهم لكل منهم من أحترامك نصيبا، وأدم لهم آرتياحك، وألن جماحك، وقوم سلاحك، تجد منهم ضروبا، وترى شكلا منهم في أعدائك ضروبا.

وكما أنا نوصيك بجيوش الإسلام، كذا نوصيك بالجيوش الذي له الجوار المنشآت في البحر كالأعلام؛ فهو جيش الأمواه والأمواج، المضاف إلى الأنواج من جيش

الفجاج ؛ وهو الجيش السلياني في إمراع السير ، وما مُنِيت شَوَانِيهِ غِرْبَانَا
إلا ليجتمع بها لنا ما اجتمع لسليان صلى الله عليه وسلم من تسخير الريح والطير ؛
وهي من الديار المصرية على شِجِّ البحر الأسوار ، فإن قُدِّتْ قَدِّتْ الرعب في قلوب
الاعداء وإن أُلِّتْ قَلَّتْ منهم الآثار ؛ فلا تُحْلِه من تجهيز جيشه ، وسكن طيش
البحر بطيشه ؛ فيصبح لك جيشان كل منهما ذو كَرٍّ وقَرٍّ : هذا في برٍّ وبحرٍ وهذا بحرٍ
برٍّ ؛ وبيوت العبادات فهي التي إلى مصلى سَمِيكَ « خليل » الله تنهى محاريبها ،
وبها لنا ولك وللساميين مَرَى الدَّعَوَات وتلويبها ؛ فوقها نصيبها المفروض غير منقوص ،
ومرُ برفعها وذكر اسم الله تعالى [فيها] للأمر المنصوص ؛ وأخواتها من بيوت
الأموال الواجبات الواجبات ، من حيث إنها كلها بيوتُ الله عز وجل : هذه
للصلاة وهذه للصَّلات ؛ وهذه كهذه في رَفَعِ النَّارِ وجمع المَبَار ، وإذا كانت تلك
مما اذِنَ الله أن تُرْفَع ويذكر فيها اسمه فهذه تُرْفَع ويذكر فيها اسمه حتى على الدرهم
والدينار ؛ فأصيرف إليها اجتهدك فيما يعود بالثَّمِير ، كما يعود على تلك بالتَّوْبَر ؛ وعلى
هذه بإشْحَانِهَا بأنواع الصُّرُوف ، كإشْحَانِ تلك باستواء الصُّقُوف ، فإنها إذا أصبحت
مَصُونَةً ، أجملت بحمد الله المعونة ؛ وكفلت بالمشونة وبالزيادة على المشونة ، فتشكل
هذه لكل وليّ دُنْيَاه كما جلت تلك [لكل] وليّ دينه ؛ وحدود الله فلا يتعداها أحد ،
ولا يراuf فيها ولدٌ بوالد ولا والد بولد ؛ فاقفها وقم في أمرها حتى تشبِط أتم الضبط ،
ولا تحصل يد الفتك مغلولة إلى عنقها ولا تبسطها كل البسط ؛ فلكل من الجنائيات
والقصاص شرط شرطه الله وحدٌ حده فلا يتجاوز أحد ذلك الحدة ولا يخرج عن

(١) لعل الصواب بشعنا من شين الثلاث يقال شمه يشمه ملاء ، وأما الرابعي فعناه الاغناد يقال

سيوف مشعة أى مفصلة وأخضع الرجل اشحانا تيبا البكاء وهو غير مناسب هنا تأمل .

(١) ذلك الشرط ؛ والجهاد فهو الدِّين المألوف من حيث نشأ نشأ ونشأتك
 وفي ظهور الخيل ، فَمِلْ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ الْمَيْلِ ؛ وَصَبِّحْهُمْ مِنْ فَتَكَاتِكَ بِالْوَيْلِ بَعْدَ
 الْوَيْلِ ، وَأَرْزِهِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ قَدْ تَمَّ مِنْ يَدِهِ عَنِ السَّاعِدِ وَمِنْ رُحْمِهِ عَنِ السَّاقِ وَمِنْ
 جَوَادِهِ الدَّيْلِ ؛ وَأَذْهَبْ لَهُمْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ مَلْهُبٌ ، وَأَنْزِلْ يُجُومَ الْخِرْصَانِ كُلِّ عَيٍّْ
 وَغَيْبٍ ؛ وَتَكَثَّرْ فِي غَزْوِهِمْ مِنَ اللَّيْلِ بِكُلِّ أَدَمٍ وَمِنْ الشَّقِّ بِكُلِّ أَحْمَرٍ وَأَشْقَرٍ
 وَمِنْ الْأَصِيلِ بِكُلِّ أَصْفَرٍ وَمِنْ الصَّبِيحِ بِكُلِّ أَشْهَبٍ ، وَأَسْتَنْتِبْ أَعْمَارَهُمْ وَأَجْعَلْهَا
 آخِرَ مَا يُسَلَّبُ وَأَوَّلَ مَا يُنْتَبِ ؛ وَزُجُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَبَأَ لَكَ مِنَ الْفُتُوحَاتِ
 مَا يَسْتَعِجُزُهَا لَكَ صَادِقٌ وَعِدَةٍ ، وَأَنْ يَنْصُرَكَ جُيُوشُ الْإِسْلَامِ ، فِي كُلِّ أَنْجَادٍ
 وَإِتْهَامٍ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ؛ وَبَلِّتِ اللَّهُ الْمَجْجُوجُ مِنْ كُلِّ لَجٍّ ، الْمَقْصُودُ مِنْ
 كُلِّ نَهْجٍ ؛ فَسِرَّ سَبِيلَهُ ، وَوَسَّعْ [لَهُ] الْخَيْرَ وَأَحْسِنْ تَسْبِيلَهُ ؛ وَأَوْصِلْ مِنْ رِكَ لِكُلِّ
 مِنَ الْحَرَمَيْنِ مَأْهُولَةً ، تُصْبِحُ رُبُوعُهُ بِذَلِكَ مَأْهُولَةً ؛ وَأَحْمِهِ مَنْ يُرِيدُ فِيهِ بِالْخَالِدِ بَطْلُمُ ،
 وَطَهْرُهُ مِنْ مَكْسٍ وَغَرَمٍ : لِيُعَوِّدَ فَعْلَكَ عَلَى الْبَادِي وَالْعَاكِفِ ، وَيُصْبِحَ وَادِيهِ
 وَنَادِيهِ مِسْتَفْنَيْنِ بِذَلِكَ عَنِ السَّجَابِ الْوَائِكِ ؛ وَالرَّعَايَا فَهَمٌ لِلْعَسَدِ زُرُوعُ ،
 وَالْإِسْتِثَارُ فُرُوعُ ، وَلَا سُلْزَامَ الْعِمَارَةِ شُرُوعُ ؛ فَتَى جَادَهُمْ غَيْثٌ أَعْجَبَ الزُّرَّاعَ نَبَاتُهُمْ ،
 وَتَمَّتْ بِالصَّلَاحِ أَقْوَانُهُمْ ، وَصَالَحَتْ بِالنَّمَاءِ أَوْقَاتُهُمْ ؛ وَكَثُرَتْ لِلْجُنُودِ مَسْتَقْلَاتُهُمْ ،
 وَتَوَفَّرَتْ زَكَاةُهَا وَتَنَوَّرَتْ مِشْكَاتُهُمْ ؛ وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ .

هذا عهدنا للسيد الأجل ، الملك ، الأشرف ، صلاح الدنيا والدين ، نغفر الملوكة
 والسلاطين ، خليل أمير المؤمنين ، أعز الله تعالى ببقائه الدين ؛ فليكن بعروته
 متمسكا ، وبفتحته متمسكا ؛ وليتقلد سيف هذا التقليد ، ويفتح مفتاح كل فتح منه

(١) يابض في الأصل بقدر كلمة صغيرة .

(٢) الشرى بفتح الشين وكسرها مع شد الميم فهما الماضي في الأمور المحرّبة انظر اللسان ج ٦ ص ٩٦ .

بغير إقليد؛ وما نحن قد كثرنا لديه جواهره فلو أنه ما يشاء تحليته من تنويع مفرق
وتحتمل أنامل وتسوير زبد وتطويق جيد، ففى كل ذلك تبجيل وتمجيد؛ والله تعالى
يُجعل استخلافه هذا للتقين إماما، وللدّين قواما، وللجاهدين أعنصاما، وللمتدين
أنفصاما؛ ويُطفي بيماء مُسبّوفه نار كل خطب حتى يُصبح كما أصبحت نار سميّه
صلّى الله عليه وسلم برّدا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى .



وعلى ذلك كتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، عن المنصور «قلاوون»
المتقدم ذكره، عهدَ ولده الملك الصالح «علاء الدين على» وهذه نسخته :

الحمد لله الذى شَرَّفَ سرير الملك منه بعلية، وحاطه منه بوصية، وعصّد منصوره
بولاية عهد صالحه وأسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديّه، وأهّج خير الآباء
من خير الأبناء بن شموأبيه منه بشريف الخلق وأبيه، وغدّى روضه بتابعة وسميه
وبساعة وليّه .

نحمده على نعمه التى جمعت إلى الزهر الثمر، وداركت بالبحر وباركت فى النهر؛
وأجملت المبتدأ وأحسنّت الخبر، وجمعت فى لذادة الأوقات وطيبها بين روق
الاصال وريقة البكر. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نلّيس الألسنة
منها فى كل ساعة [ثوبا] جديدا، وتنقيّا منها ظلّا مديدا، ونستقرب من الآمال
ما يراه سوانا بعيدا. ونصلّى على سيدنا محمد الذى طهر الله به هذه الأمة من الأدناس،
وجعلها بهدايته زاكية الفراس؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم
حُسن استخلافه بالأمر له بالصلاة بالناس، ومنهم من بنى الله به قواعد الدّين
وجعلها موطنة الإساس، ومنهم من جهّز جيش العسرة وواسى بماله حين الضراء

وَأَبَاسَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”لَأُعْطِينَ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ“ فَحَسَنَ الْإِلْتِمَاسُ بِذَلِكَ وَالْإِقْتِبَاسُ ، وَزَادَ فِي شَرَفِهِ بِأَن طَهَّرَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الْأَرْجَاسَ ، صَلَاحَةً لَا تَزَالُ تَرْتَدُّ تَرْتَدُّ الْأَنْفَاسَ ، وَلَا تَبْرَحُ فِي الْآثَاءِ حَسَنَةُ الْإِبَاسِ .

وبعد ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ شَرَّفَتْ مَرَاتِبُ السُّلْطَانَةِ بِمُحْلُولِهِ ، وَقُوَّتْ مَلَابِسُ التَّحْكِيمِ بِقَبُولِهِ ؛ وَمَنْ تَزَيَّحَ مُطَالِيعُ الْمُلْكِ بِإِشْرَاقِهِ ، وَتَبَادَرُ الْمَمَالِكِ مُدْعِنَةً لِاسْتِحْقَاقِهِ ؛ وَمَنْ يَزِدَّهِ مُلْكٌ مَنْصُورُهُ - نصره الله - بَوْلَدِهِ وَوَلَى عَهْدِهِ مِكَنَةً بَانِيهِ ، وَمَنْ يَتَشَرَّفُ بِإِيْوَانٍ عَظَمِيٍّ : لِأَن ظَابِ وَالِدُهُ فِي مَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ صَدْرُهُ وَإِنْ حَضَرَ فَهُوَ ثَانِيهِ ؛ وَمَنْ تَجَعَّلَ غَايَةُ الْإِبَالَةِ مِنْهُ بِغَيْرِ شِبْلٍ كَفَلَ لَيْثًا ، وَيَتَكَفَّلُ غَوْتُ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ وَابِلٍ خَلَفَ غَيْثًا ؛ وَمَنْ أَلْهِمَ الْأَخْلَاقَ الْمُلُوكِيَّةَ وَأَوْقَى حُكْمَهَا صَبِيًّا ، وَمَنْ خَصَّصَتْهُ الْأَدِيبَةُ الشَّرِيفَةُ بِصَالِحِهَا وَلَمْ يَكُنْ بِدُطَائِئِهَا شَقِيًّا ، وَمَنْ رُبِّمَتْ بِهِ هَضْبَةُ الْمُلْكِ حَتَّى أَمْسَى مَكَانَهَا عَلِيًّا ؛ وَمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِأَن يُنْجَبَ الْأَمَلُ وَيُفْجَحَ ، وَأَوْلَى بِأَن يُتَلَّى لَهُ : ﴿ أَخْلَقْنِي فِي قَوِيٍّ وَأَصْلِحْ ﴾ . وَمَنْ هُوَ بِكُلِّ خَيْرٍ مَلِيٍّ ، وَمَنْ إِذَا قُوِّضَتْ إِلَيْهِ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَشْرَفَ مِنْ لَأُمُورِهِمْ بَلِيٍّ ؛ وَمَنْ يَتَحَقَّقُ مِنَ وَالِدِهِ الْمَاضِي الْغِرَارَ ، وَمَنْ أَسَمِيَ الْعَالِي الْمَنَارَ ، أَنْ لَا يَسِيفَ إِلَّا دُوَّ الْفَقَارِ وَلَا قَتَى إِلَّا عَلِيًّا .

وَلَمَّا كَانَ الْمَقَامُ الْعَالِي ، الْوَلَدِيُّ ، السُّلْطَانِيُّ ، الْمُلْكِيُّ ، الصَّالِحِيُّ ، الْعَلَانِيُّ - عَصِدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ ، وَجَمَعَ إِذْنَانِ كُلِّ مُؤْمِنٍ عَلَى إِحْبَابِ طَاعَتِهِ لِمُبَاشَرَةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى يُصْبِحَ وَهُوَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ - هُوَ الْمَرْجُو لِتَنْدِيرِ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَالْمَامُولَ لِصَلَاحِ الْبِلَادِ وَالثَّنُورِ ، وَالْمَدْنَرُ فِي النَّصْرِ لِشِفَاءِ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَالَّذِي تَشْهَدُ الْفِرَاسَةُ لِأَبْيِهِ وَلَهُ بِالتَّحْكَمِ : أَوْ لَيْسَ الْحَاكِمُ أَبُو عَلِيٍّ هُوَ الْمَنْصُورُ ؟ . فَلِذَلِكَ أَقْتَضَتْ الرَّحْمَةُ ،

والشفقة على الأمة ؛ أن ينصب لهم ولي عهد يتسكنون من الفضل بعروة كرمه ،
ويسعون بعد الطواف بكعبة أبيه لحرمه ؛ ويقتطعون أزاهر العدل ويمار الجود
من كلبه وقلمه ، وتستسعد الأمة منه بالملك الصالح الذى تقسم الأنوار لجبينه وتقسم
المبار من كراماته وكرمه .

فلذلك نرجح الأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، السيفى -
أخذه الله القدر ، ولا زالت الممالك تتباهى منه ومن ولي عهده بالشمس والقمر -
أن يفوض إليه ولاية العهد وكفالة السلطنة المعظمة ؛ ولاية تامة عاقبة شاملة
كاملة ؛ شريفة منيفه ، عطوفة رءوفه ؛ فى سائر أقاليم الممالك وعساكرها وجنودها ،
وعربها وزركانها وأكرادها وقواها وولاتها ، وأكابرها وأصاغرها ورعاياها ورعاتها ،
وحكامها وقضاها ، وسارحها وسائحها ؛ بالديار المصرية وتغورها وأقاليمها
وبلايها ؛ وما آتوت عليه . والمملكة المجازية ، وما آتوت عليه ، ومملكة النوبة ،
وما آتوت عليه ، والفُتُوحات الصفدية والفُتُوحات الإسلامية الساحلية وما آتوت
عليه . والممالك الشامية وحُصُونها ، وقلاعها ومُنُتُها ؛ وأقاليمها وبلايها ، والمملكة
الحِصْنِيَّة ، والمملكة الحِصْنِيَّة الأكرادية والجليلية وفُتُوحاتها ، والمملكة الحلبية وفُتُوحها
وبلايها ، وما آتوت عليه ، والمملكة الفُراتِيَّة ، وما آتوت عليه ؛ وسائر القلاع
الإسلامية بَرًّا وبحرًا ، وسَهْلاً وعِراء ، شامًا ومصرًا ، يَمَّا وحِجازًا ، شرقًا وغربًا ،
بُعْدًا وقُرْبًا . وأن تلقى إليه مقاليد الأمور فى هذه الممالك الشريفة ، وأن تستخلفه
سلطنة والده - خلد الله دولته - لتُشَاهِد الأمة منه فى وقت واحد سلطانًا وخليفه ؛
ولاية واستخلاقًا تُسَنِّدُهما الرِّوَاه ، وتُزَيِّنُهما الحُدَاه ، وتُعِيْمُهما الأَسْمَاعُ وتنطِقُ بهما
الأقْوَاه ؛ تفويضًا يعلن لكافة الأمم ، ولكل رب سيف وقلم ، ولكل ذى علم وعلم ؛
بما قاله صلى الله عليه وسلم لسميه رضى الله عنه حين أولاه من الفخار ما أولاه :

”مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَقَلْبِي مَوْلَاهُ“. فلا مَلِكٌ إقْلِمٌ إلَّا وهذا الخطابُ يَصِلُهُ وَيُوصِلُهُ ، ولا زعيمٌ جيشٍ إلَّا وهذا التفويضُ يَسَعُهُ وَيُسَمِّلُهُ ؛ ولا إقْلِمٌ إلَّا وكلُّ مَنْ به يُقْبَلُهُ وَيَقْبَلُهُ ، ويمثَلُ بين يديه ويمثَلُهُ ، ولا مِنبرٌ إلَّا وخطيبُهُ يتلو قرآنَ هذا التقديمِ ويرتَلُهُ .

وأما الوصايا فقد لَقْنَا وَلَدَنَا وَوَلَّى عَهْدَنَا مَا أَنْطَلَعَ فِي صِفَاءِ ذَهْنِهِ ، وَسَرَتْ تَفْذِيتُهُ فِي تَمَاءِ غَضَبِهِ ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ لَوَائِحَ لِلتَّبَرُّكِ بِهَا فِي هَذَا التَّقْلِيدِ الشَّرِيفِ تَنْبِيْهِ ، وَجَوَامِعَ سِرِّهَا (١) ؟) حَيْثُ يَصْبِرُ ، وَوَدَائِعَ مُنْبَتِّكَ عَنْهَا وَلَدُنَا - أَعَزَّنَا اللَّهُ بِبَقَائِهِ - وَلَا يَنْبَتُّكَ مِثْلُ خَيْرٍ : فَاتَّقِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَأَنْصِرِ الشَّرْعَ فَإِنَّكَ إِذَا نَصَرْتَهُ يَنْصُرْكَ اللَّهُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ وَعِدَاكَ ؛ وَأَقْضِ بِالْعَدْلِ مَخَاطِبًا وَمَكَاتِبًا حَتَّى يَسْتَبِقَ إِلَى الْإِعْزَازِ بِهِ لِسَانُكَ وَيُمْنُكَ ، وَأَمُرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ عَالِمًا أَنَّهُ لَيْسَ يُمَاحَلَبُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ سِوَانَا وَسِوَاكَ ، وَأَنَّهُ نَفْسُكَ عَنِ الْهَوَى حَتَّى لَا يَرَاكَ اللَّهُ حَيْثُ نَهَاكَ ؛ وَخُطِّ الرِّعْيَةِ ، وَمُرِ الثَّوَابَ بِمَجْلِهِمْ عَلَى الْقَضَايَا الشَّرْعِيَّةِ ؛ وَأَقِمِ الْحُدُودَ ، وَجَنِّدِ الْجُنُودَ ، وَأَبْعَثْهَا بَرًّا وَبَحْرًا مِنَ الْغَزْوِ إِلَى كُلِّ مَقَامٍ مُجُودٍ ؛ وَأَحْفَظِ الثَّفُورَ ، وَلَا حِظَّ الْأُمُورَ ، وَازْدَقْ بِالِاسْتِشَادِ بَارَأْنَا نُورًا عَلَى نُورٍ ؛ وَأَمْرَاءَ الْإِسْلَامِ الْأَكَابِرَ وَزُجَمَاءَهُ ، فَهَمَّ بِالْجِهَادِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعِبَادَةِ أَصْفِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ ؛ فَضَاعِفَ لَهُمُ الْحُرْمَةَ وَالْإِحْسَانَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَصْطَفَانَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِلَّا فَالْقَوْمُ إِخْوَانٌ ؛ لِاسْمِيَا أَوْلُو السُّنْحَى النَّاجِحِ ، وَازْأَى الرَّاجِحِ ، وَمَنْ إِذَا تَخَوُّوا بِنِسْبَةِ صَالِحِيَّةٍ قِيلَ لَهُمْ : نِعَمَ السَّلَفُ الصَّالِحُ ؛ فَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَجَاوَزَهُمْ فِي مَهْمَاتِ الْأُمُورِ فِي كُلِّ سِرٍّ وَجَهْرٍ ؛ وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَكْبَارِ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ تَحَايَا

(١) كذا في الأصول ولعله تمزج بعبودها حيث تسير . تأمل .

الدول، وذخائر الملوك الأول؛ أجرهم في هذا المجزئ، وأشرح لهم بالإحسان صدرا؛ وجيوش الإسلام هم البنان والبنيان، قوال إليهم الامتنان، وأجعل محبتك في قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المزي، وطاعتك في عقائهم قد شغفها حباً؛ ليصبحوا بحسن نظرك إليهم طوعاً، وليحصل كل جيش منهم من التقرب إليك بالناسحة نومة، والبلاد وأهلها فهم عندك الوديعه، فأجعل أوامرك [لهم] بصيرة وسميعه .

وأما غير ذلك من الوصايا، فستحملك منها بما ينشأ معك نومة، ونلقنك من آياتها محكمات فمحكمات، والله تعالى يمتي هلاكك حتى يوصله إلى درجة الإبدار، ويندئ غضبك حتى نراه قد أبتغ باحسن الأزهار وأبتغ الثمار؛ ويرزقك سعادة سلطاننا الذي نعت بعتته تبركا، ويؤهلك الاعتضاد بشيعته، والاستئنان بسنته، حتى تصبح كتمسكنا بذلك متمسكا، ويعمل الرعية بك في أمن وأمان حتى لا تخشى سؤوا ولا تخاف دركا، والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه إن شاء الله تعالى .

الوجه السادس

(فما يكتب في مستند عهد ولي العهد بالسلطنة، وما يكتبه السلطان

في بيت العلامة، وما يكتب في ذيل العهد)

أما ما يكتب في مستند العهد وما يكتبه السلطان في بيت العلامة، فكفيه من سائر الالابات من التقاليد وغيرها : وهو أنه يكتب في المستند «حسب المرسوم الشريف» كما يكتب في المكاتبات التي هي بتلق كاتب السر على ما تقدم ذكره في باب . ويكتب السلطان في بيت العلامة اسمه وأسم أبيه .

وأما ما يكتب في ذيل العهد وشهادة الشهود على السلطان بالعهد ، فمثل أن يكتب : « شهدت على مولانا السلطان الملك الفلاني العاهد المشار إليه فيه خلد الله ملكه ، أو خلد الله سلطانه » وما أشبه ذلك من الدعاء « بما تُسبب إليه فيه من العهد بالسلطنة الشريفة إلى ولده المقام الشريف العالي السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، وعلى المعهود إليه - أعز الله أنصاره - بقبول العهد المذكور ، وكتب فلان بن فلان » .

الوجه السابع

(في قطع ورق هذا العهد وقلمه الذي يكتب به ، وكيفية كتابته ، وصورة وضعه في الورق)

أما قطع ورقه فمقتضى إطلاق المقتر الشهابي بن فضل الله في « التعريف » أن للعهد قطع البغدادى الكامل أنه يكتب في البغدادى أيضا . قلت : وهو المناسب لعظمة السلطنة ، وبما خا^(١) قدرها . إذ الملك إلى وإلى العهد آمل ، وللدخول تحت أمره صائر ، خصوصا إذا كان المعهود إليه ولدا أو أخا . وحينئذ فيكتب مختصر قلم الطومار لمناسبته له ، على ما تقدم في غير موضع .

وأما كيفية كتابته وصورة وضعها في الورق ، فهو أن يخل من أعلى الدرج قدر اصبع بياضا . ثم يكتب في وسطه بقلم دقيق ماصوره « الأسم الشريف » كما يكتب في التقاليد وغيرها على ماسياتى . ثم يتدنى بكتابة الطرة بالقلم الذى يكتب به العهد من أول عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطرة . ثم يترك ستة أوصال بياضا من غير كتابة غير الوصل الذى فيه الطرة . ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بحيث تلحق أعلى ألفاته بالوصل الذى فوقه ، بهامش عن

(١) لعل العوالم وشيوخ قدرها فإن لم تقف على هذا المصدر فما بين يدينا من كتب اللغة فيحد .

يمين الورق قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة . ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول العهد ملاصقا لها . ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر كما في عهد الملوك عن الخلفاء . ثم يكتب السطر الثاني تحت بيت العلامة على سمت السطر الذي تحت البسملة ، ويستترى في كتابة هيئة العهد إلى آخره ؛ ويعمل بين كل سطرين قدر ربع ذراع بذراع القماش . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند ، ثم التمللة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ما تقدم في القوائم وانقوآت . ثم يكتب شهود العهد بعد ذلك .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلا له بالطرة التي أنشأتها لذلك ، وبالعهد الذي أنشأه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر عن المنصور « قلاوون » بالعهد بالسلطنة لولده الملك الصالح « علاء الدين علي » وهي :

هذا عهد شريف جليل قدره ، رفيع ذكره ، على فخره ، متبجح صبحه صوي
بفخره ؛ من السلطان الأعظم الملك الظاهر ، ركن الدنيا والدين « بيبرس » خلد الله
تعالى سلطانه ، ونصر جيوشه وأعوانه ، بالسلطنة الشريفة لولده المقام العالي
السلطاني ، الملكي ، السعدي ، بلغه الله تعالى فيه غاية الآمال ، وحقق فيه للرحمة
ما يرجونه من مزيد الإفضال :
على ما شرح فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

هاش الحمد لله الذي شرف سرير الملك منه بعليه ، وساحطه

منه بوصيه ، وعضد منصوره بولاية عهد صالحه ، وأسمى حاتم جوده

هاش بمكارم حازها بسبق عديّه ، وأبهج خير الآباء من خير الأبناء بمن سمو أبيه

منه بشريف الخلق وأبيه ، وعذى روضه بمتابعة وشيمه ، وبمسارعة وليّه .

نحمده على نعمه التي جمعت إلى الزهر الثمر إلى أن يأتي إلى قوله : ولا يخاف

دركا والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

النوع الرابع

(من العهود عهود الملوك بالسُّلْطَنَةِ لِلْمُلُوكِ الْمُتَفَرِّدِينَ بِصِغَارِ الْبُلْدَانِ)
ويتعلّق النظرُ به بن أربعة أوجه :

الوجه الأول

(في بيان أصل ذلك وأوّل حدوثه في هذه المملكة إلى حين زواله عنها)

قد تقدّم في المكتبات ، في الكلام على مكتبة صاحب حماة أنّ ذلك مما كان في الدولة الأيوبية ، ثم في الدولة التُركِيَّة في الأيام المنصورية « قلاوون » والأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » ثم بطل ذلك . وذلك أنّ السلطان صلاح الدين « يوسف بن أيوب » حين استولى على البلاد الشامية مع الديار المصرية بعد موت السلطان نور الدين « محمود بن زنكي » صاحب الشام ، قرّق أقاليمه في ولاية الممالك الشامية : كدمشق وحلب وحماة وحمص وغيرها واستمرت .

وكان السلطان صلاح الدين قد ولي حماة لابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، فبقيت بيده حتى توفّي سنة سبع وثمانين وخمسمائة . فوليها بعده ابنه المنصور ناصر الدين محمد وبقي بها حتى توفّي سنة سبع عشرة وستمائة . فوليها ابنه الناصر قليج أرسلان فبقي بها إلى أن أقرعها منه أخوه المظفر في سنة ست وعشرين وستمائة ، وأقام بها إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة . فوليها ابنه المنصور محمد ، فبقي بها إلى أن غلب هولاكو ملك التتار على الشام وقتل من به من بقايا الملوك الأيوبية ، فهرب المنصور إلى مصر وأقام بها إلى أن سار المظفر قطز صاحب مصر إلى الشام ، وأقرعه من يد التتار ، وصار الشام مضافاً إلى مملكة الديار المصرية ،

فَرَدَ الْمَنْصُورُ إِلَى حِمَاةٍ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِينَ . فَوُلِيَ
 الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ أَبْنَةَ الْمُظْفَرَ شَادِي مَكَانَهُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَهْدًا عَنْهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِينَ ، فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ « مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ » فِي سُلْطَنَتِهِ
 الثَّانِيَةِ بَعْدَ « لَاحِقِينَ » . فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ قَرَأْسُفَرُ أَحَدَ أَمْرَأَتِهِ نَائِبًا ، فَلَمَّا آسَتُوهُ
 غَازَا نَ مَلِكُ التَّتَارِ عَلَى الشَّامِ ، كَانَ الْعَادِلُ كُتِبْنَا بَعْدَ خُلْعِهِ مِنْ سُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ
 نَائِبًا بِصَرْخَدَ ، فَاطْهَرَ فِي قِتَالِ التَّتَارِ قُوَّةً وَجَلَادَةً ، فَوَلَّاهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ حِمَاةً ، وَحَضَرَ
 هَزِيمَةَ التَّتَارِ مَعَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَرَجَعَ إِلَى حِمَاةٍ فَمَاتَ بِهَا .
 فَوُلِيَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مَكَانَهُ سَيْفُ الدِّينِ قَبِيحُ نَائِبًا ، ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ
 أَسْتَدَ مَرْكَزِي نِيَابَةَ حِمَاةٍ مَكَانَهُ . وَلَمَّا رَجَعَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْكَرْكِ نَقَلَ
 أَسْتَدَ مَرْكَزِي مِنْ حِمَاةٍ إِلَى حَلَبَ ، وَوُلِيَ الْمُؤَيَّدُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَفْضَلِ
 عَلَى بْنِ الْمُظْفَرَ عَمْرًا ، مَكَانَهُ بِحِمَاةٍ سَنَةَ سِتٍّ عَشْرَةَ وَسَبْعِينَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقْدِيمِهِ مِنْ
 الْمُلُوكِ الْأَيُّوبِيَّةِ ، فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ . فَوُلِيَ الْمَلِكُ
 النَّاصِرُ أَبْنَةَ الْأَفْضَلِ مُحَمَّدًا مَكَانَهُ ، فَبَقِيَ بِهَا حَتَّى مَاتَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ
 إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِينَ ، وَآسَتَفَرَ فِي السُّلْطَنَةِ بَعْدَهُ أَبْنَةُ الْمَنْصُورِ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَامَ
 بِتَنْدِيرِ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرُ قُوصُونَ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَحْدَثَ عَزَلَ الْأَفْضَلَ بْنَ الْمُؤَيَّدِ عَنْ
 حِمَاةٍ ، وَوُلِيَ مَكَانَهُ بِهَا الْأَمِيرُ قُطْرُ نَائِبًا . وَصَارَ الْأَفْضَلُ إِلَى دِمَشْقَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى
 تُوُفِيَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِينَ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ وَلِيَهَا مِنْ بَنِي أَيُّوبَ .

وقد ذكر المقرئ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" أَنَّ سُلْطَانَهَا كَانَ
 يَسْتَقْبَلُ بِاعْطَاءِ الْإِمْرَةِ وَالْإِقْطَاعَاتِ ، وَتَوَلَّى الْقَضَاةَ وَالْأَوْزَارَ وَكُلَّ السَّرِّ وَكُلَّ
 الْوُظَائِفِ ؛ وَكُتِبَ الْمُنَاشِيرُ وَالْوُاقِعُ مِنْ جِهَتِهِ . وَلَكِنَّهُ لَا يُمِيزُ أَمْرًا كَبِيرًا فِي مِثْلِ

إعطاء امرأة أو إعطاء وظيفة كبيرة حتى يُساور صاحب مصر، وهو لا يُجيبه إلا أن
الرأى ما يراه . ومن هذا ومثله . قال : وإن كان مسلطاً حاكماً ومليكاً متصرفاً:
فصاحب مصر هو المتصرف في تولية وعزل، مَنْ أراد ولّاه وَمَنْ أراد عزّله . .

قلت : وكان للملكة بذلك زيادةُ أبهةً وجمال : لكون صاحبها تحت يد [هـ] من هو
متصرف باسم السلطنة، يتصرف فيه بالولاية والعزل . على أن هذا القسم لم يتعرض
له المقرّ التقوى بنُ ناظر الجليش في "التقييف" لخلق الملكة الآن عن مثله ؛ وإنما
أشار إليه المقرّ الشهابي بنُ فضل الله رحمه الله في "التعريف" حيث قال :
وأما ما يُكتب للوك عن الملوك، مثل ولّاه اليهود والمُتفردين بصغار البلدان فإنه
لأنستفتح عهدهم إلا بالخطب . وذلك أن حماة كانت في زمنه بأيدي بني أيوب
على ما هُتّم ذكره، ولذلك قال في "مسالك الأبصار" : وما في حدود هذه الملكة
من له اسم سلطان حاكم ومليك متصرف صاحب حماة .

الوجه الثاني

(في بيان ما يُكتب في العهد؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب في الطرة، وهو تلخيص ما يشتمل عليه العهد)

وهذه نسخة عهد كتب بها المقرّ الشهابي بن فضل الله عن الملك الناصر
«محمد بن قلاوون» للوك الأفضل «محمد ابن المؤيد عماد الدين إسماعيل» بسلطنة
حماة أيضاً، في رابع صفر سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة . وهو آخر من ملكها من بني
أيوب، وهي :

الحمد لله الذي أقر بنا الملك في أهله أهله ، وتدارك مصاب ملك لولا ولده
الأفضل لم يكن له شبيه في فضله ، وهب بنا بيت السلطنة من أبى البقيا ما يفتح
به كل فرع بأصله ، ويظهر به رونق السيف في فصله .

نحمده على ما فاض بمواهبنا من النعم للفرار ، وأدخل في طاعتنا الشريفة من
ملوك الأقطار ، وزاد عطايانا فاضحت وهي ممالك وأقاليم وأمصار ، ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أفلح من مات من ملوك الإسلام عليها ،
وحوض بها في الجهاد على الشهادة حتى وصل إليها ، ومد يده لمبايعتنا على إعلانها
فساقت الثريا بسط يديها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شرف من تسنى
بأنبيائه أومت بالقرى إلى تسببه ، وصرف في الأرض من تمسك من رعاية الأمة
بسببه ، وأكرم به كريم كل قوم وجعل كلمة الفخار كلمة باقية في عقبه ، صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه مانح الحمام لحزنه ثم غنى من طربه ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإننا - والله الحمد - ممن تحفظ بإحساننا كل وديعه ، وتقبل لمن أقبل
من الملوك على سؤال صدقاتنا الشريفة كل ذريعه ، وتكفل لمن مات وهو على
ولائنا بما لوراه في ولده لسره ما جرى ، وعلم أن هذا الذي كان ينبغي أن يعيش
حتى يتصر هذا اليوم ويرى ، وكان السلطان الملك المؤيد عماد الدين - قدس الله
روحه - هو بقية بيته الشريف ، وآخر من حل من ملوكهم في ذروة عزه المنيف ؛
ولم يزل في طاعتنا الشريفة على ما كان من الحسنى عليه ، ومن المحاسن التي لقي الله
بها ونود إيمانه يسعى بين يديه ؛ فوهبنا له من المملكة الحموية المحروسة ما كان قد
طال عليه سالف الأمد ، ورسمنا له بها عطية باقية للوالد والولد ؛ فلما قارب آهضاء
أجله ، وأشرف على ما قدمه إلى الله وإلينا من صالح عمله ؛ لم يسغله ما به عن مطالعة

أبوينا الشريفة والتذكّار بولده ، وتقاضى صدقاتنا العميمة بما كان ينتظره قره المنير
لفرقده ؛ ووردَ من جهة ولده المقام الشريف ، العالى ، الولدى ، السلطانى ،
الملكى ، الأفضلى ، الناصرى - أعزّ الله أنصاره - ما أزعج القلوب بمصابه فى أبيه ،
وأجرى العيون على من لا تقع له على شبيهه ؛ فوجدنا من الحزن عليه ما أبكى كل سيف
دما ، وأن كل رُخ يقرع سنه ندما ؛ وتأسفنا على ملك كاد يكون من الملائك ، وأخ
كريم أو أعزّ من ذلك ، وسلطان عظيم طالما ظهر شنب بوارقه فى ثغور الممالك ؛
وقدنا من الحزن فى مشاركة أهله بالمنتوب ، ثم قلنا : لكم فى ولده العوض ولا يُنكر
لكم الصبر يا آل أيوب .

فاقتضت صراستنا المطاعة أن نُرقِّيه إلى مقامنا العالى ، ونَعِدَ له من الوية الملك
ما تهرَّب به أطراف العوالى ؛ وُزِّجَ به من شعار السلطنة بما تتجمل به مواكبُه ، وتمتدَّ به
حصانيه ، ويميس من السُجْب وتمتدَّ رقابها بالرقبة السلطانية جانيه ؛ تنزيهاً لحواطركم
الكريمة علينا عن قول ليت ، وتنوياً بقدر بيتكم الذى رفع لكم لإسماعيل به قواعد
البيت : لما نعلمه من المقام العالى الملكى الأفضلى الناصرى - أمتع الله ببقائه -
من المناقب التى استحقَّ بها أن يكون له عليكم الملك ، والعزائم التى قلَّدها من الممالك
ما تجوُّل به الحياذ وتجوى به الفلك ؛ مع ماله من الكرم الذى هو أوفى من العهاد
بهمه ، والفضل الذى أتصل به ميراث الأفضلية عن جدّه ، والجود الذى جرى
البحر معه فاحمزت من انجمل صَفحة حنّه ، والوصف الذى لم يرض بالحوزاء
واسطة لعنقه ، والعدل الذى أشبه فيه أباه فما ظلم ، والعلم الذى ما خلا به أباه من
طلب : إنا لهدى وإما لكم ؛ ولم يخرج من كفالة والده إلّا إلى كفالتنا التى أظنته
بسُجْبها ، وحلّت سماء مملكته بسُجْبها ؛ وخاطبتناه كما تُكّا تخاطب والده - رحمه الله -
بالمقام الشريف ، وأجريناه فى ألقابه تجرى الولد زيادة له فى التشريف ، وصرفنا

أمره في كل ما كان للملوك أهله فيه تصرف؛ وسنشدّه إلى أوضح طريقه، ويقوم مقام أبيه أوليس «الناصر» هو أبو الفضل حقيقه؛ ورسمنا بطلبه إلى [ما بين أيدينا] الشريفة لنجدد له من نظرنا الشريف ما يتضاعف به سُعوده، ويزداد صُعوده، ويتمثل في هذا البيت الشاهنشاهي أبناءه وآبائهم وجدودهم؛ لتعمل معه صدقاتنا الشريفة ما هو به جدير، وترفعه إلى أعزّ مكان من صهوة المنبر والسريّر، وتكاثره كل سلطان وما هو إلا بحفل يسير؛ لتُشدّ به أركان هذا البيت الكريم، وتحيا عظامه وهي في الخلود عظم رميم، وتعرف الناس أن عنايتنا الشريفة بهم تزيد على ما عهدوه بلحمهم القديم من سمين الملك الناصر القديم.

فخرجت المراسيم الشريفة، العالية، الملووية، السلطانية، الملكية، الناصرية : لا زالت الملوك تتقلد منها في أعناقها، ولا برحت الممالك من بعض مواهبها وإطلاقها؛ أن يُقلد هذا السلطان الملك الأفضل - أدام الله نصره - من المملكة المحموية وبلاذها، وأمراتها وأجنادها، وعربها وتركمانها وأكرادها، وقضاياها وقضائها، ورعاياها ورعاتها؛ وأهل حواضرها وبواديها، وعمرانها وبراريها - جميع ما كان والدّه - رحمه الله - يتقلده، وبسيفه وقلمه يُجرّده ويحرّده : من كل قليل وكثير، وجليل وحفير، وفي كل ما مورده وأمير؛ يتصرف في ذلك جميعه، ويُقطع إقطاعها بمناشيره ويؤلّ وظائفها بتواقيعه؛ وينظر فيها وفي أهلها بما يعلم أنه لو لم فيه صلاحا، ويُقيم من هيئة سلطانه ما يُغنيه أن يُعمل أسنة ويحرّد صفاحا .

وليحتم فيها وفيمن هو فيها بعد له، ويجمع قلوب أهلها على ولائه كما كانوا عليه لأبيه من قبله؛ وليكن هو وجنوده وعساكره أقرب في النهوض إلى مصالح الإسلام من رجع نفسه، وأمضى في العزائم مما يشبهه (٩) بها من سيفه وقبسه .

وأما بَقِيَّةُ مَا يُعْنَى مِنَ الْوَصَايَا، أَوْ يُدَلُّ عَلَيْهِ مِنْ كَرَمِ السَّجَايَا، فَهُوَ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى -
 غَرِيْبَةٌ فِي طَبَاعِهِ، مَمْتَرِجٌ بِهِ مِنْ زَمَانِ رَضَاعِهِ؛ وَإِنَّمَا نُدْكِرُهُ بِيَعِضِ مَا بِهِ يُتَبَرَّكُ،
 وَنُحْفِضُهُ عَلَى اتِّبَاعِ أَبِيهِ فَإِنَّمَا الْغَايَةُ الَّتِي لَا تُدْرَكُ؛ وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ أَهْمُ مَا يَسْتَقِلُّ
 بِهِ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ، وَتَقْوَى اللَّهِ فَمَا يَنْتَصِرُ الْمَلِكُ إِلَّا بِتَقَاتِهِ؛ وَالْفِكْرَةُ فِي مَصَالِحِ الْبِلَادِ
 وَالرَّيَايَا فَإِنَّمَا مَادَّةُ نَفَقَاتِهِ، وَاسْتِكْثَارُ الْجُنُودِ فَإِنَّهُمْ حِصْنُهُ الْمُنِيعُ فِي مُلَاقَاتِهِ، وَمُبَادَرَةُ
 كُلِّ مَهْمٍ فِي أَوَّلِ مِيقَاتِهِ، وَوَلَايَاتُ الْأَعْمَالِ لَا يَتَعَمَّدُ فِيهَا إِلَّا عَلَى تَقَاتِهِ، وَإِقَامَةُ
 الْحُدُودِ حَتَّى لَا يَنْصِبَ فِي تَرْكِهَا إِلَى رَفِيِّ رَقَاتِهِ؛ وَرِعَايَةُ مَنْ لَهُ عَلَى سَلَفِهِ خِدْمَةٌ
 سَابِقَةٌ، وَاسْتِجْلَابُ الْأَذْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لَنَا وَلَهُ فَإِنَّمَا لِلْسَّهَامِ مَسَابِقُهُ؛ وَتُخْمِصُ فِي الْأُمُورِ
 عِزُّهُ فَإِنَّهُ مُتَرْبٌّ، وَيَسْطُرُ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ فَإِنَّهُ بِهِمَا إِلَيْنَا يَتَّقُوبُ؛ وَلْيَأْخُذْ
 بِقُلُوبِ الرِّعَايَا فَإِنَّمَا نَنْقَلِبُ، وَلْيُكْرِمِ وَفَادَةَ الْوُفُودِ لِيَقِفَ بِهِمْ - لِنُجَاحِ مَقَاصِدِهِمْ -
 عَلَى بَابِ صَحِيحٍ مَجْزُوبٍ؛ وَلْيُجْتَهِدْ فِي الْجِهَادِ، وَيَتَقَيَّظْ وَالسَّيْفُ مَكْتَبِلُ الْخَفْنِ
 بِالرَّقَادِ؛ وَبِهِمْ فَإِنَّ الْحَمْمَ الْعَالِيَةَ تُقَوِّمُ بِهَا عَوَالِي الصُّعَادِ، وَيُقَوِّمُ الْبَرِيدَ فَإِنْ فِي تَقْوِيمِهِ
 بَقَاءُ الْمُلْكِ وَعِمَارَةُ الْبِلَادِ؛ وَلْيَقِفْ عِنْدَ مَرَايِمِنَا الشَّرِيفَةِ لَتَهْدِيَهُ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ،
 وَيُخَسِّنَ سُلُوكَهُ لِيَطْرَبَ بِذِكْرِهِ كُلُّ أَحَدٍ وَيَتَرْتَمَ كُلُّ حَادٍ؛ وَغَيْرَ هَذَا مِنْ كُلِّ مَا عَهَدْنَا
 وَاللَّهِ - سَقَى اللَّهُ عَهْدَهُ - لَهُ سَالِكًا، وَلَا زِمَةَ أُمُورِهِ الْجَمِيلَةِ مَالِكًا؛ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ -
 مِمَّا تَعْرِفُهُ مِنْ سِيرَتِهِ الْمُتَنَلِّ - إِلَى شَرْحِهِ، وَلَا يُدَلُّ نَهَارُهُ السَّاطِعُ عَلَى صَبَاحَةِ صُبْحِهِ؛
 وَلْيُشِيرْ بِمَا جُعِلَ لَهُ مِنْ فَضْلِنَا الْعَمِيمِ، وَيَتَمَسَّكْ بِوَعْدِنَا الشَّرِيفِ أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ
 لَهُ وَلَا بَنَانَهُ وَأَبْنَاءَ أَبْنَائِهِ مَا وَجَدَ كُفًّا مِنْ تَسَنُّهِمِ الصَّمِيمِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِيتُكَ
 - أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ - بِأَفْضَلِ مَزِيدِهِ، وَيَحْفَظُ بِكَ مَا أَبْقَاهُ لَكَ أَبُوكَ «الْمَوْيِدُّ»
 مِنْ تَأْيِيدِهِ؛ وَالْإِعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الوجه الثالث

(فيما يُكْتَبُ في المُسْتَنَد عن السلطان في هذا العهد ، وما يكتبه

السلطانُ في بيت العَلَامَةِ)

والْحُكْمُ في ذَلِكَ على مَا مرَّ في عهودِ أولياء العهد بالسلطنة : وهو أن يكتب في مُسْتَنَد العهد « حَسَبَ المرسوم الشريف » كما في غيره من الولايات ، ويكتب السلطان في بيت العلامة آسمه من غير زيادة .

قلت : ولا يُكْتَبُ فيه شهادة على السلطان كما يُكْتَبُ في عهودِ أولياء العهد بالسلطنة : لأن العهد بالسلطنة العظمى شبه بالبيعة ، والشهادة فيها مطلوبة للخروج من الخلاف ، على ما تقدم في موضعه . والعهد بولاية سلطنة بعض الأقاليم شبه بالتقليد ، والشهادة في التقاليد غير مطلوبة ، وذلك أن السلطنة لا تنتهي إلى ولي العهد إلا بعد موت العاهد ، وربما يحد بعض الناس العهد إليه ، وولاية بعض البلدان إنما تكون والسلطان المولى متصب فلا يؤثر الجهود فيها .

الوجه الرابع

(في قَطْع ورق هذا العهد وقلبه الذي يُكْتَبُ به ، وكيفية

الكتابة ، وصورة وضعها في الورق)

أما قطع الورق فقتضى عموم قول المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " :
إن للعهود قطع البغدادى الكامل أنه يكتب في قطع البغدادى أيضا .

قلت : والذي يقتضيه القياس أن تكون كتابته في الورق البغدادي لمعنى السلطنة ، ولكن في قطع دون القطع الكامل : لتقصان رتبة هذه السلطنة عن السلطنة العظمى ، ألا ترى مكتبة صاحب مملكة إيران كانت في زمن القان «أبي سعيد» تكتب في قطع البغدادي الكامل كما ذكره في «التعريف» وغيره ، ومكتبة صاحب مملكة بيت بركة المعروفة بمملكة أذربك من مملكة توران تكتب له في قطع البغدادي بنقص أربعة أصابع مطبوعة كما ذكره في «التحقيق» لاحتطاط رتبته عن رتبة القان أبي سعيد ، على ما تقدم ذكره في المكتبات .

وأما قلمه الذي يكتب به ، فيبني إن كتب في قطع البغدادي الكامل أن يكون مختصر قلم الطومار كما في غيره من السهود التي تكتب في القطع الكامل . وإن كتب في دون الكامل ، فيبني أن يكون القلم دون ذلك بقليل .

وأما صورة وضعه في الورق ، فعلى ما مر في عهد أولياء العهد بالسلطنة من غير فرق : وهو أن يكتب في رأس الدرج بقلم دقيق الاسم الشريف ، ثم يتدنى بكتابة الطرة في عرض الورق من غير هامش سطورا متلاصقة إلى آخر الطرة ، ثم يخلى ستة أوصال بياضا ، ثم يكتب البسملة في أول الوصل الثامن بهامش قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة ، ثم يكتب سطرا من أول العهد ملاصقا للبسملة ، ثم يخلى بيت العلامة قدر شبر على ما تقدم ، ويكتب السطر الثاني على ثمت السطر الذي تحت البسملة ، ثم يسترسل في كتابة بقية العهد إلى آخره ، ويكون بين كل سطرين قدر رُبع ذراع على قاعبة اليهود . فإذا انتهى إلى آخر العهد كتب «إن شاء الله تعالى» ثم التاريخ ، ثم المستند ، ثم الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسبة . وتكون كتابته من غير ققط ولا شكل كسائر المهود .

قلت : ولو وُضِعَ ما بينَ سطوره وتُقطعت حروفه وشُكِلَتْ : لما فيه من معنى التكاليد ، لكان به أليق .

وهذه صورة وضعه في الورق ، ممثلة لها بالطرز التي أنشأتها في معنى ذلك ،
والعهد الذي أنشأه المَقَرَّ الشَّهابيُّ بنُ فضل الله للملك الأفضل «محمد» بن الملك المؤيد
«عماد الدين إسماعيل» آخر ملوك بني أيوب بها ، وهي :^(١)

هذا عهد شريف عُدَّت موارده ، وحَسُنَتْ بحسن النية فيه مقاصده ،
وعاد على البرية باليمن عائده . من السلطان الأعظم ناصر الدنيا والدين الملك الناصر
أبي الفتح محمد ابن السلطان الشهيد «قلاوون» خلد الله تعالى ملكه ، وجعل
الأرض بأسرها ملكه - للقام الشريف العالي السلطاني ، الملكي ، الأفضل ،
محمد ابن المقام العالي المؤيد إسماعيل أعز الله تعالى أنصاره ، وأحمد آثاره ،
بالسلطنة الشريفة بحماة المحروسة وأعمالها ، على أكل العوائد وأتمها ، وأجمل القواعد
وأعمها ، على ما شرح فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أقر بنا الملك في أهله أهله ، وتدارك مصاب ملك لولا

ولده الأفضل لم يكن له شبيه في فضله ، ووجب بنا بيت السلطنة

(١) أي بحماة ولم يتقدم لها ذكر فتنبه .

هامش من أبقى البقاء ما يلحق به كل فرع بأصله ، ويظهر به رونق السيف

في نصله . إلى أن يأتي إلى قوله في آخره : والله تعالى يمدك أيها الملك

الأفضل بأفضل مزيده ، ويحفظك ما أبقاه لك أبوك المؤيد من

تأييده ، والاعتماد على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه

إن شاء الله تعالى

كتب في

سنة

حسب المرسوم الشريف

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الرابع

من المقالة الخامسة

(في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب من أصحاب
السيف والاقلام، وفيه [ثلاثة]^(١) فصول)

الفصل الأول

(فيما كان يُكتب من ذلك عن الخلفاء، وفيه خمسة أطراف)

الطرف الأول

(فيما كان يُكتب عن الخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم)

وكان الرسم في ذلك أن يفتح العهد بلفظ : « هذا ما عهد » أو « هذا عهد
من فلان لفلان » ويؤتى على المقصد إلى آخره . ويقال فيه : « أمره بكذا
وأمره بكذا » .

والأصل في ذلك ما كتب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأمرائه الذين
وجههم لقتال أهل الردة، وعليه بنى من بعده . وهذه نسخته :

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لفلان حين بعثه
[فيمن بعثه] لقتال من رجع عن الإسلام . عهد إليه أن يتقى الله ما استطاع
في أمره : كله سره وجهره . وأمره بالحد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه ورجع
عن الإسلام إلى أمانى الشيطان، بعد أن يُعذر إليهم : فيدعواهم بدعاية الإسلام :

(١) يفاض في الأصل والتصحيح من ج ١ ص ٢٥ من هذا المطبع .

فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقرؤا له؛ ثم ينهتهم بالذى عليهم والذى لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذى لهم؛ لا يظنظروهم ولا يرد المسالين عن قتال عدوهم؛ فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له، قيل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله؛ فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسرى به. ومن لم يجب إلى داعية الله قتل وقول حيث كان وحيث بلغ مرآغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام؛ فمن أجابه وأقر به قيل منه وعلمه؛ ومن أبى قاتله؛ فإن أظهره الله عز وجل عليه، قتل فيهم كل قتلة بالسلاح والليارات، ثم قسم مآفاه الله عليه إلا الخمس فإنه مبلغناه. وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وأن لا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويسلم ما هم؛ لئلا يكونوا عبونا، ولئلا يؤتى المسالون من قبلهم؛ وأن يقصد بالمسالين ويرقق بهم في السير والمنزل؛ ويتفقدتهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصى بالمسالين في حسن الصلحة ولين القول.



وهذه نسخة عهد كتب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لأبي موسى الأشعرى رضى الله عنه، حين ولّاه القضاء:

أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة؛ فافهم إذا أتى إليك، وأنفذ إذا تين لك؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نافذ له. أس بين الناس في وجهك وعدلك وجميلك حتى لا يطمع شريف في خيفك، ولا يتأس ضعيف من عونك^(١). البينة على من أذع، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما

(١) في العقد الفريد (ج ١، ص ٣٣) "ولا يخاف ضعيف من جورك".

أَوْحَرَمَ حَلَالًا . لَا يَمْتَنَعُ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ بِالْأَمْسِ فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرَشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ : فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

الْفَهْمُ الْفَهْمَ فِيمَا تَلَجَّلَجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنةٍ ؛ ثُمَّ اعْرِفِ الْأَشْبَاهَ وَالْأَمْثَالَ ، وَقَسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنِظَائِهَا ، وَأَعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ^(١) وَأَشْبِهِهَا بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلْ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَايِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ : فَإِنَّ أَحْضَرَ بَيِّنَةً ، أَخَذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ الْقَضِيَّةَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ أَنْهَى لِلشَّكِّ ، وَأَجْلَى لِلْعَمَى . الْمَسَامُونُ عُذُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا يَجْلُودُوا فِي حَدٍّ ، أَوْ مَجْرَبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ ، أَوْ ظَنِيهَا فِي وِلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانِ . وَإِلَيْكَ وَالْفَلَقَ وَالضُّجُورَ ، وَالتَّأَذَّى بِالْخُصُومِ ، وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ : فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ يُعْظَمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ ، وَيُحْسِنُ عَلَيْهِ الذَّنْثَ وَالْجَزَاءَ . فَمَنْ صَحَّحَتْ يَتِيَّتُهُ وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَأْنُهُ اللَّهُ ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِثَوَابِ اللَّهِ فِي جَاحِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ، وَالسَّلَامَ .

قُلْتُ : هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ رَبِّهِ فِي « الْعِقْدِ » . وَيُقَعِّ فِي بَعْضِ الْمَصْنُفَاتِ أَبْتَدَأُوهُ : مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ - سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدُ .

وَوَقَعَ فِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ أَنَّ أَوَّلَهُ : أَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، مَعَ تَغْيِيرِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ وَتَقْدِيمِ بَعْضٍ وَتَأْخِيرِ بَعْضٍ .

الطرف الثاني

(فما كان يكتب عن خلفاء بني أمية)

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عن مروان بن محمد لبعض من ولّاه ^(١).

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين - عند ما أعتزم عليه من توجيهك إلى صدق الله الخلف الجاني الأعزائي، المتسكح في حيرة الجهالة، وظلم الفتنة، ومهاوى الهلكة . ورعايه الذين عاثوا في أرض الله فساداً، وآتوا حرمة الإسلام استخفافاً؛ وبدلوا نعمة الله كُفراً، واستحلوا [دماء أهل] ^(٢) سلمه جهلاً - أحب أن يهد إليك في لطائف أمورك ، وعوامّ شؤونك ، ودخائل أحوالك ، ومضطرب شتلك عهداً - يحملك فيه أدبه ، ويشرع لك به عظمته ، وإن كنت بحمد الله من دين الله وخلاته بحيث أصطنعتك الله لولاية المهدي مخلصاً لك بذلك دون محنتك وبني أبيك . ولولا ما أمر الله تعالى به ، دالاً عليه ، وتقدمت فيه الحكماء أميرين به : من تقديم العظة ، والتذكير لأهل المعرفة وإن كانوا أولى سابقة في الفضل وخصيصة العلم ، لاعتمد أمير المؤمنين على أصطناع الله إياك ، وتفضيله لك بما رآك أهله في محلك من أمير المؤمنين ، وسبقك إلى رغائب أخلاقه ، وأتراك مجود شيمه ، وأسديلاك على مشايه تديره . ولو كان المؤدبون أخذوا العلم من عند أنفسهم ، أو لفتوه الهاماً من تلقائهم ولم نصيبهم تعلموا شيئاً من غيرهم ، لنحلناهم علم الغيب ، ووضعتهم بمنزلة قصر بها عنهم خالقهم المستأثر بعلم الغيب عنهم بوحدايته في فردانيته وسابق لأهوتيته ، احتجاجاً منهم لتعقب في حكمه ، وثبّت في سلطانه وتنفيذ لإرادته ،

(١) المولى هو عبد الله بن مروان أرسله لقتال الفضل بن قيس الشيباني الخارجي .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأنكار" (ص ٢٣٠) وفيه وهي لازمة .

على سابق مشيئته . ولكن العالم الموفق للخير ، المخصوص بالفضل ، المحبوب بمزية العلم وصفوته ، أدركه معاناً عليه بلطف بخته ، وإذلال ككفته ، وصحة فهمه ، وهجر سأمته .

وقد تقدم أمير المؤمنين إليك ، آخذاً بالجنة عليك ، مودياً حق الله الواجب عليه في إرشادك وقضاء حَقِّك ، وما ينظر به الوالد المعنى الشفيق لولده . وأمير المؤمنين يرجو أن يُزَهِّقَ الله عن كل قبيح يَبْشُرُ له طمع ، وأن يعصمك من كل مكروه حاقٍ بأحد ، وأن يُحصِّنَكَ من كل آفة استولت على أمرئ في دين أو خلق ، وأن يُبَلِّغَهُ فيك أحسن ما لم يزل يعودُه ويريه من آثار نعمة الله عليك ، سامية بك إلى ذروة الشرف ، متبججة بك بسطة الكرم ، لائحة بك في أزهر معالي الأدب ، مורתك لك أنفس ذخائر العز ؛ والله يستغلف عليك أمير المؤمنين ويسأل حياطتك ، وأن يعصمك من زيف الهوى ، ويحضرك داعي التوفيق ، معاناً على الإرشاد فيه ، فإنه لا يمين على الخير ولا يوفق له إلا هو .

اعلم أن للحكمة مسالك تضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا ، وركب أخطارها قاصداً ، إلى سعة عاقبتها ، وأمن مَرَحِها ، وشرف عِزِّها ؛ وأنها لأشعار بسُخْفِ الخلق ، ولا تُنشأ بتفريط الغفلة ، ولا يُتعدى فيها بأمرئ حدّه ، وربما أظهرت بسطة النقي مستور العيب . وقد تلقّيتك أخلاق الحكمة من كلّ جهة بفضلها ، من غير تعب البحث في طلبها ، ولا متطاويل لمناولة ذروتها ؛ بل تأثّلت منها أكرم نَبَاتِها ، واستخلصت [منها] ^(١) أعتق جواهرها ؛ ثم سَمَوْتَ إلى لُبَابِ مُصَاصِها ، وأحرزت منقَسَ ذخائرها ، فأقمتَ ما أحرزت ، ونافس فيما أصبت .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَحْتَوَاكَ عَلَى ذَلِكَ وَسَبَقَكَ إِلَيْهِ بِإِخْلَاصِ تَقْوَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ
مُؤَثِّرًا لَهَا، وَإِخْفَارِ طَاعَتِهِ مُنْطَوِيًّا عَلَيْهَا، وَإِعْظَامِ مَا نَعِمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ شَاكِرًا لَهُ،
مُرْتَبِّطًا فِيهِ لِلزَّيْدِ بِحُسْنِ الْحَيَاةِ لَهُ وَالذَّبِّ عَنْهُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَكَ مِنْهُ سَامَةٌ مَلَالٍ،
أَوْ غَفْلَةٌ ضَيَاعٍ، أَوْ سِنَةٌ تَهَاوُنٍ، أَوْ جَهَالَةٌ مَعْرِفَةٍ: فَإِنَّ ذَلِكَ أَحَقُّ مَا يَدْرِي بِهِ وَنُظَرُ
فِيهِ، مَعْتَمِدًا عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ وَالْآلَةِ وَالْعُسَّةِ وَالْإِنْفِرَادِ بِهِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَاشَةِ .
فَتَمَسَّكَ بِهِ لِاجْتِنَاءِ إِلَيْهِ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ مُؤَثِّرًا لَهُ، وَاتَّجَبَى إِلَى كَنَفِهِ مَتَحَيِّزًا إِلَيْهِ: فَإِنَّهُ
أَبْلَغُ مَا طَلِبَ بِهِ رِضَا اللَّهِ، وَأَبْجَحُّ مَسْأَلَةٍ، وَأَجَزُّهُ قَوَابِ، وَأَعُوذُهُ نَفْعًا، وَأَعْمَسُهُ
صَلَاحًا، أَرَشَدَكَ اللَّهُ لِحَقِّكَ، وَفَهَّمَكَ سَدَادَهُ، وَأَخَذَ بِقَلْبِكَ إِلَى مُجُودِهِ . ثُمَّ أَجْعَلَ
لَهُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ يُنِيعُ عَلَيْكَ بِبُلُوغِهِ، وَيُظْهِرُ مِنْكَ السَّلَامَةَ فِي إِشْرَاقِهِ [مِنْ تَفْسُكِ]^(١)
نَصِيحًا تَجَمُّلُهُ لَهُ شُكْرًا عَلَى إِبْلَاغِهِ إِيَّاكَ بِوَمَلِكِ ذَلِكَ بِصِغَةِ جَوَارِحَ وَطَافِيَةِ بَدَنٍ، وَسُبُوغِ
نِعَمٍ، وَظُهُورِ كَرَامَةٍ . وَإِنْ تَقَرَّرَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - جُزْءًا تَرْتَدُّ رَأْيُكَ
فِي آيَةٍ، وَتُرْتَّلُ لِفُظِّكَ بِقِرَاءَتِهِ، وَتُخَضِّرُهُ عَقْلَكَ نَاضِرًا فِي مُحْكَمِهِ، وَلِتَفْهَمَهُ مَفْكَّرًا
فِي مُتَشَابِهِ: فَإِنَّ فِي الْقِرْعَانِ شِفَاءَ الصُّلُورِ مِنْ أَمْرَاضِهَا، وَجِلَاءَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
وَصَبَاحِصِهِ، وَضِيَاءَ مَعَالِمِ النُّورِ، تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .
ثُمَّ تَعَهَّدَ نَفْسَكَ بِجَاهِدَةِ هَوَاكَ: فَإِنَّهُ مِفْلَاقُ الْحَسَنَاتِ، وَمِفْتَاحُ السَّيِّئَاتِ،
وَحُصْنُ الْعَقْلِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَهْوَاكَ لَكَ حُلُوٌّ يُحَاوِلُ هَلَكَتِكَ، وَبَعْتَرِيضُ غَفْلَتِكَ: لِأَنَّهَا خُدَعُ
إِبْلِيسَ، وَخَوَاتِلُ مَكْرِهِ، وَمَصَابِدُ مَكِيدَتِهِ، فَاحْذَرُهَا مُجَانِبًا لَهَا، وَتَوَقَّهَا حَيْرَتًا مِنْهَا؛

(١) الزيادة من "مفتاح الأفكار" وغيره .

(٢) في مفتاح الأفكار (ص ٢٣٢) وغيره «درزين» وهي أنسب .

(٣) الصماص جمع مصصع وهو طائر أشهب يصيد الجنادب شبه وسوسة الشيطان به وفي بعض المؤلفات
وسفاصقه .

(١) وَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّهَا، وَجَاهِدْنَهَا إِذَا تَنَاصَرَتْ عَلَيْكَ بِعَزْمٍ صَادِقٍ لِأَوْنِيَّةٍ فِيهِ، وَحَزْمٍ نَافِذٍ لِمَثْنَوِيَّةٍ لِرَأْيِكَ بَعْدَ إِصْدَارِهِ، وَصِدْقٍ غَالِبٍ لِمَطْمَعٍ فِي تَكْنِيهِهِ، وَمَضَاءٍ صَارِمَةٍ لَا أَنَاةَ مَعَهَا، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ لِاخْلَاجَةِ شَيْءٍ فِيهَا : فَإِنَّ ذَلِكَ ظَهَرِيٌّ صِدْقِيٌّ لَكَ عَلَى رَدِّعِهَا عَنْكَ، وَقَعِيهَا دُونَ مَا تَنْطَلِعُ إِلَيْهِ مِنْكَ، فَهِيَ وَاقِيَةٌ لَكَ سُخْطَةَ رَبِّكَ، دَاعِيَةٌ إِلَيْكَ رِضَا الْعَامَةِ عَنْكَ، سَاتِرَةٌ عَلَيْكَ عَيْبَ مَنْ دُونَكَ، فَازْدَنْ بِهَا مَتَحَلِّيًّا، وَأَصِبْ بِأَخْلَاقِكَ مَوَاضِعَهَا الْحَمِيدَةَ مِنْهَا، وَتَوَقَّ عَلَيْهَا الْآفَةَ الَّتِي تَقْتَضِعُكَ عَنْ بُلُوغِهَا، وَتَقْصُرُ بِكَ دُونَ شَأُونِهَا : فَإِنَّ الْمُثْنَوِيَّةَ إِنَّمَا أَشْتَلَّتْ مُسْتَضْعِبَةً، وَفَدَحَتْ بِاهْظَةً أَهْلَ الطَّلَبِ لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْكَرَمِ الْمُتَحَمِّلِينَ سُبُوحَ الْقَدْرِ، بِجَهَالَةِ مَوَاضِعِ ذَمِّمِ الْأَخْلَاقِ وَمُجُودِهَا، حَتَّى قَرِطَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِمْ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْآفَاتُ مِنْ جِهَاتٍ أَمْنُونَهَا، فَتَسَبُّوا إِلَى التَّفْرِيطِ، وَرَضُوا بِذُلِّ الْمَنْزِلِ، فَاقَامُوا بِهِ جَاهِلِينَ بِمَوْضِعِ الْفَضْلِ، عَمِيهِنَ عَنْ دَرَجِ الشَّرَفِ، سَاقِطِينَ دُونَ مَنَزِلَةِ أَهْلِ الْجَمَّا . لِحَاوِلِ بُلُوغِ غَايَاتِهَا مُخَرِّجًا لَهَا بِسَبْقِ الطَّلَبِ إِلَى إصَابَةِ الْمَوْضِعِ، مَحْصِنًا أَعْمَالَكَ مِنَ الْعُجْبِ : فَإِنَّهُ رَأْسُ الْمَسْوِي، وَأَوَّلُ الْغَوَايَةِ، وَمَقَادُّ الْمَلَكَةِ، حَارِسًا أَخْلَاقَكَ مِنَ الْآفَاتِ الْمُتَّصِلَةِ بِمَسَاوِي الْأَلْقَابِ وَذَمِّمِ تَنَابُزَهَا، مِنْ حَيْثُ أَتَتْ الْغَفْلَةُ، وَأَنْتَشِرُ الضَّبَاعُ، وَدَخَلَ الْوَهْنُ . فَتَوَقَّ غُلُوبَ الْآفَاتِ عَلَى عَقْلِكَ، فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحَقِّ سَتُظْهِرُ بِأَمَادَاتِهَا تَصْدِيقَ آرَائِكَ عِنْدَ ذَوِي الْجَمَّا، وَحَالَ الرَّأْيِ وَفَحِصِ النَّظَرَ . فَاجْتَلِبْ لِنَفْسِكَ مَحْمُودَ الذِّكْرِ وَبَاقِي لِسَانِ الصَّبْرِ بِالْحَذَرِ لِمَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) من قولهم أفل ذلك بلاؤية أى بلاؤان .

(٢) هو من قولهم تأتى الأمر ترقق وتنظر . أى لائق معها .

(٣) فى بعض النسخات بمساوى العادات وذمى لثارتها .

(٤) أى غلبة الآفات ولم تقف على هذا المصدر فيها يأيدنا من كتب اللغة .

متحرّزا من دُخُول الآفَاتِ عليك من حيثُ أَمْنُكَ وَقِلَّةِ تَحَتُّكَ بِحُكْمِهَا : من ذلك
 أن تَمْلِكَ أُمُورَكَ بِالْقَصْدِ ، وتُدَارِيَ جُنْدَكَ بِالْإِحْسَانِ ، وتَصُونَ سِرَّكَ بِالْكَيْفَانِ ،
 وتُدَاوِيَ حَقْدَكَ بِالْإِنْصَافِ ، وتُدَلِّلَ نَفْسَكَ بِالْعَدْلِ ، وتُحَصِّنَ عُيُوبَكَ بِتَقْوِيمِ أَوْدِكَ ،
 وتمتّع عقلك من دُخُول الآفَاتِ عليه بالعُجْبِ المُرْدِي . وَأَنَّا تَك فَوْقَهَا الْمَلَالُ وَفَوَتْ
 الْعَمَلُ ، وَمَضَاءُ تَك فَنَدَرُهَا رَوِيَّةُ النَّظَرِ وَأَكْمُنُهَا بَأَنَاءُ الْحِلْمِ . وَخَلَوْتَكَ فَاحْرُسْهَا
 مِنَ الْفَقْلَةِ وَأَعْتَادِ الرَّاحَةَ ، وَصَحَّتِكَ فَانْفِ عَنْهُ عِيَّ اللَّفْظِ ، وَخَفِ سَوْءَ الْقَالَةِ ؛
 وَاسْتَبَاعَكَ فَأَرِمِهِ حُسْنَ التَّفَهُمِ ، وَقُوَّةَ بَيِّنَاتِ الْفِكْرِ ؛ وَعِطَاءَكَ فَأَمْهَدْ لَهُ بَيُوتَاتِ
 الشَّرَفِ وَدَوَى الْحَسَبِ ، وَتَحَرَّزْ فِيهِ مِنَ السَّرَفِ وَاسْتَطَالَةِ الْبَذْخِ وَأَسْتِنَانِ الصَّنِيعَةِ ؛
 وَحَيَاةَكَ فَأَمْنَعِهِ مِنَ التَّجَلُّلِ ، وَبِلَادَةِ الْحَصْرِ ؛ وَحِلْبَتَكَ فَزَعِهِ عَنِ التَّهَاوُنِ وَأَحْضِرْهُ
 قُوَّةَ الشَّيْكِمَةِ ؛ وَعُقُوبَتَكَ فَقَصِّرْهَا عَنِ الْإِنْفِرَاطِ ، وَتَعَمَّدْهَا أَهْلَ الْإِسْتِحْقَاقِ ؛
 وَعَفْوِكَ فَلَا تُدْخِلْهُ تَعْطِيلَ الْحَقُوقِ ، وَخُذْ بِهِ وَاجِبَ الْمَفْتَرَضِ ، وَأَقِمْ بِهِ أَوَدَ الدِّينِ ؛
 وَاسْتِنَاسَكَ فَأَمْنَعِ مِنْهُ الْبَدَاءَ وَسَوْءَ الْمُنَاقَنَةِ ^(١) . وَتَمَهَّدْكَ أُمُورَكَ لِحُدُثِ أَوْقَاتِهَا ، وَقَدَّرْهُ
 سَاعَاتِهَا ، لَا تَسْتَفْرِغْ قُوَّتَكَ ، وَلَا تَسْتَدْعِي سَأَمَتَكَ ؛ وَعَزِّزْ مَاتَكَ فَأَنْفِ عَنْهَا تَعْجَلَةَ
 الرَّأْيِ ، وَلِجَاجَةِ الْإِقْدَامِ ؛ وَفَرَحَاتِكَ فَأَشْكُهَا عَنِ الْبَطَرِ ، وَقَيِّدْهَا عَنِ الزُّهْوِ ؛
 وَرَوَعَاتِكَ لِحُطْطِهَا مِنْ دَهْشِ الرَّأْيِ ، وَاسْتِسْلَامِ الْخُضُوعِ ؛ وَحَذَرَاتِكَ فَأَمْنَعِهَا مِنْ
 الْجُبْنِ ، وَاعْمِدْ بِهَا الْحَزْمَ ؛ وَرَجَاعَكَ فَقَيِّدْهُ بِخَوْفِ الْفَائِتِ ، وَأَمْنَعِ مِنْ أَمْنِ الطَّلَبِ .

هذه جَوَامِيعُ خِلَالِ دَخَالِ النَقِصِ مِنْهَا وَاصِلٌ إِلَى الْعَقْلِ بِلَطَائِفِ أَيْتِهِ وَتَصَارِيفِ
 حَوِيلِهِ ، فَأَحْكُمُهَا عَارِفًا بِهَا ، وَتَقَدَّمْ فِي الْحِفْظِ لَهَا ، مَعْتَرِمًا عَلَى الْأَخْذِ بِمَرَاشِدِهَا
 وَالْإِتِّهَاءِ مِنْهَا إِلَى حَيْثُ بَلَغَتْ بِكَ عِظَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَذْبَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) يقال ناقث فلان فلانا بالكلام آذاه انظر القاموس مادة ن ق ث .

ثُمَّ لَتَكُنْ بِطَانَتِكَ وَجُلَسَاؤِكَ فِي خَلَوَاتِكَ ، وَدَخْلَاؤِكَ فِي سِرِّكَ ، أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْوَرَعِ
 مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَعَامَّةِ قَوَادِكَ مِنْ قَدْ حَكَمْتَهُ السَّنُّ بِتَصَارِيفِ الْأُمُورِ ،
 وَخَبَطْتَهُ فِصَالُهَا بَيْنَ فَرَاسِنِ الْبُزْلِ مِنْهَا ، وَقَلَبْتَهُ الْأُمُورَ فِي فُنُونِهَا ؛ وَرَكِبَ أَطْوَارَهَا :
 عَارِفًا بِمَحَاسِنِ الْأُمُورِ وَمَوَاضِعِ الرَّأْيِ وَعَيْنِ الْمَشُورَةِ ؛ مَأْمُونًا النَّصِيحَةِ ، مُنْطَوِيًا
 الضَّمِيرَ عَلَى الطَّاعَةِ . ثُمَّ أَحْضَرَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَقَارًا يَسْتَدْعِي لَكَ مِنْهُمْ الْهَيْبَةَ ،
 وَأَسْتِنَاسًا يَعْطِفُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ الْمَوَدَّةَ ، وَإِنْصَابًا يَفُلُّ إِفَاضَتَهُمْ لَكَ عِنْدَكَ بِمَا تَكُونُ أَنْ
 يُبَشِّرُكَ مِنْ مَخَافَةِ الرَّأْيِ وَضَيَاحِ الْحَزْمِ . وَلَا يَقْلِبَنَّ طَبِيعَ هَوَاكَ فَيَصْرِفَكَ عَنْ
 الرَّأْيِ ، وَيَقْطِعَكَ دُونَ الْفِكْرِ . وَتَعْلَمُ أَنَّكَ - وَإِنْ خَلَوْتَ بِسِرِّكَ لَقِيتَ دُونَهُ سُتُورَكَ ،
 وَأَغْلَقْتَ عَلَيْهِ أَبْوَابَكَ - فَذَلِكَ لِأَعْيَالَةٍ مَكْشُوفٍ لِلْعَامَةِ ، ظَاهِرٌ عَنكَ وَإِنْ أَسْتَرْتَ [ت]
 بَرِّبًا وَلَعَلَّ وَمَا أَرَى إِذَاعَةَ ذَلِكَ وَأَعْلَمُ ، بِمَا يَرَوْنَ مِنْ حَالَاتٍ مِنْ - يَقْطِعُ بِهِ
 فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ . فَتَقَسَّمْتَ فِي إِحْكَامِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَسَدَّدْتَ خَلْلَهُ عَنكَ : فَإِنَّهُ
 لَيْسَ أَحَدٌ أَسْرَعَ إِلَيْهِ سُوءُ الْقَالَةِ وَلَقَطُ الْعَامَةِ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ حَالِكَ
 وَمَكَانِكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ الْمُتَنْظَرِ فَيْكَ . وَلِإِيَّاكَ أَنْ
 يُغْمَزَ فَيْكَ أَحَدٌ مِنْ حَامَتِكَ وَبَطَانَةِ خَدَمَتِكَ بِضَعْفٍ يَجِدُ بِهَا مَسَاعًا إِلَى النُّطْقِ عِنْدَكَ
 بِمَا لَا يَعْتَرِلُكَ عَيْنُهُ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ لَائِمَتِهِ ، وَلَا تَأْمَنُ سُوءَ الْأُحْدُوثَةِ فِيهِ ، وَلَا يَرْخُصُ
 سُوءُ الْقَالَةِ بِهِ إِنْ نَجَّمَ ظَاهِرًا أَوْ عُيِّنَ بِإِدْيَا ، وَلَنْ يَحْتَرِثُوا عَلَى تِلْكَ عِنْدَكَ إِلَّا أَنْ يَرَوْا
 مِنْكَ إِصْفَاءً إِلَيْهَا ، وَقَبُولًا لَهَا ، وَتَرْخِيصًا لَهَا فِي الْإِفَاضَةِ بِهَا . ثُمَّ إِيَّاكَ وَأَنْ يُفَاضَ
 عِنْدَكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْفُكَاكِمَاتِ وَالْحِكَايَا ، وَالْمِزَاجِ وَالْمُضَاحِكِ الَّتِي يَسْتَخِفُّ بِهَا أَهْلُ
 الْإِطَالَةِ ، وَيَتَسَرَّعُ نَحْوَهَا ذَوُو الْجَهَالَةِ ؛ وَيَجِدُ فِيهَا أَهْلَ الْحَسَدِ مَقَالًا لَعِيبٍ يُذَيِّعُونَهُ ،

(١) هكذا في الأصل وفتح الألفا مع توقف والمراد أنه يحذر من نشره بهذه الألفاظ .

وطمنا في حقَّ يَحْصِدُونَهُ ؛ مع مافي ذلك من نقص الرأى، ودَرَن العِرْض، وهَدَم الشرف، وتأثيل الغفلة، وقُوَّة طِبَاعِ السُّوءِ الكامنة في بَنى آدَم كَكُونِ النَّارِ في الجَحْرِ الصَّلْد، فإذا قُدِحَ لَاحَ شَرُّهُ، وتَلَهَبَ وَمِیْضُهُ، وَقَدَّ تَضَرُّهُ . وليست في أحد أقوى سَطْوَةً، وأظْهَرَ تَوْقُداً، وأعلَى كُفُونا، وأسْرَعَ إِلَيْهِ بالغيب وتَطَرَّقَ الشَّيْنُ منها لَمَنْ كَانَ في مِثْلِ سِنِّكَ : من أغفال الرجال ودَوَى العُنُقُوان في الحَدائِث، الذين لم يقع عليهم سِمَاتُ الْأُمُور، ناطقاً عليهم لِأَيْحُهَا، ظاهراً فيهم وَسَمُهَا، ولم تَحْضُمِ شَهَامَتَهَا، مظهرَةً للعامة فضلهم، مُذِيعَةً حَسَنَ الذِّكْرِ عنهم؛ ولم يُلْجِ بِهَمِ الصَّيْتِ في الحُنُكَةِ مَسْتَمْعَا يَدْفَعُونَ به عن أَنْفُسِهِمْ نَوَاطِقَ أَلْسِنِ أَهْلِ الْبَغْيِ، ومَوَادِّ ابْتِصَارِ أَهْلِ الْحَسَدِ .

ثم تعهد من نفسك لطيف عيب لا زيم لكثير من أهل السلطان والقُدرة : من أبطال الذرع ونحوه الشرف والتَّيِّبَ وَعَيْبَ الصِّلَفِ ؛ فإنها تُسْرِعُ بِهِمْ إلى فَسَادٍ وَتَهْجِينِ عَقُولِهِمْ في مواطنَ جَمَّةَ ، وأنحاءَ مُصْطَرِفَةٍ ، منها قِلَّةٌ أَقْتَنَارُهُمْ على صَبْطِ أَنْفُسِهِمْ في مَوَازِيهِمْ ومسايرتهم العامة : فمن مَقْلِقِلٍ تُخْصِمُهُ بِكَثْرَةِ الْإِتْنَفَاتِ عن يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، تَزْدِجِيهِ الْخِلْفَةَ، وَيُطِيطُهُ لِجَلَابِ الرِّجَالِ حَوْلَهُ . ومن مُقْبِلٍ في مَوَكِبِهِ على مُدَاعِبَةِ مُسَايِرِهِ بِالْمُفَاكِهَةِ لَهُ وَالتَّضَاهُكِ إِلَيْهِ، وَالْإِيْجَافِ في السَّيْرِ مَرَحًا، وَتَحْرِيكِ الْجَوَارِحِ مَتَمَرَّطًا، يَحَالُ أَنَّ ذَلِكَ أَسْرَعُ لَهُ وَأَحْثُ لَطِيفِهِ، فَتُحَسِّنُ في ذَلِكَ هَيْئَتَكَ، وَلِتَجْمَلَ فِيهِ دَعَتَكَ ؛ وَلِيَقْلُ على مُسَايِرِكَ إِقْبَالُكَ إِلَّا وَأَنْتَ مُطَرِّقُ النَّظَرِ، غَيْرُ مُتَنَفِّتٍ إِلَى مُحَدَّثٍ، وَلَا مُقْبِلٍ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ في مَوَكِبِكَ لِحَادِثَتِهِ، وَلَا مُوجِفٍ في السَّيْرِ مَقْلِقِلٍ لَجَوَارِحِكَ بِالتَّحْرِيكِ وَالْإِسْتِنَاضِ ؛ فَإِنَّ حُسْنَ مَسَايِرَةِ الْوَالِيِ وَأَقْنَاعَهُ في تِلْكَ الْحَالَةِ دَلِيلٌ على كَثِيرٍ من غُيُوبِ أَمْرِهِ وَمَسْتَرِّ أَحْوَالِهِ .

(١) في مفتاح الأفكار «من أبطال الذرع» وفي غيره «من أبطال الذرع» وفي كلامه علامة التوقف تأمل .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَقْوَامًا يَتَسَرَّعُونَ إِلَيْكَ بِالسَّعَايَةِ ، وَبِأَتُونَكَ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحَةِ ،
وَيَسْتَمِيلُونَكَ بِإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ ، وَبِاسْتَدْعَاكَ بِالْإِغْرَاءِ وَالشَّبْهِةِ ، وَيُوطِئُونَكَ عُشْوَةَ
الْحَيَرَةِ : لِيَجْعَلُوكَ لَهُمْ دَرِيْعَةً إِلَى أَسْتِكَالِ الْعَامَّةِ بِمَوْضِعِهِمْ مِنْكَ فِي الْقَبُولِ [مِنْهُمْ]^(١)
وَالْتَصْدِيقِ لِمَنْ عَلَى مَنْ قَرَفُوهُ بِثَمَةٍ ، أَوْ أَسْرَعُوا بِكَ فِي أَمْرِهِ إِلَى الظَّنَّةِ ؛ فَلَا يَصِلَنَّ
إِلَى مُشَافَهَتِكَ سَاحِجَ بَشْبَهَةٍ ، وَلَا مَعْرُوفَ ثَمَةٍ ، وَلَا مَسْئُوبٌ إِلَى بَذْعَةٍ [فَيَعْرِضَكَ]^(٢)
لِإِتْسَاحِ دِينِكَ ، وَيَحْمَلَكَ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَكَ ، وَيُلْحِمَكَ أَمْرًا ضَ
قُومَ لَا عِلْمَ لَكَ بِدَخْلِهِمْ ، إِلَّا بِمَا أَقْدَمَ [بِهِ] عَلَيْهِمْ سَاحِيًا وَأَظْهَرَ لَكَ مِنْهُمْ مُتَصَصِحًا .
وَلِيَكُنْ صَاحِبُ شُرْطَتِكَ الْمُتَوَلَّى لِإِنْهَاءِ ذَلِكَ هُوَ الْمَنْصُوبُ لِأَوَّلِكَ ، وَالْمُسْتَمِعَ
لَأَقْوَالِهِمْ ، وَالْفَاحِصَ عَنْ نَصَائِحِهِمْ ؛ ثُمَّ لِيُنْهَ ذَلِكَ إِلَيْكَ عَلَى مَا يَرْفَعُ إِلَيْهِ مِنْهُ
لِأَمْرِهِ بِأَمْرِكَ فِيهِ ، وَتَقَفَّ عَلَى رَأْيِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْعَامَّةِ : فَإِنْ كَانَ صَوَابًا
نَالَتْكَ خَيْرَتُهُ ، وَإِنْ كَانَ خَطَاً أَقْدَمَ بِهِ عَلَيْكَ جَاهِلٌ أَوْ قَرِطَةٌ سَعَى بِهَا كَذِبٌ
فَنَالَتْ السَّاعِيَّ مِنْهُمَا أَوْ الْمَظْلُومَ عِقَابُهُ ، أَوْ بَدَّرَ مِنْ وَإِلَيْكَ إِلَيْهِ عُقُوبَةٌ وَنَكَالٌ ،
لَمْ يَعْصِبْ ذَلِكَ انْخِلَاطًا بِكَ وَلَمْ تُنْسَبْ إِلَى تَفْرِيطٍ ، وَخَلَوَتْ مِنْ مَوْضِعِ الدَّمِّ فِيهِ :
مُحْضَرًا إِلَيْهِ ذِهْنَكَ وَصَوَابَ رَأْيِكَ . وَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ الْأَمْرَ وَتَعْتَمِدُ عَلَيْهِ
فِيهِ أَنْ لَا يُقَدِّمَ عَلَى شَيْءٍ نَظَرًا فِيهِ ، وَلَا يَحَاوِلَ أَخْذَ أَحَدٍ طَارِقًا لَهُ ، وَلَا يُعَاقِبَ

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" وغيره وهي لازمة . وفي القاموس في مادة (وتغ) وأوتغ دبه
بالايم أنفسه .

(٣) دخل الرجل بالفتح والكسر يته ومذهبه .

(٤) الذي في "مفتاح الأفكار" وغيره «ولكن صاحب شرطتك ومن أحيت أن يتولى ذلك من توادك
إليه آتياه ذلك وهو المنسوب الخ» .

أحدا مُنْكَلا به ، ولا يُحَلِّ سَبِيلَ أَحَدٍ صَالِحاً عَنْهُ : لِإِخْتِارِ بَرَاءَتِهِ ، وَصِحَّةِ طَرِيقَتِهِ ؛
حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْكَ أَمْرَهُ ، وَيُنَوِّىَ إِلَيْكَ قَضِيَّتَهُ عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ ، وَمَنْعَى الْحَقِّ ،
وَيَقِينَ الْخَبَرَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ سَبِيلاً لِمَحْسَسٍ أَوْ مَجَازاً لِعُقُوبَةٍ ، أَمَرْتَهُ بِتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْ
غَيْرِ إِدْخَالِهِ عَلَيْكَ ، وَلَا مُشَافَهَةِ لِكَ مِنْهُ ؛ فَكَانَ الْمُتَوَلَّى لِنَظَرِكَ وَلَمْ يَحْجِرْ عَلَى يَدَيْكَ مَكْرُوهَ
رَأَى وَلَا غِلْظَةَ عِقُوبَةٍ . وَإِنْ وَجَدْتَ إِلَى الْعَفْوِ [عَنْهُ] سَبِيلاً ، أَوْ كَانَ مِمَّا قُرِفَ بِهِ خَلِيقاً ؛
كَنتَ أَنْتَ الْمُتَوَلَّى لِلْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ ، وَالصَّفْحِ عَنْهُ بِإِطْلَاقِ أَمْرِهِ ؛ فَتَوَلَّيْتَ
أَجْرَ ذَلِكَ وَأَسْتَحَقَّقْتَ ذُنُوبَهُ ، وَأَنْطَقْتَ لِسَانَهُ بِشُكْرِكَ ، وَطَوَّقْتَ قَوْمَهُ حَمْدَكَ ،
وَأَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ حَقَّكَ ؛ فَفَرَرْتَ بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ ، وَأَحْرَزْتَ حُظُوتَيْنِ : ثَوَابَ اللَّهِ
فِي الْآخِرَةِ ، وَمَحْمُودَ الدَّكْرِ فِي الدُّنْيَا .

ثُمَّ وَلِيَاكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِكَ وَجُلَسَائِكَ وَخَاصَّتِكَ وَبِطَانَتِكَ بِمَسْأَلَةٍ
يَكْشِفُهَا لَكَ ، أَوْ حَاجَةً يَبْتَهِكُ بِطَلِبِهَا ، حَتَّى يَرْفَعَهَا قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى كَاتِبِكَ الَّذِي
أَهْدَقْتَهُ لِنَظَرِكَ وَنَصَبْتَهُ لَهُ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْكَ مُنْبِئاً لَهَا عَلَى جِهَةِ الصَّدَقِ عَنْهَا ، وَتَكُونُ
عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ قَدْرِهَا : فَإِنْ أَرَدْتَ إِسْعَافَهُ بِهَا وَبِحَاجَ مَسْأَلِ مِنْهَا ، أَذْنَتَ لَهُ
فِي طَلِبِهَا ، بِاسْطِاقِ كَنْفِكَ ، مُقْبِلاً عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ ؛ مَعَ ظُهُورِ سُورِكَ بِمَا سَأَلَكَ ، وَفَسَحَةٍ
رَأَى وَبَسْطَةِ دَرْعٍ ، وَطِيبِ نَفْسٍ . وَإِنْ كَرِهْتَ قَضَاءَ حَاجَتِهِ ، وَأَجَبْتَهُ رَدَّهُ عَنْ
طَلِبَتِهِ ؛ وَثَقُلَ عَلَيْكَ إِجَابَتُهُ إِلَيْهَا ، وَإِسْعَافُهُ بِهَا ، أَمَرْتَ كَاتِبَكَ فَصَفَحَهُ عَنْهَا ،
وَمَنَعَهُ مِنْ مُوَاجَهَتِكَ بِهَا ؛ نَخَفْتَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْمَثُونَةَ ، وَحَسُنَ لَكَ الدَّكْرُ ،
وَلَمْ يُنْشِرْ عَنْكَ تَجَهُمَ الرَّدِّ ، وَبَيْنَكَ سُوءُ الْقَالَةِ فِي الْمَنْعِ ، وَحُمِلَ عَلَى كَاتِبِكَ فِي ذَلِكَ
لَا تُعْمَةُ أَنْتَ مِنْهَا بِرَأْيِ السَّاحَةِ .

(١) أى لوضوح براءته فى حديث على فأعصر لصدوك أى كن من أمره على أمر واضح انظر اللسان

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأهلك من الرسل ، فلا يصلن إليك أحدٌ منهم إلا بعد وصول علمه إليك ، ويعلم ما قدم له عليك ؛ وجهية ما هو مكلمك به ، وقدر ما هو سائلك إياه إذا هو وصل إليك ، فأصدرت رأيك في حوائجه ، وأجلت فكرك في أمره ، وأخترت معترفا على إرادتك في جوابه ، وأنذرت مضبور رويك في مرجوع مسألته قبل دخوله عليك ، وعلمه بوصول حاله إليك ؛ فرقت عنك مشونة البديهة ، وأرخت عن نفسك خناق الروية ، وأقدمت على رد جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه . فإن دخل إليك أحدٌ منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كاتيك وطوى عنه حاجته قبلك ، دفعته عنك دفعا جميلا ، ومنعته جوابك متعا ودبعا ؛ ثم أمرت حاجبك بإظهار الجفوة له ، والغفلة عليه ، ومنعه من الوصول إليك ؛ فإن ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب ، صارقا عنك مشونتها ، ومسهلا عليك مستصعبها .

احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك في مسالك الرضا والغضب واختوارهما إياك ، فلا يزدهينك إفراط عجب تستخفك روائعه ، ويستتهوك منظره ، ولا يبدرك منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه إن حل بك ، أو حادث إن طرأ عليك . وليكن لك من نفسك ظهري ملجأ تتعز به من آفات الردى ، وتستعبد^(١) في موهم النازل ، وتتعقب به أمورك في التدبير . فإن أحتجت إلى مادة من عقلك ، وروية من فكرك ، أو أنيساط من منطقك ؛ كان أميالك إلى ظهريك مرزادا مما أحببت الإمتياح منه والإمتيار ؛ وإن استدبرت من أمورك بواذر جهل أو مضى زلل أو معاندة حق أو خلل تدبير ، كان ما أحتجت إليه من رأيك عذرا لك عند

(١) في رسائل البلاغة وتستعبد في مهم نازل .

(٢) كذا في الفتح ورسائل البلاغة أيضا ولعله وإن أبدت الخ . تأمل .

نفسك ، وظهرياً قوياً على رد ما كرهت ، وتخفيفاً لمشونة الباقين عليك في القالة
وأنتشار الذكرك ، وحضنا من قلوب الآفات عليك ، واستعلاها على أخلاقك .

وأمّتع أهل بطانتك وخاصة خدّيك من استلحام أعراض الناس عندك بالغيبة ،
والتقريب إليك بالسعاية ، والإغراء من بعض ببعض ؛ أو التهمة إليك بشيء من
أحوالهم المستترة عنك ، أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب
الشفقة : فإنّ ذلك أبلغ بك سُمُومًا إلى منالة الشرف ، وأعونُ لك على محمود الذكرك ،
وأطلق لعنان الفضل في جرّالة الرأي وشرف الهمة وقوة التدبير .

وأمّلك نفسك عن الإنسباط في الضمك والإثفهاق ، وعن القُطوب بإظهار
الغضب وتخلّله : فإنّ ذلك ضعف عن ملك سورة الجهل ، ونروج من اتّحال آسِم
الفضل . وليكن صحكك تبسّمًا أو كشرًا في أحايين ذلك وأوقاته ، وعند كل رائع
مستخف مُطرب ، وقُطوبك إطرًا في مواضع ذلك وأحواله ، بلا تجلّة إلى
السطوة ، ولا إسراج إلى الطيرة ، دون أن يكتفها روية الحلم ، وتملك عليها بادرة
الجهل .

إذا كنت في مجلس ملّك ، وحيث حضور العامة مجلسك ، فإياك والرّمى بنظرك
إلى خاص من قوادك ، أو ذى أثره عندك من حشمك . وليكن نظرك مقسومًا
في الجميع ، وإراعتك تمتك ذا الحديث بدعة هادئة ، ووقار حسن ، وحضور
فهم جميع ، وقلة تضجّر بالمحدث . ثم لا يرحّ ونبهك إلى بعض حرسك وقوادك
متوجّها بنظير ركين ، وتفقد محض . وإن وجه إليك أحد منهم نظره مُحدثًا ،
أو رماك ببصره ملجأ ، فاخفض عنه إطرًا جميلًا باتذاع وسكون . وإياك

والتسرع في الإطراق ، والحفة في تصريف النظر ، والإلحاح على من قصد إليك في مخاطبته لإياك راقماً بنظره .

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَصَفُّحَكَ وَجْهَ جَلَسَاتِكَ وَتَفَقُّدَكَ مَجَالِسَ قُودَاكَ ، مِنْ قُوَّةِ التَّيْدِيرِ ، وَهَمَامَةِ الْقَلْبِ ، وَذِكَاةِ الْفِطْنَةِ ، وَاتِّبَاءِ السَّنَةِ . فَتَفَقُّدُ ذَلِكَ طَارِفاً بَيْنَ حَضْرِكَ وَغَائِبِكَ عَنْكَ ، عَالِماً بِمَوَاضِعِهِمْ مِنْ مَجْلِسِكَ ، ثُمَّ أَغْثَبَهُمْ عَنْ ذَلِكَ سَائِلاً لَهُمْ عَنْ أَشْغَالِهِمُ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ مِنْ حُضُورِ مَجْلِسِكَ ؛ وَطَاقَتِهِمْ بِالْخُلْفِ عَنْكَ .

إِن كَانَ أَحَدٌ مِنْ حَشَمِكَ وَأَعْوَانِكَ يَتَّقِي مِنْهُ بَغِيْبٍ ضَمِيرٍ ، وَتَعْرِفُ مِنْهُ لَيْنَ طَاعَةٍ ، وَتُسْرِيفٍ مِنْهُ عَلَى حِجَّةٍ رَأَى ، وَتَأَمَّنَهُ عَلَى مَشُورَتِكَ ، فَلْيَاذَكَ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ يَرِدُ عَلَيْكَ ، وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَهُ بِنَظَرِكَ عِنْدَ طَوَارِقِ ذَلِكَ ، وَأَنْ تُرِيَهُ أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَجْلِسِكَ أَنَّ بَكَ حَاجَةً إِلَيْهِ مُوَحِّشَةً ، أَوْ أَنَّ لَيْسَ بِكَ عَنْهُ غَيٌّ فِي التَّيْدِيرِ ، أَوْ أَنَّكَ لَا تَقْضِي دُونَهُ رَأْيًا ، لِإِشْرَاكَكَ مِنْكَ لَهُ فِي رَوِيَّتِكَ ، وَإِدْخَالًا مِنْكَ لَهُ فِي مَشُورَتِكَ ، وَأَضْطِرَارًا مِنْكَ إِلَى رَأْيِهِ فِي الْأَمْرِ يَمْرُوكَ : فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَخَائِلِ الْغُيُوبِ الَّتِي يَنْتَشِرُ بِهَا سُوءُ الْقَالَةِ عَنْ نَظَرَاتِكَ فَانْفِهَا عَنْ نَفْسِكَ خَائِفًا لِعِتْلَاقِهَا ذِكْرَكَ ، وَاجْتِنِبْهَا عَنْ رَوِيَّتِكَ قَاطِعًا لِأُطْلَاعِ أَوْلِيَاكَ عَنْ مَثَلِهَا عِنْدَكَ ، أَوْ غُلُوبِهِمْ عَلَيْهَا مِنْكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْمُشُورَةِ مَوْضِعَ الْخَلْوَةِ وَانْفِرَادِ النَّظَرِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ غَايَةٌ تُحِيطُ بِمُحْدُوْدِهِ ، وَتَجْمَعُ مَعَالِمَهُ . فَاتَّبِعْهَا تَحِيْرًا لَهَا ، وَرُمْهَا طَالِبًا لِنَيْلِهَا ؛ وَلِيَاذَكَ وَالْقُصُورَ عَنْ غَايَتِهَا أَوْ الْعَجْزَ عَنْ دَرْكِهَا ، أَوْ التَّغْرِيطَ فِي طَلَبِهَا . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

لِيَاذَكَ وَالْإِغْرَامَ عَنْ حَدِيثٍ مَا عَجَبْتُكَ ، أَوْ أَمْرٍ مَا أَزْدَمَاكَ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، أَوْ الْقَطْعَ لِحَدِيثٍ مَنْ أَرَادَكَ بِمَحْدِثِهِ حَتَّى تَنْقُضَهُ عَلَيْهِ بِالْخَوْصِ فِي غَيْرِهِ أَوْ الْمَسْأَلَةِ

عما ليس منه : فإن ذلك عند العامة منسوب إلى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول
محاسن الأمور والمعرفة بمساوئها ، ولكن أنصت لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم أن
قد فهمت حديثه ، وأحطت معرفة بقوله : فإن أردت إجابته فمن معرفة بحاجته
وبعد علم بعليته ؛ وإلا كنت عند آقضاء كلامه كالمتعجب^(١) من حديثه بالتبسّم
والإغضاء ، فأجزئ عنك الجواب ، وقطع عنك ألسن العتب .

إياك وأنت يظهر منك بزم بطول مجلسك ، أو تضجر من حضرك ؛ ومليك
بالثبوت عند سورة الفصّب ، وحيّة الأنف ، وملاّل الصبر في الأمر تستعجل به
والعمل تأمر بإفناذه ؛ فإن ذلك يخفف شائين ، وخفة مُردّيه ، وجهالة بادية .
وعليك بنبوت المنطق ، ووقار المجلس ، وسكون الريح ، والرقص لحشو الكلام ،
والترك لفضوله . والإغرام بالزيادات في منطقتك والترديد للفظك : من نحو أسمع ،
وأفهم عني ، وياهناه ، وألا ترى ؛ أو ما يلهج به من هذه الفضول المقصرة بأهل
العقل ، الشائنة لنوى المحجا في المنطق ، المنسوبة إليهم بالي ، المريبة لهم بالذكر .
وخصال من معائب الملوك والسوقة عنها غيبة النظر إلا من عرفها من أهل
الأدب ، وقلمها حامل لها ، مضطلع بها ، صابر على ثقلها ، آخذ لنفسه بمجوامعها .
فأنها عن نفسك بالتحفظ منها ، وأملك عليها اعتيادك إياها معتنيا بها : منها كثرة
التعصم ، والتبصق ، والتنخع ، والثوباء ، والتمطى ، والجشأ ، وتحريك القدم ،
وتقيص الأصابع ، والعبث بالوجه والقلية أو الشارب أو المخصرة أو دؤابة السيف ،
أو الإيماض بالنظر ، أو الإشارة بالطرف إلى بعض خدك بأمر إن أردته ، أو السرار
في تجلسك ، أو الاستعجال في طعمك أو شربك . وليكن طعمك متديدا ، وشربك

(١) في الفتاح وغيره كالتملل وهي واضحة .

(٢) مراده والترك للأغرام أى الولوج بالزيادات الخ فهو من المنهى عنه دليل بقية الكلام فنه .

أنفاساً ، وجرعاً مَصّاً . وإيّاكَ والتسرّع إلى الإيمان فيما صَغُرَ أو كَبُرَ من الأمور ،
والشّيمةَ بقول يا ابنَ أُنْثَى ؛ أو الغمِزةَ لأحدٍ من خاصّتك بتسويفهم مقارَفةَ
السُّوقِ بحيثٍ محضُّرك أو دأرك وفِئَاؤُك : فإنّ ذلك كلّهُ مما يَقبُحُ ذكره ، ويُسوّهُ
موقعُ القول فيه ؛ ويَحْمِلُ عليك معاييه ، وينالُك شِئنه ، وينتشرُ عليك سُوءُ النِّبَا به .
فأَعْرِفْ ذلك متوقِّفاً له ، وأحذرْه مجانباً لِسُوءِ عاقبته .

استكثر من فوائد الخير : فإنها تَنُشرُ المحمّدة ، وتُخفِّلُ العَثرةَ ؛ وأَصِرْ على كَظْمِ
الغيظ : فإنه يُورِثُ الراحة ، ويؤمِّنُ السّاحةَ ؛ وتعهّدِ العامّةَ بمعرفة دَخْلهم ، وتبَطِّئِ
أحوالهم ، واستثارة دَفَائِنهم ؛ حتّى تكونَ منها على رَأْيِ عَيْنٍ ، ويقينِ خُبْرَةٍ ؛ فتُنشِئَ
عَدِيمهم ، وتُجَبِّرَ كَسِيرهم ؛ وتُقيمَ أَوْدَهم ، وتُعَلِّمَ جاهِلهم ، وتستصلح فاسِدهم : فإنّ
ذلك من فِعْلِكَ بهم يُورِثُكَ العِزةَ ، ويقدمُك في الفضل ؛ ويُبقي لك لسانَ الصّدقِ
في العاقبة ، ويُحرِّزُ لك ثوابَ الآخرة ، ويرُدُّ عليك عواطفهم المستنفِرةَ منك ، وقلوبهم
المنتحيّةَ عنك .

قس بين منازل أهل الفضل في الدِّينِ والجِبا والرأى ، والعقل والتدبير ،
والصّيت في العامّة ، وبين منازل أهل النّقص في طبقات الفضل وأحواله ،
والخمول عند مُباهاة النّسب ؛ وأنظر بصُحبة أيّهم تتألّ من مودّته الجليل ، وتستجمع
لك أفاويل العامّة على التفضيل ؛ وتبلغُ درجةَ الشرف في أحوالك المتصرّفة بك .
فاعتمد عليهم مُدْخِلاً لهم في أمرك ، وآثرهم بِجِالستك لهم مستمعاً منهم ؛ وإيّاكَ
وتضييعهم مفزَطاً ، وإهمالهم مُضَيّعاً .

هذه جوامعُ خصالٍ قد نَلَّصَها لك أميرُ المؤمنين مُقَسِّراً ، وجمع لك شواذها
مولّفاً ، وأهداها إليك مُرْشِداً ؛ فقف عند أواميرها ، وتناه عن زواجرها ، وتثبت

في مجامعها؛ وخُذْ بوثاقِ عُرَاها تَسْلَمَ من معَاطِبِ الرَّدَى ، وتَسَلَّ أَنْفَسَ الحُطُوطِ
ورَغِيبَ الشَّرَفِ ؛ وأَعْلَى دَرَجَ الذِّكْرِ ، وتَأَمَّلْ سَطْرَ العِزِّ (١) والله يسألُ لك أميرَ المؤمنين
حُسْنَ الإرشادِ ، وتَتَأَمَّلُ المَزِيدَ وبلوغَ الأَمَلِ ، وأنْ يَجْعَلَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غِبْطَةِ
يُسُوفَكَ إِيَّاهَا ، وَطَافِيَةِ يُحْيِيكَ أَكْثَانَهَا ، وَنِعْمَةُ يُلْهِمُكَ شُكْرَهَا : فإنه الموفقُ للخيرِ ،
والمعينُ على الإرشادِ ؛ منه تَمَامُ الصَّالِحَاتِ ، وهو مُوقٍ الحَسَنَاتِ ، عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ
الْخَيْرِ ، وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فَإِذَا أَفْضَيْتَ نَحْوَ عُدُوكَ ، وَأَعْتَرَمْتَ عَلَى لِقَائِهِمْ ، وَأَخَذْتَ أَهْبَةَ قِتَالِهِمْ ، فَاجْعَلْ
دِعَامَتَكَ الَّتِي تَلْجَأُ إِلَيْهَا ، وَثِقَتَكَ الَّتِي تَأْمَلُ النِّجَاةَ بِهَا ، وَرُكْنَكَ الَّذِي تَرْجِي مَنَالَةَ
الْفَقْرِ بِهِ ، وَتَكْتَفِي بِهِ لِمَعَالِقِ الْحَذَرِ تَقْوَى اللَّهَ مُسْتَشْعِرًا لَهَا بِمِرَاقِبِهِ ، وَالْإِعْتِصَامَ
بِطَاعَتِهِ مُتَّبِعًا لِأَمْرِهِ ، مُجْتَنِبًا لُسْخَطِهِ ، مُحْتَذِيًا سُلْطَتَهُ ، وَالتَّوَقُّقَ لِمَعَاصِيهِ فِي تَعْطِيلِ
حُدُودِهِ ، أَوْ تَعَدِّي شَرَائِعِهِ ؛ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ فِيهَا صَمَدًا لَهُ ، وَاثِقًا بِنَصْرِهِ فِيهَا تَوَجُّهًا
نَحْوَهُ ، مُتَبَرِّئًا مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ فِيهَا نَالًاكَ مِنْ طَقَرٍ ، وَتَلَقَّاءَكَ مِنْ عِزٍّ ؛ رَاغِبًا فِيهَا أَهَابَ^(١)
بِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ الْجِهَادِ وَرَمَى بِكَ إِلَيْهِ ، مَحْمُودَ الصَّبْرِ فِيهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
قِتَالِ عَدُوِّ الْمَسَامِينِ ، أَكْلَبَهُمْ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ عِدَاوَةَ لَهُمْ ، وَأَفْدَحَهُ نِقْلًا لِعَامَّتِهِمْ ، وَأَخَذَهُ
بِرِيقِهِمْ ، وَأَعْلَاهُ عَلَيْهِمْ بِنْيَا ، وَأَظْهَرَ عَلَيْهِمْ فِسْقًا وَبُحُورًا ، وَأَشَدَّهُ عَلَى قِيَتِهِمُ الَّذِي
أَضَارَهُ اللَّهُ لَهُمْ وَقَتَحَهُ عَلَيْهِمْ مَثُونَةً وَكَلًّا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَصَرَّ عَلَى
جَمَاعَتِهِمْ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِيَّاهُ يَسْتَصْرِخُ عَلَيْهِمْ ، وَإِلَيْهِ يَفُوضُ أَمْرَهُ
وَكُنْفَى بِاللَّهِ وَلَيْسَ وَنَاصِرًا وَنُعِينًا ، وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ .

(١) هو من قولهم أهاب بالابل إذا دحها فتنه .

ثُمَّ خُذْ مَنْ مَعَكَ مِنْ ثِبَاعِكَ وَجُنْدِكَ بِكَفِّ مَعَرَّتِهِمْ ، وَرَدِّ مَشْتَبِلِ جَهْلِهِمْ ،
وَأَحْكَامِ ضِيَاعِ عَمَلِهِمْ ، وَضَمِّ مَشْتَرِ قَوَائِمِهِمْ ، وَلَمْ شَعَتْ أَطْرَافُهُمْ ، وَتَقْيِيدِهِمْ عَمَّنْ
مَرَّوَا بِهِ مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِكَ وَمِلَّتِكَ بِحُسْنِ السَّيْرِ ، وَعَفَافِ الطَّعْمَةِ ، وَدَعَةِ الْوَقَارِ ، وَهَدْيِ
الدَّعَةِ ، وَحِمَامِ الْمُسْتَجِمِّ ، مُحْكَمَا ذَلِكَ مِنْهُمْ ، مُتَّفِقِدًا لَهُمْ تَفَقُّدَكَ إِيَّاهُ مِنْ نَفْسِكَ .
ثُمَّ أَصْحِدْ لِعُدُوِّكَ الْمُسَمَّى بِالْإِسْلَامِ ، الْخَارِجَ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِهِ ، الْمَشْتَحِلَ لِوَايَةِ الدِّينِ
مُسْتَحِلًا لِدِمَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، طَاعَتًا عَلَيْهِمْ ، رَاغِبًا عَنْ سُبَّتِهِمْ ، مُفَارِقًا لَشَرَائِعِهِمْ ، يَنْبَغِيهِمْ
الْفَوَائِلُ ، وَيَنْصِبُ لَهُمُ الْمَكَائِدَ ؛ أَضْرَمُ حَقْدًا عَلَيْهِمْ ، وَأَرْصُدُ عِدَاوَةً لَهُمْ ، وَأَطْلُبُ
لِفِرَاقَاتِ قُورِصِهِمْ مِنَ التُّرْكِ ، وَأُتَمِّمُ الشَّرْكَ ، وَطَوَاغِي الْمَلَلِ ؛ يَدْعُو إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفِرْقَةِ ،
وَالْمُرُوقِ مِنْ دِينِ اللَّهِ إِلَى الْفِتْنَةِ ، عَظَرًا بِهَوَاهِ الْأَدْيَانِ الْمَشْتَعَلَةِ وَالْبِدْعِ الْمُنْفَرِقَةِ
خَسَارًا وَتَحْصِيرًا ، وَضَلَالًا وَتَضَلُّيلًا ، بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ وَلَا بَيَانٍ . سَاءَ مَا كَسَبَتْ
لَهُ يَدَاهُ [وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ^(١)] وَسَاءَ مَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ، وَاللَّهُ مِنْ
وَرَائِهِ بِالْمُرْصَادِ : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

حَصَّنَ جُنْدَكَ ، وَأَشْكَمَ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَائِهِ ، وَأَرْجُ نَصْرَهُ ، وَنَجْزَ
مَوْصُودِهِ ، مُتَقَدِّمًا فِي طَلَبِ ثَوَابِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ ، مُعْتَرِمًا فِي آبْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ عَلَى
لِقَائِهِمْ : فَإِنَّ طَاعَتَكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، وَمِرَاقِبَتَكَ لَهُ وَرَجَاءَكَ نَصْرَهُ مُسَبِّلٌ لَكَ وَغُورَهُ ،
وَإِحْصَاؤَكَ مِنْ كُلِّ سُبَّةٍ ، وَمُنْجِيكَ مِنْ كُلِّ هُوَةٍ ، وَنَاعِيَتُكَ مِنْ كُلِّ صَرَعَةٍ ، وَمُقِيلُكَ
مِنْ كُلِّ كَبُورَةٍ ، وَدَارِيٌّ عَنْكَ كُلِّ شُبْهَةٍ ، وَمُنْهَبٌ عَنْكَ لَطْفَةٌ كُلِّ شَكٍّ ، وَمُقَوِّدٌ
بِكُلِّ أَيْدٍ وَمِكْبِدٌ ، وَمُعِزُّكَ فِي كُلِّ مَعَرَكَةٍ قِتَالٍ ، وَمُوَيْدٌ فِي كُلِّ جَمْعٍ لِقَاءٍ ، وَكَالِئُكَ

(١) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٣ .

عند كل فتنة مُعْشِيهِ ، وحافظك من كل شبهة مُرْدِيهِ ؛ والله وليُّ أمير المؤمنين
فيك ، والمستخلف على جُنْدِكَ وَمَنْ مَعَكَ .

إِعلم أَنَّ الظفر ظَفَرَان : أحدهما وهو أعم منفعةً ، وأبلغ في حُسْنِ الذِّكْرِ قَالَةً ،
وأحوطه سَلَامَةٌ ، وأتمُّه عَافِيَةٌ ، وأحسنه في الأُمُور وأعلاه في الفضل شَرْفًا ،
وأصحُّه في الرِّوْيَةِ حَزَنًا ، وأسلمه عند العَامة مَصْدَرًا - ما نِيلَ بِسَلَامَةِ الجُنُودِ ،
وحُسْنِ الحِيلَةِ ، ولُطْفِ المَكِيدَةِ [ويُنِى النَّقِيَّةُ ^(٢)] واستِزَالَ طاعةِ ذَوِي الصُّدُوفِ
بغيرِ إخطارِ الجِيُوشِ وفي قِدةِ جَمرةِ الحربِ ، ومُبارزةِ الفُرسانِ في معرَكَ الموتِ ؛
وإن ساعدتكَ طُلُوقُ الظَّفَرِ ، ونالَكَ مُزِيدُ السَّعادةِ في الشَّرَفِ ؛ ففى مُخاطرةِ التَّلَفِ
مَكْرُوهِ المَصائبِ ، وعِصْاضِ السِّبُوفِ وألَمِ الجِراحِ ، وقِصَاصِ الحُرُوبِ وبِجْأَلِهَا
بِمُخَاوَرَةِ أَطْلَافِهَا . على أَنَّكَ لا تَدْرِي لَأَيِّ يَكُونُ الظَّفَرُ في البِدِيَةِ ، وَمِنْ المَغْلُوبِ
بِالدُّوَلَةِ ، ولعلَّكَ أَنْ تَكُونَ المَطْلُوبِ بِالتَّحْيِصِ . فحَاوِلْ إِصابةَ أَيْلِفِهَا في سَلَامَةِ
جُنْدِكَ ورِعْيَتِكَ ، وأشْهَرِهَا صِيَّتًا في بُؤْسِ تَدْيِيرِكَ ورَأْيِكَ ، واجْمِعِهَا لَأَلْفَةً وَلِيَّتِكَ
وعُدُوكَ ، وأَعُوْنِهَا على صِلاحِ رِعْيَتِكَ وأهلِ مِلَّتِكَ ، وأَقْوَها في شَكِيمَةٍ في حَزَمِكَ ،
وأَبْعِدِهَا مِنْ وَضْعِ عَزَمِكَ ، وأَطْلِقِهَا بِزِمَامِ النِّجاةِ في آخِرَتِكَ ، وأَجْزِلِهَا ثَوَابًا
عند رَبِّكَ .

وَأَبْدَأْ بِالإِصْدارِ إلى مَدْنُوكَ ، والْبُتْءاءِ لِمَنْ إلى مِراجَعَةِ الطَّاعَةِ ، وأَمْرِ الجَماعَةِ ، وعِزِّ
الأَلْفَةِ ؛ آخِذًا بِالْحِجَةِ طَلِيهِم ، مُتَقَدِّمًا بِالْإِنْذارِ لِمَنْ ، باسِطًا أَمَانَتَكَ لِمَنْ جَلَّ أَلِيكَ مِنْهُمْ ،
داعِيًا [لِمَنْ اليَهُ ^(٢)] بِالَّذِينَ لَقِظْتَكَ وَالطَّفَّ حِيلَكَ ، مُتَعَطِّفًا بِرَأْتِكَ طَلِيهِم ، مُتَرَقِّقًا بِهِمْ

(١) أى ملهمة سوداء من قولهم أغشى الليل إذا أظلم - تأمل .

(٢) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٤٤ وغيره .

في دُعائك ، مُشْفِقًا عليهم من غَلَبَةِ الغَوَايَةِ لهم ، وإسَاطَةِ الهَلَكَةِ بهم ، مُنْقِذًا رُسُلَكَ إليهم بعدَ الإِنْذَارِ ، تَعِدُّهُمْ إعْطَاءَ كُلِّ رَغْبَةٍ يَهْشُ إليها طَمَعُهُمْ في مَوَاقِفِ الحقِّ ، وَبَسْطَ كُلِّ أَمَانٍ سَأَلُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَمَنْ مَعَهُمْ وَمَنْ يَتَّبِعُهُمْ ؛ مَوْطِنًا نَفْسَكَ فيما تَبْسُطُ لهم من ذَلِكَ على الوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، والصَّبْرِ على مَا أُعْطِيَتْهم مِنْ وَثَاقٍ عَقْدِكَ ؛ قَابِلًا تَوْبَةَ نَازِعِهِمْ عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَمُرَاجَعَةَ مُسِيئَتِهِمْ إلى الطَّاعَةِ ؛ مُرْصِدًا لِلنَّحَازِ إلى فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ إِبَابَةً إلى مَادِعُوتهِ إِلَيْهِ وَبَصْرَتِهِ لِإِيَّاهُ مِنْ حَقِّكَ وَطَاعَتِكَ ، بِفَضْلِ الْمُنْزِلَةِ ، وَلِأَكْرَامِ الْمَثْوَى ، وَتَشْرِيفِ الْجَاهِ . وَلِيُظْهَرَ مِنْ أَتْرَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَانِكَ [إِلَيْهِ] مَا يَرْضَى فِي مِثْلِهِ الصَّادِقُ عَنْكَ ، الْمُصْرُ على خِلَافِكَ وَمَعْصِيَتِكَ ؛ وَيَدْعُو إلى آخِلَاقِ حَيْلِ النِّجَاةِ وَمَا هُوَ أَمْلَكَ بِهِ فِي الْإِعْتِصَامِ عَاجِلًا ، وَأُنْجِي لَهُ مِنَ الْعِقَابِ آجِلًا ، وَأُحِيطَ لَهُ على دِينِهِ وَمُهْجَتِهِ بِدَعَا وَطَاقِيَةٍ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَدْعِي بِهِ مِنْ اللَّهِ نَصْرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْتَصِدُّ بِهِ فِي تَقْدِيمِهِ الْجَنَّةَ إِلَيْهِمْ ، مُعْذِرًا أَوْ مُنْذِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ أَذْكَ عِيُونَكَ على عَدُوِّكَ مُتَطَلِّمًا لِمِ أحوَالِهِم الَّتِي يَتَقَلَّبُونَ فِيهَا ، وَمَنَازِلِهِم الَّتِي هُمْ بِهَا ، وَمَطَامِعِهِم الَّتِي قَدِمْتُوا أَعْنَاقَهُمْ نَحْوَهَا ؛ وَأَيُّ الْأُمُورِ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى الصُّلْحِ ، وَأَقْوَدُهَا لِرِضَاهُمْ إِلَى الْعَافِيَةِ ، وَأَسْهَلُهَا لِاسْتِئْزَالِ طَاعَتِهِمْ ، وَمِنْ أَيِّ الْوُجُوهِ مَا تَأْتَاهُمْ : أَمِنْ قَبْلِ الشَّنَةِ وَالْمُنَافَاةِ وَالْمَكِيدَةِ وَالْمُبَاحَدَةِ وَالْإِرْهَابِ وَالْإِبَادَةِ ، أَوِ التَّرْغِيبِ وَالْإِطْلَاحِ ، مُتَبَتِّئًا فِي أَمْرِكَ ، مُتَخَيِّرًا فِي رِيئِكَ ، مُسْتَمْتَكًا مِنْ رَأْيِكَ ، مُسْتَشِيرًا لَدَوِيِّ النُّصِيحَةِ الَّذِينَ قَدْ حَكَمْتَهُمُ السَّنُّ ، وَخَبَطْتَهُمُ التَّجَرُّبَةُ ، وَجَدَّتَهُمُ الْحُرُوبُ ، ^(١) مُتَشَرِّفًا فِي حَرْبِكَ ، آخِذًا بِالْحَزْمِ فِي سُوءِ الظَّنِّ ، مُعِدًّا لِلْحَدَرِ ، مُحَرِّسًا مِنَ الْغِرَةِ ؛ كَأَنَّكَ فِي مَسِيرِكَ كُلَّهُ وَزُورِكَ أَجْمَعَ مَوَاقِفَ لِعَدُوِّكَ رَأَى عَيْنٌ تَنْظُرُ حَمَلَاتِهِمْ ، وَتَتَخَوَّفُ

(١) هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَنْزَلَ لَمْ تَأْتِ .

كَرَاهِيَتِهِمْ ، مُعِذًا أَقْوَى مَكَائِدِكَ ، وَأَرْهَبَ عَنَادِكَ ، وَأَنْكَأَ جُنْدِكَ ، وَأَجَدَّ تَشْمِيرِكَ ؛ مَعْظَا
أَمْرٍ عُدُوكَ لِأَعْظَمَ مَا بَلَغَكَ ، حَدَرًا يَكَادُ يُفْرِطُ : لَتُعْتَلَّهِ مِنَ الْإِحْتِرَاسِ عَظِيمًا ، وَمِنْ
الْمَكِيدَةِ قَوِيًّا ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْتَاكَ ذَلِكَ عَنْ إِحْكَامِ أُمُورِكَ ، وَتَدِيرِ رَأْيِكَ ، وَاصْدَارِ
رَوِيَّتِكَ ، وَالتَّأْهِبِ لِمَا يَحْزُبُكَ ؛ مَصْغَرًا لَهُ بَعْدَ اسْتِشْعَارِ الْجُنْدِ ، وَأَضْطِرَارِ الْحَزْمِ ،
وِإِعْمَالِ الرُّيَّةِ ، وَإِعْدَادِ الْأَهْبَةِ : فَإِنْ أَقْبَيْتَ عُدُوكَ كَلِيلَ الْحَذِّ ، وَقَمَّ الْحَزْمُ ،
نَضِيضُ الْوَفْرِ ، لَمْ يَضُرَّكَ مَا أَعْتَدْتَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ، وَأَخَذْتَ لَهُ مِنْ حَزْمٍ ؛ وَلَمْ يَزِدْكَ
ذَلِكَ إِلَّا جُرْأَةً عَلَيْهِ ، وَتَسَرُّعًا إِلَى لِقَائِهِ . وَإِنْ أَلْفَيْتَهُ مَتَوَقِّدَ الْحَرْبِ ، مَسْتَكْنِفٍ
الْجَمْعِ ، قَوِيٍّ التَّبَعِ ، مَسْتَعْلَى سَوْرَةِ الْجَهْلِ ؛ مَعَهُ مِنْ أَعْوَانِ الْفِتْنَةِ وَتَبَعِ الْإِبْلِيسِ مِنْ
يُوقِدُ لَهَبِ الْفِتْنَةِ مَسْعَرًا ، وَيَقْدُمُ إِلَى لِقَاءِ أَبْطَالِهَا مَتَسَرِّعًا ، كُنْتَ لِأَخْذِكَ بِالْحَزْمِ ،
وَأَسْتِعْدَادِكَ بِالْقُوَّةِ ؛ غَيْرَ مُهِينِ الْجُنْدِ ، وَلَا مُفْرِطٍ فِي الرَّأْيِ ، وَلَا مُتَهَفِّئٍ عَلَى إِضَاعَةِ
تَدِيرٍ ، وَلَا مُحْتَاجٍ إِلَى الْإِعْدَادِ وَبَعْجَلَةِ التَّأْهِبِ مِبَادَرَةٍ تَدْعُشُكَ ، وَخَوْفًا يُقْلِقُكَ .
وَمَنْ تَقْتَرِبُ تَرْقِيقِ الْمَرْقُوقِينَ ، وَتَأْخُذُ بِالْمُؤَنَّى فِي أَمْرِ عُدُوكَ لِتَصْغِيرِ الْمَصْغَرِّينَ ، يَنْتَشِرُ
عَلَيْكَ رَأْيُكَ ، وَيَكُونُ فِيهِ انْتِقَاضُ أَمْرِكَ وَوَهْنُ تَدِيرِكَ ، وَإِهْمَالُ الْحَزْمِ فِي جُنْدِكَ ،
وَأَضْيَاعُ لَهُ وَهُوَ يُمَكِّنُ الْإِسْخَارَ ، رَحْبَ الْمَطْلَبِ ، قَوِيَّ الْعِصْمَةِ ، فَسِيحَ الْمَضْطَرَبِ ؛
مَعَ مَا يَدْخُلُ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْإِقْتِرَارِ وَالْعَفْطَةِ عَنْ إِحْكَامِ أَحْرَاسِهِمْ ، وَضَبْطِ مَرَاكِزِهِمْ ؛
لِمَا يَرَوْنَ فِيهِ مِنْ أَسْتِنَامَتِكَ إِلَى الْفِتْنَةِ ، وَرُكُونِكَ إِلَى الْأَمْنِ ، وَتَهَاوُنِكَ بِالتَّدِيرِ ؛ فَيَعُودُ
ذَلِكَ عَلَيْكَ فِي اتِّشَارِ الْأَطْرَافِ ، وَضِيَاعِ الْأَحْكَامِ ، وَدُخُولِ الْوَهْنِ بِمَا لَا يُسْتَقَالُ
مَحْذُورُهُ ، وَلَا يُدْفَعُ مَحْوُفُهُ .

(١) بِالْقَاءِ وَالْهَاءِ الْمُنْتَهَى أَيْ يَكْسِرُكَ وَيُزْنِرُكَ عَنْ الْخَطِّ .

(٢) أَيْ قَلِيلُ الْوَفْرِ وَالْمَالِ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ نَضِيضُ الْوَفْرِ قَلِيلُهُ .

أَحْفَظَ مِنْ عِيُونِكَ وَجَوَامِيسِكَ مَا يَأْتُونَكَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ عَدُوِّكَ . وَإِلَّاكَ وَمَعَاذِيهِ
أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى خَيْرَ لَبٍّ أَتَاكَ بِهِ أَتَمَّتْهُ فِيهِ أَوْ سُوَّتَ بِهِ ظَنًّا وَأَتَاكَ فِيهِ بِخِلَافِهِ ،
أَوْ أَنْ تَكْذِبَ فِيهِ فَرُدَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَحَضَّكَ النَّصِيحَةَ وَصَدَّقَكَ الْخَبَرَ ،
وَكَذَبَكَ الْأَوَّلُ ، أَوْ تَخْرُجَ جَاوِسُكَ الْأَوَّلُ مُتَقَدِّمًا قَبْلَ وَصُولِ هَذَا مِنْ عِنْدِ عَدُوِّكَ ،
وَقَدْ أَرَبُوا لَكَ أُمْرًا ، وَحَاوَلُوا لَكَ مَكِيدَةً ، وَأَرَادُوا مِنْكَ غِرَّةً ، فَأَزْدَلَقُوا إِلَيْكَ
فِي الْأَهْمَةِ ثُمَّ انْتَقَضَ بِهِمْ رَأْيُهُمْ ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ جَمَاعَتُهُمْ ، فَأَرَادُوا رَأْيًا ، وَأَحْدَثُوا
مَكِيدَةً ، وَأَظْهَرُوا قُوَّةً ، وَضَرَبُوا مَوْعِدًا ، وَأَمَّا مَسْلُكُ الْمَسَدِّ أَنَاهُمْ ، أَوْ قُوَّةُ حَدَثِ
لَهُمْ ، أَوْ بَصِيرَةُ فِي ضَلَالَةٍ شَغَلَتْهُمْ ، فَالْأَحْوَالُ بِهِمْ مُتَنَقِّلَةٌ فِي السَّاعَاتِ ، وَطَوَارِقُ
الْحَادِثَاتِ . وَلَكِنْ أَلَيْسَ بِهِمْ جَمِيعًا عَلَى الْإِكْتِصَاحِ ، وَأَرْخَضَ لَهُمُ بِالْمَطَامِعِ ، فَإِنَّكَ لَنْ
تَسْتَعِينَهُمْ بِمِثْلِهِ . وَعِنْدَهُمْ جَزَالَةُ الْمَثَاوِبِ ، فِي غَيْرِ مَا أَسْتَنَامِيَةٌ مِنْكَ إِلَى تَرْقِيقِهِمْ أَمْرَ
عَدُوِّكَ ، وَالْإِقْتِرَارِ إِلَى مَا يَأْتُونَكَ بِهِ دُونَ أَنْ تَعْمَلَ رَوِيَّتَكَ فِي الْأَخْذِ بِالْحَزْمِ ،
وَالِإِسْتِكْرَارِ مِنَ الْعُدَّةِ . وَاجْعَلْهُمْ أَوْثَقَ مِنْ تَقْدِيرِ عَلَيْهِ ، وَأَمِّنْ مِنْ تَسْكُنِ إِلَى نَاحِيَتِهِ :
لِيَكُونَ مَا يُبْرِمُ عَدُوَّكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْسَ عِنْدَكَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ ذَلِكَ ، فَتَنْقُضَ عَلَيْهِمْ
بِرَّكَ وَتَدِيرَكَ مَا أَرَبُوا ، وَتَأْتِيَهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمِنُوا ، وَتَأْخُذَ لَهُمْ أَهْبَةُ مَا طَلَبَ أَقْدَمُوا ،
وَتَسْتَعِدَّ لَهُمْ بِمِثْلِ مَا حَذَرُوا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ جَوَامِيسِكَ وَعِيُونَكَ رُبَّمَا صَدَّقُوكَ ، وَرُبَّمَا غَشَوْكَ ، وَرُبَّمَا كَانُوا لَكَ
وَعَلَيْكَ فَنَصَحُوا لَكَ وَغَشَوْا عَدُوَّكَ وَغَشَوْكَ وَنَصَحُوا عَدُوَّكَ ، وَكَثِيرًا مَا يَصْدُقُونَكَ
وَيَصْلَحُونَ . فَلَا تَبْدُرَنَّ مِنْكَ فَرَطُهُ عَقُوبَةً إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَلَا تَجْعَلْ بِسُوءِ الظَّنِّ
إِلَى مَنْ أَتَمَّتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَنْزِلْ نَصَائِحَهُمْ بِالْمِيَاحَةِ وَالْمَنَالَةِ ، وَأَبْسُطْ مِنْ أَمَامِهِمْ
فِيكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّكَ أَخَذْتَ مِنْ قَوْلِهِ أَخَذَ الْعَامِلَ بِهِ وَالْمُتَّبِعَ لَهُ ،
أَوْ عَمِلْتَ عَلَى رَأْيِهِ عَمَلَ الصَّادِرِ عَنْهُ ، أَوْ رَدَدْتَهُ عَلَيْهِ رَدَّ الْمَكْذُوبِ بِهِ ، الْمَتَّهِمِ لَهُ ،

المستخف بما آتاك منه، فتفسد بذلك نصيحته، وتستدعي غشه، وتجتري عداوته .
وأحذر أن يعرفوا في عسكرك أو يُشار إليهم بالأصابع، وليكن منزلكم على كاتب رسالتك
وأمين سرك، ويكون هو الوجه لهم، والمُدخل إليك من أردت مشافهته منهم .

وَأَعْلَمْ أَنَّ لِعَدُوِّكَ فِي عَسْكَرِكَ عِيُونًا راصدة، وجواسيس متجسّسة، وأنه لن يقع
رأيه عن مكيدهتك بمثل ما تكايد به، وسيحتال لك كحتيالك له، ويُعد لك
كعديادك فيما تزاوله منه، ويحاولك كحاولتك إياه فيما تُمارسه عنه؛ فاحذر أن يُشهر
رجل من جواسيسك في عسكرك فيبلغ ذلك عدوك ويعرف موضعه، فيعد له
المراسد، ويحتال له بالمكايد . فإن ظفربه فاطهر عقوبته، كسر ذلك ثقات عيونك،
وعذلهم عن تطلب الأخبار من معادنها، واستقصائها من عيونها، واستعذاب
أجتماعها من ينابيعها، حتى يصبروا إلى أخذها مما عرض من غير الثقة ولا المعاينة،
لقطأ لها بالأخبار الكاذبة، والأحاديث المُرَجفة . وأحذر أن يعرف بعض عيونك
بعضاً : فإنك لا تأمن تواطؤهم عليك، وثمالاتهم عدوك، واجتماعهم على غشك،
وتطابقتهم على كذبك، وإصفاقهم على خيانتك، وأن يورط بعضهم بعضاً عند
عدوك . فاحكم أمرهم فإنهم رأس مكيدهتك، وقوام تدبيرك؛ وعليهم مدار حركك،
وهو أول ظفرك . فاعمل على حسب ذلك وحيث رجائك به، تنل أملك من
عدوك، وتوثق على قتاله، واحتيالك لإصابة غرائه وأتهازير فرصه، إن شاء الله .

فإذا أحكت ذلك وتقدمت في إختائه، واستظهرت بالله وعونه، فوال شرتك
وأمر عسكرك أوثق قوادك عنك، وأظهرهم نصيحة لك، وأفلتهم بصيرة

(١) في "فتح الأنكار" وغيره « كامة » .

(٢) كذا في الأصول . وفي "رسائل البلغاء" « وأن رأيه في مكيدهتك مثل ما تكايد به » . تأمل .

(٣) أى اجتماعهم من قولهم أصفقا على الأمر اجتمعوا عليه .

في طاعتك ، وأقوام شكيم في أمرك ، وأنضاهم صريمة ^(١) ، وأصدقهم عفا ، وأجرهم غناء ، وأكفاهم أمانة ، وأصحهم ضياع ، وأرضاهم في العامة ديناً ، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً ، وأعطاهم على كافتهم رافة ، وأحسنهم لهم نظراً ، وأشدهم في دين الله وحقه صلابة . ثم فوض إليه مقولاً له ، وأبسط من أمسه مظهرًا عنه الرضا ، حامداً منه الأتلاء . وليكن عالماً بمرأى الجنود ، بصيراً بتقدم المنزل ، مجرباً ، ذا رأى ونجربة وحزم في المكيكة ؛ له نباهة في الذكر ، وصيت في الولاية ؛ معروف البيت ، مشهور الحسب . وتقدم إليه في ضبط معسكره ، وإذ كاه أحراره في آناه ليله ونهاره ؛ ثم حذر أنه يكون منه إذن جنوده في الانتشار والاضطراب ، والتقدم لطاعته ، فغضب لم غرة يجترئ بها عدوك عليك ، ويسرع إقداماً إليك ، ويكسر من إيراد جنده ويوهن من قوتهم : فإن الصوت في إصابة عدوك الرجل الواحد من جنده أو عبيدهم ملطع لم فيك ، مقولهم على تحذ اتباعهم عليك وتضييعهم أمرك ، وتوهينهم تدبيرك . فحذر ذلك وتقدم إليه فيه . ولا يكون منه إفراط في التضييق عليهم ، والحصر لهم ، فيعظمهم أزل ، ويشملهم ضنك ، وتؤوه عليهم حاله ، وتشد به المشوئة عليهم ، وتحبث له ظنونهم . وليكن موضع إزاله إياهم ضاماً لجماعتهم ، مستديراً بهم جامعاً لهم ؛ ولا يكون منبسطاً منتشراً متبداً ، فيشق ذلك على أصحاب الأحرار ، وتكون فيه التهمة للعدو ، والبعد من المباداة إن طرق طارق في لجات الليل وبتاته . وأوعز إليه في أحراره ، وتقدم إليه فيهم كأشد التقدم وأبلغ الإيعاز . ومرة فليول عليهم رجلاً مجرباً جرى الإقدام ، ذاكي الصرامة ،

(١) الصريمة الصريمة .

(٢) في مفتاح الأفكار وغيره « أقسدة » وفي بعض الأصول من إباداة بالباء الموحدة وهاء التأنيث وفي اللسان في مادة أي داياد « العسكر اليمية والميعة وكل ما تحوز به فهو إباد » . تأمل .

جَلَدَ الْجَوَارِحَ ، بصيراً بمواضع أحراسه ، غير مُصَابَحٍ ولا مَشَقِّعٍ للناس في التَّصَحِّيِّ إلى الرِّفَاقِيَّةِ والسَّعَةِ ، وتَقْدِيمِ العسْكَرِ والتَّائْخُرِ عَنْهُ ، فإنَّ ذَلِكَ مما يُضْعِفُ الْوَالِيَّ وَيُوهِنُهُ لاسْتِنَامَتِهِ إِلَى مَنْ وَلَّاهُ ذَلِكَ وَأَمَّنَهُ بِهِ عَلَى جَيْشِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مواضع الأحراس من مُعَسَّكَكَ ، ومَكَائِهَا من جُنْدِكَ ، بِمَحِثُ الغَنَاءِ عَنْهُمْ وَالزُّدِّ عَلَيْهِمْ ، والحَفَظُ لِمَنْ ، وَالكَلاَعَةُ لِمَنْ بَعَثَهُمْ طَارِقاً ، أَوْ أَرَادَهُمْ خَائِلاً ، ومرَاصِدُهَا الْمُتَسَلِّلُ مِنْهَا وَالْآبِقُ مِنْ أَرْقَانِهِمْ وَأَعْبِدِهِمْ ، وَحِفْظُهَا مِنَ الْعِيُونِ وَالْجَوَاسِيسِ مِنْ عَدُوِّهِمْ . وَأَحْذَرُ أَنْ تَضْرِبَ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ تَشْكُكُهُ عَنِ الصَّرَامَةِ بِمَوَاطِنِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ وَطَارِئٍ إِلَّا فِي الْمُهِيْمِ النَّازِلِ وَالْحَدِثِ الْعَامِ : فَإِنَّكَ إِذَا فَخَلْتَ ذَلِكَ بِهِ ، دَعَوْتَهُ إِلَى نُصْحِكَ ، وَأَسْتَوَلَيْتَ عَلَى مَحْصُولِ ضَمِيرِهِ فِي طَاعَتِكَ ؛ وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي تَرْبِيكَ ، وَأَعْمَلَ رَأْيَهُ فِي بُلُوغِ موافقتك وإعانتك ، وكان يَفْتَتِكَ وَرِدَاكَ وَقُوَّتَكَ وَدِعَامَتَكَ ، وَتَهَوَّضْتَ أَنْتَ لِمُكَايَدَةِ عَدُوِّكَ ، مُرِيحاً لِنَفْسِكَ مِنْ هَمِّ ذَلِكَ والعناية به ، مُقْلِياً عَنْكَ مَكُونَهُ بِاهْظَةٍ وَكُلْفَةٍ فَادِحَةٍ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ القَضَاءَ مِنْ اللَّهِ بِمَكَانٍ لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَلَا بِمَثَلٍ مَحَلٍّ أَحَدٌ مِنَ الْوَلَاةِ : لِمَا يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ مِنْ مَقَالِيفِ الْأَحْكَامِ وَبِحَاثِي الْحُدُودِ . فَلْيَكُنْ مِنْ تَوَلِيهِ الْقَضَاءَ فِي عَسْكَرِكَ [مِنْ ذَوِي]^(١) الْخَيْرِ فِي الْقِنَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالزَّهَادَةِ وَالْفَهْمِ وَالْوَقَارِ وَالْعِصْمَةِ وَالْوَرَعَ ، وَالْبَصَرَ بِوُجُوهِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِهَا ، قَدْ حَنَكْنَاهُ السِّنَّ وَأَيَّدْنَاهُ التَّجَرِبَةَ وَأَحْكَمْنَاهُ الْأُمُورَ ، مِمَّنْ لَا يَتَصَنَّعُ لِلْوَلَايَةِ وَيَسْتَعِدُّ لِلنُّهْزَةِ ، وَيَجْتَرِئُ عَلَى الْمُحَابَاةِ فِي الْحَكْمِ ، وَالْمُدَاهَنَةِ فِي الْقَضَاءِ ، عَدْلُ الْأَمَانَةِ ، عَفِيفُ الطَّعْمَةِ ، حَسَنُ الْإِنْصَافِ ، قَوِيْمُ الْقَلْبِ ، وَبَرِيعُ الضَّمِيرِ ، مُتَخَشِّعُ السَّمْتِ ، بَادِي الْوَقَارِ ، مُحْتَسِبُ الْخَيْرِ . ثُمَّ أَمْرُ

(١) الزيادة عن مفتاح الأنكار (ص ٢٥٠) وغيره .

عليه ما يَكْفِيهِ وَيَسَعُهُ وَيُصْلِحُهُ ، وَفَرَّضَهُ لِمَا حَمَلْتَهُ ، وَأَعِنَهُ عَلَى مَاوَلَيْتَهُ : فَإِنَّكَ قَدْ عَرَضْتَهُ لِمَلَكَةِ الدُّنْيَا وَبَوَارِ الْآخِرَةِ ، أَوْ شَرَفَ الدُّنْيَا وَحُظُوهَ الْآجِلَةِ ، إِنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ ، وَصَدَقَتْ رِوَيْتُهُ ، وَصَحَّتْ سِرِّيَّتُهُ وَسَلَطَ حَكَمُ اللَّهِ عَلَى رَعِيَّتِهِ ؛ مُطْلَقًا عَيْنَانَهُ ، مُنْقِذًا قَضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، حَامِلًا بُسُوتَهُ فِي شَرَائِعِهِ ، آخِذًا بِجُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ جُنْدِكَ بِحَيْثُ وَلَايَتِكَ ، الْجَارِيَةُ أَحْكَامُهُ عَلَيْهِمْ ، النَّافِذَةُ أَقْصِيَّتُهُ فَيَهْمُ ؛ فَاعْرِفْ مِنْ تَوَلَّيْهِ ذَلِكَ وَتُسْنِدِهِ إِلَيْهِ . ثُمَّ تَقَدَّمْ فِي طَلَائِكَ فَلَانِهَا أَوَّلُ مَكِيدَتِكَ ، وَرَأْسُ حَرْبِكَ ، وَدِعَامَةُ أَمْرِكَ ، فَاتَّخِذْ لَهَا مِنْ كُلِّ قَادَةٍ وَصَحَابَةٍ رِجَالًا ذَوِي نَجْدَةٍ وَبَأْسٍ ، وَصَرَامَةٍ وَخُبْرَةٍ ، حُمَاةَ كُفَاةٍ ، قَدْ صَلَّوْا بِالْحَرْبِ وَذَاقُوا بِجَاهِلَاهَا ، وَشَرِبُوا مِرَارَ كُثُوسِهَا ، وَتَجَرَّعُوا غُصَصَ دِيْنِيَّاهَا ؛ وَزَيَّنَتْهُمْ بِتَكَرُّرِ عَوَاطِفِهَا ، وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى أَصْعَابِ مَرَاكِبِهَا ، وَذَلَّلَتْهُمْ بِثِقَافِ أَوْدِيَّاهَا . ثُمَّ أَنْتَقِمْهُمْ عَلَى عَيْنِكَ ، وَأَخْرِضْ كُرَاعَهُمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَوَخَّ فِي أَنْتَقَامِكَ ظُهُورَ الْجَلْدِ ، وَشَهَامَةَ الْخِلْقِ ، وَكَيْلَ الْآلَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ دَوَابِهِمْ إِلَّا الْإِنَاثَ مِنَ الْخِيلِ الْمَهْلُوبَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ طَلْبًا ، وَأَنْجَى مَهْرَبًا ، وَالْأَيْنُ مَعْطَفًا ، وَأَبَدُ فِي الْفُتُوحِ غَايَةً ، وَأَصْبَرُ فِي مَعَرَكِ الْأَبْطَالِ إِقْدَامًا . وَخُذْهُمْ مِنْ السَّلَاحِ بِأَيْدَانِ الدُّرُوعِ ، مَازِيَّةِ الْحَدِيدِ ، شَائِكَةِ النَّسْجِ ، مُتَقَارِبَةِ الْخِلْقِ ، مُتَلَاحِجَةِ الْمَسَامِيرِ وَأَسْوَقِ الْحَدِيدِ ، مُمَوَّهَةِ الرِّكَبِ ، مُحْكَمَةِ الطَّنْبِ ، خَفِيفَةِ الصُّوْغِ ، وَسَوَاعِدِ طَبْعِهَا هِنْدِيٍّ ، وَصَوْنُهَا فَارِسِيٍّ ؛ رِقَاقُ الْمَعَاطِفِ بِأَكْثَفِ وَاقِيَةٍ وَعَمَلِ مُحْكَمٍ . وَيَأْتِيكَ الْبَيْضُ مُنْعَبَةً وَمُجَرَّدَةً ، فَارِسِيَّةَ الصُّوْغِ ، خَالِصَةً الْجَوْهَرِ ، سَابِغَةَ الْمَلَبَسِ ، وَاقِيَةُ الْجَنْحِ ، مُسْتَدِيرَةُ الطَّنْبِ ، مُبْهَمَةُ السَّرْدِ ، وَاقِيَةُ الْوِزْنِ كَثْرَتِكَ النَّعَامِ فِي الصَّنِيعَةِ وَأَسْتَدَارَةِ التَّقْيِيبِ ، وَأَسْتَوَاءِ الصُّوْغِ ، مُعَلِّمَةٌ بِأَصْنَافِ

(١) فِي "مِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ" وَفِيهِ بِحَيْثُ وَلَايَتِكَ وَفِي الْمَوْضِعِ الْجَارِيَةِ اِخْلُ تَامِل .

الحرير والوان الصبغ، فإنها أهيب لمؤدوم، وأفت لأعضاء من لقيهم، والملعح مخش
محذور، له بديهة رادعه، وهيبة هائلة، معهم السيوف الهندية، وذكور البيض
اليمانية، رقائق الشفقات، مستونة الشخذ، مشطبة الضرائب، معتدلة الجواهر،
صافية الصفايح، لم يَدْخُلْها وَهْن الطبع، ولا عَابَهَا أَمْتُ الصَّوْغ، ولا شَانَهَا خِفَّة
الوزن، ولا قَدَحَ حَامِلُهَا بُهْرُ الثَّقَل، قد أشرعوا لَدُنَّ لِقْنَا، طَوَالَ اِهْوَادِي،
مَقُومَاتِ الْاَوْد، زُرُقِ الْاِسْتِ، مَسْتَوِيَةِ الثَّعَالِبِ، وَمِيْضُهَا مَتَوَقَّدٌ، وَمِسْخُهَا^(١)
مَتَلَهَّبٌ، مَعَاقِصُ عُقْدِهَا مَنُحَوْتَةٌ، وَوُصُومُ اَوْدِهَا مَقُومَةٌ، وَأَجْنَاسُهَا مُخْتَلِفَةٌ،
وَكُفُوبُهَا جَمْعَةٌ، وَعُقْدُهَا حِكْمَةٌ، شَطْبَةُ الْاَسْنَانِ، مُؤَهَّةُ الْاَطْرَافِ، مَسْتَحْتَةٌ
الْجَنَبَاتِ، دِقَاقُ الْاَطْرَافِ، لَيْسَ فِيهَا اَلْتَوَاءُ اَوْدٌ، وَلَا اَمْتُ وَصْمٌ، وَلَا بَهَا مَسْقَطٌ
عَيْبٌ، وَلَا ضَرْبٌ اَوْقُوعٌ اَمْنِيَّةٌ، مَسْتَحْقِي تَكَاثُرِ النَّبْلِ وَقِيَمِي الشَّوْطِ وَالنَّبْعِ،
اَعْرَاضِيَةِ التَّعْقِيبِ، رُومِيَةِ النَّصُولِ، مَسْمُومَةُ الصَّوْغِ، وَلَتَكُنْ سِهَامُهَا عَلَى نَحْسِ
قَبَضَاتِ سِوَى النَّصُولِ، فَإِنَّمَا اَلْبَلْغُ فِي الْعَايَةِ، وَأَنْفَعُ الدَّرُوعِ، وَأَشَدُّ فِي الْحَدِيدِ،
سَامِعِينَ حَقَائِمِهِمْ عَلَى مُتَوْنِ خِيُولِهِمْ، مَسْتَخْفِينَ مِنَ الْآلَةِ وَالْأَمْتَةِ وَالزَّادِ [إِلَّا مَا لَا
غَنَاءَ بِهِمْ عَنْهُ]^(٢) .

وَأَحْذَرُ أَنْ يَكِلَ مَبَاشَرَةَ عَرَضِهِمْ وَأَتَخَابَهُمْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَعْوَانِكَ وَجُنَّاكَ : فَإِنَّكَ
إِنْ وَكَلْتَهُ إِلَيْهِمْ أَضَعْتَ مَوَاضِعَ الْحَزْمِ، وَقَرَطْتَ حَيْثُ الرَّأْيُ، وَوَقَفْتَ دُونَ عَزَمِ
الرَّوِيَّةِ، وَدَخَلَ عَمَلُكَ ضِيَاعُ الْوَهْنِ، وَخَلَصَ إِلَيْكَ عَيْبُ الْحَابَاةِ، وَنَالَهُ فُسَادُ

(١) الثعلب طرف الرخ الداخِل في جبة السنان، وفي "مفتاح الأفكار" وغيره «ومثلها مطلب» .

(٢) في الأصول والمفتاح بالثنين والقَاء ولم تقف له على معنى مناسب .

(٣) الزيادة عن "مفتاح الأفكار" ص ٢٥١ .

المداينة، وغلب عليه مَنْ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ طليعةً للساميين ولا عُدَّةً ولا حصناً يَدْرُونَ به، ويكتفون بموضعه، والطلائعُ حصونُ المسادين وعيونهم، وهم أولُ مكيدتك، وعُروَةُ أَمْرِكَ، وزيماُ حَرْبِكَ. فليكنَ أَعْتَاؤُكَ بِهِمْ، وَأَنْتَقَاؤُكَ إِيَّاهُمْ بحيثُ هم من مِثْمَ عَمَلِكَ، ومكيدةِ حَرْبِكَ؛ ثم أُنْتَخِبْ لِلْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ رُجُلًا بَعِيدَ الصَّوْتِ، مشهورَ الْأَسْمِ، ظاهرَ الْفَضْلِ، نَبِيهَ الذِّكْرِ؛ لَهُ فِي الْعُدُوِّ وَقَعَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ، وَأَيَّامٌ طَوَالٌ وَصُّوْلَاتٌ مُتَقَدِّمَاتٌ؛ قَدْ عُرِفَتْ نِكَايَتُهُ، وَحُذِرَتْ شَوْكَتُهُ، وَهَيَبَ صَوْتُهُ، وَتَنَكَّبَ لِقَاؤُهُ؛ أَمِينَ السَّرِيَةِ، نَاصِحَ الْجَنَبِ؛ قَدْ بَلَوْتَ مِنْهُ مَا يُسَيِّجُكَ إِلَى نَاحِيَتِهِ: مِنْ لَيْنِ الطَّاعَةِ، وَخَالِصِ الْمَوَدَّةِ، وَرَكَائَةِ الصَّرَامَةِ، وَغُلُوبِ الشَّهَامَةِ، وَاسْتِجَابِ الْقُوَّةِ، وَحَصَافَةِ التَّدْيِيرِ. ثُمَّ تَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حُسْنِ سِيَاسَتِهِمْ، وَأَسْتِزَالِ طَاعَتِهِمْ، وَاجْتِلَابِ مَوَدَّاتِهِمْ، وَأَسْتِعْذَابِ ضَمَائِرِهِمْ؛ وَأَجْرِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ أَرْزَاقًا تَسْمُهُمْ، وَتُجَدُّ مِنْ أَطْعَامِهِمْ سِوَى أَرْزَاقِهِمْ فِي الْعَامَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَّةِ لَكَ عَلَيْهِمْ، وَالْإِسْنَامَةُ إِلَى مَا قَبْلَهُمْ.

وَأَعْلَمْ أَنَّهُمْ فِي أَمْرِ الْأَمَّا كُنْ لَكَ، وَأَعْظِمِهَا غَنَاءَ عَنكَ وَعَمَّنْ مَعَكَ؛ وَأَقْبِعِهَا كَبْتَنَا مُحَادَّكَ، وَأَشْجِأَهَا غَيْظًا لَعْدُوكَ؛ وَمَنْ يَكُنْ فِي الثِّقَّةِ، وَالْجَلَدِ، وَالْبَأْسِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالْعُدَّةِ، وَالنَّجْدَةِ حَيْثُ وَصَفَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرَكَ بِهِ، يَضَعُ عَنكَ مَكُونَةَ الْهَمِّ، وَيُرْخِ مِنْ خِيفَتِكَ رَوْعَ الْخُوفِ، وَتَنْتَجِي إِلَى أَمْرِ مَنِيْعٍ، وَظَهَرِ قُوَّةٍ، وَرَأْيٍ حَازِمٍ، تَأْمَنُ بِهِ بَقَايَتُ عَدُوِّكَ، وَغِرَّاتُ بَنَاتِهِمْ، وَطَوَارِقُ أَحْدَاثِهِمْ؛ وَيَصِيرُ إِلَيْكَ عِلْمُ أَحْوَالِهِمْ، وَمَتَقَدِّمَاتُ خُبُورِهِمْ؛ فَاتَّقِمْهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ، وَقُوَّهُمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الْمَنَالَاتِ وَالْأَطْعَامِ وَالْأَرْزَاقِ، وَاجْعَلْهُمْ مِنْكَ بِالْمَثَرِ الَّذِي هُمْ بِهِ مِنْ تَحَارِزِ حِلَاقَتِكَ، وَحَصَانَةِ كَهْوَفَتِكَ، وَقُوَّةِ سَيَارَةِ عَسْكَرِكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُدْخِلَ فِيهِمْ أَحَدًا بِشِفَاعَةٍ، أَوْ تَحْتَمِلَهُ عَلَى هَوَادَةٍ، أَوْ تَهْدِمَهُ لِأَثَرَةٍ؛ أَوْ أَنْ يَكُونَ

مع أحد منهم بقل ثقل ، أو فضل من الظهر ، أو ثقل فادح ، فتشتد عليهم مشونة أنفسهم ، ويدخلهم كلال السامة فيما يعالجون من أفعالهم ، ويستغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه رافع ، أو يخافهم منه طليعة . فتفقد ذلك محكك له ، وتقدم فيه أخذا بالحزم في إرضائه ، أرشدك الله لإصابة الحظ ، ووفقك لئمن التدبير ، وقصد بك لأسهل الرأي وأعوذ نفعا في العاجل والآجل ، وأكتبه لعلوك وأنجاء لهم ، وأردعه لعاديتهم .

وللدراسة عسكري وإخراج أهله إلى مصافهم ومرأيتهم رجلا من أهل بيوتات الشرف ، محمود الخبرة ، معروفا بالنجدة ، ذا سن وتجربة ، لئلا الطاعة ، قديم النصيحة ، مأمون السرية ، له بصيرة بالحق نافذة تقدمه ، ونية صادقة عن الإدهان تشجيره . وأضحى إليه علة نقر من ثقات جنتك وذوى أستانهم يكونون شرطه معه ، ثم تقدم إليه في إخراج المصاف ، وإقامة الأحرار ، وإذكاء العيون ، وحفظ الأطراف ، وشدة الحذر ، ومرة فليضج القواد بأنفسهم مع أصحابهم في مصافهم ، كل فائد بإزاء مكانه ، وحيث منزله ، قد سدد ما بينه وبين صاحبه بالرمح شارعة ، والترسة موضونة ، والرجال راصدة ، ذاكية الأحرار ، وجلة الرزع ، خاتمة طوارق العدو وبياته . ثم مره فليخرج كل ليلة قائدا في أصحابه أو علية منهم إن كانوا كثيرا ، على غلوة أو اثنتين من عسكري ، متبدا عنك محيطا بمنزلك ، ذاكية أحراره ، قلقة التردد ، مقرطة الحذر ، معدة للزوع ، متأهبة للقتال ، آخذة على أطراف المعسكر ونواحيه ، متفرقين في اختلافهم كدوسا كدوسا ، يستقبل بعضهم بعضا [في الاختلاف] ^(١) ويكسع تال متقدما في التردد ، وأجمل ذلك بين قوادك وأهل

عسرك نوباً معروفة ، وحِصصاً مفروضة ، لا تُعَرِّمُهَا مُزْدَلِفًا مِنْكَ بِمَوَدَّةٍ ،
ولا تُحَامِلُ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ بِمَوْجِدَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَوْضَ إِلَى أَمْرَاءِ أَجْنَادِكَ وَقَوَادِ خَيْلِكَ أُمُورَ أَصْحَابِهِمْ ، وَالْأَخَذَ عَلَى قَافِيَةِ أَيْدِيهِمْ ،
رِيَاضَةً مِنْكَ لَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرَانِهِمْ ، وَالِاتِّبَاعِ لِأَمْرِهِمْ ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ
تَهْيِيمِهِمْ ، وَقَدَمَهُ إِلَى أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ فِي النَوَائِبِ الَّتِي أَلَزَمَتْهُمْ لِأَهْلَائِهَا ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي
أَسْتَجَدَّتْهُمْ لَهَا ، وَالْأَسْلِحَةِ وَالْكِرَاعِ الَّتِي كَتَبَتْهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَأَحْذَرِ اعْتِلَالَ أَحَدٍ مِنْ
قَوَادِكَ عَلَيْكَ بِمَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَأْدِيبِ جُنُودِكَ ، وَقَوِّمِهِمْ لَطَاعَتِكَ ، وَقَعْمِهِمْ عَنِ
الِإِخْلَالِ بِمَرَأَتِهِمْ لَشَيْءٍ مِمَّا وَكَلُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلْجُنْدِ ، مَفْئَاةٌ
لِلْقَوَادِ عَنِ الْحَدِّ وَالِإِثَارِ لِلنَّاصِحَةِ ، وَالتَّقَدُّمِ فِي الْأَحْكَامِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ فِي اسْتِخْفَافِهِمْ بِقَوَادِمِ وَتَضْيِيعِهِمْ أَمْرَ رُؤَسَائِهِمْ دُخُولًا لِلضِّيَاعِ عَلَى
أَعْمَالِكَ ، وَاسْتِخْفَافًا بِأَمْرِكَ الَّذِي يَأْتُمُّونَ بِهِ وَرَأْيِكَ الَّذِي تَرْتَبِي . وَأَوْعِزْ إِلَى الْقَوَادِ
أَنْ لَا يُقَدِّمَ أَحَدُهُمْ عَلَى عِقَابِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، إِلَّا عِقَابَ تَأْدِيبٍ فِي تَقْوِيمِ مِثْلٍ ،
وَتَتَقِيفِ أَوْدٍ ؛ فَمَا عِقَابُهُ يُبْلَغُ تَلَفَ الْمُتَهَبَةِ وَإِقَامَةُ حَدٍّ فِي قَطْعِ ، أَوْ إِفْرَاطٍ فِي ضَرْبِ
أَوْ أَخْذِ مَالٍ ، أَوْ عِقَابُهُ فِي شَعْرٍ فَلَا يُلَيِّنُ ذَلِكَ مِنْ جُنْدِكَ أَحَدٌ غَيْرُكَ ، أَوْ صَاحِبُ
شُرْطَتِكَ بِأَمْرِكَ وَعَنْ رَأْيِكَ وَإِذْنِكَ ؛ وَبِمَنْ لَمْ تُدَلِّلِ الْجُنْدَ لِقَوَادِمِهِمْ ، وَتَضَرَّعَهُمْ
لِأَمْرَانِهِمْ ؛ تُوجِبُ لَهُمْ عَلَيْكَ الْحِجَةَ بِتَضْيِيعِ - إِنْ كَانَ مِنْهُمْ - لِأَمْرِكَ ، أَوْ خَلَلَ
- إِنْ تَأَوَّنُوا بِهِ - مِنْ عَمَلِكَ ، أَوْ عَجَزَ - إِنْ قَرَطَ مِنْهُمْ - فِي شَيْءٍ مِمَّا وَكَلْتَهُمْ بِهِ
أَوْ أَسْتَدْنَتْهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَلَا تَجِدْ إِلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهِمْ بِاللَّوْمِ وَعَصَّ الْعِقَابِ عَلَيْهِمْ بِحَازِرًا
تَصِلُ بِهِ إِلَى تَعْنِيفِهِمْ ؛ بِتَفْرِيطِكَ فِي تَذْلِيلِ أَصْحَابِهِمْ لَهُمْ ، وَإِفْسَادِكَ لِأَهْلِهِمْ عَلَيْكَ
وَعَلَيْهِمْ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا مُحْكَمًا ، وَتَقَدَّمْ فِيهِ بِرِفْقِكَ تَقَدُّمًا بَلِيغًا ؛ وَلِإِنَّكَ أَنْ

يُدْخِلُ حَرْكَ وَفَن، أَوْ يَسُوبَ عَزْمَكَ إِثَار، أَوْ يَحْطِطَ رَأْيَكَ ضِيَاع، وَاقِهِ يَسْتَوْدِعُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَكَ وَدِينَكَ .

إِذَا كُنْتَ مِنْ عُدُوكَ عَلَى مَسَافَةٍ دَانِيَةٍ وَسَنَ لِقَاءٍ مَخْتَصِرٍ، وَكَانَ مِنْ عَسْكَرِكَ
مُقْتَرِبًا قَدْ شَامَتْ طُلُوعُكَ مُقَدِّمَاتِ ضَلَالَتِهِ، وَحُجَاةُ فِتْنَتِهِ، فَتَاهَبْ أَهْبَةَ الْمُنَاجِزِ،
وَخُذْ أَعْتِدَادَ الْحَذَرِ، وَكُتِّبْ خِيُولُكَ، وَعَبَّ جُنُودُكَ، وَإِرَاكَ وَالْمَسِيرَ إِلَّا فِي مُقَدِّمَةِ
وَمُتَمِنَةِ وَمَهْمَرَةٍ وَسَاقَةٍ قَدْ شَهَرُوا الْأَسْلِحَةَ، وَنَشَرُوا الْبُودَ وَالْأَعْلَامَ، وَعَرَّفَ
جُنُودَكَ مَرَكَاهِمَ سَائِرِينَ تَحْتَ أَلْوِيَتِهِمْ، قَدْ أَخَذُوا أَهْبَةَ الْقِتَالِ، وَاسْتَعْمَلُوا لِلْقَاءِ
مُتَحَيِّينَ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، عَارِفِينَ بِمَوَاضِعِهِمْ فِي مَسِيرِهِمْ وَمَعَسِكَرِهِمْ . وَلَكِنْ تَرُدُّهُمْ
وَتَقْزِلُهُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَفِي مَرَكَاهِمَ، قَدْ عَرَفَ كُلُّ قَائِدٍ مِنْهُمْ أَصْحَابَهُ
مَوَاقِفَهُمْ : مِنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمِيسَرَةِ وَالْقَلْبِ وَالسَّاقَةِ وَالطَّلِيعَةِ، لِأَزْمَنِ لَهَا، ضَيْرُخَيْنِ
بِمَا اسْتَنْجَدُوا لَهُ، وَلَا مُتَهَاوِنِينَ بِمَا أُهَيِّبَ بِهِمْ إِلَيْهِ، حَتَّى تَكُونَ عَسَاكِرُكَ فِي مَنَهِلٍ
تَصِلُ إِلَيْهِ وَمَسَافَةٍ تَخْتَارُهَا كَأَنَّهَا عَسْكَرٌ وَاحِدٌ فِي أَجْتِمَاعِهَا عَلَى الْعُدُوِّ، وَأَخَذَهَا بِالْحَزَمِ،
وَمَسِيرَهَا عَلَى رَايَاتِهَا، وَزُؤُولَهَا فِي مَرَكَاهِهَا، وَمَعْرِفَتَهَا بِمَوَاضِعِهَا : إِنْ ضَلَّتْ دَابَّةٌ مِنْ
مَوَاضِعِهَا، عَرَفَ أَهْلُ الْعَسْكَرِ مِنْ أَيْ الْمَرَكَاهِ، وَمَنْ صَاحِبُهَا، وَفِي أَيْ
الْحَمْلِ حُلُولُهُ مِنْهَا فُرُتَتْ إِلَيْهِ، هَدَايَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِسَمْتِ صَاحِبِ قِيَادَتِهَا، فَإِنَّ تَقَدُّمَكَ
فِي ذَلِكَ وَإِحْكَامَكَ لَهُ طَارِحٌ مِنْ جُنُودِكَ مَثُونَةِ الطَّلَبِ، وَعِنَايَةُ الْمَعْرِفَةِ،
وَأَبْتِغَاءُ الضَّالَّةِ .

ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى سَاقَتِكَ أَوْتَقَ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فِي نَفْسِكَ صَرَامَةً وَقَانًا وَرِضًا فِي الْعَامَةِ،
وَإِنْصَافًا مِنْ نَفْسِهِ لِلرَّعِيَّةِ، وَأَخْذًا بِالْحَقِّ فِي الْمَعْلُومَةِ، مُسْتَشِيرًا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ بِ
أَخْذِ هَدْيِكَ وَأَدَبِكَ، وَاقْفَا عِنْدَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، مَعْتَرِمًا عَلَى مَبَاحِثِكَ وَتَرْبِيَتِكَ، نَظِيرًا

(١) لك في الحال ، وشيهاً بك في الشرف ، وعديلاً في الموضع ، ومقارياً في النسب ؛ ثم اكتنف معه الجمع ، وأيده بالقوة ، وقوّه بالظهر ، وأعنه بالأموال ، وأعزّه بالسلاح ، ومُرّه بالتعطّف على كَوِي الضعف من جندك ومن أزعجت به دابّته وأصابته نكبة : من مرض أو رُجلة أو آفة ، من غير أن يأذن لأحد منهم في التنحّي عن عسكره ، أو التخلّف بعد ترّحّله ، إلا لمجهود سقّا ، أو لمطروق باقية جاثية . ثم تقدّم إليه محذّراً ، ومُرّه زاجراً ، وأنه مُغلّظاً في الشدة على من مرّ به منصرفاً عن معسكر من جندك بغير جوازك ، شاداً لهم أسراً ، وموقّراً حديداً ، ومُعاقبهم موجعاً ، وموجههم إليك فتنةً عقوبةً ، وتجعلهم لغيرهم من جندك عظة .

وأعلم أنه إن لم يكن بذلك الموضع من تسكن إليه وانقأ بنصيبه قد بلوت منه أمانة تسخّك إليه ، وصرامة تؤمّنك مهاتته ، وتقاداً في أمرك يربّئ عنك خفاق الخلف في إضاعته - لم يأمن أمير المؤمنين تسأل الجند عنك لواداً ، ورفضهم مراكرهم ، وإخلاقهم بمواضعهم ، وتخلّفهم عن أعمالهم ، آمين تغيير ذلك عليهم ، والشدة على من أجترمه منهم ، فأوشك ذلك في وهتك ، وسخل من قوتك ، وقلّ من كثرتك .

اجعل خلف ساقك رجلاً من وجوه قوادك ، جليداً ، ماضياً ، عفيفاً ، صارماً ، شهيم الرأي ، شديد الحذر ، شكيم القوة ، غير مداهن في عقوبة ، ولا ميهين في قوة ، في خمسين فارساً يحشُرُ إليك جُندك ، ويُلحق بك من تخلّف عنك بعد الإبلاغ في عقوبتهم ، والنّكاح لهم والتّكيل بهم . وليكنّ بعقوتك في المنزل الذي ترّحل عنه ، والمنهل الذي تنقوض منه ، مُنرطاً في النقيض له ، والتّتبّع لمن تخلّف عنك به ؛

مشتتاً في أهل المنزل وساكنيه بالتقتم، موعزاً إليهم في إزعاج الجند عن منازلهم، وإخراجهم عن مكائهم، وإبعاد العقوبة الموجبة والنكال المبسل في الأشعار والأبشار، وأستصفاء الأموال وهشم العقار لمن أوى منهم أحداً أو ستر موضعه، أو أخفى محله. وحذره عقوبتك إياه في الترخيص لأحد، والمحابة لدى قرابة، والاختصاص بذلك لدى أثرة وهوادة. ولتكن فرسانه متحيين في القوة، معروفين بالنجدة، عليهم سوابغ الدروع دونها شعار الحشو وجبب الاستيجان، متقلدين سيوفهم، سامطين كائهم، مستعدين لميخ إن بدهم [أو كين إن يظهر لهم^(١)]. وإياك أن تقبل منهم في دوائهم إلا فرساً قوياً أو برذونا ويحياً: فإن ذلك من أقوى القوة لهم، وأعون الظهري على عدوهم، إن شاء الله.

ليكن رحيلك إباناً واحداً، ووقتاً معلوماً: لتخف المشونة بذلك على جندك، ويعلموا أوان رحيلهم، فيقدّموا فيما يريدون من معالجة أطعمتهم، وأغلاف دوائهم، وتسكرن قلوبهم إلى الوقت الذي وقفوا عليه، ويطمئن ذوو الرأي إلى إبان الرحيل، ومي يكن رحيلك مختلفاً، تعظم المشونة عليك وعلى جندك ولا يزال ذوو السلفه [والترقى^(١)] يترحلون بالإرجاف وينزلون بالنوم، حتى لا يتفزع ذو رأي بنوم ولا علماً بينة.

إياك أن تظهر استيغلا، أو تسادى برحيل من منزل تكون فيه، حتى تأمر صاحب تعينك بالوقوف بأصحابه على معسكرك أخذاً بيمينتي فوهته، بأسلحتهم عدة لأمر إن حضر، أو مفاجأة من طليعة للعدو إن رأت منك نهزة، أو لمحت عندهم غيرة. ثم مر الناس بالرجل وخيلك واقفة، وأهبتك معدة، وجنتك

(١) الزيادة عن «مفتاح الأفكار» وغيره.

واقية، حتى إذا استقلتم من معسكركم، وتوجهتم من منزلكم، سرتهم على تعبتكم
بُسكون ربح، وهنؤ حنلة، وحسن دعة. فإذا انتهت إلى منزل أردت نزوله
أو همت بالمعسكر به، فأياك ونزوله إلا بعد العلم بأهله، والمعرفة بمراقبه، ومز
صاحب طلبتلك أن يعرف لك أحواله، ويستثير لك علم دفينه، ويستيطن علم
أمره ثم ينهيها إليك على ماصارت إليه: لتعلم كيف احتاله لسركك، وكيف ماؤه
وأغلافه وموضع معسكرك منه، وهل لك - إن أردت مقاماً به، أو مطاولة عدوك
أو مكايده فيه - قوة تحلك ومدد يأتيه: فإلك إن لم تفعل ذلك، لم تأمن أن تهجم
على منزل يعجزك ويزعجك عنه ضيق مكانه، وقلة مياهه، وأقطاع موائده،
إن أردت بعلوك مكيدة، أو احتجت من أمورهم إلى مطاولة. فإن ارتحلته منه
كنت غرضاً لعدوك، ولم تجد إلى الحاربة والاختار سبيلاً، وإن أقت به أقت على
مشقة وحضر وفي أزل وضيق، فاعرف ذلك وتقدم فيه. فإن أردت نزولاً أمرت
صاحب الخيل التي وكلت بالناس فوقفت خيله متحجة من معسكرك، عدة لأمر
إن غالك، ومقرعاً ليليه إن راعتك، فقد أمنت بحمد الله وقوته بقاء عدوك،
وعرفت موقعها من حركك، حتى يأخذ الناس منازلهم، وتوضع الأثقال مواضعها،
ويأتيك خبر طلائعك، ويخرج دبابتك من معسكرك دراجة ودباباً محيطين بمعسكرك،
وصدة إن احتجت إليها. ولكن دبابات جنديك أهل جلد وقوة، قائداً أو اثنين
أو ثلاثة بأصحابهم، في كل ليلة ويوم نوبا بينهم، فإذا غربت الشمس ووجب
نورها، أخرج إليهم صاحب تعبتك أبتاهم، عسّاً بالليل في أقرب من مواضع
دبابي النهار، يتجاوز ذلك قوادك جميعاً بلا محابة لأحد فيه ولا إذهان.

إياك وأن يكون منزلك إلا في خندق وحصن تأمن به بيات عدوك وتستقيم فيه
إلى الحزم من مكيدتك إذا وضعت الأثقال وحطت أبنية أهل المعسكر، لم يمدد

طُئِبَ ، ولم يُرْفَع خِباء ، ولم يُنْصَب بناءٌ حتى تَقَطَّعَ لِكُلِّ قَائِدٍ ذَرْعًا مَعْلُومًا مِنْ
الأَرْضِ بِقَدْرِ أَصْحَابِهِ ، فَيُخْفِرُوهُ عَلَيْهِمْ خَنْدَقًا يُطِيقُونَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَنْدَاقِ الْحَسَكِ ،
طَارِحِينَ لَهَا دُونَ أَشْجَارِ الرَّمَاكِ ، وَنُصَبَ التَّرْسَةُ ، لَهَا بَابَانِ قَدْ وَكَلَتْ بِحِفْظِ كُلِّ بَابٍ
مِنْهُمَا رَجُلَانِ مِنْ قُوَادِكِ فِي مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَإِذَا فُرِغَ مِنَ الْخَنْدَقِ كَانَ ذَانِكَ
الرَّجُلَانِ الْقَائِدَانِ بَيْنَ مَعْمَا مِنْ أَصْحَابِهِمَا أَهْلَ ذَلِكَ الْمَرْكَزِ ، وَمَوْضِعِ تِلْكَ الْخِيلِ ،
وَكَانُوا هُمُ الْبَوَايِينَ وَالْأَحْرَاسَ لِذَيْنِكَ الْمَوْضِعَيْنِ ، قَدْ كَفَّوْهُمَا وَضَبَطَوْهُمَا وَأَعْفَوْا مِنْ
أَعْمَالِ الْعَسْكَرِ وَمَكْرُوهِهِ خَيْرَهُمَا .

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ فِي خَنْدَقٍ ، أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ طَوَارِقَ عَدُوِّكَ وَبَقَائِهِمْ ،
فَإِنْ رَامُوا تِلْكَ مِنْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْكَمْتَ ذَلِكَ وَأَخَذْتَ بِالْحَزْمِ فِيهِ ، وَتَقَدَّمْتَ
فِي الْإِعْدَادِ لَهُ ، وَرَبَقْتَ مَخْرُوفَ الْفَتْحِ مِنْهُ ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْعَاقِبَةُ أَسْمَحَتْ حَمْدَ اللَّهِ
عَلَيْهَا ، وَارْتَبَطَتْ شُكْرُهُ بِهَا ، وَلَمْ يَضُرَّكَ أَخْذُكَ بِالْحَزْمِ : لِأَنَّ كُلَّ كُفْلَةٍ وَنُصَبٍ
وَمَثُونَةٍ إِنْ سَاقَ وَمَشَقَّةٍ عَمِلَ مَعَ السَّلَامَةِ غُتْمٌ وَغَيْرُ خَطَرٍ بِالْعَاقِبَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَإِنْ أَبْتَلَيْتَ بَيِّنَاتِ عَدُوِّكَ أَوْ طَرَفَكَ رَائِعًا فِي لَيْلِكَ ، فَلْيَلْفِكَ حَذَرًا مُشْمَرًا عَنْ
سَاقِكَ ، حَاسِرًا عَنْ ذِرَاعِكَ ، مَتَشَرِّزًا لِحَرْبِكَ ؛ قَدْ تَقَدَّمْتَ دَرَجَتَكَ إِلَى مَوَاضِعِهَا
عَلَى مَا وَصَفَهُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَبَّابَتِكَ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَّرَكَ ، وَطَلَّامُكَ حَيْثُ
أَمْرُكَ ، وَجُنْدُكَ عَلَى مَا عَجَبًا لَكَ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِكَ ؛ وَتَقَدَّمْتَ إِلَى جُنْدِكَ
إِنْ طَرَقَهُمْ طَارِقٌ ، أَوْ فَاجَأَهُمْ عَدُوٌّ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَافِعًا صَوْتَهُ بِالْكَبِيرِ مُتَرَفِّعًا
فِي الْإِجْلَابِ ، مُعَلِّينًا بِالْإِرْهَابِ لِأَهْلِ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْعَدُوُّ طَارِقًا ، وَلِيُشْرِعُوا رِمَاحَهُمْ
نَاشِئِينَ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ ، وَيَرْشُقُونَهُمْ بِالنَّبْلِ مُكْتَنِينَ بِأَرْسِيَّتِهِمْ ، لِأَزْمِينِ لَمَّا كَرِهَ ،

(١) فِي الْفَتْحِ وَغَيْرِهِ « مَلْبَدِينَ تَرْسَهُمْ » وَفِي الْأَمَلِ أَرْسَهُمْ وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ لَا يُقَالُ أَرْسَةُ زَوَانٍ
أَرْضَةٌ وَإِنَّمَا جَمْعُ التَّرْسِ تَرْسَةٌ وَتَرَسٌ وَتَرَسٌ وَدَبَّابٌ قِيلَ أَرَسَ خُفْيَةً .

غير مُزِيلٍ قَدَمٍ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَلَا مُتَجَاوِزِينَ إِلَى غَيْرِ مَرَكَبِهِمْ . وَلْيُكَبِّرُوا ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ وَسَائِرَ الْجُنْدِ هَادُونَ ، لَتَعْرِفَ مَوْضِعَ عَدُوِّكَ مِنْ مُعَسِّكَ ، قُبَيْدَ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ بِالرَّجَالِ مِنْ أَعْوَانِكَ وَشُرَطَتِكَ ، وَمَنْ أَتَخَبَّتْ قَبْلَ ذَلِكَ عُدَّةٌ لِلشَّدَائِدِ بِمَحْضَرَّتِكَ ، وَيَتَدَسَّ إِلَيْهِمُ النَّشَابُ وَالرَّمَاحُ .

وإِيَّاكَ وَأَنْ يَشْهَرُوا سَيْفًا يَتَجَالَدُونَ بِهِ . وَتَقَدِّمُ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكُونَ قِتَالُهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ لَمْ تَطْرُقْهُمْ إِلَّا بِالرَّمَاحِ مُسْنِدِينَ لَهَا إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَالنَّشَابِ رَاشِقِينَ بِهِ وَجُوهَهُمْ ؛ قَدْ أَلْبَدُوا بِالْأَثَرِيسَةِ ، وَاسْتَجَنُوا بِالْيَيْضِ ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِمْ سَوَابِغَ الدَّرُوعِ وَجِبَابِ الْحَشَوِ ؛ فَإِنْ صَدَّ الْعَدُوُّ عَنْهُمْ حَامِلِينَ عَلَى جِهَةِ [أَنْرَى ، كَبَر] أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا كَيْفَعُ النَّاحِيَةِ الْأُولَى ، وَبَقِيَّةُ الْمُسْكِرِ سَكُوتٌ وَالنَّاحِيَةُ الَّتِي صَدَّ عَنْهَا الْعَدُوُّ لَازِمَةٌ مَرَاكِبِهِمْ مُشْتَطِقَةُ الْمَدُوسَا كِبَةُ الرِّيحِ ، ثُمَّ عَمِلَتْ فِي تَقْوِيَتِهِمْ وَامْتِدَادِهِمْ بِمَثَلِ صَنِيعِكَ فِي إِخْوَانِهِمْ .

وإِيَّاكَ أَنْ تُنْجِدَ نَارَ رَوَاقِكَ [وَإِذَا وَقَعَ الْعَدُوُّ فِي مُعَسِّكَ نَاجَيْتُهَا سَاعِرًا لَهَا وَأَوْقَدْتُهَا حَطْبًا جَزَلًا يَعْرِفُ بِهِ أَهْلَ الْعَسْكَرِ مَكَانَكَ وَمَوْضِعَ رَوَاقِكَ] ^(١) فَيَسْكُنُ نَافِرُ قُلُوبِهِمْ ، وَيَقْوَى وَاهِي قُوَّتِهِمْ ؛ وَيَشْتَدُّ مُنْخَلِلُ ظُهُورِهِمْ ، وَلَا يَرْتَجِمُونَ بِكَ الظُّنُونِ ، وَيَجْعَلُونَ لَكَ آرَاءَ السُّوءِ ، وَيُرْجِفُونَ بِكَ آثَاءَ الْخَوْفِ ، وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ رَادُّ عَدُوِّكَ بِنِظَالِهِ لَمْ يَسْتَقْبَلْ مِنْكَ طُعْفًا ، وَلَمْ يَلْغُ مِنْ نِكَايَتِكَ سُورًا . وَإِنْ أَنْصَرَفَ عَنْكَ عَدُوُّكَ وَنَكَلَ عَنِ الْإِصَابَةِ مِنْ جُنَّتِكَ وَكَانَتْ بِجَيْسِكَ قُوَّةٌ عَلَى طَلَبِهِ أَوْ كَانَتْ لَكَ مِنْ قُرْسَانِكَ خَيْلٌ مُعَدَّةٌ وَكِتَابَةٌ مُتَخَبَّةٌ ، [وَأَقْدَرْتَ عَلَى أَنْ تَرْكَبَ بِهِمْ أَكْسَامَهُمْ ، وَتَجْلِهَ لِهِمْ عَلَى سَنَنِهِمْ ؛ فَاتَّبَعَهُمْ جَرِيدَةً خَيْلٍ عَلَيْهَا الثَّقَاتُ مِنْ قُرْسَانِكَ ، وَأَوَّلُوا التَّجْدَةَ مِنْ جُمَانِكَ ؛ فَإِنَّكَ تَرَهَّقُ عَدُوُّكَ وَقَدْ آمَنَ مِنْ بَيَّاسَتِكَ ، وَشُغِلَ بِكَلَالِهِ عَنِ التَّحَرُّزِ

(١) الزيادة من مفتاح الأفكار وفيه من سقطات النسخ كما لا يخفى .

منك والَاخْذِ بِأَبْوَابِ مَعْسَكَه ، وَالضَّبْطِ لِمَحَارِسِهِ عَلَيْكَ ، مُوهِنَةً حُمَاتِهِمْ لَغِيبةِ
أَبْطَالِهِمْ : لِمَا أَفْقَوْكُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّشْمِيرِ وَالْخَدِّ ، قَدْ عَفَا اللَّهُ فِيهِمْ ، وَأَصَابَ مِنْهُمْ ،
وَجَرَحَ مِنْ مَقَاتِلَتِهِمْ ، وَكَسَرَ مِنْ أَمَانِي ضُلَّالِهِمْ ، وَرَدَّ مِنْ مُسْتَعْلَى جَمَاحِهِمْ .

وَتَقَدَّمَ إِلَى مَنْ تَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِمْ ، وَتُبِعَهُ أَكْسَامُهُمْ : فِي سُكُونِ الرِّيحِ ، وَقِلَّةِ الرِّفْتِ ،
وَكَثْرَةِ التَّسْيِيعِ وَالتَّهْلِيلِ ، وَأَسْتَنْصَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالسَّيْتِمْ وَقُلُوبِهِمْ سِرًّا وَجَهْرًا ،
بَلَا بَلَحِبِ صَجَّةٍ ، وَلَا أَرْتَفَاجِ ضَوْضَاءٍ ؛ دُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَى مَطْلَبِهِمْ ، وَيَتَهَيَّزُوا فُرْصَتَهُمْ .
ثُمَّ لَيْشَهَرُوا السَّلَاحَ ، وَيَنْتَضُوا السُّيُوفَ ، فَإِنَّ لَهَا هَيْبَةً رَائِعَةً ، وَبَيْهَةً مَخُوفَةً ،
لَا يَقُومُ لَهَا فِي هَيْمَةِ اللَّيْلِ وَحِنْدِسِهِ إِلَّا الْبَطْلُ الْمُحَارِبُ ، وَدُوهُ الْبَصِيرَةُ الْحَامِي ،
وَالْمُسْتَمِيتُ الْمُقَاتِلُ ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ عِنْدَ تِلْكَ الْحَيْبَةِ وَفِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

لَيْكُنْ أَوَّلَ مَا نَتَقَدَّمُ بِهِ فِي التَّهَيُّؤِ لِمُدُوكَ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِقَائِهِ ، أَتَقْبَاطُكَ مِنْ فُرْسَانِ
عَسَاكِرِكَ وَحُمَاةِ جُنُودِكَ ذَوِي الْبَاسِ وَالْحُنُكَةِ وَالْجَلَدِ وَالصَّرَامَةِ ، مِمَّنْ قَدْ أَعْتَادَ
طِرَادَ الْكُفَاةِ ، وَكَثُرَ عَنْ نَاجِزِهِ فِي الْحَرْبِ ، وَقَامَ عَلَى سَاقٍ فِي مُنَازَلَةِ الْأَقْرَابِ ،
تَقَفَّ الْفُرُوسِيَّةَ ، بِجَمِيعِ الْقُوَّةِ ، مُسْتَحْصِدَ الْمَرِيرَةِ ، صَبُورًا عَلَى هَوْلِ اللَّيْلِ ، عَارِفًا
بِمُنَازَرَةِ الْفَرَسِ ؛ لَمْ تَمْنَحْهُ الْحُنُكَةَ ضَعْفًا ، وَلَا بَلَعَتْ بِهِ السَّنَّ كَلَالًا ، وَلَا أَسْكُرَتْهُ
غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ جَهْلًا ، وَلَا أَبْطَرَتْهُ نَجْدَةُ الْأَغْصَارِ صَلَافًا ، جَرِيئًا عَلَى غَاظَرَةِ التَّلَفِ ،
مُقَدِّمًا عَلَى أَدْرَاعِ الْمَوْتِ ، مُكَارِرًا لِمَهْيَبِ الْهَوْلِ ، مَبْتَحِمًا مَخْشَى الْخُتُوفِ ، خَاضِعًا
عَمَرَاتِ الْمَهَالِكِ ؛ بِرَأْيِ يَوْيَدِهِ الْحَزْمِ ، وَنِيَّةِ لَا يَخَالُجُهَا الشُّكُّ ، وَأَهْوَاءِ جَمْعِيَّةِ ،
وَقُلُوبِ مُؤْتَلِفَةٍ ؛ عَارِفِينَ بِفَضْلِ الطَّاعَةِ وَعِزِّهَا وَشَرَفِهَا ، وَحَيْثُ مَحَلُّ أَهْلِهَا مِنْ
التَّايِيدِ وَالظُّفْرِ وَالتَّمَكُّنِ ، ثُمَّ أَعْرِضْهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ عَلَى كُرَاعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ . وَلْيَكُنْ
دَوَاهِيهِمْ إِنْثَ عِشَاقِ الْخَيْلِ ، وَأَسْلِحَتُهُمْ سِوَايَ الشُّرُوعِ وَكَمَالِ آلَةِ الْمُحَارِبِ ، مُتَقَلِّدِينَ

سُيُوفِهِمِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنْ جَيْدِ الْجَوْهَرِ وَصَافِي الْحَدِيدِ، الْمُنْتَخِرَةِ مِنْ مَعَادِنِ الْأَجْنَسِ،
هِنْدِيَّةِ الْحَدِيدِ يَمَانِيَةِ الطَّنَجِ، رِقَاقِ الْمَضَارِبِ، مَسْمُومَةِ السَّحْدِ، مُشْطَبَةِ الضَّرِيَّةِ؛
مُلْبِدِينَ بِاللَّرْسَةِ الْفَارَسِيَّةِ، صَبِيئَةِ الثَّقِيبِ، مُعَلِّمَةِ الْمَقَارِيزِ بِحَلْقِ الْحَدِيدِ، أُنْحَاؤُهَا
مَرْبُوعَةٌ، وَمَحَارِزُهَا بِالْجِلْدِ مُضَاعَفَةٌ، تَحْمِلُهَا مَسْتَخَفٌ؛ وَكَثَائِنُ النَّبْلِ وَجِبَابُ الْفَيْسِ
قَدْ اسْتَحْبَبُوهَا، وَبِئْسَى الشَّرِيانَ وَالْبَنَعَ أَعْرَاسِيَّةَ الصَّنْعَةِ، مَخْتَلِفَةُ الْأَجْنَسِ، عَمَكَةُ
الْعَمَلِ، مُقَوِّمَةُ الثَّقِيفِ؛ وَنُصُولُ النَّبْلِ مَسْمُومَةٌ، وَعَمَلُهَا مَصْبِيئِيٌّ، وَتَرْكِيبُهَا
عِرَاقِيٌّ، وَتَرْيِيشُهَا بَدْوِيٌّ؛ مَخْتَلِفَةُ الصُّوْغِ فِي الطَّنَجِ، شَتَّى الْأَعْمَالِ فِي التَّشْطِيبِ
وَالْتَجْنِيعِ وَالْإِسْدَادَةِ. وَلِتَكُنِ الْفَارَسِيَّةُ مَقْلُوبَةُ الْمَقَارِيزِ، مَنْسِطَةُ السَّيَةِ،
سَهْلَةُ الْإِنْعِطَافِ، مُقَرَّبَةُ الْإِنْحِنَاءِ، مُمَكِّنَةُ الْمَرْحَى، وَاسِعَةُ الْأَسْهُمِ؛ فُورُضَا سَهْلَةُ
الْوُرُودِ، وَمِعَاطِفُهَا غَيْرُ مَقْتَرِبَةِ الْمَوَاتَاةِ. ثُمَّ وَلَّ عَلَى كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ
خَاصَّتِكَ وَنِقَاتِكَ وَنُصَبَاتِكَ، لَهُ صِيَّتٌ فِي الرِّيَاسَةِ، وَقَدَمٌ فِي السَّابِقَةِ، وَأَوَّلِيَّةٌ
فِي الْمَشَايِعَةِ. وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِي ضَبْطِهِمْ، وَكَفَّ مَعَرَّتِهِمْ، وَاسْتَنْزَلَ نَصَابِحَهُمْ،
وَاسْتَعْدَادَ طَاعَتِهِمْ، وَاسْتَخْلَاصَ ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعَاهُدَ كُرَاعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ: مُعْغِيًا لَهُمْ
مِنَ النَّوَابِغِ الَّتِي تَلَزِمُ أَهْلَ عَسْكَرِكَ وَعَامَّةَ جُنْدِكَ؛ وَاجْعَلْهُمْ عُدَّةً لِأَمْرِ إِنْ حَرَكْتَ
أَوْ طَارِقَ إِنْ أَتَاكَ؛ وَمُرِّمْهُمْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مُعْنَةٍ، وَحَذَرِ نَافِ لِسَنَةِ الْغَفْلَةِ
عَنْهُمْ؛ فَإِنَّكَ لَا تَكْدِرِي أَى السَّاعَاتِ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ تَكُونُ إِلَيْهِمْ حَاجِكُكَ. فَلْيَكُونُوا
كَرَجُلٍ وَاحِدٍ فِي التَّشْمِيرِ وَالتَّرَادُفِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ؛ فَإِنَّكَ عَسَيْتَ أَنْ لَا تَجِدَ عِنْدَ
جَمَاعَةِ جُنْدِكَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الرُّومَةِ وَالْمُبَاغَةِ - إِنْ أَحْتَجَجْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - مُؤْنَةً
كَافِيَةً، وَلَا أَهْبَةَ مُعْنَةٍ، بَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ. فَلْيَكُنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَتَخَيَّبُ عَدَّتَكَ
وَقُوَّتَكَ، يُعَوِّثُونَكَ قَدْ وَطَّعَتْهَا عَلَى الْقَوَادِ الَّذِينَ وَلِيَتْهُمْ أُمُورَهُمْ، فَسَمِيتَ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَثَالِقًا
وَرَابِعًا وَخَامِسًا وَسَادِسًا؛ فَإِنْ آكَتَفَيْتَ فَنِيَا يَطْرُقُكَ وَيَسْلُكُكَ بَيْعَتَ وَاحِدٍ، كَانَ

مَعْدًا لَمْ تَحْجِجْ إِلَى اتِّخَابِهِمْ فِي سَاعَتِكَ تِلْكَ فَقَطَّعَ الْبَعْثَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ مَا يَرْتَهِّقُ . وَإِنْ
اِسْتَجَبْتَ إِلَى أَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، وَجَّهْتَ مِنْهُمْ إِرَادَتَكَ أَوْ مَاتَرَى قُوَّتَكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
وَكُلُّ بَحْرَائِكَ وَدَوَابِّكَ رَجُلًا نَاصِحًا أَمِينًا ، ذَا وَرَعٍ حَاجِزٍ ، وَدِينٍ فَاصِلٍ ،
وِطَاعَةٍ خَالِصَةٍ ، وَأَمَانَةٍ صَادِقَةٍ ؛ وَاجْعَلْ مَعَهُ خِيَلًا يَكُونُ مَسِيرُهَا وَمَقَرُّهَا وَمَرَّحَلُهَا
مَعَ خِزَانَتِكَ وَحَوْمًا . وَتَقَدَّمْ إِلَيْهِ فِي حِفْظِهَا ، وَالتَّوَقَّعْ عَلَيْهَا ، وَأَتِّهَامُ كُلِّ مَنْ تُسْنِدُ
إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى إِضَاعَتِهِ وَالتَّهَوُّنِ بِهِ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى مَنْ دَنَا مِنْهَا فِي مَسِيرٍ ، أَوْ ضَاعَتِهَا
فِي مَنْزِلٍ ، أَوْ خَالَطَهَا فِي مَنَهْلٍ . وَلِيَكُنْ حَاقَّةً الْجُنْدَ وَالْجَيْشَ - إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصْتَ
لِلْمَسِيرِ مَعَهَا - مُتَنَحِّينَ عَنْهَا ، مُجَانِبِينَ لَهَا فِي الْمَسِيرِ وَالْمَنْزِلِ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَانَتْ الْجَوْلَةُ
وَحَدَّثَتِ الْفَرْعَةَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِقَزَائِنَ مَنْ يُوَكِّلُ بِهَا أَهْلٌ حَفِظَ لَهَا وَدَبَّ عَنْهَا ،
وَحِطَاطَةً دُونَهَا ، وَقُوَّةً عَلَى مَنْ أَرَادَ أَتْيَافَهَا ؛ أَسْرَعَ الْجُنْدُ إِلَيْهَا وَتَدَاعَوْا نَحْوَهَا حَتَّى يَكَادَ
يَبْرَأُ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَتْيَابِ الْعَسْكَرِ ، وَأَضْطِرَابِ الْفِتْنَةِ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْفِتَنِ وَسُوءِ
السَّيْرِ كَثِيرٌ ، وَإِنَّمَا هَمَّتُهُمُ الشَّرُّ ؛ فَإِنَّكَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي خِزَانَتِكَ وَدَوَابِّكَ
[وَبُيُوتِ أَمْوَالِكَ] مَطْعَمٌ ، أَوْ يَجِدَ سَبِيلًا إِلَى اغْتِيَالِهَا وَمَرَزَاتِهَا .

اعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَكِيدَتِكَ أَثَرًا فِي الْعَامَّةِ ، وَأَبْعَدَهَا صِينًا فِي حُسْنِ الْقَالَةِ ، مَا نَلَتْ
الظُّفْرُ فِيهِ بِحَزْمِ الرَّوِيَّةِ ، وَحُسْنِ السَّيْرِ ، وَلُطْفِ الْحِيلَةِ . فَتَكُنْ رَوِيَّتَكَ فِي ذَلِكَ
وَحِرْصُكَ عَلَى إِضَابَتِهِ بِالْحَيْسَلِ ، لَا بِالْقِتَالِ وَأَخْطَارِ التَّلَفِ ؛ وَأَدْمُسْ إِلَى عُدُوكَ ،
وَكَاتِبِ رُؤَسَاءَهُمْ وَقَادَتَهُمْ وَعِظَمُ الْمَنَالَاتِ ، وَمَنْتَهُمُ الْوِلَايَاتِ ، وَسَوِّغْهُمْ التَّرَاثُ ؛
وَضَعْ عَنْهُمْ الْإِحْنَ ، وَأَقْطَعْ أَعْنَاقَهُمْ بِالْمَطَامِعِ ، وَاسْتَدْعِهِمْ بِالْمَنَاقِبِ ؛ وَأَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ
بِالتَّوْبِيبِ إِنْ امْكُنْتُكَ مِنْهُمْ الدَّوَائِرُ ، وَأَصَارْتَهُمْ إِلَيْكَ الرَّوَاجِعَ ؛ وَأَدْعُهُمْ إِلَى التَّوْبِ
بِصَاحِبِهِمْ أَوْ أَعِزَّالِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْوُتُوبُ عَلَيْهِ طَاقَةٌ ؛ وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَطْرَحَ إِلَى

بعضهم كتباً كأنها جوابٌ كُتِبَ لهم إليك ، وتكتب على ألسنتهم كتباً إليك تدفعها إليهم ، وتجعل بها صاحبهم عليهم وتزعم عنده بئرلة التهمة وتجعل الظنة ؛ فلعل مكيدهاتك في ذلك أن يكون فيها افتراءٌ كلمتهم ، وتشتيت جماعتهم ، وإحن قلوبهم ، وسوء الظن من واليهم بهم ، فيوحشهم منه خوفهم إياه على أنفسهم إذا أيقنوا بأنهم إياهم ؛ فإن بسط يده فقتلهم ، وأولع سيفه في دماهم ، وأسرع الوئوب بهم ، أشعرهم جميعاً بالخوف ، وشملهم الرعب ، ودعاهم إليك الحرب قهراً أقوا نحوك بالنصيحة وأموك بالطلب . وإن كان متأثراً غملاً رجوت أن تستميل إليك بعضهم ، ويستدعي الطمع ذوى الشره منهم ، وتال بذلك ما يجب من أخبارهم ، إن شاء الله .

إذا تدانى الصّفان ، وتواقف الجمعان ، واحتضرت الحرب ، وعبأت أصحابك لقتال عدوهم ؛ فأكثِر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والتوكل على الله عز وجل والتفويض إليه ، ومسالته توفيقك وإرشادك ، وأن يعزيم لك على الرشد المنجى ، والعصمة الكائنة ، والحياطة الشاملة . ومُر جُندك بالصمت وقلة التلفت عند المصاولة ، وكثرة التكبير في أنفسهم ، والتسليح بعضهم ؛ ولا يظهروا تكبيراً إلا في الكرات والجملات ، وعند كل زلقة يذلقونها ؛ فاما وهم وقوف فإن ذلك من القتل والجبن ، وليذكروا الله في أنفسهم ويسألوه نصرهم واعز أزمهم ، وليكثروا من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم أنصرنا على عدوك وعلوينا الباغي ، وآكفينا شوكته المستعته ، وأيدنا بملائكتك الغالين ، وأعصمنا بولوك من القتل والعجز إنك أرحم الراحمين .

وليكن في معسكرك المكثرون في الليل والنهار قبل المواقفة ، وقومٌ موقوفون يحضونهم على القتال ويحرضونهم على عدوهم ، ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ،

وَيَذْكُرُونَهُمُ الْجَنَّةَ وَدَرَجَاتِهَا وَنَعِيمَ أَهْلِهَا وَسُكَّانِهَا، وَيَقُولُونَ : أَذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ ،
وَأَسْتَنْصِرُوهُ يَنْصُرْكُمْ ، وَالْتَجِئُوا إِلَيْهِ يَنْتَعِمْكُمْ . وَإِنْ أَسْطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُبَاشِرُ
لِتَبِئَةِ جُنْدِكَ ، وَوَضَعِهِمْ مَوَاضِعَهُمْ مِنْ رَأْيِكَ ، وَمَعَكَ رِجَالٌ مِنْ نِقَاتِ قُرْسَانِكَ ،
ذَوُوسِنٍّ وَتَجْرِبَةٍ وَتَجَسُّدَةٍ عَلَى التَّبِئَةِ الَّتِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَاصِفُهَا لَكَ فِي آخِرِ كِتَابِكَ ،
فَأَقْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَيْدِكَ اللَّهُ بِالنَّصْرِ ، وَغَلَبَ لَكَ عَلَى الْقُوَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَعَصَمَكَ مِنَ
الزَّيْغِ ، وَأَوْجَبَ لِمَنْ أَسْتَشَهَدَ مَعَكَ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ وَمَنَازِلَ الْأَصْفِيَاءِ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَكُتِبَ سَنَةٌ تِسْعَ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً .

الطرف الثالث

(فِيمَا كَانَ يُكْتَبُ عَنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادَ إِلَى حِينَ أَنْقَرَضَ

الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ مِنْ بَغْدَادِ)

وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ :

النوع الأول

(مَا كَانَ يُكْتَبُ لَوْزَرَاءِ الْخِلَافَةِ)

وَكَانَ رِسْمُهُمْ فِيهِ أَنْ يَفْتَتَحَ بِقَلْبِ « أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ » وَيُؤْتَى فِيهِ بِثَلَاثِ
تَهْنِئَاتٍ ، وَرَبْمَا أَقْصَرُ عَلَى تَهْنِئَةٍ وَاحِدَةٍ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَهَالِيدُ وَزَرَائِهِمْ مِنْ
أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَفْلَامِ .

وهذه نسخة تقليد من ذلك كتب بها العلاء بن موصلياً ، عن القائم بأمر الله ،
لوزير غفر الدولة بن جَهِير ، في شهور سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وهو :

أما بعدُ ، فالحمد لله ذي الآلاء الصافية الموارد ، والنبأ الصادقة الشواهد ،
والطول الجامع شمل أسباب المنع الشوارد ؛ ذي القدرة المصرفة على حكمها مجارى
القدر ، والمشقة الحالية بالنفاذ فى حلقى الورد والصدر ؛ المذل بجمل صنعه أعناق
المصاعب ، المديم بكرم لطفه من امتداد ذوائب التوائب ؛ الذى جلَّ عن إدراك
صفاته بعد أوحد ، وكل يباهر آياته على كونه الفرد الولي بكل شكر وحمد ؛ سبحانه
وتعالى عما يصفون .

والحمد لله الذى آخض مجداً صلى الله عليه وسلم بالرسالة واجتباها ، وحباه
بالكرامه بما أشرق له مطلع الجلال ، وأخساره وبعته لإظهار كلمة الحق بعد أن
مد الضلال رواقه ؛ فلم يزل ياعزاز الشرع قائماً ، ولساعات زمانه فى طلب رضا
الله قاسماً ؛ لا يتخيف عن مقاصد الصواب ولا يميل ، ولا يخل مطايا حبه فى تقوية
الدين مما يتابع فيه الرسيم والذميل ، إلى أن أزال عن القلوب صدى الشكوك وجلا ،
وأجلى مسعاه عن كل ما أودع نفوس أحلاف الباطل وجلا ؛ ومضى وقد أضاء
للإيمان هلالاً أيسر سرائره ، وانتضى لإبادة الشرك حساماً لا يثبوق قط غراره ؛
فصلَّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المنتهين ؛ صلاة يتصل الأصيل فيها
بالقنود ، وترى قيمتها فى الأجر وافية العلو والقنود .

والحمد لله الذى أصار إلى أمير المؤمنين من إرث النبوة ما هو أحق به وأولى ،
وأثار له من مطالع العز ما أسدى به كل نعمة وأولى ؛ وأحلَّه من شرف الإمامة

بِحَيْثُ عَنَتْ لَطَاعَتَهُ أَعْنَاقُ الرِّقَابِ الصَّعَابِ ، وَأَذَعَنْتْ لَهُ الْقُلُوبُ بِالْإِطْوَاءِ عَلَى
الْوَلَاءِ الْفَسِيحِ الرَّحَابِ وَالشَّعَابِ ؛ وَجَعَلَ أَيَّامَهُ بِالنَّضَارَةِ أَهْلَةَ الْمَفَانِي ، مُتَقَابِلَةً
أَسْمَاؤُهَا فِي الْحُسْنِ بِالْمَعَانِي ؛ فَمَا يَجْرِي فِيهَا إِلَّا مَا الصُّوَابُ فِي فِعْلِهِ كَامِنٌ ، وَالْحُظُّ
يَأْتِيهِاجُ مُبْلِهِ كَاتِنٌ ؛ إِيَانَةً عَنْ أَقْتَرَانِ الرَّشْدِ بِعِزَائِهِ فِي حَالَتِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَأَقْتَرَابِ
مَرَامِ كُلِّ مَا يَحُلُّ مِنَ الصَّلَاحِ فِي الدَّهْرِ أَفْضَلِ الْحَلِّ .

ثم إنه يرى من إقرار الحقوق في نصايها، وإمرار جبال التوفيق في جانبها من
الاطلاع المنتدبة إلى اغتصابها ؛ ما يُعْرِيبُ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى طُرُقِ الرَّشْدِ ، وَالْإِقْتِدَاءِ
بِمَنْ وَجَدَ ضَالَّةَ الْمُرَادِ حِينَ تَشُدُّ ، وَيَقْصِدُ مِنْ تَجْدِيدِ الْمَوَارِفِ ، عِنْدَ كُلِّ عَالَمٍ بِقُدْرَتِهَا
فِي الزَّمَانِ عَارِفٌ ؛ مَا يَحُلُّوْجَنِي تَمَرُّهُ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَيَحُلُّوْ أَنْتَشَارُ خَبَرِهِ عَلَى إِعَانَةِ كُلِّ
فِكْرٍ فِي وَصْفِهِ عُنْوَانٌ ؛ فَيَتَنَاقَلُ الرُّوَاةُ ذَكَرَ ذَلِكَ غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَتَلْقَى الْهَيْمُ الْعَلِيَّةُ
أَذْخَارَ الْجَمَالِ بِهِ أَفْغَعَ مِنْ كُلِّ قَنِةٍ وَأَجْدَى ؛ اسْتِمْرَارًا عَلَى شَاكِلَةِ تَحَلُّتِ بِالْكَرَمِ ، وَحَلَّتْ
مِنَ الْجَلَالِ فِي الْقَلَلِ وَالْقِمَمِ ، وَحَلَّتْ أَتَارَهَا فِي إِيْلَاءِ تَفْهِيسِ الْمَنَحِ وَجَزِيلِ الْقِسَمِ .

ولما غدا مناصب الوزارة موقوفا على الذين طالما جزوا بهمهم نواصي الخُطُوبِ ،
وَحَازُوا بِذَمِّهِمُ الْمَنَالِ فِي مَقَاصِدِ اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى إِحْرَازِ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَأَسْتَدْلَوْا ؛
وَكَفُّوا بِكَفَايَتِهِمْ أَكْثَفَ الْفَسَادِ وَرَدُّوا ، وَحَازُوا الْفَعَالَ فِي كُلِّ مَاسَعٍ لَهُ وَجَدُوا ؛
وَخَلَا الزَّمَانُ مِمَّنْ يَنْهَضُ بِعَبِّ هَذَا الْأَمْرِ الْجَسِيمِ ، وَتُضْبِعُ أَنْبَاءُهُ فِيهِ ذَكِيَّةُ الْأَرْجِ
وَالنَّسِيمِ - لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّخَيُّمَ فِي عِرَاصِهِ ، وَالتَّحْكِيمَ فِي أَجْنِيَاءِ الْفَخْرِ
مِنْهُ وَأَسْتِخْلَاصِهِ ؛ وَكَانَ الْقَدَرُ سَبَقَ بِإِفْصَالِكَ عَنْ الْخِدْمَةِ لِالضَّعْفِ سِرِيرِهِ ،
وَلَا لِقُوَّةَ جَرِيرِهِ ، وَلَا لِكَدْرِ سِيرِهِ ؛ وَكَيْفَ وَأَنْتَ الْمُنْفَرِدُ بِالْكَوَالِ ، وَالْمَتَجَرِّدُ فِي كُلِّ

(١) لله في صياتها .

(٢) أى يبعث ويسوق أنتشار الخ .

مقام سلم حدّ تقرّبك فيه من حادِثِ الكَلال ؛ ولك في الدولة الحَقُوقُ التي أُعْثِدَتْ
لك من وقع الاستِراةِ جَنّا ، والمواقِفُ التي أُعْثِدَتْ من دِرةِ الإِحمادِ بما أَيْنَ الظُّرُ
لها وأنا ، والمقاصدُ التي أُعْثِدَتْ منك البَدَل ، ولا تُحَرِّفَ لك منها مَسْعى عن مَنَاجِ
الإِصَابَةِ ولا عَدَلَ ؛ وتمكّنت فيها من عِنانِ التوفيقِ بما لا يُجَارَى سَيْفُكَ فيه قط ،
ولا يَحْسُنُ له حالُ المَسْرَى إليه المَحَطَّ ؛ والآثَارُ التي أُنارت من كَوَامنِ الرضا أَفْضَلَ
ما يُذْخِرُ وَيُقْنِي ، وأُنارت من دلائلِ الزُّلْفَى ما يُتَجَزَّ به وَعَدُ المُنَى ويُقْضَى ؛ لكن
كانَ ذلكَ مَسْطُوراً في الكُتاب ، ولِيتَبَيَّنَ أَنَّهُ لاِعوَضَ عَنكَ في الإِسْتِحْقاقِ للأُمْرِ
والإِسْتِجَابِ ؛ لم يوجَدْ لِهَذِهِ الرُّتْبَةِ كُفُؤاً سِوَاكَ ، ولا يُزَيِّها عن العَظَلِ غَيْرُ رَائِقِ
حِلَاكِ ؛ فرأى أميرَ المؤمنينَ تَسْلِيمَ مَقَالِيدِهَا إِلَيْكَ إِذْ كُنْتَ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا ، وَمَنْ
يَجْمَعُ بَعْدَ الشَّتاتِ شَمْلَهَا ؛ فَطَوَّقَكَ مِنْ قَلَائِدِهَا ما هو بأَعْطافِكَ أَصْق ، وبِجَمِّ أَوْصافِكَ
أَلْبَقِ : لَتَدْرِعَ مِنْ عِزِّ الوِزَارَةِ جِلْبَاباً لا تُخْلِقُ الأَيَّامُ لَهُ جِدَّةً ؛ ولا تَزَالُ السُّعُودُ
بِمَا يَسُوقُ إِلَى دَوَامِ مَدَّتِهِ مَمْتَدَّةً ؛ وَتَرْتَضِعُ مِنْ لَبَّانِ خِلَالِهَا ما يَقْضِي لَكَ بِأَنْ تَقِفَ
نَفْسُهَا عَلَيْكَ ، وَتَقِفَ آمالُ الأُمَمِالِ دُونَ ما آتَيْتَ الغَايَةَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَتَعْتَمِدَ فِيما عَدَقَهُ
بِكَ مِنْهَا وَنَاطَهُ ، وَوَقَّكَ فِيهِ حَقُوقَ النَظَرِ وَأَشْترَطَهُ ؛ بِحَكْمِ تَوَحُّدَتِ فِي إِحْرازِ أَدَوَاتِهَا
التي لا يَبْلُغُ أَحَدٌ لَكَ مِنْهَا مَدَى ، ولم يَمُدَّ طامِعٌ إِلَى مَساجِلَتِكَ فِيها يَدًا - ما يُرِضِي اللهُ
تَعَالَى وَبُرْضِيهِ ، وَيُحْصِ ذِكْرَكَ بِالطَّيِّبِ وَيُحِيطُهُ تَفَقُّوزُ فَوْزاً كَبِيراً ، وَتُعِيدَ السَّاعِي
في إِدْرَاكِ شَاوِكَ ظالِماً حَسِيراً .

ثم إنه شفع هذه المنحة التي قصصك بحاسد نفخها بالوجوب ، وعوضك فيها الدهر
بمحدث البشر عن سابق القُطوب - بإيصالك إلى حضرته ، وإذناك من سُدَّتِهِ ؛
ومُتَاجِلِكَ بما يُتَبَيَّنُ لَكَ أَمْتِطَاءُ غَارِبِ المَجدِ وَصَبُوتُهُ ، والإِحْتِواءُ عَلَى خالِصِ السَّعْدِ

وصَفْوَتِهِ ؛ وَجَبَانِكَ مِنْ صُنُوفِ التَّشْرِيفَاتِ الَّتِي تَرُوقُ حِلَى خِلَابِهَا ، وَتُوقِ الْأَمَالَ
إِلَى إِدْرَاكِهَا وَمَنَاطِهَا ؛ وَصَفَتِ الْكَرَامَاتُ الَّتِي وَقَّتِ الْمُنَى بِهَا بَعْدَ مَطَالَمَا ، وَقَّتِ
الْقَدَى عَنْ مُقَلِّ مَفْضُوزَةِ بَسُوهِ فَصَالِ الْأَيَّامِ وَمَقَالَمَا ؛ بِمَا يُوطِئُ عَقَبَكَ الرِّجَالَ ،
وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُجَاوِلُ مُجَارَاتَكَ الْمَسْرَحَ وَالْمَجَال ؛ وَلَمْ يَتَنَعَّ بِذَلِكَ فِي حَقِّ التَّعْمَلِ الَّتِي
أَعْدَاكَ فِيهَا عَلَى الْغَيْرِ ، وَأَعْدَاكَ مِنْهَا فِي ظِلٍّ مِنَ الْأَمْنِ الْبَادِي الْأَوْضَاحِ وَالْقُرَى ؛
حَتَّى الْخَلْقُ بِسِمَاتِكَ «تَأْجِ الْوُزَرَاءُ» تَتَوَبَّحُ بِذِكْرِكَ فِي الزَّمَانِ ، وَتَتَبَيَّحُ عَلَى اخْتِصَاصِكَ
لَدَيْهِ بِوَجَاهَةِ الرُّتْبَةِ وَالْمَكَانِ ؛ فَصَارَ مَكْرُوهُ الْأُمُورِ فِي مَحْبُوبِهَا سَبِيحًا ، وَخَبَتْ تَارُ كُلِّ
مَنْ سَعَى فِي تَفْضِيلِ النِّظَامِ وَجِيفًا وَخَبِيحًا ، حَتَّى الْآمِلُونَ أَنْ يَجْعَلُوا تَحْتَ الْخِلَافَةِ
زَمَانًا ، وَتُصْبِحَ رِبَاعُهُ بَعْدَ النُّصَارَةِ دِمْنًا ؛ لِيُعْقِبَهُمْ ذَلِكَ نَيْلٌ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْإِبْهَامُ (١)
لِهَذَا الْعَزْمِ . وَبِالْجَمْلَةِ فَالْأَسَاسُ وَاقِعَةٌ مِنْ تَتَابُعِ هَذِهِ الشُّكَاوَى ، وَقَدْ كَانَ الْأَحَبُّ أَنْ
لَا يُضْمِنَ الْكُتُبُ النَّافِذَةُ سِوَى تَعْهُدِ الْأَنْبَاءِ ، لِأَزَالِ عَرَفُهَا أَرْجَا مِنْ سَائِرِ الْأَرْجَاءِ
وَالنَّوَاحِي . لَكِنْ تَأْتِي مَجَارِي الْأَقْدَارِ ، وَدَوَاعِي الْإِضْطِرَارِ ، إِلَى مَا يَرْتَقِي مَاءَ الْإِرَادَةِ
وَالْإِثَارِ ؛ وَالْآنَ قَدْ بَلَغَ الْمَاءُ ، وَجَلَبَ مِنْ عَدِمِ الصَّبْرِ الْحَيَاءُ ؛ وَلَمْ يَبْقَ خَيْرُ مَهْرَةٍ
دِينِيَّةٍ مِنْكَ تَكْشِفُ بِهَا هَذِهِ الْمَعْرَةَ ، وَتُخَفِّفُ مِنْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُتِمُّ لَدَيْهِ أَكْلَ
الْمَسْرَةِ ؛ فَقُمْ فِي ذَلِكَ مَقَامَ مَثَلِكِ . وَإِنْ كَانَ لَا نَظِيرَ لَكَ يُوجَدُ - نَحْظُ بِمَا يُنْظَرُ
لَكَ فِيهِ أَسْتَحْقَاقُ كُلِّ الْحَمْدِ وَيُوجِبُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد من ذلك ، كتب بها عن المسترشد - فيما أظن - لبعض
وُزَرَائِهِ ، وَهِيَ :

أَمَا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْقَرِدِ بِكِبَرِيَّاتِهِ ، الْمُتَضَعِّلِ عَلَى أَوْلِيَانِهِ ؛ مُجْرِلِ النِّعَمَاءِ ،
وَكَاشِفِ الْفَنَاءِ ؛ وَمُسْبِغِ الْعَطَاءِ ، وَمُسِيلِ الْغَطَاءِ ؛ وَمُسْنِي الْحَيَاءِ ، وَمُسَدِّي الْآلَاءِ ؛

الذى لا يتوذه الأعباء ، ولا يَكِيدُهُ الأعداء ؛ ولا تبُلْغُهُ الأوهام ، ولا تُحِيطُ بِهِ
الأفهام ؛ ولا تُدْرِكُهُ الأبصار ، ولا تُحْصِيهِ الأفكار ؛ ولا تُثْبِرُهُ الأعوامُ بتواليها ،
ولا تُعْجِزُهُ الخُطُوبُ إذا أَدْلَمَّتْ لِيَالِيهَا ؛ عالمٌ هو أجسُ الفِكرِ ، ونخالقُ كلِّ شيءٍ
بِقَدَرٍ ؛ مَصْرَفُ الأقدارِ على مَشِيئَتِهِ وَتَجَرُّبِهَا ، وما يَجُ مَوَاهِبِهِ مِنْ أَصْحَى بَيْدِ الشُّكْرِ
يَمْتَرِيهَا ؛ حَمْدًا يَصُوبُ حَيَّاهُ ، وَيَعْتُوبُ حَيَّاهُ ، وَتَهْلُلُ أَسْرَةُ الإِخْلَاصِ مِنْ مَطَاوِيهِ ،
وَيَسْتَدْعِي الْمَزِيدَ مِنْ آلائِهِ وَيَقْتَضِيهِ .

والحمد لله الذى استغفصَ محمدًا صلى الله عليه وسلم من زَكَاةِ الأَصْلَابِ ، وَأَنْتَقَبَهُ
من أَشْرَفِ الأنسابِ ؛ وَبَعَثَهُ إِلَى الْخَلِيقَةِ رُسُلًا ، وَجَعَلَهُ إِلَى مَنْهَجِ النِّجَاحِ دَلِيلًا ؛
وَعَدُوَ السُّبُكِ بَوْلَ لَدَلٍ وَقَضَاهُ ^(١) (؟) وَشَهَرَ عَضْبَ الْعِزِّ وَأَتَقَضَاهُ ؛ وَالْأُتْمُ عَنْ طَاعَةِ
الرَّحْمَنِ عَازِفُهُ ، وَعَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ حَاكِفُهُ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِأَمْرِ رَبِّهِ صَادِمًا ، وَعَنِ التَّمَسُّكِ
بِعُرَا الضَّلَالِ الْوَاهِيَةِ وَازِمًا ؛ وَإِلَى رُكُوبِ حَبَّةِ الْهُدَى دَاجِيًا ؛ وَعَلَى قَدَمِ الْإِجْتِهَادِ
فِي إِبَادَةِ الْغَوَايَةِ سَاجِيًا ؛ حَتَّى أَصْبَحَ وَجْهُهُ الْحَقِّ مُنِيرًا مُشْرِقًا ، وَغُودُهُ بَعْدَ الدُّبُولِ
أَخْضَرُ مُورِقًا ؛ وَمَضَى الْبَاطِلُ مُؤَلِّيًا أَدْبَارَهُ ، وَمُسْتَضْحِبًا تَنْبِيْرَهُ وَبَوَارَهُ ؛ وَقَضَى صَلًى
الله عليه وسلم بَعْدَ أَنْ مَهَّدَ مِنَ الْإِيمَانِ قَوَاعِدَهُ ، وَأَحْكَمَ أَسَاسَهُ وَوَطَائِدَهُ ؛ وَأَوْضَحَ
سُبُلَ الْفَوْزِ لِمَنْ أَتَقَفَاهَا ، وَلَحَبَّ طَرِيقَهَا بَعْدَ مَا دَثَّرَتْ صُورَاهَا ؛ فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَصَحَّبَهُ الْأَكْرَمِينَ ؛ صَلَاةً مُتَّصِلَةً مَعَ غَمَامِهَا ، مُسْفِرًا صَبِيحُ دَوَامِهَا .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْ حَازَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لَارِثِ النُّبُوَّةِ مَا هُوَ أَجْدَرُ بِمِجَازَةِ جَمَدِهِ ،
وَأَوْلَى بِقَبْضِ صِدْقِهِ ؛ وَوَطَأَ لَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمُعْظَمَةِ مَهَادًا أَحْفَزَتْهُ نَجْوَاهُ حَوَافِزُ
أَرْتِيَا حِهِ ، وَجَذَبَتْهُ إِلَيْهِ أَرْزَمَةُ رَاغِهِ وَالْتِيَا حِهِ ؛ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ مَنَاهُ ، وَالْقَى
الْأَسْتِقْرَارَ الَّذِى لَا يَرِيمُ عَصَاهُ ؛ وَعَضَّدَ دَوْلَتَهُ بِالتَّائِيْدِ مِنْ سَائِرِ أُنْحَايِهِ وَمَرَامِيهِ ،

(١) كذا في الأصول على هذه الصورة ولم نهند إلى تنقيفه .

وأمرأضه ومغازيه ؛ حتى فاقتِ الدول المتقادمة إشرافا ، وأعطتها الحوادثُ من التغيرِ
 عهدًا وفياً وبيثاقا ، وأصحتْ أيامه - أدامها الله - حاليةً بالعدل أجباؤها ، جاليةً
 في مبادين التضارة جباؤها ؛ وراح الظلم دارسةً أطلاله ، مقلصا سراله ، قد أنجم
 صحابه ، وزمت للرحلة ركابه ؛ فما يستمر منها أمرٌ إلا كان ضُيعَ الله سبحانه مؤيده ،
 والتوفيق مصاحبه أنى يم ومُسَدِّده ؛ وهو يستوزعه - جلت عظمتُه - شكر هذه
 النعمة ، ويستريده بالتحدث بها من آلايه الجته ؛ ويستمد منه المؤونة في كل أرب
 قصده وأمه ، وشهد لاحتجائه عزمه ؛ وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينب .

ولما كانت الوزارة قُطِبَ الأمور الذى عليه مدارها ، وإليه إرادها وعنه
 إصدارها ؛ وخلا منصبها من كاف يكون له أهلا ، وينظم من شماله شملا ، أجال أمير
 المؤمنين فيمن يختار [لذ لك فكره ، وأنتم [النظر] لأهل الإصطفاء لهذه المترلة حتى
 صرح محض رأيه عن زبدة اختيارك ، وهذه صائب تديره إلى اقتراحك وإيثارك ؛
 وألقى إليك بالمقاليد ، وعول في دولته القاهرة على تديرك السيد ؛ وناط بك من
 أمر الوزارة ما لم يُلَفْ له سواك مستحقا ، ولا للنسيم استيجابه مسترقا ؛ علما بما
 تُبديه كفايتك المشهورة ، وإياالتك المحبورة ؛ من تقويم ما أعجز ياده ، وإصلاح
 ما استشرى فساده ؛ وأستقامة كل حالي وهي عبادها ، وأصلت على كثرة الإفتداح
 زنادها ؛ وتبنت لما تبسم عنه الأيام من آثار نظرك المعربة عن أحتوائك على دلائل
 الجزالة ، وأستيلاك على تحايل الأصالة ؛ واللذين تُنال بهما غايات المعالي ، وتُفزع
 الذرى والأعلى .

ثم إن أمير المؤمنين بمقتضى هذه الدتأوى اللازمه ، وحرمت جدك وأبيك
 السالفة المتقاه به ؛ التى استحصدت في الدار العزيزة قوى أمراسها ، وأدنت منك

الآن ثمرة غير اسمها، رأى أن يُشيد هذه العارفة التي تأرجح لديك نسيماً، وبدت على أغصان نحرِكَ رؤوسها، وجادت رباعك شأبيها، وضفت عليك جلايبها، بما يزيد أزرَكَ استبداداً، وباع أملاك طولا وأمتداداً، فأدناك من شريف حضرته مناجياً، ومنحك من مزايا الأيام ما يُكسبك ذكراً في الأعقاب سارياً، وعلى الأحقاب باقياً، وأنص عليك من الملابس الفانرة ما حُرّت به أوصاف الجمال، وجمع لك أبايد الآمال، وقُلك وحصل (١) بداوه، وأطلاك صهوة سايح يساوي الرياح سباً، ويملك بكذا وكذا في ضمن التأهيل للكنية، إبانة عن جميل معتقده فيك، ورواية لوسائلك المحمكة المرائر وأواخيك .

وأمركَ بتقوى الله التي هي أحسن المقاتل، وأعتب المناهل، وأنفع الخزائر، يوم تبلى المرائر، وأن تستشعرها فيما تُبديه وتُخفيه، وتذكره وتأنيه: فإنها أفضل الأعمال وأوجبها، وأوتخ المسالك إلى الفوز برضا الله وأحبها، وأجلب الأشياء للسعادة الباقية، وأجناها لقطوف الجنان الدانية، علماً بما في ذلك من نفع تتكامل أقسامه، وتفتح عن نور الصلاح الجامع أكامه، قال الله جلّت آلاؤه، وتقدست أسمائه: ﴿وَمَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . وقال تعالى حاضاً على تقواه، وغيراً عما خص به متقيه وحباة، وكفى بذلك داعياً إليها، وباعتاً عليها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ .

وأمركَ أن تتوخى المقاصد السليمة وتأتيها، وتتوخى الموارد الوخيمة وتجنبها، وأن تُنص بالحزم أفعالك، وتجعل كلب الله تعالى إمامك الذي تهدي به ومثالك، وأن تكف من نفسك عند جماعها وإبانها، وتصدّها عن متابعة أهوائها، وتبني عند استخدام سورة الغضب عنانها، وتُسعرها من حميد الخلاق ما يوافق إسرارها فيه

(١) كذا في الأصل على هذه الصورة والمراد أنه انهم عليه بخلة وسيف ويواد . تأمل .

إعلانيها : فإنها لم تزل إلى منزلة سوء المردية داعية ، وعن سلوك مناهج الخير المنجية فإياه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ 》 .

وأمرك أن تتغير للخدمة بين يديك من بلوت أخباره ، وأستشفقت أسراره ؛ فعلته جامعا أدوات الكفاية ، مؤسوما بالأمانة والذراية ؛ قد عركنته رما التجارب عرك الثقال ، وحلب الدهر أشطره على تصارييف الأحوال : ليكون أمر ما يؤلاه على منهج الاستقامة جازيا ، وعن ملابس الخلل والارتياح طريا ؛ فلا يصفع في منزلة قدام ، ولا يأتي ما يقرع سنه لأجله نلما ؛ وأن تمتع رعيا أمير المؤمنين من بشرك ما يعقل شوارد الأهواء ، ويلوى إليك باعناق نوافرها اللاتي اعتصمن بالجماح والإباء ؛ مازجا ذلك بشدة تستولى حياء رهبتها على القلوب ، وتقل مرهفات باسمها صرف الخطوب ، من غير إفراط في استدامة ذلك يضيئ نظامها به ، ويغيرها اتصاله باستشعار وعمر الخطأ واستيطاء مركبه .

وأمرك أن تعذب مورد الإحسان لمن أحدثت بلاءه ، وتحقق غناه ؛ وأستحسنت أثره ، وأرضيت حياته وخبره ؛ وتسلل أنمال الهوان على من بلوت فعله ذميا ، وألقبته بمراس الإساءة مقيا ، وإلى رابعها الموحشة مستأثما مستديما ؛ كجلا لكل أمرئ بصاعه ، وأتباعا لما أمر الله باتباعه ؛ وتجنبا للإهمال الجاحل المحسن والمعنى سواء ، والمعيديهما في موقف الجزاء أكفاه ؛ فإن في ذلك تهيدا لذوى الحسن في الإحسان ، وتنبأ لأهل الإساءة في العُدوان ؛ ولولا ما فرضه الله على أمير المؤمنين من إيجاب المحبة ، والفكاك من ربة الاجتهاد ببلاغ المعذرة ، لفتى عيان الإمالة مقتصرا ، وأكتفى ببعض القول مختصرا ؛ ثقة بامتناع سدادك وثباتك ،

أن يراك صوابُ الفعل حيث نَهاك ؛ وأستينامةً إلى ما خولَكَ اللهُ من الرأى الثاقب ،
المُطَّلِع من خصائص البديهة على محتجبِ المواقب . فارتبطَ يا فلانُ هذه النعمى
التي جادتَ ديمها مَنانيك ، وحَقَّقَتِ الأيامُ بمكاتها أمانيك ؛ بِشُكْرِينِطى به لسانُ
الاعتراف ، فيؤمِّن وحشَى النعم من التفار والانعراف ؛ وأسلُك في جمال السيرة ،
والاكتهاد بهذه الأوامر المبنية المذكورة ، جَدَدًا يُغْرِى بِمُجْدِكَ الألسنة ، ويُعْرِب عن
كونك من الذين يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ؛ والله يَصَدِّقُ بحيلة أمير المؤمنين
فيك ، ويُوَزِّعُكَ شُكْرًا ما أولاك ويُولِّسُكَ ؛ ويعملُ الصَّوابُ غَرَضًا لِنَيْالِ عَزَائِمِهِ ،
ويُدَوِّدُ عن دولته القاهرة كَتَّابِ الخطوب بصوارِمِ السَّعدِ وَلَقَدْ ذمه ؛ ويَصِلُ أيامه
الزاهرة بالخُلُود ، وينسُط على أفاصِي الأرض ظِلُّهُ الممدود ؛ ما استَهْلَ جَفَنُ الغيث
المدرار ، وأَبَسَمَتِ نُفُورُ النُّور ، إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب لأرباب الوظائف من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يُكْتَبَ
لأرباب الوظائف من أصحاب السيف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(المُهوِّد ، وهي أعلامها رُتْبَةٌ)

وطريقتهم فيها أن تُفْتَحَ بلفظ : « هذا ما عهدَ عبدُ الله وولِيُّه فلانُ أبو فلان
الإمامُ الفلانيُّ إلى فلان الفلاني حينَ عَرَفَ منه » ويذكرُ بعضُ مناقبه ، ورُبَّمَا
تعرَّضُ لثناءِ سُلْطانِ دولته عليه . ثم يقال : « فقلَّده كذا وكذا » ثم يقال : « وأمره
بكذا » ويأتى بما يُناسب من الوصايا . ثم يقال : « فقلَّده كذا وكذا » ثم يقال :

«هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وَجَّهْتُ عليك» أو نحو ذلك ؛ ولا يُؤتى فيه بتحديد في أول العهد ولا في أثنائه كما تقدم في عهود الخلفاء للوُك .

عهد أرباب السيف (وهى عدة ولايات)

منها — النظر في المظالم .

وهذه نسخة عهد كتب به أبو إسحاق الصائى ، عن المطيع لله ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، بتقليد المظالم بمدينة السلام ، وهى :

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين ، إلى الحسين بن موسى العلوى ، حين اجتمع فيه شرف الأعراق ، والأخلاق ، وتكامل فيه بين النقيب ، والضرائب ؛ وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ، ورشاد المقاصد والأنحاء ؛ فى سالف ما ولّاه إياه من أعماله الثقيلة التى لم يزل فيها محمود المقام ، مستمرا على النظام ؛ مصيبا النقض والإبرام ، سيدا الإساءة والإلحام ، زائدا على المزايد ، راجعا على الموازين ؛ فائتا للهاذين ، مبرا على المبشرين ؛ فقلده النظر فى المظالم بمدينة السلام وسواها وأعمالها ، وما يجرى معها ، همه بعلمه ودينه ، وأحمادا على بصيرته وقينه ؛ وسكونا إلى أن الأيام قد زادتة تحملا وتهذبا ، والسن قد شاهت به تخنيكا وتجريبا ؛ وأن صنيعة أمير المؤمنين مستقرة منه عند أكرم أكفائها ، وأشرف أولياتها ؛ برحمه المتأدبانية ، وحرمة الشائخة العالیه ، ومعرفة التافهة الداعية إلى التفويض إليه ، الباعنة على التعويل عليه ؛ وأمر المؤمنين يستمد

الله في ذلك أحسن مآخذه من هداية وتسييد، ومعونة وتأيد، وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنسب .

أمره بتقوى الله التي هي الجنة الحسنة، والعصمة المتينة، والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب، والزايد المبلغ إلى دار الثواب؛ وأن يستشعرها فيما يُسرّ ويُعلن، ويعتمدها فيما يُظهر ويُبطن، ويحملها إمامه الذي يحويه، ورائده الذي يقفوه، إذ هي شية الأبرار والأخيار. وكان أولى من تعلق بعلاتها، وتمسك بوثاقها، لمفخرة الكريم، ومنصبه الصميم، واستغلاله مع أمير المؤمنين بدعوة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - التي يكتنان في فنائها، ويأويان إلى أفيائها، وحقيق على من كان منها مَرَّعه، وإليها مَرَّجه، أن يكون طيباً زيكاً، طاهراً نقياً، عفيفاً في قوله وفعله، نظيفاً في سره وجهره، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وأمره بتلاوة القرآن، وتأمل ما فيه من البرهان، وأن يحصله نصيباً لناظره، ومألفاً لحاظه، فيأخذ به ويعطى، ويأمر له وينهى، فإنه الحجة الواضحة، والحجة اللامحة، والمُعجزة الباهرة، والبينة العادلة، والدليل الذي من أتبعه سليم ونجا، ومن صدّف عنه هلك وهوى، قال الله عز من قائل: ﴿ وَأَنَّهُ لِكِتَابٍ غَزِيرٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وأمره أن يجلس لمُصنوم جلوساً عاماً، ويُقبل عليهم إقبالاً تاماً، ويتصبّع ما يُرفع إليه من ظلماتهم، وينعم النظر في أسباب مُعاداتهم، فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول رده إلى المتوكل للحكم، وما كان طريقه النصوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص، والاستشفاف والبحث؛

نظر فيه نظر صاحب المظالم ، وأترع الحق من غصب عليه ، وأستخلصه من امتنت له يد العدوى والتغرر إليه ؛ وأعادته إلى مستحقه ، وأقره عند مستوجبته ؛ غير مراقب كبيراً لكبره ، ولا خاصاً لمخصوصه ، ولا شرفاً لشرفه ، ولا منسلطاً لسلطانه ؛ بل يسلّم أمر الله جلّ ذكره في كل ما يأتي ويذر ، ويتوكل في رضا فيما يورد ويصدر ، ويكون على الضعيف المحقّ حديداً روعاً حتى يتصرف ويتصرف ، وعلى القوى المبطل شديداً غليظاً حتى يتقادر ويذعن ؛ قال الله جل وعز : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝﴾

وأمره أن يفتح بابه ، ويسهل حجابّه ، وينسط وجهه ، ويلين كنفه ؛ ويصدر على المخصوص الناقصين في بيانهم حتى تظهر مجتهدهم ؛ وينعم النظر في أقوال أهل اللسان والبيان منهم حتى يعلم مصيبتهم ؛ فربما استظهر العريض المبطل بفضل بيانه ، على العاجز المحقّ ليعي لسانه ؛ وهنالك يجب أن يقع التصفّح على القولين ، والاستظهار للأمرين : ليؤمن أن يزول الحق عن سنيته ، ويזור الحكم عن طريقه ؛ قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ ۚ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ بَادِمِينَ ۝﴾

وأمره بأن لا يردّ للقضاء حكماً يعضونه ، ولا يميل إلى فتونه ؛ ولا يعقب ذلك بفسخ ، ولا يطرق عليه النقض ؛ بل يكون لهم موافقاً مؤازراً ، ولأحكامهم عاضداً ناصراً ؛ إذ كان الحق واحداً وإن اختلفت المذاهب إليه . فإذا وجد القصة قد سبقت ، والحكومة قد وقعت ؛ فليس هناك شك يوقف عنده ، ولا ريب ينجس

إلى الكشف عنه ؛ وإذا وجد الأمر مشتتاً ، والحق ملتبساً ، والتقرر مستعملاً ، والتغلب مستجازاً ، نظر فيه نظر الناصر لحق المحققين ، الداحض لباطل المبطلين ؛ المقوى لأيدى المستضعفين ، الآخذ على أيدي المعتدين ؛ قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا وَإِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاوره القضاة والفقهاء ، ومباحثه الربانيين والعلماء ؛ فإن أشقبه عليه أمر استشهدهم ، وإن عرّب عنه صواب استدلل عليه بهم ؛ فإنهم أزيمة الأحكام ، وإليهم مرجع الحكماء ؛ وإذا اقتدى بهم في المشكلات ، وعمل بأقوالهم في المعضلات ؛ أمن من زلة العائر ، وقطعة المستائر ؛ وكان خليفاً بالأصالة في رأيه ، والإصابة في أبحاثه ؛ وقد أمر الله - تقدس أسمائه - بالمشاورة فعزف الناس فضلها ، وأسلكهم سبلها ؛ بقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝

وأمره أن يكتب لمن توجب له حق من الحقوق إلى صاحب الكوفة بالشدة على يده والتحكّن له منه ، وقبض الأيدي عن متازعته ، وحسم الأطلاع في معارضته ؛ إذ هو مندوب لتنفيذ أحكامه ، ومأمور بإمضاء قضاياءه ؛ متى أخذ أحد من الخصوم إلى مكاذبة في حق قد حكم عليه به ، أخذ على يده وكفه عن عدوانه ، وردّه إلى حكم الله الذي لا يُعَدَّل عنه ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَحُجَّتُهُ عَلَيْكَ ؛ قَدْ أَرْشَدَكَ وَذَكَّرَكَ ، وَهَذَاكَ
وَبَصْرَكَ ؛ فَكُنْ إِلَيْهِ مُتَنَبِّئًا ، وَبِهِ مُقْتَدِيًا ؛ وَأَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ بِعَيْنِكَ ، وَأَسْتَكَفِيهِ بِكَفِّكَ .
وَكُتِبَ النَّاصِحُ أَبُو الطَّاهِرِ فِي تَارِيخِ كَذَا .



ومنها — نِقَابَةُ الطَّالِبِينَ : وَهِيَ الْمَعْبَرُ عَنْهَا الْآنَ نِقَابَةُ الْأَشْرَافِ .

وهذه نسخة عهد نِقَابَةِ الطَّالِبِينَ ، كُتِبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي ، عَنْ الطَّائِعِ اللَّهِ
إِلَى الشَّرِيفِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيِّ الْمَوْصَوِيِّ ، مُضَافًا إِلَيْهَا النَّظَرُ
فِي الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا ، وَأَسْتَخْلَفَهُ لَوْلَاهُ الشَّرِيفُ أَبِي أَحْمَدَ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى عَلَى
النَّظَرِ فِي الْمَطَالِمِ وَالْحُجَّجِ بِالنَّاسِ ، فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَةً ، وَهِيَ :

هَذَا مَا عَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْكَرِيمِ ، الْإِمَامُ الطَّائِعُ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ
الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ ، حِينَ وَصَلَتْهُ بِهِ الْأَنْشَابُ ، وَقُرِئَتْ لَدَيْهِ الْأَسْبَابُ ؛
وُظْهِرَتْ دَلَائِلُ عَقْلِهِ وَلِبَابَتُهُ ، وَوَحَّضَتْ خَزَائِلُ فَضْلِهِ وَنَجَابَتِهِ ؛ وَمَهَّدَ لَهُ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ
وَضِيَاءُ الْمَلَّةِ أَبُو نَصْرٍ بْنُ عِضْدِ الدَّوْلَةِ مَامَهَّدَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُحَلِّ الْمَكِينِ ،
وَوَصَفَهُ بِهِ مِنَ الْحِلْمِ الرَّزِينِ ؛ وَأَشَارَ بِهِ مِنْ رَفْعِ الْمَنْزِلَةِ ، وَتَقْدِيمِ الرَّثْبَةِ ؛ وَالتَّاهِيلِ
لِوَلَايَةِ الْأَعْمَالِ ، وَتَحْمِلِ الْأَعْيَاءِ وَالْإِثْقَالِ ؛ وَحَيْثُ رَغِبَ فِيهِ ، سَابِقَةً الْحُسَيْنِ أَبِيهِ ،
فِي الْخِدْمَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَالْمُشَايَعَةِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَالْمَوَاقِفِ الْمُحْمُودَةِ ، وَالْمَقَامَاتِ
الْمَشْهُودَةِ ؛ الَّتِي طَابَتْ بِهَا أَخْبَارُهُ ، وَحُسِّنَتْ فِيهَا آثَارُهُ ؛ وَكَانَ مُحَمَّدٌ مُتَخَلِّقًا بِخَلْقِهِ ،
وَفَاهِيًا عَلَى طَرِيقِهِ : عَالِمًا وَدِيَانَةً ، وَوَرَعًا وَصِيَانَةً ، وَعِفَّةً وَأَمَانَةً ، وَشَهَامَةً وَصَرَامَةً ؛

(١) فِي "الْمَثَلِ السَّائِرِ" ص ١٢٢ «وَمَا كُنْتُ لَهُ الْأَسْبَابُ» .

وَفَرَّدَا بِالْحِزْبِ الْجَزِيلِ : من الفضل الجميل والأدب الجزل ، والتوجه في الأهل ؛ والإيفاء في المناقب على لِدَاتِهِ وَأَتْرَابِهِ ، والإبرار على قُرَانِهِ وَأَصْرَابِهِ - فقلَّده ما كان داخلا في أعمال أبيه من نِقَابَةِ قُبَاءِ الطَّالِبِينَ بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار ؛ شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ؛ واختصه بذلك جَدًّا بِضِعْمِهِ ، وإفاته بقدرة ، وقضاء لحق رحمة ؛ وترفها لأبيه ، وإسماقا له بإثارة فيه ؛ إلى ما أمر أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر في المظالم ، وتسير الحجج في أوان المواسم ؛ والله يُعرف أمير المؤمنين الحِيرةَ فيما أمر ودبر ، وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين ، وسما الصالحين ، وعصمة عباد الله أجمعين ؛ وأن يعتد بها سرا وجهرا ، ويعتد بها قولاً وفِعْلاً ؛ فيأخذ بها ويُعطى ، ويرش ويرى ^(١) ؛ ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ؛ فإنها السبب المتين ، والمُعقل الحصين ؛ والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المُفضى إلى دار الثواب ؛ وقد حص الله أوليائه عليها ، وهداهم في مُحْكَم كتابه إليها ؛ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مُواظِباً ، وتصفحه مُداوِماً مُلازِماً ، والرجوع إلى أحكامه فيما أحلَّ وحَرَّمَ ، ونَقَضَ وأَبْرَمَ ، وَأَتَابَ وَعَاقَبَ [وباعد وقارب] ؛ فقد صحَّح الله بُرْهَانَهُ [وَحُجَّتَهُ] ، وأَوْضَحَ مِنْهَا جَهَّ وَحُجَّتَهُ ، وجعله بَقْرًا فِي الظُّلُمَاتِ طَالِعًا وَنُورًا فِي الْمَشْكَلَاتِ سَاطِعًا ؛ فَن أَخَذَ بِهِ نَجَا وَسَلِمَ ، وَمَنْ حَلَّلَ عَنْهُ هَلَكَ وَهَوَى

(١) في "المثل السائر" بدله «ويسرى» .

(٢) الزيادة من "المثل السائر" .

[وَنَدِمَ] ^(١) . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

وأمره بتزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات ، وتطالع إليه التزوات ؛ وأن يضبطها ضبط الحكيم ، ويكفها كف الحليم ، ويجعل عقله سلطاناً عليها ، ويميزه أمراً ناهياً لها ؛ فلا يجعل لها عدواً إلى صبوة ولا هفوة ، ولا يطلق منها عناءاً عند ثورة ولا قوهر ؛ فإنها أمارة بالسوء ، منصببة إلى الفتن ؛ فالحازم يتيمها عند تحرك وطره وأربها ، وأهتاج غيظه وغضبه ، ولا يدع أن يفضها بالشكيم ، ويعرکہا عرك الأديم ، ويقودها إلى مصالحها بالترائم ، ويعقلها عن مفارقة المحارم والمآثم ؛ كما يبرز بتذليلها وتأديبها ، ويجعل رياضتها وتقويمها ؛ والمؤدب في أمره تطمع به إذا طمعت ، ويمنع منها أني جمعت ؛ ولا يلبث أن توردته حيث لا صدر ، وتلجته إلى أن يعتذر ، وتقيمه مقام النادم الواجم ، وتنتكب به سبيل الإرشاد السليم ؛ وأحق من تحل بالمحاسن ، وتصدى لاكتساب المحامد ؛ من ضرب بمثل سهمه في قسب أمير المؤمنين الشريف ، ومنصبه المنيف ؛ واجتمع معه في ذؤابة العزة الطاهره ، واستظل بأوراق الدوحة الفاتحه ؛ فذاك الذي تتضاعف له المآثر إن آثرها ، والمطالب إن أسف إليها ؛ ولا سيما من كان مندوباً لسياسة غيره ، وممرهاً للتقليد على أهله ؛ إذ ليس ينبغي بإصلاح من ولي عليه ، من لا يفي بإصلاح مابين جنبيه ؛ وكان من أعظم الهجنة أن يأمر ولا يأتمر ، ويؤجر ولا يذبح ؛ قال الله عز وجل : ﴿اتَّامِرُوا النَّاسَ وَالرَّيَّاسَاتِ وَأَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ .

وأمره بتصفح أحوال من وُلِّي عليهم واستقراء مذاهبهم ، والبحث عن بواطنهم ودخائلهم ؛ وأن يعرف لمن هتكت قنمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزله ، ويؤقيه حقه ورتبته ، ويتتبع في إكرام جماعتهم إلى الخلود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم ، وتقضيها مواقفهم وأخطارهم : فإن ذلك يلزمه لشئيين : أحدهما يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم ، والآخر يُعمه والمسلمين جميعا ، وهو قول الله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ فالموَدَّة لهم والإعظام لأكابرهم ، والإشبال على أصاغيرهم ؛ [واجب] متضاعف الوجوب عليه ، ومتأكد الزوم له ؛ ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتسبوا ، أو جذبان لم يقرحوا ؛ مجررين إلى ما يزيى بأنسابهم ويقتض من أحسابهم ، عدلهم ونهيمهم ، ونهاهم ووعظهم ؛ فإن زرعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم ، والمقصود إليه فيهم ؛ وإن أصروا وتناهبوا ، أنظم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع ؛ فإن تقع وإلا تتجاوزته إلى ما يوجب ويلدع ؛ من غير تطرق لأعراضهم ، ولا انتهاك لأحسابهم ؛ فإن الغرض منه الصيانة ، لا الإهانة ، والإدالة ، لا الإذالة . وإذا وجبت عليهم الحقوق ، أو تعلقت بهم دواعي الخصوم ، قادمهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويجب ، والخروج إلى سنن الحق فيما يشتهه ويلتبس . ومتى لزمته الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها ، بعد أن تثبت الجرائم وتصح ، وتبين وتوضح ؛ وتبعد عن الشك والشبهة ، وتقبل من الظن والتهمة ؛ فإن الذي يستحب في حدود الله أن تُتدأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة ، وأن تُنقض عليهم مع قيام الدليل والبيّنة . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

(١) الإشبال اللطف وفي "الكل السائر" « والاشتغال » وهو بمثابة .

(٢) الزيادة من "الكل السائر" .

وأمره بمحاطة هذا النسب الأطهر، والشرف الأفخر، عن أن يدعيه الأذعياء،
أو يدخل فيه الدخلاء؛ ومن أنتمى إليه كاذبا، وأتخذه باطلا، ولم يوجد له بيت
في الشجرة، ولا مصداق عند النساء المهرة، أوقع به من العقوبة ما يستحقه،
وسمه بما يعلم به كذبه وفسقه، وشهره شهرة ينكشف بها غشه وأبسه، ويتزع
بها غيره ممن تسول له مثل ذلك نفسه. وأن يحصن الفروج عن مخالطة من ليس لها
كفؤا، ولا مشاركا في شرفها ونقورها، حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية
إلا من كان مثلا لها مساويا، ونظيرا موازيا؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وأمره بمراعاة منتهى أهله ومنتهجهم، وصلحتهم ومجاورهم، وأراهم
وأصاغرهم؛ حتى يسد الخلة من أحوالهم، ويؤد المواد عليهم، وتتعدل أوضاعهم
فيا يصل إليه من وجوه أموالهم، وأن يزوج الأيا، ويربي اليتامى؛ ويؤرمهم
المكاتب ليتقنوا القرآن، ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان؛ ويتأدبوا بالأداب،
اللاهية بذوى الأحساب؛ فإن شرف الأعراف، محتاج إلى شرف الأخلاق؛ ولا حمد
لن شرف نسبه، ويخف أدبه؛ إذ كان لم ينسب الفخر الحاصل له بفضل سعى
ولا طلب، ولا اجتهد ولا دأب؛ بل صنغ من الله عز وجل له، ومزید في المنة
عليه؛ وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية، والاعتداد
بما فيها من المزية، وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب، والترفع عن
الذائل والمتألب.

وأمره بإحمال الثبابة عن شيوخه الحسين بن موسى؛ فيما أمره أمير المؤمنين
باستخلافه عليه من النظر في المظالم، والأخذ للظلم من الظالم؛ وأن يمس للترافعين

إليه جُلوساً عاماً ، ويتأمل ظلماتهم تأملاً تاماً ؛ فما كان منها متعلقاً بالحاكم رده إليه ، ليحتمل الخُصوم عليه ؛ وما كان طريقه طريق القُثم والقُثم ، والتغلب والغصب ، قبض عنه اليد المبطلة ، وثبت فيه اليد المستحقة ؛ وتحرق في قضايه أن تكون موافقة للعدل ، ومجانبة للعدول ؛ فإن غابتي الحاكم وصاحب المظالم واحدة ؛ وهى إقامة الحق ونُصْرته ، وإبانتُه وإنارته ؛ وإنما يختلف سبيلهما في النظر : إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظاهر ، وصاحب المظالم يفحص عما غُمض وأستتر ، وليس له مع ذلك أن يردَّ لحاكم حُكومه ، ولا يُعلِّ له قضيته ؛ ولا يتعقب ما يُنفذه ويُمنّيه ، ولا يتتبع ما يحكم به ويُقضيه ؛ والله يهديه ويُستدّه ، ويؤفقه ويُرشده .

وأمره أن يسيرَ حجيحَ بيت الله إلى مقصدهم ، ويحييهم في بذلتهم وعودتهم ؛ ويربّتهم في مسيرهم ومسلكهم ، ويرعاهم في ليلهم ونهارهم ؛ حتى لا تنالهم شدّة ، ولا تصل إليهم نَصْرَة ؛ وأن يُريحهم في المنازل ، ويوردهم المنازل ؛ ويُناوبَ بينهم في النهل والعلل ، ويُمكنهم من الإرتواء والإكتفاء ؛ مجتهداً في الصيانة لهم ، ومُعذراً في الذنب عنهم ؛ ومُتولوا على متاعهم ومتخلفهم ، ومُنهباً لضعيفهم ومهيضهم ؛ فإنهم مُحتاج بيت الله الحرام ، وزوّار قبر الرسول عليه السلام ؛ قد هجروا الأوطان ، وفارقوا الأهل والإخوان ؛ وتجمّشوا المغارم الثقيل ، وتعمّسوا السُّهول الجبال ؛ يُلبون دعاء الله عن أسمه ، ويُطيعون أمره ويؤدّون فرضه ويرجون ثوابه ؛ وحقيق على المسلم المؤمن أن يخرسهم متبرّحاً ، ويحوطهم متطوعاً ؛ فكيف من تولى ذلك وصنّعه ، وتقلّده واعتقه ، قال الله : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ رَءِيسٌ الْبَيْتِ مِنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

وأمره أن يرَاعَى أمورَ المساجد بمدينة السلام وأطرافها ، وأقطارها وأكافها ؛
وأن يَحْيَى أموالَ وقُوفها ، ويستَقْصَى جميعَ حقوقها ؛ وأن يَلْمَّ شَعْبًا ، وَيُسَدِّ خَلْجًا ؛
بما يتَحْصِلُ من هذه الوجوه قَبْلَهُ ، حتى لا يَتَعَطَّلَ رِسْمُ جَرَى فيها ، ولا تَقْضَ عَادَةٌ
كانتَ لها ؛ وأن يُنَيِّتَ أَمْرَ أمير المؤمنين على ما يَعمُرُه منها ، ويَذْكُرَ اسمَه بعده
بأنَّ عُمرانها جرى على يَدَيْهِ ، وصَلاحها أَدَّاه قولُ أمير المؤمنين إلى فِعله ؛ فقد نَسَحَ له
أمير المؤمنين بذلك تنويهاً باسمه ، وإشادةً بذكره ؛ وأن يُوَلِّيَ ذلكَ من قَبْلِهِ مَنْ حُسِنَتْ
أَمَانَتُهُ ، وظهرتَ عِفَّتُهُ وصِيَانَتُهُ ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَى أُولَئِكَ
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهِنِينَ ﴾ .

وأمره أن يَسْتَخْلِفَ على ما يرى الاستخلافَ عليه من هذه الأعمال : في الأمصارِ
الدانية ، والبلادِ القريبةِ والبيدة ، مَنْ يَتَّقِي به من صَلَحاءِ الرجال ، وذَوِي الوَفَاءِ
والإِسْتِفْلالِ ؛ وأن يَهْدِيَ إليهم مَثَلَ الذي عُهِدَ إليه ، ويعتمدَ عليهم في مثل ما أَعْتَمِدَ
عليه ؛ ويستَقْرِى مع ذلك آثارهم ، ويتعرفَ أخبارهم ؛ فمن وجده محموداً أقره
ولم يُزَلِّه ، ومن وجده مُنْصَوِّماً صرفه ولم يَمْهَلْه ؛ وأعتاضَ منه مَنْ تَرَجَّى الأمانةُ
عنده ، وتكونُ الثقةُ معهودةً منه ؛ وأن يَخْتارَ لِكَتابَتِهِ وَحَبَّتِهِ والتصرفِ فيها قُرْبَ
منه وبُعدَ عنه ؛ مَنْ يَزِيئُهُ ولا يَنْهِنُهُ ، وَيَنْصَحُ له ولا يَنْشُهُ ، وَيَجَلُّه ولا يَهْجُهُ ، من
الطبقةِ المعروفةِ بالظُلْفِ ، المتصونةِ عن التُّلْفِ ؛ ويعملَ لهم من الأرزاقِ الكافيةِ ،
والأجرِ الوافيةِ ، ما يَصُلُّهم عن المكاسبِ الذميمةِ ، والمالِ كلِّ الرخيصةِ ؛ فليس تجب
عليهم الحُجَّةُ إلا مع إعطاءِ الحاجةِ ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى
وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴾ .

وأمره بأن يكتب لمن يقوم بيئته عنده وتكشف حجبته له ، إلى أصحاب المعان بالشّد على يديه ، وإيصال حقّه إليه ؛ وحسم الطمع الكاذب فيه ، وقبض اليد الظالمة عنه ؛ إذ هم متنبّهون للتصرف بين أمره ونهيه ، والوقوف عند رُحمته وحده .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته لك وعليك ؛ قد أثار فيه سيلك ، وأوضح دليلك ؛ وهداك وأرشدك ، وجعلك على بينة من أمرك ؛ فاعمل به ولا تخالفه ، وأنت إليه ولا تتجاوزّه ؛ وإن عرض لك أمرٌ يُعجزك الوفاء به ، ويستبهِ عليك وجهه الخروج منه ، أنهته إلى أمير المؤمنين مبادراً ، وكنت إلى ما يأمرُك به صائراً ؛ إن شاء الله تعالى . وكتب في مستهل شعبان سنة ثمانين وثلثمائة .



ومنها - ولاية الصلاة .

وهذه نسخة عهد كتب بها أبو إسحاق الصابى عن الطائفة لله ؛ لأبي الحرث محمد بن موسى العلوى الموصى ، بتقليده الصلاة في جميع النواحي والأمصار والأطراف ، وتوقف عن إظهاره لرأى رآه في ذلك ، وهى :

هذا ما عهد عبد الله إلى محمد بن موسى العلوى ، لما استكشفاه النظر في قسابة الطالبين فكفاه ، وتجل ذلك العيب فأغناه ، وفات النظراء في الاستقلال والوفاء ؛ وبدّ الأمثال في الإضطلاع والفناء ؛ جامعاً إلى شرف الأحساب والأعراق ، شرف الآداب والأخلاق ؛ وإلى كرائم المفان والمناقب ، مكارم الطباع والضرائب ؛ على الحدائث من سنّه ، والغضاضة من عوده ؛ مستولياً من البراعة والتجابه ؛ والفراسة واللبّابة ؛ على التى لا يلبثها الشيب المفارق ، فضلاً عن البالغ المراهق ؛ وغايات

تَقَطِّعُ دُونَهَا أَنْفَاسُ النَّافِسِينَ ، وَتَضَرُّمُ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ ؛ لِاسْمِهَا وَقَدْ أَطَّتْ ^(١) بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ شَوَاجِنُ الْأَرْحَامِ ، وَعَطَفَتْهُ عَلَى أَصْطِنَاعِهِ عَوَاطِفُ الْآبَاءِ وَالْأَعْمَامِ ؛ وَأَقْتَضَتْ آثَارُهُ الْمُحْمُودَةَ ، وَطَرَأَتْهُ الرِّشِيدَةُ ؛ أَنْ يُنَاوِرَهُ عَلَى رُبَّةٍ لَمْ يَلْتَفِتْهَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ ، وَلَمْ يَقْتَرِعْ نَوَائِمَهَا رَجُلٌ دُونَهُ ؛ فَقَلَّدَهُ الصَّلَاةَ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي خَمْسَةِ جَوَامِعِهَا : فَأَوَّلُهَا الْجَامِعُ الدَّاخِلُ فِي حَرِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَامِعُ الرِّصَافَةِ ، وَجَامِعُ الْمَنْصُورِ ، وَجَامِعُ بُرَائِي ، وَجَامِعُ الْكَفِّ الَّذِي تَوَلَّى أَبُوهُ إِشَادَتَهُ وَعِجَارَتَهُ ، وَحُسِّلَتْ آثَارُهُ فِي إِنْشَائِهِ وَإِعْلَانِهِ ؛ وَحَيْثُ سَمَتْ هِمَّتُهُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ الْمَجْهُودُ فِي إِتْفَاقِ الْأَمْوَالِ الدَّرْثَةَ عَلَيْهِ ؛ وَاسْتَقَرَّ بِذَلِكَ مِنْ اللَّهِ أَجْرُ لِقَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَأَوْفَرَ أَجْرِ الْمَاجُودِينَ ؛ وَجَمِيعِ الْمُنَافِرِ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَبَعِيدِ الْأَفْطَارِ وَقَرِيبِهَا ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ حُسْنَ التَّسْدِيدِ فِي ذَلِكَ وَمَسَائِرِ مَرَامِيهِ ، وَجَمِيعِ مَطَالِبِهِ وَمَغَازِيهِ ؛ وَجَوَارِي هِمَمِهِ الَّتِي يُمِضُّنِيهَا ، وَسِرَائِلَ عَزَمَاتِهِ الَّتِي يُنَوِّبُهَا ؛ وَأَنْ يَحْصَلَ النِّجَاحُ قَائِمَتِهَا وَسَاقِطَتِهَا ، وَالصَّلَاحُ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُتَيْب .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَحَرُّ الْمَعَاقِلِ ، وَأَحْصَنُ الْجُنُنِ عِنْدَ النَّوَازِلِ ؛ وَأَعْظَمُ مَلَكُمَا لِبَاسًا إِلَيْهِ ، وَأَمْنٌ مَوْكِلٌ يُعَوِّلُ عَلَيْهِ ؛ وَأَنْ يَمْتَقِنَهَا فِي خَلْوَتِهِ وَحَفَّتِهِ ، وَيَعْتَمِدَهَا فِي سِرِّهِ وَعِلَاقَتِهِ ؛ وَيَحْصِلُهَا سَبَبًا يَنْبَغِيهِ ، وَلِبَاسًا يَدَّرِعُهُ ؛ فَيُنَازِعُ بِهَا مَنْ نَازَعَهُ ، وَيُؤَادِعُ بِهَا مَنْ وَادَعَهُ : فَهِيَ أَوَّلُكَ الْأَسْبَابِ ، وَأَوَّصَلُ الْقُرْبِ وَالْإِنْسَابِ . وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالتَّسْلُكِ بِحَبْلِهَا ، وَالْإِسْتِمَالِ بِظِلِّهَا ؛ مَنْ كَانَ بِأَجَلٍ الْمُنَاسِبَ تَعَلُّقَهُ ، وَبِأَشْرَفِ الْخَلَائِقِ

(١) فِي الْقَامُوسِ « أَطَّتْ لَهُ رَحَى فَعَمِلَتْ وَتَحَرَّكَتْ » فَانْظُرْهُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ ج ٥ ص ٣٦٢ « الدَّرْثُ الْفَتْحُ الْمَالُ الْكَثِيرُ لَا يَتَّقِي وَلَا يَجْمَعُ يَقَالُ مَالٌ دَرْثٌ وَمَالَانِ دَرْثٌ وَأَمْوَالٌ دَرْثٌ » فَهَلْ هِيَ النَّاتِيَةُ زَائِدَةٌ مِنْ قَلَمِ النَّاسِخِ . تَأَمَّلْ .

تَحْلُقُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وَأَمْرَهُ بِتَلَاوةِ الْقُرْآنِ ، وَالْمُواظَبَةِ عَلَيْهِ وَالْإِذْمَانِ ، وَالْإِثْمَارِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ ، وَالْإِزْدَجَارِ عَمَّا تَضُمَّنُ مِنَ الزُّوَاجِرِ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَهُ الْإِمَامَ الْمَتَّبِعَ فَيَقْفُوهُ ، وَالطَّرِيقَ الْمَتَّبِعَ فَيَقْصِدَهُ وَيُتَّخِذَهُ ؛ فَإِنَّهُ الْعَلَمُ الْمُتَّخِذُ مِنَ النَّوَايِهِ ، وَالِدَلِيلُ الْقَائِدُ إِلَى الْمَهْدَايَةِ ؛ وَالنُّورُ السَّاطِعُ لِلْغُلَامِ إِذَا أَشْكَلَ مُشْكِلاً ، وَالْحَاكِمُ الْقَاضِي بِالْحَقِّ إِذَا أُغْضِلَ مُغْضِلاً ؛ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وَأَمْرَهُ بِتَهْذِيبِ نَفْسِهِ ، مِنْ جَوَائِحِ الْوَسَاوِسِّ ، وَتَطْهِيرِ قَلْبِهِ ، مِنْ مَطَالِحِ الْهَوَاجِسِّ ؛ وَأَنْ يَتَوَقَّى اللَّحْظَةَ السَّارِمَةَ ، وَيَتَجَنَّبَ اللَّفْظَةَ الْمُؤْلِيَةَ ؛ عَاصِباً جَوَائِذَ الْخَلْلَةِ ، وَطُغْيَانَ أَوَامِرِ الزَّهَاةِ ؛ حَتَّى يَسْتَوِيَ خَافِيهِ وَعَالِيَتُهُ ، وَيَتَّفِقَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ ؛ فِعْلاً مِنْ جَعَلَهُ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ إِمَاماً ، وَقَسَمَتَهُ الرِّعْيَةَ أَمَاماً ؛ وَكَانَ إِلَى اللَّهِ دَاعِياً ، وَلَهُ عَنِ عِبَادِهِ مُتَأَجِّباً ؛ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَالِقِهِمْ وَسَيْطَا ، وَعَلَى مَا قَلَّدَهُ مِنَ الصَّلَاةِ بِهِمْ أَمِيناً ؛ لِنَصِيحِ شُرُوطِ صَلَاتِهِ ، وَقَبُولِ مَرْفُوعِ دَعَوَاتِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وَأَمْرَهُ بِالْحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَاتِّهَازِ فُرُصِهَا مِنَ الْأَوْقَاتِ ؛ وَالِدُخُولِ فِيهَا بِالرَّقَّةِ وَالْخُشُوعِ ، وَالتَّوَقُّرِ بِالْإِخْبَاتِ وَالْخُضُوعِ ؛ وَحَقِيقُ عَلَى كُلِّ مُسْتَشْعِرٍ شُعَارَ الْإِسْلَامِ ، وَمُتَجَلِّبٍ جِلْبَابَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مُسْتَوْفِياً شُرُوطَهُ ، وَمُسْتَقْبِياً حُلُودَهُ وَرُسُومَهُ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ أَقَامَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [مِقَامَهُ] فِي أَمِطَاءِ غَوَارِبِ الْمَنَابِرِ

وذُرَاهَا ، وَصَبَّه مَنَصَّبَهُ فِي أَمِّ الرِّعْيَةِ أَذْنَاهَا وَأَقْصَاهَا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ . وَقَالَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِالسُّنَى فِي الْجَمْعِ إِلَى الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ ، وَفِي الْأَعْيَادِ إِلَى الْمُصَلَّاتِ الضَّاحِيَةِ ؛ وَأَنْ يَخْصَّ أَحَدَهَا بِصَلَاتِهِ فِيهِ وَقَصْدِهِ لَهُ ؛ وَيَأْمُرَ خَلْفَاءَهُ عَلَى الصَّلَاةِ بِالْإِقْرَاقِ فِي سَائِرِ الْجَوَامِعِ وَبِاقِي الْمَنَاسِبِ ؛ بَعْدَ الْأَمْرِ بِجَمْعِ الْمُؤَذِّنِينَ وَالْمُكَبِّرِينَ ، وَإِحْضَارِ الْقَوَامِ وَالْمُرَتِّبِينَ ، فِي أَتَمِّ أَهْمِيَّةٍ وَأَجْمَلِ هَيْئَةٍ ، بِقُلُوبٍ مُسْتَشْعِرَةٍ لِمَشْغُوعٍ ، مَتَّصِدَةٍ لِلذَّمُوعِ ؛ وَالسُّنَنِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ مُنْطَلِقَةٍ ، وَأَمَالٍ فِي حُسْنِ الْجَزَاءِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ مُتَقَبِّلَةٍ ، حَتَّى تَعْبُدَ أَلْسِنَتُهُمْ إِذَا أَقْرَعُوا الْخُطْبَ وَأَفْتَتَحُوا الْكَلِمَ عَنْ مَكُونٍ ضَمَائِرِهِمْ ، وَمَضْمُونِ سَرَائِرِهِمْ ؛ فَتَجِيءَ الْمَوَاقِفُ بِالْفَقَةِ ، وَالزُّوْجَرُ نَاجِعَةً ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِمُرَاعَاةِ الْمَسَاجِدِ ، وَتَعَهُدِ الْجَوَامِعِ ؛ وَمَدِّ خَلْفِهَا ، وَلَمْ شَعْنَهَا ؛ فَإِنَّهَا مَقَامُ عِزِّهِ وَتَغْرِهِ ، وَمَحَاضِرِ صِبْتِهِ وَذِكْرِهِ ؛ وَمَرَاكِزُ أَعْلَامِ الدِّينِ الْخَافِقَةِ ، وَمَطَالِعُ شُمُوسِ الْإِسْلَامِ الشَّارِقَةِ ؛ وَمَوَاقِفُ الْحَقِّ الْمَشْهُودَةِ ، وَقَوَاعِدُ الْإِيمَانِ الْمَوْطُودَةِ ؛ مِمَّا لَا يَتَضَعُّعُ أَحَدُهَا إِلَّا تَضَعُّعَ مَنْ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ لَهُ رُكْنٌ ، وَلَا آثَاتَ بَعْضُهَا إِلَّا آثَاتُ مَنْ أَعْضَاءَ الدِّينِ عَضُو ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا يَبْعَثُ مُسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ .

(١) جمع مقوم وفي اللسان « المقوم الخشبة التي يحسكها الحراث » ولعله يريد أنها آلات عزه ونفزه .
تامل .

وأمره في خطبته بكثرة التحفظ ، وعند افتتاحه وأختمه بطول التيقظ ؛ فإن العيون به منوطة ، والأعناق إليه ممدودة ؛ والمسامع فارغة لتلقف ما يقوله ، والقلوب فارغة لحفظ ما يُبدئ وما يُعيد ؛ فقليل الزلل ، في ذلك الموقف كثير ، وصغير الخطأ ، في ذلك المقام كبير ؛ والله تعالى يُسّده إلى المحبة الوسطى ، ويَقِفُ به على الطريقة المثلى ، بمنه .

وأمره بالسكينة في انتصابه للصلاة الجامعة ، وتقديمه لقضاء الفروض اللازمة ؛ وأن يسكن [في كل] حد من حدودها في الركوع والسجود ، والقيام والقعود ؛ فإنه عليها محاسب ، وبما يلحق من ياتم به في جميعها مطالب ؛ وأن يُفرغ قلبه لما يثله من البيان ، ويرفع صوته بما يتر به من قوارع القرآن ؛ مرتلاً لقراءته ، ومُسْتَرِيلاً في تلاوته ؛ ليشترك في سماعها الأقرب والأقصى ، ويتفجع بمواعظها الأبعد والأدنى ، بعد إخلاص سره وانتزاعه ، وتسويته في الطهورين باديه وخافيه ، وغائبه وحاضره ؛ فليس بالطاهر عند الله تعالى من يُصيب بالماء أطرافه ، وأذن بالجنبائث شغافه ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يُقيم الدعوة على منابر أعماله الفاضلية والدانية والغائبة والحاضرة لأُمير المؤمنين ؛ ثم للناهض عنه بالأعيان ، والقائم دونه في البأساء والضراء ؛ الذي عُذِّي بليان الطاعة ، وآقاد بزمام المتابعة ؛ بهاء الدولة ؛ ولولاة الأعمال من بعده الذين يُدعى لهم على المنابر ، ما يكون منها على العادة الجارية فيها ، فإنها دعوة تُلزم إقامتها ، وكلمة يجب إشادتها ؛ إذ كانت متعلقة بطاعة الله عز وجل ، وقد أوجبه الله

تبارك وتعالى على كافة المسلمين وجميع المعاهدین، إذ يقول [وهو] اصدق القائلین :
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ؛ وعائدتها
 نعمهم، وفائدتها تسميهم ؛ إذ كان صلاح الرعية مقرونا بصلاح راعيها، وفساد
 الأمة منوطا بفساد وإلها .

وأمره باستخلاف من يرى استخلافه على الصلاة في الإفطار والأطراف والنواحي
 والبلدان، وأن يختار من الرجال كل حسن البيان ؛ مصقع اللسان ؛ بليغ الرقي إذا
 خطب، بليغ القول إذا وعظ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وجمته لك وعليك ؛ قد أهدر فيه وأنذر، وهدى
 من الضلالة وبصر ؛ وأصلحك زمام رشدك وغيك ، وقلدك عنان هلكك وقوزك ؛
 وخيرك في كلا الأمرين، ووقفك إزاء الطريقين ؛ فإن سلكت أهداهما لم تلبث أن
 تعود غائما، وإن ولجت أضلها فغير بعيد أن تشوب نادما ؛ وأبتعن بالله يمينك ،
 وأسترده من الكفاية بزذك ؛ وأستليسه الهداية يئسك ، وأستدله على نجاح
 المطالب يذللك، إن شاء الله، والحمد لله وحده .

ومنها — نظر الأوقاف .

وهذه نسخة عهد من ذلك، كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائفة لله -
 للحسين بن موسى العلوي، وهي :

هذا ماعهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائفة لله أمير المؤمنين، إلى الحسين بن
 موسى العلوي، حين طابث منه العناصر، ووصلته بأمير المؤمنين الأواصر ؛ جمع
 إلى شرف الأعراق الذي ورثه، شرف الخلق الذي آكسبه، ووضعت آثار دينه

وَأَمَانَتِهِ ، وَبَاتَتْ أُدِلَّةُ فَضْلِهِ وَكَفَايَتِهِ ، فِي جَمِيعِ مَا أَسْنَدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَجَمَلَهُ إِيَّاهُ مِنَ الْأَشْتِمَالِ ؛ فَأُضَافَ إِلَى مَا كَانَتْ وَلَّاهُ مِنْ [ذَلِكَ] النَّظَرِ فِي الْوُقُوفِ الَّتِي كَانَتْ يُدْفَلَانِ فِيهَا بِالْحَضْرَةِ وَسَوَادِهَا ، تَقَرُّهُ بِسَدَادِهِ ، وَسُكُونِهَا إِلَى رِشَادِهِ ؛ وَعِلْمُهَا بِأَنَّهُ يَعْرِفُ حَقَّ الصَّبِيحَةِ ، وَيَرْعَى مَا يُسْتَحْفَظُهُ مِنَ الْوَدِيعَةِ ؛ وَيَجْرِي فِي الْمَثَلِ الَّذِي أَحْمَدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ وَوَكَّلَ إِلَيْهِ . وَاللَّهُ يُمِدُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِصَوَابِ الرَّأْيِ فِيمَا تَحْتَهِ وَتَوْحَاهُ ، وَيُؤَمِّنُهُ فِي عَاقِبَتِهِ النَّدَمَ فِيمَا قَضَاهُ وَأَمْضَاهُ ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ ، وَشِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يَعْتَقِدَهَا فِي سِرِّهِ وَتَجَوَّاهُ ، وَيَجْعَلَهَا الذَّخِيرَةَ لِلْأَوْلَادِ وَأَخْرَافِهِ ؛ وَيَتَجَنَّبَ الْمَوَانِعَ الْمُؤْنِيَةَ ، وَيَتَوَقَّى الْمَوَارِدَ الْمُتَرِيَةَ ؛ وَيُنْصُ طَرَفَهُ عَنِ الْمَطَامِعِ الْمُغْوِيَةِ ، وَيَذْهَبَ بِنَفْسِهِ عَنِ الْمَطَارِحِ الْمُخْزِيَةِ ؛ فَإِنَّهُ أَحَقُّ مَنْ قُلَّ ذَاكَ وَأَثَرُهُ ، وَأَوْلَى مِنْ أَحْمَدِهِ وَأَسْتَشْعَرِهِ ؛ بِسَبَبِهِ الشَّرِيفِ ، وَمَقْفَرِهِ الْمُنِيفِ ؛ وَعَادَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَشَاكِلَتِهِ الْمَأْثُورَةِ ؛ وَتَلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ الثَّقَلَيْنِ الْمُخْلَفَانِ فِي الْأُمَّةِ ، وَقَدْ جَمَعَتْهُ ، وَأَخْرَجَتْهُمَا الْأَسْبَابُ وَجَمَعَتْهُ وَالثَّانِي عَصْمَةُ أُولَى الْأَلْبَابِ ، وَتَوَجَّهَتْ حُجَّةُ اللَّهِ بِمَا يَرْجِعُ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ غُصْنٌ مِنْ دَوْحَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّتِي تَحْتَاها اللَّهُ بِالْإِنْذَارِ قَبْلَ الْخِلَاقِ أَجْمَعِينَ ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) . وَقَدْ حَصَّنَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى التَّقْوَى ، وَوَعَدَ عِبَادَهُ عَلَيْهِ الزُّلْفَى ؛ فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) .

وَأَمْرُهُ بِالْإِشْتِمَالِ عَلَى مَا أَسْنَدَهُ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْوُقُوفِ مُسْتَفِيدًا طَوَافَهُ فِي عِمَارَتِهَا ، مُسْتَفْرِغًا وَسْعَةَ فِي مَصْلَحَتِهَا ؛ دَائِبًا فِي اسْتِغْلَالِهَا وَتَشْمِيرِهَا ، مَجْتَهِدًا

في تديرها. وتوفيها ؛ وأن يصرف فاضل كل وقف منها. بعد الذي يخرج منه للنفقة على حفظ أصله ؛ واستدرا حبله ؛ والمثونة الراتب للقوام عليه ؛ والحفظة له ؛ إلى أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوها التي سبل لها ، ووقف عليها ؛ واضعاً جميع ذلك مواضعه ، موقعا له مواقعه ؛ خارجاً إلى الله من الحق فيه ، مؤدياً الأمانة إليه ؛ وأن يشهد على القابضين بما يقضونه من وقوفهم ، ويكتب البرات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ؛ ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينقده من أموال هذه الوقوف على مصالحه ، ويصرفه منها إلى أهلها ؛ ويخرجه منها في حقوقها وأبواب ربها ، وسائر سبلها ووجوها ؛ سالكا في ذلك منهجه المعروف في أداء الأمانة ، واستعمال الظلف والتزاهه ، معقبا على من كان ناظراً فيها من انثونة الذين لم يرعوا عهدا ، ولم يتصوّنوا عن تحت المطاعم ، وظلم المكائيم .

وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد ، مشهور بالرشاد ؛ معلوم منه نصيحة الانصاف ، والضبط للحساب ؛ ونفويض ديوان الوقوف وتديره إليه ، وتوصيته بصيانة ما يستعمل عليه من أصول الأعمال وفروعها ، وقليل الحجج وكثيرها ؛ وأن يحتاط لأربابها في حفظ رؤسها ومعاملاتها ، وحراسة طسوقها ومقاسماتها ؛ حتى لا يستمر عليها حيف ينق أثره ، ولا يتغير فيها رسم يخاف ضرره ؛ وأن ينصف الأكره فيها والمزارعين ، وسائر الخاطلين والمعاملين ؛ ولا يجهشهم حيفا ، ولا يسوهم خسفا ؛ ولا يبغيظي لهم عن حق ، ولا يسمح لهم بواجب ، خلا ما عادت السماحة به بزيادة عماراتهم ، وتاليف نباتهم ، واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم ؛ فإنه مؤمن في ذلك كله أمانة ، وعليه أن يؤديها ويخرج عن الحق فيها .

وأمره باختيار خازن حصيف ، قشور أمين ؛ يحزن جميع هذه الوقوف ويحفظها ، وسائر دفاترها وحساباتها ؛ فإنها ودائع أربابها عنده ، وواجب أن يحتاط عليها

جُهِدَهُ ؛ فَنَقَى شَكَّ فِي شَرْطٍ مِنَ الشَّرُوطِ ، أَوْ حَذَّ مِنَ الْحُدُودِ ؛ أَوْ عَارَضَ مُعَارِضَ ،
أَوْ شَاغَبَ مُشَاغِبَ ، فِي أَلَمٍ نَظَرِهِ وَأَيَّامٍ مَنْ عَسَى أَنْ تُثَقِّلَ وَلَايَةُ هَذِهِ الْوُقُوفِ إِلَيْهِ ،
وَيُنَاطِئَ تَدْيِيرُهَا بِهِ ، دَفَعَ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي هِيَ مَعَارِفُ الْبُرْهَانِ ،
وَقَوَاعِدُ الْبَيِّنَاتِ ؛ وَإِلَيْهَا الْمَرْجِعُ فِي كُلِّ بَيِّنَةٍ تُتَّصَرُّ وَتُقَامُ ؛ وَشَبْهَةٌ تُدَحِّضُ وَتُضَامُ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، وَوَثِيقَتُهُ الْحَاصِلَةُ فِي يَدَيْكَ ؛ فَاتَّبِعْ آثَارَ أَوْامِرِهِ ،
وَأَزِدْ حُرْنَ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ ؛ وَاسْتَمْسِكْ بِهِ شَيْعُ وَتَسْلَمْ ، وَاعْمَلْ عَلَيْهِ تَفَرُّ وَتَقَمُّ ؛
وَاسْتَرِيدِ اللَّهَ يُرِيدُكَ ، وَاسْتَهْدِهِ يَهْدِيكَ ؛ وَاسْتَعِنْ بِهِ يَنْصُرْكَ ، وَفَوِّضْ إِلَيْهِ يَعْصِمَكَ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(مِمَّا يَكْتَبُ مِنْ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ التَّقَالِيدُ . وَهِيَ لِمَنْ دُونَ
أَرْبَابِ الْعُهُودِ فِي الرُّتَبَةِ ، وَلَيْسَ لِكِفَاتِحِهَا عَنْهُمْ ضَائِقٌ)

وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَقْلِيدِ بَحَايَةِ الْكُوفَةِ ، لِأَبِي طَرِيفِ بْنِ عَلِيَّانِ الْعَقِيلِيِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ
أَبِي إِصْحَاقِ الصَّابِيِّ ، وَهِيَ :

قَدْ رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ - الْحَيَاةَ بِالْكُوفَةِ وَأَعْمَالَهَا وَمَا يَجْرِي مَعَهَا
ثِقَةً بِشَهَامَتِكَ وَغَنَائِكَ ؛ وَسُكُونًا إِلَى أَسْتِفْلَاكَ وَوَقَائِكَ ، وَاعْتِقَادًا لِأَصْطِنَاعِكَ
وَأَصْطِفَائِكَ ؛ وَحُسْنَ ظَنٍّ بِكَ فِي شُكْرِ مَا يُسَدِّدُ إِلَيْكَ ، وَمُقَابَلَتِهِ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ؛
مِنْ الْأَثَرِ الْجَلِيلِ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، وَالْمَقَامِ الْحَمِيدِ فِيمَا تُسْتَكْفَاهُ ؛ فَتَوَلَّ - أَيْدِكَ اللَّهُ - ذَلِكَ
مَقْدَمًا تَهْوِي إِلَيْهِ وَمَرَاتِبَهُ ، وَمُسْتَمَلًا تَوْفِيقَهُ وَمَعُونَتَهُ . وَأَحْرُسِ الرِّعْيَةَ فِي مَسَاكِئِهَا ،
وَالسَّابِلَةَ فِي مَسَالِكِهَا . وَأَذْفَعْ عَنْ عَمَلِكَ وَنَوَاحِيهِ أَهْلَ الْعَيْثِ جَمِيعًا ، وَأَطْلُبْهُمْ طَلْبًا

شديداً ، وأطرقهم في مكائهم ، وتَوَلَّح عليهم في مظائهم ؛ ونَكَلَ بن تَقَطَّر به منهم
نَكَالاً يُقِيم به حُكْم الله عليهم ، وحُدودَه في أمثالهم ؛ وبالغ في ذلك مبالغةً تُخَيِّف
الظَّالِمِينَ وتُوجِّسُهُ ، وتُؤَمِّن السَّالِمِينَ وتُؤَنِّسُهُ . وراعى الأَكْرَةَ والمُزَارِعِينَ حتى يَنْبَسِطُوا
في معائشهم ، ويتَصَرَّفُوا في مصالحهم ؛ ويتَيَمَّر عوامِلهم في عِمَارَاتِها ، ومَوَاشِيهم
في مَسَارِحِها ؛ ومتى طُرِدَتْ لأحدٍ منهم طريدةٌ أو أَمْسَدَتْ إليهم يدٌ طائفةٌ ، أَرْتَجَحَتْ
ما أُخِذَ له ، وردَّدَتْه بَيْنَهُ أَوْقِيمةً مِثْلَهُ . وَخَفَّفَ عَمَّنْ وَلَّيَتْ عَلَيْهِ الوَطْأَةَ ، وأَرْفَعَ
عَنهم المَشْوَنَةَ والكُلْفَةَ ؛ وَخُدَّم بالِاتِّصَافِ ، وأَقْبَضَهُم عَنِ التَّظَالُمِ ، وأَمْنَعَ قِيَمَهُم مِنْ
تَحْيِيفِ المَضْعُوفِ ، وَشَرَّفَهُم مِنْ أَسْتِزَامَةِ المَشْرُوفِ ؛ وَأَوَّلَمَ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ
سَيْرَتِكَ ، وَأَسْتِقامَةِ طَرِيقَتِكَ ، ما يَتَّصِلُ عَلَيْهِ شُكْرُكَ ، وَيَطْلُبُ بِهِ ذِكْرُكَ ، وَيَقْتَضِي
لَكَ دَوَامَ الْوِلَايَةِ ، وَتَضَاعُفَ الْعِنَايَةِ .

وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِيا وَلِيَّتِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مُتَضَمِّنٌ لِلْأَلِّ وَالْأَلَمِ ، وَمَا تُخَوِّذُ بِكُلِّ
مَا يَهْمُكَ مِنْ ذِمَّةٍ وَمُحَرَّمَ ؛ فَلْيَكُنْ أَجْتِهَادُكَ فِي الضَّبْطِ وَالْحِمَايَةِ ، وَأَحْتِرَاسُكَ مِنْ
الْإِهْمَالِ وَالْإِضَاعَةِ ، بِحَسَبِ ذَلِكَ . وَأَكْتُبُ بِأَخْبَارِكَ عَلَى سِيَّاقَتِها ، وَأَثَارِكَ لَأَوْقَاتِها :
لِيَتَّصِلَ لَكَ الْإِحْمَادُ عَلَيْها ، وَالْمَجَازَةُ عَنْها ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

النوع الثالث

(مما كان يُكْتَبُ لأَرْبابِ الوُظَافِ مِنْ دِيوانِ الخِلافةِ بِبَغْدَادَ ما كان يُكْتَبُ
لأَرْبابِ الوُظَافِ بِبَغْدَادَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَقْلَامِ)

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(السُّهُود)

ورثتها على نحو ما تقدم في عهد أرباب السيوف ، ففتح بـ «هذا ما عهد»
إلى آخر الترتيب المتقدم ذكره .

وهذه نسخة عهد ولاية قضاء حاضرة بغداد وسائر الأعمال ؛ كتب به المسترشد بالله لقاضي القضاة أبي القاسم علي بن الحسين الزيني ، وهي :

هنا ما عهد عبد الله أبو منصور الفضل ، الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين ،
إلى قاضي القضاة علي بن الحسين الزيني : لما تأمل طريقتَه ، وشهد عقيدته ؛
وأحمد مذهبَه ، وأرضى ضرائفه ؛ وتكاثر دواحيه ، وحسنت مساعيه ؛ ووجدَه
عند الاختيار ، وفي مِضمار الاختبار ، راجعاً إلى عقل رصين ، ودين متين ؛ وأمانة
مشكورة ، وزاهة محبوبه ؛ وورع نير المشرق ، طار من دس المطمع ؛ وطم توفّر منه
قسمه ، وأصاب فيه سهمه . وحين راعى فيه موروث شرف النسب ، إلى شرف
العلم المكتسب ، مع ما سلف لبيته من الحرّات المربية المتأكّده ، والقربات المرضية
المتمهّده ؛ والسوابق المحكّمة المرائر ، الحميدة المبادئ والمصابر ؛ فقلّده قضاء القضاة
بمدينة السلام وسائر الأمصار ، في الآفاق والأقطار ؛ شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛
إنافه به إلى ما أصبح له مستحقاً ، وأستمرّ استيجابُه مسترقاً ؛ وجذباً بضمّعه إلى
ما يتحقّق نُبوّضه بأعبائه ، وحسن استغلاله به وغنائِه ؛ واقتفاءً لأنار الأئمة الراشدين
في إبدائع الودائع عند مستحقّها ، وتفويض الأمور إلى أكفائها وأهلها ؛ لاسيّما
أولياء دولتهم ، وأغذياء نعمتهم ؛ الذين كشفت عن تحجف خبرتهم التجارب ، ووردوا
من الخلال الرشيدة أعذب المشارب ؛ وآتهمجوا الجدد الواضح ، وقبلوا الخلق

الصالح ؛ والله سبحانه يقرن عزائم أمير المؤمنين بالخيرة في كل رأى يرتئيه ، وأمره يؤمّه ويتصّحّيه ؛ ويصدق تخيلته في كلّ حال يأتيها ، ويُبصّى عزمه فيها ؛ وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُتنب .

أمره بتقوى الله التي لا تسعد أحد إلا بالتمسك بسببها ، ولا تشقى إلا مع إضاعتها ؛ فإنها الجنتاب المريع ، والمعلّل المنيع ؛ والنجاة يوم الفزع الأكبر ، والعُدّة النافعة في المعاد والمحشّر ؛ والعصمة الحامية من نزغات الشيطان وتخايله ، المقيدة من أشراكه وحبايله ؛ وبها تمحص الأوزار ، وتُثال الأوطار ؛ وتُدرك المآرب ، وتصح المطالب ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وأمره باستشعار خشية الله سبحانه في قوله وفعله ، واختلاف أطواره وأحواله ؛ وتذكّر ما هو قادم عليه ، ووافد إليه : يوم ﴿ لَا يَحْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَائِزٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ . فلا يهوده الهوى إلى اتّباع شهوه ، أو إجابة داعي هفوة أو صبوه ، إلا كان الخوف قايده ، والحذر مانعه ؛ وأن يعمل التواضع والوقار شيعة ، والحلم دأبه وخيلته ، فيكظم غيظه عند احتدام أواره ، وأضطرام ناره ؛ مجتنباً عِرة الغضب الصائرة إلى ذلّة الاعتذار ، ومتوخياً في كل حال للقاصد السليمة الإيراد والإصدار . وأن يتأمل أحوال غيره تأمل من جعلها لنفسه مثالا ، وأخذها لنفسه منوالاً ؛ فما استحسنه منها فأتاه ، وما كرهه فاجتنبه ؛ غيرناه عما هو من أهله ، ولا أمير بما هو مجانب لصله ؛ قال الله جلّت عظمتُهُ : ﴿ اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وأمره بجلالة كتاب الله مواظبا، والإكثار من قراءته دائما، وأن يجعله إماما يقتضيه، ودليلا يتبعه فيهديه؛ ونورا يستضيء به في الظلمات، وهاديا يسترشده عند اعتراض الشبهات؛ وموتلا يستند إليه في سائر أحكامه، وحصنا يلجأ به في نقضه وإبرامه؛ عاملا بأوامره، ومزجرا بزواجره؛ ومُنْيا نظره في مُحْكَم آياته، وصادع بيناته؛ ومُعَمِّلا فكره في خوض غماره، واستخراج غوامض أسرارهِ؛ فإنه الحق الذي لا يَيُورُ مَنَبُعُهُ، والمتجر الذي لا يَيُورُ مَبْتَضِعُهُ، والمنار الذي به يُقْتَدَى، والمنهج الذي بأعلامه يُهْتَدَى؛ والمصدر الذي تقرئ به الأمور في مُلَيْس الإشكال، وتشرع معه الأحوال المستبهمة في ورود الوُضُوح السَّالِس؛ وينبوع الحكمة الذي ضرب الله فيه الأمثال؛ وفرق فيه بين الحرام والحلال، والهداية والضلال؛ قال الله سبحانه: ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بدراسة السنن النبوية صلوات الله على صاحبها، والافتدائ بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي تدب إليها، وحض عليها؛ وتبج ما يتداخلها من الأخبار الجريجة، والروايات غير الصحيحة؛ والفحص عن طرقها وإسنادها، وتمييز قويمها وميادها؛ والبحث عن رواتها، منحوزها ونفقاتها؛ فما ألفاه بريقا من الطعن، آمنا من القسح والوثن؛ عاريا من ملابس الشك والارتباب؛ عاطلا عن حلي الشبهة والإعتاب؛ آتبعه وأقتفاه، وتمثله وأحتذاه؛ وكان به حاسما، ولاذواء الباطل باتباعه حاسما؛ وما كان متراجعا بين كفتي الشك واليقين، ولم تبد فيه تحايل الحق المبين، جعل الوقف حكمه، وردع عن العمل به عزمه؛ إلى أن يوضح الحق فيه، فيعتنقه ما يوجبُه ويقتضيه: فإنه - عليه السلام - الداعي إلى الهدى، والرحمة

التي عصم الله بها من عَوَادِي الرَّدَى؛ والمهادى الذي لم يفصل بين العمل بفرائض كتابه وسُنَّته في قوله تَهَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَجَلَّتْ آلاؤُهُ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره بإقامة الصَّلَوَاتِ الخميس المفروضة في أوقاتها ، والمبادرة إليها قبل قَوَاتِهَا ؛ والإتيان بشرائطها المحلوبة وأركانها .

وأمره بمجالسة العلماء ، ومباحثة الفقهاء ؛ ومناقشة ذَوِي البصيرة والفهم ، والفطنة والحزم ، ومشاورتهم في عَوَارِض الأمور المشكِلة ، وسوانح الأحكام المستبهمة المُعْضِلة ؛ حتى يُصَرِّحَ مُحْضُ رَأْيِهِ وَأَرَائِهِمْ عن زُبْدَةِ الصُّوَابِ ، وتُتَجِّعَ أَفْكَارُهُمْ بِاسْتِجْامِهَا نَظَرًا شَافِيًا بِالْجَوَابِ ، رَافِعًا عَنْهُ مُنْشِدَ الْحِجَابِ ؛ وإنَّ في ذلك تَلْجَا للصُّدُورِ ، وَاسْتِظْهَارًا فِي الْأُمُورِ ؛ وَاحْتِرَازًا مِنْ دَوَاعِي الزَّلَلِ ، وَاسْتِمْرَارِ الْخَلَلِ ؛ وَأَمْنًا مِنْ عَوَائِلِ الْإِنْفِرَادِ ، وَحَظًّا لِلتَّعْوِيلِ عَلَى الْإِسْتِبْدَادِ ؛ فَلَرُبَّ تَقَةٍ أَتَتْ إِلَى تَجَمُّلِ ، وَأَمْنٍ أَفْضَى إِلَى وَجَلِ ؛ وَمَا زَالَتِ الشُّورَى مَقْرُونَةً بِالْإِصَابَةِ ، مُحْكِمَةً عُرَى الْحَقِّ وَأَسْبَابَهُ ؛ حَارِسَةً مِنْ عَوَاقِبِ النَّدَمِ ، دَاعِيَةً إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ؛ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَأَزَلَّفَ مَحَلَّهُ لَدَيْهِ ، بِالْإِسْتِظْهَارِ بِالمُشَاوَرَةِ مع عَظَمِ خَطَرِهِ ، وَشَرَفِ قَدْرِهِ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره أَنْ يَخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْأَمَاكِنَ الْفَيْسِيحَةَ الْأَرْجَاءَ ، الْوَاسِعَةَ الْفَضَاءَ ؛ وَيَنْظُرَ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ نَظَرًا تَفَتَّرُ نُفُورُ الْعَدْلِ فِيهِ ، وَتَلُوحُ خَشْيَةُ اللَّهِ مِنْ مَطَاوِيهِ ؛ فَيُوصِلَ إِلَيْهِ كَافَّةَ الْخُصُومِ ، وَيَبْزِزُ لَهُمْ عَلَى السُّمُومِ ؛ غَيْرَ مُشَدِّدٍ حِجَابَهُ ، وَلَا مُرْتِجٍ دُونَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْهِ بَابَهُ ؛ وَأَنْ يُؤَيِّلَ كُلًّا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ ، وَحَسَنَ الْإِصْفَاءِ إِلَيْهِ ، مَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ فِيهِ

مُسَاوِيَا ، وَلَمْ فِي تَجَمُّعِ الْمَوَازَاةِ حَاوِيَا ؛ وَلَا يُعْطَى مِنْ أَلْفَاتِهِ [إِلَى] الشَّرِيفِ لَشَرْفِهِ ،
 وَذِي الشَّارَةِ الْحَسَنِ مِنْ أَجْلِ تَوْبِهِ وَمِطْرَفِهِ ، مَا يَمْنَعُهُ مِنْ تَقَحُّمِهِ الْعِيُونَ ، وَتَرَجُّمِ
 فِي نَحْمُولِهِ الظُّنُونِ : فَإِنَّ ذَلِكَ مُطْمَعٌ لَذِي الرُّوَاءِ فِي دَفْعِ الْحَقِّ إِذَا وَجِبَ عَلَيْهِ ،
 وَالتَّمَاسِ الْبَاطِلِ وَإِنْ ضَعُفَتِ السَّوَاعِي إِلَيْهِ ؛ مُؤَيِّسٌ لَذِي النُّجُولِ مِنَ الْإِنتِصَارِ
 لِحَقِّهِ ، وَإِنْ أَصْفَرَ صَبْحُ يَقِينِهِ وَنَطَقَتْ أَلْسِنَةُ أَذْنُهُ ؛ فَالنَّاسُ وَإِنْ تَبَايَنُوا فِي الْأَقْدَارِ
 وَالْقِيَمَةِ ، وَتَفَاوَتُوا فِي الْأَرْزَاقِ الْمَقْسُومَةِ ، فَلَا إِسْلَامَ لَهُمْ جَمْعَ ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ
 يُبْعَ ؛ وَهُمْ عِنْدَ خَالِقِهِمْ سُوءٌ إِلَّا مَنْ مِيزَتْهُ التَّقْوَى ، وَتَمَسَّكَ بِسَبِيلِهَا الْأَقْوَى ؛
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا
 أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْضُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْمُتَرَاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَالْخُصُومَ لَدَيْهِ ؛ وَيَتَطَلَّبَ مَا وَقَعَ زَرَاعُهُمْ
 لِأَجَلِهِ فِي نَصِّ الْكُتَابِ ، وَيَعْدِلَ إِلَى السُّنَّةِ عِنْدَ صَدَمِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ ؛ فَإِنَّ فَقْدَ
 مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ ، فَلْيَرْجِعْ إِلَى مَا اخْتَارَهُ السَّلَفُ الْمُهْتَدُونَ ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ
 الْمُجْتَهِدُونَ ؛ فَإِنْ لَمْ يُلَفَّ فِيهِ قَوْلًا وَلَا إِجْمَاعًا ، وَلَا وَجَدَ إِلَيْهِ طَرِيقًا مُسْتَطَاعًا ، أَعْمَلَ
 رَأْيَهُ وَأَجْتَهِدَهُ ، وَآمَنَ بِرِكَابِ وَسْمِهِ وَجِيَادِهِ ؛ مُسْتَظْهِرًا بِمَشُورَةِ الْفُقَهَاءِ فِي هَذِهِ
 الْحَالِ ، وَمُسْتَخْلِصًا مِنْ آرَائِهِمْ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتِّفَاقُ الْأَمْنُ الْإِعْتِلَالُ : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ
 الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِاسْتِحْمالِ الْأَثَاةِ عِنْدَ الْحُكُومَاتِ ، وَاسْتِمَاعِ الدَّلَاوِيِّ وَالْبَيْنَاتِ ؛ مِنْ غَيْرِ
 سُرْعَةٍ تُنْجِثُ خَطَلًا ، وَلَا إِفْرَاطٍ فِي النَّاتِي يُورِثُ مَلَأًا ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ بَيْنَ ذَيْنِكَ عَلَى شَقَا
 خَطَرٍ ، وَظَهَرَ غَرَرٌ ؛ وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَ أَحَدُ الْخَصْمَيْنِ مِنْطِيقًا ، يَتَّقِي كَلَامَهُ تَحْقِيقًا ؛

فإنه يَحْتَلِبُ بِلَاغَةٍ تُطْلَقُ مَسْمَعُهُ، وَيُعْطَى وَجَهَ الْبَاطِلِ بِالْفَاظَةِ الْمَوْشَعَةِ؛ فَإِذَا اتَّفَقَ لَدَيْهِ مَا هَذَا سَبِيلَهُ، تَحَذَّرَ لَهُ غَرْبَ فُطْنَتِهِ، وَأَرْهَفَ غِرَارَ فِكْرِهِ وَبَصِيرَتِهِ؛ وَمَنْعَ كُلًّا مِنَ الْإِنْتِصَابِ مَا يَحْتَلِبُ وَجَهَ النَّصَفِ مُبْتَرَا، وَيَقْدُو لِأَشْيَاعِ الْجَوْرِ مُبْتَرَا .
وَأِنْ ذُو اللَّسَنِ رَوَّعَهُ، وَأَوْهَمَهُ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ، بِمَا يَلْفَقُهُ مِنْ كَلَامٍ يَقْصُرُ خَصْمُهُ عَنْ جَوَابِهِ، وَيَتَحَصَّرُ عَنْ جِدَالِهِ وَأَسْتِيفَاءِ خِطَابِهِ؛ مَعَ عَدَمِ الْبَيِّنَةِ الْمَشْهُودَةِ، وَتَعَدُّرِ الْحُجَّةِ الْمَوْجُودَةِ، أَسْتَعَادَ كَلَامَهُ وَأَسْتَنْطَقَهُ، وَأَسْتَوْصَحَّ مَغْزَاهُ وَتَحَقَّقَهُ؛ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ إِعْجَابٍ بِمَا يَذْكُرُهُ، وَلَا أَغْتَرَارٍ بِمَا يَطْوِيهِ وَيَنْشُرُهُ؛ وَلَا إِصْفَاءٍ يَسُدُّ أَوَّلَ الرُّقَاتِ مِنْ حَقْوَاهُ، وَلَا اخْتِصَاصٍ لَهُ بِمَا يَمْنَعُ صَاحِبَهُ شُرَاهُ : لَلَّا يُولَدُ ذَلِكَ لَهُ أَشْطِطَاطًا، وَيُحْدِثُ لَهُ أَنْطِلَاقًا فِي الْخُصُومَةِ وَأَنْبِسَاطًا؛ حَتَّى إِذَا أَبْنَسَ الْحَقُّ، وَأَنْتَصَرَ الصِّدْقُ؛ وَفَلَجَ أَحَدُهُمَا بِحُجَّتِهِ، وَلَحَنَ بَيِّنَتِهِ، أَقْرَبَ الْوَاجِبَ فِي نِصَابِهِ، وَأَدَّاهُ مِنْ جُنُودِ الظُّلْمِ وَأَحْزَانِهِ، وَأَمْضَى الْحَكَمَ فِيهِ بِاعْتِرَافِ صَادِقٍ، وَرَأْيٍ مُحْصَدٍ الْوَاقِعِ؛ غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ إِلَى مُرَاجَعَةِ الْخُصُومِ وَتَسَاجُرِهِمْ، وَشُكُوهِمُ وَتَنَاقُرِهِمْ؛ أَعْتَادًا لِلْوَاجِبِ، وَأَتِيهَا جَا بِلَدَدِ الْعَدْلِ الْوَاجِبِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِذَا أَتَيْتَبَ لِلْقَضَاءِ أَنْ يُفَرِّغَ بَالَهُ، وَيَقْضِيَ أَمَامَهُ أَوْطَارَهُ وَأَشْغَالَهُ؛ وَيُحْتَلِبُ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا سِرَّهُ، وَيُشْرَحَ لِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ صَدْرُهُ؛ فَلَا تَتَرَعَّ نَفْسُهُ إِلَى تَحْصِيلِ مَا رُبَّ، وَلَا تَطْلُعَ إِلَى دَرْكِ مَطْلَبٍ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَكْتَنَفَتْهُ عُجُونُهُ، وَأَحَاطَتْ بِهِ شُئُونُهُ، كَانَ عُرْضَةً لَتَشْعُبِ أَفْكَارُهُ، وَحَمَلَةً عَلَى مَرَكَبِ اضْطِرَارِهِ الْجَارِي بِضَدِّ إِيثَارِهِ وَأَخْتِيَارِهِ؛ حَرِيًّا بِالتَّقْصِيرِ عَنِ الْقَهْمِ وَالْإِنْفَاهِمِ، وَالضَّجَرِ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الْخِصَامِ .

وأمره بالتثبت في الخُدود، والإستظهار عند إقامتها بمن يَسْكُن إلى قوله من الشهود؛ والأحطاط من عَجَل يُحِيل الحكم عن بَيَّانه، أَوْ رَيْث يَرْجيه عند وُضُوحه وتبينه؛ وأن يتجافى عما لم يُصَرِّح له بذكره وشرحه، ولا يُسْرِعَ إلى تصديق ساج وإن تشبه بالناصحين في نُصحه؛ حتى يستبين له الحق فيمُضيه، عاملاً بما يُوجبه حكم الله فيه. وأن يدرك من الخُدود ما عترضت الشبهة دليلاً، وكانت شواهد مدخولة، ويُقيم منها ما قامت شُهوده، ولم يمكن إنكاره وبُجُوده؛ قال الله تعالى: مُكْرًا لَتَجَافِيَهَا، وَمُعْظَمًا لَتَجُوزَ فِيهَا: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وأمره بتصفُّح أحوال الشهود المُعدِّلين، المسموعة أقوالهم في أمور المسلمين وأحوال الدين؛ ومواصلة البحث عن طرائقهم، وأسْتِشْفَاف خلايقهم؛ مستخدماً في ذلك سره وجهه، وواصلًا بعوان دأبه فيه بكرة؛ فَنَ عَلَيْهِ سَلِيماً فِي فِعْله، غير ظَنين في أصله؛ مُتَحَرِّياً فِي كَسْبِهِ، مَرْضِيّاً فِي مَلْهِيهِ؛ حَافِظاً لَكَلَامِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، مُتَمَسِّكاً مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ بِمَا يَلَوِي عَنْ مَهَاوِي الْخَطَايَا عَنْانَهُ؛ حَالِيّاً بِالدِّينَانَةِ الْمُنِيرَةِ الْمَطَالَعِ، حَامِياً نَفْسَهُ عَنِ الْإِسْفَافِ إِلَى دَنَائَا الْمَطَامِعِ، حَاطِياً مِنَ الظُّلْفِ وَالْأَمَانَةِ، وَالْقَدْرِ وَالصِّيَانَةِ، وَالْإِحْتِرَاسِ وَالْحِفْظِ، وَالتَّحَرُّزِ وَالتَّقِيطِ؛ مَا تَمَيَّزَ بِهِ عَلَى أَشْكَالِهِ وَأَثَرِيهِ، وَطَالَ مَنَازِلُهُ وَأَضْرَابُهُ، فَقَدْ كَلَّتْ صِفَاتُهُ، وَاقْتَضَتْ تَقْدِيمَهُ أَدَوَاتُهُ؛ وَوَجِبَ أَنْ يَمْنَحِيَ كَوْنَهُ عَدَلاً، وَيَحْمِلَهُ لِقَبُولِ الشَّهَادَةِ أَهْلاً. وَمَنْ رَأَى عَنْ هَذِهِ الْخِلَالِ مَقْصَراً، وَبَعْضَهَا مُسْتَظْهِراً؛ وَكَانَ مُوسِماً بِدَيَانَةِ مَشْكَورِهِ، وَزَاهِةً مَأْتُورِهِ، رَضِيَ بِذَلِكَ مِنْهُ قَانِعاً، وَحَكَمَ بِقَوْلِهِ سَامِعاً. وَمَنْ كَانَ عَنْ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ نَائِثِيّاً، وَلَا أَحْوَالَهُمِ الْمَيِّتِ ذِكْرَهَا نَافِيّاً، أَلْفَى قَوْلَهُ مُطَرِّحاً، وَرَدَّ شَهَادَتَهُ مَصْرَحاً؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الشُّهُودَ أَعْوَأَ الْحَقِّ عَلَى اتِّصَارِهِ، وَحَرْبُ الْبَاطِلِ عَلَى تَنْبِيهِهِ وَبَوَّارِهِ؛

وَحُجَّةَ الْحَاكِمِ إِلَى قَضَائِهِ ، وَوَزْرَهُ الَّذِي يَسْتَعِدُّ إِلَيْهِ فِي سَائِرِ أَعْمَالِهِ ؛ فَإِذَا أُعْذِرَ فِي أَرْبَابِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغَ وَتُسِعَهُ فِي انْتِقَادِهِمْ ، قَدْ خَرَجَ مِنْ عَهْدَةِ الْاجْتِهَادِ ، وَاسْتَحَقَّ مِنْ اللَّهِ جَزَاءَ الْمُجْتَهِدِ يَوْمَ التَّنَادِ ؛ وَمَتَى غَرَّرَ فِي ذَلِكَ تَوَجُّهَاتِ الْأَلَمَةِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ قِنًا يَنْسِبُ التَّقْصِيرَ فِي الْإِحْتِيَاظِ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ يُتَوَلَّى السَّرَائِرَ ، وَيَبْلُوْخَفِيَّاتِ الضَّيَاقِ ، قَالَ مِسْبَاحُهُ : ﴿ يَمُنُّ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ . وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكُلَّ أُمُورَ الْبِتَائِيِّ فِي أَمْلَاكِهِمْ وَأُمُورِهِمْ ، وَمِرَاعَاةِ شُؤْنِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ ؛ إِلَى التَّلَقَّاتِ الْأَعْيَاءِ ، وَالْكُفَّاتِ الْأَهْيَاءِ ؛ الَّذِينَ لَا تَسْتَوِيهِمْ دَوَاعِي الطَّمَعِ ، وَلَا يُورِدُهُمُ الْإِسْفَافُ مَوَارِدَ الطَّبَعِ ؛ وَأَنْ يَتَّبِعَ أُمُورَهُمْ وَيَتَصَفَّحَهَا ، وَيُسَارِفَهَا بِنَفْسِهِ وَيَسْتَوْصِفَهَا ؛ عَالِمًا أَنَّهُ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ مُسْتَوْصِلٌ ، فَإِنْ عُذِرَ فِي إِهْمَالِ يَغْفَلُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ وَهُوَ سَبَّاحُهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْبِتَائِيِّ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَنْ يُوعِزَ إِلَيْهِمُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى أَرْبَابِهِا بِالْمَعْرُوفِ : لِيَتَهَيَّجُوا فِيهَا جَدَدَ الْقَصْدِ الْمَالُوفِ ؛ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْحُلُمَ ، وَأَوْنِسَ مِنْهُمْ الرُّشْدَ وَطَمِعَ ؛ وَصَاحَ لَهُمُ التَّنَصُّفُ فِي نَفُوسِهِمْ ، وَوَبَّقَ مِنْهُمْ بِاسْتِنْدَارِ مَعَانِيهِمْ ، دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ مَحْرُوسَةً ، وَوَقَّاهُمْ لِأَيَّاهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَقْصُوبَةٍ ؛ مَسْتَظْفِرًا بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْهَا بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ؛ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَبْتَلُوا الْبِتَائِيَّ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وأمره بترويح الأياحي اللواتي قسدت الأولياء ، وأعسدى عليهم صرف الدهر
وأساء ، وأضرب بين طول الإزمال ، وبدت عليهم آثار الخسلة في الحال ؛ فيُنكحهن
أكفأهن من الرجال ، ويُثِمُّ عقد نكاحهن على مهور الأمثال .

وأمره بتفويض أمر الوقوف الجارية في نظره إلى مَنْ يَأْمَنُهُ ويختارُهُ ، وتقرن
بإعلانه في آرضائه أسراره : من أهل التجربة والحياء ، ذوي الاضطلاع والغناء ؛
فإنهم أقل إلى المطامع تشوقاً ، وأبعد في عواقب الأمور نظراً وتلطفاً ؛ وأن يُوسِّع
عليهم في الأرزاق ، فيوصلها إليهم مهتأة عند الوجوب والاستحقاق ؛ فبذلك يملك
المرء نفسه ويستطيعها ، ويتجنب مواقف التهم ويطرَحُها ؛ ويجبُ عليه المحبة
إن نلَمَ أمانه ، أو قارَفَ خيانه ؛ مستظهِراً بترتيب المُشرِّفين الذين خبر أحوالهم ،
وسبر أفعالهم .

وأنتَ يتقدَّم إلى المستنابين قبلَه بالإِنفاق عليها حسب الحاجة من محضولها ؛
حافظاً بما تممَّده من ذلك لأصولها ؛ وجباية أرتفاعها من مظانها ؛ والتماس حقوقها
في أوائها ؛ وصرفها في وجوهها التي شرطها واقفوها ، وعينَ عليها أربابها وأهلؤها ؛
غيرَ مُخِلٍّ مع ذلك بالإشراف والتطلع ، ولا مُهْمِلٍ للفحص والتبُّع ؛ فنَّ ألفاء حميدَ
الأثر ، ورضى العيان والخبر ، عولَ عليه ، وفوضَ مستناباً إليه ؛ ومنَّ وجده قد مَدَّ
إلى خيانة يده استبدلَ به وعزله ، جزاءً بما فعله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَاتِماً ﴾ .

وأمره أن يستغلف على ماتأى عنه من البلاد مَنْ جَمَعَ [إلى الوقار] الحِلْمَ ،
وإلى الدراية الفهم ؛ وإلى التيقظ الاستبصار ، وإلى الورع الاستظهار ؛ ممن
لا يضيِّق بالأمر دُرّاً ، ولا تُحدث له مُراجعةً المحصوم سجراً ولا تهرماً ؛ ولا يتأدَّى .

في أسباب الزلّة، ولا يُقَصَّر عن الرجوع إلى الحقّ إذا اتّضح له، ولا يكتفى بأذنيّ معدّلة عن بلوغ أقصاها، ولا تنهاتُ نفسه على طاعة هواها، ولا يُرجى الأخذ بالهجة عند أنيكشافها، ولا يعجل بحكم مع اعتراض الشبهة واكتشافها، ولا يستميله اغراء، ولا يزدهيه مدح وإطراء، وأن يعهد بمثل ماعهد أمير المؤمنين إليه، ويُعذّر في الإجهاد بإيجاب الهجة عليه : ليبراً من تبعه بادره عساه يأتيها، أو مرزقة تُناديه فيهب ملياً لداعياها، قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره أن يُنصّي ما أمضاه الحكم قبله ولا يتعقب أحكامهم بتأويل، مجتنباً تتبع عقراتهم، والبحث عن هفواتهم، ومهما رُفِع إليه من ذلك مما الإجماع عليه موافق، ولسان الجلب والسنة به ناطق، أمضاه وحكم به، وإن كان مبيناً لمذهبه : فإنّ الحكومات كلّها ماضية على اختلاف جهاتها، مستمرة على تنافي صفاتها، محمية عن التأويل والتعليل، مجروسة من التغيير والتبديل، ما كان لها مخرج في بعض الأقوال، أو وُجد لها عند الفقهاء آحتيال، إلا أن يكون الإجماع متعدياً على ضبتها، أخذاً بالفاظها وردّها، فيستفرغ في إيضاحها جهده، ويُتفق في تلافيها من الاستطاعة وجده، حتى يُعيدّها إلى مقرّها من الواجب، ويُخَيِّبها على الحقّ اللازب، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

وأمره أن يتخذ كاتباً بالظلف مؤسوماً، وبأدق ما يُنَاط به قشوماً، خبيراً بما يَسْطُرّه، عالم بما يَدْكُرّه، عارفا بالشروط والسجلات، وما يتوجّه نحوها من التأويلات، ويتداعاها من الشبهة والتليسات، مطلعاً على أسرارها وعللها، وتصاريف حيلها، متحرّراً في كل حال، متّزهاً عن مذموم الفعال، متخذاً خشية

الله شِعَارًا ، مُسَيِّلًا دُونَ عِصْيَانِهِ مِنَ التَّقَى أَسْأَرًا : فَإِنَّا نَظَامَاتِهِ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَيَدُّهُ الَّتِي يَطِيشُ بِهَا وَيَعُولُ عَلَيْهَا ؛ وَمَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَازْعٌ ، وَلَا مِنْ عَقْلِهِ وَدِينُهُ رَادِعٌ ؛ لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ تَدْبَّ عَقَارُهَا لَيْلًا ، وَيَسْجَبَ عَلَى الْغَوَائِلِ وَالْمُورِقَاتِ ذَيْلًا ؛ فِيمَ الضَّرَرُ بِمَكَانِهِ ، وَيُشْرَعُ أَذَاهُ إِلَى الْمَسَامِينِ حَدَّ سِنَانِهِ . وَأَنْ يَتَخَيَّرَ حَاجِبَا طَاوِيًّا كَشَعَهُ دُونَ الْأَشْرَارِ ، جَامِعًا لِأَدَبِ الْأَخْيَارِ ؛ مُدَّرِعًا جَلْبَابَ الْحَيَاءِ ، طَلَّقَ الرُّوحَةَ عِنْدَ الْإِقْدَامِ سَهْلَ الْجَانِبِ لَيْتَهُ ، مُسْتَشِيرًا لِحَيْرِ مَتَيْقَنِهِ ؛ غَيْرَ مُتَجَهِّمٍ لِلنَّاسِ ، وَلَا مُعَامِلِهِمْ بِشِرِّ الْبَشَاشَةِ وَالْإِيْنَاسِ ؛ فَإِنَّهُ الْبَابُ إِلَيْهِ ، وَالْمُعْتَمِدُ فِي لِقَائِهِ عَلَيْهِ ؛ فَلْيَتَخَيَّرْهُ أَتَقَضَّبَ مِنْ عِلْمٍ أَنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ خَيْرُ زَادٍ ، وَأَنْفُسُ ذُرُوعَتَادِهِ وَرَأَى طَيِّبَ الْمُحَمَّدَةِ أَجْمَلَ كَسْبٍ مُرَادٍ ، وَحَظَّ بِجَسَدٍ مُسْتَقَادٍ . وَمَتَى كَانَ عَنْ هَذِهِ الْحِلَالِ مُتَخَيِّلًا ، وَبِخِلَافِهَا مُتَحَلِّيًا ، أَعْتَاضَ عَنْهُ بَيْنَ هُوَ أَسْلَمُ غِيَا ، وَأَمِنْ رِيَا ، وَأَنْتَى جِيَا ، وَأَقْلَ عِيَا ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْلُمَ دِيوَانَ الْقَضَاءِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمُجْجِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْوَفَائِقِ وَالْكَفَالَاتِ ، وَالْمُحَاضِرِ وَالْوَكَالَاتِ ؛ بِمُخَضَّرٍ مِنَ الْعُدُولِ لِيَكُونُوا لَهُ مُشَاهِدِينَ ، وَطَبِيعَةً مُشَاهِدِينَ ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ تَخَازُنَهَا مِنْ رِئَاضِيهِ ، بِاجْتِمَاعِ أَدْوَاتِ الْحَيْرِيَةِ فِيهِ ، عَامِلًا فِي حِفْظِهَا بِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَمَانَةُ الَّتِي أَشْفَقْتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ مِنْهَا ، وَأَقَرَّرْنَ بِالْعَجْزِ عَنْهَا ؛ مُتَحَرِّيًا مِنْ أَمْرِ يَبُوءُ مَعَهُ بِالْأَتَامِ ، فِي دَارِ الْمَقَامِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِمِرَاعَاةِ أَمْرِ الْحِسْبَةِ فَإِنَّهَا أَكْبَرُ الْمَصَالِحِ وَأَهْمُهَا ، وَأَجْمَعُهَا لِنَفْعِ النَّاسِ وَأَعْمُهَا ؛ وَأَدْعَاهَا إِلَى تَحْصِينِ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتِّبَاطِ أَحْوَالِهِمْ ، وَحَتْمِ مَوَادِّ الْفَسَادِ ،

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، وَحُجَّتُهُ عند الله تعالى عليك ، وَفَقَّكَ [فيه] على
منهج الصِّلاح ، وَأَطَقَكَ منه أَنْ تَتَّبِعْتَهُ بِأَسْبَابِ النَّجَاحِ ، وَأَدَّرَبَهُ عَلَيْكَ خِلْفَ السَّعَادَةِ
إِنْ أَمْرِيئُهُ بِيَدِ الْقَبُولِ ، وَجَمَعَ لَكَ مَعَ أَحْتِمَائِهِ بِذَانِكَ الْمَأْمُولِ ، وَعَطَفَ لَدَيْكَ مَعِي^(٣٦)
تَمَتُّلَهُ شَوَارِدِ السُّؤْلِ ، وَأَوْجَدَكَ ضَالَّةً مُتَاعِكِ أَنْ أَصْغَيْتَ إِلَيْهِ سَامِعًا مُطِيعًا ،
وَأَعَادَ إِنْ أَتَمَّرْتَ بِأَوَامِرِهِ تَمَكُّلَ أَقْوَالِكَ جَمِيعًا ، وَأَرَادَكَ مَرَعَى النِّجَاحِ إِنْ نَهَضْتَ
بِأَعْيَانِهِ مَرِيعًا ، لَمْ يَذْهَبْ فِيهِ شَيْفِيغًا ، وَلَا حَقَرَكِ لِرِشَادًا وَتَعَرِّيفًا ، خَلَعَ بِهِ رِبْقَةً
الْإِمَانَةَ عَنْ عُنُقِ اجْتِهَادِهِ ، وَأَوْصَحَ لَكَ مَا يَسْأَلُ غَدًا عَنْ فِعْلِهِ وَأَعْتَادِهِ .

(۱) مرحی کلمۃ فقال للراى إذا أصاب تعجبا من ربه .

(۲) مری الدم وامراء استخرجه . (۳) لعله مع اخذاله . قائل

الْقَوَارِ عِطْفُكَ ، وَأَخْشَى مَوْقِفًا تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتَعَدُّمُ الْأَعْوَانُ وَالْإِنْصَارُ ؛
يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَلَمَتْ يَدَاهُ ، وَتَقْطَعُ الْوَسَائِلُ إِلَّا مُمْرِسَ أَطَاعِ اللَّهِ وَأَتَقَاهُ ؛ يَنْعَمُ
عَوْفُكَ^(١) ، وَيَأْمَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَوْفُكَ ؛ وَمَهْمَا عَرَضَ لَكَ مِنْ شُبْهَةٍ لَمْ تُلْغِ عَجْرًا مِنْهَا ،
وَلَا صَدْرًا عَنْهَا ، وَلَا وَجَدْتَ لِسْقِيهَا هِنَاءً ، وَلِدَائِهَا شِفَاءً ، فَطَالَعَ حَضْرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
يُحَالِهَا مُسْتَعْلِمًا ، وَأَنِيهَا إِلَيْهِ مُسْتَفِيحًا بِاسْتِدْعَاءِ الْجَوَابِ عَمَّا أَصْبَحَ لَدَيْكَ مُسْتَفْلِحًا
مُبْهِمًا ، يُبَيِّنُكَ مِنْهُ بِمَا يُرِيكَ صُبْحَ الْحَقِّ مِنْبَلِجًا ، وَضِيْقَ الشَّكِّ مُنْفَرِجًا ؛ عَنْ عِلْمِ
عِنْدِهِ الْبَحْرِ كَالْقِيَاسِ ، إِلَى أَوْشَالِ النَّاسِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْظِدُ آرَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالصُّوَابِ ، وَيُمَدُّهُ بِالتَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ الْأَرَابِ ؛ وَيُقَوِّدُ لِمُرَادِهِ أَزِمَةَ جَوَائِجِهَا الصُّعَابِ ،
مَا أَتَيْتُمْ تَحَابًّا ، وَأَتَيْتُمْ رَبَّابًا ، بِمَنْنَةٍ وَسَعَةٍ فَضْلِهِ .



وهذه نسخة عهدِ بولاية القضاء بئر من رأى ، كتب بها أبو إسحاق الصابى ،
عن الطائع لله ، للقاضى أبى الحسين محمد بن قاضى القضاة أبى محمد عبيد الله ،
ابن أحمد بن معروف ، حين ولّاه القضاء بئر من رأى وغيرها ، وما أضيف إلى
ذلك من أعمال الجزيرة ، وهى :

هذا ما عهدَ عبدُ الله عبدُ الكريم ، الإمامُ الطائعُ لله أميرُ المؤمنين ، إلى محمد بن
قاضى القضاة عبيد الله بن أحمد ، حين عُيِّنَ الفضيلةُ فيه ، وتقبَّلَ مَذَاهِبَ أَبِيهِ ؛
وَنَسَأَ مِنْ حِضْنِهِ فِي الْمَنْشَلِ الْأَمِينِ ، وَتَبَوَّأَ مِنْ سَبَبِهِ وَنَسَبِهِ الْمَتَبَوَّأَ الْمُصُونِ ؛ وَوَجَدَهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَحِقًّا لِأَنْ يُوسَمَ بِالصَّنِيعَةِ ، وَالْمَنْزَلَةِ الرَّفِيعَةِ ؛ عَلَى الْحَدَائَةِ مِنْ سِنِّهِ ،

(١) العوف من معانيه البال والخال وبه يقال فى الدعاء فم عوفك .

(٢) يقال تحيل فلان أباه [أى بالياء المثناة] تحيلا إذا نزع اليه فى الشبه .

والفَضاضة من عُودِهِ ؛ سامياً به في ذلك إلى مراتب أعيان الرجال ، التي لا تُدرَك
إلا مع الكمال والأَكْمال : لِمَا آتَس من رُشدِهِ ونِجَابَتِهِ ، وأسَوَّح من عقلِهِ ولَبَابَتِهِ ،
وأسْتَرَج من وقَارِهِ وحِلْمِهِ ، وأسْتَفَز من دِرَايَتِهِ وعِلْمِهِ ، وللَّذِي عليه شَيْخُهُ قاضِي
القُضاة عبيدُ الله بن أحمد من حَصَافَةِ الدِّين ، وخُلُوص اليقين ؛ والتَّقدُّم على المتَحَلِّين
يَحْيِيهِ ، والمتَحَلِّين لِصِنَاعَتِهِ ؛ والاستِبدادِ عليهم بِالْعِلْمِ الجَمِّ ، والمعْنَى الفَخْم ؛ والاقْتِنَانِ
في المَسَاعِي الصَّالِحَةِ التي يُسَوِّدُ أحَدُهُم بِأَحَدِهَا ، ويستَحِقُّ التَّجَاوُزَ لَهَا من أسْتَوْعِبَهَا
بأسْرِهَا ، وبالثَّمَةِ والأَمَانَةِ ، والعِفَّةِ والزَّهَادَةِ ؛ التي صارَ بها علماً قَرْدًا ، وواحدًا قَدْراً ؛
حَتَّى تَكْلِفَهَا من أَجْلِ مَنْ لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِهِ وَلَا سِخْفِهِ ، فهو المَحْمُودُ بأفعَالِهِ التي أَخْتَصَّ
بِهَا وبأفعَالٍ غَيْرِهِ مَنْ حَذَاهُ فِيهَا ، وبِمَا نَفَقَ مِنْ بَضَائِعِ الْخَيْرِ بَعْدَ كَسَادِهَا ، وبالسَّابِقَةِ
التي لَهُ فِي خِدْمَةِ الْمُطْبِيعِ اللَّهُ أَوَّلًا ثُمَّ خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثَانِيًا ، فإنَّهَا [سَابِقَةٌ] ^(١) شَائِعٌ خَبَرُهَا ؛
وجَمِيلٌ أَثَرُهَا ؛ قَوِيَّةٌ دَوَائِعِيهَا ، مُمَكِّنَةٌ أَوَاخِيهَا . وَلِلْكَانَةِ التي خُصَّ بِهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
[وَمِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِي مَنْصُورِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْدَهُ اللَّهُ] ^(٢) وَمِنْ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ النَّاصِحِ
أَبِي طَاهِرٍ رَعَاهُ اللَّهُ ؛ وَمِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ حَوْزَتِهِمْ ، وَأَفَارِيقِ عَوَائِمِهِمْ وَرِعِيَّتِهِمْ ؛ فَلَمَّا
صَدَّقَ مُحَمَّدٌ فِرَاسَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحَائِلَهُ ، وَأَحْتَذَى سَبِيلَ أَبِيهِ وَثِمَائِلَهُ ؛ وَحَصَلَ لَهُ
مَا حَصَلَ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمُتَأَثِّلَةِ ، وَالْمَوَاتِ الْمُتَأَصِّلَةِ ، أَحْرَزَ مِنَ الْأَثَرَةِ عَلَى قُرْبِ
الْمَدَى ، مَا لَا يُجْرِزُهُ غَيْرُهُ عَلَى بُعْدِ الْمَرْتَبِ ؛ وَأَسْتَفْنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ عَنْ طَوْلِ التَّجَرُّبَةِ
وَالِاخْتِبَارِ ، وَتَكَرَّرِ الْإِمْتِحَانِ وَالْإِعْتِبَارِ . فَقُلِّلَهُ الْحَكْمَ بَيْنَ أَهْلِ سُرٍّ مَنْ رَأَى ،
وَتَكْرِيَتِ ، وَالطَّبْرَهَانِ ، وَالسَّنِّ ، وَالْبَوَارِيجِ ، وَدَقُوقًا ، وَخَائِجَارَ ، وَالْبَنْدِيشِيْنَ ،
وَبُوحَسَابُورَ ، وَالرَّادَانِيْنَ ، [وَمُسْكِنَ] ^(١) وَقُطْرَبُلَ ، وَنَهْرُبُوقَ ، وَالدِّينَ ، وَجَمِيعَ الْأَعْمَالِ

(١) الزيادة من "رسائل الصافي" .

(٢) أَفَارِيقُ جَمْعُ أَفْرَاقٍ وَأَفْرَاقُ جَمْعُ فَرَقَةٍ .

المُضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ وَالْمُسَوِيَةِ إِلَيْهِ ، وَشَرَفَهُ بِالنَّخْلِ وَالْجَمَلِ ، وَضُرُوبِ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ ؛ وَكَانَ فِيهَا أُعْطَاهُ مِنْ هَذَا الصَّبِيَةِ وَالْحَمْدُ ، وَنَحْلَهُ إِيَّاهُ مِنَ الْمَفْخَرِ الْعَدِيِّ مَبْتَغِيًا مَا كَسَبَهُ مِنْ اللَّهِ الرَّضَا وَالزُّلْفَى ، وَالسَّلَامَةَ فِي الْفَاتِحَةِ وَالْعُقْبَى ؛ وَرَاعِيًا لِمَا يُوجِبُهُ لِقَاضِي قَضَائِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحَدٍ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي أَخْفَى مِنْهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَبْدَى ، وَأَسْكَ عَنْ أَضْعَافِ مَا أَحْصَى ؛ وَفَاهِبًا عَلَى آثَارِ الْأُئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ ، وَالْوَلَاةِ الْمُجْتَبِينَ ، فِي إِقْرَارِ وَدَائِعِهِمْ عِنْدَ الْمَرْتَبِحِينَ لِحِفْظِهَا ، الْمُضْطَلَعِينَ بِمَجْلِهَا ، مِنْ أَوْلَادِ أَوْلِيَائِهِمْ ، وَكُزَيَّةِ نَصَبَاتِهِمْ : لِإِذْ كَانَ لَا بُدَّ لِلْأَسْلَافِ أَنْ تَمُتِيَ ، وَالْأَخْلَافِ أَنْ تَتِمَّ ؛ كَالشَّجَرِ الَّذِي يُغْرَسُ لَدَنًا فَيَصِيرُ عَظِيمًا ، وَالنَّبَاتِ الَّذِي يَتِمُّ رَطْبًا فَيَصِيرُ هَشِيمًا ؛ فَالْمُصِيبُ مِنْ تَحْيِيرِ الْفَرَسِ مِنْ حَيْثُ اسْتَنْجَبَ الشَّجَرَ ، وَاسْتَمْعَلَ الْفَرَسَ ، وَتَعَمَّدَ بِالْعَرَفِ مَنْ طَابَ مِنْهُ انْتَبَرُ ، وَحَسُنَ مِنْهُ الْإِثْرُ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى تَسْلِيمًا مُجْتَمِعًا عَائِدَتُهُ ، وَتَدْرُّ عَلَيْهِ مَادَّتُهُ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ فِي الْعَزَائِمِ الَّتِي يَعْزِمُهَا ، وَالْأُمُورَ الَّتِي يُعْرِمُهَا ، وَالْعُقُودَ الَّتِي يَعْقِدُهَا ، وَالْأَعْرَاضَ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

أَمْرُهُ بِاحْتِمَادِ التَّقْوَى ، فَإِنَّهَا شِعَارُ أَهْلِ الْهُدَى ؛ وَأَنْ يُرَاقِبَ اللَّهُ رَاقِبَةَ الْمُصَحِّزِ مِنْ وَعِيدِهِ ، وَالْمُنْتَجِزَ لِمَوَاعِيدِهِ ؛ وَيَطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنْ مُوَبِقَاتِ الْوَسْوَاسِ ، وَيُهَيِّبَهُ مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَاجِسِ ؛ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِمَا خَذَ أَهْلُ الدِّينِ ، وَيَكْفُلَهَا كُفْلَ الْأَبْرَارِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَيَمْنَعَهَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْهَوَى ، وَأَضَالِيلِ الْمُنَى ؛ فَإِنَّهَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، صَبِيَّةٌ ^(١) إِلَى النَّفَى ؛ صَادَّةٌ عَنِ الْخَيْرِ ، صَادِقَةٌ عَنِ الرَّشْدِ ؛ لَا تَرْجِعُ عَنْ مَصَابِرِهَا إِلَّا بِالشَّكَاكِمِ ، وَلَا تَتَقَادُّ إِلَى مَنَافِعِهَا إِلَّا بِالْخَزَائِمِ ؛ فَمَنْ كَبَحَهَا وَشَتَّاهَا نَجَّاهَا ، وَمَنْ أَطْلَقَهَا وَأَمْرَجَهَا ^(٢)

(١) أى مائلة الى الخ . (٢) فى الأصول والرسائل وأمرجها بالهاء ولعله تصحيف نفى اللسان

”وأمرجها [أى الهابة] تركها تذهب حيث شئت “ فنه .

أرداها . وأولى مَنْ جعل تقوى الله ذأبه وديدته ، والحيفة منه منهاجه وسنته ؛ مَنْ
ارتدى رداء الحكم ، وأمر ونهى في الأحكام ، وتصدى لكف الظالم ، ورد المظالم ،
ولإحباب الخئود وذرئها ، وتحليل الفروج وحظرها ؛ وأخذ الحقوق وإعطائها ،
وتفدي القضايا وإمضاها : إذ ليس له أن يأمر ولا يأمر ، ويبرح ولا يردجر ؛ وإتق
مثل ما ينهى عنه ، وينهى عما يأتي مثله ؛ بل هو محقوق بأن يصلح ما بين جنبيه ،
قبل أن يصلح ما رده أمره إليه ؛ وأن يهتب من نيته ، ما يحاول أن يهتب من
رعيته ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارُ أَعْلَتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

وأمره بالإكثار من تلاوة القرآن الواضع سبيله ، الراشد دليله ؛ الذى من استضاء
بمصباحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنها زلّ وغوى ؛ وأن يتفقه إماماً يهتدى بآياته ،
ويقتدى ببيئته ؛ ومثلاً يحذو عليه ، ويرد الأصول والفروع إليه ؛ فقد جعله الله
مُجْتَبًى الثابتة الواجبة ، ومُحَجَّجَةً المستبينّة اللاجبة ؛ ونوره الغالب الساطع ، وبرهانه
الباهر الناصع ؛ وإذا ورد عليه مُعْضِل ، أو غم عليه مُشْكِك ، اعتصم به عائداً ،
وعطف عليه لا مئداً ؛ فيه يُكْشَفُ الخُطْبُ ، ويُذَلَّلُ الصَّعْبُ ؛ ويُسَالُ الأَرَبُ ،
ويُذَرَكُ المَطْلَبُ ؛ وهو أحد الثقلين اللذين خلقهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم فينا ، ونصبهما معلمًا بعده لنا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ خَصِمًا ﴾ . وقال تعالى :
﴿ وَإِنَّ لِكُلِّ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْقِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
جَمِيدٍ ﴾ .

الخلائق وأحمدها ، وأهدى السجاي وأرشدها ؛ وأن يقصد في مشيه ، ويُغض
 من صوته ، ويحذف القُضول من ^(١) [لفظه و] لحظه ؛ ويخفف من حركاته ولَفَاتِه ،
 ويتوقر من سائر جناباته [وجهاته] ، ويجنب الحرق والحدة ، ويتوقى القفاظة
 والشدة ؛ ويلين كفه من غير مهانة ، ويرب هيبته في غير غلظة ؛ ويتوحن في ذلك
 وقوفاً بين غايته ، وتوسطاً بين طرفيه ؛ فإنه يحاطب أخطا من الناس مختلفين ،
 وضروباً غير متفقين ؛ ولا يخلو فيهم من الجاهل الأهوج ، والمظلوم المخرج ، والشيخ
 الهرم ، والناشئ القز ، والمرأة الركيكة ، والرجل الضعيف النحيزة ؛ وواجب عليه
 أن يغمرهم بعقله ، ويسلمهم بعنقه ؛ ويقيمهم على الاستقامة بسياسته ، ويعطف
 عليهم بعلمه ورياسته . وأن يجلس وقد نال من المَطعم والمشرب طرفاً يقف به عند
 أول الكفاية ، ولا يبلغ منه إلى آخر النباه ؛ وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة
 كلها ؛ وعوارض البشرية بأسرها : لتلايل به من ذلك ملم أو يطيف به طائفة
 فيحييانه عن جلده ، ويحولان بينه وبين سنده . وليكن همه إلى ما يقول
 ويقال له مصروفاً ، وخاطره على ما يريد عليه ويصدر عنه موقوفاً ؛ قال الله تعالى :
 ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
 فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

وأمره إذا ثبت عنه حق من الحقوق لأحد من الخصوم . أن يكتب له متى
 اتمس ذلك إلى صاحب المؤنة في عمله بأن يمكثه منه ، ويحسم المعارضات فيه
 عنه ، ويقض كل يد تمتد إلى منازعته ، أو تتعدى إلى مجازيته ؛ فقد تدب الله

النَّاسَ إِلَى مُعَاوَنَةِ الْحَقِّ عَلَى الْمُنْظِلِ ، وَالْمُظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ ؛ إِذْ يَقُولُ عَنْ وَجَلٍ :
 ﴿ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وأمره أن يستصحب كاتباً درياً بالمخاض والسجلات ؛ ماهراً في القضايا
 والكومات ؛ عالماً بالشروط والحدود ؛ عارفاً بما يجوز وما لا يجوز ؛ غير مقتصِر عن
 القضايا المستورين ، والشهود المقبولين ، في طهارة ذنبه ، وتقاة جيبه ، وتصونه عن
 خُبث الماكِل والمطاعِم ، ومقارفة الربِّ والثَّهم ؛ فإن الكاتب زمام الحاكم الذي إليه
 مَرَّجَعُهُ ، وعليه مَعْوَلُهُ ؛ وبه يحترس من دواهي الحيل ، وكوامن الغيل . وحاجباً
 سديداً رشيداً ، أديباً لبيباً ؛ لأيسف إلى دنية ولا يلم بمنكرة ؛ ولا يقبل رشوه ،
 ولا يلتبس جعالة ؛ ولا يحجب عنه أحدٌ يحاول لقائه في وقته ، والوصول إليه
 في حينه . وخلفاء يردُّ إليهم ما بعد من العمل عن مقره ، وأعجزة أن يتوَلَّى النظر فيه
 بنفسه ؛ يتخبرهم من الأمانِل ، ويتخبرهم من الأفاضل ؛ ويمهد إليهم في كلِّ ماعهد
 فيه إليه ، يأخذهم بمثل ما أخذ به ؛ ويعمل لكلِّ من هذه الطوائف رزقاً يكفُّه
 ويكفيهِ ، وقوتا يحجزه ويُغنيه ؛ فليس تلزمهم الحجَّة إلا مع إعطائهم الحاجة ،
 ولا تُؤخذ عليهم الوثيقة إلا مع إزاحة العلة ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ
 لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَاسَعًى وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴾ .

وأمره بإقرار الشهود الموسومين بالعدالة على تعديهم ، وإمضاء القضاء بأقوالهم ؛
 وحملهم على ظاهِر السَّلامه ، وشعار الاستقامة ؛ وأن يعتمد مع هذا البحث عن
 أدبانهم ، والفحص عن أماناتهم ، والإصغاء إلى الأحاديث عنهم : من شاء يتكرّر ،
 أو قدح يتردّد ؛ فإذا تواتر عنده أحد الأمرين ، ركن إلى المزكّي الأمين ، ونبأ عن
 المتهم الظنين ؛ فإنه إذا فعل ذلك أخطب أهل الأمانة بأماناتهم ، ونزع أهل الخيانة

عن حياتهم ؛ وتقربوا إليه بما سَفَقَ سَوْفَهُ ، وِاسْتَحَقَّ به التَّوَجُّهُ عنده ، وأسْتَمَرَّ
شُهُودُهُ وأَمَانُؤُهُ ، وأَتْبَاعُهُ وخَلْقَاؤُهُ ، على الْمَنْجِ الْأَوْضَحِ ، والمَسْلَكِ الْأَمَّحِ ، وتَحَصَّنَتْ
الْأَمْوَالُ والحَقُوقُ ، وَصِيْنَتِ الحُرْمَاتُ والفُرُوجُ ؛ وَمَتَى وَقَفَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى هَقْوَةٍ
لَا تُغْفَرُ ، وَشَرِيَةٍ لَا تُعْهَلُ ، أَسْقَطَهُ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ جُمْلَتِهِمْ ؛ وَأَعْتَاضَ مِنْهُ مَنْ
يُحَمَّدُ دِينَهُ ، وَيَرْضَى أَمَانَتَهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْ لَهُمْ
عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ . وَقَالَ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ .

وأمره بالضبط لما يجري في عمله من الوقوف الثابتة في ديوان حُكْمِهِ ؛
والتحويل فيها على الأمانة الثقات ، والحُصْفَاءِ الكُفَاءَةِ ، المعروفين بالظُلْفِ والوَرَعِ ،
المتَّزِمِينَ عَنِ التَّطَلُّعِ ^(١) ، والتَّعَدُّمِ إِلَيْهِمْ فِي حِفْظِ أَصُولِهَا ، وَتَوْفِيرِ فُرُوعِهَا ؛
وتبْيِيرِ غَلَاظِهَا وَآرْفَاعِهَا ؛ وَصَرِّفِهَا إِلَى أَهْلِهَا وَمُسْتَحِقِّهَا وَفِي وَجْهِهَا وَسُبُلِهَا ؛ وَمَطَالِبَتِهَا
بِحَسَابِ مَا يَجْرِي عَلَى أَيْدِيهِمْ ، وَالْأَسْتِقْرَاءِ لِآثَارِهِمْ فِيهِ وَأَفْعَالِهِمْ ؛ وَأَنْ يُحَمَّدَ مِنْهُمْ مَنْ
كَفَى وَكَفَّ ، وَيُدْمَ مِنْ أَضَاعَ وَأَسْفَ ؛ وَيُنْزِلَ كُلَّ مِنْهُمْ مِثْلَتَهُ الَّتِي أَسْتَحَقُّهَا
بِعَمَلِهِ ، وَأَسْتَوْجِبَهَا بِأَثَرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّا اللَّهُ بِأَعْمَالِكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ .

وأمره بالاحتياط على أموال الأيتام ، وإسنادها إلى أعف وأَوْثَقِ الْقَوَامِ ؛
والتقدم إلى كل طائفة بأن يجريهم مجرى ولده ، وِيقِيمَهُمْ مَقَامَ سُلَالَتِهِ ، فِي الشَّفَقَةِ
عَلَيْهِمْ ، وَالْإِصْلَاحِ لَشُبُونِهِمْ ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ ؛ وَتَقْلِيْبِهِمْ مَا لَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ
جَهْلُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ الْمُفْرَضَةِ ، وَالسُّنَنِ الْمَوْكَّدَةِ ؛ وَتَحْرِيجِهِمْ فِي أَبْوَابِ مَعَالِيهِمْ ،

(١) هو بالتحريك العيوب والريب .

وأَسباب مَصَالِحِهِمْ ؛ وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَضِ أَمْوَالِهِم بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا شَطَطَ فِيهِ وَلَا تَبَذُّرَ ، وَلَا تَضْيِيقَ وَلَا تَقْتِيرَ ؛ فَإِذَا بَلَّغُوا مَبَالِغَ كَيْلِهِمْ ، وَأَوْنَسَ مِنْهُمْ الرُّشْدُ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِمْ ، أَطْلَقَ لَهُمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَشْهَدَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ بِمَا تَقْلُدُهُ مِنَ الْحُكْمِ ، خَلْقًا مِنَ الْآبَاءِ لِلْوَيْ الْيَتَمِ ؛ وَصَارَ هَذِهِ الْوَلَايَةُ عَلَيْهِمْ مَسْئُولًا عَنْهُمْ ، وَبِجَزَاءِ مَا سَارَ بِهِ فِيهِمْ ، وَأَوْصَلَهُ مِنْ خَيْرِ أَوْشَرِّ إِلَيْهِمْ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَيَحْشَسَنَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُكُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

وَأَمْرُهُ بِحِفْظِ مَا فِي دِيَوَانِهِ مِنَ الْوَثَائِقِ وَالسَّجَلَاتِ ، وَالْحُجَجِ وَالْبَيِّنَاتِ ، وَالْوَصَايَا وَالْإِقْرَارَاتِ : فَإِنَّهَا وَدَائِعُ الرِّعْيَةِ عِنْدَهُ ، وَوَجِبُ أَنْ يَحْرُسَهَا جُهْدُهُ ؛ وَأَنْ يَكْلُمَهَا إِلَى الْخُزَانِ الْمَأْمُونِينَ ، وَالْحَفَظَةِ الْمُتَّقِطِينَ ؛ وَيُوعِزُّ إِلَيْهِمْ بِأَنْ لَا يُخْرِجُوا شَيْئًا مِنْهَا عَنْ مَوْضِعِهِ وَلَا يُضَيِّفُوا إِلَيْهَا مَالًا يَكُنْ بَعْدَهُ ؛ وَأَنْ يَتَّخِذَ لَهَا بَيْتًا يَحْصُرُهَا بِهِ ؛ وَيَجْعَلُهُ بِحَيْثُ يَأْمَنُ عَلَيْهِ : لِيَرْجِعَ مَتَى أَحْتَاجَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وَأَمْرُهُ إِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يُعَيِّضُهُ فَصْلُهُ ، وَيُسْتَبَيُّ عَلَيْهِ وَجْهُ الْحُكْمِ فِيهِ ، أَنْ يَرْدَهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَيَطْلُبَ بِهِ سَبِيلَ الْخُلَاصِ مِنْهُ ، فَإِنْ وَجَدَهُ وَإِلَّا فَيُؤَيِّدُ الْآثَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ أَدْرَكَهُ وَإِلَّا اسْتَفْتَى فِيهِ مَنْ يَلِيهِ مِنْ دَوْرِ الْفَقْهِ وَالْفَهْمِ ، وَالْهُدَايَةِ وَالْعِلْمِ ؛ فَمَا زَالَتِ الْأُئِمَّةُ وَالْحُكَّامُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَطُرُقِ السَّنَنِ الْوَاضِحِ ؛ يَسْتَفْتُونَ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَاحِدًا ، وَيَسْتَرْشِدُ بَعْضُ بَعْضًا ؛ لَزُومًا لِلْاجْتِهَادِ ، وَطَلَبًا لِلصَّوَابِ ؛

وتحرّزا من الغلط ، وتوقّيا من العتار ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ۝ ﴾ .

وأمره أن لا يَنْقُضَ حكما حكم به مَنْ كان قبله ولا يَنْقَسِخَ ، وأن يعمل عليه ولا يَسُدِّلَ عنه ، ما كان داخلا في إجماع المسلمين ، وسائقا في أوضاع الدين ؛ فإن نرجع عن الإجماع ، أَوْضَحَ الحال فيه لمن بحضرة من الفقهاء والعلماء حتى يصيروا مثله في إنكاره ، ويحتملوا معه على إيجاب رده ، ثم يَنْقُضُ حيث نَقَضَا يَشِيعُ وَيَذِيعُ ، ويعود به الأمر إلى واجبه ، ويستقر معه الحق في نصابه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ ﴾ .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وَحُجَّتُهُ عليك ؛ قد شرح به صدرك ، وأوضح به سُبُكْ وأقام أعلام الهداية لك ، ولم يَأَلِكْ تبصيرا وتذكيرا ، ولم يَذْهَبْ ترك تعريفا وتوقيفا ؛ ولم يجعلك في شيء من أمرك على شُبْهة تعريضك ، ولا حيلة تعاتُك ؛ والله شاهد له بخروجه من الحق فيما وصّى وعهد ، وعليك بقبولك ما قِيلَ مما وُلّي وقُلْد ؛ فإن عدلت وأحتدلت - وذلك خَلِيقُ بك - فقد فاز وفُزْتَ معه ، وإن تَجَانَقْتَ وزَلْتَ - وذلك بعيد منك - فقد رَجَحَ وخَسِرْتَ دُونَهُ ؛ فلتَكُنِ التقوى زادك ، والاحتراس شعارك ؛ وأستعين بالله يُعِينَك ، وأستهد به يَهْدِكَ ؛ وأعتضد به يُعَضِّدَكَ ، وأستمد من توفيقه يُمِدِّدَكَ ؛ إن شاء الله تعالى .

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم كذا من رجب سنة ست وستين
وثلثائة^(١)] .



وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة شرقاً وغرباً ، كُتِبَ به عن الإمام الناصر لدين الله أحمد ، للقاضي محي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان ، من إنشاء أستاذ الدار عضيد الدين بن الضحالك ، وهي :

هذا ماعهدَ عبدُ الله وخليفته في العالمين ، المفترضُ الطاعة على الخلق أجمعين ، أبو العباس أحمدُ الناصر لدين الله أمير المؤمنين ؛ إلى محمد بن يحيى بن فضلان : حين سبَرَ خلاله وأستقرأها ، وأعتَبَر طرائقه وأستبرأها ؛ فألقاه رشيداً في مَدَاهِبه ، سيدِّداً في أفعاله وضرائبه ؛ مؤسوماً بالرَّصانة ، حاليّاً بالورع والديانة ؛ مبرزاً من العلوم في فنونها ، عالمياً بمفروض الشريعة المطهرة ومُسَنُونِها ؛ مُدْرِعا ملائِسَ الْعَقَافِ ، قد أناف على أمثاله في بَوَارِعِ الْأَوْصَافِ ؛ فَقَلَّده قضاءَ الْقُضَاةِ في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال ، والنواحي والأَمْصَارِ : شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ سُكُونًا إلى ما عِلِمَ من حاله ، وأَضْطِلاعه بالنهضة المنوطة به وأستقلاله ، ورُكُونًا إلى قيامه بالواجب فيما أُسْنِدَ إليه ، ونَهْوضه بعبء ماعُولٍ في حفظ قَوَائِنِهِ عليه ؛ وأستئْمامَةً إلى حُلُولِ الْأَصْطِنَاعِ عنده ، ومَصَادَفَتِهِ منه مكاناً تَبَوَّاهُ بِالْأَسْتِحْقَاقِ وحده ؛ والله تعالى يعْضِدُ آراءَ أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ، ويُحَسِّنُ له الْخِيَرَةَ فيما يُؤْتَمِرُ من مَنَاطِمِ الدِّينِ وصَلَحِ الْجُمْهُورِ ؛ وما توفَّقُ أمير المؤمنين إِلَّا بالله عليه يتوَكَّلُ وإليه يُنْهَبُ .

أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره ، وتَقَمُّصِ شِعَارِهِ في إظهار أمره وإضمماره ؛ فإنها العروة الوثقى ، والذُّنُرُ الْأَيْقِي ، والسعادة التي مادُونُهَا فَوْزٌ وَلَا فَوْقَهَا مَرَقٌ ؛ وهي حُلِيَّةُ الْأَبْرَارِ ، وَسِمَا الْأَخْيَارِ ؛ وَالْمَنْهَجُ الْوَاضِعُ ، وَالْمَتَجَرُّعُ الرَّابِحُ ؛ وَالسَّبِيلُ

المؤدى إلى النجاة والخلاص ، يوم لا وزر ولا ت حير مَاص ؛ وأفعُ العَدَد
والذخائر ، وخير العَصاد يوم تُنشر الصُّحف وتُبلَى السَّرائر ؛ يوم تُسَخَّص الأبصار ،
وتَعدَم الأنصار : ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سُرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ
وَتَقْشُرُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ . ولا ينجو من عذاب الله يومئذ إلا مَنْ كان زاده التقوى ،
ومتَّسك منها بالسبب الأقوى ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

وأمره أن يجعل كتاب الله إماماً يَهْتَدَى بِنَّارِهِ ، ويستصحب بَواهِر أنواره ؛
ويستضيءُ في ظُلَم المشكلات بِمَنِير مضبايح ، ويقف عند حُلُود محظوره ومُباحه ؛
ويَحْتَدِي مثلاً بِحَيْثِيَّة ، ودليلاً بِتَبَع أثره فيمَدِيه ؛ ويعملُ به في قضاياه وأحكامه ،
ويَقْتَدِي بأوامره في نقضه وإبرامه : فإنه دليلُ الهدى ورائدُه ، وسائقُ النُّجى
وقائده ؛ ومعدنُ العلم ومنبعُه ، ومنجَم الرِّشاد ومطلعه ؛ وأحدُ الثقلين اللذين خلقهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمّة ، والدُّكْر الذي جعله الله تعالى تَبَيّاناً لكل
شئٍ ، وهدى ورحمة ، فقال عز من قائل : ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وأمره بِاتِّزَاع الآثَارِ النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه ، والاكْتِنَادِ
بُشُوسِهَا التي تُعْجِلُ بها دُجَّة كُلِّ مُشْكِل وظلامه ؛ والاكْتِنَادِ بِسُنَّةِ الشريعة المتبوعة ،
وتصَفُّح الأخبار المسموعة ؛ والعملِ منها بما قامت أدلة صَحِّته من جميع جهاته ،
وَأَسْتَحْكَمِ الثَّقة بِقَوْلِهِ عنه - عليه السلام - ودَوَائِهِ ؛ وسَلِمَتْ أَسَانِيدُهُ من قَدَح ،
ورجالُهُ من ظَنَّة وجرَح ، فإنَّها التَّالِيَةُ للقرءان المجيد في وجوب العمل بأوامره ،

(١) في السان ج ١٠ ص ٢٢٩ « أترج بالآية والشعر تمثل ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من كتاب الله قد أترج معنى جيداً » .

والإكتهام برؤاده وزواجه ؛ وهو عليه الصلاة والسلام الصادق الأمين الذي ماض وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ؛ وقد قرّن الله سبحانه طاعته بطاعته ، والعمل بكتابه والأخذ بسنته ؛ فقال عز من قائل : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأمره بمجاسة العلماء ، ومباحثة الفقهاء ؛ ومشاركتهم في الأمور المشككة ، وعوارض الحكومات المعضلة ؛ لتستبين سبيل الصواب ، ويعرى الحكم من ملبس الشبهة والارتباب ؛ ويخلص من خطا الانفراد ، وغوائل الاستبداد ؛ فالمشورة باليمن مقرونة ، والسلامة في مطاويها مضمونة ؛ وقد أمر الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم مع شرف منزلته وكمال عصمته ، وتأيد به بوجه وملائكته ؛ فقال سبحانه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وأمره بفتح بابه ، ورفع حجابيه ؛ وأن يجلس للخصوم جلوساً عادماً ، وينظر في أمورهم نظراً حسناً تاماً ؛ مساوياً بينهم في نظره ولخطه ، وإصفاؤه بلفظه ؛ محترماً من ذى اللسان وجرأة جنته ، متأنياً بذى الحصر عند إقامة برهانه ، فربما كان أحد الخصمين ألحن بحجته ، والآخر ضعیفاً عن مقاومته ؛ هذا مقام الفحص والاستفهام ، والتثبت وإمضاء الأحكام ؛ ليسلم من خديسة مختال ، ويكيد مقتل ؛ مائلاً في جميع ذلك مع الواجب ، سالكاً طريق العدل اللائح ؛ غير فارق في إمضاء الحكم بين القوى والضعيف ، والمثروب والشریف ؛ والمالك والمملوك ، والفقير والصلعوك ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وأمره أن يتصفّح أحوالَ الشهود، المسموعة أقوالهم في الحقوق والحُدود ؛
المرجوع إلى أماتهم، المعمول بشهادتهم ؛ الذين بهم تُقام الحجج وتُدحض، وتُبرم
الأحكام وتُقضى ؛ وتثبت الدعاوى وتبطل ، وتُمنى القضايا وتُسجل ؛ مجتهداً
في البحث عن طرائقهم وأحوالهم ، وانتقاد تصاريقهم وأفعالهم ، وأسديشاف
تجاريهم ، وعرفان مزاياهم ؛ مخصّصاً بالتمييز من كان حميداً لخلال ، مرضىً الفعال ؛
راجعاً إلى ورع ودين ، متمسكاً من الأمانة والزّاهة بالسبب المتين ، قال الله تعالى :
(وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ) .

وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم ، ومراعاة شئونهم وأحوالهم ؛ وأن يرتب
بسبب أساق مصالحهم الثّقات الأعيان ، والأمناء الأثقياء ؛ من ظهرت ديانته ،
وحسنت سيرته ؛ وأشتهر بالظّلف والعفاف ، والتّزه عن الطّمع والإسفاف ؛
ويأمرهم بحفظها من خلل يتخلّلها ، ويد خائفة تدخّلها ؛ وليكن عليهم حدياً ؛ وفي قرط
الحقّ أبا ؛ وخلفاً من آباؤهم في الإشفاق عليهم ، وحسن الاكتفات إليهم : فإنه عنهم
مسئول ، والصّدر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول ؛ وأن يأذن لهم في الإنفاق
عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقيير ، ولا تضيق ولا تبذير ؛ فإذا بلغ أحدهم
النّكاح ، وآتس منه أمارات الرّشد والصّلاح ، دفع ماله إليه ، وأشهد بقبضه عليه ؛
على الوجه المنصوص ، غير منقوص ولا منقوص ؛ ممثلاً أمر الله تعالى في قوله
سبحانه : (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِلِلّهِ حَسِيبًا) .

وأمره بتوزيع الأيتام اللّوائى لأولياء لهم من أكفائيين ، بمهور أمانتهم ؛ وأن
يشمل ذوات النّفى والفقّر منهم بمنّله ، ويتحرى لهم المصلحة في عقده وحله .

وأمره ان يستنبط فيما بعد عنه من البلاد ودنا، وقرب منه ونأى، كل ذى علم واستنبصار، وتيقظ في الحكم واستظهار، ونزاهة شائعه، وأوصاف لأدوات الاستحقاق جامعته، ممن يتحقق نُهُوضُه بذلك واضطلاله، ويأمن استيرلاله وأخذاعه، وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه ولا يألُوهم تنبها وتذكيرا، وإرشادا وتبصيرا، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وأمره بإمضاء ما أمضاه قبله الحكم، من القضايا والأحكام، غير متعقب أحكامهم بنقض ولا تبديل، ولا تفسير ولا تأويل، إذا كانت جائزة في بعض الأحوال، مُضْمَاة على وجه من وجوه الاحتمال، غير خارقة للإجماع، عارية من ملابس الابتداع، وإن كان ذلك منافيا لمذهبه، فقد سبق حكم الحاكم به، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وأمره أن يتخذ كاتباً قيمياً بشروط القضايا والسجلات، عارفاً بما يتطرق نحوها من الشبه والتأويلات، ويتداخلها من النقص والتليسات، متحرراً في كل حال، مترها عن ذميم الأفعال. وأن يتخير حاجباً نقي الحجب، مأمون المشهد والغيب، مستشعراً للتقوى، في السر والنجوى، سالكاً للطريقة المثلى، غير متجهم للناس، ولا معتمد مأينافي بسط الوجه لهم والإيناس: فإنه وصلتهم إليه، ووجهه المشهود قبل الدخول عليه، فليستخبه من بين أصحابه، ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه.

وأمره بتسليم ديوان القضاء والحكم، والاستظهار على ما في خزائنه بالإثبات والختم، والاحتياط على ما به من المال والسجلات، والمجبع والمحاضر والوكالات؛

والقبوض والوائقي والأثبات والكفالات ، بخضر من العُدول الأمانة الثقات ؛
وأن يرتب لذلك خازنا يؤدى الأمانة فيه ، ويتوشى ما توجبه الديانة وتقتضيه .

وأمره بمراعاة أمر الخسبة : فإنها من أشكر المصالح وأهمها ، وأجمعها لمنافع
الخلق وأعظمها ؛ وأدعاها إلى تحصيل أموالهم ، وانتظام أحوالهم ؛ وأن يأمر المستناب
فيها باعتبار سائر المبيعات فيها : من الأقوات وغيرها في عامة الأوقات ؛ وتحقيق
أسباب الزيادة والثقصان في الأسعار ، والتصدي لذلك على النوام والاستمارة ؛ وأن
يُجرى الأمر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة ، والموجبات الشائعة الظاهرة ؛
واعتبار الموازين والمكاييل ، وإعادة الزائد والنقص منها إلى التسوية والتعديل ؛
فإن أطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل دميم ، أو تطفيف عدل فيه
عن الوزن بالقسطاس المستقيم ، أناله من التأديب ، وأسباب التهذيب ، ما يكون
له رادعا ، ولغيره زاجرا وإزعا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَيَلِلُّ لُطْفَيْنِ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وهذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عند الله تعالى عليك ؛ قد أولاك من
صنوف النعم والألاء ، وجزيل الكرم والحباء ؛ ما يوجب طبع الاعتراف بقدره ،
واستيزاع شكره ؛ ووقف بك على حجة الرشد ، وهداك إلى منتهج الحق وسنن
السداد ؛ ولم يالك تنقيفا وتبصيرا ، وتبهيها وتدكيرا . فتأمل ذلك متدبرا ، وقف
عند حدود أوامره ونواهيه مستبصرا ؛ وأعمل به في كل ما تاتيه وتذكره ، وتورده
وتصدده ؛ وكن للحيلة في أرتيادك محققا ، وللعقد فيك مصدقا ؛ فتر من خير
الدارين بمعلل القيداح ، وإحادي السرى عند الصباح ؛ وحسب أمير المؤمنين الله
وبهم الوكيل .

الضرب الثاني

(مما كان يكتب يديوان الخلافة ببغداد لأرباب الوظائف
من أصحاب الأقلام التواقيع)

وطريقهم فيها أن يفتح التوقيع بلفظ «أحق» أو «أولى» أو «أقن من أبيضت
عليه النعم» أو «من فؤض إليه كذا» أو «من توه بذكره» ونحو ذلك «من كان
بصفة كذا وكذا» ثم يقال : «ولما كان فلان بصفة كذا وكذا، فؤض إليه كذا
وكذا» أو «أسند إليه كذا وكذا» ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع بتدريس، كُتِبَ به عن الإمام الناصر لدين الله، للقاضي
محيي الدين «محمد بن فضلان» بتدريس المدرسة النظامية ببغداد، في سنة
أربع عشرة وستمائة، وهي :

أحق من أبيضت عليه بحاسد النعم^(١)، وجذب بضبعه إلى مقام التنويه وتقدم
القدم، من أسفر في أفضية الفضائل صباحه، وانتشر في العالم علمه وأزهر
مضباحه .

ولما كانت الأجل الأوحّد، العالم، محيي الدين، حجة الإسلام، رئيس
الأصحاب، مفتي الفريقين، مفيد العلوم، أبوعبد الله «محمد بن يحيى بن فضلان»
أدام الله رفعة، من نظم فرائد المحامد عقده النضيد، وأوى من العلم والعمل إلى
ركن شديد، وثبت قدمه من الديانة على مستنبت راسخ وقرار مهيد - رأى التعويل
في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه : ثقة بأضطلاع وأستقلاله، وتبريزه

(١) المجاسد جمع محمد بالضم والكسر الثياب التي تلى الجسد وقد تكون مصبوغة بالجسد وهو الزعفران .

في حَلَبَاتِ الْإِسْتِثْقَاءِ عَلَى نُظَرَائِهِ وَأَمْثَالِهِ ، وَتَرَاجُعِ الْمُسَاجِلِينَ لَهُ عَنْ قُوْتِ غَايَتِهِ وَبُعْدِ مَنَالِهِ ؛ وَأَسْنَدِ إِلَيْهِ - أَدَامَ اللَّهُ رَفْعَتَهُ - النَّظْرُ فِي أَوْقَافِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ بِأَجْمَعِهَا ، وَاعْتِنَادِ مَا شَرَطَهُ الْوَاقِفُ فِي مَصَارِفِهَا وَمُسْبَلِهَا ؛ سَكُونًا إِلَى كِفَايَتِهِ ، وَرُكُونًا إِلَى سَدِّهِ وَأَمَانَتِهِ .

وَرِيسَمُ لَهُ تَهْدِيئُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مَا زَالَ مَنْتَهَجًا لَطَرَاتِهَا ، مَتَمِّسًا بِبَعْضِهَا وَبِوَثَائِقِهَا ؛ وَأَنْ يُشْرَحَ صَدْرُهُ لِلتَّعَلُّمِينَ ، وَلَا تَأْخُذَهُ شُجْرَةٌ (١) مِنَ الْمُسْتَفِيدِينَ ، وَلَا تَعْدُو عَيْنَاهُ عَنْ جُهْلَاءِ الطَّالِبِينَ ؛ وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْمُبَالَغَةِ فِي تَفْهِيمِ الْمَبْتَدِئِ ، وَلَا يَقْفَلَ عَنْ تَذْكِيرِ الْمُنْتَهَى : فَإِنَّهُ إِذَا أَحْتَمَلَ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ ، وَأَعْطَى كُلَّ تَلْمِيزٍ حَقَّهُ ، كَانَ اللَّهُ تَعَالَى كِفِيلًا بِمَعُونَتِهِ ، بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُ مِنْ حِرْصِهِ عَلَيْهِمْ وَإِخْلَاصِ نِيَّتِهِ . وَلَيْكُنْ بِسَائِرِ الْمُتَفَقِّهِةِ مَعْتَلِّيًا رَافِقًا ، وَعَلَيْهِمْ حَدَبًا شَفِيقًا ؛ يُفَرِّغْ لَهُمْ مِنَ الْفِقْهِ مَا وَضَعَ وَتَسَهَّلْ ، وَبَيِّنْ لَهُمْ مَا أَتَّهَسَ مِنْ غَوَامِضِهِ وَأَشْكَالِ ؛ حَتَّى تَسْتَنِيرَ قُلُوبُهُمْ بِأَضْوَاءِ عُلُومِ الدِّينِ ، وَتَتَعَلَّقَ أَلْسِنَتُهُمْ فِيهَا بِاللَّفْظِ الْفَصِيحِ الْمُبِينِ ، وَتُظْهِرَ آثَارُ بَرَكَاتِهِ فِي مَرَاشِدِهِ وَتَبَيَّنَ ؛ وَلِتَتَوَقَّرَ هِمَّتُهُ فِي عِمَارَةِ الْوُقُوفِ وَأَسْنَانِهَا ، وَالتَّوَقُّرُ عَلَى كُلِّ مَاعَادٍ بِتَرَايُدِهَا وَزَكَايَتِهَا ؛ بِحَيْثُ يَبْضُحُ مَكَانُ نَظَرِهِ فِيهَا ، وَيَتَلَفَّعُ الْغَايَةَ الْمَوْفِيَّةَ عَلَى مَنْ تَهْتَمُّهُ وَيُوفِّيها ؛ وَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِمَنْ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ وَيُوفِّيها ، وَيَقُومُ بِشَرَائِطِ الْإِسْتِحْقَاقِ وَيَكْفِيها ؛ وَهُوَ - أَدَامَ اللَّهُ رَفْعَتَهُ - يَجْرَى مِنْ عَوَائِدِ الْمُدْرَسِينَ وَالتَّوَلِّينَ قَبْلَهُ عَلَى أَوْفَى مَعْنَاهُ ، وَيُسَاعَى بِهِ إِلَى أَبْعَدِ مُرْتَقَى وَمَقَامٍ مَجْهُودٍ ؛ وَأَنْذَنَ لَهُ فِي تَسَاوُلِ إِيحَابِ التَّدْرِيسِ وَنَظَرِ الْوُقُوفِ الْمَذْكُورَةِ ، أَسْوَةً مِنْ تَهْتَمُّهُ فِي التَّدْرِيسِ وَالنَّظَرِ فِي الْوُقُوفِ ، عَلَى مَا شَرَطَ الْوَاقِفُ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ ، وَاعْتِنَادِ كُلِّ مَاحَتِهِ فِي ذَلِكَ وَمِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ تَجَاوُزِ .

(١) هِيَ بِالضَّمِّ التَّهَرُّمُ وَالتَّضَجُّرُ . انْظُرِ الْقَامُوسَ .

النوع الرابع

(بما كان يُكْتَب من ديوان الخلافة ببغداد ما كان يُكْتَب لِرُعْمَاء أهل الذِّمَّة)

وطريقهم فيه أن يُفْتَح بلفظ : « هذا كتابُ أمرٍ بكتبه فلانُ أبو فلان الإمامُ الفلاني أمير المؤمنين لفلان » ثم يقال : « أما بعدُ فالحمد لله » ويؤتى فيه بتحميدة أو ثلاث تحميدات إن قُصِد المبالغة في قهر أهل الذِّمَّة بِدُخُولهم تحت ذِمَّة الإسلام وأتقيادهم إليه . ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعيَّة حتَّى أهل الذمة ، وأنه أنهى إليه حال فلان وسُئِل في توليته على طائفته قَوْلًا عليهم للميرة على غيره من أبناء طائفته ونحو ذلك ؛ ثم يُوصيه بما يناسبه من الوصايا .

وهذه نسخة من ذلك ، كُتِب بها عن القائم بأمر الله ، لعبد يسوع الجاثليق ، من إنشاء العلّاء بن موصلايا ، وهي :

هذا كتابُ أمرٍ بكتبه عبدُ الله أبو جعفر عبد الله الإمامُ القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، لعبد يسوع الجاثليق القَطْرَك .

أما بعدُ ، فالحمد لله الواحد بغير ثان ، القديم لأعن وجود زمان ؛ الذي قَصُرَت صنيعه الأوهام ، عن إدراكه وحارث ؛ وضَلَّت صنيعه الأفهام ، عن بلوغ مدى صفاته وحالات ؛ المتزَّه عن الولد والصاحبه ، العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبه ؛ ذي المشيئة الحالِية بالمضاء ، والقُدرة الجارية عليها تصاريق القدر والقضاء ؛ والعظمة الغنيّة عن العون والظهير ، المتعالى بها عن الكُف والنظير ؛ والعزة المكتفية عن العضد والنصير ، (ليس كمثل شيء) وهو السميع البصير .

والحمد لله الذى آخترَ الإسلامَ ديناً وأرْتضاهُ، وشَامَ به عَضْبَ الحقِّ على الباطل
وأنتَضاهُ ؛ وأرسلَ محمداً - صلى الله عليه - مُتَقِداً من أَشْرَافِ الضَّلَلَةِ ، وكاشفاً عن
الإيمان ما غمَّره من الإِشْرَافِ وأظْلَمَ ؛ وبثَّه ماحياً أثرَ الكُفْرِ من القُلُوبِ والإِشْماعِ ،
وناحياً فى اتِّبَاعِ أوامِرِهِ مابِجِدَ فى البِدَارِ إليه والإِسرَاعِ ؛ وأدَّى ما مَحَلَّه أحسنَ الأداءِ ^(١) ،
وداوى بِمُجِيزِ النُّبُوَّةِ من النفوسِ مُعْضِلِ الدَّاءِ ؛ ولم يَزَلْ لأعلامِ الهدى مُبِيناً ، ولجَبَّاتِلِ
النِّفَى حَاسِماً مُبِيناً ؛ إلى أن خَلَصَ الحقُّ وَصَفاً ، وغدا الدِّينُ من أَضْدَادِهِ مَتَّصِفاً ؛
وأنْضَجَ للحائِزِ سَنَنِ الرِّشْدِ ، وأنْقَادِ الأَيْمَنِ بِاللَّيْنِ والأَشَدِّ ؛ فَصَلَّى اللهُ عليه وعلى آله
الطاهرينَ ، وأصحابِهِ الْمُتَحَيِّينَ ، وخُلَفَائِهِ الأئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ ؛ وسَلَّمَ تَسْلِيماً .

والحمد لله الذى أَسْتَخْلَصَ أميرَ المؤمنينَ من أَرْكَائِ الدَّوْحَةِ والأَرْوَمَةِ ، وأَحَلَّهُ من
عِزِّ الإِمَامَةِ ذِرْوَةَ الجَبَدِ غَيْرَ مَرُومَةٍ ؛ وأَصَارَ إليه من تَرَاثِ النُّبُوَّةِ مَاحِوَاهُ بالاستِحْقَاقِ
وَالْجُوبِ ، وأَصَابَ به من مَرَامِي الصَّلَاحِ ما حَمَيْتْ شُمُوسُهُ من الأَقْوَالِ والوُجُوبِ ؛
وأَوَّلَاهُ من شَرَفِ الخِلَافَةِ ما أَسْتَقْدَمَ به الفَخْرُ فَلْيَ ، وأَسْتَخْدَمَ معه الدَّهْرَ فما تَأْتَى ؛
ومَنَعَ أَيَّامَهُ من ظُهُورِ العَدْلِ فيها وَأَنْتَشَارِهِ ، وَلَقَّاحِ حَوَامِلِ الإِنْصَافِ فيها وَوَضَعَ
عِشَارَهُ ، ما فَضَّلَ به المُصْبُورَ الخَلَّائِيَّةَ ، وظَلَّتِ السَّيْرُ مُتَضَمِّنَةً من ذِكْرِهِ ما كَانَتْ
مِنْ مِثْلِهِ حَارِيَّةً خَالِيَّةً ؛ وَهُوَ يَسْتَدِيمُهُ - سَبْعَانَهُ - المُعَوَّنَةُ عَلَى ما يُقَرِّبُ لَدَيْهِ
وَيُزِيلُ عَنْهُ ، وَيَسْتَمُدُّهُ التَّوْفِيقُ الذى يَنْفُلُو لِعِزَائِهِ المِيمُونَةَ أَوْفَى العَضْدِ والعُدَّةِ ؛
وما تَوْفِيقُ أميرِ المؤمنينَ إلَّا باقٍ عليه يَتَوَكَّلُ وإليه يُنِيبُ .

(١) شام السيف شيما سه .

(٢) فى الأصول وأدلى الأدلاء . وهو تصحيف كالأينجى .

وأمر المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص رعاياه [بالمواهب]
 التي يمتد عليهم رِواقها ، ويرد بها إلى أعضان صلاحهم أوقافها ؛ ويُلقي على أجيادهم
 عقودها ، ويقي رِياح أشلائهم رُكودها ، يرى أن يُولي أُولي الاستقامة من أهل
 ذِمته ضروب الرأفة وصنوفها ، وأقسام العاطفة الدافعة عنهم حوادث الغير وصروفها ؛
 بمقتضى عهدهم القويَّة القوي ، وأذمتهم^(١) التي يلزم أن يحافظ عليها أهل العدل
 والثقوى ؛ ويفتدhem من الضرر الغامر ، والإجماع المضاهي الآنف منه الفار ؛
 بما يقبض يد الضيم وكفّه ، وأن محبوبهم من الحياطة بما يحرس رؤسهم المستمرة
 من أسباب الاختلال ، ويحرّهم فيها على ماسنه السلف معهم من مألوف السجايَا
 والخلال .

ولما أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك ، وتحليك من السداد
 بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصفك وإطرائك ؛ وتخصُّصك بالأنحاء التي
 فُت فيها شأو أقرانك ، وأفنت بها ماقصر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعدلك
 في ميزانك ؛ وما عليه أهل نخلتك من حاجتهم إلى جاتليق كافيل بأمرهم ، كاف
 في سياسة جمهورهم ؛ مستقلاً بما يلزمه القيام به ، غير مُقلِّ بما يتعين مثله في أدوات
 منصبه ؛ وأنَّ كلاً ممن يرجع إليه منهم لمَّا تصفح أحوال متقدِّمي دينهم وأسْتَشَفَّ ،
 وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشْف ؛ وآفَقُوا من بعد على إجمالة الرأي
 الذي أفاضوا بينهم قَدَاحه ، وراضوا به زُند الاجتهاد إلى أن أوردى حين راموا
 اقتداحه ؛ فلم يُصادقوا من هو بالرياسة عليهم أحق وأحرى ، وللشروط الموجبة
 التقديم فيهم أجمع وأحوى ؛ وعن أموال وقوفهم أعف وأورع ، ومن نفسه لداعي
 التحزى فيها أطوع وأتبع ، منك . اختاروك لهم راعياً ، ولياً شَدَّ نِظامهم ملاحظاً

(١) جمع ذمام بالذال المعجمة وفي اللسان القدام والمالمة الحق والحكمة .

مُرَاعِيَا ؛ وَسَأَلُوا إِمضَاءَ نَفْسِهِمْ عَلَيْكَ وَالْإِذْنَ فِيهِ ، وَإِجْرَاءَ الْأَمْرِ فِيمَا يُخَصُّكَ أَسَدٌ
تَجَارِيهِ ؛ وَتَرْتِيكَ فِيمَا أَهْلَتْ لَهُ وَحُمِلَتْ نَفْسُهُ ، وَآخْتِصَّاصَكَ عَلَى مَنْ تَهْدَمُكَ مِنْ
الْأَضْرَابِ ، بِمَزِيدٍ مِنَ الْإِرْعَاءِ وَالْإِيحَابِ ؛ وَحَمْلِكَ وَأَهْلَ نَحْلِكَ عَلَى الشُّرُوطِ الْمُعْتَادَةِ ،
وَالرَّسُومِ الَّتِي إِمضَاءُ الشَّرِيعَةِ لَهَا أَوْفَى الشَّهَادَةِ - رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِجَابَةَ إِلَى
مَا وَجَّهَتْ إِلَيْهِ فِيهِ الرَّغْبَةُ ، وَاسْتِغَارَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ عَزَمٍ يُطْلَقُ شَبَاهُ وَيُخْضَى
غَرْبُهُ ؛ بِمَقْتَدِيَا فِيمَا أَسَدَاهُ إِلَيْكَ ، وَأَسْنَاهُ مِنْ أَنْعَمِهِ لَدَيْكَ ؛ بِأَفْعَالِ الْأُئِمَّةِ الْمَاضِينَ ،
وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، مَعَ أَمْثَالِكَ مِنَ الْجَنَائِلَةِ الَّذِينَ سَبَقُوا ،
وَفِي مَقَامِكَ أَسْقُوا ؛ وَأَوْعَزَ بِتَرْتِيكَ جَائِلِقًا لِنُسْطُورِ النَّصَارَى بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَسَائِرِ
الْبِلَادِ وَالْأَصْفَاقِ ، وَزَعِيًّا لَهُمُ وَلِلرُّومِ وَالْبِعَاقِبَةِ طَرًّا ، وَلِكُلِّ مَنْ تَحْيُوهُ دِيَارُ الْإِسْلَامِ
مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مَنْ يَهْتَزُّ وَيَسْتَقِرُّ وَإِلَيْهَا يَطْرَأُ ؛ وَجَعَلَ أَمْرَكَ فِيهِمْ مِمْتَلَأًا ، وَمَوْضِعَكَ
مِنْ الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ مَتَاقِلًا ؛ وَأَنْ تَتَفَرَّدَ بِالتَّقْدِيمِ عَلَى هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَجْمَعٍ : لِيَكُونَ قَوْلُكَ
فِيمَا يُبَيِّنُهُ الشَّرْعُ فِيهِمْ يُقْبَلُ وَإِلَيْكَ فِي أَحْوَالِهِمْ يُرْجَعُ ؛ وَأَنْ تُمَيِّزَ بَاهُتَةِ الرَّعَايَةِ ،
فِي جَمَاعِ النَّصَارَى وَمُصَلِّبَاتِهِمْ عَاقَةً ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْرَكَكَ فِيهَا أَوْ يَشَاكِلَكَ فِي النِّسْبَةِ
الدَّالَّةُ عَلَيْهَا مَطْرَانٌ أَوْ أَسْقُفٌ لِلرُّومِ أَوْ الْبِعَاقِبَةِ : لَتَقْدُرَ شَوَاهِدُ وَلَايَتِكَ بِالْأَوَامِرِ
الْإِمَامِيَّةِ بَادِيَةً لِلسَّمْعِ وَالنَّظَرِ ، وَأَثَارُ قُصُورِهِمْ عَنْ هَذِهِ الرِّبَّةِ الَّتِي لَمْ يَلْفُوهَا كَافَّةً
لِلْمُجَادِلِ مِنْهُمْ وَالْمُنَاطِرِ ؛ وَمُنِعُوا بِأَسْرِهِمْ عَنْ مَسَاوَاتِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ هُوَ مِنْ شُرُوطِ
الرَّعَايَةِ وَرُسُومِهَا ، وَالتَّزَيُّ بِمَا هُوَ مِنْ عِلَامَاتِهَا وَرُسُومِهَا ؛ إِذْ لَا سَبِيلَ لِأَحَدِهِمْ أَنْ
يَمْتَدَّ فِي مُبَارَاتِكَ بَاعَهُ ، وَلَا أَنْ يُخْرِجَ عَنِ الْمَوْجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَكَ وَالْتِبَاعَةِ ؛
وَحَمْلِكَ فِي ذَاكَ عَلَى مَا يَبْدُلُ عَلَيْهِ الْمَشُورُ الْمَشْأَ لِمَنْ تَهْدَمُكَ ، الْمُخْضَى لَكَ وَلِكُلِّ مَنْ
يَأْتِي بِعَدْلِكَ ؛ الْمُجْتَدُّ بِمَا حَوَاهُ ذِكْرُ مَا نَطَقَتْ بِهِ الْمُنَاشِيرُ الْمُقْتَرَةُ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، لِمَنْ تَهْدَمُكَ فِي مَقَامِكَ ، وَأَحْزَسَ سَبْقَ مَفْزَاكَ

ومراميك : من كون المنصوب في الخلقة إليه الزعامة على ما تضمنه ديار الإسلام من هذه الفرق جميعا ، والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياضه مرمى ؛ وتقدم أمير المؤمنين بجباطك وأهل نخلتك في نفوسكم وأموالكم وبيعتكم ، ودياركم ومقار صلواتكم وحراسة أموالكم ، وأعتادكم بأقسام الكلاءة على أجل الرثم معكم ؛ وأن تمحووا من نقض سنة رضية قُريت لكم ، ودخض وتيرة حميدة استعملت في فرضكم ؛ وأن تقبض الجزية من رجالكم ذوى القدرة على أدائها بحسب ما جرت به عاداتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة في السنه ، ومجروا في ذلك على السجية التي تناقلها الرواة وتداولتها الألسنة ؛ من غير تثنية ولا تكرير ، ولا ترقيق لمثل المعدلة عندهم ولا تكدير ؛ وأن تحبوا بالشّد دائما وتقوية يدك على من نصبتهم في أمورهم ناظرا ولشملهم ناظرا ؛ وفُسح لك في فضل ما يشجر بينهم على سبيل الوساطة : لتقصّد في ذلك ما يحسّم دواعي الخلف ويطلوئ سبيله ؛ وأن تُمنّى تحقيقك لهم وأمرك فيهم ، أموة ما جرى عليه الأمر مع من كان قبلك يليهم ؛ لتحسين معه السيرة العادلة عليهم بحفظ السّوام ، المطابقة للشروط السائفة في دين الإسلام .

وأمر بإنشاء هذا الكتاب ستميلا على ما خصك به ، وأمنّى أن تُعامل بموجبه ؛ فقابل نعمة أمير المؤمنين عندك بما تستوجب من شكر تبلغ فيه المدى الأقصى ، وبشير لا يوجد التصفّع له عندك قصورا ولا تقصا ؛ وواظب على الاعتراف بما أوليته من كلّ ما جملك ، وصنّق ظنك وأملك ؛ وأسترد الإنعام بطاعة تطوى عليها الجوائح ، وأدعية لأيامه تُتبع الغايدى منها بالرائح ؛ وتجنب التقصير فيما بك خلق ، وإليك وكلّ عليك علق ؛ وأحفظ بهذا الكتاب جنة تمنع عنك ربّ الدهر وغيره ،

وحجة تحمل فيها على ما ينبغي ما منحت من كل ما منعت (؟) وغيره ؛ وليعمل بهذا المثال كأنه المطاراة والأساقفة والقسيسين ، والنصارى أجمعين ؛ وليعتدوا من التباعة لك ما يستحقه تقديمك على الجماعة ، وليثقوا بما يغمرهم من العاطفة الحامية سربهم من التفريق والإضاعة ؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وأربعمائة .

الطرف الرابع

(فيما كان يكتب عن مدعى الخلافة ببلاد المغرب والأندلس)

وكانوا يعبرون عما يكتب من ذلك بالظواهر والصكوك : فالظواهر جمع ظهير ، وهو المعين ، متى مرسوم الخليفة أو السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة لمن كتب له . والصكوك جمع صك وهو الكتاب ، قال الجوهري : وهو فارسي معرب والجمع أصك وصكك وصكوك ، ثم نحى المتأخرون منهم لفظ الصك ، لما جرى به عرف العامة من ظلية استعماله في أحد معني الاشتراك فيه وهو الصفع ، واقتصرُوا على استعمال لفظ الظهير .

ولذلك حالتان :

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في الزمن القديم)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَمْ مُصْطَلَحٌ يَقْفُونَ عِنْدَ حَدِّهِ فِي الْإِبْتِدَاءَاتِ ، بَلْ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ قَرِيحَةُ الْكُتَّابِ ؛ فَتَارَةً يَتَنَدُّ بِلَفْظِ : « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » أَوْ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى أَهْلِ فُلَانَةٍ » أَوْ « إِلَى الْأَشْيَاخِ بِفُلَانَةٍ » أَوْ « يَصُكُّكُمْ فُلَانٌ بِهَذَا الْكِتَابِ » .

وتارة يُبتدأ بـ «أما بعد حمد الله» . وتارة يُبتدأ بلفظ «تقدّم فلان بكذا» . وتارة يُبتدأ بلفظ «مكتوبنا هذا» وغير ذلك مما لا يتحصّر .

فمن الظواهر المكتّبة لأرباب السيوف عندهم ، ما كُتِب به بولاية ناحية ، وهى :
من فلان إلى أهل فلانة أدام الله لهم من الكرامة أتمّها ومن الرأية أوفّاها ؛
وأسيغّ عليهم برود نعمة الجزيلة وأضفاها .

أما بعد حمد الله ميسر أسباب النجاح ، ومُسَيِّ مَرَام الرِّشَاد والصِّلَاح ؛ والصلاة
على سيدنا غدير رسولهِ نبي الرحمة والرفق والإيتِّحاح^(١) ، وعلى آله وصحبه المتّصِّفين بالقوّة
فى ذات الله تارة وتارة بِتَقْضِ الجَنَاح ؛ والرِّضا عن الخليفة أمير المؤمنين ذى الشرف
الذى لم يزلْ بالمُدنى النبوى متوقِّد المِصْبَاح ، والدعاء للقام الإمارى بالنصر الذى يُؤْتِى
مَقَالِيد الْإِفْتِاح ، والتأييد الماضى حَدُّ رُغْبِهِ حيث لا يَمُضِ غِرَارُ الْمَهْدِ وشَبَابُ الرِّمَاح
- فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم سُكُون الأَرْجَاءِ وهُدُوءَهَا ، وأجرى لكم بالصِّلَاح
رَوَاحَ الأَيَّامِ وهُدُوءَهَا «من فلانة» وللدولة العلية بركاتُ تَكَاثُرِ السُّحُبِ فى أنسكابها
وأنسجامها ؛ وتَقْوَدُ الخيراتِ والمسراتِ فى كلِّ أَوْبٍ بِزِمَامِهَا ، والحمد لله حمدا يَقْضِى
بوفور جزيلات النعم ويحسّامها .

وإنَّ الأهتمامَ بكم المستدقُّ على كلِّ غرض جميل ، ومقدّمٌ فيما يُنْظِطِكُمْ بكلِّ بَغْيَةٍ
وتأميل ؛ وبحسبِ هذا لا يزالُ يَخْتَارُ لكم من الوَلَاةِ كُلِّ غَنَارٍ مُنْتَخَبٍ ، ولا يُقدِّمُ
عليكم إِلَّا مَنْ يَتِيهِ إِلَى أَنْبِيلِ حَسْبٍ وَكَرِيمٍ مُنْتَسَبٍ ، ولا يزالُ يُدَاوِلُ مَوْضِعَكُمْ بين
كلِّ طَرِيقَةٍ تَتَّصِلُ مِنْ حُسْنِ السَّيْرِ وَسَدَادِ النَّظَرِ بِأَمْتِنِ سَبَبٍ ؛ وعلى هذا الأصل
أَسْتَخَرْنَا اللهَ وهو المستخار ، والذى يَقْضِى ما يشاءُ وَيَخْتَارُ ، فى أنْ قَدَّمْنَا عليكم ،

وولينا للنظر فيما لديكم، من له التقدم في الإقدام، والأضطلاعُ الثابتُ الأقدام؛
وذلك فلان . وآثرناكم به احتناءً بجانبكم وأهتبالاً،^(١) وخصصناكم منه بمن يُفسح
في كل أثر حميد مجالاً؛ والمعتدُّ فيه أن يعمل على شاكلته بنباهة مكانه، وأن يبذل
في الاتهاض والأكتفاء غايةً ومُسعى وإمكانه؛ وعليه أن يلزم تقوى الله العظيم
في سره وعلنه، ويحجى على سبيل العدل وسننه؛ ويسمر عن ساعده في الدفاع عن
أحوالكم كُلِّ التشهير، ويأخذ على أيدي أهل التعدي أخذاً يقضى على الفساد وأهله
بالتنكير؛ ويقصد بكم سيد السرى ورشيد الرأي في الدقيق والخليل والصغير والكبير؛
ويسوى في الحق بين الحافل والثافه والفني والفقير؛ وعليكم أن تسمعوا وتطيعوا،
ولا تُهمَلوا حتى الامتثال والانتصار ولا تُضيعوا؛ وأن تكونوا يده التي تبطش،
وأعوانه فيما يُحاول من مستوفى المساعي المرضية ومستوعبها، وأن تتعاونوا على التقوى
والبر، وتقفوا له عند النهي والأمر؛ وتجهّدوا معه في مصالحكم كُلِّ الاجتهاد،
وتعتمدوا على ما رتبناه لكم أتم الاعتماد؛ وستجلون من مواليكم - إن شاء الله -
ما يوافق الظن به، ويلامم العمل بحسب حسبه؛ إن شاء الله تعالى والسلام .



ومنها ما كتبت به في ولاية ناحية أيضا، وهي :

من فلان إلى أهل فلانة أدام الله تعالى كرامتهم بتقواه، وعرفهم أحق النظر
بمصالحهم وأحراء .

وبعد، فإننا كتبناه لكم - كتب الله لكم أحوالاً متصلة الصلاح، حميدة الاختتام
والافتتاح - من فلانة ونعم الله سبحانه موقورة الأقسام، صيبة الغمام؛ وقد أقتضى

(١) أى اشتغالا بشأنكم من قولهم احتبل مهلك أى اشتغل بشأنك انظر اللسان ج ١٤ ص ٢١٢ .

ماتَوْخَاهُ مِنَ الْاِحْطِاطِ عَلَى جَوَانِبِكُمْ ، وَنَعْتِمُهُ مِنَ الْإِشَارِ لَكُمْ وَالْإِعْتِنَاءِ بِكُمْ ؛
أَنْ تَتَخَيَّرَ لِلتَّقْدِيمِ عَلَيْكُمْ مَنْ نَعْلَمُ مِنْهُ الْأَحْوَالَ الْمَرْضِيَّةَ حَقِيقَةً ، وَنُحْمَدُ سِيَرَهُ فِيمَا يُجَاهِلُهُ
وَطَرِيقَهُ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِنْ حُدُثِ مَقَاصِدُهُ ، وَشُكِرَتْ فِي الْمَحَاوِلَاتِ الْأَجْتِهَادِيَّةِ عَوَانِدُهُ ؛
وَحُسِّنَتْ فِيمَا نُصَرِّفُهُ فِيهِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ ، رَأَيْنَا وَاللَّهِ الْقَاضِي فِيمَا نَذَرَهُ وَنَأْتِيهِ ،
بِالتَّوْفِيقِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ أَتْقِيَاذُ النُّجْحِ وَنَأْتِيهِ ، أَنْ تَقْدِمَهُ لِحِفْظِ جِهَاتِكُمْ ، وَتَأْمِينَ
أَرْجَائِكُمْ وَجَنَابَتِكُمْ ؛ وَوَصَّيْنَاهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِيمَا قَلَّدْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْأَجْتِهَادِ ، وَيَتَنَبَّضَ
فِي إِذْهَابِ الشَّرِّ وَإِرْهَابِ أَهْلِ الْقَسَادِ ؛ وَبِأَنْ يَسْلُكَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنَ الْأَحْكَامِ سَنَنَ
الْحَقِّ ، وَيَتَجَرَّى عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالرَّفْقِ ؛ وَيُدْفَعُ أَسْبَابَ الْمَظَالِمِ ، وَيُنْصِفَ الْمَظْلُومَ
مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَإِذَا وَافَاكُمْ فَنُفْقُوهُ بِنُفُوسٍ مَنِيسَةٍ ، وَعَقَائِدَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَرْتَبِطَةً ؛
وَكُونُوا مَعَهُ عَلَى تَمْشِيَةِ الْحَقِّ يَدًا وَاحِدَةً ، وَفَقَّةً فِي ذَاتِ اللَّهِ مُتَعَاوَنَةً مُتَعَايِدَةً ؛ بِمُحَوَّلِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ .



ومنها ما كُتِبَ بِهِ بِإِطَاعَةِ وَالٍ إِلَى نَاحِيَةٍ ، وَهِيَ :

وإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَأَعْلَقَكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ
بِالْحَبْلِ الْأَمْنِيِّ الْأَقْوَى - مِنْ فَلَانَةٍ : وَالَّذِي نُوَصِّيْكُمْ بِهِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلَ
بِطَاعَتِهِ ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ صَرَفْنَا إِلَيْكُمْ فَلَانًا بَعْدَ أَنْ أَقَامَ هُنَا شَاهِدًا
مَشَاهِدًا لِلتَّعَلُّمِ نَافِعَهُ ، مُبَاشَرًا مِنَ الْمُدَاكِرَةِ فِي الْكُتَابِ وَالسُّنَنِ بِمَجَالِسِ ضَامِنَةٍ خَلِيرِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَامِعَهُ ؛ مُطَالِمًا لِأَحْوَالِ الْمُؤَحِّدِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ فِي مَا أَخَذَهُمُ الدِّيْلِيَّةُ ،
وَمَقَاصِدِهِمُ الْخِيَّةَ لِمَا دَرَسَ مِنَ الْمَلَّةِ الْخَفِيَّةِ ؛ فَنَالِ بِذَلِكَ كُلَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَأَحْرَزَ بِهِ

حظاً من السعادة كثيراً ، وظفر منه بما يكون له في كل ما ينظر فيه سراجاً مُبيرا ؛
وقد أعدناه إلى الشغل الذى كان يتولاه لجهنكم حرمها الله ، ووصيناها بتقوى الله
تعالى الذى لا يطلع على السرائر سواه ؛ وأن يكون بما شاهدته مما تقدم ذكره
مقتديا ، وبأنواره الساطعة التى لا يضل من اهتدى بها مُهتديا ؛ ولا يستند فى شئ
من أحكامه إلى من لا يقوم على عصمته دليل ، ولا يجعل إليه تحريراً ولا تحليل ؛
فأعينوه - وفقكم الله - على تمشية هذه المقاصد الكريمة أكرم إمانه ، وأسلكوا
من مظاهرتة على الحق وموازرتة على المسالك التى تستبين هلالكم أتم استبانته ؛
إن شاء الله تعالى .



ومن الظواهر المكتبة بالوظائف الدينية ما كتب به فى ولاية قاض ، وهو :

أما بعد حمد الله رافع علم الحق لمن اهتدى ، وواضع ميزان القسط بالسريرة
المحمدية الآخذة بالجزع من مهاوى الردى ؛ ومؤيد الدين الحنيفى بن آرتضى لتحديد
حدوده وتجديد عهوده وهدى ، والصلاة على سيدنا محمد نبيه الكريم الذى أرسله
إلى الناس كافة غير مستثنى عليه من الخلق أحدا ؛ وعلى آله وصحبه الذين سلكوا
فى نصره وإظهار أمره جددا . والرضا عن انخليفة أمير المؤمنين العباسى الأطيب
عُصرا وتحتدا ، فإنما كتبناه إليكم - كتبكم الله بمن أعتز بطاعته وتقواه ، وأعصم من
حبله المتين بأوقاه وأفواه - من فلانة وفضل الله سبحانه مديد الظلال ، وتوكلنا
عليه - عز وجهه - ظهيرنا المعتمد به فى كل حال ، وعمادنا الذى قدسناه فى تدبره
من الأعمال ؛ وأنكم من عنايتنا ، وموصول رعايتنا ، ليالحل الأدنى ؛ ومن خاص

نظرا وآهتاما لمن تكلف بشأنه كله ونفى، ونعمد من ذلك بالأحسن فالأحسن
بغزاء الذين أحسنوا الحسن.

وقد علمتم - وصل الله كرامتكم - أن الأحكام الشرعية هي ملك الأمور
ونظامها، وعليها مدار الأعمال الدينية وبها تمامها؛ وأنه لا يصلح لها إلا من تجرد
عن هواه، وآثر الحق على ما سواه؛ وأتبع حكم نبيه - عليه السلام - في كل ما عمل
وتواه، وتعمل بالذرية وتحمل الرواية فكانتا أظهر حلاله؛ وأتسم بالعدل والاعتدال
فيما يليه من ذلك أو تولاه، وكان ممن أطلق الحق لسانه وقيد الورع يمينه؛ وقد أمعنا
النظر فيمن له من هذه الأوصاف أو في نصيب، ومن إن ربح عن قوس نظره
الموفق كان سهمه المسدّد مصيب؛ لنخصم به قاضيا في هذه الأحكام، وتقديمه
للفصل بينكم في القضايا الشرعية حكما من صالح الحكم؛ فأينا أهلا لذلك ومخلا
من آخترت على [النهج] القويم أحواله، وأرضيت فيما نيظ به من ذلك أعماله
وأقواله؛ وشهد له الاختبار بالأنكشاف عن كل مابق وظائب، وعن ارتكاب
التنبيات إلى السنن الاحب؛ وذلكم «فلان» أدام الله كرامته وتوفيقه، ويسر إلى
مسالك النجاة مسلكه وطريقه؛ فانفذناه إليكم حكما مرض السير، وأفرأ الخط
من المعارف المصورة للحق في أجمل الصور؛ مكتفيا بما لديه من استقامة الأحوال
عن الوصايا ماخلا التذكير والتنبيه، والوصية بتقوى الله فهي التي تعصم العامل بها
وتنجيه؛ فقد وصى بها الله من اختاره من خلقه لإقامة حقه وأرضاه، فقال تعالى:
(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) . فتقوه
- أدام الله كرامتكم - بنفوس منبسطه، وقلوب مبهتجة مغتبطه، وأهواء على التظافر

والتناصر في الحق مجتمعة مرتبطه ؛ وتعاونوا في ذات الله على الطاعة ، وكُونُوا في سبيل الله يداً واحدةً فيد الله مع الجماعة ؛ وأستعينوه سبحانه على الخير يُعْظِمَكُمْ ، وأشْكُرُوا الله يُؤْزِكُمْ خيراً مما أخذ منكم ؛ وهو سبحانه يتولّاكم بالحفظ الشامل ، ويستعملكم من طاعته ومُلُوك سبيل مَرْضَاتِهِ بِأَنْجِيْ مَا أَسْتَعْمِلُ بِهِ عَامِل ؛ والسلام .



ومنها ما كتب به أبو الحسن الرُّعَيْنِي في ولاية قاض ، وهي :

من فلان إلى الأشياخ بفلانة أدام الله كرامتهم بتقواه ، وأستعملهم فيما يُجِبُّه ويرضاه .

أما بعد ، فإنّا كتبناه إليكم - كتب الله لكم حسنة ، وأوزعكم شكر ما خولكم من نعمه ورُحماء ؛ ومن مقاصد هذا الأمر العزيز - أدامه الله - ما يُعْطِي يد الحق ويُسَمِّها ، ويسد سهام العدل إلى أغراضها ومرامها ، ويتكفل بالجزاء لمن لاذ بأكلاف الطاعة ونواحيها ، والحمد لله على نعمه التي لا تحصى ولا تحصىها .

والى ذلكم فإن فلانا لما تمكنت الثقة بجميل صفته ، وأستأنست البصيرة إلى استحكام سبته ومعرفته ؛ وقد كان تقدم له من خدمة الأمر وأوليائه ما تجده مع الأيام ونزجه ؛ وخصصه من كريم الاستعمال بما أستاذناه إلى مراقب الدكاء وأستدرجه ؛ رأينا - والله المستعان - أن نقدمه للنظر في قضاياكم الدينيّة ، وأحكامكم الشرعيّة ؛ بعد أن وصينا بتقوى الله فقدمها ، وعرضنا عليه ما يعلّمه ويلزمه من شروط الحكومة فالترمها . فليهنس إلى ما قفستناه على بركة الله تعالى

(١) في الأصل أنجده بالمز وهو غير مناسب .

مشعراً عن ساعد الحزم، آخذاً في كافة أموره بما يأخذه أولو العزم؛ جارياً على السنن الواضح المعروف؛ مسوياً في الحق بين النبيه والخامل والشريف والمشرؤف؛ محاسباً على إقامة قروض الدين أكرم احتساب، مكتسباً من الأجر في ردع الظلم والباطل أفضل اكتساب، راجياً في تمشية العدل على رغم من أباه ما يرجو المؤمن المحقق من زلفى وحسن مآب؛ ولدينا من عقده على ذلك ما يحسن مقصده، ويمكن في بسطة الحق مقعده؛ فإذا وافاكم فاستبشروا بموافاته، وقفوا عند ما يفضيه من لوازم الشرع وموجباته، وتعاونوا على الخير تعاوناً يحجز حظكم من فضل الله وبركاته؛ فهو المؤمن في ذلك لأرب سواه.



ومن الظواهر المكتتة بالوظائف الديوانية ما كتب به أبو المطرف بن عميرة بولاية وزارة؛ وهو:

مكتوبنا هذا بيد فلان أدام الله علاته، وحفظ عنايته وغناه؛ يجد به مكان العزة ميكنه، ومورد الكرامة صدياً معيناً، وسبيل الحرمة المتأكدة واضحاً مستبيناً؛ ويتقلد وزارتنا تهلل تفويض وإطلاق، ويلبس ما خلع عليه منها لبسة متمكن وأستحقاق، ويترل من رتبها العليا منزلة شرفها ثابت وحماها باق؛ ويسوغ الدار الخزنية التي يسكنها بقلانه تسويفاً يملكه لإياها أصح تملك، وفرد فيها من غير تشريك؛ لأن شاء الله تعالى والسلام.



ومنها ما كتب به أبو عبد الله بن الأبار في مشاركة ناحية؛ وهو:

عن إذن فلان ، يتقدم فلان للنظر في الأشغال الخزنية بقلانة ، مؤفياً بما يجب عليه من الاجتهاد والتشمير ، وإلحد الذي أرتسم في الإنماء والتثمير ؛ مصدقاً ما قدر فيه من الاتهاض والاستقلال ، وقرر عنه من الأمانة التي رثعته وأهلته لأنبه الأعمال ؛ جاريًا في ضبط الأمور الخزنية والرفق بجانب الرعية على المقاصد الخليفة والمذاهب المرضية في عامة الشؤون والأحوال ، عاملاً بما تقدمت به الوصية إليه ، وتاكدهت الإشارة [به] عليه ؛ من تقوى الله في السر والعلان ، طاملاً أن المرء بما قدمته يداه مرفته .



ومنها ما كتب به المذكور بإعادة مشارف إلى ناحية ، وهو :

يُعاد بهذا المكتوب فلان إلى خطّة الإشراف بقلانة : رافلاً من ملابس التكرمة والخطوة في شقوفها ، محملاً بينه وبين النظر في ضروب الأشغال الخزنية وصنوفها ؛ فهو المعروف بالكفاية والاجتهاد ، الموصوف بحسن الإصدار والإيراد ؛ وأولى الناس بالتزام النصيحة ، والأزدياد من بضائع الأعمال الربحية ، من كثرت النعم السلطانية لديه ، ودفع إلى الخطط ودفعت إليه . فليقلد هذه الخطّة بحققها من الاتهاض والتشمير ، وتأييد الأمانة بالإنماء والتثمير ؛ وليترود تقوى الله تعالى ليوم يسأل عن التقير والقطمير ؛ جاريًا في أموره كلها على الطريقة السوية ، جامعاً بين الاحتياط للخرن والرفق بالريه ، غير عادل في حال من الأحوال وقن من فنون الأعمال عن مقتضى هذه الوصية ؛ إن شاء الله تعالى .

الطرف الخامس

(فيما كان عليه الأمر في الدولة الفاطمية بالديار المصرية)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة أنه كان بها من وظائف أرباب السيوف
الوزارة إذا كان الوزير صاحب سيف ، والنظر في المظالم ، وزم الأقارب ، وقبابة
العالمين ، وزم الرجال والطوائف : كالأموية ، والحافظية ، والأفضلية ، وغيرهم
من تقدم ذكره في ترتيب دولتهم ؛ وولاية الشرطة ، وولاية المعاونة والأحداث ،
وولاية الحماية ، وولاية حفظ الثغور ، والإمارة على الحج ، والإمارة على الجهاد ،
وولاية الأعمال ، وغير ذلك . ومن الوظائف قضاء القضاة ، والدعوة إلى مذهبهم ،
والنظر في الأوقاف والأحباس ، والنظر في المساجد وأمر الصلاة ، وغير ذلك .

وكانت كتابته ما يكتب لتدبير لأرباب الولايات على نوعين :

النوع الأول

(ما كان يكتب به عن الخليفة نفسه)

وكان من شأنهم أنهم يتعرضون في أثناء الولاية لإشارة الوزير بتولية المولى وشأنه
عليه ، وربما أهملوا ذلك . وكانوا يسمعون جميع ما يكتب من ديوان الإنشاء
ببيلات ، وربما سموه عهدودا ؛ وطيه يدل ما كتبه العاضد آخر خلفائهم في طرة
ببيل السلطان صلاح الدين بالوزارة : « هذا عهد لأعهد لوزير بمثله » على ما تقدم
ذكره في الكلام على عهد الملوك .

ولم فيها أربعة مذاهب :

(١) لعله « ومن وظائف أرباب الأعلام قضاء » الخ فنه .

المذهب الأول

(أن يفتتح ما يكتب في الولاية بالتصدير)

وهو « من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، إلى فلان ابن فلان » بالألقاب المنصوب بها من ديوان الخلافة ، ويدعى له بدعوتين أو ثلاث ؛ ثم يقال : « سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جدّه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه وأبن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب » ويؤتى من وصف الخليفة ومدحه بما يناسب المقام .
ثم هو بعد ذلك على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يقال بعد التصدير المقدم « أما بعد فالحمد لله »)

ويؤتى من التحميد بما يناسب تلك الولاية ، ثم يؤتى بتحميدة ثانية وثالثة ، وتكون الثالثة متعلقة بالنعم الشاملة لأمر المؤمنين ؛ ثم يقال : « وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من كذا وكذا » ويذكر ما سنع من أوصاف الخليفة ، ويذكر أنه تصفح الناس وسبرهم فلم يجد من يصلح لتلك الولاية إلا هو ؛ ويذكر من صفته ما أفتق ذكره ، ثم يذكر تفويض الولاية إليه ، ويوصيه بما يناسب ، ويختم بالدعاء ثم بالسلام مع التفنن في العبارة ، واختلاف المعاني والألفاظ ، والتقديم والتأخير بحسب ما تقتضيه حال المُنشئ ، وتودى إليه قريحته .

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(مِجَلَّاتُ أَرْبَابِ السِّبْوَفِ)^(١)

وعلى ذلك كَتَبُ سِجَلَّاتٍ وَزَرَائِهِمْ أَصْحَابِ السِّبْوَفِ الْقَائِمِينَ مَقَامَ السُّلَاطِينِ
الآنَ ، من لَدُنْ وَزَارَةِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ بَدْرِ الْجَمَالِيّ وَزِيرِ الْمُسْتَنْصِرِ : خَامِسَ خَلْفَائِهِمْ
وإِلَى اقْتِرَاضِ دَوْلَتِهِمْ . وقد تقدّم منها ذكر عَهْدِي الْمَنْصُورِ : أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ
أَبْنِ شَادِي ، ثم أَبْنِ أَخِيهِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بِالْوِزَارَةِ عَنْ
الْعَاضِدِ فِي جُمْلَةِ عُهُودِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ ، حَيْثُ أَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى عَدَمِهَا
من جُمْلَةِ عُهُودِ الْمُلُوكِ .

وَمِنْ أَحْسَنِهَا وَصْفًا ، وَأَبْهَجَهَا لَفْظًا ، وَأَدَقَّهَا مَعْنَى ، مَا كَتَبَ بِهِ الْمَوْفَّقُ بْنُ الْخَلَّالِ
صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْعَاضِدِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ ، بِالْوِزَارَةِ لِشَاوَرِ السَّعْدِيِّ ، بَعْدَ أَنْ
غَلِبَهُ ضَرْفَامٌ عَلَيْهَا ثُمَّ كَانَتْ لَهُ الْكَرَّةُ عَلَيْهِ . وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَاضِدِ لَدَيْنَ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى السَّيِّدِ
الْأَجَلِّ ، سُلْطَانِ الْجِيُوشِ ، نَاصِرِ الْإِسْلَامِ ، سَيِّفِ الْإِمَامِ ، شَرَفِ الْأَنْامِ ، عُمْدَةِ
الدِّينِ ، أَبِي فُلَانٍ فُلَانٍ .

سَلَامٌ عَلَيْكَ : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يُصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ
الْأَتْمَةِ الْمَهْدِيِّينَ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَانِحِ الرِّغَائِبِ ، وَمُنِيلِهَا ، وَكَاشِفِ الْمَصَاصِبِ ، وَمُزِيلِهَا ،
وَمُذِلِّ كُلِّ عُصْبَةٍ كَلَفَتْ بِالْفَتْرِ وَالشَّقَاقِ وَمُذِيلِهَا . نَاصِرٍ مِنْ بَنِي طَيْبِهِ ، وَحَاكِسٍ

(١) لم يترجم فيما يأتي للضرب الثاني وهو مِجَلَّاتُ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ وإن كانت قد ذكرها ضمن المراتب
الثلاث الآتية فتنبه .

كَيْدِ الْكَائِدِ إِذَا فَوْقَ سَهْمِهِ إِلَيْهِ ؛ وَرَادَّ الْحَقُّوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَمَرْتَجِعَ الْمَرَاتِبِ إِلَى مَنْ هُوَ أَجْدَرُ بِرُقِيَّتِهَا وَأَوَّلَى بِهَا ؛ وَمُسْنَى الْخَيْرِ بِتَسْيِيرِ أَسْبَابِهِ ، وَمَسْهَلِ الرُّتَبِ بِتَهْيِيدِ طَرَفِهِ وَفَتْحِ أَبْوَابِهِ ، وَمُدْنَى نَائِيِ الْخَطِّ بِعَدِّ نُفُورِهِ وَاعْتِرَابِهِ ؛ وَمُطْلِعِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْمَغِيبِ ، وَمُتْدَارِكِ الْخَطْبِ إِذَا أَعْضَلَ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ ؛ مُبْدِعِ مَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمُسَبِّبِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ ؛ مُحْسِنِ التَّسْدِيرِ ، وَمَسْهَلِ التَّعْسِيرِ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَصَّ أَوْلِيَآءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارَ بِالْإِسْتِعْلَاءِ وَالظُّهُورِ ، وَذَلَّلَ لَهُمْ جَوَارِحَ الْخُطُوبِ وَمَصَاحِبَ الْأُمُورِ ؛ وَأَتَاهُمْ مِنَ التَّأْيِيدِ كُلِّ يَدِيعٍ مُسْتَقَرَّبٍ ، وَأَنَاهُمْ مِنْ كُلِّ غَرِيبٍ إِذَا أُورِدَ قَصَصُهُ أَطْرَبَ ؛ وَكَفَّنَهُمْ مِنْ نَوَاصِي الْأَعْدَاءِ ، وَتَمَلَّهْمُ بَعْنَائِهِ فِي الْإِعَادَةِ وَالْإِبْدَاءِ ؛ وَصَيَّنَ لَهُمْ أَحْمَدَ الْعَوَاقِبِ ، وَأَرْشَنَهُمْ إِلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي تَبَيَّنَتْ لَهُمْ فِي صَحَائِفِ الْأَيَّامِ أَفْضَلَ الْمَنَاقِبِ ؛ وَهَدَاهُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَارَاقِ زُلَّالَتِهِ ، وَتَمَّ غَايَةَ التَّمَامِ كَمَا أَنَّهُ كَانَ لِرِضَا اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ مَالُهُ ؛ وَتَمَيَّنَتْ لَهُمْ فِي الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَتِهِ بِالتَّأْيِيدِ وَالتَّحْكِينِ ، وَتُحِيطُهُمْ مِنْ أَنْوَارِ الْيَقِينِ ، بِمَا يَحْتَلُونَ عَنْ أَفْتَدِيَّتِهِمْ دُجَى الشُّكِّ الْبَهِيمِ ؛ وَيُظْهِرُ لَأَفْهَامِهِمْ خِصَائِصَ الْإِمَامَةِ فِي حُلُلِ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَيُرِيهِمْ أَنَّ خُلُوصَ الطَّاعَةِ مَتَجَاةٌ فِي الْمَعَادِ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَمَرَّ مِنْ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ الْأَيُّمَةِ الْهَادِيْنَ ، وَأَقْلَاهُمْ أَهْلَامًا مُرْشِدَةً فِي حَجَّةِ الدِّينِ ؛ وَبَيَّنَّ بِتَبْصِيرِهِمُ الْحَقَائِقَ وَوَرِّثَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَرَفَ مَقَامَتِهِمْ ،

(١) مراده الصب . والرتب بالتحريك من معانيه الشدة والغلظة يقال ما في هذا الأمر رتب ولا عتب أى عتاء وشدة .

(٢) لم يتقدم ما يعلف طيه وهو من متعلقات أمير المؤمنين كما لا يخفى .

وجعله مُحَرِّزَ غَايَتِهِمْ ، وَجَامِعَ مُعْجَزَاتِهِمْ وَأَيَاتِهِمْ ؛ وَفَضِيْ لِمَنْ أَكْتَحَفَ بِظُلِّ فِتْنَانِهِ ،
وَاشْتَمَلَ بِسَائِجِ نَعَمِهِ وَأَلَانِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ وَأَعْتَصَمَ بِوَلَايَتِهِ بِالْمُلُودِ فِي النِّعَمِ
الْمُقِيمِ ، وَالْحُلُولِ فِي مَقَامِ رِضْوَانِ كَرِيمٍ : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ 》 .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ لِلبَشَرِ إِمَامًا ، وَأَمَضَّتْ لَهُ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ أَوَامِرَ وَأَحْكَامًا ؛ وَجَرَّدَتْ مِنْ عَزَمِهِ فِي حِبَاطَةِ دِينِ اللَّهِ عَضْبًا مُرْهَفًا
حُسَامًا ، وَاسْتَخْلَصَ لِإِنْجَادِ دَوْلَتِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهَا أَكْلَهُمْ شِبَاعَةً وَإِقْدَامًا ؛ وَأَحْسَنَهُمْ
فِي تَدْوِيرِ أُمُورِهَا قَانُونًا وَنِظَامًا ؛ وَأَتَمَّهُمْ لِمَصَالِحِ أَجْنَادِهَا وَرِعَايَاهَا تَفَقُّدًا وَأَهْتِمَامًا ،
وَأَوَّلَاهُمْ بِأَنْ لَا يُوجَّهَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي حَقٍّ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ مَلَامًا ، وَأَجْدَرَهُمْ بِأَنْ يُحَلَّ
مِنْ جَمِيلِ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دَارَ سَلَامٍ يَلْقَى فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَى
عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الَّذِي أَعْلَنَ بِالتَّوْحِيدِ وَجْهَهُ ، وَظَلَبَ بِالتَّائِيدِ وَقَهَرَهُ ، وَأَظْهَرَ
الْمُعْجِزَ الْبَدِيعَ ، وَأَسْتَطَالَ إِعْجَازَهُ وَبَهَرَ ، وَأَطْلَعَ نُورَ الْإِسْلَامِ وَأَشْتَهَرَ فِي الْمَشَارِقِ
وَالْمَغَارِبِ إِشْرَاقَهُ وَظَهَرَ ؛ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنَيْ عَمِّهِ أَبِينَا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيْفِ اللَّهِ
الَّذِي شَهَرَهُ عَلَى الْكُفْرِ وَسَلَّهَ ، وَكَفَّلَهُ إِعْزَازَ الدِّينِ فَأَعْظَمَهُ بِجِهَادِهِ وَأَجَلَّهُ ؛ وَقَرَعَ
بِعِزِّهِ صِفَاةَ الْإِنْحَادِ فَأَعَانَهُ (٩) بِعِزِّهِ وَأَذَلَّهُ ، وَقَصَّدَ الْأَصْنَافَ وَأَرْغَمَ مِنْ أَسْتَنْوَاهِ
الشَّيْطَانِ بِاتِّبَاعِهَا وَأَصْلَهَ ؛ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ تَرْثِيئِهِمَا أَعْلَامِ الدِّينِ ، وَهُدَاةِ الْمُتَّقِينَ ؛
وَمَوْصَحَى سَبِيلِ الْحَقِّ لِأَهْلِ الْيَقِينِ ؛ وَمَوْصَلَى الْأَنْوَارِ الدِّينِيَّةِ إِلَى بَصَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
صَلَاةً تَتَكَرَّرُ وَتَتَرَدَّدُ ، وَتَكُونُ مَدَى الْأَيَّامِ وَتُجْتَدَدُ .

وإن أمير المؤمنين لما أختصه الله به من المنصب الشريف ، وسمّا به إليه من
الحلّ الشاخص المنيف ؛ وفوضه إليه من تدبير خلقه ، وأفرده به من اتباع أمره والقيام

بحقّه ؛ وناطه به من المحاماة عن المِلَّة الحنيفيّة ، والاجتهاد في أن يشمَل أهلها بالحالّة
السنيّة والعيشة الهنيئة ؛ وإعانتة في إظهار شعاعها ، وتأيدته في إظهار علوّها على
المُلْك وأقنندارها - يَبْذُلُ جُهدَه في الاستعانة بمن تقوم به حجّته عند الله بالاعتدال عليه ،
ويتوقّى لنفسه في اختيار من يقوم برضا الله في إسناد الأمور إليه ؛ ويحرص على
التفويض لمن يَكْفِي في التدبير ، ويحيط غايته بنظره بالصغير من رجال الدولة والكبير ؛
تقربا إلى الله بالعمل فيما ولّاه بما يَرْضِيه ، وأزديلا فاتباع أمره في كل ما ينفذه
ويُضِيه . وقد كان أمير المؤمنين تصفّح أولياء دولته ، وعظّمه مملكته ، وأكابر شيعته
وأنصار دعوته ؛ فوجدك أيّها السيد الأجل أكلهم فضلا ، وأقلهم مثلا ؛ وأنعمهم
في التدبير والسياسة إنصافا وعدلا ، وأحقهم بأن تكون لكلّ رياسة وسيادة أهلا ؛
ففوّض إليك في أمور وزّارته ، وعوّل عليك في تدبير مملكته وجمع لك النظر فيما
وراء سرر خلايقه ؛ فحرّت الأمور بمقاصدك السعيدة على إنبات أمير المؤمنين
وإرادته ، واستمرّ أمرُ المملكة بمباشرتك على أحسن قانونه وعادته ، وشملت الميامن
والشعود أتمّ أشجال على تفصيله وجملته ؛ وأنحست الأدواء ، وذلتّ بسطوتك
الأعداء ، وزالت في أيّامك المظالم والاعتداء ؛ وحسنت بأفلاك الأمور ، وظهرت
الصلاح وكان قبل وزّارتك قليل الظهور ؛ فانبسطت الآمال ، وأنسقت الأعمال ؛
وأفيع الضلال ، وأمنت الأموال ؛ وخلصت من الرأى السقيم ، وحظيت بالملك
القيم ، وفدا جنتها ورعاياها ببركة رأيك في النعم المقيم .

فلما رمقت من الكلال ، وأهبط قلوب حسدك مأوتيت من تمام الخلال ،
تكاثر من يحوك المكائد ، وتظافروا عليك المنافس والمعاد ؛ ورنّت إليك إساءة من
عاملته بالإحسان ، وعدت عليك خيانه من أتمتته أتمّ أتمّان ؛ وتمّ له المراد بوقائك

وَضَرَهُ ، وَسَلَامَةَ صَدْرِكَ وَمَكْرَهُ ، وَأَتَمَّاقِ ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ وَمُبَايَنَةِ سِرِّهِ لَجْهَرِهِ ؛
فَكَانَ مَا هُوَ فِي نَفْسِهِ سَلَامَةً النَّفْسِ وَأَكْبَرَ الْوَلَدِ ، وَمَتَّحَ فِي إِسْدَادِهِ نِعْمًا لَا تَتَحَصَّرُ
بَعْدَهُ ؛ وَأَقْطَعَ مَا كَانَ فِيهِ مَا أُصِيبَ بِهِ وَلَكِنَّ الْأَكْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أُصِيبَ
وَهُوَ مَظْلُومٌ ، وَلَوْ لَمْ يُصَبِّ لَمْ يَتَنَسَّجْ مِنَ الْأَجَلِ الْمُحْتَمُومِ ؛ فَرِيحَتْ بِمَا نَالَكَ ثَوَابًا ،
وَأَسْتَفْتَحَ لَكَ الْحِظَّ مِنَ النَّصْرِ عَلَى الْبَاغِيِّ أَبَا ؛ وَأَغْتَصَبَ الْغَادِرُ مَا لَا يَسْتَحِقُّ ،
وَرَأَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِصُورَةِ الْمُبْطِلِ وَرَأَى بِصُورَةِ الْحَقِّ ؛ وَهَدَّتْكَ السَّعَادَةُ إِلَى الْعَمَلِ
بِسِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، فِي الْأَحْيَازِ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالتَّبَاعِدِ عَنْ أَهْلِ النَّفْيِ وَالْإِعْتِدَاءِ ؛ فَانْسَلَتْ
مِنَ الْغَوَاةِ أَنْسِلَالُ الصَّارِمِ مِنْ غَمَمِهِ ، وَتَوَارَيْتَ مِنَ الْعَتَاةِ تَوَارَى النَّارُ فِي زَنْدِهِ ؛
وَقَطَعْتَ الْمَقَازِ مَصَابِحًا لِلْعَفْرِ وَالْعَيْنِ ، حَتَّى حَلَّتْ بِرَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ؛
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُمِيزُكَ فِي ذَلِكَ بَدْءَاتِهِ ، وَيُعِزُّكَ لِنَذِيرِ دَوْلَتِهِ وَقَعَ أَعْدَائُهُ ؛ وَرَأَى
وَإِنْ أَبْعَدَتْكَ الضَّرُورَاتُ عَنْ بَابِهِ ، وَأَثَانَتْكَ الْحَادِثَاتُ عَنْ جَنَابِهِ ، أَنْكَ وَزِيرُهُ
الْمَكِينُ ، وَخَالِصَتُهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ؛ الَّذِي لَا يَتَرَعَّ عَنْهُ شَمْسٌ وَزَارَتْهُ ، وَلَا يُؤْثِرُ لَهُ
غَيْرَ سُلْطَانِهِ وَمَمْلَكَتِهِ .

وَلَمَّا وَجَّهَتْ إِلَى أَعْمَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِ اسْتَصْحَبَتْهُ رَاجِعًا مِنْ مَدُنِكَ الْإِسْتِصَارِ ،
فَاصْدَا إِدْرَاكَ النَّارِ ؛ وَحَلَّتْ بِقُوَّتِهِ ، وَخِيَمَتْ فِي جِهَتِهِ ؛ فَاتَّصَلَتْ بَيْنَكُمْ الْحُرُوبُ ،
وَعَزَّ عَلَى كُلِّ مِنْكَ نَيْلُ الْمَطْلُوبِ - أَنْجِدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ عِلْمِهِ بِلُغِ الْكَلَامِ
أَجَلَهُ ، وَاسْتِيفَاءِ الْوَقْتِ الْمَحْدُودِ مَهَلَهُ ، بِإِظْهَارِ مَيْلِهِ إِلَيْكَ وَمَيْلِهِ عَنْ ضِدِّكَ ، وَأَنَّ
قَضْدَهُ مُبَازٍ لِقَضْدِ الْمَذْكُورِ مُوَافِقٌ لِقَضْدِكَ ؛ فَسَبَّبَ ذَا نَصْرِكَ وَخِذْلَانَهُ ،
وَتَقْوِيَتَكَ وَإِيهَانَهُ ؛ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِهِ عَنَاءٌ تُسْعِدُكَ ، وَرِعَايَةٌ تُؤَيِّدُكَ .

فحين عُدت إلى بابه عودَ الشَّموس إلى مشارقها قبلك أحسنَ قبول، وتلقاك
بتبليغ السُّؤل؛ وكشفَ الغطاء عما كان يُسرُّه إليك ويُضمره، ويُرِيده بك ويُؤثره؛
وجدد لك ما كنت تشظر فيه من الوزاره، ومباشرة ما كان مردودا إليك من السفارة
والظَّهارة؛ لأنك أوحى ملوك العصر كالا، وأوسعهم في حسن التدبير جمالا؛ وأشرقهم
شيئا بديعة وخلا، وأصلحهم آثارا وأعمالا؛ وأتمهم سعادة وإقبالا؛ وأكثرهم
نصيحة لله تعالى؛ وما زلت للفانرجامعا، ولراية المجد رافعا؛ ولذرى اللآلئ والسَّناء
فاريما؛ تردأت العصور بعصرك، وتجمل الدنيا ببقاء نبيك وأمرك؛ وتتعجب
الأفلاك العلية من سعة صدرك، وتتضائل الأقدار السامية لعظيم قدرك؛ وكل لك
من منقبة تجل أن يكيفها بديع الأقوال، وتعظم أن يمتدَّاها بديع الأقوال؛^(١) فالدولة
العُلوية بتدبيرك ختالة زاهية، وأركان أصدائها وأضدادها بحزمك وعزمك وإهية،
وسعادات من تضمه وتشمّل عليه متضاعفة غير منقطعة ولا متناهية؛ ولم تزل
للإسلام سيفا قاطعا ماضيا، وعلى الإلحاد سيفًا مرهقا قاضيا؛ تدوّد الشرك عن
التوحيد، وتصدّ الكفر عن الإيمان فيجيد مرغمًا ويبيد . وكل لك في خدمة أئمة
الهدى من مائة تؤثر فتبهج، ويورد ذكرها فيغري بالثناء عليك ويُلهمج؛ وتبذل
في طاعتهم النفس والولد، وتنتهى في مناصحتهم إلى الأمد الذى ليس بعده أمد؛
فلذلك فُزت بدعواتهم التى أعقبتك حسن العواقب، وأحلتك المحل الذى لا تشمو
إلى رقيه النجوم الثواقب؛ فإذا رفعك أمير المؤمنين إلى منزلة سامية، وجد محلك
لديه عنها يجل ويسمو، وإذا خصك بفضيلة ما، صادف استحقاقك عنها يرتفع
ويعلو؛ وإذا استشف خصائصك، وجدها بديعة الكمال، يمتنع أن يدرك مثلها

(١) الأقوال جمع قول (وامسله من ذوات الوار) ومم ملوك حبر ويجمع أيضا على أفعال على

بِحِرْصٍ سَاجٍ أَوْ يَنَالُ ؛ وَقَدْ تَوَافَقَتِ الْخَوَاطِرُ عَلَى أَنَّكَ أَوْحَدُ وَزَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ
ظَفَرًا وَنَفَرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي طَاعَتِهَا وَمَخَالَصَتِهَا أَتْرَا ، وَأَفْضَلُهُمْ خُبْرًا وَأَطْيَبُهُمْ خَبْرًا ؛
وَقَدْ جَدَدَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْطَفَاءُكَ لُوزَارَتَهُ ، وَأَجْتَبَاءُكَ لِنُدِيرِ مَمْلَكَتِهِ ، وَجَعَلَكَ
الْفَرْدَ الْمَشَارِكُ لَكَ فِي دَوْلَتِهِ .

فَتَقَلَّدَ مَقَالِدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْمِهْمَاتِ الْجِسَامِ ، وَتَسَمَّيَ مَا وَطَّئَهُ لَكَ مِنْ
هَذِهِ الرُّتَبِ الْعِظَامِ ؛ وَتَقَى آلَاءَهُ بِمَا يُثَبِّتُكَ فِي جَرَائِدِ الْأَبْرَارِ ، وَيَمْتَحِكُ مَصَاحِبَةَ التَّوْفِيقِ
فِي الْإِبْرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ وَبَاشَرَ مَنَاطِلَ إِلَيْكَ مِنْ كَبِيرِ الْأُمُورِ وَصَغِيرِهَا ، وَجَلِيلِ الْأَحْوَالِ
وَحَقِيرِهَا ؛ وَأَبْسَطَ يَدَكَ فِي تَدِيرِ دَوْلَتِهِ ، وَأَنْفَذَ أَوْامِرَكَ فِي أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ ؛ وَأَعْنَبَ بِمَا
جَعَلَهُ لَكَ مِنْ تَدِيرِ جُيُوشِهِ الْمَيَّامِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَكَفَالَةِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَدَايَةِ
دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَبَّ أَحْوَالِ جُنُودِهِ وَرَعَايَاهُ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَعْمَلَ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
الَّذِي مَابَرِحْتَ لَكَ دَابَّاً وَطَرِيقَهُ ، وَشِمَةً وَخَلِيقَهُ ؛ وَبِهَا النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ ، وَالسَّلَامَةُ
فِي دَارِ الْقَرَارِ ؛ وَالْفَوْزُ بِمَعْنَى الْخَلَّاصِ ، فِي يَوْمِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْقِيَاصِ . فَالْعَارِفُ مِنْ
مَهْدِهَا مَقَامَهُ فِي الْآخِرَةِ تَمْهِيدًا ، وَأَحْزَنَ بِهَا مِنَ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ مَرِيدًا ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ
فِي الْكُتَابِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي الْإِعْجَازِ فَرِيدًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِيمَا أَلْفَاهُ إِلَيْكَ فَقَدْ فَوَّضَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ، وَالرَّفْعِ
وَالْخَفْضِ ؛ وَالْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ ، وَالْقَطْعِ وَالْوَصْلِ ؛ وَالتَّوَلَّى وَالتَّصَرُّفِ وَالصَّرْفِ ،
وَالْإِمْضَاءَ وَالْوَقْفَ ؛ وَالنَّضْ وَالتَّنْيِيزَ ، وَالْإِنْخَالِ وَالتَّنْوِيهِ ؛ وَالْإِعْزَازَ وَالْإِذْلَالَ ،
وَالْإِسَاءَةَ وَالْإِجْمَالَ ؛ وَالْإِبْدَاءَ وَالْإِعَادَةَ ، وَالنَّقْصَ وَالزِّيَادَةَ ؛ وَالْإِنْسَامَ وَالْإِرْغَامَ ،

وكل ما تُحِدُّه تصاريُفُ الأيام ، وتقتضيه مطالبُ الأنام ؛ فهو إليك مُردُّود ، وفيما
خلقُ بنظرِكَ معدود .

وأما العدلُ ومدُّ رِواقه ، وإقامةُ مَوَاسِمِه وأسواقِه ؛ والإنصافُ واتباعُ حُجَّتِه ،
والاعتمادُ على أحكامِه وأقضيَّتِه ؛ وكفُّ عوادي الجور والمظالم ، وحمْلُ الأمرِ على
قصدِ التصاحب والتسالم ؛ وإظهارُ شعارِ الدِّين ، في إنصافِ المتداعين إلى الشرع
المتحاكين ؛ والدعوةُ الهاديةُ وفتحُ أبوابِها للمستجيبين ، وإعزازُ من يتسكك بها من
كافةِ المؤمنين ؛ والأموالُ والنظرُ فيها ، والأعمالُ أقاصيها وأدانيها - فكلُّ ذلك محوَرُّ
في تقليدِ وزارَتِكَ الأول ، وأنت أوَّلُ مَنْ حافظَ على العملِ به وأكمل .

وأما أمراء الدولة الأكابر ، وصُفُورُها الأماثل ؛ وأمرأؤها الأعيان ، وأولياؤها
الذين بسُيُوفِهِم تُقامُ دعائمُ الإيمان - فانت شفيعُهُم في كلِّ مكان ، ومُعينُهُم الذي
يُبذلُ جهدهُ بنِجاةِ الإيمان ؛ والجاهدُ لهم في النفع والصِّلاح ، والحريصُ على دفعِ
ما يُلِمُّ بكلِّ منهم من الضرر والأجتياع ؛ وما زلتَ لهم في الأغراضِ بمحضرةِ أمير المؤمنين
مُساعدا ، وعلى ما يُلَقِّعُهُم الآرابُ حريصاً جاهداً ؛ وتُخصُّمُهُم دائماً بِصانِكَ ، وتُمدِّمُهُم
بِرِعاتِكَ ، وتُعملُ لهم في الحاجاتِ صائبَ رأيك ؛ فأَجِرْهم على ما أَلْفُوهُ من الاعتناء
والإجمال ، وبلِّغْهم من محافظتِكَ نِهاياتِ الآمال ؛ فهم أبناءُ المَلَأَمِ ، ومُصْطَلَوُ هَلَبِ
الجمِراحِ الحِمِ ، ومُصْالحُو الصِّفاحِ ، المُرهِّفَةُ الضُّروبِ ، ومُلاعِبُو الرِّماحِ ، العاسِلَةُ ذاتِ
الْكُحُوبِ ؛ ومُعمِلُو العِناقِ الأعوجِيَّةِ ، ومُرسِلُو السَّهامِ المِريَّةِ .

وأمير المؤمنين يَعلَمُ أَنَّكَ بِفَضْلِ فَطْرَتِكَ ، وثاقِبِ فَطْنَتِكَ ، وما يَمِيزُكَ اللهُ به من
قديمِ حُكْمِكَ ونَجْمَتِكَ ؛ تَقَى عن الوصايا ، وتَزَيَّ عن توسيعِ الشَّرْحِ في القضايا ؛
وإنما أوردَ لك هذا التَّزَمُّرَ منها على جهةِ التَّيَمُّنِ بأوامرِ الأئمة ، والتَّبرُّكِ بِمَراسِمِ هُدَاةِ

الأمه ؛ والله يحقّق لأمر المؤمنين فيك الأمل ، ويوفّقك في خدمته للقول والعمل ؛
ويُعينك على إصلاح دولته ، وأغتنم فرص طاعته ؛ وبذل الجُهد والطاقة
في مناصحته ، والأجتهاد في رفع منار دعوته ؛ ويؤيدك على أعداء مملكتك ، ويرشدك
إلى العمل بما يُسبّخ عليك لباس نعمته ؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورثته ،
وانته إلى موجب حكمة ؛ إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ،
والتحميد .



وعلى ذلك كتب الموفق بن الخلال أيضا عن العاضد بولاية ابن شاور السعدي
نيابة الوزارة عن أبيه ، وتفويض الأمور إليه ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه (باللقاب الخلافة) إلى فلان (بالنعوت اللائقة به) .

سلام عليك (إلى آخر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم
في سجل الوزارة لإبيه) .

أما بعد ، فالحمد لله مؤيد الحقائق بأفضل الأنصار ، ومُعز الممالك بأكمل ذوي
النفاذ والإستبصار ؛ وجاعل الولد البار لوالده رُكنا وسندا ، والعجل المختار لناجيه
تجدة ومدا ؛ مرتب الممالك على أفضل نظامها ، ومرق الدول إلى المؤثر من أجلها
وعظماها ؛ ليتضح للتاملين فضل تأكيد الأواصر ، ويستبين للتأخرين فضل تباين
العناصر ؛ إبرا ما منه - جل وعز - لأسباب الحُكم ، وتوسيعا لسبيل الخُلفان
والرحمة ؛ ونمولا لما يتأج به إحسانه من المنّ الجسيم (فضلا من الله ونعمة
والله عليم حكيم) .

والحمد لله مُعَلِّي الدَّرَجَاتِ وَرَافِعِهَا ، وَمُعِيدِ الْأَمَمِ وَنَافِعِهَا ؛ وَمُرْزِلِ الْبَاسَاءِ وَدَافِعِهَا ،
وَمُجِيبِ الدَّعَوَاتِ وَسَامِعِهَا ، وَمُضَاعِفِ الْمَصَالِحِ وَجَامِعِهَا ؛ الَّذِي وَقَفَ عَلَى الدَّوْلَةِ
الْعَلَوِيَّةِ أَحْسَنَ السَّيْرِ ، وَخَصَّهَا فِيمَنْ تُؤَثِّرُ أَصْطِفَاءُهُ بِمَسَاعِدَةِ الْقَدَرِ ، وَيُسْرِلُهَا رَائِقَ
التَّيْدِيرِ بَعْدَ مَلَاسَةِ الرِّقِّ وَالْكَدَرِ ؛ وَأَذَنَرَهَا مِنْ الْأَصْفِيَاءِ مَنْ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِأَنْوَارِهِ ،
وَتَتَرَنَّى الدُّهُورُ بِحَاسِنِ آثَارِهِ ؛ وَتَسْمُو الْمَفَاخِرُ بِمَفَاحِرِهِ ، وَيَتَوَالَى الثَّنَاءُ عَلَى مَا أَهْنَكَهُ
مِنَ الْمَكَارِمِ فِي أَوَّلِ نَشِئِهِ وَآخِرِهِ ؛ وَيَتَنَاجَى الْإِحْسَادُ لِمَنْ يَخْتَارُهُ وَيَحْتَبِيهِ ، وَتَتَضَاعَلُ
أَقْدَارُ الْمُلُوكِ إِذَا ذُكِرَ فَضْلُهُ وَفَضَّلُ أَبِيهِ ؛ وَتَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَى تِمَامِ وَرَعِهِ وَدِينِهِ ،
وَيَنْطَلِقُ لِسَانُ الْإِجْمَاعِ بِصَبْغَةِ مَعْتَقَدِهِ وَيَقِينِهِ .

والحمد لله الَّذِي تَكْمِلُ الْبِرَايَا فَضْلُهُ ، وَحَمِّ الْخَلَائِقِ عِزُّهُ ؛ وَأَقْوَمِ الْعُقُولِ بَأَنَّ إِلَيْهِ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِعْمَةِ الظَّاهِرِيَّةِ الَّتِي أَحْظَتْ دَوْلَتَهُ الظَّاهِرَةَ ، بِمُؤَاذَرَةِ الْبَيْتِ
الْجَلِيلِ الشَّائِرِي ، وَأَيَّدَتْ مَمْلَكَتَهُ الْقَاهِرَةَ ، بِحِمَامَتِهِ عَنْ حَوَظَتِهَا بِالْعَضْبِ الْمُرْهَفِ
وَالسَّمْهَرِيِّ ؛ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَنِّهِ الَّتِي اسْتَخْلَصَتْ لَهُ مِنْهُ أَنْصَارًا يُرْهِفُونَ فِي طَاعَتِهِ
الْعَزَامَ ، وَيُحَقِّقُونَ فِي إِرَادَتِهِ الْعِظَامَ ، فَيَذُبُّونَ عَنْ حَوَظَتِهِ وَلَا يَخَافُونَ فِي ذَاتِ اللَّهِ
لَوْمَةً لَائِمَ ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى جَدِّهِ الدَّاعِي إِلَى الْهُدَى ، وَالْمَبْعُوثِ إِلَى الْخَلَائِقِ
وَهُمْ إِذْ ذَاكَ سُدَى ؛ وَالْمُتَنَاضِلِ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ بِالْأُشْرَةِ وَالْأَكَلِ ، وَالْمُطَّرِحِ
عَاجِلِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ لِأَجْلِ الْمَالِ ؛ وَعَلَى أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي
أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ مَنَكَرَ الْأَوْدِ ، وَقَامَ لِنَبِيِّ اللَّهِ مَقَامَ النَّجْلِ الْمُرْتَضَى وَالْوَلَدِ ؛ وَقَطَعَ مِنْ
طَوَائِفِ الْكُفْرِ شَاخِجَ الْهَامِ ، وَأَوْضَحَ ظَامِضَ التَّغْزِيلِ بِمَا أَوْفَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَزَايَا

الإمام؛ وعلى الأئمة من ذريتهما أبناء الرسالة والإمامه، والمختصين بإرث بيته المحبوب بتظليل النعماء؛ والقائمين بنصرة الدين، والمتفردين بإمرة المؤمنين .

وإن أمير المؤمنين لما أقامه الله له من تمكين قواعد الدين، واختاره لإيضاحه من إرشاد فرق المسلمين؛ وأفضى به إليه من سر الإمامة المكتون، وألقاه إليه من خفايا الإمام الذي تستبطن من أنوارها علوة ما كان ويكون؛ وأمدّه [به] من التأييد الذي يستأصل طواغيت النفاق بقوارع المهالك، ويسلك بمرءة أهل العناد أوعر السبل والمسالك؛ وأنجده في كل الحالات بالألطف الخفية التي تتكفل بإعلاء كلمته، وتتضمن نصر أعلامه وتذرع دعوته؛ وآتاه جوامع المعارف والحكم، وفرض طاعته على من دان بالتوحيد من جميع الأمم؛ وأزعم مقاصده وأمناءه التوفيق، وأوجب لها السعادة في كل جليل وديق - يفوض أمره إلى الخالق، ويقيض جوده ورّه في الخلائق؛ فلا يزال لأحوال دولته مراقبا، ولا يتفكك فيبدل كل ما يتعلق بها نظرا ثاقبا؛ فإذا لاحث له لائحة صلاح، أو بدت لنظرة خيلة لتجأح، اجتهد في توسيع مجالها، وحرص على حثها وقصد إعجازها؛ وآتمس للدولة اجتلابها، وفتح إلى استبداء النفع بابها؛ لينمي الخير العميم، في دولته، ويتضاعف النفع الجسمي، لرعيته، وتكون كافة الخلق فيها بالأمنة والسكون مغمورين، وبخسب صليح الله بهم قرحين مغرورين .

ولما تصفح أمير المؤمنين أحوال دولته، وتأملها تأمل من يؤثر أن يفقه النقص في كل مهم على حقيقته، رأى أن الله جل وعلا قد منح أمير المؤمنين من خالصته وصفيته، ووزيره وكافيه ووليّه؛ السيد الأجل (بالنعوت والدعاء) الذي قام بنصرته، وكفل أحوال الحروب بنفسه وأولاده وأسرته؛ وحالف التقرب والأسفار،

واستبدل من لين العيش بملقاة السهام والتهائم والشقاق؛ واتخذ ظهور الجياد عوضاً من الحشايا، ومنازلة الأبطال دأباً في الحنادس والبكر والعشايا؛ وآثر على لبس النض الموق الحديد، لباس اليب ولأمان الحديد؛ ولازم في ذات الله قرع أبواب الخوف، والتهيم على كل مخشى خوف؛ حتى ذلل الأعداء، وقمع الاعتداء، وحسم الأعداء، وأزم الدهر بعد خطئه الاستهواء؛ وأفاد دولة أمير المؤمنين باجتهاده عزاً، وأدخر لها عند الله من الأجر والثوبة كنزاً؛ وسير عنها في الآفاق أحسن الأحاديث، وبين فضلها على غيرها في القديم من الدهر والحديث؛ وأخلص لأمر المؤمنين في الطاعة حتى استختم الموالى الموافق، والمباين المتناق؛ وكل فضائله التي لا تحصى، ومحاسنه التي لا تحصى ولا تعد؛ بقضية نفوت الفضائل، ومنقبة تفوق بفخرها المناقب الجلائل : ومى ما وجهه الله [له] من بقوة الأجل فلان الذي لم يزل للدولة عزاً حاضراً، وولياً ناصراً، وعوناً قاهراً، ومجداً ظاهراً؛ وبجلاً باهراً . ومبارح لله - جل وعلا - مراقب، وليرضاه وغفرانه طالباً؛ قد جمع إلى كمال الدين وصحة اليقين، المخالصة في طاعة أمير المؤمنين؛ لا يفتر منذ مدة الطفولية [عن] درس القرآن، ولا يبارى بغير الأمور الدينية ثجباء الأقران؛ إن تصفحت محاسنه النبوية عد ملكاً مهذباً، وإن تأملت مناقبه الدينية حسب ملكاً مقرباً؛ وكله من منقبة تستقص الثبوت، وشجاعة تستعين الثبوت؛ ومهابة ترد أحاديثها الجيوش على الأعقاب، وتغريها بموالة الحذر والارتقاب؛ إذا أسهبت الخطوب أوجز تدبيره، وإذا استطالت الحوادث قصر طولها فأعجب تهريره؛ فالدولة العلوية من ذبه في الحرم الآمن، وانحلافة العاضدية من ملاحظاته في تدبير يجمع أشتات الميكن؛ فأجتاع المآثر قد وحده، بشهادة الإجماع، وتوالت المحامد قد أفردته، بما شاع منه في الممالك وذاع؛ فحاسد عليه غر الأخلاق، وثنافس فيه المكارم منافسة

نواب الإشراف؛ فلا تُوجد حَلَّةٌ فضيلٍ بارعٍ إلا وقد جَمَعها، ولا مَكِنَّةٌ جَبَر قارعٍ إلا وهو الذى مَهَّدَ مَحَجَّتْها ووَسَّعها؛ ومَقاماتُه فى الجهاد والجلاد مقاماتٌ أَوْضَحَتْ الحقائق للأفهام، وثَبَّتِ الدقائق تَثْبِيْتا يَبْقَى على غاير الأيام؛ وأَعَزَّتِ دَعْوَةَ الدولة العَلَوِيَّةَ وأَيَّدَتْها، ونَصَرَتْ أَعلامَها ونَشَرَتْها؛ وأَكْتَنَفَتْ بالفضيل والإحسان رِجالَها، وأزالت بالحدِّ والتشمير أَوْجالَها، ومَحَّتْ آثارَ عُدائِها بالسُيوف، وأَهْلَتهُم من النكابات المُجَحِّفة بوزع المنايا والحُتُوف.

والحُرُوبُ قَرِيباهُ فى مُهُودِها، ومُنْشاها بَيْنَ أُسُودِها، ورُطائِها وَقَفَّ على إضرامِها وإِخمادِ وَقُودِها؛ فإذا تَوَرَّدَها تَوَرَّدَها بِاسْمِها مَتَهَلَّلًا، وإذا أَقْتَحَمَ مَضابِقَها تَصَرَّفَ فيها مَتَوَقِّفًا مَتَهَلَّلًا؛ لا يَحْصِلُ بِأَهْوالِها، ولا يُرى لِقارِعةٍ من عِظائِمِ قَواريِعِها وإِلْها؛ وحَسْبُكَ فَتَكَاتُها فى طُغاةِ الكُفَّار، وقَضْدُ أولِياءِ الدولة بالإظهار: فَإِنَّ الكُفَّارَ حينَ نَهَدُوا لِلنِّفاق، وأَجْتَلَبُوا أَشْبابَهُم من بَعِيدِ الآفاق، وَتَهَجَّجُوا على الأَعْمالِ بِغائِمِ بَعْزَمَةٍ من عَزَماتِهِ أَقامَتْ رايَةَ الدين، وجعلَتْهم حَصِيدًا خامِدِينَ؛ وأَفْنَتْ مِنْهُم الصِّنادِيدَ، وأَصْطَلَمَتْهم بِلَيلًا تَرِيدُ على التَّعْديد؛ وأَجَحَفَتْهم بِالْقَتْلِ والأَمْرِ والتَفْرِيقِ، ورَمَتْهم بِبَواهِى لا يَصِيدُ بِتَرِيٍّ على دِفَاعِها ولا يُطِيقُ؛ وَلَمَّا أَلْتَجَأَ طاعِنَةُ الكُفْرِ إلى الحِيَرَةِ وَرَكَدَ، ورَأَى الاِجْتِصامَ بِرُوثِها وأَجْتَهَدَ، وأَعْتَرَبَ ما مَعَهُ من الجَمْعِ وَكَثَرَةِ العَدَدِ؛ نَهَدَ لِيَهْ فى الأبطالِ الأَتجاد، ونَهَضَ نَحْوَهُ ثابِتًا لِلِقَرارِ والجلادِ؛ فَازالَهُ عن مَجْتَمَعِهِ، وَدَعَرَهُ دُعْرًا شَرَدَهُ عن مَعْلَمِهِ؛ ورَماهُ بِالْحَرَكَ بَعْدَ السُّكُونِ، والتَّعَبِ الذى قَدَّرَ بِأَعْزَارِهِ أَنَّ مِثْلَهُ لا يَكُونُ؛ وَكَمْ لَهُ فَتَكَةٌ فى أَهْلِ العَمُودِ ذَلَّلَتْ جِراحَهُم، وأَسْتَلَبَتْ أرواحَهُم، وأَعادَتْ لَيْلًا بِالنَّعْجِ صَباحَهُم.

وعند تَمَادِي عَتَاةِ الْكُفَّارِ فِي الْإِصْرَارِ، وَجَوِيهِمْ خِلَالَ الدِّيَارِ، وَفَتْنِهِمْ فِي وُجُوهِ
الْأَذَى وَالْإِضْرَارِ، وَطَمَعِهِمْ فِي أَجْتِيَاكِ أَهْلِ الْأَعْمَالِ وَالْإِقْطَارِ - عَوَّلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي آسِئْتِصَالِهِمْ عَلَى عَزَمِهِ، وَأَعْتَصَدَ بِذَبَّةٍ وَحَسَمِهِ؛ وَجَعَلَ إِلَيْهِ التَّدْيِيرَ بِالْقَاهِرَةِ
الْمَحْرُوسَةِ الَّتِي هِيَ عُمْدَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَدَارُ هِجْرَةِ الْإِمَامِ، وَمَقِيلُ الْخِلَافَةِ مُنْذُ
غَايِرِ الْأَيَّامِ؛ وَأُطْلِقَ يَدَهُ فِي رَبِّ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، وَتَأَمَّنَ مِنْ بَوَائِقِ الْأَوْجَالِ؛ فَبَتَّ
بِالْحَضَرَةِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ مَهَابَتِهِ مَاشَرَتِ الْأَوْغَارِ، وَسَهَّلَ الْأَمْصَارِ، وَحَقَّ الضَّلَالِ،
وَأَذَقَهُمُ النَّكَالَ؛ فَمَمَّ السُّكُونُ وَالْأَمْنَةُ، وَأَسْتَوَلَتْ عَلَى الْأَعْمَالِ السِّيَاسَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ؛
بِفَادَتِ بَنْصَرَةِ الْأَيَّامِ وَصَلَاكِ الْوُجُودِ، وَاعْتَبَطُوا مِنْ تَذْيِيرِهِ بَصُغُودِ الْجُدُودِ، وَرَتَعُوا
مِنْ عَنَائِيهِ فِي عَيْشِ يُضَاهِي عَيْشَ جَنَّاتِ الْخُلُودِ؛ فَالْبَلَاغَاتِ بِأَسْرَارِهَا لَا تُقُومُ بِمَنْحِ
مَا أَوْقَى مِنَ الْفَضَائِلِ، وَلَا يُوَازِي مَجْمُوعَهَا مَتَقَبَّةٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي أَرَبَى بِهَا عَلَى الْمُلُوكِ
الْأَوَاخِرِ وَالْأَوَائِلِ؛ وَانْخَصَّاصُ الْمُلُوكِيَّةِ يُجَلِّتُ فِيهِ جِلَّةُ وَفَطْرُهُ، وَإِذَا قِيَسَتْ نَادِرَةُ
مِنْ نَوَادِرِ فَضْلِهِ بِمَا تَفَرَّقَ فِي جَمِيعِ الْمُلُوكِ كَانَتْ فَضَائِلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَحْرِ وَمَجْمُوعُ فَضَائِلِ
الْمُلُوكِ بِمَنْزِلَةِ الْقَطْرِ؛ وَقَدْ طَرَزَ فَضَائِلُهُ الْبَدِيعَ، وَخِلَالَهُ السَّامِيَةُ الرَّفِيعَ، مِنْ مُوَالَاةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاصِحِ دَوْلَتِهِ بِمَا تَكْفُلُ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنَهَايَاتِ مَنَافِعِ
النُّوَابِ الشَّرِيفَةِ الْفَائِخَةِ؛ فَلَيْلُهُ وَنَهَارُهُ مَضْرُوفَانِ إِلَى الْمَجَاهِدَةِ عَنْ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
الَّتِي هِيَ دَوْلَةُ التَّوْحِيدِ، وَالْمُخْلِصُ فِيهَا مُعْرَضٌ لِكُلِّ مَقَامٍ سَعِيدٍ؛ فَحَاسِنُهُ تَرْتَبِعُ عَنْ
قَدْرِ التَّقْرِيطِ وَالْمَدِيحِ، وَلَا تُقَابِلُ إِلَّا بِمُوَالَاةِ التَّسْبِيحِ .

وَلَمَّا أَحْمَدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَتَوْهُمَا فِي خِدْمَتِهِ، وَشَكَرَ قَصْدَهُمَا فِي دَوْلَتِهِ؛ وَكَانَ السَّيِّدُ
الْأَجَلُّ قَدْ بَلَغَ إِرْبَهُ فِي الْخِلَالِ، وَحَلَّ الْمَحَلَّ الَّذِي لَا تَتَعَاطَاهُ جَوَائِحُ الْأَمَالِ؛ وَقَدَّرَهُ
يُسْرَفُ عَنْ كُلِّ تَكْرِيمٍ، وَمَوْضِعُهُ يَتَمَيَّزُ عَنْ كُلِّ مَنْ جَسِيمٍ، وَمَنْزِلَتُهُ تَسْمُوعُ عَنْ كُلِّ
تَعْظِيمٍ - فَأَوْصَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَ الْأَجَلُّ أَنْ يُقَرَّرَ لَهُ جَمِيعُ خِدْمَتِهِ، وَيُسَبِّحَ عَلَيْهِ

في المستأنف أضفى نعمة : فإن محله يرتفع عن محلّ الخدم الجليله ، ويسمو عن كل تصرف يسمه في الدولة بسمه جميله ؛ ورأى أمير المؤمنين والسيد الأجل أن يعلن بإسناد النيابة عن والده في أمور المملكة إليه ، ويُشهر أن ذلك معول فيه عليه : ليخفف عن السيد الأجل أمير الجيوش أحرّ ألقاها ، ويخفف عنه تكليفه بعض أحوالها ؛ ترفيهاً للسيد الأجل عن التعب ، وتخفيفاً من كثرة النصب ؛ على أن عُلُو قدره الأجل لم يُخله في وقت من الأوقات من مشاركة في التدبير ، ولا صدّه عن مجازفة في مهم كبير ؛ بل ما برحت يده في جميع أحوال الدولة جائله ، وجلالة منصبه تقضى بأن تكون تصرفاته لجميع الأمور شامله ؛ وتوقعاته ماضية في الأموال والرجال ، والجهات والأعمال ؛ وأمير المؤمنين والسيد الأجل يستسعدان بأدائهما ، ويتبهمان في كل السياسات ما هو موافق لإراداته : لما خصّه الله [به] من المرامي الصائبة ، وللغايات التي السعادة على ما يرد منها مواظبه ، وجبّه عليه من المحافظة على حسن المزيج وحيد العاقبة - نخرج أمر أمير المؤمنين إلى السيد الأجل بالإيعاز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك : فتقلّد ما قلّده من النيابة عن والدك فيما إليه من أمور مملكته ، وأحوال دولته ؛ معتمداً على تقوى الله التي بها نجاه أهل البقين ، وفوز سعداء المتقين ؛ لقول الله عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ . وأحيل عن السيد الأجل والدك ما يؤثر أن تعمله عنه من الأفعال ، وتكفل ما يكفلك إياه من الأشغال ؛ وتقد ما يختار أن تُفدّه ، وأنجز ما يؤثر أن تُجيزه ؛ وأمض ما يُسير إليك بامضائه من أساليب التوقيعات ، وفنون المِهَنات ؛ وقم في كل من أمور نيابتك المقام الذي يُرضيه ، ويوجبه رُك ويقتضيه ؛

وقد جعلك الله ميمون القيسه ، مسعود الضريبه ؛ مكلل الآدوات ، موهلا لترقى
الغايات ؛ لا تكبر عن مباشرتك كبيره ، ولا تسف^(١) عن ربتك ربة خطيره ؛ وأجر
على عادة والدك فى حسن السياسة والتدير ، والإجمال للأولياء لكما فى كل صغير
من الأمور وكبير .

والوصايا متسعة الفنون ، كثيرة الشجون ؛ ولك من مزية الكمال ، وفضيلة
الجلال ، ومساعدة الإقبال ، والخبرة بالجهات والأعمال ، وطوائف الأولياء والرجال ؛
مأبئيك على استنباط دقائقها ، والعمل بحقائقها ، وسلوك أحسن طرائقها .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، وحجته عليك ؛ فاعمل بأحكامه ، وأجر أمورك على
نظامه ؛ وبالبحر أيها السيد الأجل أمير الجيوش فى شكر نعمة الله التى ألهمت الملوك
إشاعة فضلك ، ورببت السعود على آكتناف عقيدك وحلك ، ومنحتك آية كلم الله
بفعلت لك وزيراً من أهلك ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته .



وعلى ذلك كتب بعض كتائبهم عن العاضد ، لرؤيك بن الصالح طلائع بن رؤيك ،
بولاية المظالم وتقديمه العسكر فى وزارة أبيه ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الإمام الفلانى (بلقب الخلافة) أمير المؤمنين ،
إلى فلان (بلقبه وكتبته) .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصل على جدته محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ؛ صلى الله عليه
وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

(١) فى القاموس "شف يشف شفا زاد وقص" .

أما بعدُ، فالحمد لله الغامر بالطول والفضل، الأمر بالإحسان والعَدْل، مُوسِع سُبُل الصَّلاح لبريَّته، ومُسَبِّب أسباب النَّجاح لديَّته الخفيف ومُتَّهٍ، وجاعِل أرباب أوليائه ذَخَائِر مُعَدَّة لنفع الخلق، ومُصْطَفِي سَعْدَاءِ أَحِبَّائِهِ لإِعْلَاءِ مَنَارِ الشَّرْع وإقامة قِسْطِ الْحَقِّ، ومُيسِّرهم للنُّهوض بالأعباء التي تَكْفُل بَعْضُ الدَّوْلَةِ الْعُلَوِيَّةِ وتَقُوم، ومُجْتَنِبهم للفصل بِمَرْضَاتِهِ فيما يَقْضَى بِإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وإِنْصَافِ الْمَظْلُومِ، الذي تَقَاد بِمَشِيئَتِهِ الْأُمُور، وتَتَصَرَّف بِإِرَادَتِهِ النُّهُور، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُور، وَيَنْدُو فَضْلُهُ عَلَى عِبَادِهِ جَسِيًّا، ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

والحمد لله الذي أَوْضَحَ بَأَنْبِيَائِهِ سُبُلَ الْهُدَى لِلْآثَامِ، وَأَقَدَّ بِإِرْشَادِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَأَقَامَ بِاجْتِهَادِهِمْ أَحْكَامَ مَاشِرَتِهِ مِنَ الْمَلِّ وَالْأَدْيَانِ، وَأَذْهَبَ بِأَنْوَارِهِمْ مَا عَمَّرَ الْأُتَمَّ مِنْ غَيَاطِيبِ الظُّلُمِ وَالْعُدُونِ، وَقَفَّى عَلَى آثَارِهِمْ مِنْ لَأْسِنَةِ الْبُغْدِ نُبُوتَهُ، وَلَا تُحْجَةُ أَقْطَعُ مِنْ حُجَّتِهِ، وَلَا وَصْلَةٌ أَفْضَلُ مِنْ وَصْلَةٍ ذَخَرَهَا لِأُمَّتِهِ، وَلَا ذُرِّيَّةٌ أَقْوَمُ بِحَقِّ اللَّهِ فِي حِفْظِ نِظَامِ الْإِيمَانِ مِنْ عِتْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ مَكَرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَذَخَرَ شَفَاعَتَهُ لَدَوَى الْوَلَاءِ فِي يَوْمِ النُّشُورِ وَالْعَرْضِ، وَأَوْرَثَهُ خَصَائِصَ مِنْ مَضَى مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى آبَاءَهُ، وَأَفْرَدَهُ بِمُحِيزِ التَّائِيْدِ الَّذِي أَضَاءَتْ الْأَفَاقُ بِمُشْرِقِ أَنْبَاءِهِ، وَيَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ أُنْجَدَ دَوْلَتُهُ بِكَفِيلِ جَنْدِ جَلْبَابِيَّاهَا، وَظَهِيرِ أَحْكَمِ أَسَابِيْهَا، وَنَصِيرِ بَلِّغِهَا فِي الْوَلَى وَالْعَدُوِّ مَطَالِبَهَا وَأَرَابِيَّاهَا، وَاسْتَجَبَ لَهُ مِنْ تَجَلَّه خَلِيلًا يَتَلَوُّهُ فِي الْفَضَائِلِ الْبَارِعَةِ، وَنَاصِرًا يُجَاوِلُ فِي الذُّبِّ عَنْ حَوَازِيَّتِهِ عَزْمًا أَمْضَى مِنَ السُّيُوفِ الْقَاطِعَةِ، وَعَضُدًا يَقُومُ لَهُ بِإِرْضَاءِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَمُسْعِدًا لَا يَأْلُو جُهْدًا فِي إِيْصَالِ الْمُسْتَخْفِيْنَ إِلَى مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ

من الحقوق . ويسأله أن يصلي على جده محمد سيد من يبلغ عن الله رسالة وأمرأ ،
وأفضل من دعا إلى توحيد بارئه سرا وجهرا ؛ وأكل من جاهد عن دينه حتى
ظهرت بعد الدروس جده ، وقهرت إثر الخضوع عزته ، وانتشرت في المشارق
والمغارب كلمته ودعوته ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه أينا على بن أبي طالب
قسيمه في الشرف والأبوة ، وصديقه الأكبر فيما جاء به من النبوة ؛ والمكمل بالنص
على إمامته الدين ، وخامس الخمسة الذين سادسهم الروح الأمين ؛ وأبي الأئمة
الأبرار ، والهازم بمقرده كل جيش بحر ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام حجة
الهدى ، وأنوار سبل الإيمان التي بأنوارها يُستبصر وقتدى ؛ وأدلة منهاج النجاة ،
وكاشفي غمم الشك إذا الظلم دجا ؛ وسلم ومجد ، وتابع وردد .

وإن أمير المؤمنين لما أصطفاه الله له من إرث سر الإمامة المصون المكنون ،
وحق بيانه العظيم الذي بالخشوع لجلاله أفلح المؤمنون ؛ وأخاره [له] من نشر لواء
الحق ونصره ، وتأكيد أحكام الإنصاف ليحظى بمائدتها كافة أهل زمانه وعصره ؛
وألهمه إياه من تاج خلافة الذي أشرق لبصائر العارفين نوره الساطع ، وتجلي لأفهام
المؤمنين برهانه الصادع ودليله القاطع ؛ وأودعه من خفايا الحكم التي صلب سلسيلها ،
وبلغ إلى النعم الخالد دليلها وسيلها ؛ وكله لأيامه من الإقبال الذي جعلها مواسم
زاهية بهجة النصر المبين ، وأعياد ظفر تروى بتوالي إبادة العادلين عن الطاعة
الناكبين ؛ وأوقاتا سميعة تُفيد الدين وأولياءه عزرا واعتلاء ، وتوجب للإيمان
أنصاره اقتدارا واستيلاء ، وتُسبغ عليهم كيفما تصرف بهم الأحوال متنا ضافية
والآء ؛ ويسره ليلهم من الإحاطة بكل مُغيب مستور ، وأوجه لأغراضه في كل
ما يرومه من مظاهرة المقدور ، ومهده لخلوله من أشمخ منازل التطهير والتقديس ،
وشرف به شيه من كل خلق نبوى بارع نفيس ؛ وفضله به من الكرم الذي لا تزال

تُحِبُّهُ يُجُودُ الْأُثْمُ سَرَفًا ، وَلَا تَتَفَكَّرْ غِيُوْثُهُ تُجِدُ مَنْ مُطَرِّبُهُ عِلَاءٌ وَسَرَفًا ؛ وَلَا يَرْجُ وَأَبْلُهُ
يَعْمُ بِالْأُثْمِ الْغُرَّ الْجِسَامُ ، وَلَا تُكْفُ مَسِيُوْبُهُ عَنْ إِمَافِضَةِ الْمَنَنِ الَّتِي عَلَتْ وَغَلَتْ فَلَا
تُسَامِحُ وَلَا تُسَامِ ؛ وَخُصَّ بِهِ إِحْسَانُهُ مِنَ الْمُنَابَرَةِ عَلَى إِعْظَامِ الْمَنَافِعِ لِلْمُسَوِّجِينَ ،
وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى إِجْزَالِ الْمَوَاقِبِ لِلزَّادِلِينَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَقَرِّينَ - يُجِدُّ أَرَاءَهُ
فِي آرْتِيَادٍ مِنْ تَضَاعُفٍ لِلْبَرِيَّةِ بِالْإِسْتِعَانَةِ بِكَمَالِهِ أَسْبَابُ الْمَصَالِحِ ، وَتَتَأَكَّدُ لِلْأَمْنَةِ
بِالتَّعْوِيلِ عَلَى بَارِعِ فَضْلِهِ أَحْكَامُ النَّجْحِ وَالْمَنَاجِحِ ، وَتَقُومُ الْحِجَةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالْإِعْتِضَادِ
بِهِ فِيمَا يَقْضِي بَنَفْعِ [الْعِبَادِ] ، وَيُسَهِّلُ الْإِعْتِمَادَ عَلَى دِيَانَتِهِ بِالنُّصْحِ لِلَّهِ فِي الْحَاضِرِ مِنْ بَرَّتِهِ
وَالْبَادِ ، وَيَنْطَلِقُ شَرْفُ خَلْقِهِ بِتَوْفَرِهِ عَلَى إِحْرَازِ مَنَافِعِ الْبِرِّ وَالْتِقَايَ ، وَتُعَرِّبُ طَرِيقَهُ
عَنِ السَّعْيِ الَّذِي لَا يَقِفُ فِي مَرَضَاةِ رَبِّهِ دُونَ بُلُوْغِ الْغَايَةِ الْقُصْوَى ؛ وَتَدُلُّ أَحْوَالُهُ
عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُ وَيَقُولُ ، وَتُوضِّحُ أَخْبَارُهُ حُسْنَ تَأْتِيهِ
فِي مَصَالِحِ الْأُثْمِ لَمَّا يَعْجِزُ عَنْ اسْتِبْطَالَةِ رَوَاجِحِ الْعُقُولِ ؛ وَيَقْتَدِحُ نَظَرُهُ أَنْوَارًا يُسْتَضَاءُ
بِهَا فِي طُرُقِ السِّيَاسَاتِ الْفَاضِلَةِ ، وَيَفْتَتِحُ فَكْرَهُ أَبْوَابًا تَضِيحُ بِهَا الْخَلِيقَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ
الْكَامِلَةِ وَاصِلَةً ؛ وَيَعِثُّهُ حُسْنُ حِيلَتِهِ عَلَى أَنْ يَحْتَقِرَ فِي إِعَانَةِ الْبَرَايَا ، عَظَائِمَ الْمَشَاقِ ،
وَيَدْعُوهُ كَرَمُ تَحِيَّتِهِ إِلَى أَنْ يَحْنُوَ عَلَى الرِّيَاسِ ، حُنُوٌّ مَنْ يَتَوَخَّاهُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ ؛
وَيَقْوَى بِإِعَانَتِهِ الْمُسْتَضْعَفُ قُوَّةٌ تُحَصِّنُهُ مِنْ عَنَوَى الْإِهْتِضَامِ ، وَيَعِزُّ بِمَلَاحِظَتِهِ
الْمُسْتَذِلَّ عِزَّةً تُخْرِجُهُ عَنْ صُورَةِ الْمَقْهُورِ الْمُسْتَضْمَامِ ؛ وَيَقْتَنِي الْآثَارَ الصَّالِحِيَّةَ فِي حَذْلِ
الطَّبَاعِ وَحُسْنِ الشَّمِّ ، وَيَتَّبِعُ السَّنَنَ الْفَيَاسِيَّةَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى جَمِيعِ الْأُثْمِ ، وَيَقْصِدُ
فِي الْأَلْفِ بِالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ قَصْدَهَا ، وَيَنْصَحِي نَوَاجِمَ الْبَاطِلِ فَيَعْتَمِدُ أَجْنَتَائِهَا
وَحَصْنَهَا ؛ وَيَكُونُ تَفْوِيضُ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ تَوَثُّقًا عِنْدَ خَالِقِهِ وَبَارِيهِ ، وَاحْتِيَاطًا
لِنَفْسِهِ فِي اسْتِنَادِ الْمَهْمَاتِ مِنْهُ إِلَى مَنْ لَا يُدْلِيهِ مَدَانٍ وَلَا يُبَارِيهِ ؛ وَتَلِيْمُنَ الدَّوْلَةُ
الْعَالِيَةُ بِمَبَاشَرَتِهِ لِلْأَحْوَالِ تَيْمَنًا يُؤَدُّ لَهَا بِإِدْرَاكِ كُلِّ مَطْلَبٍ بَعِيدٍ ، وَتُسَاعِدُ بِحُسْنِ

سيرته أسدساعدا يقضى للنجاح بتكئين تبدى فيه وتعيد ، وتختال الأيام بما اجتنته
من جواهر مفانحه ، وتزدان الأزمان بما توثقته من مناقبه التي حقرت الملوك
في أول الدهر وآخره .

وقد آكتفتك أيها الأجل عنايات الله سبحانه واشتملت عليك ، ولتأبعت
مواد أصطفاه واجتبايه إليك ؛ وأثالثك من كل فضل بارع ، غايته ، وأظهرت
فيك لكل كمال رائع ، آيته ؛ وجمعت لك من معجزات الحاسن مالولا مشاهدتك
لوجب استعالة جمعه ، ولأنكر كل متدبر صدر حديثه عن صدر صدره أو ورود
سمعه ؛ ويسر لك تمام السعد والإقبال ، الترقى إلى ذروة العلى التي يهاب النجم أن
يمر ملاحظتها منه ببال ؛ وتأقت الحظوظ في أعظام ماخولتك من الفضائل الباهرة
فبالغت وتناهت ، وأغرقت فيما أتمفتك به من المحاسن النادرة فشرفت بك
وتباهت ؛ حتى غدا جسم ماقتم شره من الثناء وذكره ، وعظيم ماوجب منه نشره
ففضوع أرجه ونشره ، نغمة من بحارها الزانحه ، وشذرة من عقودها الفانحه ؛ وقليل
من كثيرها الجسم ، وضئيل من جزيلها الذى استكمل خصائص التعظيم .

واستمر فانت الجامع لمفتقر الفضائل الملكيه ، والفارع ذرى الجلال الذى
أفردتك به المواهب الملوكيه ؛ والمنحوج أعلى رتب السيادة السارية إليك من أكرم
الأصول ، والمأموح بارتقاء هضاب العبد التى عجز ملوك الأفاق عن [الانتهاء] إليها
والوصول ؛ والأوحى الذى بذ العظمة فعظم خطرا وقدر ، والأروع الذى آفادت له
الصعاب فرحب بآ وصدرا ، والعالم بالأمور الذى أصبح أعلم ملوك الأرض بأحسن
التدبير وأدرى ؛ والمذكى بأنوار ذكائه فى عاتم الثوب سراجا وهجا ، والمشمرف ذات
الله فلا يؤجد له على غير ما أرضاه معاجا ، والمبتكر من غرائب السياسات مالا تزال
محاسنه على مفروق الزمن تاجا ؛ والمجد للهج بتجيدته كل مقول ولسان ، والمعجز

كلّ متعاطٍ وإن كان بليغاً بديع الإحسان ؛ والمننوحُ المُعْرِقُ في السيادة والمُملِكُ ،
والمبتدِعُ المكارم أبكاراً تَجِلُّ عن أن يُسَاقِبه أحدٌ فيها أو يُشْرِكَه ؛ فآياتُ جُحْدِكَ
ظاهرةٌ باهره ، وغُرُّ خلائِكَ في اختراع المآثِرِ وأَفْرَاعِها ماهره ؛ وإليك إيماءُ
السعادة وإشاراتها ، واللُحُوسُ باعْتِلَاقِكَ مِنَّا كَيْفَ تُسَاحِي السَّمَاءَ أَرْجَاؤُهَا ، ويتحقّقُ
في البحر الأعظم بتصدُّرك فيها رجاءُها ؛ فلا كَلَّ إِلَّا مَا أَصْبَحَ إِلَيْكَ يُنْسَبُ ، ولا جَلَّالَ
إِلَّا مَا يَسُدُّ من خصائصِكَ ويُحَسَّبُ ؛ ولم تزل لربِّكَ خَاضِعاً ، ولشَرَفِكَ متواضِعاً ؛
وأنوارُ الأَلَمِيَّةِ تُوضِّحُ لك من طُرُقِ الأمانة ما يَعْجِزُ عن إدراكه قُوَى التجريب ،
وَيُحْكَمُ لك من أحكامِ السِياسةِ مَا تَقْصُرُ عن أَقْلِهِ فَطَنُ الحِكماءِ الشَّيْبُ ؛ وتُبْدِي لك
أَسْرَارَ الأَزمنة المتطاولة في إقبالِ سِتِّكَ ، وتُكَلِّمُ بتلطّفاتِ صِلابة الخطوب مع نَضارة
غُصْنِكَ ؛ وما بَرِحَ ذِكْرُ أخبارِ صَوْلَتِكَ ، وحديثُ ما أعظمه الله من قُرُوسِيَّتِكَ
وَتَجَبُّعَتِكَ ، يُوقِرُ حُلُومَ الأبطال في المَلّاحِمِ إذا أطَارَها الدُّعْرُ فطاشتْ ، وَيُسَكِّنُ
نفوسَ الأتجاد في المَلّاحِمِ إذا أطَارَها الدُّعْرُ بفاشتْ ؛ ويُحَدِّثُ للبناء جُرأَةً وإقداماً ،
ويجعلُ الكَهَمَ في الحروب مُدَلِّقاً حُسَاماً ؛ يُخَيِّلُ الأَعْوَجِيَّةَ زهو بما تَرْقُبُه من شَرَفٍ
أَمْتِطَائِكَ ، وصيلِلُ المَشْرِفَةِ تَرْثُمُ بِمُطَرِبِ قَصَصِكَ وَأَنبَائِكَ ؛ وأهْتَازُ السُّمَهْرِيَّةُ جَذَلَ
بِمَا كَفَّلَتْها من إِبادةِ عِلَالِكَ ، وَصَمْتِها من إِيادةِ أَعْدَائِكَ ؛ وليس بغريب أن تَفْضَلَ
الأَملاكُ ، وتَبْطَأَ أخامُكَ المَمالكُ ؛ وَتَحْتَالَ في وَثَى الوصفِ البَدِيعِ ، وتُشْرِقُ أَسْرَةُ
محاسنِكَ فَتُخْجِلَ ضَوْءُ الصُّبْحِ الصَّدِيعِ ؛ وقد أكرمك الله مع فضيلِ الخليفة والفطره ،
وَكَلَّ الخِصَالِصِ التي غَدَا كُلُّ منها في بَدِيعِ المُعْجِزاتِ نَذْرَه ، بِبُنُوَّةِ مُغِيثِ الأَنامِ ،
وَمُضْلِحِ الأَأمِ ؛ وكفيلِ أميرِ المؤمنين وكافِيه ، ومُبْرئِ مُلكه من أسقامِ الحوادثِ
وشافِيه ؛ السيدِ الأَجَلِّ المَلِكِ (وَنَمَّةُ النعوتِ والدعاء) الذي أَمْتَضاهُ اللهُ لِكُشْفِ
الغُفْمِ ، وَارْتِضاهُ لتدبيرِ الأُمَمِ ، وَقَضَلَه على ملوكِ العَرَبِ والعَجَمِ ؛ وَشَمَّعَ علاؤُه قِطامانَ

له كل على ودان، وسمت مواطئ أقدامه فتمنت مآلها مواطئ التيجان، وحاز بالمساعي
الفضل الباهر أجمع، وأستولى على بواهر الحكم بالنظر الناقب والقلب الأجمع، وأفرد^(١)
بكل عز أن تدركه الآمال، أو يكون لأشتطاطها فيه مطمع أو مجال، وغدا النصر
المبين تابعا لعذب ألويته، وحسن إقباله في كل موطن كفيل بإدبار العدو وتوليته،
وأجاب داعي الله إذ استنصر لآل بيت النبوة واستصرخ، ولبي دعاءه تلبية تستطر
أخبارها على ممر الزمان وتورخ، وأجلى شياطين الضلال وقد تبعث في زعيمها
الجاحد وثنا، وصلتها بالعزم المرفف عما أصرت عليه من منكر الإلحاد ونفي،
وبذلت سطاء جابرة الطغاة من الأوطان بعدا ونحقا، وأمتعتهم فتكاته من الأعداء
الوافرة إفناء ونحقا، وإذا قمتهم حملات جيوشه وبأل أحير من طامس باطلا وعاند
حقا، وجعلتهم شغاف سيوفه الباترة في التنايف حصيدا، ورمت بالإرغام والإضرع
معاطسهم وخدودهم بعد أن عمرؤا شتى وصيدا، وقصد بمواضيا أشلاءهم ودماءهم
فالجم غروبها وسقى، وكشف بلوامعها عن الدولة الفاطمية من معزتهم جفعا طامسا
وغسقا، وكفل أمورهم فأحسن الإيالة والكفالة، وأطاعها إلى أفضل ما تقدم لها
من القوة والقماعة والחסالة، ونظر أحوالها فقوم كل معوج ومدل كل مائل،
وحباها ملبس جمالي تقبح عند بهجته ملايس الخائل.

ولما أباد عصب العناد، غطف على الاجتهاد في الجهاد، بلجأت بحافله متقاذف
الأقطار، ونالت من الفتك بالكفرة في أقصى بلادها نهاية الأوطار، وأنتعت منهم
الحصون، واستباحات المنع المصون، حتى أصارت جلداهم المشهور قشلا، وفيض
إقدامهم المذكور وشلا، وتبيل الأمة بسيرة عرفت بالعدل والإحسان، وأحظت

الخلافة بالأمن المديد الظلال؛ وأرضتهم بالعيش الرائي الزلال؛ وأثمتهم من المطالب ما أسعت لإدراكه خطأ الآمال؛ وجاد ففضح الغمام، ومن على ذوى الذنوب حتى كاد يتقرب إليه بالجرائم؛ وأقال عثرات كبرت فلولا كرم بيئته لم يرم الإقالة من خطرهما رائم؛ وأمدته الله من معجزات البلاغة والبيان، وغرائب الحكم البديعة الإقتان، ما يستخف الأحلام بقرط الطرب والإقتان؛ ولم يزل منذ كان ينجي سرح الدين، ويضم نشر المؤمنين، ويبدل نفسه الشريفة في نصرة الدولة العلوية بذل أكمل ناصر وأفضل معين؛ وتكبر عظام الخطوب فيكون عزمه أعظم وأكبر، وتزهى الأيام بقر محاسنه وهو لا يزهى ولا يتكبر؛ فقد عز جانب كاله، عن أن يناهضه جهد المدح، وارتفع محل جلاله، فلا ينال تكييفه بإشارة ولا تصريح، وعظم قدره مفاخره فلم يقابل إلا بموالاته التمجيد خالقه والتسبيح؛ ووجب على متصفح خصائصه الموالاتة والتعظيم، ولزوم منهج استيداع لا يرح عنه ولا يريم، وبمبالغة قوله تعالى :
((ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)) .

فبلغ الله أمير المؤمنين في إطالة مدته الآمال، وأبقى لمذته باستمرار نظيره الحفظ والجمال، وفتح له المشارق والمغارب بهيمه العالية وعزائمه، وجعل نواجم الإلحاد حصائد سفار صوامره؛ فانقرأها الرجل بأصلك وفرطك كيف شئت، وأبجج بما منحته منه وأوتيت، ووال شكر خالقك على ما حولت وأوليت؛ فما نخر بمثل تفرك ملك سميع، ولا تباهى الدهر لأحد بمثل ما تباهى في حقك ولا أبدع .

ولما تكامل لك أيها الأجل بلوغ هذا الفضل الجسيم، وتم ما منحته من المجد الحادث والقديم، جدد أمير المؤمنين لك شعار التعظيم، وكمل لديك المفاخر تكمل العقد النظيم؛ وجعل الخيرة إمرته لك عياناً، وأقامك للدولة الفائزة والمملكة

الصالحية بُرهانا، وجعلك لكافة المسلمين في أقطار الأرض سلطاناً؛ وطابق بين ماخضك به من السمات السنية، وبين مامكنه لك من المراتب العلية؛ فأنتخذك لدولته ناصراً وعضداً، وأنتخبك للإسلام مجداً وسنداً، وأحيا بمراءدك أنصار الدين، وشفئ بنظرك صدور المؤمنين؛ واستخلصك لنفسه النفيسة حياً وخليلاً، وبلغ بك إلى الغاية القصوى إعلاءً وتجيلاً؛ وشرَّفك بخَلعٍ بديعةٍ من أخص ملبس الخلافه تروُّق محاسنها كلَّ النواظر، وتَفوق بدائنها مادبيح زهر الروض الناضر؛ وقَلَّدك سيفاً يُوذِن بالتقليد، ويُبشِّر بالنصر الدائم المزيَّد؛ تتنافس في مثنه وفريده الجواهر، ويستولى ناصعها على الباطن منه والظاهر؛ وعزَّزها بالتشريفات التي آكثفتها البهجة والبهاء، وبلغتها في العلى إلى الغاية التي ليس بعدها انتهاء؛ وآخر أن تُبسِّط يدك في التدبير، ويُعَدِّق بك ما هو عنده بالحلِّ الكبير؛ ويُجمِع لك من أشتات دولته ما لم يُعرف لجمع مثله في سالف الزمَن نظير، ويسند إلى كمالك ما يعود النفع بصلاحه على المأمور من الأنام والأُمير.

فقاوَضَ أيُّها السيد الأجلُ الملك الصالح والدك أدام الله قدرته، وأعلى كلمته؛ في ذلك مُفاوضةً أفضت إلى وقوع الإجماع على أنك أكمل ملوك دهرِكَ بنا، وأصحهم يقيناً؛ وأشرفهم نفساً وأخلاقاً، وأكرمهم أصولاً وأعرافاً؛ وأمثلهم طريقةً وأحسنهم سيرةً، وأتقاهم صندراً وأطهرهم سريره؛ وأشفهم جوهرًا وأزكاهم ضريبةً وأتقاهم لله سراً وعلناً، وأولاهم بأن لا يصدر عنه من الأفعال إلا جميلًا حسنًا؛ وأنت أفضل من صدَّق أمير المؤمنين بنظره أمر الدنيا والدين، وأسند إلى ملاحظته أحوال أمراء الدولة ورجالها أجمعين، وفوض مصالح المسلمين منه إلى التقيِّ الأمين؛ وأنَّ السيد الأجلُ الملك الصالح أدام الله قدرته لما أخلص محله عند أمير المؤمنين بتتابع الإشادة، وتفردَ باستمرار المضاعفة بإذن الله تعالى والزيادة؛

وَأَسْتَوِلْ عَلَى الْأَمْدِ الْأَقْصَى فِي السَّمَوَاتِ وَالتَّعَالَى، وَانْخَفَضَتْ عَنْ تَرَاهِ دُرَى أَشْمَخِ
التَّعَالَى، كَانَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِ فِي الْجَلَالِ وَأَنْتَ ثَانِيهِ، وَالسَّابِقِ فِي الْفَخَارِ
وَأَنْتَ تَالِيهِ، وَدَلَّ بِفَضْلِكَ عَلَى فَضْلِهِ دِلَالَةٌ الصَّبِيحِ عَلَى النَّهَارِ، وَالنِّمَاءِ عَلَى الْإِبْدَارِ،
وَالثَّمَرِ الطَّيِّبِ عَلَى فَضِيلَةِ الْأَصْلِ وَالنَّجَارِ؛ فَبَارِكْ مُوَلِيَّ الْمَنِّ لِأَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ، الْقَائِلِ
فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ .

وَقَرَّرَ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِشْفَافَ أُمُورِ الْمَظَالِمِ، وَإِنْصَافَ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ،
وَالنَّظَرَ فِي أَسْفَهَاتِ رِيَّةِ الْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ إِيثَارًا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنْ يَجْعَلَ
لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَيْسَرًا، وَيُثَبِّتَ لَكَ فِي كُلِّ مِنْ أُمُورِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ حَدِيثًا
حَسَنًا وَأَثَرًا، وَرَتَّبَ ذَلِكَ لَكَ تَرْتِيبًا يَصْحَبُهُ التَّوْفِيقُ وَيَزِمُهُ، وَيَكْتَلُهُ السَّعْدُ وَيَتِمُّهُ؛
وَيُحِيطُ بِهِ الْيَمْنُ وَالنَّجَاحُ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْحِفْظُ وَالْفَلَاحُ . فَتَقَلَّدْ مَا قَدَّمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ، مَتَمِّسًا بِأَسْبَابِ وَلَايَتِهِ وَعِصْمِهِ، جَارِيًا عَلَى أَحْسَنِ عَادَاتِكَ فِي مِرَاقِبَةِ
اللَّهِ وَخِيفَتِهِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى أَفْضَلِ حَالَاتِكَ فِي خَشْيَتِهِ؛ مَتَّبِعًا أَوَامِرَهُ فِي الْعَمَلِ بِتَقْوَاهُ،
وَزَاجِرًا لِنَفْسِهِ عَمَّا تُؤْذِرُهُ وَتَهْوَاهُ؛ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمَبِينِ : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَظَالِمَ كَثُرَ مِنْ كُنُوزِ الرَّحْمَةِ، وَبَابٌ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى مَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ،
وَوَسِيلَةٌ يُتَوَصَّلُ بِهَا السُّعْدَاءُ إِلَى خَالِقِهِمْ فِي اسْتِبْقَاءِ مَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ؛
فَاجْلِسْ لَهَا جُلُوسًا عَامًّا تَرْفَعُ فِيهِ الْحِجَابَ، وَيُسَيِّرُ لِلْوُصُولِ إِلَيْكَ عِنْدَهُ الْأَسْبَابَ؛
وَتَأْمُرُ بِتَقْرِيبِ الْمُتَظَلِّمِينَ، وَتَوْعِزُ بِإِدَانَتِهِمْ لِتَسْمَعَ كَلَامَ الشَّاكِينَ؛ وَتَوْفُرَ عَلَى الْأَخْذِ
بِيدِ الْمُسْتَغْصَفِ الْقَرِيعِ، وَالْحُرْمَةِ الَّتِي لَا تَجِدُ سَبِيلًا لِلْإِنْصَافِ وَلَا تَسْتَطِيعُ؛ وَتَتَقَدَّمُ

بأن تُخْضِرَ بَيْنَ يَدَيْكَ النَّاسِبَ فِي الْحُكْمِ الْعَزِيزِ الَّذِي عَلَى قُتْيَاهِ مَدَارُ أَحْكَامِ الدِّينِ ،
وَمَنْ تَحْتَاجُهُ مِنَ الْمَوْقِعِينَ وَالْدَّوَانِينَ ؛ وَتَأْمُرُ بِإِحْضَارِ الْقِصَصِ وَعَرْضِهَا ، وَتَتَأَمَّلُ
دَعَاوِيَ الْمُتَنَظِّمِينَ فِي إِبْرَامِهَا وَنَقْضِهَا ؛ وَتَوَقُّعُ عَلَى كُلِّ مِنْهَا بِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ
وَأَحْكَامُهُ ، وَيُوجِبُهُ الْعَدْلُ وَنِظَامُهُ .

وَأَنْظُرِي فِي مُشْكِكِ الْقِصَصِ نَظْرًا يُزِيلُ إِشْكَالَهَا ، وَيَجْعَلُ إِلَى لَوَازِمِ الشَّرْعِ وَالْحَقِّ
مَأْتَبًا ؛ وَرَاجِعَ أَمْرِ الْمَنَازَعَاتِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَوَانِيرِ ، وَلَا يَبْقَى فِيهَا تَأَمُّلٌ لِمَتَأَمَّلِ
وَلَا نَظَرٌ لِنَظَرِي ، وَتُخْرِجُ أَوَامِرَكَ بِإِيصَالِ كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ ، وَكَفِّ كُلِّ مُتَعَدٍّ
عَنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُدُونِ وَطَرَفِهِ . وَلَيْكُنِ الضَّعِيفُ أَقْوَى الْأَقْوِيَاءِ عِنْدَكَ إِلَى أَنْ يَصَلَ
إِلَى حَقِّهِ مَوْفَرًا ، وَالْقَوِيُّ أَضْعَفُ الضَّعَفَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا عَلَيْهِ طَائِفًا أَوْ يُجْبَرُ ؛ وَالشَّرْعُ
وَالْعَدْلُ فَهُمَا قِسْطَانَا اللَّهُ فِي أَرْضِهِ ، وَمُعِينَا [نَ عَلَى] الْحَقِّ مِنْ أَرَادَ الْعَمَلَ بِوَاجِبِ
الْحَقِّ وَفَرَضِهِ ؛ نَقْضُ بَيْنَهُمَا وَأَعْطَيْنَا الْعِبَادَ ، وَأَثَبْتِ أَحْكَامَهُمَا فِيهَا قُرْبَ وَبَعْدَ مِنْ
الْيَدَادِ ؛ وَسَاوَيْتِ بَيْنَهُمَا فِي الْحَقُّوقِ بَيْنَ الْأَنْثَامِ ، وَصَرَّفْتِ النِّصْفَةَ بِحُكْمِهِمَا بَيْنَ الْخَوَاصِّ
وَالْعَوَامِ ، حَتَّى يَتَصَوَّفَ الْمَشْرُوفُ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَالضَّعِيفُ مِنَ ذِي الْقُوَّةِ الْعَنِيفِ ؛
وَالْمُغْمُورُ مِنَ الشَّهِيرِ ، وَالْمَأْمُورُ مِنَ الْأَمِيرِ ، وَالصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ ؛ وَأَسْتَكْثِرُ بِإِغَاثَةِ عِبَادِ
اللَّهِ ذَخَائِرَ الرِّضْوَانِ ، وَأَسْتَفْتِحُ بِقِيَامِكَ بِحَقُّوقِ اللَّهِ فِيهِمْ أَبْوَابَ الْجَنَانِ ؛ وَأَعِزُّهُمْ بِسَعِيدِ
نَظَرِكَ وَتَأْمَنُ تَقْدُوكَ وَمِلَاحِظَاتِكَ جَمِيعَ صُلُودِ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَكِبَرَاتِهَا ، وَمُقَدِّمِيهَا
الْمَطْوَينِ وَأَمْرَاتِهَا ، وَمُزَيَّجِهَا الْأَعْيَانِ ، وَرِجَالَهَا الظَّاهِرَةَ نَجَّدْتَهُمُ لِلْعِيَانِ ؛ وَتَوَخَّ الْجُودَ
مِنْهُمْ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِنْجَارِ ، وَتَبْلِغِ الْأَغْرَاضِ وَالْأَوْتَاطَارِ ؛ وَالتَّمْيِيزِ الَّذِي يَحْفَظُ نِظَامَ
رُبِّيَّتِهِمْ ، وَيُغْلِيهِمْ مِنْ حِرَاسَةِ الْمَنَازِلِ غَايَةَ آرَبِهِمْ ؛ وَأَلْقَهُمْ مُسْتَبْشِرًا كَعَادَتِكَ الْحُسْنَى ،
وَأَجْرِ مَعَهُمْ فِي كَرَمِ الْأَخْلَاقِ عَلَى مَنَهِكِ الْأَسْنَى ؛ وَعَرَّفْتَهُمْ بِإِقْبَالِكَ عَلَى مَصَالِحِ
أُمُورِهِمْ ، وَأَتَجَاهَدُكَ لِمَصَالِحِ سُؤْنِهِمْ ، بِرَكَّةِ أَشْتَمَلِهِمْ بِفَضْلِكَ ، وَأَلْتَحَافُهُمْ بِظِلِّكَ ؛

وَأَقْصَدَ مَنْ يَلِيهِمْ بِمَا يَنْسُطُ آمَالُهُمْ ، وَيُوسِعُ فِي التَّكْرِمَةِ مَجَاهِلَهُمْ ؛ وَيُكْسِبُهُمْ حِرْزَةَ
 الْإِدْنَاءِ وَالتَّقَرُّيبِ ، وَيُحْصِيهِمْ مِنْ إِحْفَافِكَ بِأَوْفَرِ سَهْمٍ وَنَصِيبٍ ؛ وَكَافَّةَ الرِّجَالِ فَاحْفَظْ
 نِظَامَهُمْ بِحُسْنِ التَّدِيرِ ، وَآتِرْ فِيهِمْ بِجَمِيلِ النَّظَرِ أَحْسَنَ التَّأْيِيدِ ؛ وَتَوَخَّهِمْ بِمَا يَشُدُّ
 بِاهْتِمَاكَ أَزْرَهُمْ ، وَيُصْلِحُ بِتَقَفُّدِكَ أَمْرَهُمْ ، وَيَقِفْ عَلَى الطَّاعَةِ سِرَّهُمْ وَجَهْرَهُمْ ؛
 وَيُسِّرْ لَهُمْ أَسْبَابَ الْمَصَالِحِ وَيُسَهِّلْهَا ، وَيَتِمَّ لِمَطْلَبِهِمْ أَحْكَامَ الْمَأْمَنِ وَيَكْمُلْهَا ؛
 وَأَصِفْ لَجَمِيعِ ذِكْرِهِمْ مِنْ سَابِقِ فِي التَّقْدِيمَةِ وَتَالِ ، وَمُخْلِصِ فِي الْمَشَايِعَةِ وَمُؤَالِ ، مَنَاهِلَ
 إِحْسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الطَّامِيَةِ الْجَمَامِ ، الْمَتَعَرِّضَةِ مَوَارِدُهَا الْعَذْبَةَ لِأَدْوَاءِ كَافَّةِ الْأَنَامِ ؛
 فَهَمَّ أَنْصَارُ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانُهَا ، وَأَبْنَاءُ الدَّحْوَةِ وَخُلَصَاؤُهَا وَتُجْعَانِ الْمُلْكَةِ وَفُرْسَانُهَا ؛
 وَتَجَدَّ خِلَاصُهَا عِنْدَ اعْتِرَاضِ الْكُرُوبِ ، وَسَيُوفُهَا الْمُنْتَرِبَةُ الْقَاطِعَةُ الْغُرُوبِ ؛
 وَأَسْتَبْطَا الْمُتَوَضِّلَةَ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي سُيُودَاءِ الْقُلُوبِ ، وَحِزْبُهَا الَّذِي أَذِنَ اللَّهُ بِأَنَّهُ الْغَالِبُ
 غَيْرُ الْمَغْلُوبِ ؛ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ مَنَزِلَةٌ مِنَ التَّقْدِيمِ ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِكْتِمَالِ بِظِلِّ الطُّوْلِ
 الْعَمِيمِ ، وَعَمَلُهُ مِنَ الْفَنَاءِ وَمَكَانُهُ مِنَ الْكِفَايَةِ الَّذِي يُلْغِي إِلَيْهِ فَسَدَهُ . فَرَتَّبَ كُلًّا مِنْ
 الْمُقَدِّمِينَ فِي الْمَوْضِعِ الْجَدِيدِ بِهِ اللَّاتِقِ ، وَأَوْضَحَ لِلوَقَّعِينَ أَنْوَارَ مَرَاثِدِكَ لِيَلْحَقَ
 بِتَهْذِيكِ السَّكِينَةِ مِنْهُمْ بِالسَّابِقِ .

وَالْوَصَايَا مَتَّسِعَةُ النَّطَاقِ ، مَتَشَعِّبَةُ الْإِسْتِثْقَاقِ ؛ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَقْسَامُهَا ، وَلَا حَاوَلَ إِتْمَامَهَا : لِلْإِسْتِغْنَاءِ بِمَا لَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي غَدَتْ فِي اسْتِثْبَاتِ
 حِكْمِ السِّيَاسَاتِ أَكْبَرِ مَعِينٍ ، وَالْفُطْرَةِ النَّفِيسَةِ الَّتِي تُمَثِّلُكَ مِنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ بِأَغْزَرِ مَعِينٍ ؛
 وَلَا يَزَالُ يُضِيئُ لِبَصِيرَتِكَ مِنْ أَنْوَارِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ -

(١) لعله وأصف لجميع من ذكرتهم من سابق الخ . تأمل .

(٢) في الأصل "أغلغلها" . تأمل .

التي لا تَبَحُّ للبصائر لَامِعَةٍ، ولِحَاسِنِ الأفعال وَغُرَرِهَا جَامِعَةٍ؛ مَا تَسْتَعِينُ بِأَصْوَاتِهَا^(١) عَلَى الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ مِنَ الْإِصَابَةِ وَأَكْثَرِ.

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ، وَإِنْعَامُهُ عَلَيْكَ؛ فَتَقَلَّهِ مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَكُونُ لِلزَّيْدِ سَبَبًا مُؤَكَّدًا، وَيَغْنُو الْإِحْسَانُ مَعَهُ مُرْتَدًّا مُجَلَّدًا؛ وَأَبْدُلْ جُهْدَكَ فِيمَا أَرْضَى اللَّهُ وَأَرْضَى إِمَامَ الْعَصْرِ، وَتَأْخُذْ عَلَى الْأَعْمَالِ الَّتِي تُنَاسِبُ فُضَائِلَكَ الْمُتَجَاوِزَةَ حَدَّ الْحَصْرِ؛ وَاللَّهُ يَعْضِدُكَ بِالتَّوْفِيقِ، وَيُهَيِّدُ لَكَ إِلَى السَّعَادَةِ أَسْهَلَ طَرِيقٍ؛ وَيُرْهِفُ فِي الْحَرْبِ عَزَائِمَكَ، وَيُخَفِّضُ فِي الْأَعْدَاءِ صَوَارِمَكَ؛ وَيَضَاعِفُ لَكَ مَوَادَّ النُّصْرَةِ وَالْتَّيِيدِ، وَيُخَصِّصُ بِنَاءَ تَحْمِيدِكَ بِالْإِعْلَاءِ وَالتَّشْيِيدِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

قُلْتُ : وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ مَا كَانَ يَكْتُبُ فِي دَوْلَتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ صِيَلَاتٍ كَبَارِ نِيَابَاتِهِمْ، حَالٌ أَسْتَفْهَالَ الدَّوْلَةَ فِي مَبَادِي أُمُورِهَا، قَبْلَ خُرُوجِ الْبِلَادِ الشَّامَةِ عَنْهَا وَاسْتِقْلَاعِهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ : كَيْدَمَشَقْ وَمُضَافَاتُهَا مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ قَبْلَ خُرُوجِهَا عَنْهُمْ لَبْنَى أَرْتَقْ فِي زَمَنِ الْمُسْتَنْصَرِ أَحَدِ خَلْفَائِهِمْ؛ وَكَأَفْرِيقِيَّةَ وَمَا مَعَهَا مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ قَبْلَ تَقَلُّبِ الْمُعَزِّزِ بْنِ بَادِيَسَ نَائِبِ الْمُسْتَنْصَرِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا وَقَطْعِهَا انْخِطَابَ لَهَا؛ وَبَحْزِيرَةِ صِقْلِيَّةَ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ قَبْلَ تَقَلُّبِ رُجَّارِ أَحَدِ مُلُوكِ الْفَرَنْجِ عَلَيْهَا وَأَنْتَزَاعِهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فِي زَمَنِ الْمُسْتَنْصَرِ الْمَذْكُورِ أَيْضًا؛ فَإِنَّ مَشَقَ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَصِقْلِيَّةَ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ نِيَابَاتِهِمْ، وَأَجَلُّ ذِلَّالَاتِهِمْ؛ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ فِي كِتَابَةِ السَّجَلَاتِ عَنْهُمْ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ.

(١) فِي الْأَصْلِ "فَاسْتَعْدَ". تَأَمَّلْ.

المرتبة الثانية

(من المذهب الأول من سِجَّلات ولايات الفاطميين أن يُفْتَتَحَ السِّجْلُ بالتصدير، فيقال : « من عبد الله وولَّيه » إلى آخر التصلية، ثم يُؤْتَى بالتحميد مرة واحدة ويُؤْتَى في الباقي بنسبة ما هُتِّمَ ، إلا أنه يكونُ أَخَصَرَ مما يُؤْتَى به مع التحميدات الثلاث)

ثم هي إما لأرباب السُّيُوف أو لأرباب الأقلام من أرباب الوظائف الدينية والوظائف الدِّيوانية .

فاما السِّجَّلات المكتتَبة لأرباب السُّيُوف، فمن ذلك نسخةُ سِجْلِ بولاية القاهرة من هذه الرتبة : لِرُقعة قدر متولَّيها حينئذٍ، وهي :
من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعدُ، فالحمد لله رافع الدَّرَجَات ومُعَلِّمها، ومُؤَلِّ الآلاء ومُؤَالِياها، ومُحَسِّن الجزاء لمن أحسن عَمَلًا، ومُضَاعِف الحِياة للذين لا يَسْتَقُونَ عن طاعته حَوْلًا، ومنيل أفضَل المَوَاهِب ومُحَوِّلها، ومُتَمِّم النعمة على القائم بِشُكْرها ومُكَمِّلها، مُتَبِع المِنَّة السالفة بنظائرِها وأشكالها، والمُجَاوِز على الحَسَنَةِ بِشَيْرِ أَمْنٍ لها، وصلى الله على جدِّنا محمد رسولهِ الذي أقام عِمَادَ الدين الحَنِيف ورَفَعَهُ، وخَفَضَ بِجِهاده مَنَارَ الإلحاد ووضَعَهُ، وأَرْفَعَ عِبْدَةَ الصَّليب والأوثان، ونَشَرَ في أقطارِ المملَكَةِ كلمةَ الإسلام والإيمان، وكَشَفَ غِيَاظَ الضَّلَالِ بِأنوارِ المَدَى الأَلَمِية، وَهَتَكَ حِجَابَ الكُفْرِ بِإِبراهيمِ التوحيدِ الصَّادِمةِ وسيوفِ النصرِ الفاطِمَةِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى أخيه وأَبْنِ عَمِّه أَيْبِنَا أميرِ المؤمنين على بن أبي طالب، سيفِ الحقِّ المَاضِي المَضَارِب، وَبَحْرِ العلمِ الطامِ

النجح والوارث^(١)، ومعين الحكمة العذب المشارع، والمخصوص بكل شرف باسقى
وفضل بارع، وعلى آلهما سادة الأنام، وحماة سرح الإسلام، وموصحي حقائق
الدين، وقاهري أحزاب الملحدين، وسلم ومجد، وضاعف وجند.

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله من شرف المحمد والتجار، وتوجه به من تيجان
الإمامة المشرقة الأنوار، وألقاه إليه من مقاليد الإبرام والنقض، وأثاله إياه من
الخلافة في الأرض، والشفاعة في يوم العرض، وعذقه به من إيضاح سبل الهدى
اللامعة، وهتك حجاب الكفر ببراهين التوحيد الصادرة وسيوف النصر الفاطمية،
إلى الأنام^(٢)، وأطلعه عليه من أسرار الحكمة بمناجاة الإلهام، وأقامه له من إعلاء منار
الملة وتقويم عماد الحق، وأمد به آراءه من العنايات الربانية فيما جل ودق، وأضاء
له في الأنظار من الأوامر والنواهي، وأفرده به من الخصائص الشريفة التي يقصر
عن تمديدتها إسهاب الواصف المتناهي، ويسره لإرادته من اقتياد كل أبي جامع،
وحببه إليه من استعمال السيرة المستدنية من المصالح كل بعيد نازح - يضاعف بهاء
أيامه بأصطفاء ذوي الصفاء، ويزيد في بهجة زمانه باستكفاء أولى الوقاء، ورفع منازل
المعروفين في الولاء إلى غايات السناء، ويُنيل المخلصين من الحباء، ما يُبدل على مواضعهم
الخطيرة من الاجتياء، ويُسند معالي الأمور، إلى الأعيان الصُّلُور، ويصدق
الولايات الخطيرة، بمن حسنت منه الآثار والسيرة، وأظهر تغاير الأمور ما هو عليه
من خلوص النية وقاء السيرة، وأستولى على جوامع الفضل وظاياه، وقصرت همم
الأكفاء عن مماثلته في الفناء ومساواته، وألقت إليه المناقب قياد المستسلم المسلم،

(١) جمع طارب أو عاربة. يقال ماء حرب كثير ونهر حرب وبئر عربية كثيرة الماء والفعل من كل ذلك

حرب عرباً فهو طارب وطاربة. انظر اللسان ج ٢ ص ٨١.

(٢) متعلق بإيضاح سبل الهدى فتنه.

وأعجز تعديده عاينه البارحة كل ناطقي ومتكلم ؛ وسمت هيمته إلى آكتساب الفخار ،
 وأستكمل فنون الحامد فحصلت لديه حصول الأقتناء والإدخار ؛ وفاز من كل مائة
 بالنصيب الوافر المثل ، وتشوقت إليه الرتب السنية تشوق [من] راته لها دون
 الأكفاء أهلا ؛ وكفى المهمات يحنان ثابت وصدر واسع ، وقربت عليه أفعاله
 المرضية من المبين كل بعيد شاسع ؛ ووسم جلائل التصرفات بما خلفه بها من
 مستحسن الآثار ، وخلصت مشايخته من الأكدار حقل في أميز محل من الإيثار ؛
 وجارى المبرزين من أرباب الرياسات فسبق وأبر ، وأحرز جميل رأي ولي نعمته
 فيما ساء وسر .

ولما كنت أيها الأمير المعني بهذا الوصف الرفيع ، المخصوص من مفاخره بكل
 رائع بديع ؛ الحال من الإصطفاء في أقرب محل وأذنه ، المريق من الرئاسة أشمخ
 مكاتب وأسناه ؛ الأوحدة في كل فضيلة ومنقبه ، الكامل الذي أوجب له الكمال
 صعود الجدد وممو المرتبة ؛ المصلح ما برز إلى نظره بالتدبير الفائق ، الشامل ما يصدق به
 بحزمه الذي لا تخفى معه البوائق ؛ المجمع على شكر خصائصه وخلاله ، الفاتت جهده
 الأعيان الأفاضل بعفو استقلاله ؛ المعتم من المشايعة بالسبب المئين ، المتميز على
 الأكفاء بآثره الماثورة وفضله المئين ؛ وما زالت مساعيك في طاعة أمير المؤمنين
 توجب لك منه المزيد ، وتستدعي لثرتك من جميل رأيه مضاعفة التشديد ؛
 وتخصك من الإجتباء بالنصيب الوافر الجزيل ، وتبلغك من تتابع النعم ما يوفى على
 الرجاء والتأمل .

وقد باشرت جلائل الولايات ، وصدق بك أنعم المهمات ، فاستعملت السيرة
 العادلة ، وسنست السياسة الفاضلة ؛ وجمعت على محبتك القلوب ، وبلغت الرصة

من إفاضة الإنصاف كل مؤثر ومطلوب؛ وإذا برقت بارقة نفاق، وتجم نايح من مرردة المراق، كنت الولي الوفي، والمخلص الصفي، والمدافع عن الحوزة بجهاده، والمحمي عنها بماضى عزمه وصادق جلاده، والباذل مہجته دون ولي نعمته، والجاهد فيما يخطيه بنائيل موآته وتأكد أذمته؛ ومجلى ظلام الخطب الدامس بمحسامه، ومزِيل الخطب الكارث برأيه واعتزامه؛ ومواقفك في الحروب، تكشف الكُروب، وتُرى من دماء الأبطال ظلمات الغروب؛ وتُورِد مسنان اللذن العاسِل، ورِيد الكمي الباسل، وتُحكّم قلباً المناصِل، في الهامات والمفاصل؛ وتستبيح من مہج الأقران كل مصُون، وتزيمهم من قوارع الدمار بضروب متسعة الفنون؛ فأتارك في كل الحالات محبوه، وشرائط الأصطفاء فيك فاضلة موجودة . وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه وزيره، وكافل ملّكه وظهيره؛ السيد الأجل الملك الذي فأنى عليك ثناء وسع فيه الجبال، وخصبك من شكره وإحماده بما أفاض عليك حلل الفخر والجمال؛ وقرر لك الخدمة في ولاية القاهرة المحروسة . فقلّد مقلّدك أمير المؤمنين من ذلك : عاملاً بتقوى الله الذي تصير إليه الأمور، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور؛ قال الله في كتابه المبين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وأعلم أن هذه المدينة هي التي أسس على التقوى بنيانها، ولها الفضيلة التي ظهر دليلها ووضح برهانها : لأنها خصت بفضي لا يدرك شأوه ولا تدرك آماؤه، وذلك أن منارها لم يدكر عليها إلا أئمة الهدى آباء أمير المؤمنين وأجداده؛ ثم إننا الحرم الذي أضفى هديسه أمراحتنا، وظل ساكنه لا يخاف ظلمنا ولا هضمنا؛ وغدت

النعمة به ممتمة مكمله ، والأدعية في بيوت العبادات به مرفوعة متقبلة : للقرب من أمير المؤمنين باب الرحمة ومعدن الجلاله ، وثمره النبوة وسلالة الرساله ؛ فاشتمل كافة الرعايا بها بالصيانة والعناية ، ومهمهم بتسام الحفظ والرعاية ؛ وأبسط عليهم ظل العدل والأمنه ، وسرفهم بالسيرة العادلة الحسنه ؛ وساو في الحق بين الضعيف والقوى ، والرئيسد والغوى ؛ والمسلّى واللّذى ، والفقير والغنى ؛ وأعتمد من فيها من الأمراء والميزين ، والأعيان المقدمين والشهود المعدلين ؛ والأماثل من الأجناد ، وأرباب الخدم من القواد بالاعزاز والإكرام ، وبلغهم نهاية المواد والمزكم ، وأقم حدود الله على من وجبت عليه بمقتضى الكتاب الكريم ، وسنة محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ؛ وتفقد أمور المتعيشين ، وأمنع من البخس في المكايل والموازين ؛ وحذر من فساد مدخل على المطاعم والمشارب ، وأتبع في ذلك سبيل الحق وطريق الواجب ؛ وأحظر أن يخلو رجل بأمرأة ليست له بحرم ، وأفعل في تنظيف الجوامع والمساجد وتزيينها عن الإبتذال بما تفرّبه وتكرّم ؛ وأشدّد من أعوان الحكم في قود أباة الخصوم ، وأعتمد من نصرة الحق ما تبقى به النعمة عليك وتكوم ؛ وأوعز إلى المستخدمين بحفظ الشارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ وواصل التطواف في كل ليلة بنفسك في أوفى عده ، وأظهر عده ؛ وأنسه في ذلك وفيما يماريه إلى ما يشهد بجتهادك ، ويزيد في شكر وإحمادك ؛ والله تعالى يوفقك ويُرشدك ، ويسدّدك في خدمة أمير المؤمنين ويسعدك ؛ فاعلم ذلك وأعمل به ، وطالع مجلس النظر الأجل الملكي بما تحتاج إلى علمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كان يكتب سيجل ولاية الشرقية من أعمال الديار المصرية دون غيرها من سائر الولايات ، إذ كانت هي خاص الخليفة كالجيزة والمنفلوطية الآن ، وكان واليها هو أكبر الولاة عندهم لذلك .

وأما الوظائف الدينية .

فإنها — ما كتب به القاضي الفاضل عن العاضد بولاية قاض :

من عبد الله ووليه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين ، إلى
القاضي المؤمن الأمين ، علم الدين ، خالصة أمير المؤمنين ؛ وفقه الله لما يرضيه ،
وسنده فيما يكره ويأتيه ، وأمانه على ما علق به ووليه .

سلام عليك فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصل
على جده سيد ولد آدم ، وعلى كل عالم ، ومبني كلمة المتقين على البقين ، ومعلي منار
الموحدين على الملحين ؛ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وعلى أمراء المؤمنين ،
صلاة تصل في كل بكرة وأصيل ، ويعتد بها أهل الفضل وأهل التحصيل ؛ وإلى
وجتد ، وعظم ومجد ، وكر وركد .

وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله إياه من فقاذ حكمه ومضاء حكمته ، وفوضه إليه
من إمامة أمته ؛ وأفاضه عليه من أنوار كشافته غمامة كل غمه ، وشردت بهذله
من بسطة ظلم وسطوة ظلمه ؛ وأظهره له من حق نصب للنصر عليه وللهداية
عليه ؛ وأيده به من كل عزمة فتكت بكل أزمه ، ووكل به همه من إتمام نعمة
وأبتداء نعمة ؛ وأطلق به يده من معروف روض الآمال صوب مدراره ، وبدت
على الأحوال آثار إثاره ؛ وأخذ به الخصب من المحل ثاره وأستقال به الرخاء
من وهذات عثاره ؛ وعضد به أفعاله من أمور التوفيق أتباعا وأقضاها ، وألهمه
من موالاة الآلاء التي لا تلعب عهد عهادها أقضاها ولا أقيضاها ؛ ويسر له عزيمته
من الآراء التي لا تمسب إلا حمدا أو قوبا — يختص بإحسانه من ينص الاختبار
على أنه أهل للاختيار ؛ ويفيض الأحوال من حوالى أوصافه ما يديم المطار

في الأوطار؛ ويُنعم على النعمة بإهدائها إلى ذوى الاستيجاب، ويصطنع الصليمة بإقرارها في مقارس الاستطابة والإستنجاب؛ ويرتفع لخدمه من عُرف ذكره بأنه فائح، وعُرف عُرفه ناصع ناصح؛ ويؤى جنان إناهم من أحسن عملا، وأستحققت منزلته من الكفاية أن تكون له بدلا، ولم تنبغ تصرفاته في كل الأحوال عنها حولا؛ ودرجته خصائصه العلية فاقعد صهوات الدرجات العلى، وأستحق بفضل تفضيله أن يولى الجليل جملا، وعُرضت خلاله على تعيين الانتقاد فاقضاها ولا يتضاها، وزويت مسالك الغناء بصدره قضاها قضاها.

ولما كنت أيها القاضى المشتغل على هذه الخلال أشتمال الرّوض على الأزاهر، والأفق على النجوم الزواهر؛ والمقود على فاجر الجواهر، وانخراط على خطراتها انخراطا، والنواظر على ما تصافح من الأنوار وتباشر؛ المؤدى من كل وصف حسن، المتبوع الأثر بما قرّض من المحامين وسن؛ الكالى ما تستحقق بعين كفاية لا يصالح أجفانها وسن؛ الأمين الذى ثريه أمانته متاع الدنيا قليلا، وتصبحه ناظرا عن تضاربتا كلبا؛ المؤثر دينه على دنياه؛ المطيع الذى لا يسئل العصبة عن هواه، المخلص النية فى الولاء و"لكلّ أمرى ما نواه" الناصح الذى يؤت ما يلبسه عن لباس الرّيب، البعيد عن مظان الظنون فلا تتطلع الأوهام منه على عيب غيب؛ النقي الساحة أن يفرس بها وصفه، التقي الذى لا تخدع يده عن التمسك ما أستطاع بحبل عصمه؛ المحنوم الحقوق بأن يستودع دهر الوفاء، المتوسل بموات توجب له الإيفاء على الأكفاء؛ المستقيم على مثل الظهيرة كهلا وإيفا، الشافع بنفسه لنفسه وكفى بالاستحقاق شافعا؛ وحسبك أنك حملت الأمانة وهى حفظ الكلب، وأطلق الله به لسانك فشفيت القلوب من الأوصاب، ووصل به سببك إلى رحمة يوم

تتقطع الأسباب ؛ وأصبح محلك في الدارين أهلاً أثيراً ؛ وكنت من قال الله فيه :
(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) .

وقد خالطت في مَوَاقِب أمير المؤمنين المعقبات التي من بين يديه ومن خلفه ،
وقربت من مجالسه المشتعلة منه على عُنْوَانِ عناية الله بالبرية ولطفه ، ونوره الذي
كلت اليَؤُونَ عن كشفه والحيل عن كسفه ؛ وتقدمت بخدمة الخلفاء الراشدين ،
أمراء المؤمنين ، إلى سوايق سبقت بها في كل مضمار ، وجمعت في المخالصة فيها
بين الإعلان والإضمار ؛ وسهر التجريب حائتك بصحائف خبره ، واستمرت بك
الحال في القرب منهم وفي تقلب الأحوال عبره ؛ وتدرجت في حُجُب القصور ،
وبدت لك الغايات لما كنت هنا ذا قُصور ؛ فكانت التقدمة لك مظنونة وبك
مضمونة ، وسريتك على الأسرار المصونة مأمونة ؛ وما أعوجت معالم إلا وكان
تقويمها بتقويمك ، ولا أصدت قِطْط حيلة نخاف الحق سبيل غيباً تهويناك ؛ وإن كل
قائل لا يملك من إصغاء أمير المؤمنين مائلك بتلاوة الذكر الحكيم ، ولا يسلك من قلبه
مائسلك بمنعجز حده العظيم ؛ فانت تخدم أمير المؤمنين بقلبك مؤالياً ، ولسانك
تالياً ، وببظرك مؤتماً ، وببيدك مخترباً ؛ لاجرم أنك حصنت مازرعت طيباً ، وسقائك
ما استمطرت صيباً ، وزفت لك الأيادي بكراً وثيباً ، وحللت بفقاع المنازل مستأنساً
إذا حل غيرك وهدأتها متبياً .

فأما حرمتك التي بَوَّأتك من الإختصاص حرماً ، وجعلتك بين الخواص صلباً ؛
وتوالى يدك بالمس ماحظي من الملابس بصحبة جسده الطاهر ، وأشتمل على زهر
النضار وزهر الجواهر ، فذلك جار مجرى السكة والدعوة في أنها أمانة تم العباد
والبلاد ، وهذه أمانة تحض النفوس والأجساد ؛ ولك مما في نزائنه وكالة التخيير

والتعير، وعن أغراضه الشريفة سفارة الإفراج والتغير؛ وهذه موث تجعل سماء
السماح لك دأمة الدائم، وتُسكن آمالك في حرم الكرم؛ وتعتقد بينك وبين السعادة
أوكد الذم، وتنتاضى لك جدود الجدة يقدم الخدم.

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه، الذي زهى الزمان به فتاه؛ ووزيره، الذي
عز به منبره وسيره، السيد الأجل أفضل الملوك قدرا، وأكثرهم قدرة، وأعظمهم
صبرا؛ وأدربهم نصرة، وأفيضهم جودا غمرا، وأكشفهم لغمة، وأمضاهم على الهول
صدرا، وأردهم لكزه، وأثبتهم جاشا وصيلل السيوف يحطب والمقاتل تسمع، وأوصحهم
في استحقاق المجد حجة شرعتها الزمان الشرع؛ وأركبهم في طاعة أمير المؤمنين
لمشقه، وأشدهم وطاة على من يحمده نوره وعق حقه؛ فالدنيا مبهتمة به عن نفور
الشور، والملك بكفائته بين ولي منصور وعدو محصور؛ فاسفرت سفارته عن أنك
من أمثل ودائع الصنائع وأكفاء الاستكفاء، وأعيان من يحقق اختيارهم وفضلهم
العيان، وأفاضل من هو أهل لإسداء الفواضل؛ وأن الصليحة ثوب عرك (٩) داره،
وجار قد عقد بين شركه وبينه جواره؛ وقرر لك تقديمه في الحضرة لأنك فارسيهم
أسما وفعلا، وأولم حين تتلو وحين تتلى؛ والنظر على المؤذنين بالقصور الزاهرة،
والمساجد الجامعة؛ وبالمشاهد الشريفة : لأن الأذان مقبلة بين يدي القرعان،
وأماره على معالم الإيمان؛ والنظر في تقيم ما يرد إلى الخزانة العالية الخاصة والعامة
من الملابس على اختلاف أصنافها، والأمتعة على اختلاف أوصافها؛ ومشاركة
خزانة القروش ليكل لك النظر في الكسوات التي تصان لللبوس، والكسوات التي
تبدل للجلوس؛ وتخزن بيت المال الخاص ليكل لك النظر في الذهب مصوصا
ومرقوما، وتخزن وتقويم؛ واستصوب أمير المؤمنين ماراه، وأمضى ما أمضاه؛
ونرج أمره إلى ديوان الإنشاء أن يكتب هذا السجل لك بذلك.

فأعريف قدر ما علق بك من أمور دين ودنيا، وخدم لا تقوى عليها إلا بلباس التقوى؛ وأنت قد أصبحت لجنات أنتم أمير المؤمنين رضوانا، وبذلك اللفظ إحسانه لسانا؛ وبإشرافك مستشعرا خشية الله في شرك وجهرك، متحققا أنه غالب على أمرك؛ مدبرا من الأعمال الصالحة ما يبقى عند فناء ذنرك، مستديما للنعمة بما يقيد بها من شرك، وما يصونها أن يُبتذل من شرك؛ طالما أن التقية حلية الإيمان، وصحان الإيمان، وزاد أهل الجنان إلى الجنان، بقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ .

وأخلص نيتك في خدمة أمير المؤمنين فمع الإخلاص الخالص، وأدله الأمانة فإن أداءها أطيّب القصص يوم القصاص؛ وقم في خدمته المقام المحمود، واستندم بها صعود ركاب السعد؛ فقد عرفت الله بركة النصيحة وعوائدها، وانجزت لك الآمال المنبسطة مواعيدها؛ واستشرف أحوال القراء فهم أحق قوم بالتهذيب، وزوم أساليب التأديب؛ فرب كان للآيات مرتلا، وللدراسة متبلا؛ وبأنواب الصلاح متمصا، وبخصائص الدين متخصضا؛ ولما في صدره بقلبه لا يلسانه حافظا، وعلى آداب ما حفظ تحافظا؛ فذلك الذي تُشافه تلاوته القلوب، وتروض بأنواء المدامع جُلبوب الذنوب؛ ومن كان دائم الإطالة في سفر البطالة، سارا لأنوار المعرفة بظلم الجهالة؛ فحق عليك أن تصرفه وتبيعه، وتجعل التوبة للعود موعده؛ وكذلك المؤذنون فهم أمناء الأوقات، ومتقاضون ديون الصلوات؛ ولا يصلح للتأذين إلا من كملت أوصاف مدالته، وأمنت أوصاف جهالته .

وأما الأمانة في الأموال التي وكلت إلى خزك وختمك، والأمانة التي وكلت إلى تقويمك وحكمك؛ فإن تودى بسُلوك أخلاقك وهي الأمانة، وأتباع طباعك

وهي الإباء لحياته ؛ وأن تستمر على وتيرتك ، ومشكور سيرتك ؛ ومشهور سيرتك ،
ومُنير بصيرتك ؛ وأن لا تُؤتى من هوى تَبَّعه ، ولا حيف تبتدعه ، ولا قوًى تَخْذَع له ،
ولا ضعيف تَحْذَع به ، ولا من محابة وإن أحببت ، ولا من مُدَاجاة كيفما تَقَلَّبْتَ ؛
وأذكر ما يُثَلِّ من آيات الله في مثلها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾
والله يتولى توفيقك وتوفيقك ، ويُديم [على] ما يُحِبُّ تصرفك ؛ إن شاء الله تعالى .
ومنها - ما كتب به القاضى الفاضل أيضا ، وهى :

من عبد الله وولَّيه (إلى آخره) .

أما بعد ، فإن رُتَبَ الولايات متفاوتة الأقدار ، متباينة الأخطار ؛ وكلُّ شَيْءٍ منها
عند أمير المؤمنين بمقدار ؛ ولها رجال مَشْرِفُو الأقدار ، وعَاطَلُا بحضرته مقدرة تقدير
منازل الأقباء ؛ وعَاطَلُ الأولياء بمقامه عَالُ الأَهْلَةِ تَنْقَلُّ بين أوّل النَّاء إلى آتِواء
الإبداء ؛ وَمِنْ أَمِيزِها قدرا ، وأَحَقُّها بأن يكونَ صدرا ، وأن يَشْرَحَ لمن حلَّه صدرا ،
وأن يَسْوَقَ إليه الخاطبُ من استحقاقه مهرا ؛ ولاية مدينة مصر : لأنها المجاورة للحل .
الخلافه ، وكلُّ مَصِيرٍ بالنسبة إليها معها بالإضافة ؛ وهى خِطَّةُ النَّيْلِ ، وفُرْضَةُ المَنِيْلِ ؛
وبها إذا هجمت الخُطُوبُ المَنِيْلُ ، ومنها من عَثَرَتِ الأيامُ المَقِيْلُ ؛ ومنها تُؤَسِّسُ
أنوارُ الإمامة على أنها تتَوَحَّحُ بغير التَّامِيْلِ وبِذَةِ التَّامِيْلِ ، ولا يُؤْهَلُ لولايتها إلا كل
حاملٍ لِعَيْنِها التَّعْيِلُ ؛ ولا تَسْتَدُّ الخُدْمَةُ فيها إلا لكل مُثَرٍّ من ذخائر السياسة غير فقير
ولا مُقِلٍّ ، ولا يَتَوَقَّلُ رُتْبَتِها إلا من تكونُ به الرُتْبُ مُنيرة ومحاسنه لا تَمَلُّ بما يَمِلُّ ؛
ولا يَمْتَنِي صَهْوَتِها إلا من لا يَطْأُطِي للأطاع عِزَّةَ نزاهته ولا يَدُلُّ ، ولا يَرْتَقِي درجتها
إلا من يَهْدِي بأعلام الديانة التى لا تُفْضَلُ ، ولا يَفْهَمُ سِيَّئُها إلا من يَطْوِي مَطَالِمَ
الرَّجِيَةِ طَى الكِتَابِ لِلسَّجَلِ .

ولما كنت أيها الأمير من توقدت هذه الأوصاف فيه توقدت النار في ذرى علمها ،
وأوجد معاني معاليها وأقننها من إसार عديمها ؛ وأرتقي إلى هضبات الرئاسة المنيعه
بما جعل خلاله المسلم فضلكا مثل سبها ، وناولته الدراية عنائى سيفها وقليها ؛
وشهدت الأيام بتقدم قدمه في مراتبها وقديمها ، وأمنت الصواب أن يتبع أفعاله
إذا أمضاها بعيد (؟) بذمها ؛ وكتبت أقلام رماحه سطور الطعن في صدور العدا
مستمده من دمها ؛ وتجمش مشقات المعالي فأثرته تعفى راحة يجسمها ؛ واجتمعت
فيه صفات المحاسن المتفرقة ففضى عليها بتجسيمها ؛ وتصدر الدرجات المحصنة
من مطالع الحاضر لحظه من رقتها ونسيمها ؛ وتعرضت ذخائر الحمد لما في طبعه
من اقتناصها وتعيمها ؛ وقزت عين المنازل فأزوت وجه إقبالها ولا بسطت راحة
تظلمها ، وأثنت إليه عقائلها المصونة لما ثنت دون دياره عنائ تلومها ؛ وأثرك
في كل ولاية مشكور ، وسعيتك في كل غاية غير مقصور ؛ وغناؤك في المهمات
معد مذخور ، ومساجلك عن أسير ما وصلت إليه مدفوع مذخور ؛ وليل شبابك
بالكوكب الدرى من صولتك منخور ، وأفعالك أفعال من لا يحوز غير محرز كسب
الأجور ، وخلالك خلال من أنتظم في سلك الذين يرجون تجارة لن تبور .

وقد سلقت لك خدم تصرقت فيها وتدرجت ، وعرفت بطهر الذكر من رعيها
وتأرجت ؛ وتحوت من الأوزار على ما يوقع ذنبك وتحرجت ؛ وجرى على أجل
عاده ، وأقتضيت عند آتضاء شأو الإبداء استئناف شأو الإعادة . ومثل بحضرة
أمير المؤمنين لسان أمره ، وميف زجره ، السيد الأجل الذى قام بما استكفاه .
فاحسن وحسن ، وصان حمى الملك فأحصن وحصن ؛ وجاد بنفسه في سبيل الله
فما ضن ، وكان مكان ما أمل عند أصحابه وفوق ما ظن ؛ وسدد قصوده ، فركت
سهاها وما مرقت عن طاعته ، وأطلع سعوده ، فانارت نجومها لأوليائه ورجوما لأهل

خلاف خلافته ، وأطلقت أحكام عدل الله في خلق الله أحكام مراعاته وسيف
 إخافه ؛ فالدنيا بمن آياته عن ماخذ السراء ، وطلقاء الجود بما عملته يده من
 قيود الإحسان في عداد الأسراء ؛ ورضا أمير المؤمنين عنه كافل له بأن يرضى الله
 في الأعداء ، وملوك الأرض إن فليت السماء (٩) طيبة أنفسهم له بالفداء ؛ والدنيا متأرجة
 بطيب خبره ، والعلواء متبرجة بحسن نظره ؛ وبحار التدبير لا تفارق زبد أمواجها
 إلا بفانرجوهره ، وقوانين السياسة لا توجد مستندة إلا عن اتباع أثره ؛ ولاحظ
 محاربه إلا سلمه بعثاره وتسلمه بعثيره ، فافتح عليك بحضرته وإصفا ، وفتح إليك
 عيناً عنايته عاطفا ، ورأى قلبك ولايتها مغربا باستحقاقك طارفا - نرج أمر
 أمير المؤمنين إليه بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بتقليدك
 ولاية المعونة والحسبة بمدينة مصر والحجة والقرافة ، إنافة بك عن النظراء ، وإبانه
 عمالك من جميل الآراء ؛ وتطرية لحظك بما حصل به من الإطراء ، ورعاية
 لما لك من الانتهاء إلى أقصى غايات الإحسان والإجراء ، وإيجاباً لما تتوسل به
 من المتأ ، وذخائر الغناء والإثراء ، وإشادة لقدرك الذي أشاده ما أنت عليه من
 الإيواء إلى ظل النزاهة والاسمياء .

تفضل ما قلته من هذه الخلمه ، وأرقل بما صفا عليك من ملابس هذه النعمة
 وبما صفا لديك من موارد هذه الجبه ؛ وقدم تقوى الله أمامك ، وأتبسح وصيتها
 التي استعمل الله بها إمامك ؛ فيها النجاة مضمونه ، والرحمة متيقنة لا مظنونه ؛ قال
 الله سبحانه في كتابه المكنون : (وَبِحَبِّ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا لَا يُمْسَهُمُ السُّوءُ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

وأعتمد المساواة بين الناس فيما هو حكم ، والنظر بالعدل في كل ما هو ظلم ؛
 ولا تجعل بين الغنى والفقر في الحق فرقا ، وأسلك فيهم طريقا واحدا فقد ضل

مَنْ سَلَكَ فِيهِمْ طَرَفًا؛ وَاشْتَمَلَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِطَمَأْنِينَةٍ تَنِيمُ الْأَخْيَارَ وَتُوقِظُ الْأَشْرَارَ،
وَأَمْنِيَّةً تَسَاوِي فِيهَا بَيْنَ ظِلَامِ اللَّيْلِ وَنُورِ النَّهَارِ: لَتَكُونَ وَلَايَتُكَ لَهُمْ مَوْسِمًا، وَمَوْرِدًا
لِتُغَوِّرَ الْأَمْرَ مَبْسِمًا؛ وَأَنْصَفَ الْمَظْلُومَ وَأَقْفَعَ الظَّالِمَ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ زَعِيمًا بِمَجَاتِهَا فَالْزَعِيمُ
لَهَا غَايِمٌ؛ وَأَنَّهُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَحَسْبُكَ
أَنْ تُعَرِّفَ بِهِ وَتُدَكِّرَ؛ وَخُذْ فِي الْحُدُودِ بِالْإِعْتِرَافِ أَوْ الشَّهَادَةِ، وَلَا تَسْتَعِدِّ حُدُودًا بِنَقْصِ
وَلَا زِيَادَةٍ؛ وَكَيْفًا تَقِيمُهَا بِالْبَيِّنَاتِ، فَكَذَلِكَ تَدْرُؤُهَا بِالشُّبُهَاتِ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ وَوُجُوهِهَا، وَكُلِّ سَامِي الْأَقْدَارِ نَبِيهَا؛ وَأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ،
وَالْمَعْدُودِينَ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْأَعْلَامِ، وَالْمَعْلُومِينَ الَّذِينَ هُمْ مَقَاطِعُ الْأَحْكَامِ، وَالتَّجَارِ
الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَيْثُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالزَّعِيَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ قِيَامُ الْعَيْشِ فِي الْأَيَّامِ؛ مَنْ يَلْزِمُكَ
أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مُكْرِمًا، وَلِإِيَالَتِهِمْ مُحْكِمًا، وَمَنْ ظَلَمَهُمْ مَتَحَرِّجًا مَتَأْتِمًا، وَلِسَانُهُمْ
فِي الشُّكْرِ عَنْ لِسَانِكَ مَتَكَلِّمًا؛ وَإِلَى قُلُوبِهِمْ بِجَهْلِ السَّيِّئَةِ مَتَعَجِّبًا، وَلِكَسَاخِطِهِمْ - مَا لَمْ
تُسَخِّطِ اللَّهَ - مَتَعَجِّبًا. وَأَشْدُّ مِنَ الْمُسْتَخْذِينَ بِيَابِ الْحِكْمِ فِي إِشْطَافِ مَنْ يَتَقَادَمُ
عَنِ الْحَاضِرِ مَعَ خُصْمِهِ، وَيَتَّبِعُ حَكْمَ جَهْلِهِ فَيُخْرِجُ عَنْ قَضِيَّةِ الشَّرْعِ وَحُكْمِهِ؛
وَأَوْعِزُّ إِلَى أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ بِإِطْلَاعِكَ عَلَى الْحَقَائِقِ، وَإِبَانَةِ كُلِّ مُسْتَوْرٍ مِنَ الْقَضَايَا؛
وَأَنْ يَتَّقِظُوا لَسَكَّاتِ اللَّيْلِ وَغَفَلَاتِ النَّهَارِ، وَخُلُومِ فِي اللَّيْلِ بِمَا أَلْتَمَوْهُ مِنَ الْحَرَسِ
مِنْ مَكَائِدِ الْأَصْوَصِ وَالنُّوَارِ، وَأَيُّظُهُمْ لِأَنْ يَتَّقِظُوا نَوْمًا أَجْنَتِي ثَمَرُ الْأَمْنِ
مِنْ غَرَسِ الْحِذَارِ؛ وَإِذَا ظَفِرَتْ بِيَانُ قَدِ أَوْبَقِهِ عَمَلُهُ، وَطَمَحَ إِلَى الْفَسَادِ أَمَلُهُ،
فَأَجْمَعْ لَهُ بَيْنَ التَّنْكِيلِ وَالتَّوَكُّلِ، أَوْذَى رِيْبَةٍ إِنْ زَادَ رِيْبَةً بِالْحُسْنِ الطَّوِيلِ،
وَالْإِفْطَالِ بِأَمْرِهِ إِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْقَبِيلِ. وَوَاوِصِلِ التَّطَوُّافَ فِي الْعَدَدِ الْوَافِرِ،
وَالسَّلَاحِ الظَّاهِرِ، فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا، وَعَمَّرْ بَيْتَكَ سَائِرَ أَرْجَائِهَا وَأَكْنَافِهَا.
وَأَنْظُرْ فِي الْحَسْبَةِ نَظَرَ مَنْ يَحْتَسِبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَأَبْقَى؛ وَمَنْ يَرْضَى فِي الْأَجْرِ

ويعرض عن شعار لباس التوبه واللبس . وأمنع أن يتخلو رجل بأمرأة ليست بذات محرم : لتكون قد سلمت وسلمت من شبهتي المَطْمَع والمَطْمَع . واستوضح آلات المعاملات ، وغيرها فيها تحف الموازين أو ترجح (يوم تبذل الأرض غير الأرض والسموات) . واعتيد في تهذيبها وتصويبها ما تحسن فيه للسعي والتحسين ، لأنك تكف أحدهما عن عمل المتهافت وعن المهوب المعن .

وتقدم بنقض الأذى عن جادة الطريق ، وأنه أن تحمل دابة أكثر مما يطيق ؛ وتفقد الجوامع والمساجد بالتنظيف إبانة بجمالها ، وصيانته من ابتذالها ؛ ولا تمكن أحدا أن يحضرها إلا مؤدياً للقرض أو منتظراً أو متطوعاً ، أو عالم أو متعلماً أو مستمعاً ؛ فإنها أسواق الآخرة ، ومنازل التقوى العاخرة ؛ وأجر الأمور على عاداتها ، وأستريد في طاراتها ومشكلاتها ؛ فأعلم هذا وأعمل به . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بحيل بولاية قاض بنصر الإسكندرية ، من إنشاء القاضي الفاضل ، من هذه الرتبة ، وهي :

من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعد ، فالحمد لله الذي نشر راية التوحيد وأعز ملة الإسلام ، وهدي بركمه من أتبع رضوانه سبيل السلام ؛ رافع منار الشرع وحافظ نظامه ، ومجزل الثواب لمن عمل بأمره في تحليل حلاله وتحريم حرامه ؛ وسبع كل شيء رحمة وعلماً ، وسأوى بين الخليفة فيما كان حكماً ، وقال جل من قائل في كتابه العزيز : (وَمَنْ يَمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا) . سبحانه من خالق لم يكن رعوفاً بريئته ، عادلاً في أفضيته ، مضاعفاً أجر من خشيه وعمل بغيره ، موفراً ذلك له يوم يود الأجر لو يفتدى من عذاب يومئذ بيته وصاحبه وأخيه وقصيلته .

يحمده أمير المؤمنين أن أفاض عليه أنواراً إلهية، وتعبّد البرية بأن جعلها بطاعته مأمورة وعن مخالفته منهيّة؛ واستخلف منه على الخليقة القوى الأمين، وآتاه مالم يؤت أحدًا من العالمين؛ ويسأله أن يصلي على جدّه الذي عم إرساله بالرحمة، وكشف بمبعثه كلّ غمّه، وجعل شرعه خيرَ شرع وأتمّه خيرَ أمّه؛ فأحيا من الإيمان ما كان ريمًا، وهدى بالإسلام صراطًا مستقيمًا، وخاطبه الله فيما أنزل عليه بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ وعلى أئمة أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذي وقرّاه نصيبه من العلم والحكمة، وجعل خلافته في أرضه لا تخرج عن ذريته الهداة الأئمة؛ وعلى آلهما الأقطار، وصرفتهما السادة الأبرار، الذين ولأوهم يحظى بالجنة ومحبّتهم تنجي من النار؛ وسلم عليهم أجمعين [سلامًا] باقياً إلى يوم الدين.

وإن أمير المؤمنين لمّا أفرد الله به من المآثر، وتوحّد به من المناقب والمفانير، وخصّه بشرفه من الإحسان إلى أوليائه بالإتمام إليهم في الدنيا والشفاعة لهم في اليوم الآخر - يرتاد لجلال الخلد من يسار إليه ويومئ، ويختار لتوليها من يكون باقها لها ناهضاً وبأعبائها قشوماً؛ ويسند أمرها إلى من لا يتأرّى في سؤدده ولا يختلف في فضله، ويمدق شؤنها بمن صدقت الرئاسة به وبأسلافه من قبله؛ فيكون إذا شرف بها عرّف منزلتها ومحلّها، ووقع الاتفاق على التمثل بقوله: ﴿وَكَاوْنَا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

ولما كنت أيها القاضي المكي من البيت الذي أشتهر قدره، وأرتفع ذكره، وحلّت رتبته، بأوصاف كلّ من أهله في قوله وفعله؛ وتردّت رياسته، في عدد كبير لإعهد للرياسة بالتردّد في مثله؛ وكانت لك ولن مضى من أسلافك آثار في الخلد خلّدت لكم مجدداً بقي، وأقوت من الحديث به مالا يسمو إليه النسيان ولا يرقى؛

فكل ماتولونه متجمل بكم ولا يُريد معكم زياده، وكل مايتمد فيه عليكم قد نال مطلوبه وبلغ البغية والإرادة ؛ والذي يخرج عن نظركم يتلف عليكم حينئذ إليكم وأشقياقا، وإن رد إليكم يال تشبها بكم وتمسكا واعتلاقا.

هذا إلى مالكم من الحرمات المرحيه، والموات التي ليست بملسيه. والسيد الأجل الأفضل الذي حسبته من المغائر قيامه بحق الله لما غفل الملوك عنه وقعدوا، واستيقاظه بمفرده حين ناموا دون استغلاصه مما عراه ورقدوا؛ وإن انتصابه آية أظهرها الله لله، وحسم بها في رفع منار الدين كلِّ علّه؛ فإذا أنفقت الأعمار في [بيان] أوصافه كانت جديرة بذلك حريه، وإذا ذكرت آثاره في الإسلام كان العلم بكرمها لاحقا بالعلوم الضرورية؛ فسا ينسب المتوسع في التقريظ له إلى تنال، ولا تضييع وقت يقضى في آهتاي بالثناء على مناقبه وأشتغال - يواصل الثناء عليك والشكر لك، ويتابع من ذلك ما إذا ذكر اليسير منه شركك وبجلك؛ ويصف ما كان لأخيك القاضي المكين - رحمه الله - من الاجتهاد في المناصحات، ومن الأفعال الحسنه والأعمال الصالحات، ومن الوجاهة التي أحلتها مكانا متجاوزا غاية الآمال الطامحات، مارفعه عن طبقات كثير من سادات الناس، وجعل حاسديه في راحة لما شملهم من دمة الياس. وإنك أيها القاضي المكين، الأشرف الأمين؛ قد بلغت مداه في الجلاله، وورثت مجده لا عن كلاله؛ وحويت فضله ونفخه، وقفوت أثره وأحييت ذكره؛ وحزت خلاله الجميله وأفعاله الرضيه، وحصلت الفضيلتين الذاتية والعرضيه؛ ولذلك تقورت ثنوتك «القاضي المكين» لاستيجابك فيما تقضى به جزيل الثواب، ولتمكن أفعالك في محل الصواب؛ و «الأشرف الأمين» لشرف نفسك، وكون أمانتك في حاضر يومك على ما كانت في ماضى أمسك؛ و «تأج الأحكام» لأن ما يصدر منها سامى المنهاج، وقد أرتفع محله كما

أرتفع محلّ التاج ؛ و « جمال الحُكَّام » لأنك لما وليت ماؤلوا ، جعلتهم إذ فعلت من الواجب فوق ما فعلوا ؛ و « عمدة الدين » لأن من كان مثلك ركن إلى الدين وأستند ، وتوكأ على جانبه وأستمد ؛ و « عمدة أمير المؤمنين » لأنك ذخيرة لدولته ، ونعم البقية الصالحة لملكته .

ومعلوم أن نعر الإسكندرية - حماه الله تعالى - الثغر الرفيع المقدار ، الذي هو قرة العين للإسلام وقُدَى في عيون الكُفَّار ؛ ومحلّه مما تتطامن له معاقل التوحيد وحُصُونُهُ ، وهو مشتمل من الفقهاء والصلحاء والمرابطين وأهل الدين على من لم يزل يحفظه ويصونه ؛ وإليه تتنازل ^(١) السفار ، وتردّد التجار ؛ وهو المقصود من الإفطار القصبة النائية ، ومن البلاد القريبة الدانية ؛ وما زالت أحواله جارية بنظرك على أحسن الأوضاع وأفضلها ، وأوفى القضايا وأكملها ؛ وما كان استخدام خيرك فيه إلا ليظهر إشراف شمسك ، وليزول الشك في تبرّكك على جنسك ، وليتبين فضل مباشرتك وتوكلك على أن ذلك لم يكن مكتماً ، وليتحقق أن عقد صلاحه لا يكون بتولى خيرك متساقاً ولا متتظلاً .

وقد رأى أمير المؤمنين إضياء مآراه السيد الأجل الأفضل من إقرارك على الحكم والقضاء : لأطلاك من ذلك على سرّه ، وفناذك في جميع أمره ؛ ونظرك به ودربك ، ولأستقلالك ومضائك ومعرفتك ؛ وإنك إذا استمرت على عادتك ، غيّبت عن تجسيد وصيتك ؛ فتأد على سنتك ، ولا تخرج عن سبيلك ومحجّتك ؛ وأنت تعلم أن الشهود بهم يُعطى الحُكَّام ويمنعون ، وبأقوالهم يفسلون ويقطعون ؛ وبشهاداتهم تثبت الظلمات وتبطل ، وعليها يعتمد في انتزاع الحقوق من يدايع ويمطّل ؛ فواجب أن يكونوا من أقمياء الورى ، ومن لا يتبع الهوى ؛ فاستشف

(١) أى تصب وزد عليه كثيراً انظر اللسان والقاموس .

أحوالهم ، وأسْتَوْخِجْ أمورهم وأفعالهم ؛ فمن كان بهذه الصفة فأجره على عادته في استماع مقالته ، ومن كان بخلافه فقيف الأمر على عدالته ، وأحْسِمِ مَادَّةَ الضَّرْفِ في قبول شهادته ؛ وقد جعل لك ذلك من غير استئذان عليه ، ولا اعتراض لك فيه ؛ ولا تُقَرِّبْ أَحَدًا من رُتْبَةِ الْعَدَالَةِ ، وأرفعها بإزالة الأطلاع فيها عن الإهانة والإذالة ؛ وأغضضْ من أبصار المتطلعين إليها ، والمتوثبين عليها ، بالتطأرجح على الجهات ، والتماسها بالعنايات التي هي من أقوى الشُّبُهَاتِ ؛ وإن ورد إليك توقيعٌ وتركيبٌ من الباب فأصدره [في] مُطالعتك ليُحِيطَ العلمُ به ، ويُخْرِجَ إليك من الأمر ما فَعَّلَ على حِسِّهِ ؛ وأفضل في دار الضَّربِ وأحوال المستخدمين والمتصرفين على ما أنت به العالمُ البصير ، والعارفُ الخبير .

وقد جعل لك إضافةً إلى ذلك النظر في أمرٍ جميع هذا الثَّغر المحروس وأُسْنِدِ إليك ووَكِّلْ إلى صائب تدبيرك ، وإلى حُسن تهذيبك ؛ وإلى بركة سياستك ، وإلى عملك فيه بمقتضى دِيانتِكَ ؛ وصار جميع المستخدمين به من قبلك متصرفين ، ولأوامرك متوَكِّفين ، وعند ما تحبُّه وأقفين ، ولرأسمك متابعين غير مخالفين ؛ فمن أحمده منهم وعلمت نهضته فأجره على عادته ورسمه ، ومن كان بخلاف ذلك فاستبدل به وأُخِّ من الخدمة ذكر اسمه ؛ فلا يد مع يديك ، ولا عُلوٌّ عن مقصدك ؛ والاستخدامُ في هذا الأمر قد أُسْنِدَ إليك ورُدَّ ، وكونه من جهة غيرك أغلق بابه وسُدَّ ، فلا تصرف فيه إلا لمن صرَّفته ، ولا خدمة إلا لمن استخدمته .

وتأكَّد القول عليك لا يزيلك حرصاً ، والمعرفة بهمتك وخبرتك تُثَبِّتُكَ عن أن توصي ؛ والذي تقمُّ ذكره في هذا السِجِّلِ إرهاب لحدِّك ، وإعلاء لحدِّك ، وإطلاع لكوكب سعدك ؛ والله يتولَّى تأييدك وتوفيقك ، ويوضح إلى الخبير سبيلك وطريقك ؛

فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر بأمر خدمتك ، وما تختاج إلى عمله في جهتك . إن شاء الله عز وجل .



وأما السجلات المكتبة بالوظائف الديوانية ، فكما كتب به بعض كتابهم بولاية ديوان المرتجع :

لستى الدولة وجلالها ، ذى الراستين ، أبى المنجى سليمان بن سهل بن عمران .
أما بعد ، فإنه من حسنت آثاره في مناصحات الأئمة الخلفاء ، وأرتفع عمله في طاعتهم عن الأنظار والأمثال والأكفاء ، وظهرت بركات أفعاله فيما يتولاه ظهور الشمس ليس بها من خفاء ، وبأهى بتديره كل ما يباشره من أمر خطير قدره ، وأستدعت من البناء والإطراء ما يتأرجح نشره ويتضوق ذكره ، وتسأوى عنده القول والعمل ونافس فيه أنجبر الخبر ، وربته مرتبة مقدما على من مضى من طبقته ونجبه ، ووسم الأعمال بسمات في المائر تضاف إليه وتنسب ، وغدت الخلد ترضى به وتنجب ، وهو لا يرضى ولا ينظر ولا ينجب - كان رد الميهمات إليه حسن نظرها ، وإذا حطرت جلالة توليها على غيره أضحى نفاذه منتهجا له محلها ، وكان التنويه به حقا من حقوقه وواجبا من واجباته ، والمبالغة في تكريمه وتفخيمه مما يتعين الانتهاء فيه إلى أقصى آماده وأبعد غاياته .

ولما كنت في متولى الدواوين ، مشهور الشأن والقدر ، وحالا من مراتب الكفاة المقسمين ، في حقيقة الصدر ، إن أنتظموأ عقدا كنت فيه الواسطة ، وإن قسط غيرك على معامل لم تكن أفعالك قاسطه ، ولك السيامسة التى ظلت ساحاتها رحابا ،

والرياسة التي من وصفك بها فما تملق ولا داجي ولا حاجي؛ والصناعة البارة التي تشهد بها الطروس والبراع ؛ والأمانة الوافية التي أرتفع فيها الخلاف ووقع عليها الإجماع ؛ والتصرف في أنواع الكتابة على تباين ضروبها ؛ والاستيلاء على ظاهرها ومستورها وواحيها ومكتومها ، والأخذ لها عن أهل بيتك الذين لم يزالوا فيها عربيقين ، ولم ينفكوا في مداها سابقين غير ملحوقين ؛ وقد زدت عليهم بما حُرته بهمك ، ولتته بقرحتك ؛ حتى بلغت منها ذروة شاذة عليه ، وحصلت فضيلتين فضيلة ذاتية وفضيلة عرضية ؛ وأمنت من يباريك ويساجلك ، وكفيت من يناولك ويطاورك ؛ وكان الديوان المُرْتَجِع عن بهرام وغيره من أجل الدواوين وأوقافها ، وأحقها بالتقديم وأولها : لأنه يستعمل على نواحي مختاره ، ويحتوى على ضياع مكنوفة بالعاره ؛ وقد زاده ميزة على غيره كونك ناظراً فيه ، وأنتك مدبر أمره ومستوفيه .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين قتاه ووزيره السيد الأجل الأفاضل الذي عز بحسن سيرته الملك وتضاعف بهاؤه ، وصحنت مصالح الأمور تديراته وأراؤه ؛ وظلت شؤون الدولة بما يقتره منتظمة مستقيمة ، وغدت الميامن والسعود خيمة في داره مقيمة ؛ وأتقنت على الثناء عليه مختلفات الأقوال ، وقضت مهابته بحماية النفوس وصيانة الأموال . وفاوضه في أمر هذا الديوان فافاض في وصفك وشكرك ، وأطنب في تقريرك وإجمال ذكرك ؛ ونبه على الخط في توليك إياه ، وواصل من مدحك بما يتضوق عرفه ويطيب رياه ؛ وقدر لك من توليه ما يصل سبب الخيرات بسببه ، وميزك بما لم يطمع أحد من كافة متولى الدواوين به ؛ فلم يجعل فيه يدًا مع يدك ، ولا نظراً لالك بمفردك ؛ فلا يرفع [أحد] شيئاً إلى غير ديوانك من حساب ما يجري في أعماله ، ولا معاملة لبيت المال إلا معك فيما يحل من أمواله . فامضى

أمير المؤمنين ذلك وأمر به ، ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الديوان المرتجع المذكور : ثقة بأنك تأتي فيه على الإراده ، وتنتأى للبلوغ الغرض وزياده .

فاستخير الله تعالى وياشر أموره بملك المهود ، وثمر عن ساق عزمك المشهود وسعيك المحمود ، وأجر على رسمك في العمل بما يحفظ أوضاعه ، ويُرعى آرتفاعه ، ويُرعى حلقه ، ويُغزى مادته ؛ فاعتقد مواصلة الليل والنهار في مصالحه فرضاً إذا اعتقدها غيرك قفلاً ، وأجعل اجتهدك لاستخراج أمواله وكُن عليها إلى أن تصل إلى بيت المال قفلاً ؛ واستنظف ما فيه من تقاوي وباق ، وأفضل في تديره ما يجرى أموره على الوفاق ؛ واستغنم من الكُتاب من تحمده وترضيه ، ونصهم إلى الأفعال التي تستدعي شكرك لهم وتقضيه ؛ ولا تسوغ لضايمي ولا عامل أن يقهر في العماره ، واعتمد من ذلك ما يكون على كفايتك أوضح دلالة وأصح أماره .

وقد أمر أمير المؤمنين أن تجرى الحال على ما كانت عليه من دخول ذلك وبيعه بغير مكس في جميع الأعمال ؛ وأزاح مع ذلك حلقك بسط يدك وإفاد أمرك وإمضاء قولك ، وإفرادك بالنظر من غير أن يكون لأحد من متولى الدواوين على اختلافهم نظر معك ؛ فتأد في حسن تديره على سنتك ، ولا تخرج عن مذهبك وطريقك ؛ والله يوفقك ويُسدلك ، ويُعينك ويعضدك ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله عز وجل .

المرتبة الثالثة

(من المذهب الأول من سجلات ولايات الفاطميين أن تفتتح
 بالتصدير أيضا ، وهو « من عبد الله ووليه » إلى آخر التصليبة على
 النبي صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين على رضى الله عنه ؛ ثم يُؤتى بالعبدية ،
 لكن من غير تمجيد ، بل يقال : « أما بعدُ فإنَّ أولى » أو « إنَّ أحق »
 ونحو ذلك ؛ ويذكر مناقب المولى ثم يأتى بالوصايا)
 وأعلم أنَّ هذه المرتبة من السجلات يشترك فيها أرباب السيوف وأرباب الأقاليم
 من أصحاب الوظائف الدينية والوظائف الدنيوية .
 فاما سجلات أرباب السيوف فكأصحاب زُمام طوائف الرجال ، يعنى التقدمة
 عليهم والولايات ونحو ذلك ، على ماسياتى ذكره إن شاء الله تعالى .
 وهذه نسخ ولايات لأرباب السيوف بالحضرة من هذه المرتبة .
 نسخة سجل بزم طائفة ، من إنشاء القاضى الفاضل ، وهى :
 من عبد الله ووليه (إلى آخره) .

أما بعدُ ، فإنَّ أمير المؤمنين يضطلع من يرتضيه لتأليف عبيده وصنهم ، ويستوقفه
 للنظر فى تقديم رجال مملكته وزمهم ، ويختار من يَحْتَبِيهِ لإحراز مدحهم بالبعد
 من مُوجِبَاتِ ذَمِّهم ، ولا يُؤهل لذلك إلا من توسل بالفناء وتقرب ، واستقل بالأعباء
 وتدرَّب ، وأطلق حدَّه التوفيق ففضى وتدرَّب ، وأودع الإحسان فما زایل محله
 ولا تقرب ، ولا بس الأمور ملابسة من فعلن وجرب ؛ وقد أيد الله دولته بفتاه
 وأمينه ، وعقده وثمينه ؛ السيد الأجل الذى غدت آراؤه للصالح كوافل ، وأدكى
 للتدبير عيون حرم غير ملتفات عنه ولا غوافل ؛ وأطلع من السعد نجومًا غير غوارب

ولا أوافل، وقام بفرائض النصائح قياماً لم يُخَوِّز فيها رُخَصَ النوافل، وتحدثت بأفعاله رِمَاحُه في المحافل فما راعت الجحافل .

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين أجمل ذكره وإطابه ، وقصد بك غرض الإصطناع فأصابه ، واستحضر لك الإنعام القَدَق السحاب فأجابه ، ووصف ما أنت عليه من شُهامة شُهِدت وشُهِرت ، وصرامة تظاهرت وظُهِرت ، وكفاية برعت وفَرَعَت ، ونزاهة استودعت الأمانة فَرَعَت ، ومناجحة أنفردت بوصفها ، ونحلت واسطة عقد صفها ، وجهاد لم يزل به القرآن مغنياً ، والصعب المقاد مُدْعِناً . وانحطَب عابياً (؟) في قيادها مدعياً ، وقزر لك الاستخدام في زَم الطائفة فامضى تقريره ، واستصاب تدبيره ، ونخرج أمره إليه بأن يُوعِزَ إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل وإيداعه ماتهدى به ، وتعمل بتأديبه .

فتقلد ماقلدته من ذلك حاملاً بالثقة فإنها الجمعة والمحبة ، والجنة والجنة ، والمدد السليم ، والمربح القويم ، والنعمة والنعيم ، بقول الله سبحانه في كتابه الحكيم : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ .

فانهض بشروط هذا الزم نهوضاً يؤدي عنك من النصح مفروضاً ، ويعمل لك كل يوم كتاب شكر مفوضاً ؛ وُسْ هذه الطائفة بما يؤليها دواعي الوفاق ، ويخيمها من عوادي الافتراق ؛ وأجهد في منافعها مجتلياً ، ولأخلاف درهاً غُتلياً ؛ وأتصّب لا مستشفاف أحوالهم وتمهلها ، وملاحظة أفعالهم وتقفلها ؛ فمن ألفتها إلى فرائض الخدمة مُسرّاً ، وبمواظفها متطوعاً ، وبكرمه عما يئسبه مترفعاً ؛ شغلت بصيرته بالتكريمه ، ورشحت همته للتقديمه ؛ ومن وجدته لتلك الصفات الزائنة مُحالماً ، وللصفات الشائنة مؤالفاً ، ولنفسه عما يرضها صارفاً ؛ قومت أوده وتقفته ، وأشرفت به على منهج الصراط ووقفته ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سيجل بولاية الفسطاط المعبر عنها بمصر على نحو ما تقدم في ولاية القاهرة، وهي :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لما خص الله به آراءه من التأييد الذي يستد
 سهامها ، ويُجزل من التوفيق سهامها ؛ وأطلق به يده من أيادٍ تسبق أماد الآمال
 هو تكاثر أوهامها ، وألّس الدين ببقائه من مهابة تصير قلوب أعدائه مهامها ؛ وميز به
 عصره من خصائص نصر لأتطيل الأيام استيفهاها ولا تخشى استيفهاها ، ويسره
 من نبيا دعوته التي طبقت أنجاد الأرض وتيامها ، ورقاه من محل أمانة الإمامة
 التي لا يظهر أرباب الأبواب على أسرار الله ولا آتمها ؛ وناطه بتدبيره من إيالة
 البرية والاعتناء بمصالحها ، وأصابه من مر أشد اليقين التي تستضيء العقول بمصالحها ؛
 وأتى به الأنفس الصالحة من تقواها ، وصرف بها صرفه على لسانه من الحكم عنها
 مضار الشبه وطواها ، وألبسه من هدى النبوة التي قرب الله إسناده من رآها وقضل
 من رواها - يستغزى مواد التوفيق من خالقه بنصحه في الخلائق ، ويقدم الاستخارة
 بين يدي أفعاله فهي به أملاك الخلال وأخص الخلائق ؛ ويتمتع للقيام بتكاليف
 الاستعاض ، ويختار لتقويم المياد من أشهر النديرو جبر المنهاض ؛ ويقدم لجبار الولايات
 وعوالياها ، وخصائص الرتب وغواليها ، من تكافأت في استيعاب المحاسن خلالها ،
 وخطب الخدم المتكثرة لأولى الحظوظ استيفلاها ، وعلم استبداده بطيب الذكر
 وأمن انفصالة ، وأوى إلى جنة مريمة وجنة منيعة من الولاء والحفنة ظلالة ،
 واستقام على عجة واضحة من المخالصة ولم يحف زينه ولا ضلاله ، ومضت ضرائبه
 في المهمات مضاء الحسام الذي لا يلبو حده ولا يثبث آفباله ، وصح بصيرة

في المناجحة فما سرّ الأعداء شكّه ولا اعتلائه ، وأعطى الخدم حقوقها من إقامة القوانين ، ونهض بأعبائها المقلّة نهضة المشمرين غير الوانين ؛ وأشدّت وطأة تبادّره على المُفسدين والجانين ، وتظاهرت شواهد ميزته بما يُكثر له الحساد ويُرغم الشائين ؛ وأقنّى من فرائس المحامد ما يعمده أهل النظر قنينة القانون ، وأستبقى من جميل الأحدثية ما يبقّى ذكره بعد فناء القانون ؛ ووقفت في الحسنة مصادره وموارده ، وانتظمت دُرر الدكر بحسن ذكره فأتلقت قوارده ؛ وتشدّت ضوأل النناء فالتفت عنده غرائبه وقوارده ؛ واختصّت مساعيه بالإبرار على الأنظار ، وصحت خلاله على عيب النقد كما صحّح النار نور الأبصار ؛ ونظر لمن أسند إليه أمره نظراً يعفيه من تطرّق الأكدار والمضار ؛ ورعى له ما هو متوسّل به من آثار حقيقة بالإيثار ، وكفاية تأخذ للعلم من الفخر بالثار .

ولما كنت أيتها الأمير المراد بهذا الإيراد ، المطرد إليه هذا الاستطراد ، المعنود في أمراء الدولة العلوية من الأعيان الأفراد ؛ المخلّى ميقفه بين المساعي الجبيلة يتنق منها ما اختار ويصطفي ما أَراد ؛ المهادئ الصفات الحسنة فلا جاحد من مُداته ولا راد ؛ المضطلع بما يُعني حله الحازم المطبق ، المستنفذ في أفعاله المشكورة أقوال الواصف المنطبق ؛ الواصل بمحمود مساعيه إلى غايات السابقين في مهل ؛ الجامع في تدبير المِهْمَات بين رأيي آحتك وحزم آكتل ؛ المنظور بعين الحزم بآيات دواعيه ، المترقّي إلى أمانيه في درج مساعيه ؛ المحيّب دعوة العزم إذا قام فلم يسمع المقصرون داعيه ، المجتهد في تشييد أركان التدبير إذا أرتعب اضطرابه وخيف تداعيه ، المبتلّ وصايا الأدب الصالح فهو بقلبه راعيه وبسمعه واعيه ؛ الشهم الذي ينقذ في الأمور نقاذ السهم ، الأملعي الذي علّا أن يُسائل بما أوقى من بسطة الفهم ؛ المتبوي من النعمة منزلة شكر لا يروم ضيقها أن يريمه ، ومرجع حمد لا يسوم نازها غير

أن يُسيِّمه ؛ المباشر من ماثور السياسة ما استفاض ذكره فلم تتطرق عليه أسباب
المجد ، البالغ بسمو المساعي ماقصر الأكفاء عنه ولم يقصروا عن الجهد ؛ الحال
من التقدمة في هضابها إذا نزل الأكفاء منها في الوهد ، الحامل من أعباء المشايعة
ماغدا به من الموفين على الأنظار الموفين بالعهد ؛ المحقوق من الوسائل بأن يجودها
النجاح بأغزير ديمة وأسقى عهد ؛ المؤدى فيما يُسند إليه فروض التنويض ، الملى
بأن لا تتوب فرصة حرم إلا كان ملياً بالحق والتعويض ؛ المكتفى من وصايا الحزم
بما يقوم له مقام التصريح من التعريض ، المستوجب أن تُجدي إلى استحقاقه
وتهدئ صحائب الطول الطويل العريض ؛ المستوعب شرائط الرئاسة بالاستيلاء
على أدواتها ، المتتبع مظان الخطوب بمفاجأة الغرض في مداواتها ؛ المبرز على القرناء
بخلال لا تطمع الهمم في مساماتها ولا مساواتها ، الآخذ من كل شيء بأحسنه فأى
حسنة لم يؤتها ولم يؤتها ، النافذ الآراء إذا المشكلات لم يتضح لأرباب الأبواب
مُصنّت بيانها ، المصيب شواكل الضرائب فسام آرائه مذلولة على شواتها ، المترج
المقاصد لبيان الحمد إذا تحفرت الأفعال ووارت سواتها ، المعروف بثبوت الجنان ،
حين يلتبس الشجاع بالبحان ، المشكور في مواقف الحرب بأفواه الجراح ولسان
السنان ؛ المقدم حيث الأعضاء تتربل والأقدام تترزّل ، المفتيح غمرات الهيجاء
والأرواح عن ولايات الأجسام تُنزل . وقد وليت الولايات فاستقلت بها أحسن
استقلال ، ورفع لك منار العدل فاستدللت منه بأوضح استدلال ؛ وجعلتها على من
تؤويه حرماً ، وعلى من يطرقها حمى ؛ وكنت لجهور زمانك في المصالح والنصائح
مقسماً ، ولحكم القوى ولو ضقت مسقاتها دون حكم الهوى محمداً .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فشاء وزيره السيد الأجل الذي حل المشكلات
من رأيه ورأياته بالشمس ومخاطها ، وتعرضت له آية الليل من العدا بخلها بسؤوفه

وَمَحَاهَا ؛ وَبُتَّ نِصَابُ الْمَلِكِ الْقَاسِمِيِّ حِينَ أَدَارَتْ الْحَرْبُ عَلَى قَتَاكِهِ رَحَاهَا ،
وَأَتَادَ الْأَعْدَاءُ إِلَى مَصَارِعِهَا بِخَزَائِمٍ مِنَ الْعَزَائِمِ وَأَعْجَلَهَا وَأَوْحَاهَا ؛ وَقَامَ بَصْرُ أُمِّسَةِ
الْهُدِيِّ حِينَ قَعَدَ النَّاسُ ، وَرَعَى اللَّهُ عَزِيَّتَهُ الصَّابِرَةَ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ
الْبَاسِ ، وَخَاطَرَ فِي حِفْظِ الدِّينِ بِنَفْسٍ تَجْرِي مَحَبَّتُهَا مَعَ الْأَنْفَاسِ ، وَحَلَّ مِنْ مَلُوكِ
الْأَرْضِ حَلَّ الصِّينِ مِنَ الرَّاسِ إِلَى الرَّاسِ مِنَ الْحَوَاسِ ؛ وَأَتَعَبَتْ الْأَجْسَامَ هَمُّهُ
الْحِسَامَ ، وَأَعْدَى الزَّمَانَ فَتَهَسَّ جَدًّا بِعَدْلِهِ الْبَسَامَ ، وَقَسَمَتْ الْمَطَامِعُ أَمْوَالَهُ غَمُّهُ
الْمُجِدَّ الْمَوْفِرَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْسَامِ .

فَطَالَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْبَارِكَ بَعْدَ اخْتِبَارِكَ ، وَتَوَسَّلَكَ إِلَى التَّقْدِيمَةِ بِمَرْضَى أَنْارِكَ ،
وَمَا أَظْهَرَهُ الْأَمْتَحَانُ مِنْ تَقَاءِ سِرِّكَ وَأَسْرَارِكَ ، وَاسْتَقَامَتِكَ عَلَى مَثَلِ الطَّرِيقَةِ
وَاسْتَبْصَارِكَ ؛ وَأَنْ وَلَايَةِ مَضَرٍّ مِنْ أَنْفَسِ الْوَلَايَاتِ مَحَلًّا ، وَأَنْبِيَتْهَا عَلَى غَيْرِهَا قَضَلًا ؛
بِمَجَاوِرَتِهَا لِقَامِ الْكَرِيمِ ، وَحُصُولِهَا مِنْ اسْتِقْلَالِ الرُّكَّابِ الشَّرِيفِ إِلَيْهَا عَلَى الشَّرَفِ
الْعَظِيمِ ، وَاخْتِصَاصِهَا مِنْ مَجَالِ الْخِلَافَةِ بِمَا جَمَعَ لَهَا بَيْنَ الْفَخْرِينِ الْحَادِثِ وَالْقَدِيمِ ؛
وَأَوْجَبَ لَهَا عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ مَرْيَّةَ ظَاهِرَةِ التَّكْرِيمِ وَالتَّقْدِيمِ ، وَمَا يَمُتُّ بِهِ أَهْلُهَا
مِنْ شَرَفِ الْجَوَارِ الَّذِي لَا مَالَهُمْ بِهِ التَّخْيِيرُ فِي الْإِحْسَانِ وَالتَّحْكِيمِ .

وَمَا رَأَى مِنْ إِسْنَادِ وَلَايَتِهَا إِلَيْكَ عِلْمًا أَنَّكَ مِنْ تَرْكُوكِ لَدِيهِ الصَّبِيغَةِ ، وَتَرْوُقِ
فِي جَيْدِ كِفَايَتِهِ قَرَائِدُ الْمِنَّةِ الْبُضِيغَةِ ، وَتَسْطَانُ لَاسْتَحْقَاقِهِ ذِرْوَةُ كُلِّ مَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ .
نَحْرَجُ أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ ، بَأَن يُوعِزَ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ لَكَ
بِالْوَلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ . فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ مِنْهَا مَقْدَمًا تَقْوَى اللَّهُ عَلَى كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ ، مَتَّبِعًا
إِلَيْهِ مِنْ طَوْلِ الْحَوْلِ ، مُعَيِّدًا ذَخِيرَتَهَا النَّافِعَةَ لِيَوْمِ الْحَوْلِ ؛ قَالَ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ الْكِتَابِ :
(وَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَأُولَى الْأَثَابِ) .

وأنظر في هذه الولاية حاجك بالقسطاس ، وساوى الحق بين طبقات الناس ؛ ولا تميز فيه رقيقاً على فقير ، ولا غنياً على فقير ؛ وأقيم الحدود على من وجبت عليه إقامة يرتدع بها المغرور ، وتستقيم بها الشؤون وتنظم الأمور ؛ وراع من هذه المدينة المحروسة من شهودها ، ومتميزي أهلها ، فيها الفقهاء والأثقياء ، والقراء والعلماء ؛ والمتميزون الأعيان الوجوه ، وأهل السلامة الذين يستوجب كل منهم نيل ما يأمله وبلوغ ما يرجوه ؛ فاعتمد اعزازهم ، وتوخّ تكريمهم ؛ ووفهم ما يجب لهم من الحق ، وألقهم بالوجه المسير الطلق ؛ وأمر بالمعروف ونص إليه ، وأنه عن المنكر وعاقب عليه ؛ وتفقد أحوال المطاعم والمشارب ، وحافظ على إجرائها على أحكام الصواب وقضايا الواجب ؛ وأحظر في المكاييل والموازين البخس والتطفيف ، وقدم الإنذار في ذلك والتحذير والتخويف ؛ وأوعز بتنظيف المسالك والساحات ، وأمنع من توعير السبل والطرق ؛ وأعتمد كل ليلة مواصلة التطواف على أرجاء هذه المدينة وأكافئها ، ومتابعة الإطلال على نواحيها وأطرافها ؛ وأعمل فيمن تظفر به من عاين وعاد ، ومشتج طريق الفساد ، ما يرتدع به سواه ، ويعمله موعظة لمن يعدل عن الصواب ويتبع هواه ؛ وأشدّد من المتصرّفين على باب الحكم العزيز في قود أباة انحصوم ، لينظر بينهم فيما ينتصف به المظلوم من الظلوم ؛ وتقدم بتوقيع الجوامع وصياتها ، وحافظ على ما عاد يهتجها ونفاقتها ؛ وخذ المستخدمين في الأرباع بأن يثبّط كل منهم لما يجرى في عمله ، وأن يكون كل ما يحدث ويئى إليك من قبله ؛ وأنظر في الصناعة المحروسة ، وفي عمائر الأساطيل المظفرة المنصورة ؛ وتوفر على تدبير أمورها والاهتمام بشؤونها ؛ وحفظ ما فيها من الأخشاب ، والحديد والعُدَد والآلات والأشباب ؛ وأبعث المستخدمين على المناجحة فيها ، وبذل الجهد في قصد مصالحها وتوحيها ؛ وأجر أمر هذه الولاية على ما يشهد بحسن أثرك ، وجميل ذكرك وطيب

خَبَرَكَ ؛ فَأَعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلَ بِهِ ، وَطَالَعَ مَجْلَسَ النِّظَرِ السَّيِّدِ الْأَجَلِيِّ بِأُمُورِ خِدْمَتِكَ ،
وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ جِهَتِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مجلّل بولاية الأعمال القوصيّة ، وهى بعد التصدير :

أما بعد ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَوْضِعِهِ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ الَّتِي أَعْمَرَهُ إِيَّاهَا ، وَأَنَارَ بَنَظَرِهِ
مُحْيَاهَا ؛ وَالْإِمَامَةِ الَّتِي أَقْرَعَهُ دُرَاهَا ، وَنَاطَ بِهَ عُرَاهَا ؛ وَمَا وَكَّلَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْقِيَامِ ،
بِحِفْظِ الْإِسْلَامِ ، الَّذِي رَضِيَهُ دِينًا ، وَالْبَسَهُ بَعْدَهُ تَحْسِينًا وَيَدَبَهُ عَنْهُ تَحْصِينًا ؛
وَمَا أَسْتَوَدَعَهُ إِيَّاهُ مِنْ جَوَامِعِ الْحِكْمِ ، وَصَلَقَهُ بِكِفَالَتِهِ مِنْ رِطَابَةِ الْأُمَمِ ، وَعَضَّدَ بِهِ
آرَأَاهُ مِنَ التَّايِيدِ وَالتَّوْفِيقِ ، وَأَوْجَبَهُ مِنْ قَرَضِ طَاعَتِهِ عَلَى كُلِّ مُطِيقٍ - يَصْطَفِي
لِمَعُونَتِهِ عَلَى النُّهْضِ بِمَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَغْيَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَالشُّكْرِ عَلَى مَا اخْتَصَمَهُ بِهِ
مِنَ الْوَجَاهَةِ عِنْدَهُ وَالْمَكَانَةِ ؛ وَيَسْتَكْفِي فِيهَا أَمْرَ بِهِ مِنْ إِحْسَانِ الْإِيَالَةِ فِي بَرِيَّتِهِ ،
وَيُنْتَخِبُ لِنُفُوضِ أُمُورِهِمُ وَالسُّلُوكِ بِهِمْ مَسَالِكَ رَأْفَتِهِ فِي سِيرَتِهِمْ مَنْ يَكُونُ أَصِيفًاؤُهُ
لِرِضَا اللَّهِ عَنْهُ مُطَاقِبًا ، وَأَجْتِبَاؤُهُ لَشَرَائِطِ الْمُرَادِ وَالْإِقْتِرَاحِ مُوَافِقًا ؛ وَأَتَصَبَّأُهُ لِلْهِمَمَاتِ
أَفْضَلَ مَا يَدْرِي بِهِ وَقُدِّمَ اعْتِمَادُهُ ، وَإِسْنَادُ الْأَمْرِ الْجَسِيمِ إِلَيْهِ أَوْفَى مَا عَظُمَ بَتَدْبِيرِهِ شَأْنُهُ
وَرُفِيعَ بَنَظَرِهِ عِمَادُهُ ؛ وَإِنْ وُلِّيَ وِلَايَةً ، جَعَلَهَا بِمَهَابَتِهِ حَرَمًا آمِنًا عَلَى أَهْلِهَا مِنَ الْخَوَافِ ،
وَعَدَا حُسْنَ سِيرَتِهِ بُرْهَانًا عَلَى فَضْلِهِ يَضْطَرُّ إِلَى التَّصَدِّيقِ بِهِ الْمُؤَلَّفُ وَالْمُخَالَفُ ؛
وَأَعَادَ حَمِيدُ أَثَرِهِ مَحَلَّهَا رَبِيعًا مُثْمِرًا ، وَقَرَّبَ حَسَنُ شَأْنِهِ مِنَ الْمَطَالِبِ مَا كَانَ بَعِيدًا
مُتَمِّعًا ؛ وَإِنْ تَدَبَّ لِلْجُلَى ، عَادَ مَقْلَقُ الْمَقَاصِدِ ، مُحْفَوفًا بِالْيَأْمَنِ وَالْمُسَاعَدِ ؛ سَاحِبًا ذَيْلَ
الْفَخْرِ ، حَازِلًا لِكُنُوزِ الْأَنْجَرِ ؛ مُسْتَعِينًا بِتَوْحِيدِهِ عَلَى الْعَدَدِ الْجَمِّ ، وَالْعَسْكَرِ الدَّهْمِ .

وإن هذه الأوصاف قد أصبحت لك أيها الأمير أسامي لم تر ذلك معرفه، وخواص الميقات إلى ملاستك إياها متطلعة متشوفة، وأفعالك الحميدة قد بنت لك بكل ريع منارا، وجعلت لك في كل مكرمة ميمات وآثارا، وجميل رأى أمير المؤمنين فيك، قد زاد توفيق مساعيك، وضاعف ارتقاء معاليك، وجعل الخيرة مقترنة بمقاصدك ومراميك، ومما بك إلى رتبة من الوجاهة تتذبذب دونها مطارح الهيم، وأحلك من الثقة بك منزلة لا تفضي إليها خواطر الظن والتهيم، وتحقق من يقينك ومضاء عزيمتك، وعذل سيرتك وصفاء سيرتك، ماجل حظك عنده زائد الثماء، وذكرك بحضرتة مكنوقا بالشكر والثناء، ووسائلك إليه متقبلة، وقد أدركت في ريق الشباب حرمة الكهول، واستنجحت في مقاصدك بضمير من الولاء مأهول، ولك البيت الذي كثر فيه الأجداد والأفاضل، وأحلك في دعة الناس من يخافهم المباري والمناضل، وتساورت في اعتقاد تفضيلهم حالتا السر والجر، وأصلح بعزائمهم مظهر من الفساد في البر والبحر، وفث المطامع بفضيلة هذا النسب وفضيلة النفس، ودلت ما ترك على ما ظهر من خصائصك دلالة الفجر على الشمس.

ولما رآك أمير المؤمنين أهلا للعون على استيجابه لطف الله عنده، وأتماس عوائد صنعه الجميل فيمن فارق سعيه ونبذ عهده - أنتضى منك حساما حيا - للأدواء، معينا في الأدواء، طبيا بتأليف الأهواء، لا يبنو غراره، ولا يخشى أفتاراه، ولا يقل حده، ولا يؤويه غمسه، فانحقت الدماء، وسكنت الدماء، وعم الأمن، وعظم من الله تعالى الطول والمن، وأصبح مكان القول فيك ذا سعة فيسيحا، ولسان الإجماد لأفعالك منطلقا فيسيحا، وحصلت من الوجاهة عند أمير المؤمنين بحيث [لأناباك] رتبة خطيره، ولا تتألى عنك بجانها [منزلة] رفيعة أثره، بل فدت خواصها فيك

(١) في الأصول بحيث قدرك رتبة الخ. تأمل.

لاستِجْزَالِ حَظِّهَا مِنَ الْجَمَالِ بِكَ رَاجِعِهِ ، وَتَمَتُّعَاتِهَا لِاسْتِكْرَامِ الْإِكْفَاءِ طَالِبَةً لِلْإِفْضَالِ .
بَلْ خَاطِبَتُهُ ؛ إِذْ كَانَ مَا يَنْدَمُ التَّمَّةُ بِكَ لَا يَنْدَمُ شَعْنًا وَآخِلَالًا ، وَمَا حِطَّى مِنْهَا
بِمَقَارِ بَيْتِكَ زُهْوًا بِكَ وَآخِلَالًا ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَمَلٍ
مِنْ أَعْمَالِ مَمْلَكَتِهِ وَيَرْفَعَ مِنْ مَحَلِّهِ ، وَيُقِيضَ عَلَيْهِ مِنْ سَحَابِ رَأْفَتِهِ مَا يَكُونُ مَاحِيًا
لِأَثَارِ جَذْبِهِ وَمَحَلِّهِ ، وَيُعِمُّ بِالْبَرَكَاتِ أَقْطَارَهُ ، وَيَبْلُغُ كُلًّا مِنْ أَهْلِهِ مَا رَبَّهُ مِنَ الْعَدْلِ
وَأَوْطَارِهِ - أَسْتَنْدَ مِنْكَ إِلَى الْقِيَمَةِ الْأَمِينِ ، وَالْكَامِلِ الَّذِي لَا يَخْجَعُ الظَّنُّ فِيهِ وَلَا يَمِينُ ؛
إِذَا اسْتَكْفَيْتَنِي أَمْرًا حَمَاهُ بِالْمُضِيِّينَ : حُسَامِهِ وَأَعْتَرَاهُ ، وَتَمَسَّكَ فِي حِفْظِ
نِظَامِهِ بِالْحُسَيْنِيِّينَ : طَاعَةَ اللَّهِ وَطَاعَةَ إِمَامِهِ .

وَلَمَّا كَانَتْ مَدِينَةُ قُوصَ وَأَعْمَالُهَا أَمْدَى أَعْمَالِ الْمَلِكَةِ مَسَافَهُ ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ دَارِ
الْخِلَافَةِ ؛ وَتَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَجْناسِ النَّاسِ ، وَأَخْلَاطٍ يُحْتَاجُ فِيهِمْ إِلَى إِحْسَانِ
السِّيَاسَةِ وَالْإِنِّيَاسِ ؛ وَطَبِيعَةٍ مَعَاجِ الْمَسَافِرِينَ مِنْ كُلِّ لُجٍّ عَمِيقٍ ، وَإِلَيْهِ يَقْصِدُ الْجُنَاحُ
إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ - رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُهُ أَنْ يَرُدَّ وَلَايَةَ الْحَرْبِ بِهَا
إِلَيْكَ ، وَيُعَوَّلَ فِي تَقْوِيمِ مَالِكِهَا وَضَمِّ نَفْسِهَا عَلَيْكَ ؛ وَأَنْ يَحْتَمِ بِكَ دَاءُهَا ؛ وَيَحْسَنَ
بِنَظَرِكَ رُوءَاءَهَا ؛ وَيُعِمُّ أَهْلَهَا بِكَ رَأْفَةً وَمَنًّا ، فَنُفِجَ أَمْرُهُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِنُكْتَبِ
هَذَا السَّجَلِ [لَكَ] بِالْوَلَايَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَقَعَلَهُ مَا قَعَلْتَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي جَعَلَهَا شَرْطًا لِلْإِيمَانِ ،
وَأَمَرَ بِاعْتِبَادِهَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ ؛ فَقَالَ فِي رَأْيِهِ الْمُبِينِ : (وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ) .

وَأَمْرُ الْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَبْسُطَ صَدْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْبَايِنِ وَالْحَضَرِ ؛
وَأَقَمَ الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ بِمَقْتَضَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَقَفَّ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

من ذلك بأنْفَذَ عَزِيمَ وَأَقْوَى مِنْهُ ؛ وسَاوَى الْحَقَّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِي ، وَأَسَّسَ بَيْنَ الْعُدُوِّ وَالْوَلِيِّ [وَالذِي] وَالْمَلِي ؛ وَأَجْعَلَ مِنْ تَضُمِّهِ هَذِهِ الْوَلَايَةُ سَاكِنِينَ فِي كَنْفِ الْوَقَايَةِ ، مَشْمُولِينَ بِالصُّونِ وَالْحِمَايَةِ ؛ وَلِيَكُنْ أَرْبَهُمْ فِي الصَّلَاحِ مِنْ أَرِيكَ ، فَكُلُّ مِنْهُمْ شَاكِرٌ لِلَّهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ ؛ وَبُتَّ فِي أَقْطَارِهَا مَا يَحْجُزُ النَّفُوسَ الْعَادِيَّةَ عَنِ النَّظَامِ ، وَيُعِيدُ شِمَتَهُمْ بَعْدَ الْعُدْوَانِ مُخْلِدةً إِلَى التَّوَادُعِ وَالنَّسَالَمِ ؛ وَمَنْ أَقْدَمَ عَلَى كِبَارِ الْإِجْرَامِ ، وَلَمْ يَتَحَرَّجْ عَنِ الدِّمِّ الْحَرَامِ ؛ فَأَمْتَنَلْ فِيهِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

واعتمد المستغتم في الحكم العزيز والدعوة الهادية - ثبتهما الله - بما يقوى عزمه ، وينفذ حكمه ؛ وأجزل حظه من إعزاز الجانب ، وتيسير المطالب ؛ وأحسن إليه العون على صون المؤمنين ، واجتلاب المستحيين ؛ والمستخدمون في الأموال من (١) مشارف وطامل وغيرهما فأنثبهم في عمارة الأعمال كما وبلغهم في المرافدة كنه الآمال ؛ وأشدُّ منهم في صون (الارتفاع) وحفظه من الإفراط والضياع ؛ وضافهم على (استخراج الخراج) ، وخُذَّهم بجهل المعاملين على أعدل منهاج (الرجال العسكرية المركبة المستخدمون معك فاستخدمهم في الخلد السانحة ، وصرفهم في الميقات القرية والتنازحه ؛ فمن استقام على طريق الصواب ، أجزت أموره على الاستظام والاستتباب ؛ ومن كان للإخلال آلفا ، وللواجب مخالفا ، قومت بالتأديب أوده ، وحلَّته عن مورد الفساد الذي تورده .

هذه دُرر من الوصايا فأبعث (٢) على إحضارهِ الثقة بهدايتك إلى كل صواب ،

وَأَعْتَلاَقَكَ مِنَ الدِّيانَةِ وَالْأَمَانَةِ بِأَوْثَقِ الْأَسْبَابِ ؛ وَإِحَاطَةِ عِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْتِغْنَائِكَ
بِذَنَّاكَ ، وَكَيْلِ أَدَوَاتِكَ ، عَنِ الْإِحْكَاطِ وَالتَّنْبِيهِ ، وَالْإِرْشَادِ فِيمَا تَنْظُرُ فِيهِ ؛ وَاللَّهِ يُوَفِّقُكَ
إِلَى مَا يُرِضِيهِ ، وَيَجْعَلُ الْخَيْرَ مَكْتَسِفًا لِمَا تَرْوِيهِ وَتُعْضِيهِ ؛ فَأَعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

*
♦ ♦ ♦
وهذه نسخةٌ بحجَّلٍ بولاية الأعمال الغربية ، وهى :

أما بعدُ ، فإن أمير المؤمنين لِمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِمَامَةِ الْبَشَرِ وَشَرَفِهِ ، وَأَنَالَهُ إِيَّاهُ
مِنَ الْخِلَافَةِ الَّتِي نَظَّمَ بِهَا عَقْدَ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَالْقَهْ ، وَأَمْضَاهُ اللَّهُ لَهُ فِي أَقْطَارِ الْبَسِيطَةِ
مِنَ الْأَوَامِرِ ، وَقَلَّهَ إِلَيْهِ مِنَ الْخِصَائِصِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي تَجَمَّلَتْ بِذِكْرِهَا فُرُوقُ الْمَنَابِرِ ؛
وَمَكَّنَهُ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ الَّذِي تَخَضَّعَ لَهُ الْجَبَابِرَةُ وَتَدَنُّوا ، وَعَضَّدَهُ بِهِ مِنَ التَّائِيدِ الَّذِي
أَرْغَمَ الْمُشْرِكِينَ وَخَفَضَ مَنَارَ الْمُحْذِينَ ؛ وَأَثَرَهُ بِهِ مِنْ مَزَايَا التَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ ،
وَأَلْهَمَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَسْتِكَالِ السَّيْرِ الَّتِي أَصْبَحَ الزَّمَنُ بِجَاهِلِهَا حَالِي الْحَيْدِ ؛ وَأُنْجَدَ بِهِ مُلْكُهُ
مِنْ مُوَالَاةِ النَّصْرِ وَمُتَابَعَةِ الْإِطْفَارِ ، وَحَازَهُ لَهُ مِنْ مَوَارِيثِ النَّبُوَّةِ الْمُتَقَلِّدَةِ إِلَيْهِ عَنْ آبَائِهِ
الْأَطْفَارِ ؛ وَأَصْطَفَاهُ لَهُ مِنْ إِبْضَاحِ سُبُلِ الْمُهْدَى الْمُعْتَادِ ، وَأَلْهَمَهُ إِيَّاهُ مِنْ إِسْبَاغِ
مَلَابِسِ الرَّحْمَةِ عَلَى الْحَاضِرِ مِنَ الْأُمَمِ وَالْبَادِ ؛ وَوَقَّرَ عَلَيْهِ أَجْتِهَادَهُ مِنْ أَسْتِدْنَاءِ الْمَصَالِحِ
وَأَجْتِنَابِهَا ، وَصَرَفَ إِلَيْهِ هِمَمَهُ مِنْ تَهْيِيدِ مَسَالِكِ الْأَمْنَةِ وَفَتْحِ أَبْوَابِهَا بِتَصَفُّحِ أُمُورِ
دَوْلَتِهِ تَصَفُّحَ الْعَالِي بِتَهْدِيدِ أَحْوَالِهَا ، وَتَتَقَقُّدِ أَعْمَالِ مَمْلَكَتِهِ تَقَقُّدًا يُزِيلُ شَعَثَهَا
وَيُؤَمِّنُ مِنْ آخِثَاتِهَا ؛ وَيَعْدِقُ الْمَهْمَاتِ الْخَطِيرَةَ بِالْبُدُورِ الْأَفْضَلِ مِنْ أَصْفِيَانِهِ ،
وَيَزِيدُ فِي رَفْعِ مَنَازِلِ أَوْلِيَائِهِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي تَشْهَدُ بِجَلَالَةِ مَوَاضِعِهِمْ مِنْ جَمِيلِ آرَائِهِ ؛
وَيُقَيِّضُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَارِ سَعَادَتِهِ مَا يَظْهَرُ سَنَاهُ لِلْأَبْصَارِ ، وَيَمْنَحُهُمْ مِنْ أَصْطِفَائِهِ
مَا لَا يَزَالُ دَائِمَ الثَّبَاتِ وَالِاسْتِقْرَارِ ؛ وَيُعَوِّلُ فِي صِبَاغَةِ الرِّعَايَا مِنَ الْمَضَارِّ بِحِرَاسَةِ
الْأَعْمَالِ الْمُتَمَيِّزَةِ مِنْ عَيْتِ الْمُفْسِدِينَ وَالْأَعْدَاءِ عَلَى مَنْ تَرَوُّعُ مَهَابَتِهِ ضَوَارِي

الآساد، وتكفل عزائمهم بقطع دابر الفساد؛ ويُنْدِع في السياسة الفاضلة ويُقَرِّب ،
وتُعْجِب أنبأؤه في حسن التدبير وتطرب ؛ ويعمُّ الرعايا بضروب الدعة والسكون،
ويَسْمَلُهُم من الأمانة والطمانينة بأنواع وفنون ؛ وهوم كفايته بسد الخلل وتقويم
الأود ، ويبلغ في تيمنه في اكتساب المحامد إلى أقصى غاية وأبعد أمد ؛ ويعني
بِحِفْظ التواميس وإقامة القوانين ، ويدأب في استعجال السيرة الشاهدة له باستكمال
الفضل المئين ؛ ولا يألُو جُهداً في تقريب الصلاح واستدناؤه ، ويقصد من الأعمال
الجليلة ما تلحج به الألسن بإطابة شأنه .

ولما كنت أيتها الأمير تُجَمِّع من نجوم الدين المضيئة المشرفة ، وثمره من ثمرات
دوحة العلاء الزكية المورقة ؛ وقدأ في الفضائل البديعه ، وقدأ في المحاسن التي لم تُفَرِّ
بنظير ذكرها أذن سميحه ؛ وسيفاً يحسم داء الفساد حداه ، وكافياً لا يتجاوزُهُ الإقتراح
ولا يتعمده ؛ وماجداً حاز المفاخر عن أهل بيته كابر عن كابر ، وعلماً في المآثر يهتدى
به الأعيان الأكابر ؛ وهماً تملأ مهابته القلوب ، وماضياً تلوذ بمضائه الأعمال
الخطيرة ونشوب ؛ وصندراً تهتزل به الرؤساء بارتفاع المنزلة ، ومهدباً اغرته شيمه الرضية
ببث الإنصاف وبسط المعلل ؛ وحازباً لا يُخْشَى اختدأه وأغترأه ، وعازباً لا يكتهم
عزمه ولا يكلل غرأه . وقد ألفت إليك المناقب قيادها مطيعه ، وأحلتك الرئاسة
في أشمخ ذروة رفيعه ؛ وتألفت عندك الفضائل تألفت الجواهر في العقود ، وتكفلت
لك مساعيك المحموده بتضاعف اليأمن وترادف السعود ؛ وتكاملت فيك الخلال
المطابقة لكم أعراقك ، واستعملت الأعمال الشاهدة بمبالفتك في ولاه أتمتكت
وإغراقك ؛ وحصل لك من الإنشاء إلى البيت الصالحى الكريم ما كسبك نفرا
لا يبرح ولا يريم ؛ وخصك في كل زمن بمضاعفة التفخيم والتقديم ؛ وأتالك من الإقبال
غاية الرجاء ، وجعل وجاهتك فسيحة الفناء ؛ وسعة الأرجاء . ولك المهابه التي تُنفى

غناء الجيوش المتكاثرة السدد ، والشجاعة التي تسلط قوارع الدمار على من كفر
وعند العزم الذي استمدت السيوف الباترة من مضائه ، وعز جانب التوحيد
بأنضائه لجهاد أعداء الله وأرضائه ، والإقدام الذي تلوذ منه أسود الوقائع بالفرار ،
والباس الذي لا يصم منه الحرب ولا ينجي من بؤادره الحذار .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فتاه وزيره ، وصائب مملكه وظهيره ؛ السيد الأجل
الذي ^(١) فأنهى عليك ثناء طال وطاب ، وحرر في ذكر مناقبك ومحاسنك
القول والخطاب ؛ وذكر مالك [من الأعمال] في الأعمال الغريبة ، التي أعادت
الأمنة على الرعية ؛ وما استعملت فيهم من السيرة العادلة ، والسياسات الفاضلة ؛
وقرر لك الخدمة في ولاية أعمال الغريبة ؛ - فخرج أمر أمير المؤمنين إليه بأن يوعز
إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل لك بالولاية المذكورة .

فقلد ما قلده حاملاً بتقوى الله سبحانه الذي إليه تصير الأمور ، ويعلم خائفة
الأميين وما تخفى الصدور ؛ وقال الله جل من قائل في كتابه المبكّنون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ فاعلم بالعدل من تشتمل عليه هذه الولاية ، وأنته
في حياطتهم وكلائهم إلى الناية ؛ وصنهم من كل أذى يلم بساحتهم ، وتوفر على ما عاد
باستبواب مصلحتهم ؛ وأخصص أهل السر والسلامة بما يصلح أحوالهم ، ويشرح
صدورهم ويبسط آمالهم ؛ وقابل الأشرار منهم بما يندوخ شرهم ، ويكف عن ذوي
الخير مضرتهم ؛ وأشدّد وطأتك على الدعار وأهل العناد ، وتطلّهم حيث كانوا
من البلاد ؛ وأصبد حماية السبل والطرق ، وصنّها من غوائل المفسدين على ممر
الأوقات ؛ ومن ظفرت به من المجرمين فاجعله مُزدجراً لأمثاله ، وموعظة لمن
يسلك مسلك ضلاله ؛ والمقيدون على سفك الدم الحرام ، والمرتكبون لجائر الذنوب

والإجرام، فامتثل فيهم ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، إذ يقول : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نَجْزِي فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وأجرل حظ الثواب في الحكم العزیز من عنايتك ، واجعل لهم نصيباً وافراً من اهتمامك ورعايتك ، وعاضدكم على إقامة منار الشرع ، وأجر أحوالهم على أجل قضية وأحسن وضع كالمستخدمون في الأموال ، تُسدّ منهم شدا يملّغهم الآمال ، ويقضى بترجئة الارتفاع وتثير الاستغلال ، وعاضدكم على عمارة البلاد ، ووازهم على ما تكون به أحوالها جارية على الأطراخ . والرجال المركزية والمجردون فاستنهضهم في المهمات القريية والبعيدة ، وخُذْهم بازوم المناسج المستقيمة السديده ، وقابل الناهض منهم بما يستوجب له نصته ، وقوم المقصر بما يؤزع من يسلك مَسلكه ويقفى طريقته ، فاعلم هذا وأعمل به وطالع ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة سجل بولاية نجر الإسكندرية، كُتِبَ به لابن مصل، من إنشاء القاضي الفاضل، وهى :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين لما أكرمه الله به من شرف المنصب والنباب ، وأجار العباد بأبائه الطاهرين من عبادة الأوثان والانتصاب ، وأوردتهم من موارد حكمه التى كل صادر عن رى قلبه منها صاد ، وتغفّر بأمره من رياح الصواب التى تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، وأضحى بسهام عزائمه ، من مقاتل الباطل ، وحلّ بأنوار مكارمه ، من أجياد الأمانى العواطل ، وأنجزه على يد أيديه من وعود سعود تغلّ السحب المواطر بمثلها هوأطل ، وتوحده به من الإمامية التى أعز بها

أحزاب التوحيد، وأحراه من بركاته التي لا تقول الآمال لها هل من مزيد؛ وأوراه من فتكاته التي لا تقول لها الآجال هل من تحيد، وأجذبه من إرادته لأزمة الأيام فهي بين إنعامه وإسقامه تفييد وتفيد؛ وأحدثه له من معجزات التأييد التي تملك أحاديثها ريق التأييد، وشرف به قدره في ملكوت السموات والأرض والملائكة له أنصار والملوك له عبيد؛ وألهمه من إبداع جلي صنائعه حيث لا يتكر المقلد ولا يستغرب التقليد، وأنطق به لسان كرمه من بدائع إحسان تروق بين التريد والتوليد - ينظر بنور الله فيمن ينظر به للجمهور، ويجلو عقائل المكارم على من هو ماهر في مقدمة المهور؛ ويروج الذين يرجون بولائه تجارة لن تبور، وبقتدح الأنوار المودعة في سواد الشباب كما يودع في سواد العين بياض النور، ويرقع رتب الأعيان حتى إذا تقاطها سواهم ضرب بينه وبينها سور، وتعود أباديه إلى بيوت النعم فكل بيت تولاه كالبيت المعمور؛ ويهدى السرودهم إلى صدور الثنور، والإيسام إلى ثنور الصدور؛ ويرى أنهم يستوجبون فواضله مبرأ، وإذا سلمت إليهم أئنة الولايات كانت لهم ثرائنا، وإذا تبوءوا الرتب العلية كانت الرئاسة لهم دارا والسياسة آثانا؛ لا سيما الصدر الذي عرفته السعادة لدولة أمير المؤمنين واحدا يجمع فضل سلفه، وتدبا ماعرضت عليه جواهر الدنيا فضلا عن أعراضها إلا ولأها عطف زاهته وظلفه؛ وألمعيا تتأثر معاني المعالي من شمائله كما تنتثر من غصن القلم ثمار أخرفه، وكفأ للصدور من أنهضه بها بنص تكلفه أنهضه بها فضل كلفه؛ وقواما بالأمور يمضي عليها مضاء النجم في بحر حنوده لا السهم في نحر هدفه، وملاكا للثنور إذا حل منها في إسكندريتها فهو على الحقيقة نجم حل برج شرفه؛ وطودا للوقار يترى الحلم منه إلى أقومه لا إلى أخيفه، وشرطا للاختيار، يكتفى مصطفيه منة معترفه ومثوبة معترفه؛ ومعنى للفتار، لم يتصف فيه من لسان

واصفه ^{بِمُسَمَّعٍ} يستوصفه ، وعلما للأفكار ، يثولهم منار إشرافه ويخفى عليهم منال شرفه .

ولما كنت أيها الأمير واسطة عقد هذه الأوصاف الحسنى ، ومنجد ألفاظها من الحقيقة بالمعنى الأمنى ، المتوحد من الرياسة باسم لا يجمع بعده ولا يثنى ، الجارى إلى غاية من المجد لا يرد عنها عنائه ولا يثنى ، الجدير إذا ولى أن يسكن الرعية اليوم عدلا لا تسكنه في غد عدنا ، ويخبر فيهم وعد الله الصادق في قوله : **(وَلِيَدْلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)** . المستبد بالحمد حتى استقر فيا يفعل واستقر فيا يكتفى ؛ أثبت الذى لا تفرغ الأحوال صفاته ، التذب الذى لا تبلغ الأحوال صفاته ، الولى الذى لا تكدر الأحوال مصافاته ؛ الجامع بين فضل السوايق وفضل اللواحق ، المتجلى في سماء الرياسة نيرا لا تهضمه صروف الليالى المواق ؛ المشكور الفعال لا باليسنة الحفائب بل باليسنة الحقائق ، المستبد بالهمم الجلائل المدولة على المحاسن الدقائق ؛ المستمد صوب الصواب من خاطير غير خاطل ، المستجد ثوب الثواب بسعى ينصر الحق على الباطل ؛ المستمد لقب الأيام بأقران من الحزم تنبها على الأعقاب ، المستد بمساعيه فوارط عاس كانت مطوية في ضمائر الأحقاب ؛ الساجي بهيمته ، إلى حيث تتقاصر النواظر السوامى ، المقرطس بعزيمته ، حيث لا تبلغ الأيدي الروامى ؛ المستقل بقط نواجم الخطوب وحسيمها ، المستقر فى النفوس أنه يقوم في ظلمها مقام تنجها ؛ المطلق وجهها فلا غرو أن تجلى به الجلى ، المطلق وصفا حسنا فلا يعرض له لولا ولا إلّا ، المؤيد العزمات ، فى صون ما يفوض إليه ويكبه ، المتقى الوبآت ، ممن يحاوره من الأعداء ويكبه ؛ المحيى بمساعده ماشاده أولوه ، والمتوصحة فيه نصوص المجد الذى كانوا تأولوه ؛ والآوى إلى بيت تناسقت فى عقود الرؤساء الجله ، والطالع منه فى سماء إذا غربت منها البدور أشرق فيها الإله .

ولقد زِدْت عليهم وما قَصَّروا زيادةً أبيض الفجر على أنزرقه ، وكنت شاهد من
يرى مناقبهم البديعة ، ودليل من أدعى أن المكارم لكم ملكة وعند سواكم وديعه ؛
وقيل وصاياهم في المعالي فكانما كانت لديكم شريعته ، ونصرت الدولة العلوية فكنتم
لها أمثال أولياء وأخص شيعه ؛ وتجلت أنسابكم باصطناعها وكفاكم إن عُدتم
لصنائع الله صديقه ، وأباحكم من أصطفائها كل درجة على تعاظم الأطلاع عليه منيعه ؛
وقدتمتكم جيش برها وبحرها ، وكان منكم مسيف جهادها ونجم ليها وفارس كرها ؛
وصالت بكم على أعدائها كل مصال ، وأغربت من يليها إلا إذا استقرت
في داركم إلى مصال ؛ وحين خرجت منها خائفاً ترقب ، وأبقيت فيها حائفاً يتعقب ؛
كنت الذهب المشهور ، الذي ما يهرجه الرغام ، والحرف المجهور ، الذي ما أدرجه
الإدغام ؛ وكنت وإن كنت بين الكفار ، عنهم شديد النفار ، وحلت فيهم
محل مؤمن آل فرعون يدعوهم إلى النجاة وإن دعوه إلى النار ؛ وعلت إلى باب
أمير المؤمنين عود الغائب إلى رحله ، والآيب إلى أهله ؛ واستقرت به استقرار
الجوهر في فضله ، والفرع في أصله ؛ وأبان الاستشفاف عن جوهر الشفاف ،
ونجست من تلك الحقوات خروج الرياح لأخروج الكفاف ؛ وأعريت السعادة
إذ حيتك بمشيب أسود ، وتبع الأماجد غبارك الذي يرفع من طريق السود ؛
وأعتقت بعروة الحدة ، فلست من دد ولا منك دد ، وضربت قلب العيش الأصفى
بعد العيش الأنكد ؛ لاجرم أن أمير المؤمنين أنساك سيئة أميسك بحسنة يومك ،
وسما بك إلى أعلى رتب الأولياء وأغناك عن تعرض سؤمك ، وأنعم بك على قوم
ما عرفوا إلا رياسة قومك .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين أمين مملكته ، ويمين فكمته ، السيد الأجل الذي أنى
الله به سهما إلى مصر وهي كائنته ، وأفرده بمزية السبق فلا حظ لمساجله إلا أن

تَدْعِي بِنَاتْنَهُ ، وَرَعَى الرِّجِيَّةَ مِنْهُ نَاطِرٌ لَا تُلْمُ بِنَاطِرِهِ مَرَاوِدُ الْهُجُودِ ، وَقَامَ بِالْمَلِكِ مِنْهُ
قَائِمٌ لَا يُزَالُ يُورِدُهُ مَوَارِدَ الْجُودِ ؛ وَأَغْنَتْهُ يَدُ الْغَلَابِ عَنْ لِسَانِ الْجَلَابِ ، وَنَالَ نَادِرَةَ
الْأَمَلِ فِي نَادِرَةِ الْغَلَابِ ؛ وَجَمَّتْ فَتَكَاتُهُ مِنَ الْهَرَمَيْنِ إِلَى الْخَرَمَيْنِ ، وَصَرَفَ الرِّيحَ
تَصْرِيفَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ يُصَوِّلُ وَيَصِلُ بِقَامَيْنِ ؛ وَرَدَّ اللَّهُ بِهِ الْعَدُوَّ مُنْخَذِلًا ، وَطَالَمَا
لَقِيَهُ فَأَقَامَ مُتَجَدِّلاً ؛ وَأَضْحَى بِهِ ذَيْلُ النِّعْمَةِ مَفْسَحًا وَسِثْرُ الْأَمْنَةِ مُنْسَدِلًا ، وَدَبَّرَ
الْأُمُورَ فَاْمَسَكَهَا حَازِمًا وَعَقَلَهَا مُتَوَكِّلًا - فَأَنْهَى مَالِ سَلَفِكَ عِنْدَ الْأَيْمَةِ الْخُلَفَاءَ مِنْ مَرْيَةِ
الْأَصْطِفَاءِ ، وَمَا لَكَ فِي نَفْسِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي مَا بَرِحَتْ بَارِحَةَ الْخُلَفَاءِ ؛ وَمَا أَطْلَعَ
عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِكَ الَّتِي مَا أَخْلَتْ بِمُتَقَبِّهِ ، وَأَفْعَالِكَ الَّتِي مَا تَغَايَرَتْ فِي يَوْمٍ ذِي نِعْمَةٍ
وَلَا يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ؛ وَمَا لَكَ مِنْ وَثَائِقِ الْعُقُودِ ، وَمَا فَيْكَ مِنَ الْأَوْصَافِ الْمُؤَثَّرَةِ
لِعَلَّاقِ السُّعُودِ ؛ وَقَرَّرَ لَكَ الْخِدْمَةَ فِي كَذَا وَكَذَا - نَخْرَجُ أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ بَانَ
يُوجِزُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ لَكَ بِالْخِدْمَةِ الْمَذْكُورَةِ وَهِيَ الَّتِي فُرِّقَتْ
لِسَلَفِكَ وَجُمِعَتْ لَدَيْكَ ، كَمَا أَنَّ جَاسِئَهُمُ الْمَفْرُوقَةَ مُنْتَظِمَةُ الْعُقُودِ طِيكَ : لِيُكْمَلَ لَكَ
وَلَا يَجِي الثَّغْرَ وَالسِّيَادَةَ فِي حَالٍ ، وَلِيُسَدَّ بِكَ ثَغْرُ الْجِهَادِ وَثَغْرُ الْإِحْمَالِ ، وَلِيَتَقَوَّمَ [فِي هَذَا]
مَقَامُ الْمُخْفَلِ الْجَرَّارِ فِي ذَلِكَ مَقَامَ الْحَيَاةِ الْهَطَالِ . وَلِتَكُونَ فَرَاثِدُ الْإِنْعَامِ عِنْدَكَ
تَوَّامًا ، وَلِيَجْعَلَ آبَتِدَاءُ تَصَرُّفِكَ لِعَمَلِكَ تَمَامًا ، وَلِيَخْتَصَرَ لَكَ طَرِيقَ الْكَمَالِ ، وَلِيَجْرِيَ
بِكَ فِي مِيدَانِ الشُّكْرِ طَلِيقُ الْأَمَالِ .

فَتَقَلَّدَ مَا قُلَّدْتَهُ مِنْهَا حَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ مَصَالِحُ الْأَعْمَالِ ، وَمِيدَانُ الْإِتْمَانِ
وَالْإِحْمَالِ ، وَسَبَبُ النِّجَاحِ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَعِنْدَ الْمَالِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي لَمْ
يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ .

(١) جمع تَوَّام . قال الأزهري ومثله غم رباب وأبل غوار وهو من الجمع العزيز . انظر اللسان

” وَأَبْسَطَ الْعَدْلُ عَلَى مَنْ يَحْيِيهِ هَذَا الثَّغْرِ الَّذِي هُوَ ثَغْرُ الثَّغُورِ الْبَاسِمِ ، وَأَوَّلَاهَا بِأَنْ
تَكُونَ أَيَّامُهُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَأَمْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاسِمَ ، فَفِيهِ مِنْ صُدُورِ الْحَافِلِ ، وَقُلُوبِ
الْجَافِلِ ؛ وَعُيُونِ الْمَذَارِسِ ، وَأَعْيَانِ الْقَوَارِسِ ؛ وَتُجَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَخْيَارِ الْأُمَّةِ
الْمُقِيمَةِ وَالْمَسَافِرَةِ ، وَوُقُورِ مَكَارِمِ عَدْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي هِيَ بِالرَّجَاءِ وَارِدَةٌ وَبِالرَّضَا
صَادِرَةٌ ، مَنْ يُوَثِّرُ أَنْ يَكُونَ فَضْلُ السُّكُونِ لَمْ شَامِلًا ، وَرَدَاءُ الْأَمْنِ عَلَيْهِمْ سَائِلًا ؛
وَتَحَابُّ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ هَاطِلًا ، وَحَالُكُمْ فِي الْأَسَاقِ لَا مَتَغَيِّرًا وَلَا حَاطِلًا ، وَسَاوِي الْحَقِّ
بَيْنَ أَجْعَلِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ ، وَمَقِيمِهِمْ وَمَتَغَرِّبِهِمْ ؛ وَأَعْتَمِدَ مِنْهُمْ مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِمَا يُرْفَعُ
فِي الطَّاعَةِ خَاطِرُهُ وَيُسَحِّدُهُ ، وَيَصُونُهُ مِنْ تَخِيفِ الْأَيْدِي الْجَائِرَةِ وَيُنْقِذُهُ ؛ وَأَخْصَصَ
الْعُلَمَاءُ بَرَكَاتِهِمْ تَعِينَهُمْ عَلَى التَّعْلِيمِ ، وَالْأَعْيَانُ بِمَزِيَّةٍ تُوَضِّعُ لَهُمْ مَالَهُمْ مِنْ مَزِيَّةِ التَّقْدِيمِ ؛
وَأَكْفَفَ عَوَادِي أَهْلِ الشَّرِّ وَالشَّرَّ ، وَأَقْعَ غُلُوءَ مَنْ آتَرَ بَغْيَ اللَّهِ وَأَعْتَرَى ، وَتَوَضَّعَ
بِقِيَامَةِ الْمَهَابَةِ وَبَسْطِهَا ، وَكَفَّ الشُّوْكَةَ وَقَطَّعَهَا ؛ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَأَمَرَ الْحُدُودَ لِإِقَامَةِ مَنْ يُثَابُّ طَلِبًا وَيُؤَجَّرُ ، وَتَفَقَّدَهَا عَلَى حَدِّهَا فِيمَا دَاخِلَ فِي الْأَقْلَ
وَلَا خَارِجَ إِلَى الْأَكْثَرِ ؛ وَأَنَّا الْعَيْنُ عَلَى مَنْ يَلْمُ بِسُوءِ الْحَالِ الثَّغْرَ مِنْ أَسْبَاطِ الْعَدُوِّ
الْعَيْنِ وَمَرَآئِهِ ، وَأَحْجَزَ بِالْقِفْظَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَلَصُّبِ مَطَالِبِهِ ؛ وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِاتِّخَاذِ
الْأَسْلِحَةِ الَّتِي يَعْزُّ اللَّهُ بِهَا جَانِبَهُ ، وَيُدَلُّ جَانِبَهُ ؛ وَتَبْلَغَ الْعَدُوَّ لِلْعَيْنِ مِنْ ذِكْرِهَا مَا يَعْمَلُهَا
وَمَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مَوْقَرُهُ ، وَيَنْتَلِهَا فِي مَقَاتِلِهِمْ وَيَبُوتُهُمْ بِهَا مَعْمَرُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
فِي آيَاتِهِ الْمَثَلُوهَ : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) .

وَأَعْتَمِدَ لِلْأَعْمَالِ الْبَحْرِيَّةِ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مِنْ تَأْمِينِ الْأَخْيَارِ وَتَرْوِيجِ الْأَشْرَارِ ،
وَتَبْلِغِ كُلِّ حُرِّيْبٍ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَتْ بِهِ قَدْ حَارَبَ اللَّهُ
فِي أَرْضِهِ ، وَصَارَ قَتْلُهُ مِنْ قَرْضِهِ ، فَتَقَدَّ حُكْمُ اللَّهِ فِيهِ فِي آيَةِ السَّيْفِ وَأَمِضِهِ ؛ وَأَدْعُ
إِلَى عِمَارَةِ بِلَادِهِا وَتَحْقُوقِهَا ، وَتَفَقُّدِ الْمَصَالِحِ بِهَا وَتَكْثُرِهَا ؛ وَإِطَابَةِ أَنْفُسِ الْمَزَارِمِينَ

بما تخففه عنهم من وطأة كانت ثقيلة ، وتقلله عنهم من مغارم لم تكن قليلة ؛ فما عمّرت البلاد بمثل الزاهة التي هي شيمتك المعتادة ، والمعلّلة التي هي من خلائك مستفاده ؛ وأعتدّ كلّاً من النّائب في الحكم العزيز والناظر في الدعوة الهاديّة والمُشارف بالنّظر والعَمال برعاية تحفظ مرّاتهم ، وتحفظ مطالبهم ؛ وتنفذ الأحكام ، وتبلغ بما ينظرون فيه من المصالح غايات النّظام ، وتُعرّطائفة الإيمان ، وتُظهر عليهم أثر الإحسان ؛ وتستدرّحلب الأموال ، وتستديمُ عمارة الأعمال ؛ وتقضي بمواصله الحمل وتُحصل الغلال ، وتعودّ بها عليك عوائد الأجر والجمال ، ومثلك أشتهاًراً أيّها الأمير من ولى فلم تُطل له الوصايا التي يحتاج إلى إطاعتها سواء ؛ ويوثق بما يذكّيه من عُيون حريم غير خوافل ولا سواه ؛ ويحقّق أن تقواه رقيب سرّه ونجواه ، وأن أمير ورعه يحكم على أسير هواه ؛ والله سبحانه يجعل نعمة أمير المؤمنين لديك مأمولة الدوام موصولة الحبلى ، وتُتمها عليك كما أتمّها على أبويك من قبل ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا النمط كانت سائر ولايات أعمال الديار المصرية ، فكانت تُكتب على نظير ذلك في الوجه القبلي ولاية الجيزة ، وولاية الإطفيحية ، وولاية البهنساوية ، وولاية البوصيرية ، وولاية الأشمونين والطحاوية ، وولاية السيوطية ، وولاية الإنجيميّة ، وولاية الفيوم ، وولاية واج البهنسا ، وولاية الواح الداخلة ، وولاية الواح الخارجة . ومن الوجه البحري ولاية القليوبية ، وولاية مئينة تردى وهي مئينة قنبر ، وولاية المرتاحية ، وولاية الدقهلية ، وولاية مدينة تيس - وبها كانت دار الطراز - وولاية المنوفية ، وولاية جزيرة بنى نصر وربما أضيفت إلى المنوفية ومبرّ عنهما بالمنوفيتين ، وولاية جزيرة قوسينا ، وولاية البحيرة ، وولاية قنبر رشيد المحروس ، وولاية قنبر استراوه ، وولاية قنبر ديمياط ، وولاية القرمّا ، بساحل الشامى فيما دون العريش .

وأما البلاد الشامية فقد تقدم أنها كانت نرجست عنهم وتملكت الفرنج غالب سواحل الشام ، ولم يبقَ معهم إلا ساحل عسقلان وماقاربه وكان مقر الولاية بها في عسقلان .

وهذه نسخة سجل بولاتها ، وهى :

أما بعد ، فإن أولى ما وفر أمير المؤمنين حفظه من العناية والاشتمال ، واعتقد المكوف على مصالحه من أشرف القربات وأفضل الأعمال ؛ وأسند أمره إلى من يستظهر على الأسباب المصيبة بحسن صبره ، وصنق النظر فيه بمن لا يشكّل عليه أمره لمضائه وتقاضه ومعرفته وخبره ، ما كان حرجا للراغبين ومعقلا ، وملتجعا للجاهدين ومؤثلا ، ومؤجبا لكل مجتهد أن يكون لدرجات الثواب مرتفعا متوقفا ؛ عملا بالحوطة للإسلام الذى جعله الله فى كفالاته وشماته ، وتماديا على سياسته التى أقر بفضلها إقرار الضرورة كافة ملوك زمانه ؛ وحرصا على الأفعال التى لم يزل مقصودا فيها بالظاف الله تعالى وتوفيقه ، وتبتلا للأمر التى أرشده الله سبحانه فى تديرها إلى منهج الصواب وطريقه ، ومضاعفة من الحسنات عند أوليائه أهل الحق ويزبه وفريقه .

ولما كانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - غرة فى بهم الضلال والكفر ، وحرما يمتاز عن البلاد التى كلفها الشرك بالناب والظفر ؛ وهو من أشرف الثغور والحصون ، وأهل أنصار الذين القيم المحفوظ المصون ؛ وكنت أيها الأمير من أعيان أمراء الدولة وكبرائهم ، ووجوه أفاضلهم ورؤسائهم ؛ ولك فى الطاعة استرسال الأمن فى مواطن الخواف ، وفى اللب عنها وحمايتها مواقف كريمة لا توازى بالمواقف ؛ وقد وصلت فى ولائها القديم بالحديث والتالد بالطريف ؛ وحين وليت مهمات

أَسْتَجِدُّ فِيهَا بِعَزَمِكَ ، وَأَسْتَعِينُ عَلَيْهَا بِعَزَمِكَ ؛ تَهَيَّبَ الْأَعْدَاءَ فِيهَا ذِكْرَ اسْمِكَ ، وَكَانَ
 مِنْ آفَاتِكَ فِيهَا مَا شَهِرَ غُفْلَهَا بِوَسْمِكَ ؛ فَلَا يُبَارِكُ مُبَارِكُ إِلَّا أَرَيْتَ عَلَيْهِ وَزِدْتَ ،
 وَلَا يُنَاوِيكَ مُنَاوِي إِلَّا أَنْسَيْتَ ذِكْرَهُ أَوْ كِدْتَ ؛ فَكَمْ لَكَ مِنْ مَقَامٍ مَجْمُودٍ يَسِيرُ شَأْنُهُ
 وَوَصْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ ذِكْرِ جَمِيلٍ يُفَوِّحُ أَرْجَاهُ وَيَتَضَوِّعُ عَرْفُهُ ، وَكَمْ لَكَ مِنْ مَجَالٍ
 فِي الْمَشَايِعِ لَا يَقْصُرُ أَمْدُهُ وَلَا يَكْبُرُ طَرْفُهُ ؛ وَالسَّيِّدُ الْأَجَلُ الْأَفْضَلُ الَّذِي عَقَّمُ اللَّهُ
 قُدْرَهُ وَرَفَعَ مَجْدَهُ ، وَجَعَلَهُ فِي الْغَضَبِ لِنُوحِيدِهِ دُونَ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ أُمَّةً وَحِدَةً ؛ وَأَلْهَمَهُ
 التَّجَرُّدَ لِنُصْرَةِ الْإِيمَانِ فَحَقَّ اللَّهُ لِمَا غَفَلَ الْمُلُوكُ وَقَعَلُوا ، وَأَمَدَهُ بِمَوَادِّ السَّعْدِ
 فَاسْتَيْقِظَ مُتَفَرِّدَةً حِينَ نَامُوا عَنْ اسْتِخْلَاصِهِ مِمَّا عَرَّاهُ وَرَقَدُوا ؛ وَأَخْصَى أَنْتِصَابَهُ آيَةً
 أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِلَّهِ ، وَغَدَا أَنْتِصَارُهُ مُعْجِزَةً حَسَمَ بِهَا فِي رَفْعِ مَنَارِ الدِّينِ كُلِّ عَلَيْهِ ؛ فِيمَتِهِ
 مَصْرُوفَةٌ عَلَى مَا يُعِزُّ الشَّرِيعَةَ الْحَنِيفِيَّةَ ، وَعَزَمَتِهِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الدَّفْعِ عَنْهَا بِأَطْرَافِ
 الدُّوَابِلِ وَحَدِّ الْمَشْرِفِيَّةِ ؛ فَلْيَلْهِنِ اللَّهُ فِي كُلِّ مَا يَحَاوِلُهُ مَا يُضَافِعُ نَفْرَهُ ، وَأَعَانَهُ عَلَى
 مَا يَقْدِمُهُ لِمَعَادِهِ وَيَجْعَلُهُ فِي الْآخِرَةِ دُنْخَرَهُ ؛ بِحَوْلِهِ وَمَنَّةٍ ، وَطَوْلِهِ وَفَضْلِهِ .

فَلَا يَزَالُ هَذَا السَّيِّدُ الْأَجَلُ يُلْقِي عَلَيْكَ ثَنَاءً يَخْلُدُ لَكَ وَلَعَقِبِكَ مَجْدًا بَاقِيًا ، وَيُحِبُّوكَ
 مِنَ الْوَصْفِ وَالْإِطْرَافِ بِمَا يَجْعَلُكَ فِي مَرَاتِبِ الْوَجَاهَةِ وَالنَّبَاهَةِ سَامِيًا رَاقِيًا ؛ وَيُرْتَحِّكَ
 مِنَ الْخِلْدَمِ لِأَجَلِهَا قُدْرًا ، وَيُطْلِعُ مِنْكَ فِي آفَاقِ سَمَائِهَا بَدْرًا ، وَيَجْعَلُ لَكَ بِمَا يُؤْهِلُكَ
 لَهُ صِبْغًا وَيُسِيرُ لَكَ ذِكْرًا ؛ وَحِينَ جَدَّدَ شُكْرَكَ ، وَأَوْصَلَ عَلَى عَادَتِهِ مَا يُسَيِّدُ أَمْرَكَ ؛
 قَرَّرَكَ وَلَايَةً « مُنْزَعَةً سَقْلَانِ » - حَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - الَّذِي هُوَ قَمَرُ الدِّينِ ، وَكَوْنُهُ
 الْمُوَحِّدِينَ ؛ وَوَزَّرَ الْأَقْبِيَاءَ الْمَجَاهِدِينَ ، وَشَجَّى فِي صُدُورِ الْكُفْرَةِ الْمَعَادِينَ ؛ فَأَمْضَى
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَاهُ مِنْ هَذَا التَّقْرِيرِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْبَرَكَةَ مَضْمُونَةً فِيهَا يَتَكَلَّفُهُ مِنَ التَّنْذِيرِ ؛

(١) النفل بالضم ما لا علامة فيه من القُداح والطرق وغيرها وما لا يسميه عليه من الدواب . انظر القاموس .

ونخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ولاية هذا الثغر
المهروس وعمله ، وما هو منتظم معه من مهله وجبله .

فأعزف قدر هذه النعمة التي رفعتك على جميع الأمراء ، وأغناك فيها حسن رأى
أمير المؤمنين ووزيره السيد الأجل الأفضل عن الوسائط والسفراء ، وأحلتك أعلى
مراتب الرقعة والسمو ، وأحظتكم مع بُعد الدار بمزية القرب من قلوبهما والدنو .

فقلد ما قللك أمير المؤمنين من هذه الولاية الشاخصة المحل ، التي غدا محطورها
على فيرك من المباح لك المحل ، وتلقها من الشكر بما يجعلها إليك آوية ، ولذيك
مقيمة نأويه ، وأعمل فيها بتقوى الله التي إذا أظلمت الخطوب طلعت في ليها
بغرا ، قال الله عز من قائل : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ .

وأشمل أهل هذه الولاية بالمثالة بينهم فيما كان حقاً ، ولا تجعل بين الشريف
والمشروف في الواجب فرقا ، وأمر بالمعروف وأبى عن المنكر وأمنع
من الإجراء إليه ، وأقم الحدود مستمرا في إقامتها على العادة ، ومتوقفا من نقص
ما يؤمر به منها أو زياده ، وأصرف النصب الأجل ، الأوفر الأجل ، إلى الاستيقاظ
للعُدو المخدول المجاور لك والبحث عن أخباره وعمل المكائد له ، ومواصلته بما
يديم محاقته ووجهه ، وأغزه في عقر داره ، وأقصده بما يقضى بخفض مناره ،
ولا تهمل تسير السرايا إليه ، وإطلاع الطلائع بالمكاره عليه ، واعتمده بما يُترد
عنه لذيذ منامه ، وأزرع في قلبه خوفاً يهابك به في يقظته وفي أحلامه ، وأفضل
في أمر من يجوز إليك من عسكر البذل المنصور في تقرير نوب المناسر ، ولتنخيرها
كل متوَّج على الإقدام متجاسر ، ما تقتضيه الحال بما أنت [أ] قوم لمعرفة ، وأهدئ
الناس في سبيله ومجته ، ووقر حظ القاضى المكين متولى الحكم والمشاركة من

أمرنا لك وإكرامك ، وأشتمالك وأهتياك ، ورعايتك ومعاضدتك ، والعمل في ذلك بما هو معروف من سياستك ، ومشهور من رياستك ؛ وكذلك المستخديم في الدعوة الهاديّة نبته الله تعالى ، فاعتمده بما يُعزُّ أمره ، ويسطو أمّله ويشرح صدره . وضافر على أمر المال ، ووُفِّر الاستغلال ؛ والعمل من ذلك بما فيه أكبر حظّ للديوان . وأجر على ما هو مشهور عنك في ولايتك من حُسن السياسة ، والعمل بقضايا المصلحة ، والتبثّل لما تستقيم به أمور الخدمة ، وحفظ أهل السلامة وأرباب الدين ، وإعمال السيف في مستوجبه من المفسدين والمتمردين ، مما أنت أنشدّ الولاة فيه ، وأعلمهم بما يوجب الصواب ويقتضيه ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر بما تجب المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله تعالى .^(١)

المذهب الثاني^(٢)

(أن يفتح ما يُكتب في الولاية بلفظ « هذا ماعهد عبد الله ووليه فلان أبو فلان ، الإمام الفلاني أمير المؤمنين ، لفلان الفلاني حين ولّاه كيّت وكيت » من غير تعرض لتحميد في أول ما يُكتب ولا في أنشائه ؛ ثم يقال : « أمره بكنا وأمره بكنا » على قاعدة ما كان يكتب في العهود بديوان الخلافة ببغداد ، وهو قليل الاستعمال عندهم للغاية القصوى ، ولم أظفر منه بغير هذا العهد)

وهذه نسخة عهد على هذه الطريقة ، كُتِب به عن الحاكم بأمر الله الفاطمي ، للحسين بن علي بن النعمان ، بقضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب ، مضافاً إلى ذلك النظر في دور الضرب والعيار وأمر الجوامع والمساجد ، وهو :

(١) في بعض النسخ هنا زيادة نصها « وأما الوظائف الدنيّة فنها » ثم ترك ياباضاً بقدر نصف صفحة .

(٢) وقع في الأصول الضرب الثاني وهو سهو من الناسخ .

هذا ما عهد عبد الله ووليه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، للقاضي حسين بن علي بن النعمان حين ولّاه الحكم بالمعزية القاهرة ومصر، والإسكندرية وأعمالها، والحرمتين حرسهما الله تعالى، وأجناد الشام، وأعمال المغرب، وإعلاء المنابر، وأئمة المساجد الجامعة، والقومة عليها والمؤذنين بها، وسائر المتصرفين فيها وفي غيرها من المساجد، والنظر في مصالحها جميعا، ومشاركة دار الضرب وعيار الذهب والفضة، مع ما اعتمده أمير المؤمنين وانتصاه، وقصده وتوخاه: من اقتفائه لأثاره، وأتباعه إلى إيناره؛ في كل علية للدولة ينشرها ويحييها، وذنية من أهل القبلة يذئرها ويعفيها، وما التوفيق إلا بالله ولي أمير المؤمنين عليه توكله في الخيرة له ولسائر المسلمين فيما قلده إياه، من أمورهم وولاه.

أمره أن يتقي الله عز وجل حق التقوى، في السر والظهر والنجوى؛ ويتمتع بالثبات واليقين والثبوت، ويتمتع من الشبهات والشكوك والهوى؛ فإن تقوى الله تبارك وتعالى مؤئل لمن وآل إليها حصين، ومعتل لمن اقتفاها أمين، ومُعول لمن عول عليها مكين؛ ووصية الله التي أشاد بفضلها، وزاد في سناها بما عهد أنه من أهلها، فقال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وأمره أن لا يزل ما ولّاه أمير المؤمنين [إياه] من الأحكام في الدماء والأشعار والأبشار، والفروج والأموال، [عن] مترلته العظمى من حقوق الله المحزومة، وحرمانه المعظم، وبيئاته الميينة في آياته المحكمه؛ وأن يعمل كتاب الله عز وجل وسنة جدنا عبد خاتم الأنبياء، والمأثور عن أئمتنا على سيد الأوصياء، وآبائنا الأئمة النجباء - صلى الله على رسوله وعليهم - قبله لوجهه إليها يتوجه، وعليها يكون المتجه^(١). فيحكم

(١) في الأصل «إينا يتوجه وعليها لا يكون متجه» وهو غير مستقيم. تأمل.

بالحق ويقضي بالقسط ، ولا يُحْكَمْ الهوى على العقل ، ولا القسط على العدل ، إشاراً لأمر الله عز وجل حيث يقول : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقْوِمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

وأمره أن يُقَابِلَ مَارِسَمَهُ أمير المؤمنين وحده لفتاه برجوان ، من إعزازه والشدة على يده ، وتنفيذ أحكامه وأفضيته ؛ والقصر من عِنان كل متطاويل على الحكم ، والقبض من شكائمه ، بالحق المفترض لله جل وعز ولا مبر المؤمنين عليه : من ترك المجاملة فيه ، والمجابهة لذى رحم وقربى ، وولى للدولة أو مولى ؛ فالحكم لله وخليفته فى أرضه ، والمستكين له الحكم الله وحكم وليه يستكين ، والمتطاويل عليه ، والمباين للإجابة إليه ، حقيق بالإذالة والنهوض ؛ فليتنق الله أن يستخفى من أحد فى حق له : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَخْفِي مِنْ الْحَقِّ ﴾ .

وأمره أن يجعل جلوسه للحكم فى المواضع الضاحية للتحاكين ويرفع عنهم حجابهم ، ويفتح لهم أبوابه ، ويحسن لهم آتئصبايه ؛ ويقسم بينهم لحظه ولفظه قسمة لا يحايى فيها قوياً لقوته ، ولا يُردى فيها ضعيفاً لضعفه ؛ بل يميل مع الحق ويصنع إلى جهته ، ولا يكون إلا مع الحق وفى كفته ؛ ويذكر بموقف الخصوص ومحاباتهم بين يديه موقفه ومحاباته بين يدي الحكم العدل الذين : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ .

وأمره أن يُنِيمَ النظر فى الشهود الذين إليهم يرجع وبهم يقطع فى منافع القضايا ومقاطع الأحكام ، ويستشف أحوالهم استشفافاً شافياً ، ويتعرف دخالهم

تعرُّفاً كافياً؛ ويسأل عن مذاهبهم وتقليداتهم في سرهم وجهريهم، والجلّى والخبّيّ من أمورهم؛ فمن وجده منهم في العَدالة والأمانة، والنزاهة والصِّبانه؛ وتحوى الصّدق، والشهادة بالحق، على الشِّيمة الحسنَى، والطريقة المثلَى، [أبقاه] وإلا كان بالإسقاط للشهادة أولى. وأن يطالعَ حضرة أمير المؤمنين بما يدّوله فيمن يستله أو يردُّ شهادته ولا يقبله: ليكون في الأمرين على ما يحدّد له ويمثله، ويأمن فيما هذه سبيله كلَّ خَلل يدخله؛ إذ كانت الشهادة أُسَّ الأحكام، وإليها يرجع الحكم، والنظر فيمن يؤهل لها أحقُّ شيء بالأحكام؛ قال الله تقدّست أسماؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَوْنَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

وأمره أن يعملَ بأمثلة أمير المؤمنين له فيمن يلي أموال الأيتام والوصايا وأولى الخلل في عقولهم، والحجز عن القيام بأموالهم؛ حتى يجوز أمرها على ما يرضى الله ووليّه: من حيّاطتها وصيّاتها من الأمانة عليها، وحفظهم لها، ولقظهم لها يحرم ولا يخلُّ أكله منها؛ فيتبوا عند الله بعداً ومقتاً، أكل الحرام والموكل له مُختار؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

وأمره أن يُشارفَ أئمة المساجد والقومة عليها، والخطباء بها والمؤذنين فيها، وسائر المتصرفين في مصالحها؛ مشاركة لا يدخل معها خللٌ في شيء يلزم مثله: من تطهير ساحتها وأفتيتها، والاستبدال بما تبدّل من حُصنها في أحيائها، وعمارتها بالمصابيح^(١)

(١) الأولى "لخاضتها" كما لا يخفى.

في أوقاتها، والإنذار بالصلوات في مساكنها، وإقامتها لأوقاتها، وتوفيتها حتى ركوعها
ومجودها، مع المحافظة على رؤسوها وحدودها، من غير اختراع ولا اختلاص لشيء
منها : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وأمره أن يرمى دار الضرب وعيار الذهب والفضة بثقات يحتاطون طليما من
كل لبس، ولا يكتفون المتصرفين فيهما من سبب يدخل على المعاملين بهما شيئا من
الوكس؛ إذ كان بالعين والورق تتناول الرباع، والضبايع والمتاع؛ ويتناع الرقيق،
وتتعد المناكح وتتقاضى الحقوق؛ فدخل الغش والدخل فيما هذه سبيله جرحه
للدين، وضرر على المسامين؛ يتبرأ إلى الله منهما أمير المؤمنين .

وأمره أن يستعين على أعمال الأمصار التي لا يمكنه أن يشاهدها بأفضل وأعلم
وأرشد وأعمد من تمكنه الاستعانة به على ما طوَّقه أمير المؤمنين في استعماله . قال
الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

هذا ماعهد أمير المؤمنين فأوفى بهده، تهتد بهديه، وترشد برشده؛ وهذا أول
إمرة أمرها لك فاعمل بها، وحاسب نفسك قبل حسابها؛ ولا تدع من عاجل
النظر لها أن تنظر لما بها : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَادِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ
مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وكتب في يوم الأحد لسبع ليال بقين من صفر سنة ٣٨٩ .

المذهب الثالث

من مذاهب كُتُب الدولة الفاطمية

(أن يُفَتَّح ما يُكْتَب في الولايات بخطبة مبتدأة بالحمد لله كما يكتب في أهل الولايات في زماننا، ويقال: «يحمده أمير المؤمنين على كذا وكذا، ويسأله أن يصلي على محمد وآله، وعلى جدته علي بن أبي طالب» ثم يقال: «وإن أمير المؤمنين لم يزل يَنْظُرُ فِيمَنْ يَصْلُحُ لهذه الولاية، وأنه لم يجد من هو كَفُوها غير المولى، وإنه ولَّاه تلك الوظيفة» ثم يُوضَّح بما يليق به من الوصية؛ ثم يقال: «هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وجنته عليك، فأعمل به» أو نحو ذلك مما يُعطى هذا المعنى)

وقد أورد علي بن خلف من إنشائه في كتابه "مواد البيان" المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدة تقاليد لأرباب السيف .

منها — تقليد في رسم ما يُكْتَب للوزير، [وهو]:

الحمد لله المنفرد بالملكوت والسلطان، المستغنى عن الوزراء والأعوان؛ خالق الخلق بلا ظهير، ومصورهم في أحسن تصوير؛ الذي دبر فائق التدبير، وعلا عن المكلف والمشير؛ المان على عباده بأن جعلهم بالتوازر إخوانا، وبالتظار أعوانا؛ وأقرر بعضهم إلى بعض في انتظام أمورهم، وصلاح جمهورهم .

يحمده أمير المؤمنين أن استخلفه في الأرض، وناط به أسباب البرم والنقض؛ وأسترطه على بريته، وأستخلصه لخلافته؛ وقبضه لإعزاز الإسلام، وحياطة الأنعام، وإقامة الحنود وتنفيذ الأحكام؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وخيرة الأصفياء؛ المؤيد بأفضل الظهراء، وأكل الوزراء؛ على بن أبي طالب المتكفل في حياته، بنصره وإظهار شريعته، والقائم بعد وفاته، مقامه في أمته؛

صلى الله عليهما، وعلى الأئمة من ذريتهما، مفاتيح الحقائق، ومصابيح الخلائق؛ وسلم، وشرف وكرم.

وإن الله تعالى نظر خلقه بعين رحمته، وخصّ كلّ منهم بضرب من ضروب نعمته، وأقدّرهم بالتعاضد، على انتظام أمورهم الوجودية، وأوجد لهم السبل بالتراقد، إلى استقامة شؤونهم الدنيوية : لتنجس عيون المعاون بتوازيهم، وتدرّ أخلاق المرافق بتظافرهم.

وأولى الناس بالتخاذ الوزراء، واستخلاص الظهراء، من جعله الله تعالى إلى حقّه داعياً، وخلقّه راعياً؛ ولدار الإسلام حامياً، وعن حماه مرامياً؛ واستخلفه على الدنيا وكلّفه سيااسة المسلمين والمُعاهدين، ولذلك سأل موسى عليه السلام وهو القوى الأمين، في استخلاص أخيه هارون لوزارته، وشدّ أثره بمؤازرته، فقال : ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَنِّي أَشَدُّ بِهِ أَزْرًى ﴾ . واستوزر محمد صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ابن عمه علياً سيد الأوصياء؛ بدليل قوله له : « أَنْتَ مَنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُومَنِي إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » لأن الإمام لو تولى كلّ ما قرب وبُعد بنفسه، وعول في حيطته على حواسه؛ لنصّ ذلك بتطرق الخلل، ودخول الوهن والشلل؛ وإنما تستعين الأئمة على ما كفّلها الله بكفّاة الأعوان، وأهل النصرة في الأديان؛ ودوى الاستقلال والتشهير، والمعرفة بوجوه السياسة والتدبير، والخبرة ببحارى الأعمال، وأبواب الأموال، ومصالح الرجال .

وإن أمير المؤمنين لم يزل يترادّ لوزارته حقيقةً بها مستحقاً نعمتها؛ جامعاً بين الكفاية والنفاء، والمناخية والولاء، والأبوة والاختصاص، والطامة والإخلاص؛ والنصرة والعزم، وأصالة الرأي والحزم، ونفاة السياسة والتدبير، والنظر بالمصلحة في الصغير والكبير، والإحتيال والتأديب، وملازمة الأيام والتجريب؛ والإيناء

إلى كريم المناجب ، بضمير المناسِب ؛ ومُكرِّر في الاختيار تقييده ، ويُجِيل في الانتقاء تأمله وتدبره . وكَلَّبا عَرَضَتْ لَهُ تَحِيْلَةٌ قِمِنْ تُوَافِقُ لِبَثَارِهِ ، أَخْلَفَ تَوْعُمَا ، وَكَلَمَا لَاحَتْ لَهُ بَارِقَةٌ تُطَابِقُ اخْتِبَارَهُ ، خَبَا ضَوْعُمَا ؛ حَتَّى أَتَهَتْ رَوِيَّتُهُ إِلَيْكَ ، وَأَوْقَفَهُ أَرْتِيَادُهُ عَلَيْكَ ؛ فَرَأَاكَ لَهَا مِنْ يَلِينَسِمِ أَهْلَا ، وَبَتَقْمُصِ سِرْبَالِهَا أَوْلَى ؛ وَبِالْاِسْتِبْدَادِ بِأَمْرِهَا أَحَقُّ وَأَحْرَى : لِاشْتِمَالِكَ عَلَى أَعْيَانِ الْخِصَائِصِ الَّتِي كَانَ زِيَادٌ [لَهَا] جَامِعَا ، وَحُلُولِكَ فِي أَعْيَانِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَرَوِمُهَا مَتَحَلِّيَا بِفِرَائِدِهَا ، وَمَا شَهَرَتْ بِهِ مِنْ إِفَاضَةِ الْعَدْلِ وَالْإِقْسَاطِ ، وَإِغَاضَةِ الْجَوْرِ وَالْإِشْطَاطِ ؛ وَإِنَالَةِ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ ، وَإِزَالَةِ الظُّلْمِ وَالْإِنْجَافِ ؛ وَمِرَاةِ النَّصِيحِ بِنَاسِنَاكَ شَاهِدَا ، وَمَنَاجِيَةِ بَحْثِ دَارِكَ جَاهِدَا ؛ وَلِتَهْوِضَكَ بِالْخَطْبِ إِذَا أَلَمَّ وَأَشْكَلَ ، وَالْحَادِثِ إِذَا أَلَمَّ وَأَعْضَلَ ، وَتَفَرَّدِكَ بِالْمَسَاسَى الصَّالِحَةِ ، وَالْآثَارِ الْوَاضِحَةِ ، وَالطَّرَائِقِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْمَذَاهِبِ السَّيِّدَةِ ، وَالتَّحَلِّيِ بِالنِّزَاقَةِ وَالظُّلْفِ ، وَالْعَطَلِ مِنَ الطَّعْنِ وَالنَّطْفِ ؛ وَفَضْلِ السَّيْرِ ، وَصِدْقِ السَّرِيرَةِ ؛ وَمَحَبَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِقَدْرِ الْأَمَانَةِ ؛ وَالْإِضْطِلَاجِ بِالصَّدِيقَةِ ، وَالْحَفِظِ لِلوَدِيعَةِ .

فَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِهِ فِيمَا يُرِيهِ ، وَيَقْضِي لَهُ بِالصَّلَاحِ فِيمَا يَنْزِمُ عَلَيْهِ وَيُضْبِئِهِ وَيُسَدِّدُ مَرَامِيَهُ وَمَسَاعِيَهُ ؛ وَيَتَعَهَّدُهُ فِي جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ بِطُفْءِ تَحْلُوسِمَارِهِ ، وَتَحْسُنُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْكَافَّةِ أَثَارُهُ ؛ أَنْ قَدْ وَلَّاكَ النِّظَرَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَأَعْمَالَ دَوْلَتِهِ : بَرَّهَا وَبَحَرَهَا ، وَمَسَّهَا وَوَعَرَهَا ، وَبَثَّهَا وَحَضَرَهَا ؛ وَرَدَّ إِلَيْكَ سِيَاسَةَ رَجَالِهَا وَأَجْنَايَا ، وَكُتُبَهَا وَعُرْفَاتِهَا ، وَرَعِيَّتَهَا وَدَوَاوِينَهَا ، وَأَرْتِفَاعِهَا وَوُجُوهَ جَبَابَتِهَا وَأُمُومَالِهَا ؛ وَصَدَّقَ بِكَ الْبَسْطَ وَالْقَبْضَ ، وَالسَّرْمَ وَالنَّقْضَ ؛ وَالْحَطَّ وَالرَّفْعَ ، وَالْعَطَاءَ وَالْمَنْعَ ، وَالْإِنْصَامَ وَالْوَدْعَ ، وَالتَّصْرِيفَ وَالصَّرْفَ ؛ ثِقَةً أَنَّ الصَّوَابَ مَنْوُوطٌ بِمَا تُسَدِّدِي وَتُلْجِمِي ، وَتُقْبِضِي وَتَنْظِمِي ، وَتَنْقُضِي وَتُبْرِيمِي ؛ وَتُصَدِّرِي وَتُورِدِي ، وَتُقَرِّرِي وَتُتَاقِي وَتَقَرَّرِي .

فَلْتَبَهِّئْ هَذِهِ النِّعْمَةَ مَتَمِّلاً بِمَلَكِيَّتِهَا ، سَارِياً فِي قَبَسِهَا ، وَتَلْقَاهَا مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَسْتَرِيحُهَا
وَيُجَلِّدُهَا ، وَيُقَرِّظُهَا عَلَيْكَ وَيُؤَبِّدُهَا ، وَأَعْرِفْ مَا أَهْلَكَ لَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الْمَقَامِ
الْأَثِيرِ ، وَالْمَحَلِّ الْخَطِيرِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
وَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ مَكْتَفِياً بِفَضْلِ حَصَافَتِكَ ، وَتَقَابَةِ فِطْنَتِكَ ، وَحُسْنِ دِيَانَتِكَ ،
وَوَثَاقَةِ تَجَرُّبَتِكَ - عَنِ التَّبَصُّيرِ ، مُسْتَعِينَا عَنِ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لَا يَتِمَّنِعُ أَنْ يَزِيدَكَ مِنْ مَرَّاشِدِهِ ، مَا يَقِفُكَ عَلَى سَنَنِ الصُّوَابِ وَمَقَاصِدِهِ ، وَهُوَ
يَأْمُرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سِرِّكَ وَجَهْرِكَ ، وَأَسْتَشْعَارِ خَشْيَتِهِ وَمِرَاقَبَتِهِ ، وَاللَّهُ قَدْ
جَعَلَ لِنَ آتِقَاءِ مَخْرُجاً مِنْ ضَيْقِ أَمْرِهِ وَحَرَجِهِ ، وَنَصَبَ لَهُ أَعْلَماً عَلَى مَنَاجِحِ قَرَجِهِ .
وَأَنْ تَسْتَعْمَلَ الْإِنصَافَ وَالْعَدْلَ ، وَتُسَبِّحَ الْإِحْسَانَ وَالْفَضْلَ ، وَتُكَلِّمَ كَنَفَكَ ، وَتُظْهِرَ
لَطْفَكَ ، وَتُحْسِنَ سِرِّكَ ، وَتُخَيِّضَ بَرِّكَ ، وَتَصَفِّحَ وَجْهَكَ ، وَتَعْفُو تَكْرَمَكَ ، وَتُبَصِّرَ
مَنْ تَرْجُو صَلَاحَهُ وَتَفَهِّمَهُ ، وَتُنَصِّفَ مَنْ أَفْرَطَ جِمَاحَهُ وَتُقَوِّمَهُ ، وَتَأْخُذَ بِوَثَاقِ
الْحَزْمِ ، وَجَوَامِعِ الْعَزْمِ ، وَالْفَلْظَةِ وَالشَّدَةِ عَلَى مَنْ طَغَى وَلَجَّ فِي غَيْهِ وَعَنَا ، وَبَارَزَ اللَّهَ
وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخِلَافِ وَالشَّقَاقِ ، وَالْإِنْحِرَافِ وَالتَّفَاقِ ، مُسْتَعْمِلاً فَاضِلاً التَّدْبِيرَ عِنْدَ
الْمُؤَادَةِ ، وَفَاصِلاً الْمَكَالِفَةَ عِنْدَ الْمُقَارَعَةِ ، مُصَابِحاً لِلْفَاسِدِ ، مُسْتَنّاً لِلشَّارِدِ ، مَكْتَرِماً
لِلْأَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ وَخُلَصَائِهَا ، وَحَاصِداً لِبَغَايِهَا وَأَعْدَائِهَا ، وَاعْظِماً مَذْكُراً لِلْعَافِلِ ، مُؤَمِّناً
لِلظُلُومِ الْخَافِيفِ ، خَفِيقاً لِلظَّالِمِ الْخَافِيفِ ، مُسْتَصْلِحاً لِلسَّيِّئِينَ ، مَذْكُراً بِالْحَسَنِاتِ الْحَسَنِينَ ،
مُنْتَجِزاً لِهَمِّ الْجَزَاءِ عَلَى بَلَائِهِمْ فِي الطَّاعَةِ وَأَثَارِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ . وَأَنْ تَتَّقِرَ رِجَالُ الدَّوْلَةِ عَلَى
أَخْتِلَافِهِمْ نَظراً يَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ السَّدَادِ ، وَيُجَرِّى أُمُورَهُمْ عَلَى أَفْضَلِ الْعُرْفِ الْمُعْتَادِ .
فَإِنَّمَا الْأُمَاتُ وَالْأَسْرَاءُ ، وَالْأَعْيَانُ وَالرُّؤَسَاءُ ، فَتَحْفَظْ عَلَى مَنْ أَتَمَدَّتْ طَرِيقَتُهُ ،
وَعُرِفَ إِخْلَاصُهُ وَطَاعَتُهُ ، شِعَارَ رِيَاسَتِهِ ، وَتَزِيدْ فِي تَكْرِمَتِهِ ، وَتَنْتَهِي بِهِ إِلَى مَا تَهْتَدِي
إِلَيْهِ مَوَاضِي هِمَّتِهِ .

وأما طوائف الأجناد فقررهم على مراتبهم في ديوان الجيش المنصور، وتخصمهم من عنايتك بالنصيب المؤفّر، وتبذلهم في سدّ الثغور وتشديد الأمور؛ وتراعى وصول أطاعهم إليهم، وأوقات الاستحقاق إليهم؛ وانفاقهم نصاب الوجوب منهم .

وأما الحُكّاب المستخدمون منهم في استخراج الأموال، وعمارِ الأعمال، فتخصّص كفاتهم بما تقتضيه كفايتهم، وأمناءهم بما توجبه أماناتهم؛ وتُسبّل بالعاجز الخبيث الطعنه، والطبع المستشعر شعار المنة: ليحفظ التره المأمون بزاهته وأمانته، ويُقلع الدنس الخشون عن دَنَسه وخيانتته؛ وتأمّر من تختاره لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يسيروا بالسّر الفاضله، ويعملوا على الرّسوم العادله؛ فلا يضربوا حقاً لبيت مال المسلمين، ولا يخيّفوا أحداً من المعاملين .

وأما الرّعية، فيأمرُك أن تحمّك بينها بالسّوية، وتعمد لها بعنل القضية؛ وترفع عنها نير الجور، وبجھيا من ولّاء الظلم؛ وتسوسها بالفضل والرّافة متى استقامت على الطاعة، وتادّب في التّباة؛ وتقومها متى أجزت إلى المنازع والإفتتان، وأصررت على مفضية السلطان .

وأما الأموال وهي العدة التي تُرهب عزائم الأولياء، وتغض من نواظر الأعداء؛ فتستخرجها من محققها، وتضعها في مستحقّها؛ وتجتهد في وفورها، وتوفّر على ما عاد بدورها؛ وأن تطالع أمير المؤمنين بركه وجلّه، وعقد أمرك وحلّه؛ وتنبئ إليه كل ما تعزّم على لإنائه، وترجع فيه إلى رائه: ليكرّمك من موادّ تبصيره وتعريفه، ويزيدك من هدايته وتوقيفه؛ بما يُفضي بك إلى جادة الخير وسبيله، ويوضح لك علم النّجاح ودليله .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك : وقد أودعه من تلويح الإشارة ، ما يمكنني به عن
تصريح العبارة ؛ ثقةً بأنك الأريبُ الأملِي ، والفطنُ اللوذعي ، الذي تنبئ به
مئونُ التذكير إلى أطرافه وحواشيه ، وتقضي به هوادي القول إلى أعجازه وتواليه .
فتقلد ما قبلك أمير المؤمنين ، وكُنْ عند حُسْن ظَنِّه في فضلك ، وصِدْقِ نَحْيَتِهِ
في كمالك ، والله تعالى يعترف أمير المؤمنين وجه الخيرة في تصيير أمره إليك ، وتوعيله
في مهماته عليك ، ويوفئك لشكر الموهبة في استخلاصك ، والمنفعة في اجتنبائك ،
ويُنْهِضُك بما حَمَلَكَ من أعباء مظاهراته ، وَجَسَّمْكَ من أفعال دولته ، ويُسَدِّدُكَ
إلى ما يُدِيرُكَ عليك أخلاف [نعمته] ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .



عمر بن حلف

ومنها - ما أورده في رسم تقليد زَمِّ الأتقارب : وهو التقدمة على أئقارب الخليفة ،
وهذه نسخته :

الحمد لله الذي أبتدأ بنعمته آبتداءً واقتضاباً ، وأعادها جزاءً وثواباً ، ويميز
من اختصه بهداية خلقه ، واستخلصه لإظهار حَقِّه ، بأضفاها عطاها ، وأضفاها
نفاها ؛ وأحسنها شعاراً ، وأجلها آثاراً ، واستخرجهم من أطيب البرية أعراقاً ،
وأطهرها شتياً وأخلاقاً ، وأقدمها سُؤدداً ومجداً ، وأكرمها أباً وجداً ، وتوحد بأفضل
ذلك وأعلاه ، وأكمله وأسناه ، محمداً صفوته من خُلصائه ، وخيرته من أنبيائه ؛
فاظهره من المنجَّب الكريم ، والمنجَّم الصِّميم ، والدُّوْح الطاهرِ عُصْرَها ، الشريف
جوهرها ، الحَلُولِ كُومَها ؛ ورَفَّحَ من اختاره من عُثرته لسياسة بريته ، والدعاء إلى
توحيده وطاعته .

يمدحه أمير المؤمنين أن شرفه بمراث النبوة ، وفضله بأكرم الولادة والأبوة .
وأحلّه في الذروة العالية من الخلافه ، وناط به أمور الكافه ؛ ويسأله الصلاة على
جده محمد وعلى أبيه ، صلى الله عليهما .

وإن أمير المؤمنين يرى أن من أشرف نعم الله عليه موقفاً ، وألطف مواهبه لديه
موضعا ؛ توفيقه للمحافظة على من يواشجه في كريم نسبه ، ويمارجه في صميم حسبه ؛
ويداينه في طاهر مولده ، ويقاربه في طيب محبته ؛ وتزليل كل ذي تميز منهم
في دين وعلم ، ودراية وفهم ، وإحلاله بالمنزلة التي يستوجبها بفاضل نسبه ، وفضل
مكتسبه ؛ ويبعث أنظاره على التحلل بخصاله ، والترين بخلاله ؛ ليحصل لهم من فضل
الخليل والآداب ، ما يضيأه الحاصل لهم من عرافة المناجب والأنساب ؛ ولذلك
لا يزال ينوط أمورهم ، ويكل تديريهم ، إلى أعيان دولته ، وأماثل خاصته ؛ الذين
يشادون حضرته ويراوونها ، ويطالون بحقائق أحوالهم وينهونها ؛ ويستخرجون
أمره في مصالحهم بما يدل لهم قُطوف إحسانه وطوله ، ويُعذب لهم مَشارِعَ برّه
وفضله ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُنيب .

فإن كان العهد إلى خادم ، قال :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين معنودا في أولي النباهه ، المترشحين للإستقلال
بأعباء دولته ودوى الوجاهه ، المُستخلصين لاستكفاء جلال مملكته : لما اجتمع
فيك من إباء النفس وعزتها ، ووثاقه الديانة وحصافتها ؛ وسداد السيرة واستقامتها ،
ونقاء السيرة وطهارتها ؛ وثقلك منهج أمير المؤمنين ومنهجه ، وتمثلك بهديه وأدبه ؛
ونشيطك في قصور خلافته ، وأرتضاعك في طاعته - رأي - والله تعالى يعزيم له على
الخير في آرائه ، ويوفقه لصالح القول والعمل في أنصائه - أن قلبك زَمَ بنى عمه

الأشراف الإسماعيليين ثقةً بسياسيتك وحديد طريقتك ، وإثافةً لمزيتك وإعرايا
عن أثير مكاتك .

وإن كان العهد إلى شريف قيل بدلاً من هذا الفصل :

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين مربي زين شريف محبته ، بمنيف سؤدده ،
وطاهر مولده ، بظاهر محبته ؛ وكرم تالده بنفيس طارفه ، وجليل سالفه ، ببنييل
آفته ، مقتنياً من أوليتك ، مقرباً على أصول دوحك ؛ ضارباً بالمهم المعلن في الدين
والعلم ، حائزاً خصل السبق في الرجاحة والفهم - رأى أمير المؤمنين أن قللك نقابة
بى عمه الأشراف الفلانيين : همةً بأنك تعرف ما يجمعهم وإياك من الأرحام الواشيعه ،
والأواصر المتنازجه ؛ ومحسن السيرة بهم ، والتمهّد لهم والتوفّر عليهم .

ثم يوصل الكلام بأى الخطاين قلّم فيقال :

فقلّد ما قللك أمير المؤمنين مستشعراً هوى الله وطاعته ، معتقداً خيفته
ومراقبته ؛ سائراً فيمن ولاك أمير المؤمنين بسيرته ، مستنّاً بسنته ؛ متأدّباً بأدابه ،
مقتنياً مناهج صوابه ؛ وإكرام هذه الأسرة [التي] خصّها الله تعالى بكرامته ، وفرض
مودتها على أهل طاعته ؛ وتزهرها عن الأدناس ، وطهرها من الأرجاس ؛ فقال جل
قائلاً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وأعرف لهم حق مراتبهم الدانية من أمير المؤمنين ، وتزلم بحيث تزلّم الله من
الدنيا والدين ؛ وأحمّد تعظيم مشايخهم وتوقيرهم ، وسياسة شبانهم وتديبرهم ، وتقويم
أخلاقهم وتتيقّفهم ؛ وحذم بلزوم الطرائق الحميدة ، والمذاهب السيّيدة ؛ التي تليق
بأصولهم الطاهرة ، وفروعهم الثميرة ؛ ومناجحتهم الصّميمة ، ومناجهم الكريمة ؛
وتفقد منشاهم ومرابهم ، وحلّطاهم وقرباهم ؛ فن تناكرت أعراقه ، وأخلّقه ،

وأنسابه، وأدابه، بالغت في تنبيهه وتعريفه، فإن نَجَحَ ذلك فيه وإلا بسطت يدك إلى تهذيبه، وإصلاحه وتأديبه : لَيْسَتْ بِقَطْ من منامة غرته ، ويرجع إلى اللائق بشرف ولادته ؛ وأنظر فيما أوقف عليهم من الأملاك والمستغلات، والضيايع والإقطاعات، والرُسوم والصلوات ؛ وأنذِبْ لتوَلَّى ذلك مَنْ تَسْكُنُ إلى ثقته وأمانته من الحُكَّابِ؛ وراعى سيرته في عمارته ، وطريقته في تنمية ماله وزيادته ؛ فإن ألقىته كافيًا أمينًا أقررتَه ، وإن وجدته عاجزًا خُفُونًا صرَفْتَه ؛ وأستبدلت به من يُحْسِنُ خبرك ، ويُطِيبُ أثرَكَ ؛ وأجر الأمر في قسمته بين ذكورهم وإناثهم على الرسوم التي يشهد بها ديوانهم ؛ وأكتب الرِّقاعَ عنهم إلى الحضرة في اقتضاء رؤسومهم ، وما يعرض من مهمات أمورهم ، وتلجِز كل ما يتعلق بهم وتوَبُّ عنهم فيه : لتستقيم شئونهم بسياستك، وتنظِّم أحوالهم بحسن سيرتك .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاعمل به وأنته إلى متضمنه، إن شاء الله تعالى :



ومنها — ما أورده/ في رسم تقليد بتقابة العلويين، وهو :

الحمد لله الذي أنجب من أشرار عباده قادة جعلهم لمصالحهم نظاما ، وأنجب من أخيار خلقته سادة صبرهم لأموهم قواما ؛ وصدق بهم هداية من ضلّ، وتقويم من دلّ ؛ وتعلّم من جهل ، وتدكّر من غفل ؛ ونصّبهم أعلما على طرق الرشاد ، وأدلة على سُبُل السداد .

يحمده أمير المؤمنين أن آخضه بأثرة الخلافة والإمامه ، وميزه بمزية الولاية على الأمة والزعامه ؛ وأنهضه بما كلفه من سياسة بريته وتزليلهم منازلهم من اختصاصه وإيثاره، وإحلالهم في محالهم من استخلاصه واختياره؛ ويسأله الصلاة على أشرف

الأُمم نَجَارًا وَأَطْيَبِهِمْ حُنُصْرًا، وَأَعْظَمَهُمْ مَقْتَحَرًا؛ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَخِيهِ
وَأَبْنِ عَمِّهِ، وَبَابِ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ؛ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الرَّاسِخِ فِي نَسَبِهِ،
الْمُدَانِي [لَهُ] فِي حَسَبِهِ، سَيِّفِهِ الْبَاتِرِ، وَمُعْجِزِهِ الْبَاهِرِ، وَمُكَاتِفِهِ الْمُنَظَّاهِرِ؛ وَعَلَىٰ
الْأُتَمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الْمُهْدِيَيْنِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ شَرَفِ الْمَنْجَمِ وَالْمَوْلِدِ، وَكَرَمِ الْخِتِمْ؛
وَنُزُولِهِ مِنْ مَنَاصِبِ الْخُلَفَاءِ وَالْأُتَمَّةِ، وَنَاطِقِهِ مِنْ إِمَامَةِ الْأُتَمَّةِ - يَرَىٰ أَنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ
الَّتِي يُحِبُّ التَّعَدُّثُ بِشُكْرِهَا، وَتَحَقُّقُ الْإِفَاضَةِ فِي نَشْرِهَا، تَوْفِيقُهُ لِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ
ذَوِي نُحْتِهِ، وَأَوَّلَىٰ مُنَاسَبَتِهِ؛ الْمُوَاضِعِينَ لَهُ فِي أَرْوَمَتِهِ، الْمُعْتَرِينَ إِلَىٰ كَرَمِ وِلَادَتِهِ؛
وَتَوْخِيهِمْ بِمَا يُرْفَلُهُمْ فِي مَلَابِسِ الْجَمَالِ، وَيُوقَلُّهُمْ فِي هَضَبَاتِ الْجَلَالِ؛ وَيُرَبِّتُهُمْ
فِي الرِّبِّ الَّتِي يَسْتَوْجِبُونَهَا [وَيَرَاهَا] أَوَّلَىٰ بِمَنَاسِبِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، وَمَاسًا بِأَنْسَابِهِمْ وَأَدَابِهِمْ؛
وَلِذَلِكَ يُصَرِّفُ أَهْتَامَهُ إِلَىٰ مَا يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ شَرَفِ الْأَعْرَاقِ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ؛ وَطَهَارَةِ
الْعَنَاصِرِ وَالْأَوَاصِرِ، وَحَيَاةِ الْمُنَاقِبِ وَالْمَنَاقِبِ .

وَمَا كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جِلَّتِهِمُ الْعُلَمَاءِ، وَطَهَرَتِهِمُ الْأَزْكِيَاءِ؛
وَأَبْرَارِهِمُ الصُّلَحَاءِ، وَخِيَارِهِمُ الْفُضَّلَاءِ، الَّذِينَ تَضَارَعَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَأَعْرَافُهُمْ،
وَتَقَارَعَتْ أَنْسَابُهُمْ وَأَدَابُهُمْ؛ وَتَنَاسَلَتْ مَوَارِدُهُمْ وَمَصَادِرُهُمْ، وَتَشَابَهَتْ أَوَائِلُهُمْ
وَأَوَاخِرُهُمْ، وَاتَّفَقَتْ جَبُوبُهُمْ وَدَخَائِلُهُمْ، وَتَوَفَّقَتْ عَنِ الدِّينِ وَالْخَيْرِ عَنَائِلُهُمْ .
هَذَا مَعَ مَا بَرَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرِيمِ مَسَائِكِ فِي خِدْمَتِهِ، وَإِصَابَةِ مَرَامِكِ
فِي طَاعَتِهِ، وَأَحْصَايَكِ بِجَبَلِ مَتَابَعَتِهِ، وَتَهْوِضِكَ بِمَحْقُوقِ مَا أَسْبَغَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَتِهِ -
رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَقْضِي لَهُ فِي آرَائِهِ بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ، وَتَمِيمَةِ بِالْعَوْنِ
وَالتَّائِيدِ فِي تَجَارِي الْأَقْدَارِ - أَنَّ قَلْبَكَ النَّقَابَةَ عَلَى الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ أَجْمَعِينَ، الْمُقِيمِينَ

بالخبرة وسائر أعمال الملكة شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ ثقةً بأنك تصدق بحيلة
فيك واعتقاده ، وتستدعي بكفاية ما استكفأك شكره وإحماده ، وتستدبر بالاستقلال
والغناء أخلاف إحسانه وفضله ، وتمتري بالاضطلاع بمضلع الأفعال فائض آمنتانیه
وطوله .

فتقلد ما قللك أمير المؤمنين عاملاً بتقوى الله وطاعته ، مستشعراً لخفيته
ومراقبته ؛ وأحسِن رعاية من علق بك رايته ، وسياسة من وكل إليك سياسته .

وأعلم أن أمير المؤمنين قد ميزك على كافة أهل نسبك ، وجميع من يؤاخذك
في حسبك ، وجعلك عليهم رئيساً ولم سائساً ؛ فأعرف لهم حق القرواية والمشاورة ،
وتساجر الأساب والمشاركة ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وعظمهم جميعاً بالتوقير والإكرام ، والتفقد والإهتمام ؛ واتخذ
شيخهم أبا ، وكهلهم أخا ، وطفلهم ولداً ؛ وأفرض لهم من الحنان ، والإشفاق
والفضل والإحسان ، ما تقتضيه الرحيم الدانيه ، والأواصر المتقاربة ؛ وكُن مع ذلك
متفقداً لأحوالهم ، مطالعاً لسيرهم وأفعالهم ؛ فمن ألقته سالكاً لأقصد الطرائق ، متخلقاً
بأجل الخلائق ؛ حارساً لشرفه ، متشبهاً بسلفه ، فزده في الأثرة زيادة تُرغِب أمثاله
في اقتفاء منْهيه ، وتبعته على التأدب بأدبه ؛ ومن وجدته مستحسناً مالا يلبق بصريح
عِرفه ، راكياً ما ليس من طُرقه ، فأيقظه بنافع الوعظ ، وذكَّره بناجع اللفظ ؛ فإن
استقام على الطريقة المثلى ، ورجع إلى الأجدر والأولى ، عرفت ذلك من فعله ،
وفرضت له ما تقرضه لصلحاء أهله ؛ فإن الله تعالى قد فتح باب التوبة ، ووعد بإقالة
أهل الإنابة ؛ ومن انحرف عن التذكير ، وأنصرف عن التبصير ؛ وأصر وتعادى ،
وأتكب ما يُوجب حداً ؛ آمنتلت أمر الله تعالى فيه ، وأقت الحدة عليه ؛ فبر مصغ

إلى شَفَاعِهِ ، ولا مُوجب لِحَقِّ دَرِيْعِهِ : فإن أمير المؤمنين يصل من دَوَى أنسابه ،
من وَكْدِهَا بِأَسْبَابِهِ ؛ وَيَقْطَع من أوجب الحَقِّ قَطِيعَتَهُ ، ولا يراعى رِجَمَهُ وَقَرَابَتَهُ .
ووَكَّلَ بِهِمْ من يَرَوِي إِلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ ، وَيَكْشِفُ لَكَ آثَارَهُمْ : لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بِبَالِ
مَنْ مَطَالَعَتِكَ ، وَبَعِيْنٍ مِنْ أَهْتِمَامِكَ وَمَشَارَفَتِكَ ؛ فَيَكْبَحُ ذَلِكَ جَائِعُهُمْ عَنِ الْعِتَارِ
وَالسَّقَطِ ، وَيَمْنَعُ طَاعِمَهُمْ مِنَ الزَّلَلِ وَالْفَلْطِ . وَتَوْخَّجُهُمْ فِي خَطَايَاكَ بِالْإِكْرَامِ ، وَمِيْزِهِمْ
عَنِ مَحَاوِرِ الْعَوَامِ ؛ وَلَا تَقَابِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِبَدَاءٍ وَلَا سَبِّ ، وَلَا تَقْدَحْ فِي أُمِّ وَلَا أَبٍ ؛
فَإِنَّهُمْ فِرْعَوْنُ دُوْحَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَصِرْتُهُ الَّذِينَ طَهَّرَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَرْجَاسِ ، وَقَرَضَ قِرَامَهُمْ
عَلَى النَّاسِ . وَوَفَّرَ أَهْتِمَامَكَ عَلَى صِيَانَةِ النَّسَبِ مِنَ الْوَكْسِ ، وَحِيَاظَتِهِ مِنَ اللَّبْسِ ؛
فَإِنَّهُ نَسَبُ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَتَّصِلُ يَوْمَ اقْتِطَاعِ الْأَنْسَابِ ، وَسَبَبُهُ
الَّذِي يَنْشِجُ يَوْمَ أَفْرَاطِ الْأَسْبَابِ ؛ وَأَثْبِتْ أَسْمَاءَ كَافَّةٍ مِنْ يَتَتَرَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ
مَنْسُوبَةً إِلَى أَصُولِهَا : لِتَأْمِنَ مِنْ دَخِيلٍ مُلْصَقٍ يَتَرَقَّرُ عَلَيْهَا ، وَمُخْتَلِقٍ مُلْحَقٍ يَنْضُمُ
إِلَيْهَا . وَإِنْ عَرَفَ مَدَّجٌ نَسَبًا لَا حِجَّةَ لَهُ فِيهِ ، وَلَا بَيِّنَةً عَنْدهُ عَلَيْهِ ؛ فَتَلَفَّظْ لَهُ بِالْعِقَابِ ،
وَأَشْهَرِهِ شُهْرَةً تُجْزِيهِ عَنْ مَعَاوِدَةِ الْكَذَّابِ ؛ وَاحْتِطْ فِي أَمْرِ الْمَنَاحِكِ وَمُصْنَعِهَا عَنِ
الْعَوَامِ ، وَوَقِّرْ كِرَامَهُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ عَنِ مُلَابَسَةِ اللَّثَامِ ؛ وَإِنْ آدَعَى أَحَدٌ مِنَ الرِّعِيَةِ حَقًّا
عَلَى شَرِيفٍ فَأَحْلِلْهَا عَلَى السُّوِيَّةِ وَعِدهُ بِإِنْصَافٍ خَصِمِهِ ، وَأَمْنَتَهُ مِنْ ظُلْمِهِ ؛ وَإِنْ
تَبَتَّ أَيْضًا فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ حَقٌّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَشْرَافِ فَانْزِعْهُ مِنْهُ [وَوَلِ] ^(١) عَلَى
مَنْ فِي الْبِلَادِ ، أَهْلَ السُّدَادِ مِنْهُمْ وَالرَّشَادِ ؛ وَمُرَّهُمْ بِتَقْيِيلِ مَذْهَبِكَ ، وَتَقْلِيلِ أَدْبِكَ ؛
وَأَصْرِفْ أَهْتِمَامَكَ إِلَى حِفْظِ أَوْقَافِهِمْ وَأَمْلَاكِهِمْ وَمُسْتَفْلَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ ،
وَحُطُّهَا مِنَ الْعَفَاءِ وَالْإِضْمِحْلَالِ ؛ وَتَوَفَّرْ عَلَى تَحْمِيدِ أَرْتِفَاعِهَا ، وَتَرْجِيَةِ مَا لَهَا .

وَأَسْتَخْدِمُ لَضَبِطِ حَاصِلِهَا ، وَجِهَاتِ مُتَقَفِّهَا ، مِنْ تَسْكُنِ إِلَى تَقْتِهِ ، وَتَبْقَى بِنَهْضَتِهِ ؛
وَوَزَّعَ مَا يَرْتَفِعُ مِنْ آسْتِغْلَالِهَا بَيْنَهُمْ عَلَى رُتَبِهِمُ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا دِيُونُهُمْ .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَاتِّهِ إِلَيْهِ مُتَهَبًا لِمُتَبَلِّغِهِ ؛ مُعْتَمِدًا بِدَلِيلِهِ ؛ وَطَالِعَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَتَهَسَّ عَلَيْكَ وَأَنْهَمَ ، وَأَشْكَلَ وَأَسْتَعْجَمَ : لِيَقْفِكَ عَلَى وَاضِحِ السَّنَنِ ،
وَيُرْشِدَكَ إِلَى أَحْسَنِ السَّنَنِ ؛ وَأَسْتَعِينَ بِاللَّهِ يَهْدِكَ لِمَعُونَتِهِ ، وَأَسْتَمِدَّ بِكَ بِهَدَايَتِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



١٢٢ ب. ج. ك.

ومنها — ما أورده في رسم تقليد بزم طوائف الرجال .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَدِيعِ تَقْدِيرُهُ ، الْحَكِيمِ تَدْوِينُهُ ؛ الَّذِي أَنْقَضَ مَا صَنَعَ وَأَحْكَمَهُ ، وَكَلَّ مَا بَدَعَ
وَوَثَّمَهُ ؛ وَأَعْطَى كُلَّ مَصْلَحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ عِبَادِهِ نِظَامًا ، وَكُلَّ مَرَفِقٍ مِنْ مَرَافِقِ
خَلْقِهِ قَوَامًا ؛ فَلَا يُقَارَبُ فِيمَا خَلَقَ وَصُورُهُ ، وَلَا يُنْشَأُ كُلُّ فِيمَا قَدَرُ وَدَبْرُهُ ؛ وَرَأَبَ ثَلَمِ بَرِيَّتِهِ
بِمَنْ آسْتَخْلَصَهُ مِنْ خَاصَّتِهَا ، لِسِيَاسَةِ عَامَّتِهَا ؛ وَأَنْتَقِبَهُ مِنْ أَشْرَافِهَا ، لَتَسْدِيدِ أَطْرَافِهَا ؛
وِإِقَامَةِ مَنْ سَادَهَا لِإِصْلَاحِ فَاسِدِهَا ، وَتَقْوِيمِ مَائِدِهَا ؛ وَتَوْقِيفِهَا عَلَى سَنَنِ الصَّوَابِ ،
وَتَعْرِيفِهَا بِجَاهِسَنِ الْآدَابِ .

يَعْمَدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَحْلَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ : مِنْ أَصْطِفَائِهِ وَأَسْتَخْلَاصِهِ ، وَالذُّورَةِ
السَّيْنَةِ : مِنْ أَجْتِبَائِهِ وَأَخْتِصَاصِهِ ؛ وَفَوْضَ إِلَيْهِ تَنْزِيلَ الرُّتَبِ وَتَحْوِيلِهَا ، وَإِقْرَارَ
الْمَنَازِلِ وَتَحْوِيلِهَا ؛ وَنَاطَ بِهِ الْبَرَمَ وَالنَّقْصَ ، وَالزَّرْقَ وَالخَفْضَ ؛ وَالرِّيشَ وَالْحَصَّ ،
وَالزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ ؛ وَسَوْفَهُ الشُّكْرَ عَلَى مُوَاجِبَةِ السَّابِقِ عِطَائِهَا ، وَالنَّفْسِيحَةَ أَكْفَائِهَا ،
الْبَعِيدَةَ أَطْرَافِهَا ؛ وَ[يَسْأَلُهُ] أَنْ يَصِلَ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَمُعْتِيدِ الْحَكْمَةِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ

الرُّسُل ، ومَوْصَح السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمه ، وخليفته على أمته وقومه : على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، ومولى المسلمين ؛ وعلى الأئمة من نذرتهم الطاهرين .

وإنَّ أمير المؤمنين بما فَوَّضَهُ اللهُ تعالى إليه من حِمَاية الأَئِمَّة ، والمُرَامَةِ عن دار الإسلام ؛ وكَفَلَهُ من غَضِّ نواظر أهل العناد ، وتنكيس رُؤوس رؤساء الإلحاد ؛ لا يزال ينظر في مصالح عبيده ، وتوفّر سياسة رجال دولته وجنوده ؛ الذين هم حزبُ الله الغالبون ، وجنّده المنصورون ؛ ويردُّ النظر في أمورهم ، والتقدّم عليهم ؛ ولمّا طوائفهم ، إلى خواصّ دولته ، وأعيان مملكته ، الذين بلا طرائقهم ، وسجد خلائقهم : من الغناء والكفاية ، والسداد وحسن السياسة ؛ ونقلهم في الخدم فاستقلوا بأعبائها وأثقالها ، ونهضوا بناهض أعمالها ؛ ومضت عزائمهم في حياة البيضة ، وأشتدت صرائمهم في تحصيل الخوزة ، وصدقت نياتهم في المراماة عن الملّة ، والمهاماة عن الدعوة والنزولة .

ولما كنت بحضرة أمير المؤمنين مُعَدّاً لمهاماته ، معدوداً في أمائل كُفّاته ؛ مشهوراً بحسن السياسة لما تُورده وتُصيده ، معروفاً بفضل السيرة فيما تائبه وتذكره رَأْيُ أمير المؤمنين - والله يُرشده لأَعْوَد الآراء بالصلاح والإصلاح ، وأذناها من الخير والنجاح - أن قلّدت زمام طائفة الرجال الفلانيين (ويوصفون بما تقتضيه مكاتبتهم من الدولة وحسن سيرهم في الخدمة) إنافة بقدرك ، وإبانه عن خطرك ، وتوحيها بذكرك ، وتضخياً لأمرك .

وهو بأمرك بتقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعار مراقبته ؛ ورياضة خلائقك على حجة العدل ، وإيثار الفضل ؛ وأتباع اللطف ، واجتناب العسف ؛ وتوثيق

الإصناف، وبسط الهيبة من غير إجحاف؛ وأن تحص هذه الطائفة من النظر في أمورها، وتعهد صغيرها وكبيرها، بما يسند أخوالها، ويحقق آمالها؛ وتأخذها بأحسن الآداب اللاتقة بأمثالها، وسلوك الطريقة المعهودة من أعيانها وأمائلها؛ وتشعرها من أمير المؤمنين بما يشرح صدرها في خدمته، ويقر عينها في طاعته؛ والمسايرة إلى مكافئة أصدائه، والتميز في نصرة أوليائه؛ وتطالع بحال من يستحق الاحترام، ويستوجب إفاضة الإنعام؛ وتكتب الرقاع عنها (مستدعيًا للرباطات، في الأطاع والعاجزين شاملًا في التعويد والتأثير والتلقيب والولايات قاصداً في ذلك ما يسح آمالها في الآجال، ويوثقها بمرور الأمثال^(١))؛ فإنهم أمراء الحروب، وكفاة الخطوب، الذين يحاهدون عن الحوزة، ويرامون عن الدولة؛ وأفرس لهم من الإكرام، وتأم الإهتمام؛ ما تقتضيه مكاتبتهم في الدولة، وموضعهم من الخلد؛ وتكفل أوساطهم بالرعاية، وأصريف إليهم شطرا موقورا من العنايه؛ وألحق من برز منهم وتقدم، وتنهض وخدم، بنظرائه وأمثاله، وساو بينه وبين أشكاله؛ وتعهد أطرافهم بلاحظتك، وتفقدتهم بسياستك؛ وختمهم بلزوم السير الحميده، والمذاهب السديده؛ والتوفر على ما يرهف عزائمهم، ويؤيد أيديهم؛ ولا تفسح لأحد من هذه المذاهب في غلاطة العوام ولا مشاركة التجار والإحتراف، ووكل بهم من الثناء من يتبلى سيرهم، وينهى إليك أخبارهم؛ فمن علمته قد أجترأ إلى تسخ المذهب، فتناوله باليد الأدب؛ وأخضضهم على الإذمان في قتل السلاح، والضرب بالسيف، والمطاعنة بالرمح، والإرباء عن القوس؛ وميز من مهر وأستقل، وقصر بمن صيغ وأخل؛ فهم كالجوارح التي ينفعها التعليم والإجراء، ويضرها الإهمال والإبقاء؛ وفي صرفك الإهتمام إليهم ما يزيد في رغبة ذى الهمة العلية، ويبعث المعروف

(١) كذا في النسخ ولم نهد إلى المراد منها .

في النفس الدنيّة؛ وأن تُطالبهم بالاستعداد، وأرتباط الخيول الجياد؛ والاستكثار من السلاح الشاك والخنن . وليكن ما تُطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على حسب القروض من العطاء، ولا تُرخص لأحد في الاقتناع بما لا يليق بمنزله، والرضا بما يقع دون ما يعتدّه أفاضل طبقته . ومن مات من هذه الطائفة وخلف ولدا يتيّأ فضمه إلى أمثاله، وأنظر في حاله؛ ووكل به من يفقهه في دينه، ويعلمه مالا يخفى به عن تعليمه من كتاب الله وسنته، ومن يهذه في الخدمة ويعلمه العمل بالاحتيا، والتنقل في حالاتها؛ ويطأق له من إناصام أمير المؤمنين ما يقوم بكلفتها ولو أزمها، وخذ كل من تُقدمهم بخدمةما والجرى على عادتها في النهوض بما يُستتض به، ولا يُفسح لها في التثاقل عنه؛ وسويّتهم في الاستخدام؛ ولا تُخصّ قوما دون قوم بالترفيه والإجماع؛ فإن في ذلك إرهافا لعزائمهم، وتقويةً لمنهم، وإفاضة العدل عليهم .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك، قد وُكِّد به الحجة عليك؛ فتأمله ناظرا، وراجعه متدبرا، وأنته إلى مصابره ومراسده، وأعمل على رؤسومه وحدوده، يُوقئ الله مقاصدك، ويُسعد مصالحك ويتولاك، إن شاء الله تعالى .

ورُسوم هذه العهود يتفاضل الخطابُ فيها بحسب تفاضل الطوائف ومن يولى عليها . وهذا الأئودج متوسطٌ يمكن الزيادة عليه والنقص منه .



عز بن جعفر

ومنها — ما أورده في رسم تقليد بإمارة الحج، وهذه نسخته :

الحمد لله الذي طهر بيته من الأرجاس، وجعله مثابة للناس؛ وآمن من حله وزله، وأوجب أجر من هاجر إليه ووصله .

يحمده أمير المؤمنين أن خَصَّهُ بِمِجَازَةِ الْبَيْتِ الْأَعْظَمِ ، وَالْحِجْرِ الْمَكْرَمِ ، وَالْحَطِيمِ
وَزَمَنَ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ مِيرَاثَ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ ، وَتَرَاتِ الْخِلَافَةِ وَالرَّطَامَةِ ؛ وَجَعَلَهُ
لِفَرْضِهِ مَوْقِيًا ، وَلِحَقْوَقِهِ مَوْدِيًا ؛ وَلِحُدُودِهِ حَافِظًا ، وَلِشُرَائِعِهِ مَلاحِظًا ؛ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَ
عَلَى مَنْ أَمَرَهُ بِالْأَذِينِ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ لَشَهَادَةِ مَنَافِعِهِمْ ، وَتَأْدِيَةِ
مَنَاسِكِهِمْ ؛ وَقَضَاءِ تَقَرُّبِهِمْ ، وَوَقَاءِ نَذَرِهِمْ ، وَذِكْرِ خَالِقِهِمْ ؛ وَالطَّوَافِ بِحَرَمِهِ ، وَالشُّكْرِ
عَلَى نِعَمِهِ : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَصِيِّهِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَبَابِ مَدِينَةِ
عَلَيْهِ وَحُكْمَتِهِ : عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
الطَّاهِرِينَ .

وَأَنَّ أَوَّلَى مَا صَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ هِمَّتَهُ ، وَوَقَّرَ عَلَيْهِ رِعَايَتَهُ ؛ مُتَابِرًا عَلَيْهِ ،
وَنَاهِضًا لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ؛ النَّظَرُ فِي أَمْرِ رُقِيِّ الْحِجَابِ الشَّاخِصَةِ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ،
وَزِيَارَةِ قَبْرِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛ وَرَدُّهُ إِلَى مَنْ حَلَّ عَمَلُكَ مِنَ الدِّينِ ،
وَتَمَيُّزُهُ بِمَا تَمَيُّزُهُ صَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ : مِنَ الْعِلْمِ ، وَرَجَاحَةِ الْحِلْمِ ؛ وَنَقَازِ الْبَصِيرَةِ ، وَحُسْنِ
السَّرِيرَةِ ، وَعَدَلِ السَّيْرِ ؛ وَلِذَلِكَ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ قَلْدَكَ أَمْرَ رُقِيِّ الْحِجَابِ
الْمُتَوَجَّهِةِ مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا إِلَى الْحَرَمَيْنِ الْمَحْرُومَيْنِ ، وَوَلَاكِ الْحَرْبِ وَالْأَحْدَاثِ بِهَا :
وَإِتِّقًا بِأَسْتِقْلَالِكَ وَغَنَائِكَ ، وَسَدَادِكَ وَإِصَابَةِ آرَائِكَ ؛ فَتَقَلَّدَ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَزْمٍ ثَاقِبٍ ؛ وَرَأْيٍ صَائِبٍ ؛ وَهِمَّةٍ مَاضِيَةٍ ، وَنَفْسٍ سَامِيَةٍ ؛ وَثَمَرَةٍ تَسْمِيرَةٍ يُعْرَبُ
عَنْ حَمَلِكَ مِنَ الْأَضْطِلَاعِ ، وَيُدُلُّ عَلَى أَسْتِقْلَالِكَ بِحَقِّ الْأَضْطِنَاعِ ؛ وَخُصَّ الْجَنَاحُ
بِأَتَمِّ الْأَحْظِ ، وَكُنْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى تَيْقُظٍ ؛ وَاعْتِمِدْ تَرْقُبَهُمْ فِي الْمَسِيرِ ، وَسُوِّ
فِي رِعَايَتِهِمْ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ؛ فَإِنَّهُمْ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ مُتَوَجِّهُونَ ، وَإِلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ
قَاصِدُونَ ، وَعَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَافِدُونَ ؛ قَدْ اسْتَقَرُّوا بِعَيْدِ الشُّقَّةِ ،

وَأَسْتَمْتُمُوا خَشِينَ الْمَشَقَّةِ ، رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَعَقْوَهِ ، وَالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ وَسَطْوِهِ ؛ وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِإِرْسَامِ أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَإِجَابًا لِلْحَرَمَةِ بِالْحُلُولِ فِي عِرَاصِ بَيْتِهِ وَأَفْنِيَتِهِ ؛ فَرَأَفَتُهُمْ وَاجِبِهِ ، وَسَاعَدَتُهُمْ لِإِزْبِهِ ؛ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ وَقَدْ شَبَّهَتْهُمْ السَّلَامَةُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالْأَمْنَةُ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ : مُتَوَجِّهِينَ وَقَارِزِينَ وَقَافِلِينَ ، بَعْدَ أَنْ يَشْهَدُوا مَنَافِعَهُمْ ، وَيُؤَدُّوا مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَعْمَلُوا بِمَا حُدِّ لَمْ . وَرُدَّهُمْ فِي سَبِيلِهِمْ عَنْ الْإِزْدِحَامِ ، وَرَتَّبَهُمْ عَلَى الْإِتِّتِظَامِ ؛ وَرَاعَاهُمْ فِي وُرُودِ الْمَنَاسِلِ ، وَأَمْنَتِهِمْ مِنَ الصَّحَابِطِ عَلَيْهَا وَالتَّكَاثُرِ فِيهَا ؛ حَتَّى لَا يَنْفَصِلُوا مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ الْإِرْتَوَاءِ ، وَوُقُوعِ التَّسَاوِيِ وَالْإِكْتِفَاءِ ؛ وَقَدَّمَ أَمَامَهُمْ مِنْ يَمْنَتِهِمْ مِنَ التَّسَرُّعِ ، وَأَخَّرَ وَرَاءَهُمْ مَنْ يَحْفَظُهُمْ مِنَ التَّقَطُّعِ ؛ وَرَتَّبَ سَاقَتَهُمْ ، وَلَا يُحْمَلُ بِحَفْظِهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ؛ وَطَالَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَثَرٍ تَنَزَّلُهُ وَحَمَلَ تَحْمُلَهُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِكَ لِيَقِفَ عَلَيْهَا ، وَيُمَدِّكَ بِمَا يُنْهَضُكَ فِيهَا .

هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ فَتَدَبَّرْهُ طَامِلًا عَلَيْهِ ؛ مُتَبَصِّرًا بِمَا فِيهِ ، طَامِلًا بِمَا يَحْسُنُ مَوْقِعُهُ لَكَ ، وَيَزِيدُكَ مِنْ رِضَا اللَّهِ وَثَوَابِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



عَلَيْهِ السَّلَامُ

ومنها — ما أوردته في رسم تقليد الإمارة على الجهاد ، وهذه نسخته :

الحمد لله الصَّادِقِ وَعَدُّهُ ، الْغَالِبِ جُنْدُهُ ؛ نَاصِرِ الْحَقِّ وَمُذِيلِهِ ، وَخَالِدِ الْبَاطِلِ وَمُذِيلِهِ ؛ يُحِلُّ الْأَنْكَبَ بَيْنَ أَنْصَرَفٍ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَمُثَرِّلِ الْعِقَابِ بَيْنَ تَحَوُّفٍ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ الَّذِي اخْتَارَ دِينَ الْإِسْلَامِ فَاعْلُ مَنَارَهُ ، وَوَسَّحَ أَنْوَارَهُ ؛ وَأَسْتَخْلَصَ لَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَعْضَادًا لَا تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لِائِمٍّ ، وَلَا يُفْضِضُونَ عَنْ الْمَكَالِفَةِ دُونَهُ جَفَنٌ حَالِمٍ ؛

وجزأهم على سعيهم في نُصْرته جزاءً فيه يتنافس المتنافسون ، وإلى غاياته يرتقى بالهمم المحذون ؛ قصدًا من الله تعالى في إعزاز دينه ، وإنجاز ما وعده به خلقه من إظهاره وتمكينه ، وقطاً لشوكة أهل العناد ، وتغذية لآثار ذوى الفساد ؛ وتوفيراً لأحاطى من بآل الإجهاد ، من سعاة عباده في الجهاد .

يحمده أمير المؤمنين أن اختصه بلطف الصنع فيما استرأه ، ووقفه للعمل بما يرضيه فيما ولّاه ؛ وأعانه على المرامة عن دار المسامين ، والحاماة عن ذمار الدين ؛ ومجاهدة [من] نذضهما صادفاً ، ونكّب عن سبيلهما منصرفاً ؛ وإبادة من عند طاعته وأخذ معه لها آخر لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يقول المشركون علواً كبيراً ؛ وأستزلهم من صياصيم قهراً وأقتساراً ، وإخراجهم عن بيوتهم حراً وأقندرأ ؛ وإذاقتهم وبأل أمرهم [و] عاقبة كفرهم ، أثباتاً لقول الله تعالى لما يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ويسأله أن يصلى على أشهر الخلق نورا وفضلا ، وأظهر البرية قرواً وأصلاً ؛ وأرشد الأنبياء دليلاً ، وأقصد الرسل سبيلاً : محمد رسول الله الذى أبتغته وقد توّصّر طريق الحق عافياً ، وتقدّر نور الهدى خافياً ؛ والناس يتسكّمون فى حنادس الغمرات ، ويتوزّطون فى مهاوى الهلكات ؛ لا يعرفون أنهم ضلال فيستبهون ، ولا عنى فيستبصرون ؛ فأبده وعظّمه ، ووقفه وسأده ؛ ونصره وأظهره ، وأعانه وآزره ؛ وأتخّب له من صفوة خلقه ، أولياء كانوا على ظهور حقّه ، سمّحوا بالأنفس العريزة ، والأموال الحريزة ؛ وجاهدوا معه بأيدٍ بأسطة ماضيه ، وعزائم متكافية متوافية ؛ وقلوب على الكفار قسيّة قاسية ؛ وعلى المؤمنين روعة حانية . فلما صدّقوا ما هدّاهم الله عليه ، وأرأسوا أمره وأنشأوا إليه ، شرّكهم معه فى الوصف والثناء ،

وأضافهم إليه في المدح والإطراء ؛ فقال جل قائلنا : ﴿ حَمْدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ . صلى الله عليه وعلى آخيه وأبن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب سيف الله الفاضل ، وسنانه العامل ؛ ومُعِزُّ رَسُولِهِ الباهر ، ووزير المظاهر ؛ مُبِيدُ الشُّجْعَانِ ، ومُبِيرُ الْأَقْرَانِ ؛ وَمُقَطِّرُ الْقُرْسَانِ ، ومُكَسِّرُ الصُّلْبَانِ ؛ وَمُنَكِّسُ الْأَوْثَانِ ، ومُعِزُّ الْإِيمَانِ ، الذي سبق الناس إلى الإسلام ، وتقدّمهم في الصلابة والقيم ، وعلى الأئمة من ذريتهما الميامين ، البررة الطاهرين ، وسلم تسليما .

وإن أمير المؤمنين بما كلفه الله تعالى من [أمر] دينه ، ووعده من إظهاره وتمكينه ؛ يرى أنت أفضل مارنا إليه ببصر بصيرته ، ورمى تحوه بطاميح همته ، ما تملت الدين والدنيا بركته ، وعمت الإسلام والمسلمين عائدته ؛ وحل محل الغيث إذا تدفق ومع ، والنهار إذا تألق ولمع . ولا شيء أعود على الأئمة ، وأدعى إلى سُبُوغ النعمة ، من علو كلمتهم ، وأرتفاع رأيهم ؛ وتحصين حوزتهم ، وإيمان منصتهم ؛ وتأدية الفريضة في مجاهدة أعدائهم ، وصرفهم عن غلوائهم ؛ وأقتيادهم بالإذلال والصغار ، وكبحهم بشكايم الإهوان والإقتسار ؛ ومواصلتهم بقزو الديار ، وتغذية الآثاب ؛ وإيداع الرعب في صدورهم ، وتكذيب أماني غرورهم ؛ ووعظهم بالسنّة القواضب ، ومكاتبتهم على أيدي الكتائب : لما في ذلك من دُلّ الشُّرْكِ وَبُورِهِ ، وعزّ التوحيد وظهوره ؛ ووضوح حجة أولياء الله تعالى على أعدائه بما ينزله عليهم من نصره وموثنه ، ويؤيدهم به من تأييده وعنايته ؛ لاجرم أن أمير المؤمنين مضروب العزيمة ، موقوف الهمة ، على تنفيذ البعوث والسرايا ، والمواصلات بالجيوش والعرايا ؛ وتجهيز المرتبة من أولياء الدولة ، وحضّ المطوّعة من أهل الملّة ، على ما أمر الله تعالى به من غزو المشركين ، وجهاد الملحدين ؛ نافذاً في ذلك بنفسه ، وبأذله

عزَّزَ مُهْجَتَهُ ، عِنْدَ تَسَهُّلِ السَّبِيلِ إِلَى الْبَعْتَةِ ، وَوُجُودِ الْقُسْعَةِ ؛ وَمَعُولًا فِيهِ عِنْدَ التَّعَدُّرِ عَلَى أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالرَّجَاحَةِ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ أَثَقَّتْ ضَمَائِرُهُمْ ، وَخَلَصَتْ بَصَائِرُهُمْ ؛ وَرَغِبُوا فِي حَاجِلِ الذِّكْرِ الْحَمِيلِ ، وَاجِلِ الْأَبْرِ الْجَزِيلِ ؛ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُسَالِ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُجَرِّبَهُ فِيمَا يُصْدِرُ وَيُورِدُ ، عَلَى أَفْضَلِ مَا لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّى وَيُعَوِّدُ : مِنَ التَّوْفِيقِ فِي رَأْيِهِ وَعَزْمِهِ ، وَالتَّسْدِيدِ فِي تَدْوِينِهِ وَخَزْمِهِ ؛ وَرِوَايَتِهِ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلَ مَا تَأَاهُ وَلِبَّاءَ اسْتِخْلَافِهِ ، وَأَمِينًا كَفَلَهُ عِبَادَهُ وَكَفَّلَهُ ؛ وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

وَمَا كُنْتُ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ يُعِثُّهُ لِحُلَائِلِ مَهْمَاتِهِ ، وَيُعِثُّهُ مِنْ أَعْيَانِ كُفَاتِهِ ؛ وَرَأَاهُ سِدَادًا لِحَقْلٍ ، وَعِمَادًا فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ ؛ وَسَهْمًا فِي تَكَاثِفِهِ صَابِئًا ، وَشِهَابًا فِي سَمَاءِ دَوْلَتِهِ ثَاقِبًا ؛ وَصَيْفًا بِيَدِ الدِّينِ قَاطِعًا ، وَجِنًّا عَنِ الْحَوَظَةِ دَافِعًا - رَأَى - وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ - أَنْ يُقَدِّمَكَ عَلَى جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبُعُوثِهِمُ الشَّاخِصَةَ إِلَى جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ؛ فَقُلْدُكَ الْحَرْبَ وَالْأَحْدَاثَ بِهَا ، وَعَقْدُكَ لَوْاءَ يَدِهِ يَلْوِي إِلَيْكَ الْأَعْنَاقَ ، وَيُنْكَسُ لَكَ رُؤُوسُ أَهْلِ الشَّقَاقِ ؛ وَشَرَفَكَ بِفَانِحِ مَلَابِسِهِ وَمُحْلَانِهِ ، وَضَاعَفَ لَدَيْكَ مَوَادَّ إِحْسَانِهِ ؛ وَحَبَاكَ بِطُوقٍ مِنَ الثَّبَرِ ، مَرَصَّعَ بِفَانِحِ الدُّرِّ ؛ عَادِقًا هَذِهِ الْخِدْمَةَ مِنْكَ بِالنَّصِيحِ الْمَامُونِ ، وَالنَّجِيحِ الْمَيْمُونِ ؛ الَّذِي تَتَوَسَّعُ فِيهِ أَنْوَارُ اللَّبَابَةِ ، وَتُلَوِّحُ عَلَيْهِ آثَارُ التَّجَابَةِ ؛ وَاتِّهَمَا بِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالْوِلَايَةِ ، وَتُغَلِّثُ بِهِ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْكَفَايَةِ ؛ وَتَفْتَرِضُهُ مِنَ الْاسْتِمْرَارِ عَلَى سَنَنِ الطَّاعَةِ ، وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى تَمَيُّمِ الْاِقْتِيَادِ وَالْإِتِّبَاعِ ؛ وَتُوجِبُهُ مِنْ مَنَاصِحِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّشْمِيرِ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ .

فَتَقَلِّدْ مَا قَلَّدَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَشْعِرًا تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ ، مَعْتَقِدًا خِيَفَتَهُ وَمِرَاقَبَتَهُ فِي الْإِظْهَارِ وَالْإِبْطَانِ ؛ مَخْلِصَ الْقَلْبَ ، رَابِطًا الْأَلْبَ ؛ وَاتِّمَامًا

بنصر الله الذي يُسَيِّفه على خُلصائه ، ويُفِرِّغه على أوليائه ؛ آخذًا بوثائق الحزم ،
متمسكًا بعلائق العزم ؛ ناظرًا من وراء العواقب ، متفرسًا في وجوه التجارب ؛
مقلصًا مُجَوِّف الآراء بإضفاء غبار التدبير ، مُبْرأ مرارًا التقرير ؛ مُوَيْلًا في المخال
والمكابد ، حارسًا للطالع والمراصد ؛ يَقْظَان النفس والناظر ، متحيزًا في موقف الواف
والمُخَاطِر . وأن تتوجه على بركة الله وعونه وحسن توفيقه ، ويؤمن تأييده ؛ بعد أن
تتسلم من الجيوش المنصورة جرائدَ بَعْدَةِ رجال أمير المؤمنين السائرين تحت رايتك ،
المنوطين بسباسيتك ، وتعرضهم عليها ، فتختير من شهرت بسالفة وكفاحه ، وعتق
جواده وكل سلاحه ؛ وعيرف يصدق العزيمة في مُقارعة الأعداء ، وحسن الطوية
في الإخلاص والولاء ؛ وتستبدل بالورع الجبان ، والرعيدي الضعيف الجئان ؛
الناقص العدة ، المقصر التجه ، المدخول النية ، النغل الطوية ^(١) ؛ فإذا جَلَّت العدة
من أهل الجَلَد والشهامة ، وأولى الحماسة والصرامة ؛ استدعيت من بيت
المال ما ينفق فيهم من مستحق أطاعهم ، ومُعونة طريقهم ؛ وأجريت النفقة فيهم
على أبدي عارضيتهم وكُتِّبهم ؛ فإذا أُرِحت طَلَّهم فاستصحب من العدد والسلاح
والحِمِّ والأزواد والأموال ما يرهِّبُ الأعداء ، ويُنْهِضُ الأولياء ؛ وأُذِّن في مُطْوِعة
المسالمين ، بجهاد المشركين ؛ في [كل] بلدة تترها ، ومحلة تحلها ؛ وأبذل لهم الظاهر
والمبيرة والمُعونة بالسلاح وما يستدعونه ؛ وأزهِف عزائمهم في غزو الكُفَّار ،
وإجلائهم عن الأوطان والديار ؛ وأسلك الطريق القاصد ، ولا تُفارق أهل المنازل
والموارد ؛ ولا تُبَدِّل السير إذْنا تقطع له الرجال وتتأخره الأزواد ، ولا تتوهم
في المنازل تَوَما تتعمر فيه الآماد ؛ ويوجدُ المشركين مهلة للإحتيال والإستعداد ؛
وراع جَيْشَكَ عند الحُلِّ والترحال ، ولا تُبَاعِد بين مضاريهم إذا نزلوا ، ولا تَمَكِّنهم

(١) في الأصول المهرق الطوية ولم نجد هذه المسادة .

من التفرد إذا أرتحلوا ؛ وخُثمهم بالإجتماع والإلتئام ، والتألف والإتظام ؛ ولا سيما إذا حصلوا في أرض العدو فإنهم ربما آهتبلوا^(١) الفرصة في المسير المتسرع ، والمديت المتفرد ، وقالوا منه ما تأسوس به المضيعة على أهل الإسلام ، والعياذ بالله .

وإذا دانت القوم فاعط الحزامة حقها ، مستعملا تارة للدعاء وإلخاداع ، وأخرى للقاء والقراع ؛ وربما أغنت المسارته ، عن المكاشرة ؛ ونابت تحايل التلطف ، عن مداخل التعسف ؛ وكفت غوائل المخادمة ، عن مواقف الماصصة ؛ وقد قال إمام الحرب ؛ وزعيم الظعن والضرب : "الحرب خدعة" .

وإذا عزمت على المصاع والمناخه ، والإيقاع والمكلفه ، فبُت من سرمان الفرسان الذين لا تشك في محض نصيحهم ، ولا ترتاب بصدق نياتهم ، طلائع تطلمك على الأخبار ، وعبونا تكشف لك حقائق الآثار ، وتنفض الطرف عن مجاورى الديار ؛ وممر من تقدمه عليهم بأن لا يفتحهم خطرا ، ولا يركب غمرا ؛ وليكن من سفينه في ذلك [من] أهل الخبرة بالطرق والساحات ، والدخلات والأودية والفجوات ؛ حتى لا يتيم للعدو فهم حيله ، ولا ينالهم منه غيلة ؛ فإذا أتوك بالخبر اليقين ، وأقبسوك قبس النور المبين ؛ بدأت الحرب مستخيرا لله تعالى ، مقدما أمامك الاستنجاح به ؛ واستزال النصر من عنده ، مرتبا للكاتب ، معينا للصفوف والمقانب ؛ زاحفا بالراجل محصنا بالفارس والرامي نجنتا بالثارس ؛ وأتحسن القلب والجناحين بالشجعان المستبقين ، والأبطال الحلاسين ؛ وأنزل إلى رحى الحرب من خف ركابه من الانجاد الراغبين في ملو البصيت والذكر ، الطالين الفوز بالثواب والأجر ؛ وأجعل وراءهم رداء ، وأعد لهم مددا يوازونهم إن يحتمهم مالا يطيقونه ويحين^(٢) ؛ ويطايرونهم على

(١) أى آغتنبوا الفرصة الخ .

ما خُصَّ إليهم وأدين؛ وقِفْ من التأخير والإقدام ، والتفؤذ والإجماع ، موقِفًا تُعطى الحِزَامَةُ فيه حَظُّهَا ، والروية قِسْطُهَا ؛ مَصَمًّا ما كان التصميم أدنى لآتِهاز الفُرْصه ، وأهتِبال الفِرْه ؛ مثلومًا ما كان التلوم أحمدًا للعاقبة ، وأسلمًا للغبّة .

وأعلم أنّ ريح النصر قد تُهبُّ للكافرين على المسلمين ، فلا يَكُنْ ذلك قَادِحًا منك في الدين . فإن الله تعالى يستدرج بُسْنَةَ الباطل لَابُسْنَةِ الإِظْفَارِ ، ويُريهم الإِفْدَارَ في تحَايِلِ الإِقْدَارِ ؛ حتّى إذا قَرِحُوا بما أُوتُوا أوردتهم كَوَانِذُ أَمَانِيَّتِهِمْ مواردَ اِهْلَاكِهِمْ ، وأخذوا بِقَسْةٍ ، ودالت دولة الحق لأوليائها مرفوعة الأعلام ، آخذة بنواصي العُدَاة والإِقْدَامِ ؛ وتحقّق أنّ الأمور بخواتيمها ؛ والأعمال بآثارها ؛ وأنه وليّ [المؤمنين] .

ما جمع موقِفٌ فِتْنَى شَكٍّ وَيَقِينٍ ، وكُفْرٍ وَدِينٍ ؛ إلّا كان الفلج والنصر لأهل الثُّبُوتِ والدين ، والنسارَة والبوارُ على الشاكّين الكافرين ، تصديقًا لوعده تعالى إذ يقول : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) .

وتحفظ بنفسك ولا تلقها في المهالك متهورًا ، ولا ترم بها في المتألف مخاطبًا ؛ ولا تُساعدُها على مطاوعة الحمية والنخوة ، وتمحز قبل السقطة والحقوة ؛ فإنك - وإن كنتَ واحدًا من الجيش - أوحدهم الذين يتبادرون إليه ، ويعتمدون في السياسة عليه ؛ وما دمتَ محفوظًا ملحوظًا فالهيبه طايه ، والعين ساميه ؛ وإن أَلَمَّ بك - والله يعصمك - خطب ، أو نالكَ - والله يكفيكَ - ريب ، توجه الخلل ، وأرهف حدّ الوهن والشلل . وإن دعتك نفسك إلى الجهاد ، وحملك تصرُّفك على الكِفَاحِ والجلاد ؛ فليكن ذلك عند الإجماع ، وتزلزل الإقدام : فإن ذلك يتسحذ عزائم المسلمين ، ويقوى شكائم المتأخرين ؛ خير مَضِيجٍ للعدوّ ، في الورد والصدر ، وكذلك فاحرس أمانيل القواد ، ووجوه الأجناد ، الذين تُسْفَى صلور الكفار بمصارعهم ،

وَتُنَقَّ عَلَّاهُمْ بِمَضَابِعِهِمْ ؛ وَحَامَ عَنْهُمْ حِمَاةَ الْجُفُونِ عَنِ الْمُقَلِّ ، وَصُنُّهُمْ صِيَانَةَ الصُّوَارِمِ
 مِنَ الْخَلَلِ ؛ وَدَافِعٌ عَنِ كَافَةِ [جند] الْمُسْلِمِينَ الْمُرْتَزِقِينَ وَالْمُتَطَوِّعِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
 كَفَّى بَيْنَ دِمَائِهِمْ ، وَسُورَى بَيْنَ ضُعْفَائِهِمْ وَأَقْوِيَائِهِمْ ؛ عَلَى أَنَّهُ سَبْطَانُهُ قَدْ وَعَدَهُمْ عَنْ
 بَذْلِ الْأَنْفُسِ فِي مَجَاهِدَةِ الْمُلْحِدِينَ ، وَإِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ ، الْجَزَاءَ الْجَسِيمَ ، وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ ؛
 وَالْبَقَاءَ الَّذِي لَا يَبْتَوَرُهُ قَنَاءٌ ، وَالْجَلَدَ الَّذِي لَا يَبْتَرِضُهُ أَتَهْضَاءُ .

وَقَدَّمَ عَلَى الْأَسَاطِيلِ وَالْمَرَائِبِ الْحَرْبِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا وَرِجَالِ الْبَحْرِ مِنْ تَخْتَارِهِ لَذَلِكَ
 مِنْ أُمَائِلِ الْأَشْرَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّدَّةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْبَصَارَةِ وَالْمَهَارَةِ وَالْخَبْرَةِ بِسُقَّةِ
 الْبَحْرِ وَالْقِتَالِ فِيهِ ؛ وَزَمَّرَهُ بِالتَّسْحِيلِ وَمِلَازِمَةِ السَّيْفِ وَالْإِرْسَاءِ مِنَ الشُّطُوطِ بِحَيْثُ
 يَتَأَمَّلُ مَضَارِبَكَ ، لِيَكُونَ مَا تُحْمِلُ عَلَيْهَا مِنْ مِيرَةٍ وَعُدَّةٍ قَرِيبًا مِنْكَ ؛ فَإِنْ نَازَلَتْ تَغْرَا
 مِنْ ثَنُورِ السَّاحِلِ فَاغْلَاذُ بِالْخَيْلِ مِنْ بَرِّهِ ، وَبِالسَّفَائِنِ مِنْ بَحْرِهِ ؛ وَاسْتَخْدِمَ لِحِفْظِ مَا فِيهَا
 مِنَ الْأَزْوَادِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْعُدَدِ وَالنَّفْطِ وَدُهْنِ الْبَلْسَانِ وَالْحَبَالِ وَالْعَرَادَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ
 الْأَلَاتِ مَنْ يَتَّقِ بِأَمَانَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالْحَوْطَةِ عَلَى مَا يَخْرُجُونَهُ مِنَ الْعَوَارِي
 وَاسْتَرْجَاعِهِ بَعْدَ الْغِنَى عَنْهُ ؛ وَاسْتَظْهَرَ بِذَلِكَ اسْتَظْهَارًا يُجَدُّ مَوْقِعُهُ لَكَ ، وَيَعْرِفُ بِهِ
 رِصِينَ رَأْيِكَ ؛ وَسَنَدِيدُ مَذْهَبِكَ . وَاسْتَظْلَصَ لِمَجَالِسَتِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَصَالَةِ وَالْحَزْمِ ،
 وَالرَّاحَةِ وَالْفَهْمِ ، وَالذَّرَايَةِ وَالْعِلْمِ ، وَالتَّجَارِبِ فِي مِمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَمِلَابَسَةِ
 الْخُطُوبِ ، مَنْ تَرْجِعُ إِلَى رَأْيِهِ فِيمَا أَشْكَلُ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى تَجَرُّبِهِ فِيمَا أَعْضَلُ ؛
 وَلَا تَسْتَبْدُ بِرَأْيِكَ فَإِنَّ الْأَسْتِبْدَادَ يُعْمَى الْمَرَّاشِدُ ، وَيُنِيمُ الْمَقَاصِدُ .

وَلَمَّا كَانَتِ الشُّورَى لِفَاحِ الْأَفْهَامِ ، وَالكَاشِفَةَ لِقَوَائِي الْإِنْهَامِ ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
 بِهَا نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

وَلَا تُشَاوِرْ جَبَانًا وَلَا مَبْطِئًا عَنْ أَتْهَازِ الْفُرْصَةِ الْمَكْنُونَةِ ، وَلَا مَهَوَّرًا يَحْمِلُكَ عَلَى الْغِرَّةِ الْمُهْلِكَةِ ؛ وَتَأَنِّ فِي الْآرَاءِ فَإِنَّ التَّائِيَّ يُجِمْ الْأَبَاءَ ، وَيَحْلُو وَجْهَ الصُّوَابِ ، وَيَقْلُصُ مَخْجُوفِ الْإِرْتِيَابِ ؛ وَأَضْرِبْ بَعْضَ الْآرَاءِ بَبَعْضٍ وَبِحِجَلِهَا ، وَأَجَلْ فِكْرَكَ فِيهَا وَتَأَمَّلْهَا ؛ فَإِذَا صَرَّحْتَ عَنْ رُبْنِهَا ، وَأَنْشَقَّتْ أَكْجَامُهَا عَنْ عَمَرَتِهَا ، فَامِضْ صَحِيحًا ، وَاعْتَمِدْ تَحِيحُهَا ؛ وَإِذَا اسْتَوَى بِكَ وَبِالْعُدُوِّ مَرَحُ الْحَرْبِ خَرَّفْهُمْ بِنَارِ الطُّغْيَانِ ، وَأَذْفَقْهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَعَاقِبَةُ كُفْرِهِمْ ؛ وَلَا تَرَقِّ لِمَنْ ؛ وَاتَّبِعْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . فَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ وَالْمُؤَادَمَةِ مَصَانِعِينَ ، فَاقْبَلْ بِالْقَبُولِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاذْجَبْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وَأَبْئِلِ الْأَمَانَ لِمَنْ طَلَبَهُ ، وَأَعْرِضْهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَطْلُبْهُ ، وَفِي لِمَنْ تُعَاهِدُهُ بِعَهْدِهِ ، وَأَثْبِتْ لِمَنْ تُعَاقِدُهُ عَلَى عَقْدِهِ ؛ وَلَا تَجْعَلْ مَا تَقْرِطُهُ مِنْ ذَلِكَ ذَرِيعَةً ، إِلَى اتِّخَاذِهِ ، وَلَا وَسِيلَةً ، إِلَى الْغِيلَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” النَّاسُ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ “ ، وَإِذَا أَعَانَكَ اللَّهُ عَلَى افْتِتَاحِ مَعْقِلٍ مِنْ مَعَاقِلِ الْمُشْرِكِينَ ، وَاسْتِضَافَتِهِ إِلَى مَا بِيَدِي الْمُسْلِمِينَ ، فَارْتَفِعِ السِّيفَ عَنْ قَاطِنِيهِ ، وَاعْتَمِدِ اللَّطْفَ بِالْمُقِيمِينَ فِيهِ ؛ وَأَذْهَبْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَهُ مِنْ كَرِيمِ الْمَقَامِ ؛ فَمَنْ أَجَابَكَ إِلَى اسْتِشْعَارِ ظِلِّهِ ، وَالِإِخْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ فَافْرِضْ لَهُ مَا تَقْرِضُهُ لِإِخْوَانِكَ فِي الدِّينِ ، وَأَضْمُمْ لِيهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يُبَصِّرُهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ ، وَيُثَقِّفُهُمْ وَيَسُدُّهُمْ ؛ وَخَيْرٌ مِنْ أَثَرِ الْمَقَامِ عَلَى دِينِهِ بَيْنَ تَأْدِيَةِ الْحِزْبِيَّةِ ، وَالِاسْتِعْبَادِ وَالْمُلْكَةِ ؛ فَإِنْ أَدَّوْا الْحِزْبِيَّةَ فَأَجْرُهُمْ بِمُجْرَى أَهْلِ الذِّمَّةِ

المعاهدین، وخصّهم من الرّعاية بما أمر به في الدين؛ وإن أبوا ذلك فإن الله تعالى قد أباح دماء رجالهم، واستعباد ذراريهم ونسائهم؛ وأبّتن بالمعلل مسجدا جامعاً يجمع فيه بالمسلمين، ويخطب على منبره لأمر المؤمنين؛ وأرفع منارته حتى تعلو على كنائس المشركين؛ وأنصب فيه إماماً يؤدى الصلاة في أوقاتها، وخطيباً مصقفاً يخطب الناس ويعظهم، ومكبرين يدعون إلى الصلوات، وينهون على حقائق الأوقات؛ وقواماً وخدماً يتولون توير مصابيحهم، وتعهد تنظيفه وفرشه؛ وأطلق لهم من الأرزاق والجزايات ما يعيّنهم على ملازمته ويعينهم على خدمته؛ وأحتط على من يحصل في يدك من أمرى المشركين، لتفدى بهم من في قبضتهم من أسراء المسلمين؛ وإذا عرضوا عليك الفداء فاحذر من خديعة تتم فيه، أو حيلة تتوجه في افتكاك معروف منهم يجهول من أهل الإسلام؛ وإن كانت الله تعالى قد فضل أذنياء المسلمين على عظماء الملّحين، ولم يسوّ بينهم في دنيا ولا آخرة ولا دين؛ إلا أن هذا بما يوجب الحزم الحوطة فيه. وإن ظفرت بنسب لطايفتهم المتعلّك عليهم أو خصيص به فاحمله إلى حضرة أمير المؤمنين، ليقرّبها رهينة على من قبلهم من المأسورين، وسبيلاً إلى اقتراع ما سيدلّونه في فدايته من المعادل والحصون. وقد أمضى لك أمير المؤمنين أن تعقد الهدنة معهم إذا رغبوا فيها على الشروط التي تعود بملكو كلمة الله، وتجمع الخواطر والإستظهار للدولة؛ فعاقدهم محتاطاً، واشترط عليهم مشطاً، وتجرّز في العقد بما يوجب تأولاً، ويدخل وهناً، ويطرق وهياً. وتحفظ بجوآل المعاهدین والأموال المقبوضة في يداء الغلات والغنائم وسبى المشركين حتى يُمجّل ذلك إلى بيت مال المسلمين؛ فينظر أمير المؤمنين في تفريقه على مستحقّه، وإيصاله

(١) اشتهر هذا البناء على الألسنة وفي رسائل الأفاضل ولكن لم نجده في كتب اللغة وإنما الذي فيها

هذا المعنى «فلان يخص بفلان أى خاص به وله به خصية» فأمّل .

إلى مستويجه؛ وألحَصَ عن أحوال المستأمنين إليك تفحصاً يكشف ضمائرهم، ويُلْوِ سرائرهم؛ وتحزُّزاً منهم تحزُّزاً يؤمِّنُكَ مكالبتهم وحيلهم، وخدائهمهم وغيرهم؛ وإذا نازلت حصناً من حصون الكفار، فكن على يقظة من مخائبتهم في الليل والنهار؛ وانصب الحرس والأرصاد، وأحذر الغرة ولا تهمل الإعتداد؛ لتعرف أعداء الله أن طرفك ساهد، وجناتك راصد؛ وتفقد أمر الجيش وأزح ملّة من تربُّه في الأطماع والمواكبات، ومطوّعته في المعاون والحرايات؛ ولا تغفل عنهم غفلة تضطرهم إلى الإفلال، وتدعوهم إلى الانفصال؛ وأحسن إلى من حسن في الكفاح أثره، وطالب في الإبلاء خبره؛ وعنه عن أمير المؤمنين بالحياة الجزيل، والعطاء والتّوئيل؛ فإنّ ذلك قاذحٌ لعزائم الأولياء، باعثٌ لهم على التّصميم في اللّقاء؛ فإذا أنت - بمشيئة الله - شفيّت الصدور، وأحتذيت المأمور، وأعزّزت الدين، وذلتّ الملحدين؛ ودوّخت البلاد، ونكّست رؤوس أهل العناد، فأقلّب بساكر أمير المؤمنين، ومطوّمة المسلمين، إلى حضرته وأتقاً بجمل جزائه، وجليل حياته؛ وطالبع في نورديك ومصدرك، بما يحثّه الله لك ويفتحه على يدك؛ وأذكّر ما أشكل عليك ليملك أمير المؤمنين بالتبصير والتّوقيف، والتّعليم والتّعريف؛ وأستعين بالله فهو خير معين، وتوكّل على الله فإنه نعم الوكيل .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، فأعمل به وأنته إليه يسند الله مساعيك، ويصوب مرّاميك؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وأورد في خلال ذلك من تقاليد أرباب السيوف جملة أسقط من صدرها التّحميدات .

مأورده في رسم تهليل الإمارة على قتال أهل البغي أن يقال بعد التّحميد ماثله :

وإن الله تعالى أوجب طاعة أولى الأمر على كافة المؤمنين ، وأكد فرضها على جميع المسلمين ، فقال جل قائلًا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . علمنا منه تعالى بأن الطاعة ملاك الأمر ونظامه ، وميساك الجمهور وقوامه ، وأنه لا يتم سياسة مع الشقاق والانحراف . وأمر سبحانه بامتثالنا من أئمة العصمة من يده ، ونبذ الطاعة وراء ظهره ؛ بشافي المواقف والتبصير ، ونافع التنبيه والتذكير ؛ فإن ألق وتاب ، ورجع وأناب ؛ وإلا جُهِد وقُوتِل ، وقُوتِل بالردع حتى يُقْبَلَ ويتصم بالطاعة ، وينتظم في سلك الجماعة ؛ فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا ﴾ . وقال : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ . وإن الفلاة ^(١) فارقت أجناع المسلمين ، وأنسلخوا من طاعة أمير المؤمنين ؛ ناذين لبيعته ، شائين بطل دعوته ؛ وشقوا عصا الإسلام ، واستخفوا جمل الحرام ، واستوطئوا مركب السيئات والآثام ؛ وعرجوا عن قويم السنن ، وسوا بأراذل البدع أفاضل السنن ؛ وسعوا في الأرض بالفساد ، وجاهرُوا بالعصيان والعناد ؛ وكاتبهم أمير المؤمنين مبصرًا ، ومُعْذِرًا مُنْذِرًا ومُخَوِّفًا مُحْذِرًا ؛ وداهمهم إلى التي هي أصلح في الأولى والأخرى ، وأربح في البدء والعقب ؛ وأعلمهم أن الله تعالى لا يقبل صلاتهم ولا صياتهم ، ولا تحجهم ولا زكاتهم ؛ ولا يُنْضِي قضاياهم ولا يحكموا بينهم ، ولا عقودهم ومناكحتهم ، ماداموا على معصية إمامهم ، ومُفَارَقَةِ وَلِيِّ أَمْرِهِم ؛ الذي أوجب عليهم طاعته ، وفرض في أعناقهم تبعاعه ؛ وتابع في ذلك مواصلا ، ووالاه مكاتب ومراسلا ، فأصروا على العقوق ، وأستروا على أطراح الحقوق ؛ ودعوا إلى الأسوأ لما من لإقدام الجيوش عليهم ، ونقل العساكر إليهم ؛ ومقابلتهم بما يقوم أودهم ، ويصلح فاسدهم ، ويزع جاهلهم ، ويوقظ غافهم .

(١) في الأصل الغلاب وليس بواضح المعنى والمراد البناء .

وإنَّ أمير المؤمنين تحيُّرك للتقدُّم على الجيش الهاتِف تحوُّم : لما يعلمه من شَهانتِك
وصِرامَتِك ، وسَدادِك وسياسَتِك ، وإخلاصِك ووفائِك ، وكِفايَتِك وغِنايِك ،
(ويوصِف بما تقتضيه منزلته ، والأمر الذى هو أهل له) .

وهو بأمرُك أن تقدم النفوذ إليهم ، مستنصِحاً دعاء أمير المؤمنين ، مستنزيلاً
لصُروف الغالِبين ؛ مستشيراً لبأسِ التقوى ، فى الإعلان والتَّجوى ، فإذا نازلتهم
فى عُقر دارهم ، فاذقهم بالمضايقة وبآل أمرهم ؛ وأسلكُ بهم سبيلَ أمير المؤمنين
وأنتَصِحهم بالإرشاد ، وحُصِّهم على ما يقضى بصلاح الدنيا والمعاد ؛ فإن استقاموا
وتنصَّأوا وراجعوا ورجعوا فأعطهم الأمان ، وأفضْ عليهم ظلَّ الإحسان ؛ وإن
أصروا وتمردوا ، وجاهدوا واعتدوا ، فشمِّرْ لِمنازلتهم ، وصمِّمْ فى مقاتلتهم ، وانقأ بأن
الله تعالى قد قضى بالنصر لأولياء أمير المؤمنين وأهل طاعته ، وإخِذلانَ لأعدائه
وأهل معصيته ؛ إبانةً بذلك عن تأييده لمن اعتَصَم بحبله ، ودفعه لمن أنسلَخَ من ظِلِّه ؛
وُجْهَةً بالفئة لمن تمسَّك بطاعته ، وموعظةً شافية لمن استخفَّ بحمل معصيته ؛ فإن
مَلَكَك اللهُ تعالى البلاد ، وطَهَّرَها من أهل الفساد ؛ وشرَّدَ عنها الدُّعار والأشرار ،
إلى أقاصى الدُّبار ؛ فأجَبِبْ نَواعِقَ الفِتنة والضَّلاله ، وعَفَّ آثارَ ذَوَى النِّىءِ والجَهاَله ؛
وأَسْبِغِ الأَمْنَ على أهل السَّلامه ، وأفرِغِ العَدْلَ على مَنْ سلك سبيلَ الاستقامه ؛
وأَجْرِ الأَمْرَ فى الخُطبة لأمير المؤمنين على الرِّسْمِ المحدود ، والمنهَجِ المعهود ؛ وطالعه
بما آتَيْتَ إليه ، ليكاتِبَكَ بما تعتمدُ عليه .

ويضمَّن هذا العهد ما يقع فيه من شروط العهد المتقدِّم ، ويؤمَّر أن لا يستصحب
من الجُنْد إلّا من يثق بإخلاصه وصفائه ، ويسكُن إلى أمانته ووفائه ؛ وأن يرفض
المدخول النَّيِّب ، النَّيْلَ الطَّوِيَّ ، فإنه لاشئْ أضرُّ على المحاربة من لقاء عدوٍّ يَجيش

مُخَاصِرِينَ، وجندٌ مُمَكَّرِينَ ؛ وقد يكون في العساكر مَنْ يُدَاهِنُ ويظهر الخدمة وهو في مثل العدوّ : إِمَّا لَأَنَّهُ بَيْنَهُمَا سَالِفٌ وِدَادٌ وولايةٌ قد تَأَصَّلَتْ بِإِطَاعٍ وإفساد ، أو يكون لسلطانه قَلِيلَ الإِحَاد . وهذا الذي أوردناه ليس بِمِثَالِ جامعٍ وإِنَّمَا هو الذي يَتَمَيَّزُ بِهِ هذا العهدُ عما تَقَدَّمَهُ ، والكَاتِبُ إِذَا أَحْتَاجَ إِلَى اسْتِمَالِهِ رَبَّهُ وَقَدَّمَ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ ، وَأَخَّرَ مَا يَجِبُ تَأْخِيرُهُ [أَضَافَ إِلَيْهِ مَا يَجِبُ] إِضَافَتُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة سجل بولاية مصر، وهي :

الحمد لله ، الموفق إلى دواعي رضاه ، المحسن العون على ما أوجب المزيد من إفضاله وأقتضاه ؛ المنيب على ما هدى إليه من طاعته ، القابل عمل من استغفد في الشكر أقصى طاقته ؛ المتكفل بمصالح عباده ، المولي من مواهبه ما تعجز الخواطر والألسنة عن تعداده ؛ وصلى الله على جدنا محمد الذي جعل أتباعه سبيلاً إلى سكن جنات الخلود ، وآلت بهداه نار الكفر إلى الممود والنمود ؛ وأقعد من مهايى الضلال ، ووسم من حادّه وحادّ عن سبيله بالصغار والإذلال ؛ وخلف في أمته الثقلين كتاب الله وعترته ، وأبقى بهما فيهم آيته وهدايته ؛ وعلى أخيه وأبن عمه أبنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب مبهم أسباب الشريعة ومحكها ، ومطلق سيوفه في نفوس أعداء الملة ومحكها ؛ وباب مدينة علم النبوة التي لا يُدْخَلُ إليها إلّا منه ، وسيد من عتاهم الله بقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ . وعلى أئمة الهداة قوائم الإسلام ، وساسة الأنام ؛ وخلفاء الله في أرضه ، والموفين بعهده والأمينين بأداء سنته وفرضه ؛ ورؤس العصمة الذي من جلا إليه نجا ، والحصين الذي ماخاب من أمه فرجاً منه فرجاً ؛ وسلم وعظم ، ووالى وكرم .

وإن أمير المؤمنين لما أودعه الله إياه من أسرار الحكمة، وأجابه له من إمامة الأمة؛ واختاره له من كلاءة الخليفة وإيالاتها، وحفظ حوزتها من المخاوف وريعاتها؛ وما خصه به من بقوة النبوة والرسالة، وأفرد به رأيه من الجزالة والأصالة؛ وأكتنف به أمحاءه من التوفيق الذي لا يصيف عن غرض الإصابة ولا يجحد، وعضده به من التأييد القاضى لمزائمه ببلوغ الغرض فى نصرة التوحيد؛ واستودعه إياه من الإقبال الذى يجعل المستحيل لمأزده إمكناً، والتأييد الذى أوضح به لإمامته برهاناً؛ وتوحيده به من العصمة التى نصيب بها مرآميه مواقع الرشد، وتضمن الخيرة لما يعاينيه من الأمور مما سدد وساد - يعمل خواطره فيما يكفل للنفوس يرضاها، ويجزل للدين والدنيا به حظاً؛ وتتظاهرها به ضروب الصلاح على الأمة، وتحيا به سنن الخيرات وتتم النعمه؛ وينظر لمن استودعه الله إياهم من برئته نظر المؤدى الأمانة إلى مؤتمنه، المستودع فيما يتقرب به إليه من البر شكر سوايخ منايحه ومنته؛ ويقرب على الأمة مثال الخير باصطفائه من يكون لأفاضل الشيم مستكلاً، وإلى ما أنزله إلى الله سبحانه من طاعة أمير المؤمنين متوصلاً، ولشواذ التناء بفاضل سيرته متعللاً، وللتسّمح فى قوانين السيامة مجتنباً؛ ولما علم [رغبة] الرعية فيه متصباً، وفيما بلغهم أقصى الآمال متسبباً؛ وبمراقبة الله فيما يأتى ويترك متدينًا، وبمُحسن الجزاء على العمل بمرضاياته متيقنًا : ليكون أمير المؤمنين قد قضى [ما أوجبه عليه] مستخلفه بجنتائه وأصطفائه، واستحمد إليه بإسناد جلائل الخلق إليه واستكفائه؛ وأتى ما تكون السلامة مضمونة فى مبادئه وعواقبه، وأحظى بنيل المراد فى جميع جهاته وجوانبه؛ مستندباً يتم الله التى أسداها إليه وأولاها، ومواصلاً حمده على منته التى ظاهرها عليه وأولاها؛ ويستعينه على لوأزم عواريفه التى من أجلها خطراً، وأحمدنا فى البرية أثراً، وأجمعها لمنافع الخاص والعام، وأعوذها بحياة حوزة الإسلام؛ وأشهدنا

ببراهين الأئمة ، وأدّاهما على عناية الله بهذه الأئمة ، مأمّنه أمير المؤمنين من موازنة
 قتاه ووزيره ، ومعينه على المصالح وظهيره ، السيد الأجل العادل أمير الجيوش
 أبي الحسين على الظافري ، - والدعاء - الذى أظهر الله به لأمر المؤمنين آيات
 حقوقه ، وأستأصل بآسه شأفة من تتابع في مرّوقه وبالحق في عقوقه ؛ وكسا الدهر
 بلبائته ملائس الجمال ، وقسح بفاضل سيرته مجال الآمال ؛ وبذل من الجهاد غاية
 الإجتهد ، ووالى من عمارة البلاد ما أنطق بحمده الجناد ؛ وأستخلص نخالل الصدور
 بلطف سياسته ووسع عدله ، ورغبت غرائب الآمال فى الإيواء إلى ما يفيق فضله ؛
 وتبارت الليالى والأيام فى خدمة أغراضه فى أعاديه ، وأسترقّ قلوب الأولياء بما يؤايله
 من بيض أياديه ؛ ووضع الأشياء فى مواضعها غير تحاي ولا مرخص ، ولم يحط
 بأيامه النيرة غير الطامع المخلص ؛ ولم يتفق للباطل سوق ، وأنت سيرته بما يرضى
 الخالق والمخلوق ؛ فالله تعالى يجعل مدته غير متناهية إلى مدى ، والنصر والتوفيق
 لأرائه مددا ، ويحلّد أبدا سعده ، ويخز لأمر المؤمنين على يده وعده .

ولما كانت منزلته عند أمير المؤمنين المنزلّة التى تتطامن دونهما المنازل والرُتب ،
 وجلّت أن ينالها أحدٌ من بعد أو قرب ؛ وأفعاله قُدوة يُتدّى بانثالها فى الشكوك ،
 وسيرته قد عظمت عن أن تتعاطى بمائلتها همّ الملوك ؛ ومحلّه عنده من الكمال بحيث
 تستحكم الثقة باختياره ، ويرجع فى عقد الأمور وحلّها إلى اتباع آثاره وموافقة
 إيناره ؛ وكانت مراتب الأولياء عند أمير المؤمنين بحسب مراتبهم من قرّبه ،
 وموضعهم من رضاه مضاهيا لموضعهم من قلبه ؛ ومكانهم من الخطوة لديه مناسبا
 لمكانهم من الرّافة عنده ، وأحقهم بسناء الرّتب من أقبسه زنده وكساه مجده ؛ ولا سيما
 من لم يخرج منه عن حكم الولد ، وحلّ منه محلّ القلب من الكبد ؛ ونشأ فى دوحته
 غصنا نصيرا ، وطلع فى سماء جلاله قرا منيرا ؛ وأعلى بجده ، وقطع بجده ، وتظاهرت

شواهد سَعْدِهِ فِي مَهْدِهِ ؛ وَكَنتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْحَاوِيَ لِهَذَا الْفَضْلِ الْمَبِينِ ، الْمَعْتَلِقَ مِنْ وَلَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ ؛ الَّذِي نَشَأَ مُتَوَقِّلاً فِي دَرَجِ الْمَعَالَى ، وَغَدَا مُتَقَبِّلاً فِي ظِلَالِ الصُّورِ وَالْعَوَالَى ؛ وَأَخَذْتَ بِمِرْأَشِدِ السَّيِّدِ الْأَجَلَ الْعَادِلِ فِرْدَتْ عَنْ الظُّنُونِ وَأَوْفَيْتَ ، وَوَعَدْتَ عَنْكَ فَصَدَقَتْ ضَمَانُهَا وَوَفَّيْتَ ؛ وَمَا زِلْتَ بَيْنَ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ مَأْمُوحاً ، وَبِأَفْضَلِ خِلَالِ الرُّؤَسَاءِ مَمْنُوحاً ؛ وَبِحُلَلِ الْمَرَاتِبِ مُؤَهَّلًا ، وَبِلِسَانِ الْإِجْمَاعِ مَقْضًى ؛ وَلَيْتَ أَعْيَا مِنْ أَدْوَاءِ التَّفَاقُ حَاسِمًا ، وَفِي مَوَاقِفِ اتِّخَاوِفِ رَابِطَ الْجَاهِشِ حَازِمًا ، وَلَيْتَ يُعَدِّ الْأَمَاجِدُ لَهُ مُدْخَرِ الْمَضَاءِ ، وَفِي ثَمَانِيهِ وَتَلَايُسِهِ مُوقِفُ الْآرَاءِ ؛ وَقَدْ أَكْتَفَيْتَكَ مِنْ أَتْبَاعِكَ هَذَى السَّيِّدِ الْأَجَلَ الْعَادِلِ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ وَوِلَاةَهُ -

نَاصِرِ الدِّينِ ، الْأَجَلَ الْمُظْفَرِ الْمُقَدِّمِ الْأَمِينِ ؛ سَيْفِ الْإِمَامِ ، رَكْنِ الْإِسْلَامِ ، شَرَفِ الْأَنْبَاءِ ؛ نَفِيرِ الْمُلُوكِ ، مُقَدِّمِ الْجِيُوشِ ، ذِي الْفَضَائِلِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَبِي الْفَضَائِلِ . عَبَّاسِ الظَّافِرِ الْعَادِلِ ، أَدَامَ اللَّهُ بِهِ الْإِمْتِنَاعَ ، وَعَضَّدَهُ وَأَحْسَنَ الدَّفَاعَ ، الَّذِي هُوَ نَفِيرُ الْمُلُوكِ وَنَجَلُهُمْ ، وَأَثَرُهُمْ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَأَجَلُهُمْ ؛ وَأَقْدَمُهُمْ فِي الرِّيَاسَةِ قَدَمًا وَأَعْرَفُهُمْ ، وَأَطْيَبُهُمْ أَرْجَ شَاءٍ وَأَعْبَقُهُمْ - مَا جَعَلَكَ أَعْلَى الْأَعْيَانِ مَفْخَرًا ، وَأَكْرَمَ الْجَوَاهِرِ حُنْصَرًا ؛ وَأَوْلَاهُمْ بِأَلَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَطَائِهِ ، وَأَسْبَقَهُمْ فِي مِضَارِ اخْتِيَارِهِ وَأَجْتَنَبَانِيهِ ؛ وَأَثَبْتَهُمْ عِنْدَهُ مَكَانَهُ ، وَأَحْرَاهُمْ فِي خِدْمَةِ بَتَّادِيَةِ الْأَمَانَةِ ؛ وَقَدْ عَرَفَ مِنْ مَوَاقِفِكَ الْمَشْهُودَ ، وَمَقَامَاتِكَ الْمَحْمُودَةَ ؛ مَا كَانَ مِنْكَ فِي تَوْبَةِ ابْنِ مَصَالٍ وَجُمُوعِ ضَلَالِهِ ، وَمَا اسْتَفَاضَ مِنْ كَوْنِكَ سَبَبَ أَنْهَرَامِهِ وَأَنْفِلَالِهِ ؛ وَأَتَقَلَّابِ تَدْيِيرِهِ عَلَيْهِ وَأَنْعَكَاسِهِ ، وَالتَّفَرِيقِ بَيْنَ جَسَدِهِ وَرِيَاسِهِ ؛ وَحَصَلَ لَكَ بِذَلِكَ مِنْ إِحَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ مَدَاهُ ، إِذْ كَانَ قَدْ جَرَّدَ سَيْفَ نَصْرِهِ وَالذِّكَّ الْأَجَلَ الْمُظْفَرُ وَأَنْتَ حَذَاهُ - رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُهُ - أَنْ لَا يُضَيِّعَ مَا فِيكَ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونٍ ، وَلَا يَرْجِعَ فِي أَمْرِ نَبَاهَتِكَ إِلَى مَا تَأْتَلُ عَلَيْهِ السُّنُونُ ؛ إِذْ كُنْتَ لِلْكَمَالِ مَعَ قَتَاءِ السَّنِّ

حائزاً ، وبمزية أصطناع أمير المؤمنين واختياره ليالك فائزاً ؛ وفافوض السيد الأجل العادل - أدام الله قدرته - في تشريفك بولاية يكشف بها شُغُوف جوهرك ، ويوضح لكافة البرية بمبائرتك إياها ما استقر عنده من جميل مُحْتَرِكٍ ؛ ووقع العين على تقليدك ولاية مصر وما مع ذلك من الصناعتين وغيرهما من حقوقهما ، فامضى أمير المؤمنين ذلك لما لهذه الولاية من الحظوة بالقرب والدُّوْء ، وليوفر على الإيثار على أن يبلغ نظرك إلى غايات العلو والسمو ؛ وخرج أمره إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الخدمة المذكورة : علماً بانتظام شُؤنها بإيالك ، وحياطة حوزتها بسطاك ومهايتك ؛ وتحقيقاً أن سياستك تُعمها المصالح ، وتظاهرها عليها اليأس والمنابح ؛ وتظهر لها الحجة في الافتخار ، على سائر الأنصار . وتسانف بمقارنتك من الميزة ما لم تحظ به فيما سلف من الأعصار ؛ ويتضح بك البرهان لمن بالغ في تفضيلها ، وتآل من فائض العدل بسيرتك ما تكاد تغنى به عن نيها .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك : معتمداً على تقوى الله الذى إليه تصير الأمور ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصُّلُور ؛ قال الله تعالى في محكم كتابه المبين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ . وأجعل من تحويه هذه المدينة بالعدل مشمولين ، وعلى أجهل السيرة والرسوم مجولين ؛ وساو في الحكم بين الشريف والدنى ، وآس في المقدار بين المثل والدنى ؛ وأقم الحدود على من يجب عليه بمقتضى الكتاب وصحيح الآثار ، ولا تتعها بإفلال ولا إكثار . وفي هذه المدينة من دوى الأنساب ، وأعيان الأجناد ومتميزى الكُتَّاب ، وأمانل الشهود : فأعتمد تمييزهم والاحتفاء بهم ، ومعوتههم على مطالبهم ومحابهم ؛ وكذلك من تفضمت هذه الولاية من التجار والرعية . وتوخهم بما يسكن جاشهم ، ويزيل آسيتحاشهم ؛ ويسح لهم في الرجاء والأمل ، ويعينهم على صالح العمل . وتقدم بحفظ الجامع العتيق وصونه

وتوفيره ، على ما يليق به وتوقيره ؛ وأمتع من آتذاله في غير ما جعل له ، ونُصِب له ،
من الإعلان بذكره فيه وأهله ؛ ووقّر تأمّ العناية ، وشامل الرعايه ؛ على من به من
الْعُقهاء والعلماء ، والمتصدّرين والقُرّاء ؛ وحضّم بالكرمة على المبالغة في طلب العلوم ،
والتزوّد من صالح الأعمال ليوم الوقيت المعلوم ؛ وخُذ جميع المستخدمين معك بلزوم
الطرائق الحميدة ، والمقاصد المستوفقة السديده ؛ فمن آسَمَز على ما رضاه من آجتهاده ،
وتستوفقه من صواب آعتماده ، أجرته على رَسمه في الرعايه ، وتوخّيته بالصون
والحمايه ؛ ومن كان بالخدم مُخِلًا ، وسلوكه عما يلزمه ضالًا مضلًا ؛ فاعرض بتأديبه ،
وما يقضى بتقويمه وتهذيبه ؛ والثقة بوفور حفظك من الصواب ، وإجرائك على
ما يُنَاط بك على الاستنباب ، أغنى عن الإطالة لك في الوصايا والإسهاب ؛ والله تعالى
يقرن الخير بما تنظر فيه ، ويجعل التوفيق مضمونًا فيما تذرّه وتأتيه ؛ ويُنيك من
رُبّ السعادة ما أنت له أهل ، ويُمنّ نعمته عليك كما أمّها على أبوك من قبل ، فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن السجلات بالوظائف الدينية على هذه الطريقة ما كتّب به القاضي الفاضل
عن العاضد بولاية بعض القضاة ، وهو :

الحمد لله الواسعة عطاياه ، الوازعة قضاياه ؛ المشتملة على أقسام الخلق قسّمه ،
المبرور في سؤلهم يوم فصل القضاء قسّمه ؛ المسطور في كتابه الذي ما قرط فيه من
شيء محلّل الشرع ومحرمه ؛ المتمثل فيه لمن مثله مطاع الأمر ومسأله ؛ الكريم الذي
لا يضيع ثواب العاملين ، ولا يقطع أسباب الآملين ، ولا يمنع طلاب السائلين ؛ العدل
الذي قامت حجته على الناكبين والعاذلين ، والحق الذي يقضى بالحق وهو خير

الفاسلين؛ مُصَوِّفَ مَشَارِعِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَعْرَاضِ الْكَدَرِ ، وَحَامِي مَعَاوِلِ الْمَلَّةِ
 مِنْ أَنْقَاضِ الْمَدَرِ ؛ وَمِثْرَهُ أَوْلِيَانَهُ مِنْ تَحَاسُّنِهَا فِي رِيَاضِ الْفِكْرِ ، وَمَعْرِفِهِمْ بِمَا عَرَضَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْقَاطِهَا لِأَرْتِيَاضِ النَّظَرِ ، وَأَرْتِكَاضِ الْفِطَنِ وَالْفِطْرِ ؛ جَاعِلِ الْحُكْمِ سُلْطَانَهُ
 الَّذِي يَأْوِي الْلَهْفَ إِلَى ظِلِّهِ ، وَحِمَاهُ الَّذِي يَلْجَأُ الضَّعِيفُ إِلَى عَدْلِهِ ؛ وَمَقَرَّعَ
 الرَّائِعِ الَّذِي يَقِفُ الْمَشْرُوفُ وَالشَّرِيفُ عِنْدَ فَضْلِهِ ، وَشِفَاءَ الْعِلَالِ الَّذِي يَذْهَبُ
 بِكُلِّ [مَافِي] صَدْرٍ مِنْ عِلَّةٍ ؛ وَمَشْرَعِ الْإِنْصَافِ الَّذِي يُفِضِي إِلَى الظُّلْمِ فَيْضُ سَجَّاهِ ،
 وَمَوْعِدِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءُ كَهَيِّئَتِ سَجَّاهِ ، وَمُظْهِرِهَا لِبَظْهِرِ بِهِ هَذَا الدِّينَ عَلَى
 الدِّينِ كُلِّهِ ، وَالْأَمْرِ فِيهَا أَشْكَلَ مِنْهُ بِالْتَّعَرُّجِ إِلَى مَسْتَنْطِطِهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجَاعِلِ الْأُئِمَّةِ
 الْهَادِينَ الْمُجْبِّحِ عَلَى مَنْ رَجَعَ إِلَى قِيَاسِ عَقْلِهِ أَوْ تَقْلِيدِ جَهْلِهِ ؛ وَأَحَدِ الثَّقَلَيْنِ الَّذِي
 يَخْشَفُ عَنْ كُلِّ غَارِبٍ كُلِّ ثِقْلِهِ ، وَأَخُوهُ الْكَتَّابُ فَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا الْحَوْصَ يَوْمَ
 نَهْلِهِ وَعَلَّهِ ؛ وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي مِنْ أَتَى الْيَوْمَ فِيهَا بِنَلَّةٍ رَأَاهُ أَتَى خُذَا بِنَلَّةٍ فَعَلَهُ ،
 وَمَنَارَ الْأَنْوَارِ الْمَضْرُوبَ عَلَى طُرُقِ السَّارَى فِي لَيْلِ الضَّلَالِ وَمُسْبَلِهِ ، وَسَبَبَ الْعِصْمَةِ
 الَّتِي أَشَارَ فِيهَا إِلَى الْإِعْتَصَامِ بِحَبْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدَّنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَظَّمَ بِهِ جَدَّنَا ،
 وَأَعْتَلَّقَ بِسَبَبِهِ مَجْدَنَا ؛ وَوَجَبَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ وَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدُنَا ، وَأَوْرَثَنَا مِنْ
 عِلْمِهِ مَا حَازَ لَنَا شَرَفَ الدِّينِ وَالْدُّنَا ؛ وَحَلَمَ بِهِ نَجِيرٍ مِنْ ضَاقَتْ بِهِ الْمَذَاهِبُ فَرَجَا
 فَرَجَا ، وَحَكَّمَهُ الْمَشْرُوكُونَ فِيمَا تَجَرَّ بِبَيْنِهِمْ فَلَمْ يَجِئُوا فِي أَنْفُسِهِمْ بِمَا قَضَى حَرَجًا ؛ وَعَلَى
 أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ ، الْقَائِمِ مَقَامَهُ بِفَضْلِ حِكْمِهِ وَفَضْلِ عِلْمِهِ ؛ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَنِ
 أَبِي طَالِبٍ الَّذِي حُرِّزَ لَهُ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ لُبُّهَا ، وَطَابَتْ بَغْيَارُ حِلْمِهِ إِقَامَةُ الْأَبْجَابِ
 وَالْبَابِهَا ، وَمِيزَهُ عَلَى الْكَافَّةِ بِقَوْلِهِ : "أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا" وَشَهِدَ طَوْرًا بِأَنَّهُ

أفانهم ، فُئِم أنه أقرُّهم به شَبَّها وفي مَدَى الفضل أقصاهم ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الذين أُنعموا فأجزلوا ، وحكموا فعدلوا ؛ ومُملوا ثقل الأمانة فحملوا ، وجاهدوا في سبيل الله فعدلوا بما فعلوا ؛ وآستوجبوا الحمد بما أولوا والأجر بما أولوا ؛ صلاة مأمونة من الشُّبُهَات ^(١) .

ولما كان حكم الشُّبُهَات في الحكم بين الناس أن يُختار من بَانَ صوابه وأَضَح ، وبَانَ عنه حكم الهوى الذي قَضَح ؛ وأصغى ضميره إلى لسان الحق الذي فَصَح ، وعَرَض جواهره على عَمَك النَّقْد فَصَح ؛ وميَّز بينه وبين الرجال فَثَقُلَ وزناً وَرَجَحَ ، واحتجَّ به الإسلام على من تَوَيْ مُناوآته فَتَجَح ؛ وولَّى الأحكام بين المسلمين فأصلح وصَلَح ، وتَسَمَّح إذا كان الحقُّ له وإذا ما كان فيه فما أَسَمَح ولا تَسَمَح ؛ وجدد جَدُّه من معالم العلوم ما مَحَّ رَسْمُهُ وَأَمَحَّ ^(٢) ، وأطلعت على خَفَايا المشكلات بَدِيْهَةً ففكرَ لَمَّا لَمَحَ ؛ وملك عَنَانَ هَوَاهُ رأيَه ففَتَحَ إلى هَوَاهُ وما بَمَحَ ، وشرَح صدر الاختيار بما ملأ الأخيَّار من محاسنه وشرَح ، وتعالى الاقتراح لهذه المرتبة فكان وفق ما أراد وفوق ما اقترح ؛ وتَشَبَّهت بعين الأعمال الصالحة وتَمَسَّك ، وتَنَزَّه عن داءِ يَلَازِمِهَا وأعراض تشبَّهها وتَمَسَّك ؛ وكثُر الخوض في الباطل فلما صَدَعَ بالحق وإمَّا أَسَمَكَ ، وأعدى قَصَبَه وقَصَبَه على من شَكَا أو شَكَّ ؛ وغَضَّ عَيْنَه عَمَّا أُعْطِيَ سِوَاهُ وَمَتَّعَ به ، وأَشْتَرَى طَوْلَ راحته بِنَصِيْبه الآن من نَصِيْبه ، وحسره (؟) النعمة من تَعَبِه ؛ وأيس الظالم من مُسَالَمَتِهِ ومُبالَاغَتِهِ ، وطمع المظلوم بِقُرْبِ إِمَانَاتِهِ وُبُعْدِ إِمْعَانَتِهِ ؛ ومَرَّ مَرُّ الدهر وحلَّ حُلُوْهُ فلم يَشْهَدْ بِاسْمِ لَانِهِ عن حالاته ، ولم يَرْضَ أَحَدُبه حُكْمَ صَرَفِ دهر يَجْرِى بأذاته ؛ ولا كَشَفَتْ منه التجاربُ إلا عن البصائر التي تَرُوق السَّمَاعُ

(١) أى فاققاد ولان ولا سمح أى جاد وضحا .

(٢) أى درس وضحا . انظر اللسان .

والنُّظَّارَ، والحَسَنَاتِ الَّتِي قَضَتْ بِصَائِرِهَا بِقَضَاءِ مُنَاطَرَةِ الْأَنْظَارِ؛ وَالِدِيَانَةِ الَّتِي عَمَرَتْ
الْحَارِيْبَ فِي اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَالْأَمَانَةِ الَّتِي اسْتَمْسَكَ عَقْدُهَا فَمَا خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ
يَتَدَاعَى وَلَا أَنْ يَنْهَارَ، وَالصَّبَايَةِ الَّتِي أَسْتَوَى فَوْقَ مَرْكَبِهَا لَحَلَّتْ بِجَنَاتِ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

وَلَمَّا كُنْتُ أَيُّهَا الْقَاضِي مُتَقِي هَذِهِ الْأَوْصَافَ وَطَعَمَهَا، وَمَتَّحَرَّقَ نَحْرَهَا وَمَطْلَمَهَا،
وَمُلْتِي عَصَا أَرْتِيَادِهَا وَمَنْجَمَهَا ، وَمَوْرِدَ قَرِطِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَمَشْرِعَهَا، وَمُرَادَ هَذِهِ
السَّمَاتِ الَّتِي تَقَعُ مِنْكَ مَوْقِعَهَا، وَتَأَلَّفَ عِنْدَكَ مَوْضِعَهَا، وَأَصَلَ هَذِهِ الْحَمَامِدِ الَّتِي إِنْ
اسْتَعَلَّقَتْ بِسِوَاهُ فَهِنَّ فَرَعَهَا، وَقَارَعَ صَفَاةَ هَذِهِ الذَّرْوَةِ الَّتِي مَا كَانَ لغيرِهَا أَنْ يَقْرَعَها،
وَمِنْ تَعَدُّهُ الْخَنَاصِرُ أَنْتَقَى كُفَاةَ الرِّبِّ وَأَوْرَعَها، وَأَبْلَجَ أَبَاةَ الرِّبِّ وَأَرْدَعَهَا، وَأَشَدَّهَا
قِيَامًا وَمَقَامًا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ أَطْوَعَهَا، وَأَمْضَاهَا حَدًّا إِذَا كَفَّ الْبَاطِلَ
الْقُرُوبَ ، وَأَشْرَقَهَا شَمْسًا لَا تَتَوَارَى بِجِبَابِ الْقُرُوبِ ؛ وَأَقْوَاهَا سَلَةً فِي تَنْفِيزِ حَكِيمٍ
حَقٌّ إِذَا ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ، وَأَنْفَاهَا صَحِيفَةً بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ نُورِ الْعَمَلِ
الْمَكْتُوبِ، وَأَبْدَاهَا زُهْدًا فِي دُنْيَاهُ إِذَا أُنْمُوا بِوَعْدِهَا الْكَذِيبَ أَمَلٍ لِيَتَأْتَاهَا الْمَكْدُوبُ ؛
وَأَدْوَمَهَا مَصَاحِبَةً لَشُكْرٍ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ رَفِيقُهَا الْمَصْحُوبُ، وَأَقْوَمَهَا طَرِيقَةً فِي الْحَسَنَاتِ
فَمَا طَرِيقُهُ إِلَى الْخُوبِ بِمَلْجُوبٍ، وَأَقْوَاهَا طُمَأْنِينَةً قَلْبٍ إِلَى ذِكْرِ الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ
الْقُلُوبُ ؛ وَأَنْهَضَهَا عَزْمًا بِمَا أَعْيَا الْحِمَمَ مِنْ تَكَالِيفِ الطَّاعَةِ وَأَادَ بِسَمْعٍ وَبَصَرٍ وَفُؤَادٍ،
وَأَقْدَرَهَا عَلَى مُجَاهَدَةِ الشَّهَوَاتِ أَشَدَّ الْجِهَادِ ؛ وَأَنْظَرَهَا لِنَفْسِهَا فِي تَحْصِيلِ عَمَلٍ يَشْهَدُ
لَهُ يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهُادِ، وَأَمَهَّدَهَا لِحُبِّهِ وَذَخَائِرِ التَّقْوَى نَعْمَ الْمَهَادِ .

وإلى اليقين الذي ظهرت شواهده ، والعمل الذي جُمِعَتْ إِلَيْكَ شَوَارِدُهُ ؛
وَالَّذِينَ صَفَّتْ إِلَيْكَ مَوَارِدُهُ، وَالْعِلْمُ الَّذِي هَبَّتْ بِمَذَاكِرِكَ رَوَاكِدُهُ، وَالْفَهْمُ

الذى تظاهرت بمناظرتك مرشده ؛ والنظر الذى ألقى فُرسانَ الجدال بالجدالة ،
والأثر الذى يقضى به عليك بالعدالة ؛ والمهامية عن الحق بما يقضى لمخالفه بالإذالة
ولمؤالفة بالإدالة ، والإرشاد الذى ما بدا لفهم الشاك إلا بدا له ؛ والفتيا التى ضربت
تبج الباطل بسيفها ، وحلت مسامع المستفدين بسنوفها ؛ والجلالة التى لا يمل
مسموع أوصافها ، والعدالة التى لا يمل (؟) مشروع انصافها ؛ وكل ليلة أعمدت ظلامها
فى نور التهجذ والناس هجود ، ومسكنت جفون مناقبها بيقظات السجود ، وأنشأت
الحشية غمامها فاطفات بماء الدمع النار ذات الوقود ؛ وبلغت رياضة الجوارح
التي تريد رياض القلب التى ترود ؛ فأسفر الصبح منك عن سائر واقف ، واستمر
لك القبول عن أنس خائف ؛ وتأرجحت أنفاس الإحصار باستيفارك ، وتم حوان
السجود بأسرارك ، وأبيضت شية الليل يحل آثارك ؛ واكتفتك الطهارة حتى كأنك
مصحف ، وأرهفتك الديانة حتى كأنك مرهف ؛ وحالفتك الركائنه وكأنك مع
سلامة الخلق أحنف ، وثقتك السن فاجت منك ما بقى من سنان المثقف ؛
وعرفتك الأحكام بأنك ماض على الحقائق عند الشبه تتوقف ، وألفتك الزاهة
فشهد عدول أن نكرة المطامع عندك لا تتعرف ؛ وصرفتك الزاهة عن دُنيا إن كانت
عراسها تُرف فعدا مواردها تُتَرَف ، واستشرفتك المنازل التى لا تزال بأعناق الأشراف
تُستشرف ؛ وما رأست ، حتى درست ؛ ولا تنهت ، حتى تفقت ؛ ولا أقنيت
حتى أفنيت الحابر ، ولا تصدرت حتى تصبرت على كُلف تغلب الصابر ؛ فما
جباك من حباك ، ولا قدسك حتى علم أن سواك ماسواك ؛ فرياستك لم تكن قلته ،
واستشراف وجه الرياسة لك لم يكن لفته ؛ بل تنقلت متدرجا ، وأثنى عليك لسان
حقيقة ما كان متجليجا ؛ ولو أفعدك حسبك أو أباك ، لعلك المجد وما أباك ؛

فكيف ولك نفس بنت لك الشرف الخالد ، وجمعت الطريف منه إلى التاليد ، ولم تفتح بما وريثت من تراث رياضية الوالد .

والسيد الأجل الذي أعاد إلى الدولة رونق نضارتها ، بعد رونق إمارتها ، وأفاضت عليه حيا إشارتها ، وأضافت إليه نص إشارتها ، وأعطته السعادة أفضل إمارتها ، بما أعطته من فضل وزارتها ، واشتملت معاني النجاح من صفحة إشهر التي تجللك الآمال بإشارتها ، وأقرت حركته الخلافة في دارها والأنوار في دارتها ، وقصرت مهابته أيدي الأعداء بعد استطاعتها ، وأحدثت نارهم بعد استيطارتها ، وذلك رياضته الأسود فلم ترع الأسماع بزأرها ولا العيون بزيارتها - يملك للصدور صدرا ، ويعدك بما يرفع ذوى الأقدار قدرا ، ويذكرك بما تطيب به أشرا ، ويحسن ملبوسه بشرا ، ويرالك أولى من أقام الحق لازما جواده ، وأعد الباطل حاسما مواده ، ويصفك بالعدل الذي يتألم عليه الأضداد ، والسداد الذي لا يضرب بينك وبينه بالأسداد ، والتزاهة المترفة عن التصنع بالرياء ، والسرية الطيبة للنشر والسيرة الحسنة الرواء .

ولما قور لك النيابة عنه في الصلاة والخطابة والفضاء والمظالم والإشراف على الجوامع والمساجد ودار ضرب العين والورق والسكة بالحضرة وسائر أعمال المملكة ، أمضى أمير المؤمنين ماقرر ، وتغير لهذه العطية من تحبير سكونا إلى أمانتك التي حملت نوقها ، وركونا إلى دياتك التي أوجبت تطلع هذه الرتبة إليك وسوقها ، وعلى أنك فارسها الذي أوسع ميدانه ، وواحدنا الذي ربح ميزانه ، وكفؤها الذي تمكن مكانه .

فقلد ماقلدت من ذلك حاملا بتقوى الله التي يفوز العامل بها في مواقف الإخطاط ، ويموز بها السالك متالف الصراط ، ويموز بها الأمل معارف الإحتياط ؛

قال الله في فرقانه الذى نزل على عبده ليكون للعالمين نذيرا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا) .

والحكم فهو عقد اللباس دُنْيَا وَدِينًا ، وسبيل الحق الذى يسلكه مَنْ جَرَى سِمَالًا وسلك يمينًا ؛ وبه كفَّ الله الأيدي المتعدية ، وأقعدَ من النار النفوس المتردية ؛ وأقام حدود كلِّ مَنْ استحقَّها ولم يتوقَّها ، وأوجب قصاص الدماء على مَنْ أراقها واستباح رِقَّها ؛ وبه يقف القوى والضعيف موقفاً واحداً ، ويظهر أولو عدل الله لمن كان بعين قلبه مُشَاهِداً ؛ وبه تبيّن مواقع التحليل والتحريم ، وفيه تُستعين مقاطع الحكم بالتحكيم ؛ وبجاليه الوقار فهى جنة لا تقو فيها ولا تأثم ، والظالم فيه وإن ظفر فإنما ظفر بما يُقطع له من نار الجحيم . ولا تجعل بين المتحاكين إليك من فرق ، وساو في الحكم بين كافة الخلق ؛ ولا تحك بحجة أحد الخصمين وإن كان ما السبق : (فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) . ولا تقطع بعلمك وإن كنت عليماً ، ولا تبال في الله أن تُغضب ظالماً وتُرضى مظلوماً ؛ وأجعل لنفسك مَنْ نَظَرَكَ وإصغائك بين المترافعين إليك مقسوماً ، فلا تحقر خطأ الحكم وتجنب منه بينهما ما تجده [عند] الله عظيماً : وَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تُكِنُّ السَّائِغِينَ خَصِيماً . وتجلَّب بالوقار الذى يبين فضل المله ، ويشهد للكفر بالله ، ويُلبسك نحر السراة الحلة ؛ ولا يمتنع مذموم التكبر ، عن محمود التدبر ؛ ولا جبر لكسر التجر ، ولا خير فيمن لا يمهل روية التحير فالعجلة تضيق ميدان التحير ؛ وإذا أصرخ الملبس لفهمك ، وعزَّ القطع بفصل حُكْمك ؛ فافهم الظالم ما توجه عليه لخصمه ، فربما أوتى من سوء فهمه لامن طريق ظلمه ؛ ولعله لا يجمع عليه بين قوت مراده وبقاء إثمه ؛ وذاكر المُقْدِمِينَ على اليمين ، بما على مَنْ يمين ، وأن كاذبها يدع الديار

بلاقيع ، وأن حرق الجرأة على الله ماله من رافع ، وصرة الفاجر ماله من منزل
ولا رافع ، ومن قطعه الحصر عن الإفصاح ، وصرفه إلى عن الإفصاح ، فاستعمل
معه أناة توضح ما يختلج في صدره ، ورفقا يفسح ما يختلج في فكره ؛ فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : " إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ
بِحُجَّتِهِ مِنَ الْآخِرِ فَأَقِضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ " ولُدخول المجالس دهشة تُورث اللسان
عُقله ، ولمفاجأة المخالف حيرة تُعقب البيان مهله ؛ فواجب عليك ممن تدله أن تدله ،
ومن يُشده أن تُشده : لتقضي بما تقضي ، وتضي الحكم بحقيقة تضي ؛ وإن
تتجزت قضية قد قرطت ، وتدبرت نوبة قد أفرطت ؛ فبادر باستدراكها ، قبل
وقوعك في أدراكها ، وتعدرك عن إدراكها ؛ ولست معصوما من المغالط ، ولا موصوما
بالخطا الفارط ، ولا ملوما [إلا] إذا أقت على ما الله منه ساخط ؛ فقد ذم الله من
أتى الخلاق ولم يتق الخلاق ؛ فقال تعالى : ﴿ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ .

وكتب الله وسنة رسوله السراجان اللذان ما ضل هداهما ، والمهادان اللذان
ما أوههما إليه وأبداهما ؛ وقد أغنت نبوضهما عن الأقبس ، وأوضح خوضهما
عامة الأمور المتبسة ؛ قال الله سبحانه : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . وقال
تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وإن أشكلت نازلة غير
مسطورة ، وأعضلت واقعة غير محصورة ؛ فاسترشد أمير المؤمنين في أمرها ، وقف
على بحار عليه فإن تعدد سيج ذرها ؛ فأمر المؤمنين الذي أمر الله عند التنازع بأن
نزد [إليه] ما أعضل ^(١) ، وأنتم أخذك للإستنباط [الإمين] ^(١) الذين حكم الله أن يرد عليهم
ما أشكل .

(١) زدنا هاتين الكلمتين على ما في الأصل لأن الكلام بدون زيادتهما لا يفهم . تأمل .

والشهادة فلقد أمر الله بإقامتها وكفى بالله شهيدا، وكفى بذلك جلالة وتجيذا؛ ولا تُغفد إلا العلول المقانع، ولا تسمع منهم إلا لمن هو لأمر الله سامع؛ فهم الأعوان التي تدفع بها نار جهنم، والجئن التي يتقى بها الحاكم سهام الآثام فيما حلل وحرم؛ وإلى علمهم آتته مقاطع الحقوق التي الله بها أعلم؛ وما سرى حكم إلا بعد أن يجتد أقواله دليلا، ولك السمع ولم البصر وكل أولئك كان عنه مسئولا؛ وأستشف أمورهم فن أفتيه آلفا لمحبة الصواب، عاتفا لمصلحة الآرتياب؛ لا يخاف بالإغضاب، ولا يخاف بالإرهاب، ولا يحسب حسابا إلا ليوم الحساب، فاسمع مقالته، وأقر عدالته. ومن كان عن السبيل ناكبا، وللهوى راكبا؛ فأرجله عن ظهر العدالة، وتبع زلله بالإزالة؛ وواصل فهم السنة حكك، وأوجه علمك؛ فلا تستنب إلا من تعلم أن خطاه عليك وصوابه لك، ولا تقول إلا على من لا ينجبل نفسك ولا يذم تعويلك.

وكاتبك قلبه لسانك، ولسانه ترجمانك؛ إن وقع إليك تُنسب مواقع توقعه، وإن وصل حكما بمسطوره فمقدارك مسطور من مسموعة؛ فلا ترض بالدون فما يدون، ولا تقول إلا على كل من تصور وتصون.

وحاجبك فهو عينك وإن سُمي حاجبا، ووجهك الذي تلقى به إذا كنت غائبا؛ فاحتر من يكون متخيرا في المقال، متحليا بحسن الفعال، مجربا في جميع الأحوال؛ لا يلتفت إلى دنيا دينه، ولا يخونك أمانته ولا تمتد يمينه، ولا يقول عنك ولا عن نفسه إلا ما يزينك ويزينه، ولا يخف إلى ما يخف به موازينه.

والخطباء فرسان المنابر، والسنة المحاضر، وتراجم الشعائر، وأئمة المجامع، وسقراء القلوب بوساطة المسامع لمقامها الرافع؛ وميرها الفارع من القلوب على دائها، وتدر

حره شياطين الأمم عند اعتدائها؛ ويُعرب عن الهداية ويبلغ بلاغته في إهدائها؛
ويبين مخارج الحروف مُحسناً في أدائها وإبدائها، ويحل موعظته عن العيون الحامدة
عقد وكائها، وينادي القلوب الصّدية فيكون صداه صوب بكائها، ويستشعر أُرديّة
الوقار فتشهد المنازلة بارتدائها؛ وتعذّي النفوس مواعظه إذا قصده باستنصارها
على القلوب واستعدادها .

والآيتام فانت لم والد ، وأجرُ نفقتك عليهم في الصّحيفة واردة؛ وهم ودائع الله
لديك ، وذخائر الآباء [١] لا أنهم في يديك؛ فأحسن بهم السياسة بالشفقة، وأحسن
لم التديين بالشفقة؛ ومن آنت رُشدّه، فأدفع ماله إليه ، ومن لم تسترشد قصده ،
فانفق منه عليه؛ قال الله تنبيهاً وتحذيراً : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ
خُوبًا كَثِيرًا ﴾ .

والمساجد بيوت الله التي يُسبح له فيها بالثَنُّ والوصال ، ومطأنُ العبادة التي يعمرها
أهل الاعتلاقي بمجروفه والإفضال ؛ ومصاعِدُ الكَلِم الطيب والعمل الصالح ، وأسواقُ
الآخرة التي يُوجب فيها المشترون صَفقة البيع الرابح ؛ فعبّد الطريق إلى زيارتها ، وأشرح
قلوب المتطهرين بطهارتها ، وأنيس القائمين بالليل والمستغفرين بالأمصار بِناراتها .

والمضروبُ بدار الضرب فهو عينُ ما تجب عليه الزكوات ، ونفس ما تحارُ [به]
المستملكات ؛ ومدارُ ما تشتمل عليه المعاملات ، وقِيمُ ما تحقن به الدماء في الديات ،
ومنتهى ما تؤبى به الصدقات ؛ وتوصى به الصدقات ؛ فقولْ أخذ عياريه ،
ومباشرة تصفية درهمه وديناره ، وأخليصه تنجُ من النار بلقحات ناره ؛ وأحفظ
شكله الذي ينقش خاتم جوازه ؛ والأسماء المسطرة عليه وسيلة أمتيازه على بقية
الأعجار وأعزازه .

والوكالة على باب الحكم فهي كفّاح المتناضلين، ومسلّح المتناصلين؛ ومن ينفع بها لا يُعزل من الخطاب، كما لا ينصبّ بها من يفتح له الباطل الأبواب؛ فلا تُوعى إلا لمن حسنته الدربة، في السرعة من القربة، وتدبر قول الله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ ممن يؤمن على النساء والرجال، ولا يُعجبه لإرسال لسانه في الحلال، ولا يُطيل الحق إذا أطلق لسانه في سعة المجال.

والمتصرفون الذين هم أيدي الشريعة التي تُشخص الخصوم، ويُستعان بهم على قمع الظلوم وقمع المظلوم؛ فتخبر أن يكون أكبرهم من أهل طبقة، وأتمهم تحسناً لسمعته وتحسيناً لأمانته.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاهتد بهديه، وقم بفرض رعيه وحقّ وحيه؛ وكرّم سعى الآخرة أحسن سعيه، وتصرف بين أمر الحقّ ونبيه؛ والله سبحانه يبلغك من مناجح أمرك، ما لا تبلغه بمطامح فكرك؛ ويسر لك من بليّة الإرشاد، ما تجز عنه رويّة الارتداد؛ فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورثته، وأعمل بموجبيه وحكمه؛ إن شاء الله تعالى.



ومن ذلك ما أورده على بن خلف الكاتب في كتابه "موادّ البيان" في مجلّد بالدعوة للدولة والمشايع لها، والموافقة على مذهبها، وهو:

الحمد لله خالق ما وقع تحت القياس والحواس، والمتعالى عن أن تُدرّكه البصائر^(١) بالإستدلال والأبصار بالإيناس؛ الذي اختار الإسلام فاطهره وعظمه، وأستخلص الإيمان فاعزّه وأكرمه؛ وأوجب بهما الحجّة على الخلاق، وهدهم بأنوارهما إلى أقصد الطرائق، وحاطلها بأوليائه الراشدين ثمّوس الحقائق؛ الذين نصّبهم في أرضه

(١) يريد بالقياس المقول . . .

أعلاما، وجعلهم بين عباده حُكَّامًا؛ فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين أن أضطفاه خلافة، وخصه بلطائف حكمته؛ وأقامه دليلًا على نتائج هدايته، وداعيًا إلى سبيل رحمته؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد نبيه الذي أبتغته رحمة للعالمين، فأوضح معالم الدين، وشرع ظواهره للسامين؛ وأودع بواطنه لوصيه سيد الوصيين: على بن أبي طالب أمير المؤمنين؛ وفوض إليه هداية المستجيبين، والتأليف بين قلوب المؤمنين؛ ففجر ينابيع الرشد، وغور ضلالات الإلحاد؛ وقاتل على التأويل كما قاتل على الرسل، حتى أثار وأوضح السبيل؛ وحسّر نقاب البيان، وأطلع شمس البرهان؛ صلى الله عليهما، وعلى الأئمة من ذرئتهما؛ مصابيح الأديان، وأعلام الإيمان؛ وخلفاء الرحمن؛ وسلم عليهم ماتعاقب الملوك، وترادف الجديدان .

وإن أمير المؤمنين بما منحه الله تعالى من شرف الحكمة، وأورثه من منصب الإمامة والأئمة؛ وفوض إليه من التوقيف على حدود الدين، وتبصير من أحتم بحبله من المؤمنين، وتزوير بصائر من أستمسك بمروته من المستجيبين- يعلن بإقامة الدعوة الهادية بين أوليائه، وسيوخ ظلها على أشياعه وخلصائه؛ وتغذية أفهامهم بليانها، وإرهاق عقولهم ببيانها؛ وتهذيب أفكارهم بلطائفها، وإهاذهم من حيرة الشكوك بمعارفها؛ وتوقيفهم من علومها على ما يلحظ لهم سبل الرضوان، ويقضى بهم إلى رَوْح الجنات وريح الجنان، والخلود السرمدي في جوار الجواهر المئنان- ما يزال نظره مصروفًا إلى توطئها بناشي في حجرها، مفتد بدرها سائر في نورها؛ عالم بسر أثارها المدفونة، وغوامضها المكنونة؛ موقرًا على ذلك اختياره، وقاصية انتقاده واختياره؛ حتى أذاه الاجتهاد إليك، ووقفه الارتياض إليك؛ فامسندًا منك إلى

كفها وكافها ، ومِدْرَها المبرِّز فيها ، ولسانها المترنِّم عن حقائقها الخفية ، ودقائقها المطوية ؛ ثقةً بوثاقة دينك ، وصحَّة يقينك ؛ وشهود هديك وهداك ، وفضل سيرتك في كل ماؤلاك ؛ ومحض إخلاصك ، وقديم اختصاصك ؛ وأجرلك على رسم هذه الخدمة في التشریف والمُجلان ، والتنويه ومُضاعفة الإحسان .

فتقلَّد ما قلَّدك أمير المؤمنين مستشعرا للتقوى ، عادلا عن الهوى ، سالكا سبيل الهدى ؛ فإنَّ التقوى أحصن الجَنِّ ، وأزین الزَّين ، و﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وحَضَّ على ذلك فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وحُذِّ العَهْد على كل مسجيب راضٍ ، وشُدَّ العَقْد على كل مُقَادٍ ظاهرٍ ، من بظَهر لك إخلاصه ويقينه ، ويَصُحُّ عندك عَفَافُه ودينُه ؛ وحُضِّهم على الوفاء بما تُعَاهِدُهم عليه ، فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . ويقول جل من قائل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . و﴿ كَفَّ ﴾ كافة أهل الخلاف والعناد ، وجادِلْهم باللطف والسَّداد ، وأقبل منهم مَنْ أقبل إليك بالطَّوع والإِتياد ؛ ولا تُكْرِه أحدا على متابعتك والدخول في بيعتك ، وإن حلتك على ذلك الشفقة والرأفة والحنان والعاطفة : فإنَّ الله تعالى يقول لمن بعثه داعيا إليه بإذنه : عَجِدْ صُلَى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ولا تُلْقِ الوديسة إلا لحفاظ الودائع ، ولا تُلْقِ الحبَّ إلا في مَرَمَّة لا تُكْدِي على الزارع ؛ وتَوَخَّ لفرسك أَجَلَ المَغارِس ، وتورثهم مشارع ماء الحياة المعين ،

وَتَقَرَّبَهُمْ بِقُرْبَانِ الْخَالِصِينَ ؛ وَتَخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ ، إِلَى نُورِ الْبَرَاهِينِ
وَالْآيَاتِ ؛ وَأَتْلُ مَجَالِسِ الْحِكْمِ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي الْحَضْرَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ؛
وَالْمُسْتَجِيبِينَ وَالْمُسْتَجِيبَاتِ ، فِي قُصُورِ الْخِلَافَةِ الزَّاهِرَةِ ، وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالْمُعْزِيَّةِ
الْقَاهِرَةِ ؛ وَصُنْ أَسْرَارَ الْحِكْمِ إِلَّا عَنْ أَهْلِهَا ، وَلَا تَبْدُئْهَا إِلَّا لِمُسْتَحِقِّهَا ؛ وَلَا تَكْشِفْ
لِلْمُسْتَضْعِفِينَ مَا يَسْجُزُونَ عَنْ تَحْمِلِهِ ، وَلَا تَسْتَقِلْ أَفْهَامُهُمْ بِتَقْبُلِهِ ؛ وَاجْمَعْ مِنَ التَّبَصُّرِ
بَيْنَ أَدْلَةِ الشَّرَائِعِ وَالْعُقُولِ ، وَدُلَّ عَلَى اتِّصَالِ الْمَثَلِ بِالْمَثْنُونِ ؛ فَإِنَّ الظَّوَاهِرَ أَجْسَامُ
وَالْبَوَاطِنَ أَشْبَاحُهَا ، وَالْبَوَاطِنَ أَفْسُ وَالظَّوَاهِرَ أَرْوَاحُهَا ؛ وَإِنَّهُ لَا قِيَامَ لِلْأَشْبَاحِ
إِلَّا بِالْأَرْوَاحِ ، وَلَا قِيَامَ لِلْأَرْوَاحِ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَّا بِالْأَشْبَاحِ ، وَلَوْ أَفْتَرَقَا لَفَسَدَ النَّظَامُ ،
وَأَتَسَخَّ الإِيْمَادُ بِالإِعْدَامِ . وَأَقْتَصِرْ مِنَ الْبَيَانِ ، عَلَى مَا يَحْرُسُ فِي النُّفُوسِ صُورَ الإِيْمَانِ ،
وَيَصُولُ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْإِفْتِنَانِ ؛ وَأَنْتَهُمْ عَنْ الإِثْمِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وَكَامِنِهِ
وَطَانِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ .

وَأُخِذْتُ كِتَابَ اللَّهِ مَصْبَاحًا تَهْتَبِسُ أَنْوَارُهُ ، وَدَلِيلًا تَفْتَنِي آثَارُهُ ؛ وَأَنْتَهُ مُتَبَصِّرًا ،
وَرَدَّدَهُ مَتَذَكِّرًا ، وَتَأَمَّلَهُ مُتَفَكِّرًا ؛ وَتَدَبَّرَ غَوَاصُ مَعَانِيهِ ، وَأَنْشُرَ مَا طَوَى مِنَ الْحِكْمِ
فِيهِ ؛ وَتَصَرَّفَ مَعَ مَا حَلَّلَهُ وَحَرَّمَهُ ، وَتَقَضَّهَ وَأَبْرَمَهُ ، فَقَدْ فَصَّلَهُ اللَّهُ وَأَحْكَمَهُ ؛ وَاجْعَلْ
شَرْعَهُ الْقَوِيمَ الَّذِي خَصَّ بِهِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَأَوْدَعَهُ جَوَامِعَ الصَّلَوَاتِ وَمَحَاسِنَ
الْآدَابِ ، سَبَابًا تَتَّبِعُ جَادَّةً ، وَتَبْلُغُ فِي الْاِحْتِجَاجِ حَاجَتَهُ ، وَتَمَسَّكَ بِظَاهِرِهِ وَتَأْوِيلِهِ
وَمُثْلِهِ ، وَلَا تَلْعَلْ عَنْ مَنَهْجِهِ وَهُبْلِهِ ؛ وَأَضْمِمْ تَشَرُّقَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْتَجِيبِينَ ،
وَأَرِشْنَهُمْ إِلَى طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَسَوْ يَتَنَّهُمْ فِي الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَقُولُ فِي بَيْتِهِ الْحَرَامِ : ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ . وَزِدْهُمْ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَادِّ
عَلَى حَسَبِ قَوَائِمِ الْقَبُولِ ، وَمَا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ جَوْدَةِ الْمُحْصُولِ ؛ وَدَرِّجْهُمْ بِالْعِلْمِ
وَوَفِّ الْمُؤْمِنَ حَقَّهُ مِنَ الْاِحْتِرَامِ ، وَلَا تُعَدِّمِ الْجَاهِلَ عِنْدَكَ قَوْلًا سَلَامًا كَمَا عَلَّمَ رَبُّ

السلام . وتوخَّ رعاية المؤمنين ، وحماية المعاهدين ، وميزهم من العامة بما ميزهم الله من فضل الإيمان والدين ؛ وإن لم جانبك وأحنَّ عليهم وأطف ، وأبسط لهم وجهك وأقبل إليهم وأعطف ؛ فقد سمعت قول الله تعالى لسيد المرسلين :
 ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ولا تُفْسَحْ لأحد منهم في التطاول بالدين ، ولا الإضرار بأحد من المعاهدين والذميين ، وميزهم بالتواضع الذي هو حلية المؤمنين ؛ وإذا ألَّس عليك أمرٌ وأشكَل ، وصعبُ لديك مرَامٌ وأعضل ، فأنه إلى حضرة الإمامية متبعا قول الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وقوله : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ : ليخرج إليك من بصائر توقيفها ، ومرآشد تعرفها ؛ ما يفيك على مناهج الحقيقة ، ويذهب [بك] في لاجب الطريقة ؛ وأقرب ما يحمله المؤمنون لك من الزكاة والخزى والأخماس والقربات وما يجري هذا المجرى ؛ وتتقدم إلى كاتب الدعوة بإثبات أسماء أربابه ، وأحمله إلى أمير المؤمنين ليلتفع محرجه بتثقله له ووضوئه إليه ، وتبرا ذمهم عند الله منه . وأستنب عنك في أعمال الدعوة من شيوخ علم الحكمة ومن يتقيد بديانته ، وتسكن فيه إلى وفور صناعته ؛ وأعهد إليهم كما عهد إليك ، وخذ عليهم كما أخذ عليك ؛ وأستطلق لهم من فضل أمير المؤمنين ما يعينهم على خدمته ، ويجعل ثقلهم عن أهل دعوته ؛ وأستخدم كاتباً دينياً أميناً مؤمناً بصيراً عارفاً ، حقيقة بالاطلاع على أمرار الحكمة التي أمر الله بصيانتها وكتابتها عن غير أهلها ، نقيباً حصيفاً لطيفاً ، يترلم في مجلسك بحسب مراتبهم من العلم والدين والفضل .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فتدبره متبصراً ، وراجعته متدبراً ، وبه الوصايا تهدي
وتمدّد ، وتوفّق وتُرشد ؛ وأستعين بالله يُمدّك بمؤنّه ، ويُدّم حظّك من هدايته ،
إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى هذا سائر السجلات من هذا النوع . وقد أورد في "موادّ البيان"
سجلات غير هذه حذف منها التحميد وأقتصر على مقاصدها ، وفيما ذكر من ذلك مقتنع .

المذهب الرابع

(مما كان يكتب لأرباب الولايات بالتولية الفاطمية
مرتبة الأصاغر من أرباب السيوف والأفلام)

وليس لهذه الرتبة صبغٌ محصورةٌ في الإفتتاح ، بل تُفتتح بلفظ : «إن أمير المؤمنين
لما آتاه الله [من] كذا يفعل كذا وكذا ولما كنت بصفة كذا ، وحضر بحضرة
أمير المؤمنين فتأه ووزيره فلان وأشار بكذا ، فترك أمير المؤمنين في كذا » أو يقال :
«إن أولى» أو «إن أحق» أو «إن أجدر» أو «أقن» أو «من حسنت طريقته»
أو «من كان متصفاً بكذا كان خليفاً بكذا» أو «ولما كان كذا» أو «ملشور تقدم
بكتبه فلان » ونحو ذلك .

فن المكتتب عن الخليفة من هذه المرتبة لأرباب السيوف نسخةٌ سيجلٌ بزم .
إن أمير المؤمنين لما آتاه الله من المحلّ الأرفع ، وجعله اليوم الآمر المطاع وفداً
الشفيع المشفع ؛ يتعهد عبيده بجهاد كرمه ، ويُجير من حجر النوايب^(١) من يُحاول ظلّ

(١) المهجير والمهجرة والمهجر والمهجرة نصف النهار عند زوال الشمس الى العصر وقيل في كل ذلك انه

حرمة ؛ وقبَل وسيلة من كانت التجاؤُة أقوى وسائله وذِمّه ، ويؤمّنهُ من إلخاف حوادثِ الدهرِ به ويحمّه ؛ فلا زال بأمورهم عانيا ، وبمكارمِ شيمته عن رُفَع مسائلهم غانيا ؛ لاسيّما من حُسْن في الخدمة أثرًا وطاب خَبرًا ، وتُسرّت أوصافه في أيدي الثناء فكانت بُرودًا وحرّابًا ؛ وتَمَن له الإحسانُ في كل زمانٍ أن يأتِيَ مستحيدًا لامعتذرًا ، وعُدت به بحارُ المحاماة فما أُنرجت منه إلا جَوْهرًا ، وغرّس مقدّماتِ المخالصة وكان لسانُج الإنعام مستثمرا ، وصقل التجريبُ صفيحة طبعه وكان لضريبة الحزَم مستأمرًا ، وأستبدّ بموجبات المحامد مؤثرًا لها ومُستأثرًا ، وجعلت لديه أسباب الاستقلال التي قلّت عند سواه فظلّ منها مهذا (١) متكثرًا .

ولما كنت أُميا الأمير من قام له هذا الوصف مقام الاسم [من] المسمّى ، وتوجّعت تحايّله به فلم يكن من اللغز المَعنى ؛ وقام يقرر من الخدمة مشتملا ، وأستقل بشرائط التعويل مستكَملا ، وأدرك غايات المحاسن عَجلا مَمَهلا^(١) ، وضمنت له الشبهة أن يعلو كاهل الرئاسة متكهلا ، وأشتهر بالتقدم فلم تعرف به أوضاع الصنائع غَفلا ولا مَجَهلا ، وأستوجب أن لا يزال في أفق الإنعام مُنهلا عليه يُنادِرُ لديه غديرا ومَنهلا ، وأستحق أن يملأ يديه من^(٢) ناظره متأملا ، وأدّى فريضة النصيحة كافلا متكفلا ومُعَملا لامتعَملا ، ونهض بتكاليف الخدمة متحملا فيها هالم يزل متحملا .

وحضر بحضرة أمير المؤمنين فعاه الذي أفناه التوفيقُ باستِبراره ، ووليه الذي جَمَّ به موردُ السعد بعد استِثاره : السيدُ الأجلُّ سيفُ نصره المهنّدُ باسه ،

(١) التمهّل التقدّم وتمهّل في الأمر تخدم فيه . انظر اللسان .

(٢) يياض بقدر كلمة .

وليثُ حَرْبُهُ وَالسَّانِفُ نَابٌ ، وسحابُ الرحمةِ إلى الإسلامِ بها حصل ربحي خضر
الجَنَابُ ، ومنعَبُ الرَّائِخِ في غِيَّهِ حَتَّى عَزَبَ في مُهَوَّبِ الإِمهَابِ بِأَطْنَابِ
الإِطْنَابِ ، ومستحقُّ المَدَائِحِ الَّتِي يُعْطَرُ بِهَا الجَنَابُ ، وَيُعْطَلُ بِهَا الرِّكَابُ ، وَالْمَلَكُ
الَّذِي خَدَمَهُ الْمُلُوكُ لِارْتِيَةِ الْغَنَاءِ عَنْهُ بَلْ لَرُبَّةِ الْمَنَابِ ؛ فَذَكَرَكَ بِمَا جَمَلَكَ ، وَاسْتَمْتَرَ
لَكَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا جَمَّ لَكَ ، وَاسْتَوْفَى في مُنَاصِحَةِ الدَّوْلَةِ عَمَلَكَ ، وَقَرَّبَتْ عَلَيْكَ
بِسَفَارَتِهِ بِحُضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْلَكَ ؛ وَقَرَّرَكَ الخِدْمَةَ بِالزَّمِّ الْفُلَانِي إِخْلَادًا إِلَى
مَاتَطَوَّى عَلَيْهِ جَمَلُكَ ، وَأَعْتَادًا عَلَى مَا تَعَزَّ بِهِ كَلِمَتُكَ ؛ فَأَجَابَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا أَجَابَكَ
إِلَيْهِ ، وَتَقَدَّمَ أَمْرُهُ بِاسْتِخْدَامِكَ فِيمَا عَيْنٌ عَلَيْهِ ؛ وَنَحَرَ أَمْرَهُ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ
بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ بِتَقْلِيدِكَ ذَلِكَ .

فَتَقَلَّدَ مَاقُلَّدَتَهُ مُسْتَشِيرًا لِبَاسِ التَّقْوَى ، نَاهِيًا لِنَفْسٍ عَنِ الْهَوَى ؛ سَالِكًا الطَّرِيقَةَ
الْمُثَلَّى ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ . وَهَذِهِ الخِدْمَةُ مِنْ أَمْرَاءِ قِبَائِلِ
الْعَرَبِ ، وَهِيَ الْمُنْتَبِعُ وَسِوَاهَا الْغَرَبُ ، وَمَا فِيهَا مِنْ يُدْعَى إِلَى خِدْمَةِ إِلَّا طَبَقَ الْمِفْصَلُ
وَأَتَى عَلَى الْأَرَبِ ؛ تَقَدَّحًا بِالْمَرْسُومِ لِمَا تُنْصَبُ لَهُ مِنَ الْمِهْمَاتِ السَّاحِحَةِ وَالْعَوَارِضِ ؛
وَالْخُفُوفِ إِلَيْهَا بِالْأَسْلِحَةِ الرَّوَائِعِ وَالْخَيُْولِ النَّوَاحِضِ ؛ وَأُلْزِمَ رَجَالَهَا أَنْ تَحْفَظَ مِنَ
الطَّرَفَاتِ مَا يُصَاقِفُهَا ، وَأَنْ تُسَوِّقَ كُلَّ نَفْسٍ بِمِحْنَاتِهَا إِلَى مَنْ يَعْوُنُهَا أَوْ يُعَاقِبُهَا ؛
وَقَدِمَ الْعَرَضُ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مَنْ كَانَ بِالْوَفَاءِ سَاقِطًا ، وَعَنِ أَعْمَالِ الْمَلِكَةِ
سَاطِطًا ؛ لِيَسْتَرْجِعَ الدِّيْوَانُ مَا كَانَ بِيَدِهِ ، وَيَفْتَضَحَ مَنْ كَانَتْ لِحْيَانُهُ سَرِيرَةً
مُقْصَدُهُ ؛ فَاعْمَلْ هَذَا وَأَعْمَلْ بِهِ .

(١) الغرب بالتحريك من معانيه الماء يقطر من العلويين الخوض والبئر أظفر القاموس .



ومن ذلك نسخة سجل بولاية نهر، وهي :

إِنَّ أَوْلَىٰ مِنْ رَقَاهُ إِنْصَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحَلِّ الْيَقَاعِ، وَشَقَعَتْ فِيهِ وَسَائِلُ
فَضَائِلِهِ فَفَتَىٰ عَنِ الْإِسْتِشْفَاعِ، وَعَظَّمَ لَهُ النِّفْعَ لِمَا بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْإِثْتِفَاعِ، وَجَرَّدَتْهُ
يَدُ الْإِخْتِيَارِ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ الذَّبِّ عَنِ الْمَلَّةِ وَالذَّفَاعِ، وَأَسْتَقَرَّ فِي الرُّتَبِ الَّتِي لَا تُنْقَلُ
إِلَّا إِلَى الزَّيَادَةِ وَلَا تُغَيَّرُ إِلَّا إِلَى الْإِرْتِفَاعِ، وَجُلِّيَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُ النِّعَاءِ وَاصْحَافَةُ اللَّثَامِ
وَاضِعَةُ الْقَفَاحِ، وَنَيْطَتْ مِنْهُ وَصَايَا الْحَزْمِ بِحَافِظِ لَهَا وَاعٍ، وَتَوَفَّرَتْ عَلَيْهِ بِوَاعِثِ
الصَّنَائِعِ وَدَعَتْ إِلَيْهِ دَوَاعٍ - مَنْ تَرَفَّعَ بِالْإِسْتِحْقَاقِ لِلرُّتَبِ السَّنِيَّةِ وَتَأَهَّلَ، وَسَبَقَ
الْمَجَارِينَ فِي حَبْلَةِ الْإِمْلَاحِ عَلَى أَنْهَمَ جَهَدُوا وَتَهَمَّلَ، وَاسْتَوْجِبَ أَمْتِطَاءَ كَاهِلِ
الرِّيَاسَةِ بِالْفَتَكِ الَّذِي شَبَّ وَالرَّأْيِ الَّذِي تَكْهَلُ، وَثَبَّتَ جَاشُهُ فِي الْمَقَامَاتِ الَّتِي يُرَاعُ
لَهَا كُلُّ رُوعٍ وَيَذْهَلُ، وَمَنْعَتْ مَهَابَتُهُ الْعَدُوَّ أَنْ يَجْهَلَ عَلَيْهِ وَأَبَتْ لَهُ حَصَافَتُهُ أَنْ
يَجْهَلَ، وَغَرِيَتْ هِمَّتُهُ بِالْمَطْلَبِ الْأَصْعَبِ مِنَ الْعَلَاءِ وَأَنْفَتَ مِنَ الْمَطْلَبِ الْأَسْهَلِ،
وَوَلَّى الْوِلَايَاتِ الْجَلِيلَةَ فَظَلَّتِ الرِّعَايَا تَعْمَلُ مِنْ مَوَارِدِ عَدْلِهِ وَتَنْهَلُ، وَنَشَأَتْ لَهُمْ
مُحِبُّ الرُّكَّابِ الَّتِي يَرْفُهَا يَنْهَلُ وَطَارُضُهَا يَنْهَلُ .

وَلَمَّا كُنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ النَّاهِضَ بِحَقُوقِ هَذِهِ السَّمَاةِ، الْبَعِيدَةِ الْقَدَرِ مِنَ الْمَسَاوَةِ
وَالْمُسَامَاتِ، الْمُتَنَقِّلَ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمَةِ وَالْكَرَامَاتِ، الْمُنْفَرِجَةَ عَنْ أَنْوَارِ فَتَكَاتِهِ
ظُلُمَاتِ الْمَقَامَاتِ، الْمُعَدَّةَ النَّجْمَةِ لِمَوَاقِفِ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالرَّادِّ عَلَىٰ أَحْقَاقِهَا الْأَبْطَالَ
الْمُعَمَّلَةَ بِالْفَتَكَاتِ الْمُتَعَلِّمَاتِ، الدَّائِمَةَ الْغَرَامِ بِمَقَامَاتِ الرِّيَاسَةِ وَإِنْ كَانَتْ عَظِيمَةً الْمُؤْنِ
جِسْمَةً الْغَرَامَاتِ، الْقَائِمَةَ بِمَا تُوجِبُهُ عَلَيْهِ صَنَائِعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَقُوقِ الْمُدَافَعَةِ
عَنِ الْحَوَظَةِ وَقُرُوضِ الرَّمَاةِ، الْمُنْتَظَاهِرَةَ فِيهِ شَوَاهِدُ الْفَضَائِلِ بِأَصْدَقِ الْأَعْدَادِ

وأوضح العلامات؛ المشهور المقامات، إذا جرت من ثون الصفاح جداول وأهتت
من غصون الرماح قامت؛ الأخذ بالأرصاء على العدا بسيف رقب الرقاب وتهم
في الهامات؛ الكافي الذي تنقل في الخدم فكان من الشكر مئري الأثر، وأنتدب
في المهيات فكان مثاب التواء مسفر السفر؛ المعروف في تصرفاته باتهاز النصح
وقصر البجح، والمعول على أن تصفه أفعاله بشرح لصدر الاختيار به شرح، المعود
يوم الزوع من كفاة الخطب وحماء الشرح، الماضي الحد إذا كان السيف لعدم
الضارب مشبه الحد بالصفح، وقدم فعل الاستقلال، وأثر سؤال الاستقلال،
وأسكنه من الخالصة إلى دار بلوغ الآمال غلال، وأرتفعت كاهل المجد بسنى
مخطورها به أسجل، وسهلت إلى الطاعة كل مقتاص من الطالب، وغدا
الاستحقاق بمرادك نعم الكفيل وبأملك نعم الطالب، وأشتهرت بخلال أقتضت
الرغبة فيما أقتضته إليك من الرغائب، وعظم النفع بك حتى لا تنفع مع غيبتك بحضور
ولا ضرر مع حضورك بغائب، ومثل بحضرة أمير المؤمنين قتاه ووليه وأمينه السيد
الأجل، الذي سارت أوصافه مسير الشمس وأنارت إمارتها، وسقت مكارمه سقى
الغيوث وأمارت إمارتها، وسرت خيوله مسرى طيف الخيال وإن كره الأعداء
زيارتها، وقامت مهابتها مقامها في البلاد وأغارت على القلوب إغارتها، ونازع الأقمار
بعلو القدر دارها وما حبسوا الدست له دارتها، وأشارت له السعادة العلوية
وأرضى التلطف إشارتها وأحسن به شاريتها، وطالع بما أنت عليه من طاعة تبدل
فيها الطاقة، وكفاية إذا تعاطاها الوصف المتسع ضيق عنها التعلق نطاقه، وعدلك
في سرعان الأولياء إذا رتب سواك في الساقه، وأحسب بمالك من حسنات نظمها
نظم السياقه. وبما قوره لك من الخدمة إلى ولاية كذا نرج أمر أمير المؤمنين بأن
يوعز إلى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل لك بالخدمة المذكورة، سكونا إلى

مُصَاحِبِكَ الَّتِي سَكَنْتَ خَيْرَكَ، وَرُكُونًا إِلَى مَوَالِيكَ الَّتِي حَقَّقْتَ أَمْلَكَ وَتَهْدِيرَكَ،
وَإِيرَادًا لَكَ إِلَى الْمَوَارِدِ الَّتِي تُوجِبُ تَهْدِيمَكَ وَتَهْدِيرَكَ .

فَقُلِّدْ مَا قُلِّدْتَهُ مِنْهَا بِإِدْنٍ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي إِنْ جَعَلَهَا جُتَّتَكَ كَانَتْ جَنَّتَكَ ، وَإِنْ
أَسْتَشَعَرْتَهَا تَحْمَدُكَ أَنْجَزَتْ فِي الدَّارَيْنِ مِنَ السَّعَادَتَيْنِ عِدَّتَكَ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
الْمُكْنُونُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَيُحِبُّ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَالِ خَيْرِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ فِي سُوءٍ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . وَأَبْدَأْ فِي هَذَا
التَّغْرِ الْجَلِيلِ قَدْرُهُ ، الْمَصَاقِبِ لِمَا بِهِ عَمَلُ السَّعْدِ وَمَقَرُّهُ ، الْمَيْسَرِ بِهِ لِكُلِّ حَامِلٍ
ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ ، الْمُحْضُوضِ عَلَى رِبَاطِهِ لِمَنْ تَوَقَّرَ حَظَّهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْآخِرَةِ فَأَحْسَنَ
ذُرْمَهُ بَعْدَ الْقَضَايَا ، وَصَوْنِ الرَّيَايَا ؛ وَبَثِّ السَّرَايَا ، وَتَرْوِجِ الْعُدُونِ مِنْ جَمِيعِ الْمَطَالِعِ
وَالثَّنَايَا ، وَإِهْدَاءِ الْمَنَايَا إِلَيْهِ فِي الْغُلُوتَاتِ وَالْعَشَايَا ، وَالتَّطَلُّعِ عَلَى مَا يُجِئُهُ مِنَ الْمَكَائِدِ
وَالْخَلَفَايَا ، وَكَفَايَةِ أَوْسَاطِ الصَّفَاحِ مَصَاحِفَةَ أَطْرَافِ الرِّيحِ تَحَايَا ، وَلَا تَخْلِهِ أَنْ يُجْهَزَ
فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهِ رَايَةٌ أَوْ تُتَفَذَّ فِيهِ رَايَا ، وَأَنْ تَسْتَرْزِقَ اللَّهُ أَمْوَالَهُ مَفَاتِيحَ وَحَرِيمَهُ
سَبَايَا ، وَتُطْلِعَ عَلَيْهِمْ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ طَوَالِحَ الْمَنَايَا وَقَوَارِعَ الرِّزَايَا ؛ حَتَّى لَا تَلُوحَ
فُرْجَةٌ إِلَّا أَقْنَعَتْهَا ، وَلَا تَعَنَّ فُرْصَةٌ إِلَّا أَغْنَمَتْهَا ؛ وَأَمْدُدْ عَلَى مَنْ يَهْدِيكَ التَّغْرِ جَنَاحَ
الرَّيَاةِ وَالذَّبِّ ، وَمَهَّدْ لَهُمْ جَانِبَ الْعُدْلِ لِيَتَبَوَّعُوا فِيهِ آمِنِي السَّرَّ وَالسَّرْبَ ؛ وَصُنِّهِمْ
صَيَانَةً تَرْفَعُ عَنْهُمْ عَوَادِي الْمَضَارِّ ، وَتُوَطِّدْ لَهُمْ أَكْتَافَ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ ؛
وَأَعِزِّمْهُمْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَطْلُقُ فِيكَ أَلْسِنَةُ الْمَادِحِينَ ،
وَيَنْظُمُكَ فِي سِيْلِكَ مِنْ تَحَايَا اللَّهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وأقيم الحدُّ على مَنْ وجب عليه إقامةٌ لاتعدى فيها الواجب، ولا تُفارقُ بها مَنهج الحقِّ اللَّاحِبِ ؛ وتوخَّ متولَّى الحكم بإعزاز ينقذُ حُكْمَهُ ، وإكرام يَسُدُّ في الحقِّ عَزمَهُ ، ويردُّعُ الظالم ويمتنعُ ظُلمَهُ ؛ وكذلك المستخِدمُ في الدعوة الهاديَّة عاملُهُ بما يَسُدُّ أزرَهُ ، ويشرحُ في دعاء المستجيبين صدرَهُ ؛ وبالغِ في عَضُدِ المستخِدمين مبالغةً تُدبِّرُها الأموال ، وتُوجدُ بها السبيلَ إلى توفيرِ عَطِيَّاتِ الرجال ، وتُوسِّعُ عليهم فيها الحِجَالُ ؛ وأمنعُ من يتعرَّضُ لكسبِ الضرائب ، والإخلالِ بالزامِ الواجب ؛ وشروءُ الانقلاب ، وقصدُ مبرجِ المالِ بالثَّبابِ ؛ وأقيمُ للسُّورِ شرطاً من أهتمامك تَعْمُرُ أرباحَهُ وأبدانَهُ ، وتستخدِمُ حُرَّاسَهُ وأعوانَهُ ؛ وترتَّبِ عليه الوقُودُ في الليالي المظلمة ، وتُعجِزُ [عن] مثاله المطامِعُ الميسورة والأيدى المتسنِّمة ؛ وواصلِ من عمائرهِ ما يتلافى الخللُ قبلَ أنْ يفرَّجَهُ ، ويُعيدَ مبدأَ الفارة على أدراجِهِ ؛ فالقليلُ بالغفلةِ يستدعي كثرةَ الإهتمام ، وربما لم تُصَبِّ فيه المرمى ولم ينجحِ المرامُ .

ومراكِبُ الأسطولِ المنصورة فوئماً مَنْ ترتضى نُهوَصَهُ ، ومن يقومُ بشرائطِ الجهادِ المفروضه ؛ وإذا آتتْ فرصة لم يعترضها التفويتُ ، وإذا نزلَ به القِرْنُ ناداه بعزمِ المستميتِ ، وإذا عرَا المجتمعَ عرضُ جمعه للتشتيتِ ؛ وأحطَ على حواصلِ هذه المراكِبِ فيها قوَّةُ الإسلامِ على علُوِّهِ ، ومددُ استظهارِهِ وعلُوُّهِ ؛ وأقيمُ من الرؤساء من له حيلةٌ في الأسفار ، وخبرةٌ بمكايدِ الغاراتِ والحِصَارِ ، ومُشَاوَرَةٌ يقتدرُ بها على فتحِ أبوابِ المنافعِ وسدِّ أبوابِ المَصَافِ ؛ ولكَ من البصيرةِ الجامعةِ والألمعيةِ اللامعةِ ، ما أنتَ به جديرٌ أن تكونَ لك الذِّكْرُ نافيةً ؛ فاعلمْ هذا وأعملْ به ؛ إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما كان يكتب في الدولة الفاطمية بالديار المصرية

ما كان يكتب عن الوزير)

وقد علمت في الكلام على "المسالك والممالك" أن الوزير إذ ذاك كان في منزلة السلطان الآن، وكان الشأن فيما يكتب فيه أن يفتح بما يفتح به المذهب الثالث (١) مما كان يكتب عن الخليفة . وهو أن يفتح ما يكتب بلفظ : « إن أولي » أو « إن أحق » أو « إن أجدر » أو « إن أقن » أو « من حسنت طريقته » أو « من كان متصفا بكذا كان خليفاً بكذا » و « بلأ كان فلان » أو « لمأ كنت » على نحو ما تقدم .

ثم ما يكتب عن الوزير : تارة يكتب بأمر الخليفة ، وتارة يصدر عن الوزير استيفالا ، فيبينه الكاتب في كتابته . وهي : إما لصاحب سيف ، أو قلم .

فمن المكتتب عن الوزير في الدولة الفاطمية لأصحاب السيوف نسخة يسجل بولاية الاسكندرية من إنشاء القاضي الفاضل رحمه الله ، وهي :

من عُد من الأولياء الأماثل ، ووُجد عند الانتقاد قليل المماثل ، وتوسّل بالحسنات التي يُقبل عنده منها تشجيع الوسائل ، وتُقبل السفارة له الشاملة الاستحقاق الذي يُغني عن المسائل ؛ ولطف فكره لاقتناء الشيم الموجبة لارتقاء الدرجات الجلائل ، وألقت الرتب قناعها له عند الكُفء الذي يُقدّم لها أفضل مهود الجلائل ، وأسفرت مواقف الفناء منه عن الهزبر الشهم واللودعيّ الجلائل ، وأفرج له الكفاة

(١) لعل الصواب « المذهب الرابع » .

عن صدور المنازل الرفيعة فلم يكن بينه وبينها حائل ، وأستقلّ عظيم ما يؤوض
إليه فلم يحمل الأقوام ما هو حامل ، وأكسع مجال كفايته في كل أمر يضيق بالمباشر
ضيق كفة الحابل ، وتلج آثار الخلل بعزماته تتبع الغيث آثار الديار المواصل -
كانت الولايات الجليلات له من المعد المنخر ، وقربت عليه منازل الآثار التي
يحمل بها ويقتخر .

ولما كان الأمير جامعاً لما أفيض فيه من هذه الصفه ، وموصوفاً بها من كل
لسان صادق ونية منصفه ، جارية على غيره مجرى النكرة ومستندة إليه استناد
المعرفة ، مشتغلاً على خلال كغرائب المكارم مستوفية مثاقفه ، كلغاً بالشيم الحميدة
إذا اقتضت بها الشيم المتكفله ، قنّا أن يوفى فيقرض سعيه إذا اقتضت المساعي
المستلقة ، نهاضاً بالمصاعب عند ما تخلف في إعطائها العزائم المتخلفة ، أويماً من رجاخته
إلى المعقل الحرير والحضن الحصين ، حاوياً لفضائل حسنة منها الفتك الحرير
والرأى الرصين ، مقدماً على الأهوال إذا تفلقت وجوهاً غيرها ، مضرراً على الخطرات
حتى يظنه الغمر عمراً ، مصالفاً للرماح ، إذا بدت أنامل الأسنة ، مبشراً للصفاح ، إذا
دعرت لها النفس المطمئنة ، جديراً أن يرد الخيل المغيرة تدعى بحورها ، وممدحك
وتذمها الجراح التي أشتملت عليها ظهورها ، وسمياً للأعداء سيوفك فعندك عمودها
وفيهم صدورهم ، رأينا بما آتاه الله من رأى لا يستأجر أن يستخير ، ونظير يستمر أن
يتشح من موارد الرشاد ويستشير ، ما خرج به أمرنا من ولايتك لتغر الإسكندرية
بعد أن طالعنا مولانا صلوات الله عليه بما رأينا ، وأسترشدنا بيمان إمامنا
مالمضينا ، وفأوضناه فيما فوضناه إليك وأفضينا ، وقضينا حق الحلسة فيما استعظرونا
من صوب وأفضينا ، إذ كان الله قد خصّ خلّاله بمواتة الأقدار ، ووقف
الميامن على ما يُمضيه ويوقفه من أعنة الإبراد والإصدار ، وجعل الخيرة فيما

يختار، والحق دائرة حيث دار، وأخلص للأولياء المستشعرين بولائه بخالصية ذكرى الدار، وجعل رأيه قطبا في سماء الخلافة عليه في مصالح خلق الله المدار، فصَحَّح ماعرضناه على مقام خلافته وصوبه، وناجته بلبية الإلهام بما أغتته عما صعد فيه المستشير وصوبه، ونرج البنا بأن يمضى لك هذا الأمر، ويُفَوِّض إليك هذا الثغر.

فنتقيل هذه النعمة بشكر يوجب استيفاء باقيها، وأعيداد يهده درجات مراقبها، منتجزا وعد الله لمستوفيه بإيلاء المزيد، الحدير باحاثته من حالة التقليد إلى حالة التخليد، جاعلا تقوى الله حجتة فيما يقطعهُ ويصله، وعمدته فيما يمنعه ويبدله. قال الله سبحانه في كتابه الذى فضله على كل كتاب: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ وأتقون يا أولي الألباب. ولا تجعل في حكمك بين الخصماء فرقا وإن عدل أحدهما، وليكن على الحق الذى لا مفاضلة فيه مقعدهما عندك وموردُهما، وأتصف للظلم من الظالم، وأعمل في ذلك عمل من لا تأخذه في الله لومة لائم، وأقم الخلود متحررا، وأمضها إمضاء من لا يزال بعين طاعة الله متحليا، ونفثها غير مكث ولا مقل، فإن المكثر متعد والمقل محل.

وقد علمت للقاضي ابن التقدمة الشهير، والرتبة الأثير، والمساعي التي هي بالسنة الحمد ماثوره، والأحوال التي هي في صحائف حسن الذكر مسطوره، والحرمان التي شهدت بها الأيام والليالي، والمواكث التي انتظمت في سلوك التصرفات انتظام الآلاتي، والصفات التي زهت بها أجياد المحامد الحوال، وله الخبرة بقوانين هذا الثغر وأحكامه، والعادة التي لا خلاف أنها لمصالح ما يباشره وإحكامها، وأنت مقدم أرباب السيوف في الثغر وهو مقدم أرباب أقلامه، فأعترف له منزلة

فِي الْحَدَمِ الْمُنَوَّلَةِ بِكَفَالَتِهِ ، وَالْأُمُورِ الْمَحْوُطَةِ بِإِيَّائِهِ ؛ وَوَقَّهَ مِنْ أَثَرِ الْإِبْكَارِ حَقَّهَ ،
وَيَسِّرَ فِيمَا أَشْتَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مَعُونَتِكَ طُرُقَهُ ؛ وَأَعِنِ الدَّاعِيَ عَلَى مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْإِرْشَادِ ،
وَقُمْ فِي إِعْلَالِ مَنَازِلِهِ قِيَامَ الْمُفْرَمِ الشَّادِ .

وَالْأُمُورُ أَوَّلَى مَا صَرَفْتَ إِلَيْهَا هَمَّكَ ، وَوَقَّفْتَ عَلَيْهَا عَزَمَكَ ؛ فَاسْتَنْبِضِ
الْمُسْتَخْدِمِينَ فِيمَا يُسْتَادَى ، وَلَا تَمَكِّنْهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا رُشْمًا وَلَا يُسْقِطُوا مُعْتَادًا ؛ وَلَا بَدَأَ
مِنْ الْمَقَامِ بظَاهِرِ الْبَحْرِ مَتَى أَنْفَتَاحَهُ ، وَتَفَقَّدَ الْأَسْطُولَ الْمَقِيمَ بِالْمِينَاءِ تَفَقُّدًا يَحْتَوِجُ
أَسْبَابَ إِصْلَاحِهِ ؛ وَأَذْكَ الْعُيُونِ عَلَى سَوَاحِلِهِ فَلَمْ يَحُلْ أَمْرُ الْعَدُوِّ مِنْ طَارِقِ لَيْلٍ
وَحَاطَفِ نَهَارٍ ، وَتَدَّهَمَ عَنْ بَقَاتِ هُجُوبِهِمْ بِمَا يُلْفُفُهُمْ عَنْكَ مِنْ دَوَامِ التَّنِيقِظِ
وَالِاسْتِظْهَارِ ؛ وَاسْتَنْبِضِ الرِّجَالَ فِي نَوَائِبِ الْحَدَمِ وَحَوَادِثِهَا ، وَصَرِّفْهُمْ عَلَى مَوَاجِبِ
الْمُتَجَبِّدَاتِ وَبِوَاعِثِهَا .

وَهَذَا التَّغْرِفُ فِيهِ مِنْ أَرْبَابِ الزُّوَايَا الْعَاكِفِينَ عَلَى الْعِبَادَاتِ ، وَالْعَالَمِيَّ الدَّاعِينَ
النَّاسَ إِلَى الْإِفَادَاتِ ، مَنْ لَا يُدْنِرُ الْإِكْرَامَ إِلَّا لِأَنْ يُؤَدَّى إِلَى اسْتِحْقَاقِهِمْ ، وَلَا يُصَانُ
الْمَالُ إِلَّا لِأَنْ يُبَدَلَ لِاسْتِحْقَاقِهِمْ^(١) ؛ فَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ مَا هُوَ مَقَرَّرٌ لَهُمْ لِإِصْلَاحِ هَيْئَتِهِمْ ،
وَأَعْفِهِمْ مِنْ مَثُونَةِ الْهَزِّ وَمَاقِطِ عَلَيْهِمْ رُطْبًا جَنِيًّا ؛ وَاسْتَنْبِضْ لَنَا دَعَوَاتِهِمْ فَإِنَّهَا أَسْنَمُ
الْأَصْحَارِ ، وَاسْتَخْلَصْ لَنَا نِيَّاتِهِمْ فَهُمْ لَنَا جُنْدُ اللَّيْلِ وَضَرِيحُ لَنَا جُنْدُ النَّهَارِ ؛ وَالسَّلَامُ .



وَمِنْ ذَلِكَ نَسْخَةُ سَجِيلٍ بِحِمَايَةِ الرَّيَاحِ ، وَهِيَ :

مَنْ كَانَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مَشْكُورَ السَّعْيِ مَحْمُودَ الْآخَرِ ؛ مُسْتَعْمِلًا مِنَ النَّصِيحِ وَبَذْلَ الْجُودِ
مَا يَزِيدُ الْخُبْرَ فِيهِ عَلَى طَيْبِ الْخُبَرِ ؛ مُعْتَمِدًا مَا يَبْدُلُ عَلَى دِرَايَةِ وَخْبَرَةٍ وَدُرْبَةٍ ، مُتَوَحِّيًا

(١) لعله لاستيحايم .

ما يحصل الخدم إذا ما رُكبت إليه لم تحل في دار غربه - استحق أن يورى زنده، ويرهف حله، وتقوى منته، وتُسعد قريحته .

ولما كنت أيها الأمير من عريف نفاذه وأُحملت خلاله ، وشكرت طرائقه وأرتضيت أفعاله ؛ وظهر فيها بياضه غناؤه وأستقلاله ؛ وجمع إلى الكفاية نزاهه ، وإلى الأمانة بآهه ؛ وإلى اليقظة عفاً وسدداً ، وإلى النهضة حرامة لا يبدد الطالب عليها مستزاداً - تقدمتني مولانا وسيدنا باستخدامك في حماية الرباع السلطانية بالمعزية القاهرة المحروسة : سكونا إلى جيتك وتشميرك ، وتعوياً إلى تأتيك وتذيرك ، فاستخبر الله وياشر ما رُد إليك من هذه الحماية بعزم لا يمازجه قُور ، وحزم لا يصاحبه قُصور ؛ واكتشف أحوال هذه الرباع كشفاً يُعرف به حالها ، ويعلم منه استقامتها واختلاطها ؛ وانتصب لاستخراج ما لها من السُكَّان ، واستعمل في استيادته غاية الاستطاعة والإمكان .

وملاك الأمر فيها أن تتمهلها بالطواف فيها ، وأن تحافظ على حراسة غيرها ، وتناول أجرتها ؛ ورم مالعه يستريم منها ويتشمت ، والعكوف على ذلك بحيث لا يتوقف فيه أمر ولا يترقب ؛ وحمل مال ارتفاعها إلى بيت المال المعمور بعد ما يُعرف في مصالحها ، ويطلق فيها يثبت به عليها ؛ ولك من الأمير من يُعينك ويُجيدك ، ويلبي دعوتك ويعضدك ؛ ويظا فوك على انتظام شئونك ومقصدك : من الاشتغال بما يزيد على تأمليك ؛ فأجعل عليه اعتمادك ، وبه في الحل والعقد استرشادك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن الوظائف المكتتة عن الوزير لأرباب الوظائف الدينية نسخة يحيل بالحكم بقوص ومشاركة أعمال الصعيد، وهى :

من تقدمت لأسلافه خدَم ومناصبات، وكانوا مشهورين بأن طرائقهم فى السداد مستقيمت وأصحت، وعُرف جميعهم بالصيانة والدِّانة، والثقة والأمانة، والمحافظة على ما يُحفظهم عند ولّى نعمتهم، والعمل بما يقضى بطيب ذكهم وحسن سمعتهم، كان ذلك ذريعة له ووسيلة، ومائة ينال بها المواهب الجزيلة .

ولما كنت أياها القاضى على القضية المرضية من ولاء الدولة وطاعتها، والحرص على الإخلاص لها ومشايعتها، والتحلّ بالعلم والتميز فى أربابه، والتعلق بفعل الخير والتسك بأسبابه، والعمل بما ينفعك فى عاجلتك وأجلتك، والاجتهاد فيما يبعث على وفور حظك من الإنعام وزياتك، وكانت لك ذربة فى ثمانيه ودرابه، وصولة فى حسن التأتى إلى أمد بعيد وغايه، وقد تقدمت لأخيك القاضى الرشيد - رحمه الله - خدمة أبانت عن حرصه ومناصبته، وأعربت عن وفور نصيبه من النهى ورجاحته، فأدى ذلك إلى بلوغه من رتب أمثاله أقصاها، وإلى أن استقرت خدمه عليه وألقت عنده عصاها، وهذه نصيبك إذا أقتفتها فقد عرفت مفضاها، وإذا عكفت عليها فالك من الإحسان على حبسها ومقتضاها. تقدمت قى مولانا وسيدنا باستخدامك فى النيابة فى الحكم بمدينة قوص والمشاركة بأعمال الصعيد الأعلى : تسوية بك وتكرما لك، وتمهيدا لمكان الإصطناع الذى رتبك فيه وأهلك، فأعترف قدر هذه النعمة، وقابلها ببذل الطاقة فى النصيح فى الخدمه، وبالغ فى الشكر الذى يُثبتها عندك ويُدبرها لك، وأحرص على القيام بحقها حرصا تبتد به

نظراكم وأمثالك ؛ وأعمل في ذلك بما تضمنته التقليد المكتتب لك من مجلس القاضي الأعز الماجد أدام الله تمكينه ، وما أودعه من وصايا مُرشده ، وهدايات إلى الصواب مُقرِّبه وعن الخطأ مُبَعِّده ؛ وأفعل في أمر المشاورة ما أشتملت عليه التذكرة المعمولة من الديوان فإنه يُوضِّح لك مَنهج الصَّلاح ، ويأتيك منه بما يَزيد على البغية والاقتراح ؛ وأنتصب للعبارة والاستكثار من الزراعة بالمعدلة على المُعاملين ، والاستخراج لحقوق بيت المال على أحسن القوانين ؛ وواصل من الحول ، ما يكون مُحققا لظنون فيك والمأمول ؛ فأعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالنيابة في الحكم والأجاس والجوالى بتغرديمياط ، وهى :
 أحق من كانت المواهب عنده مُحَلَّده ، والمناسخ إليه متواصلة متجدِّده ؛
 والعوارف تفد عليه فَخِيمٌ فى مَغْناء وَهِيَم ، والفواضل تأتي نحوه فتستقر فى مثواه
 ولا تريم ؛ والنعم الشئ لا تشكو فى مواطنه أستيعاشا ولا اعتراجا ، والمِنَّن إذا حُبى
 بها كان نيلُه لها استحقاقا منه لها وأستيعابا - من كُرمت أعرافه ومحاته ، وشهرت
 أوصافه وعمايده ؛ وصفت فى الخالصة مصادره وموارده ، وكثرت فى تفریطه
 غرائب الثناء وشوارده ؛ وشيد منار أسلافه بالتخلق بخلاتهم ، وأبقى الحديث عنهم
 باتباع سبلهم وطرائقهم ؛ وأحسن برهم ، فى الاقتفاء لأثرهم والاقتداء بهتهم ،
 وإحياء ذكرهم ، بالعمل بما كانوا عليه فى عودهم وبثبتهم .

ولما كنت أيتها القاضي لهذه التخلل جامعا ، وإلى المرآشد مُضغيا سامعا ،
 ولُبَّوْغ ما ناله أسلافك بالناصحات راجيا طامعا ؛ ولك فيما يُستند إليك نظر يُدِلُّ

على صواب آرائك ؛ وفيما يُردُّ إلى توليك كفاية تميزك على نظرائك ؛ ولما نُذيت
للأحكام الشرعية ، أُنبت عن الديانة والألمعية ؛ وحين باشرت الأعمال الدنيوية ،
نصحت وأجهدت وأخلصت إليه ؛ والذي بيدك يتمسك بك ، ويتعلق بسبك ؛
لأنك لما استكفيت نهضت وأحسفت ، فلذلك يأتي أن يكلفه غيرك وأن
لا يتكلفه إلا أنت - تقدم قتي مولانا وسيدنا بكتب هذا المنشور بتجديد نظرك فيما
هو بيدك من النيابة في الحكم العزيز شريفاط - حماه الله تعالى - والمشاركة على
الإحسان به ، وعلى مستخرج الحوائى فيه ، تقوية لعزمك ، وإمضاء لحكمك ،
وشدًا لأزرك ، وتأكيذا لأمرك ، وإنفاذا لقولك ، وبسطا ليدك ، وإيضاحا
ليزتك ، وإظهارا لتكريمك ، وإبانه عن حسن النية وإعترافا عن جميل الرأي فيك ؛
فاجر على رשמك وعادتك ، وأستغني بما أودعته تقاليدك من الوصايا ، وأستمر على
نهجك الذي أفضى بك إلى أحمد الأعمال وأجل القضايا ؛ وأرطب النعمة عندك
بتأديك على عادتك ، وتوسل بمشكور السعي إلى نمو حفظك ووفور زيادتك ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم بالأعمال الغريبة ، وهي :

من كان بالعلوم الدينية قنوما ، وفي الأمور الشرعية ممن يشار إليه ويؤمى ، وظل
من يحاربه من طبقته قليلا إذا لم يكن معلوما ؛ وعلم فزاده الذي سلم من المناقضة
فيه والاختلاف ؛ وعرف أعباده الواجب من غير ميل عنه ولا انحراف ؛ وكان
لشمل الديانة والأمانة مؤلفا جامعا ، وهذا الوصف يجمل الحلال وحميد الأفعال
عنه مسموعا دائما ؛ وآثاره في كل ما يتولاه مُنذاه وخُطباه ، وسفراؤه في الرتب

الجليلة نزاهته وظلّف نفسه وإياؤه - صارت الأحكام بنظره مرّهؤه، وأصحت
الحلّم الخطيرة تتوّع بإسنادها إليه استظهاراً وقوّه ؛ فهي تتشوّف إلى أن يؤلّياها
حظاً من محاسنه يَكْسبها نَصرة وبهاء ، وتتصدى من نظره فيها لما يضمن لها
إدراكاً للإرادة وبلوغاً إليها وأتّيهاء .

ولما كنت أيّها القاضى حائزاً لهذه الصفات ، محيطاً بما أشتملت عليه
من الأدوات ؛ سالكاً أعدل طريق في الأمور إذا أشكلت ، حاملاً بقضايا الواجب
إذا أتعنت الإقبال عليك وأتكلت ؛ ولك الخدمة السليمة ، التي لا تطمح إليها كل
أمنية ، والرّتب الرفيعة التي لا يناهها إلا من كان عمله موافقاً لصداق النبّه ؛
وكلّ ما تباشره يفتّط بك ويأتمى على فراقك ، وكلّ ما حُظر على غيرك مباح لك
لا سبيجاً لك له وأستحقاقك ؛ فمن العدل أن تكون كفايتك على الأعمال مقسمة ،
وأن تكون آثارك في كل ما تعانيه من أمور المملكة علامة لك عليها وسمّه ؛ وكانت
الخدمة في الحكم الغريبة من التصرفات الواقية المقدار ، السامية الأخطار ؛ التي
لا يسمو كلّ أمل إليها ، ولا يحدّث كلّ أحد نفسه بتوليّها ؛ وقد أشتهرت خبرتك
بالأحكام ، وحفظك فيها للنظام ؛ وبتك القصص المشكّلة ، ورفقك للنوب المعضلة .
فرأينا استخدامك نائباً عن القاضى الأعزّ الماجد في الصلّة والخطابة والقضاء
بالأعمال الغريبة الملقّمة ذكرها : إذ كنت تعدل في أحكامك ، ولا تخرج عن قضايا
الصواب في قضيتك وإبرامك ؛ ولا تمحى في الحقّ ذا منزله ، ولا تنفك معتمداً
ما يقضى لك بالميزّة المتأكّدة والرتبة المتأثّلة ؛ وأمرنا بكتب هذا المسطور شداً
لأزرك ، وتشييداً لأمرك ؛ وإبراءً لزيدك وتقويةً لزمرك ؛ وضمنناه ما تقدم ذكره
من وصفك وشكرك ، وتقديرك وإجمال ذكرك ؛ والثناء على علمك ، والإبانة عن
قضيتك في قضاياك وحكّيك .

فاعمل بما اشتمل عليه التقليد المكتتب لك من مجلس الحكم العزيز وأتبه إلى ما أودع من فصوله ، وكنّ حاملاً بضمونه متبهاً لدليله ؛ والله يوفقك ويرشدك ، ويعينك ويسدّدك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك نسخة سجل بالحكم والمشارفة بغير عسقلان من سواحل الشام ، وهى :

الذى منحنا الله من المفائر الدالة على عملنا عنده ، والمآثر التى أوصلنا بها من الشرف إلى أمدٍ لا غاية بسده ؛ والقضايا العادلة التى أبانت عم أجراه الله لنا من اللطائف ، والسياسة الفاضلة التى تشهد لنا بياض الصعائف ، قد ضاعف حفظنا من التأيد فيما نراه ونُحْضيه ، وضمن لنا الهداية فى حق الله تعالى إلى ما يُرضيه ؛ وأجزل قسطنا من التوفيق فى اجتناء من نجتبه ، وجبب لنا إسناء المواهب لمن كان قليل الظير والشبه ؛ ووقف أهتمامنا على التنبيه (؟) على كل مشكور المساعى ، وصرف أصرامنا إلى التفقد للقاصد التى هى على الإصطفاء من أقوى الدواعى ؛ ووفر أنفاسنا إلى تأمل الإخلاص الذى صفت موارده ، وحمّت مرائره ، وأحكمت معاقده ، وأحصنت مرائره ؛ وتوكل لصاحبه فى بلوغ المطالب البعيدة المطارج ، وتبذل لمن وفق له فى سُبُوح العوارف الخُصْصية المسارج ؛ وجعلنا لا ننفل عن بذل فى الطاعة مُهْجته ، وأظهر بدعوبه وانتصابه دليله على الولاء الخُصْص ومُجته ؛ وأبان عن تقواه وحسن إيمانه ، وتقرب باستفراغ وسعه إلى الله تعالى وإلى سلطانه ؛ وعمل فيما أوثمن عليه ما استوجب به جزيل الأجر ، وكان له من رأيه فى أعداء السِّلَّة ما يقوم مقام العسكر الجُرّ ؛ وعلم أنّ تجارتَه فى المخالصة نافعة مُرْجيه ، وأن مراميه فى المناصحة صائبة مُجْجِه ؛ وتيقن أنابحد الله لا يُحْجِب أملا ، ولا تُضِيع أجر من أحسن عملا .

ولما كنت أيها القاضي المكيين المرتضى ثقة الإمام جلال الملك وعماده
 ذو المعالي صفى أمير المؤمنين، مستولياً على هذه الخلال، التي تكفلت لك بإعلاء
 القدر، ومحتوياً على هذه الخصال، التي رتبك على نظرائك في الصدر؛ ولك من
 الحرمات سواي لا يطمع فيها بلحاظك، ومن الموات شوائع تجعل جسام النعم وقفا
 لاستحقاقك؛ وقد عرفت بالحد والتشهير، واشتهرت بصادق العزم وصائب
 التدبير؛ وجعلت مؤهلاً لكل أمر خطير ومهم كبير، واستقر أنك إذا استكفيت
 جسيماً فقد وكلت منك إلى الأمين الخبير: لأن لك الرياسة التي لا تُجارى فيها
 ولا تُبارى، والكفاية التي لا يُختلف فيها ولا يُتجارى، والفضائل التي تشهد بها
 أعدائك وحسادك اضطراباً، وما زالت أفعالك في كل مانتولاه من الخدم الجليلة
 دالة على كرم طبائعك، وآثارك معربة عن سعة ذرعتك في الخير وأمتداد باطك،
 وأخبارك ناطقة بإيمانك عن الباطل وأفتقائك للحق وأتباعك؛ ولما نظرت في القضاء
 تهلك بنظرك وجه الشرع، وأبنت عن اضطلاك من علمه بالأصل والفرع؛
 وعدلت في أحكامك، ولم تعدل عن الواجب في قضيتك وإبرامك؛ وفعلت ما أقر
 حين الملة، وأربيت على من تقدمك من القضاة الحلة، وأعتمدت من الإنصاف
 ما برزت به القلة وأزحت به كل علة؛ ووفيت هذه الخدمة جميع شروطها،
 وفستخت في توليك أمانى المظلومين بعد ضيقها وقنوطها؛ وقت في ذلك المقام الذي
 يقضى بشبوت النعمة عندك وخلودها، وبالغت في أرتباطها بالشكر لعلك أن شرودها
 بكنودها فاما الإشراف فإنك أتيت فيه مادل على حسن المعرفة، واستقبلت
 في وجهه كل صفة؛ وأوضح أن كل من باره لم يبلغ مداك، ولا جرى مجراك؛
 ولا وصل إلى غايك، بل ما طمع بمداناتك ولا مقاربتك؛ وكل ما صدق بكفايتك فقد
 أتيت بحمد الله فيه على الأغراض، لأجرم أنه مستدع لزادتك ومطالب ومتقاض؛

لحينَ اجتمعت لك هذه الأسباب استوجبَت من انعامنا ما يتزده كرمنا عن توقيه،
ومن جزيل إحساننا ما يكون تعجيله حقاً من حقوقه؛ فشرَّفناك بتجديد ما هو بيدك
من الحكم العزیز والمشارفة بشعر عسقلان حماه الله تعالى، وجعلنا النيابة في الحكم عنا
تتويهاً بك ورقعاً لشانك، وتبييناً لموضعك عندنا ومكين مكانك .

فأعمل بتقوى الله التي أمر بها في كتابه الذي به يهتدى المؤمنون فقال عز من
قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وأجر على عادتك فيما حسن أترك، وأطاب خبرك؛ معتمدا
على ما تضمنته عهدك، واشتملت عليه نقاليلك : من المساواة بين القوى والضعيف
في الحق ، وإجراء الشريف والمشروف في المحاكمة مجرى واحدا من غير فرق ؛
والنظر فيمن قبلك من (الشهود) وحملهم على القانون المألوف المعهود : من إقرار
من ترتضيه ، والمطالبة بحال من تأباه لما توجب طريقتة وتقتضيه ؛ والمحافظة
على أن لا يتعلق بشيء من أمور الحكم إلا من أحمد فعله ، وحصل له من (التركية)
ما يزكى به مثله ؛ إلى غير ذلك مما أودع فيها ، وأحاطت بها الوصايا التي لم يزل
يستوعبها ويستوفيها .

وأستقيم على سبيلك في ضبط المال وحفظه وصونه ، وأستعين على بلوغ المراد
في ذلك بتأييد الله وتوقيه وعونه ؛ وتمسك على سنتك في النظر في أحوال الثغر
المحروس والإلتصاف لمصالحه ، والتوفر على منافعه ، والاجتهاد في الجهاد بأرائك ،
والاستمرار في ذلك على سيد أئمتناك ، والله ولي عوالتك وإرشادك ، والمأن بتبليغك
فيا أنت فيه أقصى مرادك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ؛ إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة سجل بتدريس ، وهي :

أمير المؤمنين لما متحه الله من الخصائص التي جعلته لدينه حافظا ، ولمصالح أمور المسلمين ملاحظا ؛ ولما عاد بشمول المنافع لهم مواثرا ، وبما أحاطهم عنده تبارك وتعالى ميعينا وعليه مثيرا ؛ لا يزال يؤليهم إحسانا وقضلا ومنا ، ويسخ عليهم إنعاما لم يزل قسم (؟) همهم إلى أن تمت ؛ وقد يسر الله تعالى لخلافته ودولته ، وهب لإمامته وملكيته ؛ من السيد الأجل الأفضل ، أكرم ولي ضاعف تقواه وإيمانه ، وأكل صفي وقف أهتمامه وأعتامه على ما يرضيه سبحانه ، وأعدل وزير لم يرض في تدبير الكافة بدون الرتبة العليا ، وأفضل ظهير آتبع في آتاه الله الدار الآخرة ولم ينس نصيبه من الدنيا ؛ فهو يظافر أمير المؤمنين على ما مع صلاحه عموم الهواء ، ويفاوض حضرته فيما يستخلص الضمائر بما يرفع فيه من صالح الدماء .

ولما انتهى إلى أمير المؤمنين مينة نهر الإسكندرية - حماه الله تعالى - على غيره من الثغور ، فإنه خلق بعناية تامة لاتزال تثجد عنده وتنفور ؛ لأنه من أوقى الحصون والمعاقل ، والجلست عن فضله وخطير محله لانهمة فيه الراوى والناقل ، وهو يشتمل على القراء والفقهاء ، والمرابطين والصلحاء ؛ وأن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه ، والطائرين عليه لم يمتشقو الشمل ، متفقوا بالجمع إلى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين متلذذين ، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبحيين متبذيين ، وخيرت أمره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس بشارع المحبة منا عليهم وإنعاما ، ومستقرا لهم ومقاما ، ومثنوى لجميعهم ووطن ، ومحل لكافتهم وسكا ، ليخمد السيد الأجل الأفضل أدام الله قدرته الرغبة إلى أمير المؤمنين في أن يكون ما يتصرف إلى مشونة

كل منهم والقيام بأوده، وإعائه على ما هو بسبيله وبصديه: من عين وغلة، مطلقاً من ديوانه، وأستفد أمير المؤمنين المثوبة في ذلك فأجابه جراً على عادة إحسانه، وأستقرت التقديم في هذه المدرسة لك أيها الفقيه الرشيد جمال الفقهاء أبو الطاهر: لتفادك وأطلاحك، وقوتك في الفقه وأستضلائك؛ ولأنك الصدر في علوم الشريعة، والحال منها في المنزلة الرفيعة؛ والمشتغل الذي آتجمع له الأصول والفروع، ومن إذا اختلف في المسائل والنوازل كان إليه فيها الرجوع؛ هذا مع ما أنت عليه من الورع والتقوى، وأن مجاريك لا يكون إلا ناكصاً على عقبه محققاً؛ وأمر أمير المؤمنين أن تدرس علوم الشريعة للراغبين، وتعلم ما علمك الله إياه لمن يريد ذلك من المؤثرين والطالبين؛ ونرج أمره بكتب هذا المنشور بذلك شذا لأزرك، وتقوية لأمرك ورفعاً لذكرك .

فأخلص في طاعة الله سرّاً وجهراً، فإنه تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . وأعيد من أنكرت قضيتي؛ فقد وكل ذلك إليك، وعيدك من غير اعتراض فيه عليك؛ فمن قرأه أو قرئ عليه من الأمير المظفر والقاضي المكي - أدام الله تأييدهما - وكافة الحماة والمتصرفين، والعمال والمستخدمين؛ فليعتمد رعاية المدرسة المذكورة ومن آتوت عليه من الطلبة وإعزازهم، والاشتغال عليهم، والأهتمام بمصالحهم، والتوصي على منافعهم؛ ولينقل هذا المنشور على الكافة بالمسجد الجامع، وليتخذ بهذه المدرسة حجة بما تضمنته، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك سجل بولاية الحسبة من إنشاء انقاضى الفاضل ، وهى :

مَنْ شَكَرْتَ خَلَّاهُ ، وَتَهَلَّيْتُ طَرَاهُ ، وَأَمِنْتُ فَيَا تَوَلَاهُ بَوَاهُ ، وَنِطَلْتُ
بِعُرَى الصَّوَابِ عَلاَهُ ، وَفَرِجْتُ بِسَدَادِهِ مَسَالِكُ الْإِشْكَالِ وَمَضَايِقَهُ ، وَأَسْتَحْوِى
مِنَ الْأَمَانَةِ قَرِينًا فِي التَّصَرُّفَاتِ يَرَاهُ وَلَا يُفَارِقُهُ ، وَنَهَضَ إِلَى الْأَسْتَحْقَاقِ وَلَمْ تَقْه
دُونَهُ عَوَاقِبُهُ ، وَأَخْبَى عَلَيْهِ لِسَانُ الْاِخْتِبَارِ وَهُوَ صَحِيحُ الْقَوْلِ صَادِقُهُ - اسْتَوْجَبَ أَنْ
يُحْصَى مِنْ كُلِّ قَوْلٍ بِأَجَلِهِ ، وَأَنْ يُعَانَ عَلَى نَيْلِ رَجَائِهِ وَبُلُوغِ أَمَلِهِ ؛ وَأَنْ يُقْتَدَحَ
زَنْدُ نَيْتِهِ لِيُرَى نُورُ عَمَلِهِ ، وَيُسَّرَ إِلَى النِّجَاحِ مَتَوَعَّرَاتُ طُرُقِهِ وَمَشْكَالَاتُ سُبُلِهِ ؛
وَأَنْ يُقَابَلَ بِحِرْيَانِهِ فِي الْوَلَايَةِ قِبَلَهُ فَيُظْهِرَ عَلَيْهِ أَثْرَ الْإِحْسَانِ فَيَكُونَ الشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ
الْإِحْسَانِ لَا مِنْ قِبَلِهِ ، وَيُؤَوِّدَ مِنْ مَوَارِدِ النِّجَاحِ مَا يَتَكَفَّلُ لَهُ بِالرِّىِّ مِنْ غُلَّةٍ ، وَيُؤَسِّمَ
مِنْ مَبَاسِمِ الْأَصْطِنَاعِ مَا يَكُونُ حَلِيَّةَ أَوْصَالِهِ وَيُسْقِعُ سَدَادَ خِلَالِهِ فِي سَدِّ خَلَلِهِ .

ولما كنت أياها الشيخُ المشتغل على ما تقدم ذكره ، المسنكل من الوصف
ما يجب شكره ؛ الْاَوَّى إِلَى حَرْزٍ مِنَ الصِّيَانَةِ حَرِيرِ ، الْمُسْتَفْنَى بِغَنَائِهِ عَنِ الْاِسْتَظْهَارِ
بِعَزْوَةِ الْعَزِيزِ ؛ الْمُسْتَوْجِبُ إِلَى أَنْ يُعَدَّ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ ، الْمُسْتَوْجِبُ
مِنْ انْخِلَالِ الْجَمِيلَةِ مَا لَا يَقْتَضِيهِ الْقَوْلُ الْوَجِيزُ ؛ الْمَخْرَجُ مِنْ قَضَايَا الدُّنَا يَا فَا يَسْتَبِيحُ
عَرْمَهَا وَلَا يَسْتَجِيرُ ، الْمُنْدَحُ فِي خَدِيمِ كُلِّهَا أَخْلَصَتْهُ خَلَّاصُ الذَّهَبِ الْإِيزِ ؛ وَكَانَتْ لَهُ
مَضْمَانًا تَشْهَدُ لَهُ أَفْعَالُهُ [فِيهَا] بِالسَّبْقِ وَالتَّبَرُّزِ ، الْمُتَوَسِّلُ بِأَمَانَةِ عَزْمِهَا جَنَابُهُ عَنِ
الشُّبْهَةِ وَوُجْدَانُهَا فِي النَّاسِ عَزِيزُكَ تَقْدِمُ فَيُؤَلِّنَا السَّيِّدَ الْأَجَلَ بِاسْتِجْدَامِكَ عَلَى

(١) العزوة بالكسر الاعتزاء . أى الله تعالى يحمى عن الاستظهار بالاعتزاء الى أحد . وفى الأصل بعزوة

الحسبة بمدينة كذا : فباشر أمرها مباشرة من يئذل في التقوى جهدا ، فلا يرى غيرها على ظلم ورداء ، ولا يراه الله حيث نهاه ، ولا يأمره أبدا وينهاه إلا نهاه ، ولا يرى ما كسفته إلا وهو عالم أن الله يراه ، وأنه فيها إلى ما يتهيأ إليه من بئل غاية وسعه ، ومن لا يرتد عن جركيه من عموم قععه ، ومن يئذل بهذيب طباع الناس على طهارة طبعه ، ومن يستجزل حقت صليح الله لديه بحسن صنعه ، ومن يستدعي منه بئل فضله بحظر مأمير بحظرة ومنعه . وأسلك فيما تستعمله من أمرها المذهب القصد والمنهج الأقوم ، واجتهد فيها اجتهد معتصم بحبل التقوى المئين وسببها المبترم . وأمنع أن يخلو رجل بامرأة ليست بذات محرم . واستوخ أحوال المطام والمشارب ، وقوم كل من يخرج في شيء منها عن السن الواجب . وصير المكاييل والموازين فهي آلات معاملات الناس ، واجتهد في سلامتك من الآثام بسلامتها من الإلباس والأدناس ، وحذّر أن تجعل دابة ما لأطيق حملها ، وأدب من يجري إلى ذلك يتوخي فعله ، وأوعز بتنظيف الجوامع والمساجد لتبذير النظافة مسالكها ، كما تبذير الإضاءة حوايكها ، ففى ذلك إظهار لهجتها وجمالها ، وإيثار لصباتها عن أخلاق نضرتها وأبتذالها ، ولا تمكن أحدا أن يحضرها إلا لعبرة أو ذكر ، قاطعا للسان الخصاص وموقظا لعين الفكر ، فأما من يجعلها سوقا للتجارة ، فقد حصل بهذه الجسارة على الخسارة ، فهي ميادين الضمر ، وموازين الرمح في الظاهر من أعمالهم والمضمرة ، وما أحق لياليها أن تقوم بها المجدد لا السمر ، وهل أذن الله أن ترفع لغير اسمه أو تعمر ، وأحظر أن يحضر الطرقات ما يمنع السلوك أو يوسع ، وأفعل في هذا الأمر ما يدع العايب ويذكره ، وحذ النصارى واليهود والمخالفين بلبس النيار وشذ الزنار ، ففى ذلك إظهار لها في الإسلام من العزة وفي المخالفة من الصغار ، وإبانة بالشذ للناهب للسير إلى النار ، وتفريق بين المؤمنين والكفار ، وأدب من يكبل

مطلقاً، أو يَزِنَ متحيفاً، أدباً يكون لمعاملته مَرَبَّها، وله من معاودة على فعله زاجراً وعذوفاً، فاعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى .



ومن المكتتب عن الوزير لأرباب الوظائف الديوانية مجلٌ بمشارفة الجوالى بالصعيد الأدنى والأشْمُونين، وهى :

مَنْ حَسُنَتْ آثارُهُ فَمَا يَتَوَلَّاهُ ، وَأَسْتَعْمَلَ مِنَ الْإِجْتِهَادِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِقَدْرِ مَا تَوَلَّاهُ ؛ كَانَ أَعْتَادُهُ بِمَا يُؤَكِّدُ سَبَبَهُ وَيُفْضِحُ قَصْدَهُ وَيَسْطُرُ يَدَهُ ، وَيُرْهِفُ حَدَّهُ فَمَا يَضْمَنُ مَصَالِحَ خِدْمَتِهِ ، وَيَنْظِمُ أَمْرَهَا فِي سِلْكِ إِثَارِهِ وَبُغْيَتِهِ .

ولما كنت ^(١) لما نِدَبْتُ إِلَى مِشَارَفَةِ الْجَوَالَى بِالصَّعِيدِ الْأَدْنَى وَالْأَشْمُونِينَ قَدْ أَبْنَيْتَ عَنْ (الْحُبْرَةِ وَالذَّرَابَةِ ، وَالْأَمَانَةِ وَالْكَفَايَةِ ، وَالْإِتِّصَابِ لِلِاسْتِخْرَاجِ وَالْجَلْبَايَةِ ، وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْوَفَاءِ بِمَا كَتَبْتَ بِهِ خَطَّكَ ، وَالْحِرْصَ عَلَى مَا يُخْرِجُ نَصِيحَكَ مِنْ جَمِيلِ الرَّأْيِ وَقِسْطِ الْكَلِمِ - تَقْدِمُ قَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا بِكُتُبِ هَذَا الْمَشْهُورِ مَضْمُونًا شُكْرَكَ وَإِحْمَادَكَ ، وَمُودَعًا مَا يَلْفُكَ فِي الْخِدْمَةِ بُغْيَتَكَ وَمِرَادَكَ ؛ وَتَجْدِيدَ نَظَرِكَ وَتَقْوِيَةَ يَدِكَ ، وَإِعْزَازَ جَانِبِكَ ؛ وَتَوْخِيحَ بِمَا يَشْرَحُ صَدْرَكَ ، وَيُسَدِّدُ أَرْزَاقَكَ ، وَيَرْفَعُ مَوْضِعَكَ وَيُزِيحُ ظِلَّكَ ؛ وَيَقِيمُ هَيْئَتَكَ وَيُقَسِّحُ بِجَانِبِكَ ، وَيَبْلُغُكَ آمَالَكَ .

فاجر على رَشْمِكَ فِي هَذِهِ الْمِشَارَفَةِ وَاسْتَمَرَّ عَلَى عَادَةِ دُخُوبِكَ ، وَاجْعَلِ التَّقَرُّبَ بِالنَّصِيحَةِ غَايَةَ مَطْلُوبِكَ ؛ وَوَاصِلِ الْإِتِّصَابَ لِاسْتِخْرَاجِ مَالِ هَذِهِ الْجَوَالَى

(١) يخاض بالأمل . ومراده "أيها الأمير" أرغوه .

واستباضه واستيفاه واستنظافه ، وتماد في ذلك على سترك الحميده ، وطريقك
السديد ، وثق بأن ذلك يسفر لك عن بلوغ أراجيك ، ويضاعف سهمك من حسن
الرأى فيك ؛ فليتمد الأميران مهاضبة المذكور ومؤازرته ، وإعانتته ومظافرتة ؛
وإجابة نداءه ، وتلبية دعائه ؛ والشدة منه في استخراج البواقي مع المال الحاضر :
ليجد السبيل إلى الوفاء بما شرطه على نفسه ، وكتب خطه به ؛ والمبالغة في ذلك
مبالغة يعود نفعها على الديوان ، ويشهد لها ببذل الطاقة والإمكان ؛ فليعلم ذلك
وليعمل به ، إن شاء الله عز وجل .



ومن ذلك سجل باستيفاء الأعمال القبلية ، وهو :

من كرم أصله ومحبته ، وحسن في الولاء ظاهره ومعتقه ؛ ولقن المخالصة
عن الماضين من أسلافه ، ولزم في المناصحة منهجا لم يعدل عنه إلى خلافة ، وتقل
في جلائل الخدم بكثرة النناء عليه والتعديد لأوصافه ؛ وكان في كل ما يباشره على
قضية تشهد بفضلته ، وتدل من محاسن الخلال على ما لا يجمع إلا في مثله ؛ على أنه
قليل النظراء والأكتفاء ، كلّف بالاعتناء بمكارم الأعمال والإتياع لها والاقتفاء .
استوجب أن يرفع مكانته ومحله ، واستحق أن يحمل من أعباء المهمات ما لا ينض به
[إلا] مثله ؛ وصحح أن يعمل لما يراعى أمره سهما من نظره فيه ، وأن يبرز من
توليته إياه في ملبس جمال يسيفه حسن التدبير عليه ويضيفه .

ولما كنت أيها الشريف ، تابع الخلافة ، عضد الملك ، صليعة أمير المؤمنين ،
من جلة آل أبي طالب ، والموقوري الخط من المائر والمناقب ؛ ولك مع نسبك
الشريف ميزة بيتك في الدولة العلوية - خلد الله ملكها - وتقدمه ، واستقر أرك

بِحُجَّةٍ مِنَ السَّاءِ لَا يَضَاقُهُ أَحَدٌ مِنْ طَبَقَتِكَ فِيهَا وَلَا يَزِمُهُ ؛ وَقَدْ تَوَلَّيْتَ أُمُورًا جَلِيلَةً
فَكُنْتَ عَلَيْهَا الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، وَأَهْلَتْ لِمَنَازِلَ سَنِيَّةٍ فَوَضَحْتَ لَكَ الْإِثْرَ الْحَسَنَ وَأُظْهِرْتَ
مِنْكَ الْجَوْهَرَ الثَّمِينُ ؛ وَلَمْ تَتَّقِلْ قَطُّ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّاهُ ، إِلَى غَيْرِهِ مِمَّا أُسْتُحْفَظُهُ
وَأُسْتُكْفَاهُ ، إِلَّا كَانَ الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَتَلَهَّفُ ، وَالثَّانِي إِلَيْكَ يَتَطَلَّعُ وَنَحْوَكَ يَتَشَوَّفُ ؛
وَمَا بَرِحْتَ مَلْتَمَسًا مِنَ الرِّبِّ الْخَطِيرَةِ مَخْطُوبًا : لِأَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي غَدَتْ فِي غَيْرِكَ
مَتَشَتِّتَةٌ مَتَفَرِّقَةٌ ، قَدْ أَقْبَيْتَ عِنْدَكَ مَجْمَعَةً مَتَأَلِّفَةً مَتَسِقَةً ؛ فَلِكِ الزَّاهَةُ السَّابِقَةُ بِكَ
كُلٌّ مِنْ يَحَارِيكَ ، وَالرَّاهَةُ الرَّافِعَةُ قَدْرَكَ عَلَى مِنْ يُنَاوِيكَ ؛ وَالْأَمَانَةُ الَّتِي يَشْهَدُ لَكَ
بِهَا مِنْ لَا يُحَارِيكَ ، وَالِدَيَانَةُ الَّتِي حُرَّتْهَا عَنْ الشَّرِيفِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَبِيكَ - تَهْدِمُ قِيَّ
مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا بِالْتَّعْوِيلِ عَلَيْكَ فِي تَوَلَّى دِيْوَانَ الْأَسْتِيفَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْقَلِيلَةِ وَمَا جَمَعَ
إِلَيْهِ ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ التَّوَالُوَيْنِ قَدْرًا ، وَأَنْبَهَا ذِكْرًا ، وَأَرْفَعَهَا شَانًا ، وَأَسْمَحَهَا
مَكَانًا ، وَخَرَجَ أَمْرُهُ بِكُتُبِ هَذَا التَّقْلِيدِ لَكَ ؛ فَيَا شَرَّكَ مَتَقِيَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ،
جَارِيَا عَلَى مَرَاقِبَةِ عَادَتِكَ الَّتِي تُزَلِّفُ فَاطِمًا وَنَحِيطَةً ؛ فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ إِرْشَادًا لِعِبَادِهِ
وَيَهْدِيهِمَا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) .

وَتَبَيَّنَ إِلَى (عِمَارَةِ الْأَعْمَالِ) ، وَتَرْجِيَةِ الْأَرْتِفَاعِ (وَأَسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ) ، وَأَحْمَدُ
مُؤَاصِلَةَ الْحِلَّةِ وَالْتِمَاسِ ، وَأَعْكُفَ عَلَى الْأَجْتِهَادِ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِقَلَّةِ الشَّبِيهِ وَعَدَمِ
النَّظِيرِ (وَأَسْتَنْظَافِ الْبَوَاقِ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَالْأَمَّا كُنْ) ، وَكُنْ عَلَى ضَبْطِ مَا اسْتَخْرَجَ
وَصَوْنِهِ أَحْفَظَ لَهُ مِنَ الْخِزَائِنِ ؛ وَأَنْظُرْ فِي أَمْرِ الْكُتُبِ نَظْرًا مِنْ يَكْشِفُ عَنْ جَمِيعِ
أَسْبَابِهِمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ الْمَخَاطَبُ عَلَى خَطِيئَتِهِمْ وَصَوَابِهِمْ ؛ وَخُذْهُمْ بِمِلَازِمَةِ الْأَسْفَالِ ،
وَالْمُؤَاطَبَةِ عَلَى التَّنْفِيزِ وَعَلَى اسْتِيفَاءِ الْأَعْمَالِ ؛ وَلَا تُسَوِّفْ لِمَنْ لَمْ يَلِمْ أَنْ
يُضَيِّعَ فِي الْعَمَارَةِ ، وَلَا أَنْ يَمَاطِلَ بِهَا مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَإِنَّ فَاثَتَ ذَلِكَ لَا يُلْحَقُ ،

وفارطه لا يُدرك؛ وقد أزيحت علتك بسط يدك وإنقاذ قولك وإمضاء حكيمك؛
فتباد على سُنَّتِكَ وأستمر على رِسْمِكَ؛ وأعلم هذا وأعمل به؛ وطالع بما يحتاج إلى
المطالعة بمثله؛ إن شاء الله تعالى .



سجل بمباشرة الأغنام والمطابخ .

لما كانت الأمانة كافلةً بالتنويه لأربابها ، والكفاية مسافرةً في التمييز لمن يتعلق
بأسبابها ، والخبرة خلة لا يليق التصرف ولا يحسن إلا بها ؛ وكنت أيها القاضي
مشهور النفاذ والمعرفة ، خليقاً إذا ذكر المرتشون للهمات بأجل صفه ؛ وقد علمت
نباهتك ، وأستقرت زهانتك ؛ وحسن فيما تتولاه أثرك ، وطاب فيما تباشره خبرك .
وحين علمت بك الخدم فيما يستدعى ويتنازع من الأغنام برسم المطابخ السعيدة
وما يثيق ويطلق منها ، متصرفاً في ذلك بين يدي المخلص السديد ^{صفي} الملك
مأمون الدولة أبي الحسن : فرج الحافظي أدام الله تأييده ؛ فشكر سعيك ، وأحمد
قصدك ، ورضي آجتادك ، وأستوفى آعتادك ؛ تهتم قتي مولانا وسيدنا فلان
بكتب هذا المنشور لك ، مضمناً ما يقضى بشد أزرك ، وشرح صدرك ، وهوية
مُتِّك ، وإرهاف عزمك في خدمتك ؛ وأعتادك بما يؤدي إلى استقامة الأمر
فيما علق بك ، ومساعدتك ومعاضدتك ومعونتك في أسبابك ؛ وتبليغ أقصى
طلابك ، والأمران يعتمدان رعايتك ، والشدة منك وإعانتك ، والمحافظة على مصالح
أمرك والتلبية لدعوتك ، وتوفير حظك من الملاحظة لشؤونك . فلتعلم هذا
وتعمل به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بمشارفة المواريث الحشرية ، والفروض الحكيمة ،

وهي :

منشورٌ تمّ بكتبه فتي مولانا سيدنا السيد الأجل الأفاضل لك أيها القاضي
الرشيد ، سيد الدولة ، أبو الفتوح محمد بن القاضي السعيد عين الدولة أبي محمد
عبد الله بن أبي عقيل - أدام الله عزك - لما أشتهرت كفايتك أشتهار الشمس ،
وأمنت أمانتك دخول الشبهة واللبس ، وسلكت منهج أسلافك في العقاف
والزاهة وظلّ النفس ، وظلّت آثارك فيما تتولاه شاهدة بديانتك ، وأفعالك فيما
تستكفاه معربة عن نباهتك ، وسيرتك فيما تتكلفه منبهة بك إلى أقصى أمد
الاحتياط مفضية ، وقد أضى سبيل تقديمك مبعدا مذلا ، وضوت لما يناسب
كريم يتك مرشحا مؤهلا ، وإنما إهناؤك على ما بيدك لتكفل لإصلاحه وتهذيبه ،
ونتمّ بتقيفه وترتيبه ، ولذلك كتب هذا المنشور مقصورا على إقرارك على ما أنت
متوليّه من الخدمة في مشارفة المواريث الحشرية ، وتقرير الفروض الحكيمة .

فاجر على رسمك وعادتك ، وأستمر على منهجك في بذل استطاعتك ، وأزيم المجهود
منك فإنه مغني عن الاستراذه ، وتماد على ما أتيت فيه على البغية والإرادة ، وأكتف
بما تضمنته التذكرة الديوانية المعمولة لهذه الخدمة ، وحافظ من الاجتهاد على
ما يجتدك كل وقت ملهس نعمه ، فاعلم هذا وأعمل به ، وليُنسخ هذا المنشور
بحيث يُنسخ مثله ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة منشور بمقالة، وهي :

عند ما وصفت به من اجتراح ومناسحة ، وأدانية ليس فيها مساهلة ولا مسامحة ،
ومخالصة استقررت فيها القضية المستقيمة الواضحة ، وكفاية تمسكت منها بالسبب
الوثيق وحصلت على الصفة الرابعة ؛ ومعاملة تحررت فيها نهج من حُب إليه
الأعمال الصالحة ، وكفاية إذا باشرت الذممة الكالحة أبدلتها بالثقة الواضحة ، وسمعة
ما برحت الألسن لذخائر ثنائها مبيحة ولسرائر أسباها بأئمة ؛ وإناك إذا أهلت لخدمة
جعلتها لشركك لسانا ، وليكتاب كفايتك عنوانا ؛ ومن كان بها ملما (٩) إذا رأك
دواعي كان مستعارا بك أحيانا .

فأعتمد في هذه الخدمة ما يحقق بك ظنا ، ويقيم لك وزنا ، ويُسَدِّد بك رُكنا
ويضاعف لديك مَنّا ، ويُبدِّلك من الإحسان ما ينبغي ، ويُسِّنِّي لك من الزيادة
والحسن ، ويتوكل في اقتضاء الحظ الجزيل الأسنى ؛ وأسْتَرْفِع (٩) الحسابات التي
ما يلزم رفعها ، ويُحَفِّظ به شرط الكفاية ووضْعُها ؛ وأَكْشِفُ ولا تُبْقِ ممكنا حتى
تَكْشِفَهُ ثم أَسْتَنْطِقُهُ ، وحاصل به أصله ثم تجلّه ؛ وحاقيق الجهاد على ما خرجت به
البراءات ، ورُفِضَتْ به الخفيات ؛ ولا تُحْلِلُ وُصولا ، من أن تكون بخطك موصولا ؛
وَأَسْتَخْرِجُ حُقُوقَ الديوان على ما مضت به مواضي سُلْتَنه ، وخُذْ من كل شيء
في خدمتك بأجيبته ، وأزِلْ نَفْسَكَ من شغور السنة بأمنع ظل وأحصنه ؛
وأَحْمِلِ التَّجَارَ وَالسَّقَارَ على عوائد العدل وشرائطه ، وقضايا الصوت وجوائده ؛
وَشِرَاهِدِ الدِّيوان وضرائبه ، ولا تتعدّ فيهم مألوف مطالبه (١٠) وأَنْظُرْ في الأملاك

السلطانية نظراً يصلح معتلها، ويصحح مختلها، ويؤقر أجرها، ويُرْجى غيرها؛ وكذلك الأجاس والأحكار والمواريث : حافظ على حفظ استغلاها، وكف كَف من يرى باستباحة أمر الحرم واستغلاها؛ وقد وردت لك من الديوان تذكرة فاهتد بمنظومها، وأقتد بهرسومها؛ ولك من الآراء ما يشهد عزمك، وينفذ حكك؛ ويُسنى مورك، ويعمل بلك؛ ويمثل الرأية فيك، ويقم على أن تكفى الديوان بما يكفيك؛ والسلام .

تم الجزء العاشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الحادى عشر

وأوله الفصل الثالث

(من الباب الرابع من المقالة الخامسة)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

